

دراسة تأصيلية مقارنة لنظرية الإمامية والسيادة
لدى كل من الشيعة الزيدية والشيعة الأخرى عشرية وأهل السنة

الإمامية

دراسة تأصيلية مقارنة لنظرية ~~السيادة~~، أو لنظرية
الإمامية لدى كل من الشيعة الزيدية والشيعة الأخرى
عشرية وأهل السنة

بِقَلْمِ الشَّيْخِ الدَّكْتُورِ

عبد القادر فحة

نظريّة الإمامية أو السيادة عند أهل السنّة
محض دراسة تأصيلية مقارنة لنظرية الإمامية لدى الشيعة
الزيدية وأهل السنة

ج ١

نظريّة الإمامية أو السيادة عند أهل السنّة
دراسة تأصيلية مقارنة لدى الشيعة الأخرى عشرية
وأهل السنة

ج ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَرْسُلِينَ

تفصيـلـهـ:

لقد عنـتـنيـ أنـ أـبـحـثـ فـيـ مـوـضـوعـ الإـمامـةـ،ـ باـعـتـدـارـهـ مـوـضـوعـاـ مـلاـ
الـدـنـيـاـ وـشـغـلـ النـاسـ فـيـ كـلـ عـصـرـ وـمـصـرـ،ـ فـلـقـدـ كـانـتـ الإـمامـةـ وـلـاـ تـزالـ
مـوـضـوعـ جـدـلـ مـتوـاـصـلـ بـيـنـ الـخـاصـةـ وـالـعـامـةـ،ـ يـتـظـارـ حـوـنـهـ فـيـ كـلـ وـقـتـ
وـحـيـنـ،ـ سـعـيـاـ وـرـاءـ تـحـقـيقـ الـعـدـالـةـ وـالـشـورـىـ وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ نـكـلـ الشـعـوبـ عـلـىـ
مـرـقـدـ التـارـيخـ.

وـكـانـ الـمـسـلـمـونـ يـسـتـمـدـونـ مـبـادـئـ الشـورـىـ الـحـقـيقـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ
وـمـنـ السـنـةـ الصـحـيـحةـ الـذـيـنـ كـانـ يـسـهـلـ عـلـىـ تـبـطـيـقـهـمـ الرـسـولـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ
عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ فـهـوـ الـذـيـ وـضـعـ أـسـسـ الـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ بـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ،ـ عـلـىـ
ضـوـءـ هـذـهـ مـبـادـئـ الـتـيـ اـسـتـمـرـ الـعـمـلـ بـهـاـ فـيـ ظـلـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـيـنـ،ـ فـعـتـ
الـعـدـالـةـ،ـ وـالـحـرـيـةـ،ـ وـالـمـنـ وـلـارـخـاءـ،ـ حـيـاةـ الرـعـيـةـ،ـ بـاـنـتـقـالـ الـحـكـمـ إـلـىـ بـنـيـ أـمـيـةـ،ـ
وـالـأـمـرـ
ثـمـ مـنـ بـعـدـهـمـ إـلـىـ بـنـيـ عـبـاسـ،ـ تـغـيـرـ نـمـطـ الـخـلـافـةـ فـأـصـبـحـ مـلـكـاـ،ـ وـاسـتـبـدـ بـعـضـ
الـخـلـفـاءـ بـالـسـلـطـةـ،ـ وـلـمـ يـعـدـ لـمـجـالـسـ الشـورـىـ،ـ الـمـكـانـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـحـتـلـهـاـ فـيـ
صـدـرـ الـإـسـلـامـ،ـ حـتـىـ أـنـ الـأـعـضـاءـ الـمـمـتـلـئـنـ لـهـذـاـ الدـوـرـ،ـ أـصـبـحـوـ يـعـيـثـونـ
بـتـرـكـيـةـ مـنـ الـخـلـفـةـ،ـ لـيـكـونـوـ أـدـأـةـ طـبـعـةـ فـيـ يـدـهـ،ـ يـحـقـقـ بـهـمـ مـاـ يـشـاءـ مـنـ غـايـاتـهـ
وـأـغـرـاضـهـ،ـ وـقـدـ تـجـلـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ فـيـ أـغـلـبـ عـهـودـ الـخـلـافـةـ الـأـمـوـيـةـ وـالـعـبـاسـيـةـ
وـالـعـمـانـيـةـ...ـ وـغـابـ بـذـكـرـ الدـوـرـ الـحـقـيقـيـ لـأـهـلـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ،ـ لـقـدـ كـانـوـاـ هـمـ الـذـيـ
الـمـرـأـةـ
يـخـارـوـنـ الـخـلـفـةـ بـطـرـيـقـةـ الشـورـىـ،ـ فـأـضـحـىـ الـخـلـفـاءـ يـصـلـوـنـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـنـصبـ

بطريقة الوراثة، حتى كثُر الطامعون فيه، ونشأ حوله اختلاف المسلمين، فانقسموا إلى فرق متعددة، تناهُبهم آراء متضاربة تضارباً شديداً في جل الأوقات، ولمْ تكن هذه الآراء المتباينة دائمة، من نوع الاختلاف انضروري الذي يثير الحضارات، ويضفي عليها مسحة من التوسيع والترافق، تميزها عن باقي الثقافات، بل كانت في الغالب، اختلافات دموية سُلت فيها السيف، وتعرضت فيها الفئات الضعيفة إلى تصفيات جسدية مهولة، وتاريخ أهل السنة والمعتزلة، والشيعة^١ خير شاهد على ذلك، خاصة في تلك الفترات التي ينحاز فيها الخليفة إلى مذهب دون غيره، فبنكِل بأصحاب المذاهب اليقية أشد تكثيراً، بتشجيع، وابتعاز من أقطاب المذهب الذي انتصر له الخليفة، في صورة من الشّرّ جد فظيعة، يندى لها جبين التاريخ الإسلامي، مما حدا بالشّهير متناني إلى القول: "أعظم خلاف بين الأمة الإسلامية خلاف الإمامية، إذ ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سُل على الإمامية في كل زمان".

وفي ظل هذه الظروف القاسية التي عاشتها الأمة الإسلامية، تسلّط الحكم على رقاب الرعية واستثروا بأموالهم دونهم، فانتشر الضلم، وغاب العدل وعمت الفوضى، وانقسم العالم الإسلامي إلى دولات صغيرة، سهل على المستعمر ابتلاعها، وبناء حضارته على أنقاض حضارتها المنهارة، لهذا السبب أردت أن أدرس نموذجاً من نماذج الاختلاف حول الإمامية في الإسلام، راجياً من الله - العلي القدير - أن يوفقني إلى تقديم خدمة - ولو

^١ الشّهير متناني: أنسٌ والنَّحْل: 21/1-22 ذيلاً لكتاب بن حزم - "فصلٌ عَنْ بَرْيَةِ الْعَجَلَانِيِّ": عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص 36-40-41-49.

متواضعة - لأمني العربية والإسلامية. وبما أن موضوع الإمامة موضوع شاسع، لا يمكن الحديث عنه بدون حصر للبحث في جانب من جوانبه، فقد اخترت، أول الأمر، أن أدرس (نظريّة الإمامة لدى الزيدية) نسبة إلى مؤسسيها، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 122هـ/740م)، ونعود دوافع هذا الاختيار إلى ما لمسته من اعتدال في هذا الإمام - رضي الله عنه - ومن نية صادقة تحفظه إلى جمع كلمة المسلمين، ظهرت - خاصة - فيما رواه عنه الأصفهاني قال: "حدث البابكي: قال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة، فلما كان نصف الليل واستوت التزريا، فقال: يا يا بكي أما ترى هذه التزريا؟ أترى أحداً يذالها؟ قلت: لا قال: والله لو دنت أن يدي ملصقة بها، فأقع إلى الأرض أو حيث أقع، فانقطع قطعة قطعة، وأن الله أصلح بين أمّة محمد - صلى الله عليه وسلم".

وتجلّى إخلاص زيد بن علي لهذا القول، وأمثاله، في اعترافه بإمامية المفضول مع وجود الأفضل، إذا افتضت المصلحة ذلك، مصححاً بهذا الرأي إمامية الشيدين، الذين سبقاً عنياً بن أبي طالب بالخلافة، وما داما قد عدلا، وطبقاً مبدأ الشورى بين الرعية، فإمامتهما لا مطعن في صحتها، ولا غبار عليها. وتحمّل زيد في سبيل رأيه هذا، افتراق الشيعة الزروافض عنه، ورفضهم لإمامته، وتخليهم عن مناصرته في ساعة العسرة، بعدما بايعوه بأعداد هائلة، على الثورة، والخروج علىبني أمية، فاضطر - إخلاصاً منه

١- الأصفهاني - مقتل الطبيبين - ص 129 - الحوالى - اليمن الخضراء مهد الحضارة ص 214 - 215.

لعمداً - إلى دخول المعركة، بسانتين ونيف من القراء والفقهاء صدقوا، مثل
فاندهم^{ما عاهدوا الله عليه}، في مواجهة جيش عتيق، من جيوش الشام، مدرب
على قمع الثورات فكان استشهاده واستشهاد من معه في هذه المعركة التي لم
تتكافأ فيها القوتان العسكريةان.

وبعد تخلي الشيعة الروافض عن زيد بن علي، جذب كلامي عنيف،
دار بينهما أدى إلى هذه القطيعة، وهذا الجدال هو الذي جعلني أحضر البحث
^{الشيعية} في موضوع: دراسة تأصيلية مقارنة، لنظرية الإمامة لدى كل من الزيدية
^{الشيعية} ^{أهل السنة} وألاني عشرية ^{بريشان} من أستادي المشرف الدكتور على الشامي وبمقتضى
هذه المقارنة، تتضح آراء الزيدية التي تمثل الشق العظيم في المذاهب
الشيعية، وبما أن آراء الائني عشرية، سبقت في الظهور آراء الزيدية، فقد
كان لزاماً على أن أراعي هذا الترتيب طيلة مراحل البحث وهي ملاحظة هامة
رأيت من الواجب أن أؤكد عليها كلما انتقلت من دراسة مبدأ إلى آخر.

وبالإضافة إلى هذه المقارنة الرئيسية، فقد قمت بعد مقارنات ثانوية
ولكنها فيما يبدو ضرورية - بين آراء الشيعة، وبين آراء بعض الفرق
الإسلامية الأخرى كأهل السنة، والخوارج والمعزلة، وكانت أشاء هذه
المقارنات، لا أكتفي أحياناً بعرض رأي واحد من آراء خصوم الشيعة بل قد
أعرض إلى آراء متعددة داخل المذهب الواحد، لأجلو فكرة، وأوضح رأياً
هاماً، متمناً فعلت في قضية (إمامية المفضول مع وجود الأفضل) إذ رجعت
إلى آراء أهل السنة السلفية من خلال صحيح البخاري بتعليق ابن الحجر:
(فتح الباري)، والتي آراء أهل السنة الظاهرية، المتمثلة في شخصية ابن
حرزم، من خلال كتابه (الفصل)، وإلى آراء السنة الأشعريية، من خلال كتاب

(مقالات الإسلامية) للأشعري وكتاب (الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني الشافعى الأشعري.

وإلى جانب كتاب (الفصل في المثل والأهواء والنحل) لابن حزم فقد استندت من كتابه (طوق الحمام). إذ بالرغم من كونه كتاب عواطف، فقد أعادنى على كشف نزعة ابن حزم الاموية، وتعصبه للأمويين، ورده على خصومهم من الشيعة وغيرهم ردوداً عنية، تستجيب لهذه النزعة ولما عرف به من حدة في الطبع، تجعله يصك معارضه صك الجنل، سببها مرض أصيب به، باعترافه.

وقد اعتمدت على نوعين من الكتب، هي :المصادر والمراجع، وصنفت هذه المؤلفات كلها إلى كتب في الحديث، والتفسير، والتاريخ، والعقائد، والفرق، والمثل والنحل... ولم أعتمد على كتب أهل السنة فحسب في استعراضهم لأراء خصومهم، من الشيعة وغيرهم، وردتهم عليها، بل حاولت أن أعتمد على مصادر الشيعة الزيدية والإثنى عشرية، ومراجعهم، ووقفت في الاتصال المباشر بجموعة هامة من هذه الكتب الشيعية، كما عدت أيضاً إلى كتب ألقاها مستشرقون، تناولت بحوثهم موضوع الإمامة، وقد رجعت إليها أحيناً في لغتها الأصلية أو المترجمة إلى اللغة العربية.

وفي كتب الحديث رجعت إلى أهم المراجع التي يعتبرها الشيعة أصولاً يعتمدون عليها في استخراج أدلةئم التي ينسبونها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والى الأئمة من آل النبي - رضوان الله عليهم - يثبتون بها صحة مبادئهم، كالفضيلة والوصية والعصمة، والغيبة، والرجعة والمهدية والتقية، وأهم هذه الأصول الإمامية أربعة كتب تعد - لديهم - من أحسن المصادر،

وهي (الكافي) للكليني، و(من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمي، و(تهذيب الأحكام) و(الاستبصار) لشيخ الطوسي، وتعتبر عندهم بمثابة صاحب أهل السنة. ولكن اعتمادي انصب بالدرجة الأولى على كتاب (الكافي) للكليني، نظراً لشهرته، ووثوقهم بأحاديثه، وقد أثني عليه علماؤهم كالشيخ المفید، وادعى المحدث النيسابوري أن هذا الكتاب قد عرض على الإمام القائم (أي على المهدى المنتظر)، فاستحسنـه وقال: هو كافٌ لـ"شيـعـتـا" ولـهـذا السبـب زعموا أن مؤلفه الكليني سماه (الكافي)، تيمـناً بهـذه الشـهـادـة الشـيعـية، وتحـلـيقـاً لأمر الإمام الذي لا مـغـرـ - لديـهم - من الإـذـاعـانـ لهـ؛ واستـنـجـوا منـ هـذه الوـثـيقـةـ أنـ الكلـينـيـ كانـ حـيـاـ زـمـنـ وـكـلـاءـ المـهـدـيـ مماـ جـعـلـ الشـيـعـةـ يـزـدـادـونـ ثـقـةـ فيـ الـأـحـادـيـثـ الـتـيـ روـاهـاـ، وـخـاصـةـ فـيـ كـتـابـهـ (الـكـافـيـ).

وبالرغم من هذه الشهادة الشيعية المصححة لروايات الكليني، وخاصة من حيث السند، فإن من الأمامية أنفسهم من تناولـ جانبـ منـ هـذهـ الـأـحـادـيـثـ^{كتابه} بالـنـفـذـ، وفي ^{الـلـدـاـ} الصـدـدـ نـقـلـ عـلـيـ حـسـيـنـ مـحـفـوظـ، عـنـ الـخـونـسـارـيـ فيـ ^{روـضـاتـ} (روـضـاتـ الجنـاتـ)، أـنـ أحـادـيـثـ (الـكـافـيـ) الـوارـدـةـ فـيـ أـوـائلـ الـأـبـوـابـ، أـصـحـ مـنـ الـأـحـادـيـثـ الـوارـدـةـ فـيـ أـوـاـخـرـهـاـ، لـأـنـهـاـ لـاـ تـخـلـوـ فـيـ الغـالـبـ مـنـ أـجـمـالـ وـخـفـاءـ^{كـمـاـ اـعـتـرـفـ} الـإـرـبـلـيـ بـأـنـ بـعـضـ الـأـخـبـرـ الـوارـدـةـ فـيـ شـائـعـةـ المـهـدـيـ الـمـنـتـظـرـ، مـطـعـونـ فـيـ صـحـتـهاـ. وـرـوـىـ مـحـمـدـ بـاقـرـ الـمـجـسـيـ فـيـ كـتـابـهـ (مـرـآـةـ الـعـقـونـ)، أـنـ أـكـثـرـ سـنـ ثـلـثـيـ أحـادـيـثـ (الـكـافـيـ) هـوـ مـنـ التـوـعـ الـذـيـ لـاـ يـجـوزـ الـاعـتمـادـ عـلـيـهـ، إـذـاـ لـمـ يـكـنـ مـؤـيدـاـ بـعـضـ الـفـرـائـنـ الـتـيـ تـدـعـمـ رـوـايـتـهـ عـنـ الـأـيـمةـ، كـمـاـ أـنـ بـعـضـ الـأـحـادـيـثـ الـأـخـرـىـ قـدـ ذـرـتـ سـنـدـ ^{فـاسـدـ}، يـكـتـفـيـهـ اـضـطـرـابـ فـيـ الـلـفـظـ، وـغـيـرـهـ وـتـشـوـيـشـ فـيـ الـمـعـانـيـ، وـهـوـ أـسـلـوبـ بـعـدـ عـنـ مـنـطـقـ الـأـيـمةـ، وـبـعـدـ عـمـاـ عـرـفـوـاـ

به من الفصاحة، مما يظهر من ورائه ضعف هذه الأحاديث، وعدم صحتها وكونها من الأحاديث التي يشتم منها بوضوح رائحة الباطنية والغلو، والسمو بالأراء الشيعية إلى أفق غبيٍّ ينحصر دونه الإفهام، ويرزِّ موسى الصدر هذه السمات البارزة في الأحاديث الشيعية، بأنها ليست صفات خاصة بكتاب الحديث عند الشيعة، بل إننا نكاد نلسمها عموماً - حسب ادعائه - في بقية **المسند** **وكل ذلك** كتب الحديث ومتونها، في كتاب (الكافي)، وغيره من الكتب المعتبرة لدى الإثني عشرية. مطمعنا القاريء إلى اختلاق الكثير من هذه الأحاديث، وخاصة تلك التي تبحث في عدد الأئمة الإثني عشر، وأنه موافق لعدد أبرااج السماء، وعدد الشهور، وعدد العيون المتفرجة من الحجر بعضاً موسى - عليه السلام - ذاكراً أن الكتب الناقدة (الكافي) والشارحة له قد اعتبرت هذه المرويات، من أوضح الموضوعات التي نسبت إلى الأئمة.

إن هذا الحكم يعتبر حكماً عاماً على **مصادر الحديث** الشيعية الإثني عشرية. وأهم ما ورد فيها من أخبار جاء في الإمامة، موضوع بحثاً، ومن ثم فقد تيسر لي تفصي الموضوعات الواردة في الأحاديث الشيعية التي تتناولت مسألة الإمامة، معتمداً في ذلك على نسخة (الأصول من الكافي)، وهي عبارة عن أحاديث جميت من كتاب (الكافي) للكليني في الغرض المذكور. وقد ساعدني على غربلة هذه الأحاديث - كما أشرت سابقاً - نقد أصحابها من الإمامية لها متانة وسندان، بالإضافة إلى مقارنات عقدتها بينها، وبين ما يقابلها من أحاديث رويت في نفس الغرض - لدى الزيدية، ولدى **أهل السنة**.

وبالنسبة لمصادر الحديث - عدد الزيدية - فقد رجعت إلى المسند
المنسوب لزيد بن علي، برواية تعمده أبي خالد الواسطي، وقد وردت فيه
الأحاديث برواية أئمة زيديين من آل البيت، وتحتوي على قسم كبير يقترب
- في معناه ومتنه - من مرويات أهل السنة، لكن البعض الآخر من هذه
~~وطعنه على أئمة أهل السنة~~
الأحاديث الزيدية، يشابه إلى حد كبير - في غلوه ~~وطعنه على الأئمة~~ - ما
رواه الإثنا عشرية، ويختص ذلك بالأحاديث التي تناولت ارتفاع منزلة الأئمة
الزيديين دون سائر الناس، وأحقيتهم ~~بائسة~~، وما نسبوه لهم من الفضل،
والكرامات، وزكي الصفات... مما يظهر من ورائه أن هذا النوع من
المرويات الزيدية، يدخل في عداد المرويات ~~الإثنى عشرية~~ الموضوعة
والمسوبة إلى الأئمة، حيث تجد أحاديث تقليدية يعتمدتها الفرقان في التأكيد
على شرعية أئمتهم، كثبات الوصيّة، والعلم الغيبـي، واعتماد التأويل التعسفي
لبعض الآيات القرآنية لتوافق ما يذهبون إليه من أراء... الأمر الذي يبدو من
خلاله، عدم انسجام هذا النوع من المرويات الزيدية، مع مذهب زيديين على
الحقيقي الموسوم بالإعتدال وعلى طريقة الإثني عشرية يعتمـدـ الزيدية بدورـهم
إلى تصحيح هذه الأحاديث كلها، فيقررون تعديل أبي خالد عمرو بن خالد
الواسطي الهاشمي بالولاـء - (توفي حوالي سنة 150 ونيفا هجرية / 767
و نيفا ميلادية) - فيما يدعـي روایته عن شيخه زيد بن علي، في الفقه
والحديث، ويؤكدون على اتصافـه بالثبات والدقة في الرواية، مستشهدين
بقولـه: **فـمـا أـخـذـتـ عـنـ (عـنـ زـيـدـ)ـ الـحـدـيـثـ إـلاـ وـقـدـ سـمـعـتـ مـرـةـ أوـ مـرـتـيـنـ أوـ**

ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو أكثر من ذلك... وما رأيت هاشمياً مثل زيد بن علي، فذلك اخترت صحبته على سائر الناس^١.

ويستشهد الزيدية على عدالة أبي خالد الواسطي أيضاً برواية علماء الحديث من أهل السنة عنه، كالحاكم في (المستدرك)، وابن ماجة القزويني في (السنن). ويررون في هذا الصدد - عن يحيى بن مسavor، أنه سئل فيمن يطعن في أبي خالد الواسطي؟ فأجاب: لا يطعن فيه إلا رافضي أو ناصبي (سُنْنَيْ أَوْ سَنَّيْ) والخلاصة أن الزيدية عذواً أباً خالد الواسطي، وجرحه ^{الإثنا عشرية}، مع أن محمدًا الباقر وأخاه زيداً، أخذَا العلم، وروياه عن منبع واحد هو أبوهما عني زين العابدين بن الحسين بن علي أبي طالب. ولكن يزعم كل من الفريقين أن روایهم هم العدول، ولا يعترفون بعدالة الرواية الآخرين من خصومهم، لا شيء إلا لأن رواة الزيدية أخذوا عن إمامهم زيد بن علي، ورواية الإمامية أخذوا عن إمامهم محمد الباقر. أما أهل السنة ف منهم من عدل ^{أبا خالد الواسطي} ومنهم من ^{جرحه}، فقد نقل الشيخ محمد أبو زهرة، عن (تهذيب النكامل في أسماء الرجال)، للحافظ أبي الحجاج يوسف بن الزركي بن عبد الرحمن المزري، أن بعض المحدثين من علماء أهل السنة رواوا عن أبي خالد الواسطي، كابن ماجة القزويني، والدارقطني... من أصحاب السنن.

وروى هو بدوره عن رجال كثريين منهم، من بينهم ذكر سفيان الثوري ومحمدًا الباقر... ومن علماء السنة الذين جرحوا أبا خالد الواسطي، وكيع فقد طعن فيه، ذاكراً بأنه رجل يضع الأحاديث وروى يحيى بن معين عن أحمد

١- زيد بن علي: المست - ص 8 - 11 - 12 - الحوالي - ابن الخطير: مهد الحضارة
ص 103 - 107.

بن حببل أبا خالد: "كذاب غير ثقة ولا مأمون". وفَقَلْ فِيَهُ الطَّبِيرِ الْتِي بِرَوَايَةٍ
 يَحْبَى بْنُ مَعْنَى أَيْضًا: كذاب ليس بشيء، وذكره إسحاق بن رهوية بأنه كان
 يضع الحديث" ووصفه أبو حاتم بكونه: "متروك الحديث لا يشغله به". وعلى
 هذا الأساس أكون قد حزلت أن أضع الأحاديث الإثنى عشرية، والزيدية
 تحت محك النق، حسب قواعد علوم الحديث ومصطلحاته، التي درسها
 القدامى دراسة مستفيضة، مطبقين إياها على السيل الجازف من الأخبار التي
 تدعى كل فرقه روايتها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقررين
 أن كل حديث يشتم منه خدمة مصلحة سياسية والانتصار، لمذهب من
 المذاهب، فهو حديث موضوع، ولا ينتفت إليه. وبذلك يكون القاسمي قد قدموه
 خدمة جليلة، لالمشتغلين برواية هذه الخبر تشفى عن درجات الحديث، من
 حيث الصحة، والحسن، والضعف، والتوضع... ومن بين المصادر القديمة
 التي اهنت ب النقد الحديث استعنت بكتاب (الموضوعات) لأبي الفرج عبد
 الرحمن بن علي الجوزي. وهو كتاب تناول فيه مؤلفه ب النقد، أغلب
 الأحاديث الموضوعة، سواء أكان روايتها من الشيعة، أم من أهل السنة، أم
 من غيرهما من رواة الفرق الأخرى... وخاصة تلك الأحاديث التي تعرضت
 لموضوع الإمامة، وناصرت ذوي الأط眷 السياسية من هؤلاء جميعا، مثل
 الأحاديث التي وردت في نسبة المهديه لأبي بكر الصديق رض الله عنه -
 أو الأحاديث التي وردت في فضل الأميين، والعباسين... كما أني استندت
 فائدة كبيرة، من نقد أبن خلدون في (سقامته)، للأحاديث الواردة حول

المهدي، والتي رواها أهل السنة والشيعة على حد سواء، وقد ظهر من خلالها إمامه بفن التجريح والتعديل، وجمعه بين التاريخ والحديث.

وكانت غايتها من هذا النقد، هي الوصول إلى موقف محدد، من هذه ^{والمسعفة} الأخبار الإثني عشرية والزيدية، ^{أو المضعفة أو الم موضوعة} يعينني على التماس الحقيقة في هذه الدراسة، ومن ثم فقد عمدت إلى عقد مقارنات، بين هذه المرويات الشيعية، وبين ما يقابلها من أحاديث أهل السنة الصحيحة، ^{لأكثف النقاب} عما داخل قضية الإمامة - أحياناً كثيرة - من غلو ومبالغات، معتمداً في ذلك على صحيح البخاري بتعليق الحافظ ابن حجر (فتح الباري بشرح البخاري)، و(صحيح سلم) بشرح النووي، وكتب السنن (النسائي، وابن ماجه، وأبي داود، والترمذى، والدرامي)، ومسند أحمد بن حنبل. واعتمدت على نسختين من (موطأ) مالك بن أنس، الأولى برواية محمد بن الحسن الشيباني، والثانية برواية يحيى النسائي.

وفي هذا الصدد، يجب أن نلاحظ، أنه قد وردت في مسند أحمد بن حنبل أحاديث كثيرة في فضل الصحابة عامل وآل البيت خاصة، يشابه ⁶⁰ بعضها إلى حد كبير من حيث المتن، ما رواه الشيعة في فضل آل البيت. وقد علق ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة النبوية) على هذه الأحاديث الواردة في فضل الصحابة وآل البيت، بكونها مشتملة على الصحيح والضعيف، وأشار إلى أن غاية أحمد بن حنبل من جمعها هو التعريف بها، لا الاستشهاد بضعفها، وليس كل ما رواه في هذا الجانب يكون صحيحاً. أضف إلى ذلك أن في مسند أحمد زيادات من رواية ابنه عبد الله، وزيادات أخرى من رواية أحمد بن جعفر بن حمدان القطبي عن شيوخه. واعتبر ابن تيمية أغلب

زيادات اقطبيعي مكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنها من النوع الذي لم يورده أحمد بن حنبل في مسنده، وإنما أورده شيخ القطبيعي الذين يرون عمن في طبقة أحمد بن حنبل، أما بالنسبة لعبد الله بن أحمد بن حنبل فقد زاد في مسند أبيه أحاديث، لا سيما تلك الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل علي بن أبي طالب في المسند المخصص له، ولذلك فقد استدل بها الشيعة، وبما رواه القطبيعي - في هذا المجال - ظانين أنها من روایة احمد بن حنبل، وفيها الصحيح والضحيح ..

ونقل محب الدين الخطيب، عن الحافظ ابن كثير، في اختصاره لـ(مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث) ما نصه: «أما قول الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر العدّي، عن عبيدة الإمام أَحْمَدَ: أَنَّهُ صَحِحٌ فَقُولُونَ ضعيف»، فإن فيه أحاديث ضعيفة ببل و موضوعة، كـأحاديث فضائل عرو و عسقلان^١ والبرث الأحمر عند حفص، وغير ذلك مما نبه عليه الحفاظ. وعلق محب الدين الخطيب على أحاديث الفضائل هذه، وغيرها من هذا النوع من الأحاديث بقوله: «أحاديث الفضائل إذا لم تكن أساندتها قوية كالتي في الصحيحين، فإنها مما يتزيد به الناس، ويتساهمون في قوله كما يتساهمون في

١- الرقائق هي سايرويه المتضيون توعد العالم من أخبار ثور حول التر غب والتر هب، ويتجاوزون فيها يزداد المبالغة والعلو والإسرابية والتهدىء، بحجة كونها الوعظ والإرشاد، وليس الاستناظ الأحكام، يستدلون بعضها، وبهؤلئن مت البعض الآخر منها تكون أحاديث معزولة إلى مصادرها أو غير معزولة أحياناً أخرى. إلا أن جنديم هذه وآلهة، يعتبر أن وعظ العالم قد تغدو فيه الأسوأ النحس، والغدوة الطيبة، والأستانة الحبة المستمدة من الواقع العصري، **والخطيب** أكثر مما نجد فيه أحاديث مكتوبة على مول الله حصلي الله عليه وسلم أو مبالغ فيها، وقد

ولم أكتف بهذا النقد الذي سلطه القدامى والمحدثون على المرويات، بل حاولت أن أدعم كل ذلك بالرجوع - من حين لآخر - إلى كتب تفسير القرآن الكريم، الشيعية والسنوية على حد سواء، لأصحح رواية، أو لأرد تأويلاً شيعياً لأية، لأن التأويلات الشيعية عموماً لبعض الآيات القرآنية، قد تذهب أشواطاً بعيدة في الغلو والرمزيّة، والتفسير الغيبي، إلى الحد الذي تصبح معه اللغة العربية فاقدة لمدلولها المتعارف لدى الناس. ومن كتب التفسير التي رجعت إليها (مجمع البيان في تفسير القرآن) لأبي علي الطبرسي الشيعي الإثني عشرى، وهو تفسير يكاد يكون سيناً في الآيات التي لا اختلاف فيها بين الفريقين، إلا إذا تعلق الأمر بقضية شيعية كالوصية، والمهدية^٦ والنقية... -

بالنسبة للإمامية - فإن المفسر ينحاز إلى الرأي الإمامي^٧ ولكن في اعتدال ظاهر للعين، يفوق اعتدال بعض الشيعة المعاصرين، وقد يصطدم مع بعضهم اصطداماً واضحاً، مثلاً بما ذكر في قضية عصمة الإمام، حيث قرر الطبرسي أن الخطأ يجوز أن يصدر عن الإمام من قبيل السهو والنسيان، في غير ما يؤديه عن الله. بينما لم يجزء بعض القدامى كما نقله عنهم هاشم معرف الحسيني، أو بعض المعاصرين منهم مثل سيد حسين نصر الذي اعتبر العصمة نتيجة طبيعية لانتقال النور في أصلاب الأئمة.

وقد شهد باعتدال الطبرسي في تفسيره - مفسرون سنيون، من بينهم الألوسي في (روح المعانى). أما التفاسير السنوية التي رجعت إليها فهي:

^٦ تكون متفقة مع سنن الله في حلقه، أو مع صريح الكتاب أو السنة. وقد شاعت أحاديث الرفقاء في المجمع الإسلامي عندما أدركه الضعف والانهيار - (انظر: ابن تيمية - المتنبي من منهجه الاعتدال وتلخيص تحافظ الذهبى ص 278- 279 هـ).

(جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازى، و(روح المعانى) لأبي الفضل شهاب الدين الألوسى، و(صفوة التفسيرة)، و(مختصر تفسير ابن كثير) لمحمد عنى الصابونى و(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن عاشور، وقد حاولت أن أجمع في هذه التفسيرات بين أساليب قديمة اعتمدت على المأثور كتفسير الطبرى^١ وبين أساليب حديثه جمعت بين المنقول والمعقول، كـ*تفسير الطاهر بن عاشور*، بالإضافة إلى بعض المصادر التفسيرية الأخرى التي لعب فيها علم الكلام، والأراء الفلسفية دوراً وأي دور مثل (مفاتيح الغيب) لفخر الرازى.

ويمىء أن كل عقيدة لا تثبت إلا في ظل ظروف تاريخية ونفسية واجتماعية واقتصادية معينة... .

فقد كان لزاماً على أن أرجع إلى كتب التاريخ والعقيدة والمثل والنحل، لاستئثار منها هذه الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الأراء، واختلاف الناس حولها، محاولاً - في الآن ذاته - أن أقارن ما جاء فيها من حوادث^٢ ببعض ما جاء في كتب الصدح السنية من أخبار مقبلة لها، أو متفقة معها لأن المحدث الثقة يتقييد بشروط قد يتجاوزها المؤرخ أحياناً كثيرة، باعتبار أن مهمة المؤرخ تكون عادة الجمع، فيحصر ذلك جملة من الروايات ذات المصادر المتعددة، اعتماداً على طريقة المأثور، وهي رغم إسنادها أحياناً، تحتاج إلى النقد والمقارنة وأعمال الرأي، فقد تكون عبارة عن روايات متناقضة أحياناً^٣ أو مكملة لبعضها البعض أحياناً أخرى. وبهذه الطريقة جربت أن أغوص في أعماق الأراء وخلفياتها - لدى الفرق الإسلامية عامة،

ولدى الإثني عشرية والزيدية خاصة - ومن ذلك ما اعتبره من إشكال يتمثل في إنكار الإثني عشرية نسبة التشيع إلى اليهودي عبد الله بن سبا، وأنه أول من قال بالوصية الإلية لعلي بن أبي طالب، متهماً صاحب هذا الإدعاء بأنه واهم وقليل الدراسة بمذهب التشيع، وجراهم في هذا الإنكار باحثون معاصرون ليسوا من الشيعة، كطه حسين في (الفتنة الكبرى) وأحمد محمود صبحي في (نظرية الإمامة)... معتبرين قضية ابن سبا أسطورة وضعها من خصوم الشيعة للحط من مذهبهم، بينما أقرت هذه النسبة وأكدها عليها، وعلى تاريخية ابن سبا، مصادر سنّية وشيعية على حد سواء، بالإضافة إلى مراجع حديثة أخرى سارت في نفس اتجاهها، وقد اعتمدت عليها لتأكيد هذه النسبة. ومن المصادر التي اعتبرت ابن سبا حقيقة لا غبار عليها نذكر مثلاً كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي الإثني عشري (تاریخ الرسل او الملوك) للطبری السنّی، مع العلم أنّهما متعاصران توفيا سنة 310ھ/922م) وهو أمر يزيد هذه الحقيقة ثباتاً. ^{وتحصل لها اهتمامات ارجحها}

ومن خلال هذا التقديم تبدو أهمية كتاب النوبختي (فرق الشيعة)، لكونه مصدراً شيعياً إثني عشرياً معتدلاً، قد أمننا بحقائق هامة، إذ لم يتردد مثلاً - إلى جانب ما ذكر آنفاً في إيراد الروايات التي شركت في ميلاد المهدى وفي وجوده، وأمننا بوثائق جد قيمة فيما يتصل بعلم الأئمة الغيبية، واختلافات الشيعة حوله، وفيما يتصل بالبداء والتقية، ذقلاً رواية الزيدية أن هذين المبدئين الآخرين هما من وضع أقطاب الشيعة الإثني عشرية، حتى لا يقع الأئمة في ^{نقائص} مطقاً، مهما نسبوا لهم من أراء غالبية، أو جعلوه يتبئنون بعلم غيب تتفاوض مع الواقع، ولا بهم - بعد استفادتنا من هذه الوثائق الثمينة

- أن ينحاز النوبختي لرأي الأئمّة عشرية كلّاً وصل إلى تحديد موقفه من فرق الشيعة، التي أرخ لها عقدياً، لأن ذلك شأنه، ومذهبه، وحسبنا ما وصلنا إليه من مقارنات، وما جحصنا عليه من نتائج في هذا المجال.

وقد اضطُررت أحياناً إلى استعمال أكثر من نسخة بالنسبة لكتاب واحد، كتاريخ الطبرى وغيره من الكتب، إلا أنني ميزتها عن بعضها بذكرها في التهامش، مشيراً إلى مصدر الطبع أو تاريخه.

وإذا كنت قد عدت إلى مصادر الإثنى عشرية ومراجعها، فإننى أيضًا قد أوليت هذا الموضوع حظه بالنسبة للزيدية، فهم بالإضافة إلى حديث أهل السنة والإمامية عليهم، كانو بختي في (فرق الشيعة) والطبرسى في (الاحتجاج)، لهم كتبهم الخاصة، عرضوا فيها مبدئنهم وأرائهم. أما المصادر الزيدية التي اعتمدت عليها فهي بين مطبوع ومحفوظ ومنها مؤلفات الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم الرسى (الأصول في الدين). و(تشيّي الإمامية) و(جواب مسائل أبي القاسم الرازي). و(جواب مسائل الإمام)... و(مسألة النبوة والإمامية) و(من اعتزل الشك والدعوى). و(دعوة الهادى إلى أحمد بن يحيى بن زيد). و(رسائل العدل والتوحيد) وكتاب نشوان الحميري (شرح رسالة الحور العين). وكتاب أحمد بن يحيى المرتضى (شرح الأزهار). طبع على نسخة صحيحة بحوالتها، وفولدت على نسخة الإمام محمد بن علي الشوكاني الزيدى. وفرقت عليه. وكتاب علي بن عبد الله الّعلوي (سيرة الهادى يحيى بن الحسين). وكتاب عبد الرحمن بن علي الّربع (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد). ومن المراجع الزيدية الحديثة التي عدت إليها كتب (اليمن الخضراء مهد الحضارة) لمحمد بن عني الأكوع

الحولي و(مختصر من تاريخ اليمن) لعبد الله أحمد التور، و(معزلة اليمن)
لعلي محمد زيد... لا يفوتي - في هذا الصدد - أن أشير إلى أن أغلب هذه
الكتب قد أمدت بها - مكتوبة - سفارة الجمهورية العربية اليمنية بتونس،
بعضها على سبيل الإهداء، وبعضها الآخر على سبيل الإعارة. فجاز لهم الله
عني خير الجزاء، أنه سميع مجيب.

ومن المؤلفين السنين الذين ردوا على الشيعة، ذكر الغزالى في كتابه
(فضائح الباطنية) وهم الإسماعيلية؛ وقد رد عليهم خاصة وعلى الإمامة عامة
في مؤلفه هذا، باعتبار أن الإسماعيلية يقولون بنفس المبادئ التي يقول بها
الإثنا عشرية، إلا أن الإسماعيلية وقفوا عند الإمام السابع، إسماعيل بن
جعفر الصادق. ولذلك سموا بالشيعية والوقفية، بينما لم يعترف إلاثنا عشرية
بإماماً إسماعيل، وقلوا: ابن الإمام الشرعي - بعد الصادق - هو ابنه موسى
الكاذب، ومنه انتفت الإمامة إلى بقية الأئمة حتى وصلت إلى المهدي المنتظر
(محمد بن الحسن العسكري)، وهو الإمام الثاني عشر.

ويجمع الفريقان على أفضلية الأئمة ونوابهم دون سائر الخلق، وتمتعهم
بالعلم الغيبي والعصمة والوصية إليهم بالإمامنة...

واعتمدت أيضاً على مصدر آخر للغزالى هو كتاب (المستصفى من
علم الأصول)، جاماً بينه وبين كتاب (أصول الفقه) لأحد علماء السنة
المحدثين هو الخضرى، وكانت غايتها من هذا الجمع هي التأكيد مما نسبه
لهمما شيعي معاصر، يدعى محمد جواد مغنية، من قول بعضهم أئمة أهل
السنة، اقتبسه حسب إدعائه - من كتابيهما المذكورين.

ويجب الا ننسى - في هذا الصدد - المؤلفين الستين الذين عرضوا اراء الشيعة وردوا عليها أمثال الرازبي الشافعى الاشعري في كتابه (الاربعين في أصول الدين) وكذلك ابن تيمية الشافعى أيضا في كتابه (منهاج السنة النبوية) الذي رد فيه على كل ما جاء في كتاب الحلى **الاشتى** عشرى (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة). ولا يستبعد أن تكون هذه الردود هي السبب في بقاء هذا الكتاب الشيعي وعدم ضياعه. وقد اعتمدت على تسخين من كتاب ابن تيمية الأولى نسخة كاملة، بهامشها كتاب له أيضا بعنوان (بيان موافقة صریح المعقول لصحيح المنقول).

والثانية نسخة اختصرها الحافظ انذهبى، وسمها (المنتقى من منهاج الإعتدال). وقد أفادتني النسخة الثانية نظرا لحسن تلخيصها، وللتعليقات الجمة التي أضافها **محفظ** محب الدين الخطيب.

وإذا كان ابن تيمية قد تناول أراء الشيعة **الاشتى** عشرى بالنقد من الناحية العقدية، فإن الرازبي قد أضاف إلى ذلك مجاراتهم في أساليبهم الفلسفية التي عرضوا بها هذه الأراء، ورد عليهم بأسلوبهم الكلامي، لأن الإمامية نجووا إلى فلسفة عقيدتهم حتى يتمكنوا من إقناع خصومهم. وقد عبر عن هذا المنحى الفلسفى **الاشتى** عشرى، مؤلفون شיעيون، أشهرهم الطوسي، والحنفى وعلى بن الفضل الجيلاني، في كتابه (توفيق التطبيق). وما ذلك إلا تأثره بابن سينا في منهجه الفلسفى. وقد ثبَّت للأخير أنه زيدى المذهب، إلا أن علي بن الفضل الجيلاني نفى عنه العقيدة الزيدية تماماً قطعاً، وأثبت وألح في الآيات في مواطن عدة من كتابه (توفيق التطبيق) في أن ابن سينا شيعي **الاشتى** عشرى، ووفاء منه لأحد أعلامهم - حسب رأيه - أقدم

الجيلاني على شرح كتب ابن سينا في الفلسفة والطب مثل كتب: (الإشارات) و(الشفاء) و(القانون)، وهو أمر يدل على تضليل الجيلاني في الفلسفة والمنطق والشرعيات والطب^١.

ومن المفيد أن نشير إلى تأكيد الإثني عشرية من قدامى ومحدثين، على أن اختلافاتهم مع أهل السنة ومع غيرهم من الفرق الإسلامية كالمعتزلة، هي اختلافات علمية لا تخرج عن نطاق تطابق الأراء، والجدل الديني المثير للحضارة الإسلامية، دون أن ترکز بهم القدم إلى السباب والتلاعن والخصوصيات الدموية، وهو ادعاء لم يكن صائباً في بعض الأحيان فقد يصل الأمر بالفرقين - وخاصة القاسمي - إلى التراشق بالاتهامات، والطعن على بعضهم البعض والرمي بالزنقة، والمرور عن الدين، والإسفاف... ومع ذلك تطالعنا من حين لآخر صور طيبة عن جمال هؤلاء الخصوم، تدل على نصح علمي رفيع بعيد عن الإبتذال، وقد يكون هذا الإدعاء من وضع الإثني عشرية، حتى يتصوروا أعلامهم في درجة المتفوقين دائمًا على خصومهم في مناظراتهم العلمية، مما يجعلهم يفوزون باعجابهم ومدحهم وإكرام منزلتهم، وقد ظفرن بأمثلة من هذا النوع، دعمنا بها رأي الإثني عشرية في علوم الأئمة، ومن ذلك ما ذكره الطبرسي في كتاب (الاحتجاج) عن مناظرة هشام بن الحكم الإثني عشرية، لعمرو بن عبد المعتزلي، في مسجد البصرة.

وقد ظهر ابن تيمية في رداته على الحلي الشيعي الإثني عشرية، سنتها سلفياً متمسكاً بمبادئه إلى حد بعيد وأن الحلي، يستعمل شتى الأساليب العلمية والعاطفية أضاف إليها - على عادة الشيعة الإمامية - التأويلات التعسفية

^١ - علي بن افضل الجيلاني: توفيق التطبيق - ص 12 - 14.

بعض آيات القرآن الكريم، وأسلوب السفسطة البراق، وتمويه الحقائق، وتمطيطها، والتوازن حولها^١ وإظهارها في صورة من الزخرفة اللغظية والمعنوية التي لا تخلو أحياناً كثيرة من الغموض^٢ والإلتواء^٣ يستحوذ بواسطتها على عقول العامة وقلوبهم، ولكنها لا تقنع الباحث المختص إذ يدرك من خلالها أنها آراء حملت أكثر مما تطبق. وجاء في مقدمة كتاب آخر للحنى (الآلفين في إمامية أمير المؤمنين)، لمحمد مهدي حسن الموسوي الخرساني، أن ابن تيمية التقى بالحنى فحصل بينهما انس ومبسطة، رغم اختلافهما في المذهب والرأي، ورغم إطلاع الحنى على ردود ابن تيمية حول كتابه (منهج الكرامة في معرفة الإمامية). ولعل السبب الذي دعا الحنى إلى تسمية كتابه – (الآلفين...) هو عزمه على جمع أدلة كافية تصل إلى رقم ألفين، يدعم بها رأيه الثاني عشرية في موضوع الإنسنة^٤ إلا أنه وقف عند التحليل الثلاثين بعد ثماني مائة وألف (1830) – فحسب – وحالات بينه وبين إكمال الآلفي تحليلاً مشاغل الدنيا، وقد ألف الحنى هذا الكتاب استجابة لاتصاله تقدم به إليه ابنه (خير الدين محمد)^٥ وهو أمر يذكرنا بالسبب الذي دفع الرازبي (ت. 606هـ/1209م) المتقدم زميلاً على الحنى (ت. 726هـ/1325م) – إلى تأليف كتاب (الأربعين في أصول الدين) لأكبر أولاده، وأعزهم عليه، وهو المسني (علي محمد)، ليكون له – حسب رأيه – سلوراً يرجع إليه عندما تضيق به سبل العلوم، وتعصف الشكوك والشبهات بالباحث اليقينية^٦.

^١ - الحنى: الآلفي في إمامية أمير المؤمنين - ص 59 ٦٣

^٢ - الرازبي: الأربعين في أصول الدين - ص ٣

ويبدو من خلال هذه المقارنة، أن الممارسة تكون طبيعية بين أصحاب المذاهب والأراء المختلفة، محاولة منهم للكشف - بطرف خفي - عن ارتفاع مستوى أفهم العلمي على النطاقين العائلي والمذهبى.

ولما بالنسبة للمراجع، وأعني بها الكتب الحديثة التي عدت إليها في هذه الدراسة، فهي كثيرة ومتعددة، منها ما هو شيعي، ومنها ما هو سني، ومنها ما هو لباحثين محابين من هذا الجانب أو من غيرهم، حاول بعضهم أن يكشف الحقيقة العلمية في تجرد ونزاهة، وتحامل البعض الآخر منهم على المسلمين تحاملاً مكشوفاً أو تحاملاً مقصوداً، ولكنه غير مباشر، مثل كتابات الألب (لا مانس) في دائرة المعارف الإسلامية، وخاصة فيما يتصل بحديثه عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - الشحون بالحد و الكراهة، واستنقاص المحدث عنه.

ومن بين الباحثين الأجانب ذكر مؤلفات المستشرقين، وقد عدت إليها لما في لغتها الأصلية أو مترجمة إلى اللغة العربية، وحاولت أن أرد على ما جاء فيها من تحامل على الإسلام وال المسلمين، ودعوة إلى الفتنة والإفراق، كما نوهت أيضاً بنزاهة البعض من هؤلاء المؤلفين، في دراساتهم القيمة، التي أشارت سبيل البحث العلمي العربي، وزودته بالمناهج العصرية في النقد العلمي الحديث.

أما كتب الشيعة المعاصرين، فقد جمعت بين الطريقة السلفية، والدعوة إلى التجديد - شأن المراجع السنوية ولها السبب فقد ظهرت اختلافات الشيعة المحدثين حول قضيائهما قديمة... مثل موقف الخليفة العباسي المأمون من الإمام الرضا وتودده عليه، هل كان نتيجة دهاء سياسي... وبعد نظر، أم كان تقريراً

خلصاً لوجه الله، وإكباراً لمقام الإمام، يترجم عن عاصفة صدقة نحو أو اصر
القربي من الغربيين؟

ومن أهم المراجع التي استفدت منها فائدة كبرى، ووجدت فيها العون الذي لا يحد. أذكر الكتب التالية: (نظريّة الإمامنة لدى الشيعة الإثني عشرية) لأحمد محمود صبحي، و(معزلة اليمن) لعلي محمد زيد، وكتابي استاذنا الدكتور علي الشامي (مباحث في علم الكلام والفلسفة)، و(الشيعة في إيران)... وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب:

- الباب الأول: مدخل إلى التشيع - ويكون من فصلين:
- الفصل الأول: حول نشأة التشيع ومفهومه لغة واصطلاحاً.
- الفصل الثاني: حول مفهوم الإمامية لغة واصطلاحاً.

- الباب الثاني: يشتمل على فصل واحد، يتناول الحديث عن ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إمام المذهب الرذلي.

الباب الثالث: يتناول المقارنة بين مبادئ الإثني عشرية، ومبادئ الزيدية، ويشتمل على ستة فصول.

الفصل الأول: أفضليّة الأيممَة دون سائر الخلقِ،

الفصل الثاني: عصمتهم وبرأتهم من الذنوب والعيوب، وعلاقة ذلك بـ
رأي أئمة أهل السنة، وبعد نظرهم وحكمتهم السياسية... .

الفصل الرابع: علم الأئمة الغيبي، وعلاقته بعلم الأئمة الزيديين والشیعیین.
الفصل الخامس: الغریبة والرجعة والمودية.

الفصل السادس: النقاية وعلاقتها برأي أهل السنة المتمم في صيانة النفس

عن الوفوق في المهام.^٧

هذا وقد قدمت هذه الدراسة إلى جنرال وكيلين هستقلين ترتيبات العمال على مدقراة
أحمد الله بن من الأذرامع نقاطاً لفهمها ومحاسبتها^{٢٣} (دراسة تأهيلية حقوقية
لتنظيم المحاسبة لدى كل فرع للسلطة الرئاسية وأفضل المسار) وستقييم القياس (الباب)^١ (دراسة تأهيلية
لقياس القياسات الأكاديمية والمهنية لدور المحاسبة^٢ - ٢٠١٥ - ٢٠١٤).

وقد حاولت - قدر الجهد - أن تكون آرائي، واستنتاجاتي منطقية، بعيدة عن التسخن والعاطفة، والتعصب للمذهب... إذ كان هدفي هو الحقيقة وليس غيرها، والله على ما أقول شهيد، وهو حسيبي ونعم الوكيل

ولا يفوتي قبل أنهي هذا التقديم، أن أنوّجه بصادق الشرك وافمتنان، الافتخار

إلى كل من ساعدني على إنجاز هذه الدراسة، بأية وسيلة كانت... وأخص بالذكر من هؤلاء جميعاً أستاذ المشرف الدكتور علي الشابي، الذي رعى هذا البحث بعناية، وصبره، وتوجيهاته التبذلية. راجيا من الله - سبحانه وتعالى - أن يجازيهم على خير الجزاء إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تونس في 01 شعبان سنة 1404هـ

2 ماي سنة 1984م

عبد القادر فحة

الباب الأول
مدخل إلى التشريع

الفصل الأول

نشأة التشيع

وردت كلمة الشيعة بمعنى الأئمّة والأنصار والفرق من ذلك قوله تعالى: "وَنَخْلُ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةً مِنْ أَهْلِهَا، فَوُجِدَ فِيهَا رَجُلُانِ يُقْتَلُانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ، فَاسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقُضِيَ عَلَيْهِ".¹

وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَرَفُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ".²

هذا مفهوم الشيعة اللغوي، أما مفهومها الاصطلاحي فقد غالب إطلاقه على من ولّى علي بن أبي طالب وأبناءه حتى صار اسماً خاصاً بهم، فإذا قيل: فلان شيعي عرف أنه منهم.

وكان ظهور عقائد الشيعة وثيق الصلة بأحداث تاريخية هامة مررت بهم، مما جعل لدارسين يختلفون في نشأة التشيع بسببها، لأن كل واحد منهم يرجع ظهور عقيدتهم إلى حدث من تلك الأحداث، ومن آراء هؤلاء الباحثين ذكر ما يلى:

- 1) رأى الشيعة في بدء التشيع جنباً إلى جنب مع ظهور الإسلام.
- 2) نشأة التشيع بعد وفاة الرسول، ومبادعة أبي بكر، وتختلف على عن المبادعة

1- سورة الفصص: الآية 15.

2- سورة الأنعام: الآية 159، وانظر ابن سطور: المدى العربي: 393/2 - 394.

نفس المصدر: 394/2.

(3) نشأة التشيع في النصف الثاني من خلافة عثمان، وبعد فتنة المسلمين بمقتلهم

(4) نشأة التشيع في الفترة الممتدة من تولّي علي الخلافة، إلى تنازل ابنه الحسن لمعاوية.

(5) نشأة التشيع بعد مقتل الحسين بكر بلاه.

(1) نشأة التشيع جنباً إلى جنب مع ظهور الإسلام:

يقرر الشيعة أن نشأة مذهبهم كانت جنباً إلى جنب مع ظهور الإسلام، ونزل الوحي على الرسول، ومن هؤلاء التوبيخى الذي يعتبر الشيعة أول فرقـة نشأت في الإسلام على يد عرب، منهم المقداد بن الأسود الـدولـي، وعـمار بن يـاسر، وأبـو ذـر الغـفارـي، وسـلمـان الفـارـسي، ولكـنه بـحـكم الـولـاء أصـبح عـربـياً، ولـذلك يـذهب بـعـض الدـارـسـين إـلـى أـن التـشـيع نـشـأ عـربـياً ويـضـيف التـوـبـيـخـى: "... وـمـن وـافـقـت موـدـة عـلـي بـن أـبـي طـالـب وـهـو أـوـلـ من سـمـي بـاسـم التـشـيع، لأنـ التـشـيع قـدـيمـ، شـيـعـة إـبـراهـيم وـمـوسـى وـعـيسـى، وـالـأـئـمـاء صـلـوات الله عـلـيهـم أـجـمـعـين".¹

أما بقية علماء الشيعة الـقـادـمـى كالـكـلـيـنـى فقد قـرـرـوا هـذـه الـحـقـيقـة دون أـن يـصـرـحـوا بـنـشـأـة التـشـيع لأنـهـم جـمـيـعاً مـنـفـقـون عـلـى أـنـ النـبـي نـصـ عـلـى وـلـاـيـة عـلـى بـعـدهـ، وبـما أـنـ هـذـه الـوـصـيـة كـانـت في أـزـمـنـة مـخـتـلـفة كـحـدـيـث (غـدـير خـمـ) في حـجـة الـوـدـاع أو (حـدـيـث الـكـسـاء) في فـضـل آلـ الـبـيـتـ، عـلـيـ وـالـحـسـنـ، وـالـحـسـيـنـ، وـفـاطـمـةـ، أو نـزـولـ: "إـنـما وـلـيـكـم الله وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ آـمـنـواـ، الـذـيـنـ

¹ أـسـاتـذـةـ الـدـكـتوـرـ عـلـيـ الشـابـيـ فـي بـعـضـ مـحـاضـرـاهـ.

² التـوـبـيـخـى: فـرـقـ الشـيـعـةـ - صـ 23

يقيمون الصلاة ويتذمرون الزكاة وهم راكعون^١. عندما تصدق على على فقير بالحلة التي أهداها النجاشي إلى النبي وقيمتها ألفى دينار، وأهداها النبي إلى على^٢.

إذا كانت هذه الرؤصية في أزمنة مختلفة، فيبدو أنها لا تستقيم مع بداية ظهور الإسلام، ولكن الشيعة القدامى لم يهتموا بنشأة التشيع حتى يفكروا في إزالة هذا التدقير، فدر اهتمامهم بثبوت ولایة علي وأبنائه، واهتم بذلك الشيعة المعاصرون كمحمد الحسين آل كشف الغطاء الذي قرر صراحة: أن أول من بذر بذرة التشيع في حقل الإسلام، هو نفس صاحب الشرعية الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جبا إلى جنب، سواءً سواءً، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت، وأزهرت في حياته، وأنفقت بعد وفاته.

وبذلك يبدو أن اختلاف الأزمنة التي نص فيها النبي^٣ على ولایة علي (رض) هو اختلاف مقصود من أجل أن يركز العقيدة الشيعية لدى المسلمين، والأمر أشبه شيء بفلاح يعني بغرسه انتظاراً لموسم الجني.

وتشاهد آل كشف الغطاء على ذلك، الأحاديث النبوية الواردية لا من طرق الشيعة ورواتهم، بل من أحاديث علماء السنة وأعلامهم، حتى يلزمهم ولایة علي، كذلك رواه السيوطي في كتاب (الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالصادر) في تفسير قوله تعالى: 'أولئك هم خير البرية' قال أخرج ابن عساكر عن بن جابر بن عبد الله قال: كذا عند النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^١ سورة المائد़ة: الآية ٥٥

الكتبي: الأصول من الكافي: 287/1 - 289.

- فقبل على - عليه السلام - فقال النبي: 'والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته
نهم الفائزون يوم القيمة¹ وأخرج ابن عذى عن ابن عباس قال: لما نزلت:
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةُ² قال رسول الله
لعلى: 'هو أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيبي' وأخرج ابن مردوه
عن علي - عليه السلام - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : ألم
تسمع قول الله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةُ، هُمُ
أَنْتَ وَشِيعَتُكَ موعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرَا
محجَّلَيْنَ³.

أما المظفرى فيرى أن التشيع بدأ يوم هتف محمد بكلمة: (لا إله إلا الله
محمد رسول الله)، ولما نزل عليه قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين"
جمع بني هاشم وأنذرهم قائلاً: "أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووصي
وخليفي فيكم بعدي"⁴. فقم يوجه إلى ما أراد غيره على. قال لهم: 'هذا أخي
وزارثي ووصيي وخليفي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطليعوا'⁵.
وبذلك كانت دعوة التشيع لعلي من صاحب الرسالة تمشي جنبًا إلى
جنب مع الدعوة للشهادتين.

وينقل محمد حسين لزين العاملي قوله أبي حاتم الرازي في روضات
الجنة للخونساري: "أن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد الرسول هو

¹ - محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها - ص 87.

² - سورة النبأ: الآية 7

³ - محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها - ص 87 - 88.

⁴ - سورة الشعراء: الآية 214.

⁵ - أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية - ص 30.

الشيعة، وكان هذا هو نقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلامان والمقداد وعمار "وَأَنَّ الَّذِينَ بَاعُوا عَلَيْهَا (يوم غدير خم) كانوا أربعين ألفاً وقيل سبعين ألفاً كانوا شيعة لعني، ولكن اسم الشيعة قد احتضن يومذاك بأبي ذر وسلمان وعمار وغيرهم من الصحابة ومن بنى هاشم^١.

والظاهر أن السبب في رد الشيعة أصل التشيع إلى زمن النبي ^{رسول} يعود إلى ما يشاع حول مذهبهم من وجود عناصر أجنبية فيه، ومن ثم حاولوا بهذا الإدعاء أن يجعلوا بذرته إسلامية خالصة، ولذلك نرى الحسين المظفرى بعد أن ربط نشأة التشيع بظهور الإسلام، نفى ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن أصل التشيع بدعة ابن سد، واعتبره ^{وَهُمَا} وقلة دراية بمذهب الشيعة^٢.

ويذهب إلى نفس هذا الرأي هاشم معروف فيقرر أن لفظ الشيعة احتضن بمن تولى عليا وأبنائه واعترف بإسلامتهم حتى أصبح هو المعنى المستبدل لمعنى عند أطلاقه، ثم بين أن الباحثين اختلفوا في نشأة التشيع فمنهم من يرى أنه بدأ بعد وفاة الرسول، ويرى آخرون أن الفكرة تكونت يوم مقتل الخليفة الثالث عثمان، ويميل البعض إلى أنها تكونت أيام فتنة طلحة والزبير في البصرة، إلى غير ذلك من الآراء ...

ثم يعلق (هاشم معروف) على ذلك بقوله: "لم يبق مجال للريب في أن فكرة التشيع قد تكونت قبل هذه الأزلمة التي حددتها البعض من الكتاب يوم كان النبي - صلى الله عليه وآله - يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعني - عليه

^١ نفس المرجع - ص 30.

^٢ نفس المرجع - ص 30، 31.

السلام - ويمكنها في أذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة على اختلاف المناسبات^١.

- عبدهم الله -

أما السيد حسين نصر، فيرى أن **النبي** والأئمة كانوا يعيشون بين **يُلْقَنُهُمُ الْبَشِّرُونَ** المسلمين، ومنهم أفراد من الشيعة يلقنونهم معنى الشرع الإلهي والعلم الباطني، وعلى هذا فكian الشيعة الروحي والديني يعتمد على الفترة التي نزل فيها الوحي على النبي، فراح يفسرها للناس، وكذلك فعل الأئمة^٢.
والأئمة الذين عناهم حسين نصر و كانوا يعيشون مع النبي هم علي والحسن والحسين. وأما أفراد الشيعة فلعلهم عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وغيرهم فإذا كان هذا هو قصده فإن هؤلاء لم يظهروا تشيعهم لعنه إلا بعد وفاة الرسول ولم يكن تشيعهم بالمعنى المذهبى وإنما إن بالمعنى الروحي لما رأوا من تخلف علي عن مبايعة أبي بكر مدة ستة أشهر تقريباً، ثم دخلوا فيما دخل فيه الناس.

وبذلك يبدو أن نشأة التشيع جنباً مع ظهور الإسلام لا تستقيم مع الواقع التاريخي والديني. **الحال إذاً غيرئاً أن المؤمنين أولئك المعروف العاد والمعتري كما ورد في القرآن الكريم والكتاب القصوي**

2) نشأة التشيع بعد وفاة الرسول:

ظهرت بعد وفاة الرسول وجهات نظر مختلفة ترى كل واحدة منها أنها الأحق بخلافته ومن ذلك:

أ) وجهة نظر الانصار التي عبر عنها سعد بن عبادة في السقيفة وخلاصتها: أنهم أولئك بالخلافة من غيرهم لأنهم ناصروا الرسول وآلوه

^١ هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية ص 9.

^٢ حسين نصر: الإسلام أهدافه وحقائقه - ص 143.

وأزروه^١ عندما تخلى عنه أغلب قومه من قريش بالرغم من كونه بقى بينهم عشر سنوات ونفاذ عورهم إلى الإسلام ولكن ما أمن منهم إلا القليل، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وأوصى بهم خيراً، فقد روى البخاري عن الأنصار أنهم بكوا في مرض الرسول لأنه لم يحضر مجلسهم العتاد، فلما بنعه الخبر خرج النبي "وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرسي وعيدي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنتهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم".

وقال النبي فيهم أيضاً: لو أن الأنصار سلكوا واديأو شعباً، نسلكت في وادي الأنصار، ولو لا الهجرة لكنت امراً من الأنصار؛ فقال أبو هريرة: ما ظلم يابي وأمي أوطه ونصروه^٢.

ب) أما وجة نظر المهاجرين فقد عبر عنها أبو بكر في سقيفة بني ساعدة بأنهم أوسط العرب أنساباً وهم من قريش، والقبائل لا تدين إلا لها من عهد الجاهلية، وهم أول الناس لهم فيه تبع، صدقوا رسول الله وأمنوا به، وواسوه وصبروا معه وصابروا على الشدة من قومهم، ولم يستوحشو لفترة

^١- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 121/3، 122 باب قول النبي ص - أقبلوا من محسنتهم وتجاوزوا عن مسيئتهم.

^٢- نفس المصدر: 112/8 - باب قول النبي نولا الهجرة نكت امراً من الأنصار، وانظر ابن قبيه: الإمامة والسياسة: 12/1 - 13.

عدهم، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بالأمر من بعده، لا ينازعهم فيه إلا ظالم لأن رسول الله قرر أن الإمامة في قريش^١.

ـ كرم الله ربكمـ
ج) وتتلخص وجهة نظر بنبي هاشم التي عبر عنها على بن أبي طالب^٢ في أنه إذا احتج المهاجرون على الأنصار بقربتهم لرسول الله، فبنو هاشم أقرب له، والحجة لهم دون سائر المهاجرين، وإنما فالأنصار على حجتهم، ولهذا فلا يجب أن يخرج سلطان محمد في العرب عن داره وأل بيته، وهم أحق الناس بهذا الأمر، ما دام فيهم القاري لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله^٣.

وظهر التشيع على انطلاقاً من وجهة نظر بنبي هاشم في الإمامة، فتختلف عن بيعة أبي بكل قوم من المهاجرين والأنصار، منهم أسيادبني هاشم كالعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام الذي كان بعد نفسه هاشمياً من ناحية أمّه صفية بنت عبد المطلب^٤، وغير هؤلاء كخالد بن سعيد بن العاص الأموي، والمقداد بن الأسود الدولي، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفارى وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وأبي سفيان بن حرب الذي خاطببني عبد مناف قائلاً: "أرضيتكم أن لي هذا الأمر عليكم غيركم، وفإن لعلي: أمند يدك أنياعك فأبى، فافق"^٥:
بنبي هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرّة أو عذى

^١ ابن حجر: فتح الباري: 113/13، 114، 117، 118 كتاب الأحكام بباب الأماء من قريش
ـ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي: 12/201-203 - كتاب الإمارة - باب ائحة في قريش - وانظر: سنن الدارمي: 2/242 بباب الإمارة في قريش

^٢ ابن فقيه: الإمامة والسياسة: 1/12، 18، 19 وانظر اليعقوبي: التاريخ الكبير: 2/82-85.

^٣ ابن فقيه: الإمامة والسياسة: 1/18.

فما الأمر إلا فيكم وإليكم
وليس لها إلا أبو حسن علي
أبو حسن فأشد بها كف حازم،
فيترك بالأمر الذي يرجى ملئي
وإن أمرًا يرمي قصيَا وزراءه، عزيز الحمى؛ والناس من غالب قصيَا
وكانت بواحد تأيد الهاشميين والأمويين لعلى مقامة على عصبية
القرابة، بينما كان موقف بقية المهاجرين مقاماً على افضالية على وأولويته
بالخلافة - حسب رأيهم -

- رضي الله عنهم جميعاً -

واعتماداً على هؤلاء الصحابة الموالين نعى ذهب أحمد أمين إلى أن
نشأة التشيع كانت بعد وفاة الرسول² وهو تشيع روحي وليس تشيعاً سياسياً
مذهبياً، وذكر محسن العاملي رأياً شبيهاً برأي أحمد أمين، وهو أنه كان في
عهد الرسول جماعة يتبعون نعى، ثم ظهر التشيع المذهبى والسياسي بعد
وفاة النبي، والاختلاف المسلمين في أمر الإمامة³ ثم ذكر رأى الأنصار
وتنسّك على بحثهم للرد على المهاجرين، ونقل عن الطبرسي خبراً من
كتاب (الاحتجاج) رواه عن جعفر الصادق، أن المتشيعين نعى كانوا سنة من
المهاجرين وستة من الأنصار، وهي إشارة ذكية تفيد اتفاق عدد أيام الشيعة
مع الأيامة الأولى عشر⁴.

وترى دائرة المعارف الإسلامية أن أقدم تاريخ ظهرت فيه الشيعة
السياسية، أو بعبارة أدق شيعة عني هو منذ وفاة النبي⁵. وهي في الواقع

² - البغوي: *التاريخ الكبير*: 82/2، 83 - انظر تاريخ تاريخ ابن الأثير: 13/3، 34 وبهامشه تاريخ المؤذعي.

³ - أحمد أمين: *صحى الإسلام*: 209/3.

⁴ - محسن العاملي: *أعيان الشيعة*: 35/1.

⁵ - دائرة المعارف الإسلامية: 58/4 - مدة الشيعة.

ليست شيعة سياسية لأنها تقتضي وجود حزب منظم يقوم على مبادئ وأيديولوجيات، وإنما هي شيعة روحية.

وقد وقع (ماكدونالد) في نفس الالتباس عندما قرر أنه، "كانت توجد في المجتمع السقية أربعة أحزاب كانت سبباً في بداية كل الإضطرابات والمنازعات، وهذه الأحزاب يمثلها المهاجرون، والأنصار، والشيعة وحزب الأرسقراطيين المكيين".¹

ونعل ما ذهبت إليه (دائرة المعارف الإسلامية) وما ذهب إليه (ماكدونالد) يعود إلى أن هؤلاء المتشيعون لعني أو لغيره كانت لكل منهم وجهة نظر معينة فيما سيتولى أمر المسلمين، وهم في الواقع لا يشكلون فرقة مستقلة بالمفهوم السياسي والعقدي، ولا أدل على ذلك من أن المتختلفين عن مذهب أبي بكر، دخلوا بعد ذلك فيما دخل فيه الناس، افتقاءاً منهم بحجة المهاجرين من جهة، وحافظوا على وحدة المسلمين من جهة أخرى، ولو كانوا يشكلون أحزاباً بالمفهوم المتعارف لما بايعوا¹ وأصبحوا معارضة قوية ظاهرة أو في الخفاء، كما كان الشأن بالنسبة للخوارج والشيعة عندما ظهرتا كفرقتين مستقلتين من الناحية السياسية والمذهبية.

وعلى كل فلا يمكن التفاصيل التشيع المذهبي لا في عهد الرسون، ولا بعد وفاته، لأن آراء الشيعة التي استقامت عليها عقيدتهم كالأمامية والوهصية والعصمة والتقية والبداء والغيبة والرجعة والمهديّة ظهرت بعد هذا التاريخ.

1 - B. Macdonald, Développement of Musulman P: 8

النقل عن الدكتور محسن عبد الناظر: مسألة الإمامية وأنواعها في الحديث عند الفرق الإسلامية، مخطوط مرفقون - ص 23.

3) نشأة التشيع في النصف الثاني من عهد عثمان وبعد فتنة المسلمين بمقتلها:

كان بين الخليفة عثمان، وتسامحه مع أقربائه ومع المسلمين سبباً في مقتله سنة 35 هـ عن سن تناهز ثلاثة وثمانين أو ستة وثمانين سنة، وبعد اثنتي عشرة سنة قضاها في خلافة المسلمين^١.

وفي صفاته المذكورة ومنها حباء روى البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان قاعداً في مكان فيه ماء، قد كشف عن ركبته أو ركبته فلما دخل عثمان غطاؤها^٢. وفي حديث عن عائشة رواه ابن حجر في شرحه على البخاري: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضطجعاً في بيته، كشفاً عن فخذيه أو سقيمه، فاستأذن أبو بكر فلذن له، وهو على تلك الحالة لسؤاله عائشة قائلة: ... ثم دخل عثمان فجلست وسوالت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة^٣". ومن شده حباء عثمان وخجله ارتجع عليه في خطبة التولية فمكث ملياً لا يتكلم ثم قال: "إن أبا بكر وعمر كانوا يدعان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقق لكم الخطيب، وأن تعيشوا فستئيكم الخطيبة، ثم نزل"^٤.

وكان المسلمون راضين عن سياساته في السنوات الست الأولى من خلافته، ونقموا عليه في سنواته الست الثانية منها، لأجل تسلط أقاربه وولاته على رقاب المسلمين، وهو ما كان يخشاه عمر بن الخطاب عندما عين

^١ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 68/8 باب فضة اليمامة والاتفاق على عثمان بن عفان

^٢ نظر المصدر: 55/8 - بذب مناقب عثمان بن عفان

^٣ البغوي: التاریخ الكبير: 114/2.

عثمان ضمن ستة الشورى فتوجه له بالنصح وفتها قائلاً: "... فإن ولوك هذا الأمر فاتق الله فيه ولا تحملنّ بني أبي معیط على رقاب الناس".

وروى البیعقوبی أن ابن عباس سأله عمر بن الخطاب لما رأه مشغولاً بممن سيخلفه، عن رأيه في بعض الصحابة ومهم عثمان فقال في الأخير: "إن ولی حمل بني أبي معیط وبني أمیة على رقاب الناس وأعطاهم مال الله، ولذن ولی ليفعلنّ. والله لذن فعل لشیرن العرب إلیه حتى نقوله في بيته".

ومن أجل هذه النقطة على عثمان في العهد الثاني من خلافته، ذكر مؤرخو الفرق أن نسأة التشیع كانت في هذه المدة، رابطین ذلك بقضیة عبد الله بن سبا الذي دخل الإسلام ليکید له متسراً بتشیعه لعلی، واستمر عمله هذا بعد مقتل عثمان وفي خلافة علی وحتى بعد مقتله، ومما يدل على ذلك ما أوردہ المؤرخ السنی الطبری، من أن ابن سبا كان يمنیا من صناعه أمه سوداء، قدم إلى المدينة، وأسلم في عهد عثمان منضما إلى صفوف الناقمين عليه داعيا إلى التّورة في الحجاز والبصرة ومصر والشام والمدائن².

¹ ابن حجر: فتح البّلاري: 69/8 - ياب قصة البيعة والإتفاق على عثمان بن عفان

² الطبری: تاريخ الرسل والسلوک: 340/4، 349 وانظر التوبختی: فرق الشیعة ص 27، بطن الدكتور علي الشبیي أن أمه جبھیة من تلك السلالة التي استوطنت اليمن اثر الاحتلال الجبھی، أما أبوه فیمنی وانتزوج بین الأحباش واليمنيين فلیح سلالة هجينة يعتبر ابن سبا أحد أفرادها ونذاك بفخر تکییت بالزيارة على اليمن فیقول:

لنا قمر السماء وكل نجم
تکییت إلیه أبدي المهدیدنا،
وأسكنهم بسکة فاطنیدنا،
ولذن لق وندا الجبینا،
لنا جعل المکرم حاصانا،
حللت لسودينا وأحمرینا
وما وجدت بنت بشی نزار
(مباحث: ص 10).

وأورد النوخختي الشيعي، أن ابن سباً كان يقول في عهد يهوديته، عن
يوشع بن نون بعد موسى، مقالته في عليٍّ بعد محمد. لذلك يرى من خالف
لزرو افضى أن أصل مذهبهم مأخوذ من اليهودية! **رَوَيْخُتْرُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَصْوَمَهُمْ أَهْلَ الْعَصَمَةِ وَكُلُّهُمْ**
شَيْعَةٌ وَلَا يَرْجُعُهُ مَتَّسِهُدٌ وَلَا مُوَحَّدٌ وَلَا مُلَكِّعٌ الْعَلَاءُ مِنَ الظَّرِيقَيْنِ
وذكر المؤرخ الفارسي (مير خواند)، سبب نفقة ابن سباً عليٍّ عثمان،
أنه كان يأمل حين قدومه المدينة، واعتقاه الإسلام، إكرام الخليفة له، فلما نم
يحصل له ما أراد، انصل بالذقين، وأعلن نقه لسياسته جهاراً، فلما بلغ
عثمان ذلك قال: من هذا اليهودي الذي أتحمل منه هذا؟ ونفاه من المدينة
إلى مصر فانضم إليها إلى المشاغبين عليه.²

وكان ابن سباً من الشيعة الغلاة حتى أنه لما بُنِعَ مُقتَلَ على سنة
(40هـ/661م) وهو في المدان، وصف ناعيه بالكذب مصرًا على أنه نو
جاءهم بدماغه في سبعين صرة، وأقام على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم
يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض.³

والسببية في نظر بعض الشيعة القدامي، هي أول فرقه ثبتت على
إيمانها عني، وأعتبرتها فرضاً من الله وقالت بمهديتها، وأنه لا يقتل ولا يموت
حتى يسوق العرب بعصاهم، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.⁴

وهي في نظر البغدادي أول فرقه قالت بالتوقف عند إمامه عليٍّ،
وقالت بالغيبة والرجعة، وبتساخ الجزء الإلهي في الأيممه وأن علياً في

- النوخختي: فرق الشيعة ص 27. **لهران**

- مير خواند: روضة الصفاء - طهران: 160/2 160 شرق عن الدكتور علي الشامي: مباحث -
ص 40.

- النوخختي: فرق الشيعة - ص 27

⁴ نفس المصدر ونفس الصفحة

السحاب والرعد صوته والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين^١.

ورغم ثبوت تاريخية ابن سبا التي تحدث عنها أقدم مؤرخ شيعي البغدادي (١٩٥٩) العقوبي (ت، بعد سنة ٢٩٧هـ)^٢ بالإشارة إلى تحريف علي قوماً من أتباعه دون أن يذكر اسمه^٣. وذكرته أقدم المصادر بإطناب كالطبرى السنى والتوبختى الشيعي المتوفيين سنة (٣١٠هـ/٩٢٣م) فقد شك بعض الباحثين في وجوده، وعدوه أسطورة وضعت من خصوم الشيعة للحط من شأنهم و منهم (كابتنى) الذي استبعد وجود مؤامرة ابن سبا بعثة هذا التفكير، وهذا (سنة ٣٣٥هـ/١٩٦٤م) التنظيم في المجتمع العربي المعروف سنة ٣٥هـ بنظامه القبلي، وردتها إلى العصر العباسي الأول، بعد فاجعة الشيعة بمقتل علي والحسين، وحدث تطور اجتماعي كبير اقتضى ظهور التشيع الثوري ذي الصبغة الدموية^٤.

واعتبر الدكتور طه حسين ابن سبا قضية ادخرها خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، لأنها - حسب رأيه - لا تستقيم مع الأحداث التاريخية واقحمت في تكاليف تكون مؤامرة دبرها هو (ابن سبا) وأتباعه لإفساد الصلح الذي انفق عليه علي وطلحة والزبير قبل واقعة الجمل، بينما أهملها المزركون أهملًا تاماً في معركة صفين وفي حرب الخوارج، ولم يذكرها البلاذري -المعروف بتعقيبه على الأخبار المشكوك فيها - في أمر عثمان، وإنما ذكرها مرة واحدة في أمر علي حين جاء ابن سبا مع بعض أتباعه

^١- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص 234. ولنظر ما قبناها وما عدنا (ص 233 - 236)

وانظر النهر الثاني: انعلن والنحل ثلثا لكتاب ابن حزم الفصل: 11/2

^٢- عقوبي: التاريخ الكبير: 154/2.

^٣- أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامية لدى الشيعة الإثني عشرية - ص 37 - 38.

يُسألونه عن رأيه في أبي بكر، فردّهم رداً عنيفاً لأنّما أتّاهم على تقرّفهم
لمثل هذه؛ ويضيف طه حسين أنّ المحدثين وأصحاب الجدل متفقون مع
الطبرى وأقرّوا فيما ذهبوا إليه: "إلا أنّ المحدثين وأصحاب الجدل
يلفرون من دون الطبرى وأصحابه بشيء آخر فيزعمون أنّ ابن السوداء
(ابن سبا) وأنّباعه أثروا علينا وأنّ علياً حرّقهم بالنار".^١

ويرى الدكتور أحمد محمود صبحي: أنّ الشيعة يرفضون أن تُنسب
عقائد़هم إلى يهودي دخيل على الإسلام^٢، ويضيف أنّ مبالغة المؤرخين
وكتاب الفرق في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبا تعود إلى سبب آخر غير
ما ذهب إليه الدكتور طه حسين، ويتمثل فيما ابتنى به المصنّعون من أحداث
سياسية ضخمة، كمقتل عثمان^٣ وواقعة الجمل، ومشاركة كبار الصحابة
وزوجة الرسول فيها، يتفرّقون ويتقاتلون وهو أمر يصادم وجdan المسلم،
فكان لابد أن تُنقى مسؤولية هذه الأحداث على دخيل، يهودي الأصل، ابن
سوداء، يكيد للإسلام، كعبد الله بن سبا. هذا في التاريخ السياسي، أما في
التاريخ الفكري فعلى عاتقه يقع أكبر انشقاق عقدي في الإسلام بظهور الشيعة
ثم النير عجب أيضاً أن يبعث دخيل في الإسلام كل هذا العبث فيحرك تاريخ

^١- طه حسين: الفتنة الكبرى: علي وبنوه: 42/2، 43، 90 - 93 - اختلط الأمر على أحمد
محمود صبحي (نظريّة الإمامة ص 39) في تخصيصه لما أورده طه حسين فحسب خبر تاليه
الشيعة على وتحريفه لهم، للطبرى بينما هي من روایة المحدثين وأصحاب الجدل (الفترة
الكبرى: 93/2) وبذهب الدكتور على الشّافعى في روایته إلى ما ذهب إليه طه حسين (مباحث
- ص 52 - 54) وذلك هو الذي ذكره الطبرى عن هذه القضية.

^٢- مع العجم وان التوبخى "التابعى (ت 310هـ/923م)" يعرّف بتبّاع ابن سبا ولكن يذكره في
عدوك غلاة فرق الشيعة: ص - 27

الإسلام السياسي^١ والعقدي معاً على النحو الذي عليه، وكبار الصحابة
شهود^٢ .

ويعرف أستاذنا الدكتور علي الشابي^٣ بأن شخصية ابن سباء يحيط بها
شيء غير قليل من الغموض^٤ ولكن يقرر تاريخه محتمداً في ذلك على
مصادر عدة كالتبرري في (تاريخ الرسل والملوك)، والتوبختي في (فرق
الشيعة)، والمقرizi في (الخطط)، وابن كثير في (البداية والنهاية)،
والبغدادي في (الفرق بين الفرق)، والأسفرايني في (التبصير في الدين)،
وابن خلف القمي في (المقالات والفرق) منكراً نسبة تأليه ابن سباء لعنى
وما تعلق بها من قصة للتحريق لهؤلاء الغلاة راداً ذلك إلى أمرتين:

الأول: نسبوا له التجسيد لأنَّه ظهر في القرن الثاني الهجري في
الكوفة وربطة المذاق، والتي كان ابن سباء أول من اتَّخذها مسرحاً لنشاطه.
الثاني: غلو السببية قد أتاح للمؤرخين وكتاب الفرق أن يصنفوا هذا
الوصف على المتطرفين في مختلف العصور، فاختلطت الآراء، وتداخلت
ونسب التجسيد لابن سباء.

واظهر أن شخصية ابن سباء حقيقة أدخل عليها المؤرخون^٥ وكتاب
الفرق كثيراً من المبالغة^٦ بما خطأ^٧ لتدخل الآراء الكلامية وتقاربها من
بعضها، كما ذهب إلى ذلك أستاذنا الدكتور علي الشابي في حديثه السابق، أو
عمداً من أجل الحفظ من مذهب الشيعة والتأكيد على وجود عناصر أجنبية فيه
كاليهودية واليسوعية والفراسية... *وتغيير المسلمين منه*.

^١ أحد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية - ص 38 - 40.

^٢ - الدكتور علي الشابي: مبحث - ص 45 - 52 - 54 .

(إن كان حقيقة موعوداً،حسب بعض الروايات السابقة)

ومع ذلك فلا يجُب أن يغيب عنا تطرف هذا الداعية^٤ وتشريعه على الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، ومذصرته تعلي باعتباره أولى منهم بالإمامية، وتأثيره في المذهب الشيعي، غير أنه لم يكن البداية لتشريع السياسي والعقدي في عهد مبكر، كآخر خلافة عثمان وبعد مقتنه، وإنما كان زعيم مؤامرة دعا فيها لازانه المهرطقة وبث فيها سمومه نسب أو لآخر، واستغل قضية على وأنصاره لفتن استغلال. ^{وعقد به} **لأجل ثبات دينه ولو سياسياً** ^{دليلاً}

4) نشأة التشريع في الفترة العمتدة من ولادة علي إلى تنازل الحسن لمعاوية:

لتكون شيعة علي زمان خلافته^٥ من جماعة يخضون له كعبد الله بن عباس، وعصار بن ياسر^٦ وحجر بن عدي، وكثير من الأنصار، وهو لاء كانوا إلى جانب حبهم لعلي^٧ وآل البيت يخشون أن يؤول الأمر إلى معاوية، من ذلك ما رواه البخاري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال للأنصار: "ستلقون أثراً بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" ^{لأنه وحده يرجم، ويقتل} ذكر ابن حجر في شرحه على هذا الحديث، أنها إشارة معدودة فيما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - ورُوِّعَ كما وصف^٨ لأن الأمر صار في غيرهم^٩ فاختصوا دونهم بالأموال^١.

وأورد ابن قتيبة أن الأنصار أجابوا أبي بكر بعد خطبته في السقيفة بقولهم: "والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وإنما لكم وصفت يا أبي بكر والحمد لله، ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا منكم، ولا أرضى

٤- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/117، 118 باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار: اصبروا حتى تلقوني على الحوض.

عذنا ولا أيمن، ولكننا نشفق مما بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم^١.

/ ووقع ما كانوا يخافونه فقد روى البيعوبى أن معاوية لما حج (سنة 44 هـ) وزار المدينة، كلمه فيمن كلمه الأنصار فأغاظ لهم في القول، وسائلهم ستهزئا بهم: "ما فعلت نواضحك؟"^٢ قالوا: أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجذك وخالك، ولكننا نفعل ما أوصانا به رسول صلّى الله عليه وآله^٣ قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر، قال: فاصبروا. ثم أدنى معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة؟^٤.

ووزد في بعض المصادر: أن لبني أمية ثأراً عند عامة المسلمين لقتل من قتل منهم يوم بدر، وقد ذكر يزيد بن معاوية الخليفة بعد أبيه - فيما زعم بعض الرواة - هذا الثأر حين أنسد بعد وقعة الحرثة؟

ليت أشياخى بدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^٥.

ومما يدعم خشية الأنصار من ولادة معاوية للخلافة، أنه لما وقف النعمان بن بشير الأنصاري يخطب داعيا لنصرة معاوية على علي، موجها قوله لقيس بن سعد، ضحكت الأخيرة ورد عليه: أما معاوية فلو اجتمع العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار مذكراً إيه بأن رجال علي هم من

١- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 14/1.

٢- الناضج: البعير سقى عليه: جمع ناضج، والأنتى ناضحة...

٣- البيعوبى: التاریخ الكبير: 2/161، 162.

٤- انظر عن طه حسين: الفتنة الكبرى: علي وبنوه: 2/243.

التدريجين، ومن شهدوا بيعة العقبة من المهاجرين والأنصار، بينما ليس مع معاوية أمثال أولئك^١.

وبذلك يبدو أن من اعتبر شيعة لعلي، هم في الواقع يمثلون مباععين له بالخلافة لاستحقاقه إياها، عدلاً وقوى وعلماً بالأحكام، دون أن يشكوا حزباً سياسياً وعقدياً، وكان همهم ألا يتولاهما بنو أمية لما في ذلك من خطر على الإسلام والمسلمين. **لهم صریحه وعصیتیه ولئن دعوه فیینهم من آثار الحاہلیه**
أما فيما يخص الرأي القاتل: إن التشيع لم يظهر إلا بعد أن استتب الأمر لمعاوية وتنازل الحسن بن علي^٢ عن الخلافة، فقد أثار هذا التنازل شك شيعته في إمامته والحال أن الرسول يقول فيه (الحسن): "ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلاح به بين فتنين من المسلمين". وفي هذا المجال يذكر التوبيخ أن فرقة من الشيعة نزرت لقول يامامة الحسن بن علي بعد أبيه إلا شرذمة منهم أذوه يداً ولساناً، وقالوا باسمة أخيه الحسين، خاصة وأن الحسن لم يكتف بمبايعة معاوية بل وادعه وصالحه، وأخذ منه المال الذي بعث به إليه، فلذاك طعنوا فيه، وخالفوه، ورجعوا عن إمامته، ودخلوا في مقالة جمهور الناس، ويذهب التوبيخ إلى أكثر من ذلك، فيزعم أن أحد هؤلاء الناقمين عليه ويدعى الجراح بن سنان وثبت عليه، وهو في طريق عودته بعد ما تناهى عن

^١- ابن قتيبة: الإيمانة والسياسة: 1/97، 98. ونقل الدكتور أحمد محمود صحي في كتابه (نظريات الإمامية لدى الشيعة الإثنى عشرية)، أن قيس بن سعد بعث برسالة إلى النعسان بن بشير يقول فيها: "ما معاوية فلو اجتمعن العرب على بيعته لقاتلتهم أباً لصهر أباً ولما زجعوا إلى نفس مصدره المذكور - هـ 2 - وهذا أن الصواب ما ذكرناه سابقاً من أن النعسان بن بشير كان يخط... فرد عليه قيس بن سعد - نظر ص ٢٤ من كتاب صبحي المذكور.

^٢- ابن حجر: فتح الباري: 8/96 - ثب مذقب الحسن والحسين - رضي الله عنهما.

محاربة معاوية، وأخذ بنجامِ دابته وقال: الله أكبر ! أشركَ كما أشركْ
لبوك ، وصُعنه بمعقول^١ في أصل فخذه، فقطع الفخذ إلى العظم و كانت هذه
الطعنة سبب موته في آخر صفر (سنة 47هـ) ^(٦٦٤) وهو ابن خمس وأربعين سنة^٢.
ولذلك آتى الإمامة على بن الحسين وأصحابه ^{رحمهم الله تعالى} زعيم ^{رحمه الله تعالى} التوبيخ^٣ والرقة ،
ويبدو من قوله الجراح بن سنان أنه خارجي ولكن التوبيخ يدعى أنه
من شيعة الحسن فيشير إلى أن الأخير: لم يزل جريحا من طعنته كاظما
لغيظه متجرعاً نريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته^٤.
ويحدد ابن النديم نشأة التشيع لعلي بأنها كانت يوم خالف طلحة وأنزيل
علياً مطالبين بدم عثمان ، وذهب على لقتالهما حتى يفينا إلى أمر الله، فتسمى
أنصاره باسم الشيعة، وكان يقول لهم شيعتي^٥.
ولكن هؤلاء لم يكونوا شيعة لعلي بالمعنى المذهبى، لأنهم وإن جاز لهم
أن يتخلوا عن إمامية الحسن لتقائه لمعاوية فإنه لا يجوز لهم أن يتخلوا عن
مناصرة علي وقت الشدة وهو الخليفة المنتسب بشرعية، حتى أنه لما عيّل

١- المعقول: سوط في جوفه بيف نقيق سمي بذلك لأن صاحبه يغتال به عدوه من حيث لا يحتسب.

٢- التوبيخ: فرق الشيعة ص 30

٣- نفس المصدر ونفس الصفحة

٤- ابن النديم: الفهرست ص 249

ترجمة للنديم: ابن النديم هو محمد بن إسحاق بن النديمالمعروف بين الوراق (936هـ/ 1586م) ^(٤٥٢٩)
وند في بغداد وعاش فيها وكان من المعتزلة، تعلّم في مهنة الكتبى أو الوراق، له كتاب
(الفهرست) وهو فهرست العلوم القدمة، وتصانيف اليونان والغرس والهند الموجودة منها بلغة
العرب.

صبره منهم قال في وصفهم: "... إن دعيبتم خضمتم، وأن حوربتم خرمتم، وأن
اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشافة نكحتم^١."

وقال فيهم أيضاً: يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال، وعقول
ربات الرجال^٢ لوددت أنني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - و الله - جررت ندما،
وأعقبت سدما^٣. فاتئكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وسخنتم صدري غيطا،
وحر عتموني نعْب التهانم أنفاسا،^٤ وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان،
حتى لقد قاتلت قريش^٥ لأن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا عزم له بالحرب، الله
أبوهم و هل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم مقاما مني؟ لقد نهضت فيها وما
بلغت العشرين، و ها هنا قد ذررت^٦ على انتين، ولكن لا رأي لي من لا يطاع^٧.

ويرى طه حسين أن الشيعة بالمعنى المذهبى لم توجد في عهد علي،
وابنها وجدت بعد موته بزمن غير طويل^٨، لأن كلمة الشيعة وردت في القرآن
وفي صحيفه الاتفاق بين علي و معاوية بمعنى الأتباع والأنصار؛ "هذا ما
تقاضى عليه علي بن أبي طالب، و معاوية بن أبي سفيان، فقضى علي على
أهل العراق، ومن كان من شيعتهم من المؤمنين وال المسلمين، وقضى معاوية
على أهل الشام ومن كان من شيعتهم من المؤمنين وال المسلمين^٩.

١- النضرى: تاريخ الأمم والملوك: 265/3 - الطنعة الحسينية المصرية - (أَعِبْتُمْ، أَجِبْتُمْ إِلَى مُقاومة أَعْمَالِ).

٢- ربات الرجال: أي النساء، لبنيهن الرجولة.

٣- السد: "يم مع الأسف والغبط.

٤- أضحت انتنه بما ينجز عن.

٥- ذررت على انتين: زاد عليها.

٦- الإمام علي: نهج البلاغة - شرح محمد عبد: ص 77 - 78.

٧- طه حسين: الفتن الكرى: علي وبنوه: 173/2.

٨- نفس ترجمة: 172/2.

ويخلص طه حسين بعد ذلك إلى أن عليا لم تكن له شيعة ممتازة قبل الفتنة، ولا شيعة مذهبية مدة خلافته، وإنما كان أغلب المسلمين له أنصاراً،
(لقد انتهت مذكرة الله على المذهبين وألم يرجع وصلفه ولهم اغترف به من المقوى والعلال
وأتباعاً، حتى كانت موقعة صفين، ودخول معاوية مصر، وإغارتة على أطراف علي في العراق والجاز واليمن، وقتل علي وليس له شيعة بالمعنى الذي يعرفه الفقهاء والمتكلمون، لأنها لم توجد إلا بعد أن استتب الأمر لمعاوية، وتباذل له الحسين بن علي عن الخلافة.^١

ويضع أحمد محمود صبحي هذا الرأي في إطار زمني أضيق، عند التحكيم بين عني ومعاوية ولذلك فالتشريع، في رأيه، كان كرد فعل ضد ^{وأهلاً و معاوياً} الخوارج ^{يتصح} بالمقارنة بين العقدين في نواحٍ منها:

الأولى: الخوارج أول فرقـة في الإسلام تثير مسألة الإمامة، وتخالف
عليـاً في التحكيم^١ وتثير الشك في موافقـه وأهدافـه وإمامـته. وترى: كيف يجوز
لعنيـ أن يحكم وفقـ هواه، فيستـحلـ اندـماء يومـ الجـملـ دونـ الأـموـالـ والـنسـاءـ؟
هلـ شـكـ فيـ إـمامـتـهـ حينـ وـاقـقـ عـلـيـ مـحـوـ لـقـبـهـ منـ صـحـيفـةـ التـحـكـيمـ؟
فـكـانـ لـابـدـ -ـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ -ـ مـنـ مـعـارـضـةـ تـدـعمـ حـقـ عـلـيـ فـيـ الإـمامـةـ
وـتـصـوـغـ نـظـرـيـاتـ الشـيـعـةـ الـتـيـ تـسـنـدـ دـعـوـاـهـمـ^٢.

الثانية: قال الخوارج: لا حكم إلا لله. "فرد عليهم علي: نعم لا حكم إلا لله ولكنها كلمة حق يراد بها باطل، ولا بد من أمير حتى يستريح بـ، ويستراح من فاجر^٣."

نفس المترجم: 175/2

³ - محمد محمود صبحي؛ نظرية انماطه لدى الشيعة الائمة عشرية ص 40، 41.

⁴¹ - الدكتور أحمد محمد صالح: نظرية الأعماة لدى الشيعة الإمامية، عشرية، ص 41.

الثالثة: بينما جعل الخوارج الإمامة عامة وبالاختيار لا فضل فيها لعربي على أجمي، ولا تقريري على جبشي إلا بالتفوي، كان لابد للشيعة أن يجعلوها وصية من النبي إلى عنى وأبنائه تكون في صميم الدين¹.

الرابعة: بينما ترى صانفة من الخوارج أنه لا ضرورة لنصب الإمام، يعتبرها الشيعة واجبة على الله².

الخامسة: أفسد الخوارج أمر علي في مجال السياسة وال الحرب والمبادئ والعقائد. وجادلهم قلم يقتعوا، فكان لابد للشيعة من إمام يستند إلى الذين ليكتب الفرضي المطلاقة الناجمة عن الغلو في الاجتهاد³.

السادسة: كفر الخوارج على، فقدسه الشيعة⁴.

وعلى كل فالخوارج أيضًا، وإن كانوا أول فرقه في الإسلام تثير سائلة الإمامة، فإنهم لم يظهروا كحزب سياسي وعدي منظم بعد التحكيم حتى نقابل بين آرائهم وأراء الشيعة، وإنما كان ظهورهم الحقيقي اثر وقعة النهر وان سنة (88 هـ/658 م) وهي ابتداء الحقيقة لتكوين المذهب الكلامي الخارجي، وذلك لقتل أكثرهم، فحظوا بعطف في البصرة، والكوفة، وببلاد فارس، مما جعلهم يجدون في صياغة آرائهم وينفتحون قسراً على الآراء الشائعة هناك.

وقد كاد يستقر في أذهان الباحثين⁵ أن الفرس بتأييدهم لعنى وأل البيت، وبتأييدهم في التشيع، هم الأعداء الألداء للخوارج، صاغوا مذهبهم من تكفير

¹- نفس المرجع - ص 40.

²- نفس المرجع ونفس الصفحة

³- نفس "المرجع" - ص 42.

⁴- نفس المرجع ونفس الصفحة.

(رض)

عني^٢، وعدم الاعتراف بأحقية آل البيت في الخلافة ولذلك فهم -حسب رأيهم- لم يتثروا بالفرس، بينما العكس هو الصحيح^١.

وإذا كان الدكتور أحمد محمود صبحي يشير إلى عداوة بين الخوارج والشيعة، جعلت الآخرين يصرون على مذهبهم كرد فعل، فإن الدكتور علي الشابي يرى أن هذه العداوة لم يعد لها تأثير ذو بال، لأن نسمة الشيعة أصبحت منصبة على بنى أمية أكثر من الخوارج حتى أن الشيعة انضموا

إلى الخوارج، لإنقاذة من ثورتهم، وتصعيد الصراع ضد الدولة الأموية. **وهذا الرأي في الواقع هو موقف سياسي وديبلوماسي يجعل المحسوم من جميع العاديين بمحمد بن علي وفتياته ضد عبد الله مشترك، وهذا الموقف عاد وأسايضاً** **ولهذا فتحن، وإن قبلنا تنازلاً المذهبين الخارجي والشيعي، فإن ذلك لا**

يمتنعنا من القول بأن هذا التنازل قد صيغت مبادئه بظهور العقدين في شكلهما النهائي. ثم إن هذا التنازل لم يمنع أحد المذهبين من الاستفادة من الآخر سياسياً وعقدياً. ونخلص باتالي إلى القول: أن ظهور التشيع المذهبى **(رض)** نم يكن في الفترة الممتدة من خلافة علي إلى تنازل الحسن لعاوية، لأن الانصار هنا هم عبارة عن أتباع روحين يأيدهما من رأوا أنه الأولى بالخلافة، فلما حلت دون ذلك أسباب، انضموا إلى صف الجماعة وتبذوا الاختلاف وراء ظهورهم.

5) نشأة التشيع بعد مقتل الحسين في كربلاء:

كان مقتل الحسين بن علي^٣ فاجعة لدى المسلمين عامة، والشيعة خاصة، فقد روى البخاري: أن عبد الله بن عمر سأله أهل العراق عن حكم المحرم الذي يقتل الذباب؟ فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا

^١ الدكتور علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة ص 137.

ابن بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - هما ريحانتاي من النبي^١.

ورغم ما كُن لاستشهاد الحسين^٢ من أثر في تطور العقيدة الشيعية، فقد نقل لنا التوبيخى صورة عن فرقة من أصحابه أصيروا بالحيرة من أمره^٣ و أمر أخيه الحسن، وتنصل في أنه كيف يوادع الحسن معاوية وهو في كثرة من شيعته، ويحارب الحسين يزيدا وهو في قتلة منهم^٤ حتى قتل هو وزواجه وأصحابه؟

إن هذين الموقفين المستافقين^٥ في نظر هؤلاء القوم من الشيعة باطل غير واجب، ولذلك شكوا في إمامتهما، ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام^٦.

ولهذا قيّنا نلاحظ أن التشيع المذهبى لم يظهر بعد مقتل الحسين مباشرة، لأن أنصاره كانوا عبارة عن فرق مختلفة في الرأي تقوم بمراجعة مواقفها من بعضها تارة، ومن الحسين أخرى، وهو ما أدى بعد ذلك إلى ظهور جماعة التوابين بين أغلب الشيعة بقيادة سليمان بن صرد العربي الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي يتلاؤون على تغريتهم في نصرة الحسين رافعين شعار يلتذرات الحسين! "مرحمن على قبره قبل الدار" له

^١- ابن حجر :فتح الباري شرح البخاري: 99/8 100 باب مدحه "حسن وحسين" - رضي الله عنهما -

^٢- التوبيخى: فرق الشيعة ص 31 - 32.

^٣- انتيرى: تاريخ الرسل والملوك: 552/5. طبعة دار المعرفة بمصر.

من قاتلهم^١ بلذلِّين أنفسهم للشهادة^٢ بعده وقد حرموها معه^٣، إلا أنهم انحرروا في عين الوردة وقتل سليمان بن صود سنة 65هـ/685م^٤.

وكان لهذه الهزيمة أثرها البالغ في نفوس الشيعة، كما كانت فرصة للمختار بن أبي عبيد التقي ليحقق طموحه إلى الحكم، فجمع شتاتهم، مدعياً أنه مبعوث إليهم من محمد بن الحنفية أخي الحسين لأبيه قائلاً لهم: إن المهدى بن الوصى محمد بن علي بعشى إليكم أمينا وزيراً ومنتجباً وأميراً، وأمرني بقتال المنحدرين، والطلب بدماء آل بيته والرفع عن الضعفاء^٥. واعداً إياهم بـ^٦تأثر من قاتل^٧هـ الحسين، ونفذ ما وعد به بقتل أغلب من شارك منهم في ذلك وخاصة عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، ولكن مصعب بن الزبير قتل المختار في النهاية سنة (67هـ/687م)^٨ وهي السنة التي تعد لدى الباحثين البداية الحقيقية لظهور التشيع السياسي والمذهبى فقد جاء في قوله المختار السابقة وفي سلوكه ما يشير إلى بعض مبادئ الشيعة كالوصية والمهدية^٩ والعصمة... وكل ذلك راجع إلى استشهاد الحسين الذي ترك أثاره لدى الشيعة، فصيغ حياتهم بصبغة مأسوية، وتطور عقيدتهم، وزادهم تمسكاً بها، وحملوا هدراً في ذكره لا يزال لمقدمة عند أغلب المؤرخين^{١٠}
للتاريخ هنا ...

^١- نفس المصدر: 9 - 588هـ.

^٢- نفس المصدر: 5 - 597هـ.

^٣- الطبرى: تاريخ الرسول والملوك: 5/580، طبعة دار المعارف بمصر.

^٤- نفس المصدر: 6/59، 62، 93.

^٥- نفس المصدر: 5/580.

^٦- نفس المصدر: 6/28، 29.

فأذاربني الشيعي الائـة عـشـرـي مـثـلاـ يـعـتـبرـه فـاجـعـةـ تـسـكـبـ المـدـامـعـ، وـتـثـيرـ الأـحـزـانـ، وـتـهـبـ نـيـرانـ الحـقـدـ فـيـ أـكـبـادـ ذـوـيـ الإـيمـانـ، وـيـرـوـيـ عنـ شـيـاخـ لـمـ يـذـكـرـ أـسـمـاءـهـ أـنـهـمـ غـزـواـ أـرـضـ الرـوـمـ، فـوـجـدـواـ كـتـابـةـ بـالـعـرـبـيـةـ فـيـ كـنـيـسـةـ مـنـ كـنـاسـهـمـ تـقـوـلـ:

أـنـرـجـوـاـ أـمـةـ قـتـلتـ حـيـناـ
شـفـاعـةـ جـدـهـ يـوـمـ السـعـادـ .

فـقـالـوـاـ لـزـوـمـ: مـنـ كـتـبـ هـذـاـ؟ فـقـالـوـاـ: لـاـ نـدـرـيـ! وـوـجـدـتـ أـنـ قـاتـلـ هـذـاـ
أـلـبـيـتـ هـوـ الـحـافـظـ بـنـ حـجـرـ فـيـ كـتـابـهـ (الـصـوـاعـقـ الـمـحـرـقـهـ)^٣.

أـمـاـ الشـاعـرـ الصـفـوـيـ (مـحـشـمـ الـكـشـائـيـ) (مـنـ أـهـلـ الـقـرـنـ الـعـاـشـرـ

(١٥/١٦)

فـقـدـ رـثـىـ الـحـسـينـ بـقصـيدةـ طـوـيـلةـ صـورـ فـيـهاـ لـعـلـمـ وـالـأـسـ وـالـجـنـ فـيـ
هـبـحـ وـنـوـاحـ، وـأـنـ الـقـيـامـةـ الـهـائـلـةـ تـصـعـدـ مـنـ الـأـرـضـ إـلـىـ الـعـرـشـ وـلـمـ يـنـفـخـ فـيـ
الـصـورـ بـعـدـ... إـنـ الـشـمـسـ تـطـلـعـ مـنـ الـمـغـرـبـ... وـلـمـ يـقـ فيـ الـبـادـيـةـ غـزـالـ الـاـ
شـكـ رـجـهـ... وـلـاـ طـئـرـ إـلـاـ هـوـيـ مـنـ عـشـهـ... لـزـبـدـ اـنـكـونـ... وـبـكـيـ الـفـاكـ
بـالـذـمـ... وـجـاشـ الـبـحـرـ بـحـبـابـ أحـمـ حـزـنـاـ عـلـىـ الـحـسـينـ الـغـرـيقـ فـيـ مـحـيطـ
الـشـهـادـةـ...^٤

- الأـذـرـنيـ: كـتـفـ الـخـمـةـ: 35/2، 36، 36، 54.

-^٢ ابنـ حـرـ: "الـصـوـاعـقـ تـسـحـرـةـ" - صـ 118 - وـبـصـورـ ابنـ حـرـ هـذـهـ الصـنـادـ، فـيـروـيـ أنـ
فـبـصـرـ لـزـوـمـ سـخـرـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ لـشـاهـمـ اـبـنـ نـبـيـمـ وـقـالـ نـبـيـمـ رـسـولـهـ: نـحـنـ نـحـجـ كـلـ عـامـ لـغـرـ حـمـارـ
عـبـسـيـ، فـيـ دـنـيـرـ (حـافـرـ) فـيـ بـعـضـ الـجـارـيـ، مـثـلـ كـعـبـكـمـ، وـأـنـتـمـ تـكـثـلـونـ لـبـنـ بـنـتـ نـبـيـمـ، وـرـوـيـ
عـنـ الـبـيـوـنـ: مـذـ هـذـاـ.

- الدكتورـ عـلـىـ الشـابـيـ: "الـشـبـعـةـ فـيـ اـبـرـنـ" - صـ 176، 178.

ولذلك ظلت دماء الحسين تروي طوال القرون عقيدة الشيعة، فصمد
مذهبهم، بالرغم مما ذلهم من اضطهاد سياسي وفكري على يد سلطط الحاكمة
المتعاقبة على العلم الإسلامي، وعلى يد قوى الفكر المخالف ضدهم من

سنة، ومعتزلة، ومرجئة، وخوارج... ولذلك ^{لدى المسلمين عامة مختلفون في حكم الخوارج عقدياً عند عادة الشيعة} ^{وقد ردّ نعوش لفقيه من أئمة مصر قدامه في هذه المسألة على فقهائهم بعد انصرافه في عمريه لأن} ويصور (فها وزن) الحسين آنية من الفخار اصطدمت بحديد، هو

عبيد الله بن زيد، ولقد مد الحسين يده كالطفل ليأخذ القمر، فمضى كما
مضى المسيح في طريق مرسوم^١ لأن كلاً منها ضحي بنفسه في سبيل
أتباعه. ودعمت دائرة المعارف الإسلامية هذا الرأي معتبرة عنصر الشهادة
من العناصر التي تلعب دوراً كبيراً في الإسلام^٢ وفي العقيدة الشيعية
بالخصوص، ولذلك كان مقتل الحسين الذي ثُقِي مصرعه بسيوف الدولة
الأموية بذرة لمذهب الشيع، وكان هذا الاستشهاد أعظم من دم علي الذي
اغتله فرد من الخوارج^٣.

وبالرغم من كون كتاب الشيعة - من قدامي ومحدثين - يرجعون
ظهور التشيع إلى عهد الرسول، أو بعد وفاته مباشرة، فإن المظفر يرى أن
أهم الأسباب في تسارك كثير من الناس بالتشيع يعود إلى مظلومية الحسين،
ولذلك فالإسلام علوى، والتشيع حسيني^٤.

^{لدى المسلمين عامة مختلفون في حكم الخوارج عقدياً عند عادة الشيعة} ^{وقد لا يختلفون في حكمهم}
وأحمد محفوظ صبحي: نظرية الإمامية لدى الشيعة الائمة عشرية - ص 49.
٤ عبد الحسين شرف الدين الموسوي: البراجمات - ص 194.

١- فها وزن: الخوارج ونشيعة - ص 136.

٢- دائرة المعارف الإسلامية: 59/14 - مادة التشيع

٣- أحمد محفوظ صبحي: نظرية الإمامية لدى الشيعة الائمة عشرية - ص 49.

٤ عبد الحسين شرف الدين الموسوي: البراجمات - ص 194.

إنه بركان انفجر يقذف الباطل بالحمم، ويتدفع عليه كالسيل، والحسين وإن
هلك ومات دون مبدئه، فقد أراح ضميره، وأرضى ربه! **عَزِيزُهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا**
أَمْ حُسْنٌ نَصْرٌ فَيُعْتَبَرُ أَسْتَهَادُ الْحُسْنِ فاجعة شوهدت تاريخ الإسلام
في العصور التالية ولا سيما تاريخ الشيعة، وذلك استمر هؤلاء يعيشون في
محنة طيبة تاريخهم^٢.

ويرى الدكتور أحمد محمود صبحي أنه إذا كانت المصاداة بأحقية علي
وأبنائه في الإمامة بعد مضي أربعة شعر قرنا، وبعد أن أصبح أمر علي،
وأمر مخالفه كله شد، وفي ذمة التاريخ، فإن بقاء هذا الرأي السياسي الذي
أصبح عقيدة إلى العصر الحاضر، يرجع إلى دماء الحسين، وليس معنى ذلك
أن الصور النهاية للعقائد الشيعية قد ظهرت ثلوجود عقب مقتل الحسين
مبشرة، إذ ربما احتاج ذلك إلى عشرات السنين^٣.

وبالنسبة للشيعة الائتية عشرية فإن عقائد هذه الفرقة لم تأخذ صورتها
النهائية إلا منذ عهد جعفر الصادق شخصيته، وذراته بالتفقه والحديث وعلم
الكلام، ~~حيث~~ من كلّموا الشيعة من تلاميذه كهشام بن الحكم، وزرارة بن
أعين، ومحمد بن النعمان (مؤمن الطلاق لدى الشيعة وشيطان الطلاق لدى أهل

١ - عقيدة الشيعة - ص 126.

حسين نصر: الإسلام أهدافه وخفاته - ص 142، 143 وللأئمة الشيعة بهذه النقاوجة الائتمانية
ولا حاس لهم بما يسمى بعذدة النسب - نجاة الحسين، التي ورثوها عن آبائهم فربما يحتفلون
بتذكرها كل سنة في عاشوراء إلى زماننا الحاضر، وبمثلكون خروج الحسين على بي أمينة في
مسرحية مأساوية، وبعدهم إلى تعذيب أجسادهم بشتى أنواع العذاب (انظر: كتاب محمد
عزبرة: الإسلام والمسرح - ترجمة دار الهلال) وهي طرق مأسوية يستخدم بها عذابهم ويتبرأ منها طلاقهم وقد أثبتت
وزيرته في كتابه للذكور **La grande lièvre du monde Musulman P = 28** - انظر أيض كتاب: Rechot
أني للمسرح في الإسلام لم يعرف لا أحد المسلمين
في انتخاجة ذكرى الحسين (ط)

السنة)، فهو لاء و غيرهم مثل على بن اسماعيل التمار، ذكرهم ابن النديم في لفهرست ^١ بأنهم تكلموا في مذهب الإمامة ^٢ وألقووا حولها الكتب مثل كتابي: (الاستيقاء في الإمامة) و (التبيه في الإمامة) لمحمد بن النعمان، وكتابي: (الإمامية) و (الاستحقاق) للتمار ^٣.

ولعل الظروف التي ساعدت على إبراز الشكل النهائي لعقيدة الشيعة ^٤ هي خيبة أمنهم باعتلاء العباسيين عرش الخلافة مكانهم، وقد كان الكل من أمويين وغيرهم يحسرون الثورة علوية، حتى أن أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى (ت: 166هـ/783م) كان يدعى محمدا صاحب النفس الزكية قبل نجاح الثورة وافتتاح الخلافة، ثم قتله بعد ذلك سنة (145هـ/763م) لعداها، مما يؤكد ضرورة تضليل المذهب الشيعي حتى لا ينقرض.

ونفهم من خلال ذلك أن عقيدة الشيعة الاثنى عشرية لم تتبلور في شكلها العددي المنكور، إلا عند وقوف معتقليها لدى الامام الثاني عشر: المهدي المنتظر، لأن محمدا صاحب النفس الزكية يعد من أئمة الزيدية.

وعلى كل فعل ازدهار علم الكلام لدى أهل السنة، والمرجئة، والزيدية ^{الزيدية} والخوارج، دفع بالشيعة ^{الاثنى عشرية} إلى تضليل عقيدتهم السياسية والمذهبية كربلاء على مسرى في كتابه المسند للحدث عاشرة حتى ازدهرت لدى علمائهم كالنوبخت والقمي، والطوسى والحاوى... ولا اختلاف أطوار التشيع اختلف المؤرخون وكتاب الفرق في أصل نشأته ^٥، ويوضح أستاذ الدكتور علي الشابي رأيه في هذا الموضوع، وهو أن فاجعة الشيعة الأئمية بمقتل الحسين هي التي فطنتهم إلى عنف الدولة الأموية

^١- احمد محمد: صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية - 50، 51.

^٢- نفس المرجع: ص 51، 52.

وَعَزَّمُهَا عَلَى تَصْفِيَةِ خَصْوَمَهَا جَسْدِيَاً، وَجَعَلُتُهُمْ يَفْكُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ... وَهِيَ مَسَأَةٌ زَادَتْ فِي تَعمِيقِ الاقتراضِ والاختلافِ فِي الْمُجَمَّعِ الإِسْلَامِيِّ وَلَوْلَتْ قُلُوبُ الشِّيعَةِ بِصِبْغَةِ دِرَامِيَّةٍ أَيْقَنُوا بَعْدَهَا أَنَّهُمْ لَا يَدْلِيُونَ لَهُمْ إِذَا أَرَادُوا مُواجهَةَ الْأَحداثِ مِنْ اعْتِمَادِ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْإِنْتَهَادُ وَالتَّخْلِي عَنِ الْخَوفِ لِلانتقامِ مِنْ بَنِي أُمَّةٍ.

الثَّانِي: سلاحُ نظرِي يَنْتَهِي فِي تَضَيِّيرِ مَذَهْبِهِمُ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى مُحِبَّةِ الْأَبْرَارِ وَاحْقِيقَتِهِمُ فِي الْخَلَافَةِ، وَقدْ اسْتَدَعَى هَذَا، الْعَكْوَفُ عَلَى مَبَادِئِ الشِّيعَةِ، وَعَلَى التَّفَصِيلِ فِي أَمْرِهَا، فَبَدَتْ مَعَ الْأَيَّامِ مُصْدِراً أَسَاسِياً لِلتَّضَيِّيرِ الشِّيعِيِّ، وَمَنْ ثُمَّ يَصْحُّ القَوْلُ: إِنَّ مَأسَةَ كَرْبَلَاءَ قدْ حَمَلَتِ الشِّيعَةَ عَلَى صِياغَةِ مَذَهْبٍ

وَجَدُوا فِيهِ طَبِيبَهُمُ الرُّوحِيَّةِ وَسَبِيلًا لِلْاستِمرَارِ هُمْ^١، وَالْوَارِعُ لِلْأَيَّامِ يَسْتَعِدُ لِلْمُقْرَبَةِ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَانِي الشِّيعَةِ
ولَذَلِكَ كَانَ لِلقرآنِ دورٌ فِي صِياغَةِ المَذَهَبِ الشِّيعِيِّ، خَاصَّةً وَنَظَرِيَّةِ
(الْحَقُّ الْمَقْدَسُ) فِي الْحُكْمِ الْفَارَسِيِّ، تَطَبَّقُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ تَامَّ
الْانْطَفَاقِ. لِأَنَّ الدَّمَاءَ النَّبِيَّةَ الصَّادِرَةَ عَلَى النَّبِيِّنَ الْمُحَمَّدِيِّ، وَالْكُسْرُوِيِّ
تَجْرِي فِي عَرْوَقِهِ، وَسَتَجْرِي فِي عَقْبِهِ أَكْثَرُ لِأَنَّهُ تَزَوَّجُ (شَهْرَ بَانُو) بَنْتَ أَخِرَّ
مَلَكِ كُسْرُوِيِّ هُوَ (بَيزَدُ كَرْدُ الْثَالِثُ)، وَلِهَذَا لَمْ يَحْسُنِ الشِّيعَةُ شَيْءاً مِنْ رَاحَةِ
أَدَالُوا
الْتَّضَيِّيرِ، تَخْلِيَّهُمُ عَنِ الْأَيَّمَةِ إِلَّا بِعِدَمِ ادْلُوا الْدُّوَلَةَ الْأَمْوَالِيَّةَ وَتَمَكَّنُوا مِنْ

الْفَارَسِيَّةَ خَلَقَ عَلَى الشِّيعَةِ مُتَّهِمَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بِتَأْمُورِ الْمُؤْمِنِينَ دَرَجَاتَ الْحُسْنَى - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - لِتَعْلَمُنَّ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ الْأَوْلَادِ وَالْفَانِيِّ
وَرَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ فَبَذَنَا نَجْدَ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْمُعاصرِينَ، مِنْ يَرِدُ نَشَأَةَ الشِّيعَةِ

إِلَى تَارِيخِ سَابِقِ لِمَقْتَلِ الْحَسَنِ، وَمِنْ بَيْنِ هُولَاءِ مُحَمَّدِ عَبْدِ النَّاطِرِ، الَّذِي

^١ كُوكُستَنْدَسْخَارْقَيْ طَاهِرَاهْ لِلْحَمْدِ الْمَسَاجِدِيِّ
ـ ذَكْرُورُ عَلَيْهِ النَّابِيِّ: الشِّيعَةُ فِي إِيْرَانَ - ص 39.

ـ ذَكْرُورُ عَلَيْهِ النَّابِيِّ: الشِّيعَةُ فِي إِيْرَانَ - ص 39.

يرى أن التشيع العقدي الذي يسعى إلى إقامة دولة شيعية تطبق تعاليم هذه الفرقـة، لم يظهر حتى منتصف خلافة عثمان بن عفان لأن كلمة الشيعة عندما استعملت في القرآن، وفي الصرـر الأول للإسلام، كانت تعني الأتبـاع مطلقاً، فنجد شيعة علي وشيعة عثمان، وهو ما دعا بعض الكتاب إلى التميـز بين التشيع الروحي والتشيع المذهبـي. فالتشيع الروحي يعني أن أفراده كانوا يرون صفات روحية تميز بها على عن باقي المسلمين، أما التشيع العقدي فهو وإن انتـلـق من محبـة علي واعتراف بـنفسـه، فإنه وضع لنفسـه أصولاً وغاياتـ كان من أهمـها الـدـجـ في الخـلـافـ الرـاشـدـينـ، وـتـجـريـحـ أغـلـبـ الصـحـابـ، وـالـسـعـيـ إلىـ إـقـامـةـ دـولـةـ شـيـعـةـ تـطـبـقـ تـعـالـيمـ هـذـهـ الفـرقـةـ، وـالـنـوعـ الثـانـيـ منـ التـشـيعـ لمـ يـظـهـرـ حتـىـ منـاصـفـ خـلـافـةـ عـثـمـانـ بنـ عـفـانـ بـدـلـيلـ أنـ هـذـهـ المـدةـ لمـ

تـعـرـفـ وـجـودـ فـرقـ يـمـارـزـ بـعـضـهـاـ عـنـ بـعـضـ ١. **لـمـ يـظـهـرـ خـلـافـةـ الرـاشـدـينـ للأـنـقـضـ** عـلـيـاـ - (رضـيـ اللـهـ عـنـ عـلـيـاـ) مـنـ الـأـنـدـيـةـ اـعـتـرـقـواـبـمـ عـيـدـاـ، وـالـشـيـعـةـ الـأـنـدـيـةـ اـسـتـرـمـقـنـهـ كـمـهـ مـعـنـدـ لـوـظـافـهـ مـنـ آنـرـكـرـ الـلـكـيـنـ وـالـظـاهـرـ - حـسـبـاـ بـيـنـاـ سـابـقاـ - أـنـهـ حتـىـ النـصـفـ الثـانـيـ منـ خـلـافـةـ عـشـمـانـ وـبـعـدـ مـقـاتـلـهـ لمـ يـظـهـرـ فـرقـ مـنـ النـوعـ العـقـديـ، وـإـنـماـ كـانـواـ أـشـيـاعـاـ يـلـقـونـ حـولـ عـلـيـ أوـ حـولـ مـعـاوـيـةـ، أوـ مـنـ حـاـلـوـاـ الإـصـلـاحـ بـيـنـهـمـ، فـلـمـ يـفـلـحـوـ اـعـتـرـنـواـ الـفـتـةـ مـعـ مـنـ اـعـزـلـهـاـ، وـالـدـلـيـلـ عـلـىـ ذـلـكـ أـنـ وـجـدـنـاـ بـعـدـ مـبـاـعـةـ عـلـيـ وـنـشـوبـ الـقـتـالـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـعـاوـيـةـ فـيـ صـفـيـنـ، أـنـ صـحـيـفـةـ التـحـكـيمـ بـيـنـهـمـ تـذـكـرـ شـيـعـةـ عـلـيـ وـشـيـعـةـ مـعـاوـيـةـ: "هـذـاـ مـاـ تـقـاضـيـ عـلـيـهـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ صـالـبـ وـمـعـاوـيـةـ بنـ أـبـيـ سـفـيـانـ، قـاضـيـ عـلـيـ عـلـيـ أـهـلـ الـعـرـاقـ وـمـنـ كـانـ مـنـ شـيـعـتـهـمـ مـنـ

١ محسن عبد تـذاـنـزـ: مـسـأـلـةـ إـلـاـمـةـ وـالـوـضـعـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ الـفـرقـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، ٢٤/١، ٢٥/١، مـخـطـوـطـ مـرـفـقـونـ.

المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام، ومن كان من شيعتهم
من المؤمنين والمسلمين^١.

أما التشيع الذي أشار إليه الكاتب وقرن ظهوره بمنتصف خلافة
عثمان، فهو ليس تشيعاً من النوع العقدي الديني، وإنما هو عبارة عن تشيع
سياسي ينحاز إلى صف علي، ويدعو به بالخلافة، ويراد أولى بها من غيره، لفراحته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأى العرائش أولى من الانتحار،
أضف إلى ذلك أن التعاليم التشيعية كالوصية والأفضلية والعصمة والمهدية
والنقية... لم تظهر وتتأصل أصولها كمبادئ لفرقة مستقلة تدعى الشيعة المريدة يخافو
الشيخة الاثني عشرية، إلا بعد مقتل الحسين، وفي عبد جعفر الصادق، وقد فصلنا
القول في هذه القضية فيما سبق من يبحث هذا.

^١ التلز عن الدكتور طه حسين: الفتنة الكبرى: علي وبنوه: 174/2.

الفصل الثاني مدخل إلى الإمامة

مفهوم الإمامة:

ورد في (لسان العرب) أن مفهوم الإمام: لغة هو الذي يقتدى به من رئيس وغيره، وجمعه أئمة وإمام كل شيء قيمة والمصلح له^١. وأمير المماليك وقىده وآمـر الـفـورـ قـدـهـمـ أـمـرـهـمـ أما في الأصلاح، فالإمام كل من انتقم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أم كانوا ضالين^٢ قال تعالى: فَقَاتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُمَانُ لَهُمْ أَعْنَاهُمْ يَهْتَدُونَ^٣. أي قاتلوا رؤساء الكفر،^٤ وقال أيضاً: وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ^٥. والقرآن مثلاً إمام المسلمين ومحمد صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة^٦ وعن المسلمين الإنعام بسننه التي مضى عليها، وإمام الصلاة المتقدم عليهم، ورئيس القوم إمامهم، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند قاتلهم... وهذا أبى من هذا، أي أحسن منه إماماً^٧.

الإمام وينقسم مفهوم الإمامة في الإصلاح إلى قسمين:

1) إماماة صغرى: وهي إماماة الصلاة

2) إماماة كبرى: وهي تعني الخلافة، وتولى منصب أمير المؤمنين^٧.

- ابن منظور: لسان العرب: 102/1.

^٢ - نفس المصدر: 101/1.

^٣ - ابن منظور: لسان العرب: 101/1.

^٤ - سورة التوبة: الآية ١٢.

^٥ - سورة الفحص: الآية 41.

^٦ - ابن منظور: لسان العرب: 101/1, 201.

^٧ - ابن خلدون: المقدمة: ص 190 - 191.

وقد فرق الشيعة بين الإطلاقين بوضع لفظة فارسية هي (بيش نماز) لتدلالة على إمام الصلاة، وهي ترجمة حرفية لكلمة العربية (إمام)^١ لتبقى هذه اللفظة دالة على الوصي المستحق للإمامية - حسب مذهبهم - ونفرعت بعد ذلك عن لفظة (الإمامية) كلمة (إمام) من الوجهة العلمية، فأصبحت تطلق على العلماء العظام كالأئمة أصحاب المذاهب الأربع:^٢

١- أبي حنيفة النعمان المتوفى (سنة 150 هـ)^(٣٤٦٤) إمام العراقيين في النظر والعقل، وصاحب المذهب الحنفي، والذي كان يعرف بين تلاميذه بالإمام الأعظم^٢.

٢- ومالك ابن أنس إمام دار الهجرة والمتوفى (سنة 179 هـ)^(٣٧٩٥) وصاحب المذهب المالكي.

٣- ومحمد بن ادريس الشافعى المتوفى (سنة 204 هـ)^(٣٨١٩) وصاحب المذهب الشافعى.

٤- وأحمد بن حنبل المتوفى (سنة 241 هـ)^(٣٨٥٥) وصاحب المذهب الحنبلى.

الملاحدة وغيره للاء من التلاميذ المقتدين والذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد المطلق، كانوا جمِيعاً يتسمون بالإمام من الوجهة العلمية، ويتفق الشيعة وأهل السنة على أن الإمام يجمع بين اسطنتين الدينية والسياسية، مع اختلافهما في صريقة تعينه. فالشيعة يقولون: إن ذلك يتم **بالتوصية**^٣ بينما يراه أهل السنة والجماعة شورى و اختياراً.

^١ دفتر المعرفة الإسلامية: 613/2 - مادة: إمام و إمامية.

^٢ دفتر المعرفة الإسلامية: 614/2 - مادة: إمام و إمامية

الشيعي

وقد عرف نصير الدين الطوسي^١ الإمام بأنه 'هو الإنسان الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا بالأصلية في دار التكليف'.^٢

ويقول ابن خلدون^٣ عن الإمامة: 'هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا' مفضلاً الخلافة على الملك^٤ المقام على العقل فحسب، باعتبار الأولى نظراً بنور الله، والثانية نظراً بغير نور الله^٥ نقوله تعالى: 'وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ'.^٦

ويعرف الجرجاني الإمام فيقول: 'الإمام هو الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميماً'.^٧

ولذلك يذهب أغلب المسلمين إلى وجوب نصب الإمام عقلاً ونقلأً، فيقول الإمام أحمد بن حنبل: 'الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس'.^٨ ولا اعتبار بعد هذا، لدعوى التجددات من الخوارج^٩ وهشام الفروطي^{١٠} وأبي بكر الأصم المعترفين^{١١} بعدم وجوب نصب الإمام إذا ما تعامل الناس، وابعدوا عن الفتنة، لأن سبب افتراق المسلمين يعود إلى قضية الخلافة، وإلى تسلط أغلب الحاكمين على رقاب الأمة، وابتزاز أموالهم^{١٢}.

^١- الطوسي (709هـ - 767هـ): رسالة في الإمامة - ص 15.

^٢- ابن خلدون: المقدمة - ص 190، 191 - توفي ابن خلدون سنة 808هـ / 1406م، على عبد البرزاق: الإسلام وأصول الحكم - ص 12.

^٣- سورة النور: الآية 40.

^٤- الجرجاني: التعريفات (ص 20)، توفي الجرجاني سنة 816هـ / 1413م.

^٥- أبو يعلى محمد بن الحسين القراء التحتلي: الأحكام المنظانية - ص 19

^٦- الأشعري: مقالات إسلامية: 2/184 - وانظر ابن خلدون - المقدمة - ص 192 - وانظر الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران - ص 60 - 61.

أما الشيعة فلهم وإن ذهبو إلى وجوب تنصيب الإمام عقلاً ونقلًا، فهم يرون الأدلة النقلية بما يتماشى ورأيهم في توصيحة¹ لعني وأبناءه المتصفين بالعصمة، وهي التي تخول لهم فض النزاعات بعد، وثبتت بتأني عدم صحة الرأي القائل: إن الإمامة شورى و اختيار².

يقال لهم معن لفظ المساددة
ويبدو لنا أن كلا من الإمامة والخلافة، لفظان متراشقان، من ذلك أن أهل السنة يقررون أن الصحابة المجتمعين في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول رأوا أنه - عليه السلام - رضي لهم أبا بكر لذينهم، عندما أذابه للصلة بال المسلمين في مرضه الذي مات فيه، أفلا يرضونه لذينهم؟ ولو لا أن الصلة أرفع من السياسة لما صح القباس³.

ومع ذلك واجهت الصحابة بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى مشكلتان:

الأولى: من يقول أمر المسلمين بعد الرسول وقد توصلوا إلى حل هذه المشكلة في اجتماع سقيفة بني ساعدة بتعيين أبي بكر خليفة.
الثانية: هي مشكلة تسمية هذا الخليفة: هل هو خليفة رسول الله، أم خليفة الله؟ واستقر رأيهم بعد أخذ ورد على تسميته خليفة رسول الله، بحجة أبي بكر: "لست خليفة الله ولكنني خليفة رسول الله، ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب والله ليس كذلك"⁴

¹ ابن سطهر تختي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: 145/1، 147، 173.

² لنظر عن الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران - ص 61، 62.

³ ابن خلدون: المقدمة - ص 203.

⁴ ابن خلدون - المقدمة - ص 191.

أضف إلى ذلك أن أبا بكر أراد بتسميته خليفة رسول الله أن يحافظ على كيان الجماعة الإسلامية الناشئة، الذي أصبح مهدداً بسبب المرتدية، وأصبحت العقيدة تواجه خطرًا يهددها بالفناء بعد موت مؤسسها، فكان اختيار ذلك الاسم توكيداً للاتصال بينه وبين رسول الله مؤسس الدين^١.

أما من ذهب إلى أنه خليفة الله فذلك اقتباس من آيات قرآنية كثيرة كقوله تعالى: يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق^٢.

ولأن الإنسان استحق - بصربيح القرآن ورغم أخطائه - خلافة الله على الأرض، وتحمل الأمانة في قوله تعالى: إنما عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فإذا يحملها وأشفعن منها وحملتها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً^٣.

ثم تغير اسم الخليفة في عهد عمر بن الخطاب فأصبح أمير المؤمنين، حتى لا يتقدّم النطق بقولهم خليفة، خليفة رسول الله...

هذا مفهوم الإمامة لدى أهل السنة، أما مفهومها لدى الشيعة فيظهر فيما تباه الكليني للإمام علي بن موسى الرضا المتوفى سنة (148هـ/766م) وهو قوله:

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين، إن الإمامة

- التقى عن أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة - ص 19 من كتاب

T. Arnold. The Caliphate P 16

- سورة: ص الآية 26.

^٣ - سورة الأحزاب: الآية 72.

تزمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين، إن الإمامة أنس
 الإسلام النامي، وفرعه النامي، بالإمامية تقوم الصلاة والزكاة والصيام والحج
 والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع التشغور
 والأضراف. الإمام يحل حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله، ويذبح
 عن دين الله، ويذيع إلى سبيل ربه بالحكمة والمواعظة الحسنة والحججة
 البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجذلة بنورها العالم، وهي في الأفق بحيث
 لا تطالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير، والسراج الظاهر والنور
 الساطع والنجم الهادي في غياهب الديمّر وأجواز البدان القفار ولحج البحار،
 الإمام الماء العذب على الظماء، والذال على الهدى، والمنجي من الردى،
 الإمام المطهير من الذنوب، والمبرأ من العيوب المخصوص بالعلم الموسوم
 بالحُلْم، نظام الدين وعز المسلمين... الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعاد
 له عالم... مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل
 اختصاص من المفضل الوهاب... فهو معصوم مؤيد، موفق مسدّد، قد أمن
 من الخطا والزلل والعثار. يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده
 على خلقه... ١١

١- الكلباني: الأصول من الكافي: 200/1 - 203 - كتاب الحجة بباب فضل الإمام وصفاته.
 ناطبرسي: الاحتجاج: 226 - 229.

الباب الثاني
ثورة زيد بن علي وأسبابها

الفصل الأول

أسباب ثورة زيد بن علي

الفصل الأول:

أسباب ثورة زيد بن علي (80هـ/700م - 122هـ/740م).

زيد بن علي صفات ذاتية، هي صفاتـةـ الخـلـقـيـةـ والـخـلـقـيـةـ التي أهـلـتـهـ لـقـيـادـةـ ثـوـرـةـ آلـ بـيـتـ ضدـ الدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ، وـاعـلـانـ مـذـهـبـهـ: (إـسـامـةـ الـمـضـولـ معـ وجـودـ الـأـفـضـلـ). وـمنـ صـفـاتـهـ هـذـهـ تـذـكـرـ:

1) علمـهـ، فـقـدـ تـتـلـمـذـ لـأـخـيـهـ عـلـيـ زـيـنـ الـعـبـدـيـنـ بـنـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ الـطـالـبـ رـضـيـ عـنـهـ، كـمـاـ تـتـلـمـذـ لـأـخـيـهـ مـحـمـدـ الـبـاقـرـ، وـتـتـلـمـذـ لـقـلـةـ مـنـ الصـحـابـةـ مـنـهـمـ جـاـبـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الـأـنـصـارـيـ، وـكـثـرـةـ مـنـ الـتـابـعـينـ كـمـحـمـدـ بـنـ أـسـامـةـ بـنـ زـيـدـ، فـتـكـونـ لـدـيـهـ زـادـ عـنـمـيـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـالـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ وـعـلـمـ الـكـلـامـ، حـتـىـ عـرـفـ بـحـلـيفـ الـقـرـآنـ، مـنـ ذـلـكـ مـاـ رـوـاهـ أـبـوـ الـجـارـوـدـ؛ قـالـ:

قدـمـتـ المـدـيـنـةـ فـجـعـلـتـ كـلـمـاـ سـأـلـتـ عـنـ زـيـدـ بـنـ عـلـيـ، قـيلـ ذـلـكـ حـلـيفـ الـقـرـآنـ^١، حـتـىـ أـحـبـهـ الـمـتـكـلـمـونـ وـالـعـبـادـ نـظـرـاـ لـمـائـةـ أـخـلـقـهـ وـورـعـهـ وـنـزـاـهـةـ الـعـلـمـيـةـ، وـاحـتـرامـهـ لـأـرـاءـ خـصـوـمـهـ، وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ رـوـيـ أـنـ الـمـرـجـةـ وـأـهـلـ النـسـكـ، كـانـوـ لـاـ يـعـدـلـوـنـ بـزـيـدـ أـحـدـ^٢.

وـعـرـفـ عـنـهـ أـنـهـ رـغـمـ الـخـصـوـمـةـ الـعـلـمـيـةـ التـيـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ، فـإـنـهـ لـمـ يـفـصـمـ مـاـ بـيـنـهـمـاـ مـنـ عـرـىـ الصـدـاقـةـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ الـذـاـكـرـةـ، فـوـاـصـلـ

^١ الأصفهاني: مسائل العطبيين - ص 130.

^٢ نفس المصدر - ص 123.

يرى أن أحد الفريقين، إما عليا وأنصاره، أو معاوية وأهل الشام، وأصحاب الجمل، كان على خطأ، بينما يرى زيد أن عليا وأنصاره كانوا على صواب! وذاكر زيد أبا حنيفة النعمان ولم يتأثر به الأخير في فقهه، وإنما تأثر به في فضله واستقل عنده في مذهب الحنفي؟ أضف إلى ذلك أن زيد بن علي صاحب مذهب في الفقه وعلم الكلام. ففي الفقه نسب له كتاب (المجموع)، وفي علم الكلام نسب له الرأي القائل: (بإمامية المفضول مع وجود الأفضل). وقد شهد لزيد بن علي علماء أجلاء بالعلم والفضل^٤ من آل البيت ومن غيرهم من ذلك ما قاله أخوه الباقر فيه: «والله لقد أُوتَيْتِ أخْيَا^(زيد) عِلْمَ الدُّنْيَا فَاسْأَلُوهُ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا لَمْ يَعْلَمْ» و قال أيضاً: «لَقَدْ أُوتَيْتِ زَيْدًا عَلَيْنَا مِنَ الْعِلْمِ بِسْطَةً». وقال جعفر الصادق: «كَانَ زَيْدًا أَفْهَمَنَا، وَأَفْرَادًا، وَأَوْصَلَنَا لِلرَّحْمَةِ». وقال أبو إسحاق السبيبي: «لَمْ أَرْ مُثْلَ زَيْدًا، أَعْلَمُ، وَلَا أَفْضَلُ، وَلَا أَفْصَحُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ». وقال الشعبي: «مَا وَلَدَ النِّسَاءُ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدًا، وَلَا أَشْجَعُ وَلَا أَزَّهُدُ». وقال أبو حنيفة النعمان: «مَا رَأَيْتَ أَفْقَهَ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمُ». وقال ابن عبة: «مَنْاقِبُهُ أَجْلُ مِنْ أَنْ تَحْصِي، وَفَضْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوْصَفُ».^٥

وحكم زيد نفسه، قبل أن يخرج على هشام بن عبد الملك فقال: «وَالله مَا خَرَجْتُ، وَلَا قَمَتْ مَقَامِي هَذَا، حَتَّىٰ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، وَأَنْقَذْتُ الْفَرَائِضَ وَأَحْكَمْتُ الْسُّنْنَةَ، وَالْأَدَابَ، وَعَرَفْتُ التَّأْوِيلَ، كَمَا عَرَفَ التَّنْزِيلَ، وَفَهَمْتَ

^١- الشيرستاني: الملوك والتحذل: 1/249 تعليق فهيمي

^٢- أحمد بن الصراحتي: شرح الأزهر: 15/3.

أبو زهرة: الإسلام زيد ثوريه ومذهبـ ص 226.

^٣- أحمد بن بحبي العرضي: شرح الأزهر: 15/3.

الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتضاد، والخاص والعام، وما تحتاج إليه الأمة في دينها، مما لا بد منه، ولا غنى عنه، وأني نعلى ^{بینة} من ربي^١.

ويفهم من قوله هذه: أن زيد بن علي يشترط في الإمام الخارج على السلطان الجائر شروطاً منها أن يكون عالماً، مجتهداً.

(2) فصاحته، وتأثره في السامع، وهو ميزتان اتصف بهما أغلب آية آن البيت، وقد اعترف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105هـ/724م - 125هـ/743م) بتفوق هاتين الميزتين في رسالته (رسالة هشام) إلى ولده على العراق: يوسف بن عمر التقي^٢ طالباً منه طرد زيد من الكوفة، لأنه قادر على جذب الأنصار إليه بحلوته منطقه، وقدرته على صوغ الحجج الداعمة، مع ما يدلّي به من قرابة إلى رسول الله، فقام أخْلصوا في محبة آن البيت، فينادون إليه، ومما جاء في هذه الرسالة قوله هشام: فقد علمت بحال أهل الكوفة، في حبهم هذا آن البيت^٣ ووضعهم آياهم في غير موضعهم، لأنهم افترضوا على أنفسهم صاعتهم... وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد، ففصل أمير المؤمنين بينهما، ورأى رجلاً لسانه، خليقاً بتسريح الكلام وصوغه واجترار الرجل بحلوته لسانه، وبكثره مخارجه في حججه، وما يدلّي به عند لدد الخصم^٤ من السيطرة على الخصم بالقوة لحادة لنيل الفرج، فاجعل أشخاصه إلى الحجز^٥ ولا تخنه وامقام قبلك^٦ فإنه إن أغاره القوم أسماعهم، فحشاها من نين لفاظه، وحلوته منطقه، مع ما يدلّي به

١- التغزيري: الواقع والاعتراض بذكر الخطأ والأذى: 2/440.

من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم - وجدهم ميلاً إليه، غير مقتدة
قلوبهم، ولا ساكتة أحلامهم، ولا مصونة عندهم أديانهم^١.

ثم يأمره أن يكون متزفقاً به عند اخراجه من الكوفة، وأن يتجلب حقن
الدماء لا حبا فيه، وإنما محافظة على استقرار حكمه^٢.

ونظير فصاحة زيد بن علي أيضاً في خصومته حول صدقات فاطمة^٣
مع ابن عمه جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فكان زيد يدافع عن
بني الحسين، وجعفر يدافع عن بني الحسن، وكان يبالغان في الخصومة كل
مبلغ ثم يقولان فلا يعيان مما بينهما حرف^٤. مما يدل على أن الخصومة
بينهما كانت أثيرة يحرسان فيها على صيانة علاقة القرابة بينهما.

ولما مات جعفر بن الحسن خصم زيد قال أخوه عبد الله: من يكفيها
زيداً قال حسن بن حسن (بن علي بن أبي طالب) أى أكفيكه. قال: كلاً إذا
نخاف لسانك ويدك ولكنني أنا قال: إذن لا تبلغ حاجتك وحاجتك قال: أما
حاجتي فسأبلغها واقتصر عبد الله مع زيد ميدان الجدل في هذه الخصومة،
فكانا يتنازعان درر البلاغة والذans من حولهما يدونون عنهمما أقوالهما
لتأثيرها في السامع بحسن سبكها^٥ ومن ذلك ندرك فصاحة زيد بن علي
وقوة حججه، إذ بمجرد موت جعفر بن الحسن، اجتمع الإخوة لاختيار من
ينوبهم في خصومة زيد ابن عمهم، ولما عرض الحسن نفسه ليقوم بهذه
المهمة قال له عبد الله: إنما نخاف لسانك ويدك، مما يفهم منه أن الحسن كان

^١- الطبراني: تاريخ الأمم والأنواع: 265/8 - المطبعة الحسينية المصرية

^٢- نفس المصدر ونفس الصفحة

^٣- نفس المصدر: 262/8.

^٤- نفس المصدر ونفس الصفحة.

لادعا مع خصومة، يشتمهم، ويسبهم، وإذا اشت النزاع ربما يمد يده لخصمه بالضرب، والجدل لا يقتضي هذا، وإنما يتطلب رجلاً فصيحاً، عارفاً بالختار الكلمة المناسبة لمعنى المناسب، ولا يسب خصمه أو يضره، وإنما يقرعه بحججه الدامغة دونما مساس بكرامته، أو عيبه الخفي، فيكون الانتصار للحق وللحجة، لا انتصار سب، ولعن، ونبيل أعراض، يلتجيء إليه العبي، ومن تعوزه الحجة، أو يلتجيء إليه صاحب السلطة الظالم إذا وجاه خصماً أنه من الرعيبة لا حول ولا قوة إلا في حقه الواضح، وضوح الشمس في رابعة النهار، مثلاً فعل هشام بن عبد الملك عندما أهان زيداً بأمه السندية، متهمًا إياه بطلب الخلقة والسعى ورآهها^١.

ورغم ما أخذه عبد الله من الحسن على نفسه، عندما تقدم على أخيه الحسن، من التزام الجدل الحق في خصومة زيد، فقد انزليق إلى مستوى انساب والشتم، وتوجيه الإهانة للأخرين بأمه السندية أيضًا^٢. ورغم ما كانوا يتبعان فيه من الخصومة، فقد كانوا ينهضان بعد ذلك، وكان شيئاً لم يكن بينهما، فيسرع عبد الله إلى ذابة زيد مسكاً بها، مساعدًا إياه على الزرائب، وفي هذا قال صاحب (مقابل الطالبين): كأن بين زيد بن علي وعبد الله بن الحسن مناظرة في صدقات على، فكانتا يتحاكمان إلى قاضٍ من القضاة، فإذا قاما من عنده، أسرع عبد الله إلى ذابة زيد، فأمسك له بالركاب^٣. وروي ما سبق

^١ البغوي: التزريح الكبير : 56/3.

- الطبراني: تاريخ الأئمّة والمطون: 263/3 المطبعة التجينية "مصرية"

^٢ - ثعري: تاريخ الأئمّة والمطون: 262/3 وانظر ابن الأثير: التزريح الكامل 5/85 وبذيله

مروج الأدب السعودي

^٣ - الأصفهاني: مقابل الطالبين - ص 129.

أيضاً عن عبد الله بن جرير¹ في موضع آخر يؤكد فيه منزلة زيد بين آل البيت، واحترام جعفر الصادق له فقال: رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد بن علي بالركاب، ويسمى ثيابه على السرج².

(3) كان زيد بن علي ملائلاً لدينه، فهو حليف القرآن³، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁴ عملاً بقوله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُنَّا إِلَيْكُمْ تَمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاكُونَ عَنِ الْمَنْكَرِ، وَتَوْمَنُونَ بِإِلَهٌٍٖ»⁵. وهو الذي طرح ثوب التقية جانبها، وواجه بنى أمية بالسيف لظلمهم الرعيبة⁶ حتى استشهد في سبيل الحق، وهو العابد الذي تظهر على جبهته سمة السجود خفيفة، وقد ذكر الأصفهاني⁷ رواه عن محمد بن الفرات قال: رأيت زيد بن علي، وقد أثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً⁸ لا أثراً متعمداً لحاجة في النفس، كما يفعل بعضهم قديماً وحديثاً⁹.

¹ نفس المصدر - ص 129.

² نفس المصدر - ص 130.

³ سورة آل عمران: الآية 110.

⁴ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين - ص 129.

⁵ يعتمد بعض المتنبيين قدماً وحديثاً وضع العفاف (و الثوم على الجبهة، و حكمها على مكان السجود، وبذاته لا تبعد)، وإنما لا يظهر سمة السجود أبداً الغير، لحاجة في نفس يعقوب، وتنطبق عليهم الآية القرآنية أثواردة في هذا المعنى، ففيبدو العلامة أحباباً مشوهـة فيها أثر المصنعة البشرية، والعلاقة الطبيعية هي التي تظهر خفيفـة كـأـجهـاءـ في قوله تعالى: «مُحَمَّـدـ رَسُولُ اللَّـهـ، وَالَّـذـيـ مـعـهـ أـشـدـاءـ عـلـىـ الـكـافـارـ رـحـمـاءـ بـيـنـهـمـ، نـزـاـهـمـ رـكـعاـ سـجـداـ يـسـعـونـ فـضـلـاـ مـنـ اللـهـ وـرـضـوـاـ، سـيـمـاـهـمـ فـيـ وـجـوـهـهـمـ مـنـ أـثـرـ السـجـودـ ذـلـكـ مـثـلـهـمـ فـيـ اـثـوارـهـ وـمـثـلـهـمـ فـيـ الإـنجـيلـ، كـزـرـعـ أـخـرـجـ سـطـاهـ فـأـرـرـهـ فـاسـغـلـظـ فـلـسـتوـىـ عـلـىـ سـوـقـهـ يـعـجـبـ الزـرـاعـ لـيـغـنـظـ بـهـمـ الـكـافـارـ؛ وـعـدـ اللـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـعـصـلـواـ الصـالـحـاتـ مـنـهـمـ مـغـفـرـةـ وـأـجـرـاـ عـظـيمـ سـوـرـةـ الـفـتحـ:ـ الآـيـةـ 29ـ».

والي جانب ذلك كان زيد بن علي منتهياً عن المعاصي، لم يهتك الله ^{لله}
 محرماً طيلة حياته ¹ وقد روى أبو قرة فقال: خرجت مع زيد بن علي ليلاً إلى
 الجبان، وهو مرخى البدن لا شيء معه، فقال لي: يا أبا قرة أجائوك ؟
 قلت نعم. فناولني كمثراة منه الكف، ما أدرى، أريحها أطيب، أم طعمها ؟
 ثم قال لي: يا أبا قرة أنتري أين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة
 نحن عند قبر أمير المؤمنين علي، ثم قال: يا أبا قرة، والذي يعلم ما تحت
 وزيد زيد بن علي، أن زيد بن علي لم يهتك الله محرماً، منذ عرف يمينه من
 شمله، يا أبا قرة أنتري أين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة نحن
 عند قبر أمير المؤمنين علي، ثم قال: يا أبا قرة، والذي يعلم ما تحت وزيد
 زيد بن علي، أن زيد بن علي لم يهتك الله محرماً، منذ عرف يمينه من
 شمله، يا أبا قرة، من أطاع الله، أطاعه ما خلق ¹.

وكان زيد من الذين تذوب أنفسهم حباً في الله، ويغشى عليه عند ذكره
 حتى يدخل الحاضرين الشك ؟ هل هو حي أم ميت ؟ من ذلك ما رواه عنه
 عاصم بن عبيد الله العمري، قال: أرأيته بالمدينة وهو شاب يذكر الله عنده
 فيغشى عليه، حتى يقول القاتل ما يرجع إلى الدنيا ².

وإذا علمنا أن المرجنة وأهل الشك لا يعدلون بزيد أحداً ³ ادركنا أنه
 كان يرى رأي مرجنه أهل السنة ومنهم أبو حنيفة النعمان - في مركب

- الأصفهاني: مسائل الحنفيين - ص 128، والذكرار ورد في الأحصل وليس بهم ¹

² نفس المصدر ونفس الصفحة

³ نفس المصدر ونفس الصفحة - أبو زهرة: الإمام زيد، ثورته ومذهبه: ص 23.

الكبيرة، حيث أرجوا أمره إلى الله، لا مرجه البدعة الذين أطمعوا الفساق
في عفو الله. *اما الخواج فقد كفر بالكبيرة والادعى الله بعلمه في المغول ليس المرتبطين بهم كارو ولا يتوسلون*

(4) إن كل الذين يتزعمون القيادات السياسية أو العسكرية، لابد أن تكون لهم قوة فراسة لشم الأمور وإدراكها قبل وقوعها. وقد يصدق حدتهم فيما توقعوا، فيزدادون عظمة في نفوس أتباعهم، وقد لا يصدق ولكن لا يحيط من مكانتهم في نفوس أتباعهم، باعتباره قد يتسبب في خسارة معركة تنمية، وما دامت النية سليمة فخسارة معركة لا يعني خسارة الحرب من أجل المبادئ الصادقة.

وتكون الفراسة من:

أ) قوة العقل

ب) وكثرة التجارب

ج) وقوة الإحساس

وقد اجتمعت هذه الصفات في زيد بن علي فهو يمتاز بعمق الفكر، وقوة التأمل، ولذكاء الحاد، وهي صفات طبيعية ورثها عن أمه السنديّة وعرف بها الهنود.

وورث عن آل أبيه العلم والاستقصاء والتقوى والعمل الصالح. ومن ذلك ما أدركه بفراسته عندما تخاذل عنه أهل الكوفة بعد أن بايعه منهم خمسة عشر ألفاً وقيل أربعون ألفاً، فقرر أنها حسينية^١ ويعني أن مأساة جده الحسين ستكرر معه. ولكن لماذا لم يدرك ذلك بالفراسة والتجربة قبل المعركة؟

^١ - العطيري: تاريخ الأمم والمملوك: 501/5 مطبعة الأستانة بالفاهرة - المرتضى: مترجم الأزهر: 15/3.

خاصة وهو يعلم طبيعة الكوفيين في نكث العهود، وأنهم سيخلُون عنه كما فعلوا مع جده علي وجده الحسين، وقد نصحه أقرباؤه بعدم التعويل عليهم، والذي يبدو جواباً عن هذا السؤال أنه كان مضطراً إلى محاربة هشام بن عبد الملك نتيجة إحساسه داخلي لا يشعر به إلا العظماء والقادة الروحيون، ومن ذلك ما رواه تلميذه سفيان بن السسط عن جعفر الصادق أن الإمام زيداً لم يخرج لجهة هشام إلا بعد أن رأى في المنام محمد - صلى الله عليه وسلم - يقول له: يا زيد جاهد هشاماً ولو بنفسك! وقد أدرك زيد بفراسته أيضاً حال اجتماعه بهشام، وإدانة الأخير له، لأنَّه بلغه أنه يذكر الخلافة ويتمناها بالرغم من كونه ابن أمِّه، أدرك بفراسته أنه يضرُّ نَفْسَه شرًّا، وأنَّه لا محالة قاتله غدرًا وسَكِّيَّة على عادتهم في تصفيَّة خصوصهم الذين يتوقفون ثروتهم يوماً لِوَزْتَهْرَ ماء، فقرر أن يموت بشرف خير له من أن يموت جباناً، ومن يدرِّي! فلعله ينتصر، وتزول دولة الظلم، وتقوم دولة العدل، وقد قال الشاعر المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بد،
فمن العجز أن تكون جباناً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فييمان زيد بميئته، جعله يقدِّم على المعركة بقطع النظر عن نتائجها، وهو يريد كجده الحسين أن يرضي ربِّه باستشهاده، ولو لم يبلغ مراده. تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذلك عذر أبو حنيفة خروج زيد في قلة من أتباعه وهم على صواب، على كثرة من أهل الشام وهم على خطأ، كخروج جده محمد في قلة من

¹ المتنبي: الديوان - ص 278 - أبو زهرة - قسم زيد - ص 226.

أصحابه يوم بدر على كفر قريش: "خروجه يضاهي خروج رسول الله -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم بدر".

5) كان زيد بن علي صبوراً، مصابراً فقد تحمل مخاطبة هشام بن عبد الملك: بـ"يا أمير المؤمنين"! وعندما أدرك أن بني أمية استغلوا خصومه مع ابن عميه عبد الله بن الحسن حول صدقات فاطمة لزيادة شقة الخلاف بين آل البيت قال للأخير: "لا تعجل يا أبا محمد"². أعتق زيد ما يملك أن خاصمك إلى خالد أبداً! ثم انتفت إلى والي المدينة قائلاً: يا خالد لقد جمعتنا على شيء لم يكن يجمعنا عليه أبو بكر ولا عمر فاغتاظ الوالي وخاطب الحاضرين: من لهذا السفيه؟ فتعرض أنصاري لزيد بالشتيمة قائلاً: يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه! أما ترى لوال عليك حرمة؟ فصبر زيد ولم يزد على أن قال له: "مثلي لا يردد على متنك!"

فقال الأنصاري: "والله إني لخير منك نفساً وأبا وأما". فتضاحك زيد وهو في أوج غليانه الداخلي - وذلك عن علامه صبره - وقال: "يا معشر قريش. هذا الدين قد ذهب، أذهب الأحساب؟ فوالله إنه ليذهب دين القوم، وما نذهب أحسابهم؟" ففرد أحد أحفاد عمر بن الخطاب اسميه عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد أخذته الحمية للدفاع عن زيد - وقال: "والله لزيد خير منك نفساً وأبا وأما".

1- مناقب أبي حنيفة المكي: 1/260، 261 وانظر: أبو زهرة: الإمام زيد ص 60.

2- هو عبد الله بن الحسن، أبو محمد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفن الزكية قتله المنصور سنة (145هـ/763).

وتناوله بكلام كثير، ثم أخذ كفًا من حصباء، وضرب به الأرض
 غاضباً وقال: 'والله ما نأى على هذا من صبرٍ'^١. وقد يذكرنا موقف حفيد عسر
 بن الخطاب^٢ مناصراً لزيد بغضبات جده عسر في الحق، وكيف كان الرسول
 يقابلها بالصبر والهدوء، حتى يقنعه بما فيه خير الإسلام. ولا غرابة بعد هذا
 أن نجد زيد بن علي صبراً خاصة إذا علمنا أنه نقش على خاتمه الحكمة
 الثانية: الصبر توجر، وثُقّ تتعج^٣. أضعف إلى ذلك فنه منخرج من مدارس دليل
 ضربت أروع الأمثلة في الصبر: مدرسة جده محمد^٤ ومدرسة جده علي^٥
 ومدرسة جده الحسين^٦... فمحمد صبر وصبر مع الكفار والمذاقين من فريش
 وأهل الكتاب ولم يدع عليهم، بن دعا لهم قائلاً: "اللهم إهد قومي فإنهم لا
 يعلمون". أما جده علي فقد صبر على مدى ثلاثة خلفاء، بابعهم، وصلى
 خلفهم، وأفتقى لهم، ولم يرفع سيفاً إلا لما علم أن خصميه معاوية قد حاد عن
 الصواب، وطلب الدنيا بسعيه وراء الخلافة^٧. أما يوم عين عبد الرحمن بن
 عوف^٨ عثمان بن عفان^٩ خليفة من بين سنة الشورى، وكان هو ضئيلهم، يرى
 نفسه أولى بها، ويرى رأيه بقيمة السنة عداقتة، لم يزد على أن قال: "ليس
 هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما
 تصفون"^{١٠}. لأنك كان يظن مع آل البيت أن لهم في أمر الخلافة تصيباً^{١١}. وبين
 هذا وذاك فقد ثبت له أقوال مأثورة في الصبر ومنها: "إن صبرت نفذ أمر

١ - الطبرى: تاريخ الأمم والسلوٰت: 262/8، 263.

٢ - الأصفهانى: مدخل الطالبین - ص 132.

٣ - ابن الأثير: الكامل في التاریخ: 3/35 وبه منه تاریخ الوذعى

- الحافظ بن كثير: البداية والنهاية: 5/286.

الله وأنت مأجور ، وإن لم تنصير نفذ أمر الله وأنت موزور^١ . ويتجلى صبر جده الحسين في دخوله المعركة في قلة من آل البيت^٢ ضد كثرة من جنود الشام فصبر واستشهد في سبيل الحق .

(٦) ومن أهم صفات زيد بن علي التي أهلته للثورة شجاعته، فقد بايده خمسة عشر ألفاً، وقيل أربعون ألف مقاتل، وحلفوا له بالإيمان المغلظة أن ينصروه، ولما حان موعد الحرب لم يجد منهم إلا مائتين وثمانين عشر رجلاً، فقال زيد: سُبْحَانَ اللَّهِ أَكْبَرُ أَيْنَ النَّاسُ؟ فقيل له: محصورون. فقال: لا والله، ما هذا لمن بايعنا من عذر^٣ وهي في الواقع مكيدة دبرها والتي العراق يوسف بن عمر التقي، بأن حصر الكوفيين في المسجد حتى لا يتمكنوا من القتال مع زيد في الموعد المحدد. ومع ذلك فقد دفعته شجاعته لدخول إلى المعركة بهذا العدد الصغير من المقاتلين، أضف إلى ذلك أن بعض مبايعيه من الكوفيين، تعمدوا حصر أنفسهم في المسجد، متظاهرين بأنهم أجبروا على ذلك لأنهم نكروا بيعة زيد بن علي بسبب تولييه الشيفين أبا بكر وعمر^٤ ~~وأبا عبيدة~~
^(في الحسين) من الشيعة الروافض العلامة الذين كفروا الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، فلما لم يوافقهم زيد فيما ذهبوا إليه، تخروا عنه.

ويذكر الطبرى مثلاً تراجع أحد هؤلاء في بيعته لزيد بن علي، ونعلم أنه القادة لأنه لا يمكن أن يتصل زعيم أية ثورة بأربعين ألفاً، أو حتى بخمسة عشر ألفاً، وإذا تراجع القادة، فيعني ذلك أن جنودهم لم يكونوا في المعركة، ولذا أن نتصور الحالة النفسية التي يكون عليها زعيم الثورة كزيد

١- أبو زهرة: الإمام زيد - ثورته ومذهبها - ص 94.

٢- الطبرى: تاريخ الأمم والسلوک: 498/5 - مطبعة الاستقامة بالقاهرة

في هذه الظروف، ويذكر الطبرى هذه الحادثة فيقول: «وانتهى زيد بن علي إلى باب من دار رجل من الأزد يقال له: أنس بن عمرو، وكان فيمن بايعه، فنودي وهو في الدار، فجعل لا يجيب، فناداه زيد: يا أنس اخرج إلى رحمة الله. فقد جاء الحق وزهرق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخنفكم! قد فعلتموها، الله حسيبكم^١.»

ورغم تخلي هذا العدد الضخم عن بيته لزيد بن علي، ورغم الحالة النفسية السيئة التي كان عليها، فقد عزم على مواصلة الثورة لأن الخليفة هشاما إذا كان سابقاً بنوي قتله غداً لأنه تمنى الخلافة وحدث نفسه بها^٢ - حسبيماً بنعمه - فإنه الآن سيفته حتماً بالغدر أو بالعلن^٣ فخروجه أصبح حديث الناس وخاصة آل البيت، وستظهر قضية أولويتهم بالخلافة، بعد أن حذروا وأدّها في المسجد.

ورغم كل ذلك فقد مضى زيد في عده القليل^٤ إلى (جبانة الصائدين) بتلكوفة، فحمل على جماعة من أهل الشام فكشفهم وهزمهم وعدهم خمسين مقاتل مدربين على قمع الثورات، ثم حمل على جماعة أخرى في (كتامة الكوفة) فهزّهم أيضاً، وكان جل الذين شتبوا معه في المعركة ولم يخونوه، من الفقهاء والقراء الذين آتوا على أنفسهم أن يفوا ببيته، وعدم تراجع زيد -

^١- نفس المصدر: 500/5.

^٢- البعضى: التزير الكبير: 56/3.

- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 263/8 - المطبعة الحسينية المصرية

- النسعودى: مزوح الذهب: 218/1.

^٤- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 500/5 مطبعة الإسكندرية بالقاهرة.

بها العدد القليل - عن قتال الأمويين، - رغم كل الظروف الصعبة التي

مرت به - يدل على شجاعته. *لأن شهادته في المعركة، أدخلتني الخليفة، فشان من عبد الملك أفرزandom لحالاتي*

7) صفات زيد بن علي المذكورة سابقاً، والتي أهلته لقيادة الثورة

والخروج علىبني أمية هي صفات مكتسبة بما فيها صفة الفراسة لأنها

تشتمل على عذاصر وراثية وعداصر مكتسبة، مثل كثرة التجارب ولا تحصل

إلا بالعمل والإقدام، وعدم الخوف من الفشل، وكان إلى جانب صفاتة الخلقة

هذه نه صفات خلقية ساعدته على حب الناس له، وقيادة ثورة، وأهمها:

صباحة وجهه وهي الوسامة وحسن التفاطيع، وتناسق الخلقة البشرية، وهي

صفات تجعل الناظر لا يمل من النظر إلى أصحابها، ويشعر نحوه بمحبة

ويميل إلى مجالسته، ويطعنه، ويلبي طلباته في أغنى الأحيان. وهذه الصفات

الموهبة من المولى، ونورجل
الفطرية تعتبر من مكملات الشخصية لا حتى أن بعض الحكام قدّما وحدّياً

يحاوّلون في اختيار وزرائهم الجمّع بين الكفاءة، والصفات الخلقية الطيبة، *للفضيلة للجمالية والمروءة والخلوّة والعدّة والوراثة*

عدا البعض من الوزراء الذين *كسبوا شخصياتهم بأعمالهم العظيمة أو بعلمهم* *أخلصوا*

أولى الوراثة *بعده* في قرميهم أو ذوى الإنسانية قاطبة، فيحترمهم قومهم رغم *نقاصهم الخلقي أو*

رغم *نقاصهم المتواضع أو الشعبي*، ^١ بينما العامة من الناس تسعى إلى

الظهور في زعي لائق أمام الغير من أجل تكوين شخصية محترمة.

١- فمن يذكر مثلاً أن هشام بن عبد الملك الذي تولى الخلافة مدة عشرين سنة (105هـ-

125هـ) كان محترماً، وبشّر عليه شخصية وقيادة رغم حوكمه (الطبراني: تاريخ الأمم والملوک:

252/8 - المطبعة الحسينية المصرية، *للتسلق بمعراجاته العنكبي* *عليها*

- ومن يذكر أيضاً أن الزعيم اليهودي المعاصر: (شاندي) كان يتمتع بشخصية نفاذة، جعلت شعبه

ينفذ إليه بصناعة عجيبة في كفاحه الديلمي، رغم غطرسة الاستعمار الأنگليزي، ورغم نباس

شاندي الشعبي المتواضع، وهو عبارة عن ازار يغطي جزءاً من جسم ذاته ويزرك البقى

شارباً، وتو ظهر غير شاندي بهذا الالبس ل تعرض إلى سخرية الناس، واهتزاز كبير في

شخصيته. *ونعاسته إذا كان بين ولاة أو من المشهورين*

وعلى كل فصاحة وجه زيد بن علي جعلته محبوبا، ومانوسا إليه، وقد ذكر الأصفهاني هذه الصفة فقال: لكتت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه^١. ولذلك نجد فرقة زيدية هي فرقة الصالحية والبترية تشرط في الإمام صباحة الوجه إلى جانب شروط أخرى^٢.

(8) وإلى جانب صباحة وجهه - أحدى صفاته الخلقية - كان زيد بن علي بدينا وهي الصفة المبالغة على أهل البيت نتيجة إغراق الأمويين عليهم الأموال، وسعدهم من المشاركة في الحياة العملية كتدبر شؤون انسانية، وقيادة الجنود، أو حتى الدخول إلى الجيش والقتال معه بصفة جندي بسيط، لأنهم لا يتقوون فيهم، ولذلك اجتمع لدى آل البيت المال والفراغ، ولقربهم من عهد الرسول وتدبرهم لم ينغمسو في فساد يملؤون به أوقاتهم كما يفعل غيرهم عذرا، وإنما انكروا على أنفسهم ياعملون بر غد العيش، وينكبون على العمل فكن أغلبهم علماء شهورين، وذوي أجسام بدينة، ومنقطعين للعبادة، وبدانة زيد هذه دلت على شجاعته، لأنها لم تعقه عن قيادة المعركة، والإنتصار على جنود الشام في معركة (جبلة الصاندين)، و(كناية الكوفة)^٣ بالرغم من كون البدانة تعيق صاحبيها، في العادة عن سرعة الحركة، لأن المطلوب من القادة الذين يديرون المعرك عملياً وفكرياً أن يكونوا رشيقين للأجسام، أما القادة الذين يديرون المعرك داخل مراكز القيادة فلا يتتوفر فيهم ذلك لأنهم يتربثون من قلة الحركة وانشاط.

١- الأصفهاني: مقاييس الطالبين - ص 127.

الشيرازاني: العلل والنحو: ١/٢١٧ ذيلاً لكتاب ابن حرم الفصل

٢- تاريخ الصدر: ٥٠٥/٥ مطبعة الاستثناء بالقاهرة.

وقد روى عن بدانة زيد ما يلي: «ما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك أعلمك حاجبه، فرقى هشام إلى علية ثم أذن له، وأمر خادماً أن يتبعه، قال: لا يرِينَك واسمع ما يقول». قال: فاتبعته الدرجة، وكان بادنا، فوقف في بعضها، فقال: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل^١.

وهذاك أسباب أخرى خارجة عن ذات زيد^٢ ومتصلة بنظام الحكم الأموي، ساعدته على جلب مزيد من الناقمين ضد الدولة الأموية، وضد الخليفة هشام بن عبد الملك، فتقدموه لمبايعته بأعداد وفيرة بلغت أربعين ألفاً أو خمسة عشر ألفاً^٣ ولكنها أعداد لم تجده نفعاً، تخليهم عنه في ساعة العسرة. وعلى كل فلا يهمنا تخليهم عنه، بقدر ما تهمنا الأسباب التي دفعتهم إلى التفكير في الثورة علىبني أمية، واختيارهم لشخص زيد كقائد لهذه الثورة، نظراً لظروفه الحرجة بسبب انتقامه إلى آل البيت^٤ الذين كانوا دوماً هدف النظام القائم، فتعرضوا إلى^٥ الشتى أنواع المضايقات، وخاصة من اشتهر منهم، وأعلن^٦ أراءه جريئة ضدتهم من حين لآخر كزيد بن علي، ومن أهم هذه الأسباب التي تتصل بعصر زيد، وفرضت عليه الخروج علىبني أمية، نجد متناقضات عديدة كان يتباطط فيها ذلك المجتمع، من ظلم ومحاباة، وتهانك، ومجون، واستخفاف بالدين، والمبادئ ومن بين ذلك نذكر ما يلي:

(١) الأسباب الاقتصادية ونقصر فيها على ذكر محاباةبني أمية الشاميين^٧ على العراقيين، وذلك أمر طبيعي بالنسبة إليهم^٨ لأن أهل الشام هم

١- نفس المصدر: 263/8 - ابن الأثير: تاريخ الكامل: 85/5.

٢- الطبراني: تاريخ الأمم وشلوك: 264/8، المطبعة الحسينية المصرية 499/5 مطبعة المؤسسة بتقاهرة.

الذين قامت على أكتافهم الدولة الأموية، ولذلك أجزل لهم بنو أمية العطايا،
فكان أعطياتهم تفوق أعطيات العراقيين عامة، أما من ثبتت صدتهم نهمة
المشائعة لعلي وأل البيت من العراقيين وغيرهم، فقد حرمونهم ذلك
الأعطيات، وأذاقواهم أثوانا من العذاب، وربما القتل، حتى أصبحت تصفيه
الحسابات بين المتناحدين من أجل أغراض شخصية، يلجؤون فيها إلى
الصاق نهمة التشيع لأن البيت ببعضهم البعض صدقاً وكذباً.

أضف إلى ذلك أن معاوية بن أبي سفيان نقل عاصمة الخلافة من
الكوفة - زمن علي - إلى دمشق في عهده، وفي هذا ما فيه من ازدهار
اقتصادي لعاصمة الجديدة، وكساد لعاصمة القديمة، كان العراقيون يشعرون
بنخوة لأن الإمام علياً تربع على عرش الخلافة الإسلامية الزراشدة بالكوفة،
بعدما كانت مدينة الرسول ^{صل}_{صل} عاصمة لها، ومثلاً ناصر الأول والخرزاج
^{صل}_{صل}، ^{صل}_{صل} محمد ناصر ابن عمّه وصهره عليه، وبعد ما كان العراقيون متبعين،
أصبحوا تابعين، وزاد بنو أمية الطين بلة فأثقلوا كاهلهم بالضرائب كانتقام
منهم لتشييعهم لأن البيوت، ومتصرتهم ثورة يزيد بن المهلب في عهد الخليفة
يزيد بن عبد الملك (101هـ/720م - 105هـ/724م). وارتفاع الضرائب
مع غلاء الأسعار الفاحش يؤذيان حتى إلى التسلل، وربما إلى التورّة على
النظام القائم، وقد صرّح بذلك والي هشام على العراق خالد القسري
(100هـ/738م - 120هـ/791م) فانلا في إحدى خطبه: ترعنون أني أغلق
أسعاركم، فعلى من يغليها لعنة الله ^{صل}_{صل} وبقصد بعنته هذه هشام بن عبد الملك

١- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 253/8، 255 المطبعة الحسينية المصرية

- ابن الأثير: التاریخ: 82/5، 87.

تورثة الذي ملك ضياعاً كثيرة خصبة في أرض العراق، وأمر خالداً أن يزرع فيها
~~البيادر واللوزيات والتينيات والزبيب والمشمش واللوزيات واللوزيات والمشمش~~
 الباكورات، ويعرضها للبيع قبل إنتاج الوالي نفسه، وقبل إنتاج الفلاحين
 العراقيين عموماً، قاتلاً له: "لا تبيع من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير
 المؤمنين"^١ فأصبحت بذلك الأسعار الغذائية مرتفعة، وهذه إحدى الأسباب
 التي عجلت بعزل هشام لخالد القسري عن ولاية العراق، لأنه يزاحم الخليفة
 بضياعه الفلاحية، وبإنتاجه الكثير المعروض في الأسواق، ^٢ ثم هو يعرض
 بهشام في لعنته السابقة، والتي لم تغب عنه، أو لم تغب عن عيونه المنتشرة
 هنا وهناك. وكلاهما كان في نظر العامة محتكراً للإنتاج الغذائي^٣ والأسواق، والابتزاز.
 أضف إلى ذلك أن الوالي خالداً القسري يسعى دائماً إلى أن يثير
 بشتى الوسائل، فتراه مثلاً يحاول أن يجعل وكلاء ضياع هشام الفلاحية تحت
 نفوذه، ليستقي بعض عائداتها لنفسه، ويوقع بمن لا يلبث رغبته منهم لدى
 الخليفة بكل التهم الملفقة، ويولي منهم من يشاء، ويعزل من يشاء، مما دفعهم
 إلى الانتقام منه بأسلوبه - لدى هشام - فلأغروا صدره عليه مهولين ثراءه
 إلى ثراء فاحش، مما أدى بال الخليفة إلى عزل خالداً في نهاية المطاف، وتعويضه **الأمر**
 بواه آخر هو يوسف بن عمر التقي، الذي لم يشد هو الآخر عن التسلط على
 رقاب الرعية، والابتزاز أموالها^٤ في أرض كالعراق عرفت بخصوصيتها على

١- الأصفهاني: الأشجاعي: 5/22 - 37.

٢- الطبراني: تاريخ الأمم والملوك: 8/249. المطبعة الحسينية المصرية

٣- نفس المصدر ونفس الصفحة

٤- أحمد بن حبيبي المرتضى: شرح الأزهار: 3/15 وانظر ابن الأثير: التاريخ الكامل: 5/86-

من التاريخ، ومن ذلك تشبيه الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمي (530م - 627م) عوائب الحرب الوخيمة بكثرة انتاج سهول العراق لأهلها فقال:

فَتَغْلِيلُكُمْ مَا لَا تَغْلِيلٌ لِأَهْلِنَّا
فَرَى بِالْعَرَاقِ مِنْ قَعْدَرٍ وَدَرَّهُمْ^أ.

(2) نصيف إلى الأسباب الاقتصادية في فساد الحكم الأموي / أسباب اجتماعية، تتمثل في العصبيات القبلية التي عادت من جديد، لأن شخصية الرسون كانت قوية ونفاذة، كما كانت سيسته المرنة مع القبائل المتطاحنة التي دخلت إلى الإسلام سبباً في انحصار العصبيات القبلية كلها أو جلها، أو على الأقل خمودها؟ وكان لظهور الإسلام في بني هاشم، ومنهم النبي محمد

أن حسدتهم بنو أمية، فعارضوا الدين الجديد، لأنه سيرفع من شأن منافسיהם - حسب رأيهم - وجاء فتح مكة سنة (630هـ) فوضع حداً لذلك الصراع

العنيف الذي كان يدور بين بني هاشم وبني أمية، فنادي المنادي بأمر الرسول: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن،

ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، وإن ذلك لم تظهر الخلافات القبلية في عهد

الرسول ولا في عهد الشيوخين، إذ أن كلاً من أبي بكر وعمر لا ينتهي إلى

عائلة بني هاشم، أو بني أمية كما استعمل كل منهما العائلتين في الأعمال

المختلفة على النحو الذي سار عليه الرسول، فلم يحاب هاشمي على أموي،

أو أموي على هاشمي، وكذلك كان الشأن مع بقية القبائل العربية، وظهرت

بوادر الصراع القبلي بمقتل عمر بن الخطاب^أ وبمبايعة عثمان بن عفان^أ

بالخلافة سنة (35هـ/644م)، واستمر إلى سنة (656هـ/23هـ)، وكان

رضي الله عنه لينا مع المسلمين عامة ومع أقربه خاصة مولعا بالآخرين،

^أ - زهير بن أبي سلمي: الديوان: ص 83، المجلدة -

يغدق عليهم الهدايا والمناصب، فمستشاره هو مروان بن الحكم^١ ووالى مصر عبد الله بن أبي سرح (25هـ/646م - 35هـ/656م)، وهذا ما كان متوفقاً من تسلط الأمويين على رقاب الناس، وخاصة في سنواته الست الثانية، ولما كان يلام على محاباته بني أمية عَلَيْهِمْ سَلَامٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ كان يرد بأنه لا يحابي، وإنما هو يكرم ذوي قرباء كما جاء في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة، ولذلك فهو يرى أنه لو كانت مفاتيح الجنة بيده لفتحها على مصراعيها ليدخل بنو أمية على بكرة أبيهم.

ولما انتقل الحكم إلى بني أمية، وبالخصوص في عهد الخليفة عبد الملك^٢ وفي عهد ابنه هشام، بلغت الصراعات القبلية أوجها، إذ قضى الأمويون على ثورة يزيد بن المهلب التي قامت (سنة 102هـ/721م) طمعاً في الخلافة، كما قصوا عليه وعلى أسرته، وجيء بنساء المهلب فحبسن في دمشق وعرضن للبيع، وهو محرّم في الإسلام^٣ ومخالفة لتقاليد العربية إذ لا يجوز استرقاق الحرّ. وهكذا ضرب الأمويون خدمة آل المهلب لهم لتركيز ملكهم، عرض الحافظ، بالأمس القريب كان المهلب بن أبي صفرة قائد الأمويين في القضاء على الخوارج، وإجلاء البعض منهم، وكسر شوكة البعض الآخر، ذلة بالسيف، وتارة بالمكر والخداعة، والليوم تباع نساؤه الحرائر في سوق الرقيق، ولما كان آل المهلب يمانيين من قبيلة أزد، فقد انضم إليهم في ثورة يزيد بن المهلب قبائل ربيعة وتميم، وكل من كان يمانياً لأن ولاة بني أمية كانوا فيسيسين ضد اليمانيين.

١- الطبراني: تاريخ الأمم والملوك: 5/125 المطبعة الحسينية المصرية.

وقد ضرب مسلمة بن عبد الملك رقاب عدد غير قليل من الأسرى، وكان من نتيجة ذلك أن توترت العلاقات بين هذه القبائل وبين الأمويين، وبين هذه القبائل بعضها البعض، ولم يجن الأمويون من كل ذلك إلا الحقد الذي ظهرت آثاره في ثورة خراسان على الحكم الأموي. وجاء هشام بن عبد الملك إلى الحكم ليترسّع على عرش قائم على التطاوين القبلي والغوضي والأضطرابات، فبدلاً من أن يتبع سياسة حكيمة تخفف من هذه التنعرات العصبية، ارتكب خطأ فادحاً بعزله عمر بن هبيرة عن ولاية العراق (سنة 105هـ/724م)، وتعيين خالد القسري عليها وهو من قبيلة بجينة، ولما كان عمر بن هبيرة قيسياً فقد أصبحت القبائل القبيبة مع القبائل اليمانية، ومن معها من ربعة وتميم وغيرهم... ضد الدولة الأموية، أضعف إلى ذلك أن بعض هشام لقبائل اليمانية، جعله يواجه مشكلة اتحادها ضده، وسلك هشام أيضًا سياسة التعيين والعزل بين ولاة إفريقية والأندلس، مما أثار القبائل - المعين منها الوالي، أو المعزول عنها - على بعضها البعض، وكانت غاية من وراء ذلك هي: (إن لم تشغل العامة شغلوك)، ثم أنه كان يسعى إلى جمع المال من الإمبراطورية الإسلامية الممتدة الأطراف، والوالي الذي يبعث بالهدايا وبالجزية والخراج أكثر من غيره يضمن لنفسه الاستمرار في وظيفته، أو يعزل فيعين غيره، والوالي الجديد يدرك ما هي الشروط التي تتضمن له الاستمرار في إمارته، من ذلك أن بشر بن صفوان عامل المغرب، لما وني هشام، بعث إليه بأموال عظام، وهدايا فاقرأه هشام على إفريقية، فلم يزل بها حتى مات، فلما مات بشر بن صفوان ولد هشام إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن القسي، ولم يزل بها، فأغزى الناس في البحر فغنم غنائم

كثيرة، فخرج إلى هشام بأموال جليلة، وعشرين ألف عبد، فاستغفاه فأعفاه، وولى مكانه عقبة بن قدامة النجاشي، فلم يقم إلا سيرا حتى عزل، وولى عبيدة بن الحجاج فغزا غزوات كثيرة... ثم ولـى حنظلة بن صفوان الكلبي^١. وكان التطبخن القبلي بين القيسيين والكلبيين واليمانيين في إفريقية والمغرب على أشدـه، بسبب تراهمـهم على منصب الولاية، وهذا أحدـ الشـعـراءـ الكلـبيـينـ يـصـفـ الـحـالـةـ هـنـاكـ فـيـ رسـالـةـ بـعـثـ بـهـاـ إـلـىـ هـشـامـ بـنـ عـبدـ الـمـلـكـ فـقـالـ:

أبادت - بني مروان - *فَيُسَا دِمَاءَنَا*، وفي الله إن لم تتصفوا، حكم عدل،
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط، ولم تعلموا من كان تم له الفضل،
تَعَامِلْتُمْ عَنِّا بِعِينِ حَزِيبَةِ، وأنتم كذا ما قد علمنا ثنا فعل^٢.

فـما وصلـ هـذـاـ الـكـتـابـ إـلـىـ هـشـامـ، استـبـدـ عـبـيـدةـ بـنـ عـبدـ الرـحـمانـ الـقـيـسيـ السـلـمـيـ حيثـ طـلـبـ اـعـفـاهـ فـأـعـفـاهـ بـعـدـ ماـ غـزـاـ فـيـ الـبـحـرـ، وـغـنـمـ، وـأـهـدىـ للـخـلـيـفةـ - كـمـاـ سـرـ - وـكـانـ وـلـادـ إـفـرـيقـيـةـ وـمـغـرـبـ (ـسـنـةـ 110ـ هـ / 729ـ مـ)، استـبـدـهـ عـبـيـدةـ بـنـ قدـامـةـ النـجـاشـيـ (ـسـنـةـ 114ـ هـ / 733ـ مـ)، ثمـ استـبـدـ الـأـخـيرـ بـعـيـدـ اللهـ بـنـ الحـجـاجـ (ـسـنـةـ 116ـ هـ - 132ـ هـ)، وـكـانـ ابنـ الحـجـاجـ قـيـساـ صـعـباـ عـلـىـ الـيـمـانـيـينـ، بدـأـ وـلـايـتهـ بـعـزـلـ الـعـمـلـ الـكـلـبـيـ عنـ إـدـارـةـ الـدـوـلـةـ. وـهـوـ

مؤسس جامـعـ الزـيـتونـةـ بـتـونـسـ، فـيـ يـقـيـنـ الـتـارـيخـ الـكـبـيرـ يـصـدـمـاـكـانـ كـلـيـسـةـ فـيـ عـمـدـ الـمـسـجـدـيـنـ الـرـوـهـانـ وـقـدـ طـافـ بـعـدـ أـفـرـادـ الـقـبـائلـ الـفـارـقـةـ كـوـرـةـ مـاـ لـيـ كـافـيـرـةـ وـالـمـغـرـبـ وـالـأـندـلـسـ وـنـزـلـوـعـوـاقـعـ الـسـكـانـ الـكـلـبـيـينـ وـلـيـهـ عـدـاـ وـأـنـكـ

بـالـنـسـبـةـ لـلـأـنـدـلـسـ، فـقـدـ عـمـتـهاـ العـصـبـيـةـ الـقـبـلـيـةـ بـسـبـبـ التـراـحـمـ عـلـىـ الـإـمـارـةـ بـيـنـ

^١ البغوي: التاريخ الكبير: 57/3، 54 - وانظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوک 38/8، 145، 180 الطبعة التحقيقية المصرية.

عمر أبو الصر - الخوارج في الإسلام - ص 54 - 112 وانظر ما قبلها.

² ابن عذاري السراكنى: أنبیان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب: 50/1

الكلبيين والقسيسين، ففي سنة (103هـ / 721م) عين عتبة بن سحيم الكلبي واتيا على الأذاعن، واستمر إلى سنة (107هـ / 726م) مما يدل على أن هشاماً أقره عليها لما بُويع بالخلافة (سنة 105هـ). فدافت القيسية صنوف الأذى عن يدي عتبة الكلبي، ولما ولَّ عبيد الله بن عبد الرحمن السعدي القسي على إفريقية والمغرب سنة (110هـ / 729م - 114هـ / 733م)، عين عمالاً قيسين على الأذاعن: أولهم خذيفة بن الأحوص (سنة 110هـ / 728م)، ثم محمد بن عبد الله الأشعري القسي (سنة 111هـ)، وبذلك انفجر حقد القبائل القيسية على القبائل الكلبية ^{فما نالهم عن أيديهم من} عذاب^١.

وبذلك يبدو أن أسلوب هشام في الحكم يقوم على إثارة العصبية بين ^{اللَّهُمَّ اغْلِقْ عَيْنَاهُ مِنْهَا فَرِيقَةً شَمَدَ الْأَرْضَ} القبائل، ولاعتزازه بنسبة الأموي والقرشي فيه لا يتورع عن شتم من لا يحب من القبائل، وهو أسلوب الضعيف رغم قوته الظاهرية، وأسلوب من تعوزه الحجة المقنعة. وبذلك عادت القبائل العربية إلى الانتقام والتشفي ^{وَالْعَصْبَرَةُ} ^{وَالنَّارُ}^٢ بعد ما نسيته في عهد الرسون - صلى الله عليه وسلم - ^{: وَاسْعِدْ لَهُ بِالْأَخْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ}. وقد ذكر أن الخليفة هشاماً عزل واليه على العراق خالداً القسري (سنة 120هـ) لعدة أسباب منها: أن أم خالد كانت نصرانية، وأنه من قبيلة بحنة الأذلية الحقيرة، وفيه: أنه كان يذكر هشاماً فيشير إليه 'بابن الحمقاء' استهزاءً. وكانت أم هشام تستحمح^٣.

كما أن خالداً كان يتباهاً أمام جنسائه قائلاً: "ما ولاية العراق لي بشرف". فكتب إليه هشام غاصباً في أسلوب تطهير فيه العصبية القبلية جليلاً،

١- نفس المصدر والصفحة.

كما يدل على إفذاع في القول، فلقد وصفه بابن النتنية، وبابن النصرانية - مع أن الإسلام يبيح للمسلم الزواج من الكتابية - ومن ذلك قوله: "أما بعد فقد بلغني مقالتك، وإنما أنت من بجيلة الذلة الحقرة، وستعلم يا ابن النصرانية أن الذي رفعك سببعك"^١ وقوله أيضاً في موضع آخر: "قد بلغني أنك تقول: ما ولادة العراق لي بشرف، فيما ابن اللخاء^٢، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفا؟ وإنك من بجيلة القبلة الذلة، أما والله، أني لأظن أول من يأتيك صغير من قريش، يشد يديك إلى عذقك". ونرى من خلال هذه القولة اعتراف هشام بشبه القرشي، وأن أصغر رجل فيها يستطيع أن يقيد يدي خالد إلى عنقه ويعيده إلى ما كان عليه لكرانه بأول أيام نعمته، كما نرى أيضاً استصغاره لقبيلة خالد (بجيلة)، وأصفاً لها بالحقارة والذلة والقلة، ونرى من ناحية أخرى ولها أبطره النعمة التي حصل عليها بالسلط على رقبة المسلمين، فابتز لنفسه ولأميره، وأعماله حاضره عن ماضيه، حتى وجد نفسه في نهاية المطاف سجينًا معدنًا، ينتظر الرحمة من هشام، ومن ولائه الجيد على العراق يوسف بن عمر التقي، والحكمة تقتضي معاقبة الجاني وليس القبيلة التي ينتمي إليها.

^١- البغوي: التربيع الكبير: 54/3

^٢- الطبراني: تاريخ الأمم والملوک: 251/8 المطبعة الحسينية المصرية

- الأصفهاني: الأغاني: 22/22 - 26

(3) ارتكب بنو أمية عدة أخطاء سياسية جعلت المسلمين

ينقمون عليهم ومنها:

أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (40 هـ/66 م - 60 هـ/680 م) قد

مَنْ سَنَةً ذَمِيمَةً وَهِيَ لِعْنَةُ عَلَيْيَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَمِ وَجْهِهِ - عَلَى الْمَنَابِرِ فِي
وَلِهَذِهِ الْمُسْلِمِ يَدْرِي حَقَّهُ تَعُودُ عَلَى الْأَعْدَى بِرَحْكَانِ هَذَا الْقَرْبَ وَالْمُخْفِي وَالْمُبَرَّ وَالْمُأْمَنُ عَزَّ اللَّهُ مِنْ
الْجَوَامِعِ،^١ خَاصَّةً فِي الْكُوفَّةِ حِيثُ يَكْثُرُ الْأَصْسَارُ الَّذِينَ تَأْلَمُوا لِمَا حَلَّ بِهِمْ

وَبِمُأْمَمِهِمْ مِنْ مُعْتَدَلَةٍ قَاسِيَةٍ عَلَى أَيْدِي بَنِي أَمِيَّةَ، وَتَأْثِيرُهَا بَالغُ النَّافِعُ الْكَنْيَةُ
الْمُخْفِيَّةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَلْصَقَ الْإِمَامِ عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - . نَقْدُ اسْتِكْفَ

خَصْوَمِهِ حَتَّى فِي لِعْنَتِهِ عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ: (عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) الَّذِي حَمَلَهُ طَبِيعَةُ
جَهَادِهِ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ أَيْمًا جَهَادًا ! وَأَصْبَحُوا يُشَيَّرُونَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ: (بَنِي

تَرَابِ)، وَلَمْ يَقْبَلُ الْمُسْلِمُونَ عَامَّةً وَالْعُرَافَيُّونَ خَاصَّةً أَنْ يَلْعَنُ وَيَحْفَرُ صَحَابَيِّ
جَلَيلٍ، لَمْ يَسْجُدْ لِصُنْمٍ قَطُّ. لَأَنَّهُ اسْلَمَ قَبْلَ الْبَلوَغِ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ، وَقِيلَ
فِي الْعَاشرَةِ عَلَى الْرَاجِحِ،^٢ وَهُوَ صَيْرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجُ
كَرِيْبَتْ فَاطِمَةَ، وَأَبُو رِيَاحَاتِيَّةِ^٣: الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ، وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ الْعَتَرَةِ

الْمُبَشِّرُونَ الَّذِينَ يُشَرِّهُمْ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

حَدَّى الْمُسْلِمِ وَالْعَرَبِ بِحَوْلِهِ

وَالْوَاقِعُ أَنْ كَنْيَةَ (بَنِي تَرَابِ) هِيَ كَنْيَةُ شَرْفٍ لِقَبْلِ بَهَا الرَّسُولُ عَلَيْ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ^٤ فَلَا يَسْتَغْلِلُهَا مَعَاوِيَةٌ لِيَحْفَرَ بِهَا شَخْصِيَّةَ عَلَيِّ فِي نَظَرِ أَصْسَارِهِ، وَفِي
نَظَرِ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ حَتَّى لَا يَفْكِرُوا فِي إِعَادَةِ الْخِلَافَةِ إِلَى عَقْبَيْهِ: الْحَسَنِ
وَالْحَسِينِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى دَهَاءِ مَعَاوِيَةِ الْمُسْلِمِيِّ فِي قَبْلِ الْمَفَاهِيمِ لَدِيِّ

^١- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/71 بـ مذقب على بن أبي طالب انه شتمي
الفرشى - رضي الله عنه -
^٢- نظر المصدر: 100/8.

ال المسلمين من أجل تركيز الحكم فيبني أمية، وإلا فكيف استطاع أن يقلب مدلول (أبي تراب) من شرف إلى تحفير؟ فقد روى البخاري: "أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان، لأمير المدينة، يدعوا علياً عند المنبر، قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب، فضحك وقال: والله ما سمّاه إلا النبي - صلى الله عليه وسلم - وما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمن الحديث سهلاً، وقلت: يا أبي عباس كيف؟ قال: دخل على علي فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبي تراب، مرتين".¹

ولم تتوقف اللعنة والشتم والتحفير على علي بن أبي طالب، وإنما نالت أبناءه وأل البيت عموماً، فقد مرّنا في الحديث، عن صفات زيد الذاتية وصبره بالخصوص أن الأنصاري المناصر لبني أمية خطّب زيد بن علي شائماً ومحقراً فقال: "يا ابن أبي تراب! وابن حسين السفيه! أما ترى نوال عليك حرمة"². *اللعنة الله عزوجل عليه ولها أمر بحظرها والتحفير والهداية والمعذرة لافتتاح مصالحة*

ونما أنكر الصحابي الجليل حجر بن عدي³ على والي الكوفة (زيد بن أبيه) لعن الإمام علي والبراءة منه وذلك (سنة 51هـ/671م) تعرض للقتل صبراً في الشام هو ومن معه من المحتاجين، وقد حفرت قبورهم، وأحضرت أكفانهم وهم ينظرون، واعتبرت الكوفة مقتلهم استشهاداً في سبيل الله، وذلا

¹- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/73 باب مناقب علي بن أبي طالب.

²- الطبراني: تاريخ الرسل والسلوكيات: 8/262... المطبعة التصينية المصرية

جديداً نزل بهم، لما عرفا به من الورع والتفوي والجهاد في سبيل الحق،
و خاصة لصحابي حجر بن عدي رضي الله عنه.
وندم معاوية على قتلهم أشد الندم وخاصة على حجر، من ذلك أن
عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - لا منه قائلة: "يا معاوية، أين حلمك
عن حجر؟" قال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رجل رشيد، وأخبر ابن
سيرين أن معاوية لما حضرته الوفاة "جعل يغرغرا بالصوت ويقول: يومي
ذلك يا حجر يوم طويل" ^٢.

وارتكب بنو أمية خطأ آخر لأنهم جعلوا الخلافة وراثية بعدها كانت
شورى واختيارا، فقد أوجد معاوية بدعة جديدة فأوصى لأبنه يزيد من بعده،
وأخذ له البيعة في حياته من المسلمين، وليس غريباً أن يحول معاوية الخلافة
وراثية وقد انتهت في عهده إلى ذلك، وحتى عنه بعد مبايعته بالخلافة،
 واستقراره بدمشق كعاصمة لها، أنه كان يسير نمطاعنة كتب (الناظم الفارسي)
بكل تمعّن لينظم دواوين الدولة الإسلامية، ويظورها حسب ما كان عليه
الفرس من نظام محكم في الإدارة وفي السياسة، ولما كان نظام الحكم
الفارسي يقوم على الوراثة، فقد تأثر معاوية بذلك ^٣. وكان يتقن الكتابة والقراءة، ولقد
كان بين كتابه وخليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه ومحبته وسلم... والأدبية كانت منتشرة في المدينة أكثر من
وأوصى يزيد بدوره إلى ابنه معاوية بن يزيد بالخلافة... واستمرت
عدهم وراثية طينة الحكم إلا موي فالعباسي... وحتى الخوارج الذي كانوا
ينادون بالخلافة العامة، وأن تكون شورى واختيارا، عسلا بقوله - صلّى الله

١- نفس المصدر: 253/5- 270 - دار المعرفة بஸر

٢- نفس المصدر: 257/5 دار المعرفة بஸر

٣- استاذ الدكتور علي الشافعي في بعض محاضراته

عليه وسلم - "سمعوا وأطاعوا وإن استعمل عليكم حشى كان رأسه زبيبة".

ما أقام فيهم كتاب الله وسنة رسوله - حتى هؤلاء لم يسلمو من الخلافة

الوراثية في عهد الدولة الرستمية²، ويبعدو أنهم تأثروا ببدعة بنى أمية في

الحكم الوراثي، وينطبق عليهم قول النبي ﷺ: *لهم إجرها وإن عمل بها*

إلى يوم القيمة، وقل لمن استد سنته حسنة فله أجرها وإن عمل بها

إذا أضفت العوامل التي ذكرناها سابقاً إلى العوامل التي سنذكرها

لاحقا، أدركنا سبب قيام ثورات على الحكم الأموي عموما، والذي يعني هنا

- هو قيام ثلات ثورات في عهد هشام بن عبد الملك (105هـ/724 -

125هـ/743م) هي: ثورة خراسان، وثورة افريقية والمغرب، وثورة زيد

بن علي... وهي ثورات هدمت أركان الدولة الأموية، وسارعت بتقريب

أجلها، وقيام الدولة العباسية.

ولنبدأ بالحديث عن ثورة خراسان. وهو إقليم بعيد عن عاصمة الخلافة

الإسلامية، ويظهر أن هذا الإقليم الخراساني قد افلت من أيدي الأمويين في

عهد هشام بن عبد الملك، حتى أن ولديها أسد بن عبد الله القسري (أخًا خالد

القسري وإلى العراق) حينما أعيد إليها (سنة 117هـ/735م) وجد نفسه لا

يملك أمرها، كما توقف العرب عن الفتوحات شرقى خراسان بعد فشل

الأصفع بن عبد الله الكثبي عامل (سجستان)³ في مكان يدعى (أبنة).⁴

١- ابن حجر : فتح الباري بشرح البخاري : 2/186 كتاب الأذان - بباب إمامية ائبعة والمولى ، تحقيق الباز .

٢- ابن الصغير : تاريخ الدولة الرستمية ص 27، 28 وما بعدها
البعوبى: التاریخ الكبير : 52/3

٣- (أبنة): قرية هي قربة بين هراة وكرمان. وقيل: بلدة بين سجستان وسغزاز : 4/871 من
معجم الأذان ليقوت.

٤- حدیث صحیح متفق علیہ

والتسبب في هذا هو التطاحن القبيسي في خراسان الذي انتقل إليها بانتقال
محمد بن زيد بالشبيبة لا فوج قبره والأطراف والأندلس
 بعض القبائل العربية الفاتحة، وأذكي جذونه حكام بني أمية، حتى لا يتركوا للأقليم
حتى ينزلهم على إثباتكم قبلية ولا يستلوا حكام بني أمية إلا لما ينجز الفاتحون
 الممتدة الأطراف فرصة التفكير في الاستقلال عن الخلافة الإسلامية، مع
 العلم أن خراسان إقليم فارسي قبل الفتح، ونم يك نظام الدولة الفارسية قبلها
 لأنها ذات حضارة، وأية ذلك أن الصراع في خراسان كان بين تميم وربيعة،
 وكان على أشدّه، ثم دخلت قبائل الأزد في هذا الصراع، فغدا التطاحن بين
 مضر، وقيس، وتميم من جهة، وبين اليمانيين والأزد وربيعة من جهة
 أخرى، وقد نجم عن هذا الصراع نتائج خطيرة كانت سبباً في تقويض أركان
 الدولة الأموية¹.

وتهدأ الجو للحارث بن سريج، فاعلن الثورة على بني أمية في بلخ سنة
 (116هـ/734م) ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه، ولبيعة إلى آل البيت،
(الدهناء، جمع دهنه رفاصي، رئيس الراحله والوالى بالعربيه)
 وانضممت إليه قبائل أزد وتميم، ودهاقين² (مرزو الروذ)، حتى بلغ حذنه ستين
 ألفاً، استولى به على مرزو، والجوزجان، والطافقان، فاضطر الوالي الأموي
 على خراسان عاصم بن عبد الملك (116هـ/734م – 117هـ/735م) إلى أن
 يستجد بال الخليفة هشام بن عبد الملك، فأسده بجيشه من الشام عدته عشرة آلاف
(فائد هرم ورئيس)
 مقاتل، فنفيه الحارث بن سريج إلى الوراء، وتعاون مع خاقان الترك في
 حرب الأمويين، واستمر في ضربهم طيلة خلافة هشام بن عبد الملك، وبعده
 إلى سنة (128هـ/746م) تزويج القضاة على ثورته³.

- الطبرى: تاريخ الأئمّة وآئمّة الكُوفة: 183/8، 91/9، 92 المطبعة الحسينية المصرية.

- الطبرى: تاريخ الأئمّة وآئمّة الكُوفة: 42/9 - المطبعة الحسينية المصرية.

(المعد الأكمات والألاطاط مادة دهنه) 97

وقد تحمل هشام من خراسان مشاكل عديدة أقضت مضجعه، ولم يستطع عاملها أسد بن عبد الله القسري أن يملك أمرها فقد أفلت من يده - كما رأينا - إلى أن تولى نصر بن سيار إمارتها سنة (120هـ/738م) بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، وذلك أن هشام بن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان، فأشاروا عليه بأتوا، وكتبوا له أسماءهم... فلما عبد الله بن الشخير فقيل له: إنه صاحب شراب، وقيل له المبشر شيخ هرم، وقيل له ابن حضين رجل فيه تيه وعظمة، وقيل له: قطن بن قبية رجل مونوز، فاختار نصر بن سيار - فقيل له: ليست له عشيره. قال هشام: أنا عشيرته... وكان نصر شجاعاً تولى الولاية في رجب سنة عشرين ومائة (120هـ/738م) وقال فيه هشام أثناء اختياره تيمناً باسمه: إنه نصر وسيار^١.

وقيل ولية نصر بن سيار اضطر هشام إلى ضم خراسان إلى ولية العراق فأصبحت تحت إشراف وال واحد هو والي العراق، فقد كتب عاصم بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك ناصحاً إن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى صاحب العراق، ف تكون موارد لها ومناقعها ومعونتها في الأحداث والثواب من قريب لبعد أمير المؤمنين عنا، وتباطئ غيابه لها^٢.

وعلى الرغم من اخْمَاد ثورة الحارث بن سريح في خراسان فإنها عكست صفو الأمان على بني أمية وجعلتهم غير قادرین على مواجهة

^١- نفس المصدر: 257/8.

^٢- نفس المصدر: 222/8.

الأحداث الخطيرة التي قضت على الدولة الأموية . ومن هذه الأحداث ذكر ثورة الخوارج والبربر في إفريقيا والمغرب، لأنه - في الواقع الأمر - لم يكن الشيعة وحدهم معارضين لبني أمية، فهناك أيضاً الخوارج، فقد زاروا على الحجاج بن يوسف سنة (76هـ/696م) يقودهم صالح بن مسراح، وكبدوا الحجاج خسائر في الرجال والعتاد، ثم أعلناوا عليه ثورة أخرى بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني حتى أخرجوا مركزه في العراق، فاضطر إلى طلب النجدة من الشام.

وسبب تذكرهم من الحجاج يعود إلى قسوته على الرعية، من ذلك أنه كما جاء في خطبة ت隳ي على ولایة العراق كان يهددهم قائلاً: لا حونكم لحو العصا، ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل... أضف إلى ذلك أن معالنته لموالي كانت معاملة لا إنسانية، فقد نقش على يد كل موالي اسمه، وأسم قريته، وارغبهم على الرجوع إليها ، وهي سياسة عنصرية غالبة على سلوك بنى أمية، في تقضيهم الجنس العربي على الجنس الأعجمي، رغم ادعائهم أنهم حماة الدين والدنيا، مع أن الدين لا يفرق بين الأجناس إلا بالتفوي.

ولما وجد الخوارج أنفسهم مهزومين في المشرق، انتقلوا بمبادئهم وفلوبهم الموتيرة إلى المغرب، لأنهم وجدوا فيها أرضًا خصبة لبن معتقداتهم، ورأيهم ونحوها إلى حد ما بسبب العيشنة غير الحكيمه التي اتباعها الولاة هناك، وأخذت الأمور تسير من سوء إلى أسوأ، خاصة بعد سنة (104هـ/723م) فقد ضلت مشاكل البربر في إفريقيا والمغرب بلا حل إذ كانوا يشتكون من عدة مظالم، أهمها:

- نفس المصدر، ونفس الصفحة.

- تقديم البربر في الواجهات الحربية على العرب، ليتعرضوا قبل غيرهم إلى القتل. *وَجَاءُوكُلُّهُمْ جِنُودُ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ الْأُمُوْرِ*
- حرمانهم من المغانم الحربية وهم أحد عناصر الانتصار.
- تبشير شياحهم من أجل الحصول على الفراء البيض لأمير المؤمنين.

5- الاعتداء على حرمات نسائهم البربريات الجميلات بالسيء، والإهانة لل الخليفة والأمراء والقواد؛ وهم وإن صبروا عن المظالم السابقة فإنهم *الْمَاجِتَةَ يَسْعَى وَهَمُورًا عَرَا صَفَرَهُمْ وَالْمُسْلِمَ بِرَغْبَةِ الدِّيْنِ*^٥ لم يصبروا، وإنما يصبروا عن هذه المظلمة الأخيرة، ولذلك قرروا أن يسافر *وَفَدْ بِرِّيْ خَارِجِيْ* وفديري خارجي في هذا الغرض إلى الشام، لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك، يقوده ميسرة المدغري الخارجي... وإنما وصلوا إلى دمشق، لم يستطيعوا النضر بتلك المقابلة، نعرض شكاهم حتى نفت أموالهم، ويبدو أن السبب في ذلك إدراك هشام أنهم خوارج، فرفض مقابلتهم إمعاناً في احتقارهم، وكأنه يقول لهم: إن ما لحقهم من أذى على يد ولاته هو نتيجة عداوتهم للدولة الأموية... وإنما ينس وفد الخوارج من مقابلة هشام، تقدموا إلى حاجبه الأبراش قائلين له في لمحات تذر بالخطر والثورة، وقد أذر من أذر:

"أبغـيـنـغـ أمـيرـ المـؤـمـنـينـ لـهـ فـيـ لـهـجـةـ تـذـرـ بـالـخـطـرـ وـالـثـوـرـةـ، وـقـدـ أـذـرـ مـنـ أـذـرـ" دوتنا، وقال: هم أحق منا، فقلنا هو أخلص نجاهنا، ولا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم في حل، وإن لم يكن لنا نرده، وإن حاصرنا مدينة، قالوا: تقدموا وأخر جنده، فقلنا تقدموا فإنه أزيد في الجهاد، ومنكم كفى إخوانه، فوقيـنا بأنفسـناـ وكـفـيـناـهـ، ثـمـ أـنـهـ عـمـدـواـ إـلـىـ سـائـيـتـناـ يـقـرـونـ عـنـ السـخـالـ يـطـلـبـونـ الفـرـاءـ الـبـيـضـ لـأـمـيرـ المـؤـمـنـينـ، فـيـقـتـلـونـ الـفـ شـاةـ فـيـ جـلـدـ، فـقـلـناـ مـاـ أـيـسـرـ هـذـاـ"

^٥ المذرونة وعدم المضي على الزوجية والبنات هند وقوع 100 الحمد لله رب العالمين وبإكرامه

الأمر، فاحتمنا ذلك وخليناهم، وذلك أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بنتنا، فقلنا لهم نجد هذا في كتاب الله ولا منه نبيه ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا^١.

وهكذا أصاب البربر نوع من اليأس، ووجدوا في دعوة الخوارج لهم المثورة على أمية لذها صاغية فاعلنوها بقيادة ميسرة المذغري الخارجي سنة (123هـ/741م) وبابعوه خليفة للمسلمين، وذلك بعد عام من مقتل زيد بن علي، مما يدل على أن سياسة بنى أمية شقت طريقها نحو الإفلات، وبلغت ثوره ميسرة - حين نصب خليفة - ذرورتها فشلت جند الشام إنتر معركة ضارية عرفت (بغزوة حقل الأصنام) على مقربة من مدينة القิروان، تكبدت فيها القوات الشامية خسائر فادحة وقتل القائد الأموي: كلثوم بن عبّاس الفقيسي.

ومن الطبيعي أن تتأثر من جراء هذه الثورات علاقة العرب بالإفرنج، وأن يتوقف الزحف العربي الإسلامي في أوروبا بقتل القائد العربي: عبد الرحمن الغافقي سنة (114هـ/732م) في معركة: (بلاط الشهداء) وفي منتصفه (بوانتي) بفرنسا هو وعنته جنده^٢.

وانتقلت عدوى الثورة الخارجية البربرية في إفريقيا والمغرب إلى الأندلس، فثار أهلها ضد الوالي الأموي عقبة بن الحجاج وعزلوه... ثم أعيد إليها وبقي بها حتى سنة (121هـ/739م) حين خلعه عبد الملك بن قطن

^١- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 49/5 - 50 النطبعة الحسينية المصرية - الإسغرابى: النبص فى الدين - ص - 51/50 الدكتور علي انشبى: مباحث - ص - 162 - وانظر أيضاً ناجي حسن: ثورة زيد بن علي - ص - 68.

^٢- ناجي حسن: ثورة زيد بن علي - ص - 94 بوانتى يقع بين ناريس وبوردو

الفهري وتولى الأمور بدلاً منه، واتحد برابرة الأندلس ضد العرب وأصردوهم من البلاد حتى اضطروهم إلى النزوح إلى وسطها^١. وكل ذلك عوامل سياسية شجعت خروج زيد بن علي، على النظام الأموي وإعلان مذهبة (إمامية المفضول مع وجود الأفضل).

(٤) أما العوامل الدينية، فتمثل في أن خلفاء بني أمية كانوا مستخفين بالدين إلى درجة أثارت أهل النفوذ والورع، لتهتكهم، ومجونهم العلني، وأول من جاهر منهم بذلك يزيد بن معاوية الفاسق^٢، حتى أن الفقهاء لم يتحفظوا في شأنه، كما كانوا يتحفظون في شأن أبيه معاوية فقالوا: (العن يزيدا ولا تزيد...) وحتى أن أقرب الناس إلى يزيد وهو ابنه، معاوية، لما تولى الخلافة بعد أبيه أعلن عدم رضاه عن سيرته، وعدم رضاه عن الدور الذي نعم به جده معاوية بن أبي سفيان^٣ في افتراك الخلافة من صاحبها الشرعي: علي بن أبي طالب^٤، وسيمه لابنه الحسن^٥، وكان معاوية بن يزيد ذات عاطفة دينية، أحس أن ولایة أمور المسلمين لا يجب أن تكون في بني أمية، فتازل عن الخلافة في خطبة المسلمين قائلاً: "أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس، إنا قد بلينا بكم، وابتليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا؛ إلا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان^٦ نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحق في الإسلام سابق المسلمين وأول المؤمنين، وأبن عم رسول رب العالمين، وأبو بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلسون، وركب منه ما لا تتذرون، حتى أنته مدنه وصار هنا بعمنه، ثم قُدَّ أبي وكان غير خلائق للخير، فركب هواه واستحسن

^١ نفس السرج - ص - 96/94.

خطأه، وغضبه رجاؤه، فأخلقه الأمل وقصر عنه الأجل، فقلت متعته وانقضت مدته، وصار في حفرته رهنا بذنبه وأسيرا بجرمه. ثم بكى وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وفجع منقبه، وقد قتل عترة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأباح الحرماء، وحرق الكعبة، وما أنا المنقاد بأموركم ولا المتحمل بتعاتكم، فشأنكم أمركم. فوالله لئن كانت الدنيا مغنمًا لمن نلنا منها حضارا، وإن نكن شرًا فحسب آل سفيان ما أصابوا منها. فقال له مروان بن الحكم: أنت فينا عمرية. قال: ما كنت أتقلكم حيًا ويميت، ومني صار ابن يزيد مثل عمر، ومن لي برجل مثل رجال عسر^١.

هذه رواية الباعوفي المعروفة بميوله الشيعية، أما الطبرى وهو السنى فقد اقتصر على أن يزيد بن معاوية قال: "أما بعد، فإني نظرت في أمركم، فضعف عندي، فابتغى لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه -

(رحمه الله)
حين فزع إليه أبو بكر^٢ فلم أجده، فابتغى لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فلائتم أولئك بأمركم، فاختاروا له من أحبابكم فاجتمعوا إليه بنو أمية - تكى بعين واحدا منهم خليفة، ولكنه رفض ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وفيما أنه مات مسموما، وذهب آخرون إلى أنه طعن^٣.

(سنة 664هـ/684م) وهي السنة التي تونى فيها الخلافة ولم يستمر

أربعين
فيها غير أربعين يوماً وفيها أربعة أشهر^٤. شراسة على الخلافة من مروان بن الحكم (661هـ/685م)
مستغلًا الفراغ السلطاني وانتساع الرعية، وتعطشهم ل الخليفة عادل^٥ (عبد الله بن موت)
الفاقد لعنة الله عليه قاتل السفید حسین (ع) ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه
وسلم

١- الباعوفي: التاریخ الكبير: 2/183-184.

٢- الطبری: تاریخ الرسل والملوک: 5/153 طبع دار المعارف بمصر

٣- الباعوفي: التاریخ الكبير: 2/183 - وانظر الطبری: تاریخ الرسل والملوک: 5/501 دار المعارف بمصر

٤- مروان بن الحكم، الخليفة الذهبي 4. بعد معاوية 103

ويزيد بن معاوية، وظاهره أن يزيد السادس أو سروان

بن الحكم استخلف الخليفة إلى المريانين. ولد (فيه تناقض) 530هـ/1139-1689هـ وتولى سنة (866هـ/1689)

(الحادي عشر للعلوم)

وليس يعنينا أن يكون معاوية بن يزيد أخطأ أم أصاب ب موقفه هذا، لأن نفس الموقف قد واجه عمر بن عبد العزيز (99هـ/719م - 101هـ/720م) حين حضرته الوفاة، وقد اعتبر مجئه رحمة للناس ولبني أمية، وإنما الذي يعنينا هو اعتراف بعض بنى أمية وبعض خلفائهم بتجاوز حكامهم لأمور الدين، واستخفافهم بالمقدسات، وهي أهم الأسباب التي جلبت عليهم سخط الرعية، وانضمائهم إلى كل ثائر وخاصة زيد بن علي.

وبموت معاوية بن يزيد أو بمقتله، وقد اعتبر نشازاً بعد أبيه يزيد في عرف خلفاء بنى أمية، عادوا إلى التهكم والنهو، فال الخليفة يزيد بن عبد الملك (101هـ/720م - 105هـ/724م - 125هـ/743م) يزيد هذا كان مثالاً للمجون، فقد أغرم بجارية تدعى: (سلامة) إلى حد العبادة، وأمر معبد بن وهب فحل المغنين بالمدينة، وأحسن الناس غناء، وأجودهم صنعة (ت). سنة 126هـ/744م) أن يعلمها الغناء. ويظهر أن منزلة الجواري في عهد يزيد بن عبد الملك قد ارتفعت كثيراً حتى أن واحدة منهن أخذت بجامع قلبه فسألها يوماً: هل لها قرابة ليحسن إليهم؟ فأجابته: لا قرابة لها، ولكن في المدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاتها تحب أن ينالهم خير بسببها، فكتب إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم، وأن يعطي كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، وفيما في الخليفة يزيد بن عبد الملك: إنه غالب عليه فهو واستخف بأيدين المملكة، وأذن للندمان في الكلام والضحك والهزل في مجلسه" حتى أنه تعلق بجارية تدعى (حبابة)، وكان يوماً معها على سطح تغنى بشعر أعجبه، فسألها: من يقوّن هذا الشعر؟ فلم تعرف، فأرسل إلى ابن شهاب الزهري^٦ وهو في العقدات المشهور بالفاهر بالمشهور والثغر وأبا مال العرب:

ستتصف الليل فأتي به، فجاء مروعًا، فطسانه يزيد وأجله وقال له: لم ندع إلا خير، من يقول هذا الشعر؟ فأخبره بأنه الشاعر الأحوص!

فلمّا مات يزيد بن عبد الملك^١ وخلفه أخوه هشام، كانت الصورة التي علقت بذهان الناس عن بني أمية، صورة الخلفاء المتهتكين العاجزين عن كبت غرائزهم وشهواتهم، كما يفعل أولو الأمر الأتقياء، أو كما يفعل الساسة الذين لا يجاهرون بالصغار. ويمتنعون عن الكبار^٢. والأدهى من ذلك أن هشام بن عبد الملك اعتذر مرتبة الخليفة في أهله، خير من مرتبة النبي في أمتّه، مما أثار الأتقياء والفقهاء والقراء عليه، ولما بُنعت زيد بن علي دعوى هشام المذكورة علق قائلًا: لو لم أكن إلا أنا زابني لخر جت عليه^٣.

أضف إلى ذلك أن هشام كان صاحب شراب، فقد خصص لذلك يوماً في الأسبوع^٤.

ويظهر استخفاف بني أمية بالدين، في عدم وفائهم بالعهد، والحال أن الإسلام جاء محركاً على ذلك في عدة آيات، منها قوله تعالى: "وأوفوا بالعهد إن العهد كن مسؤولاً..."^٥. وعلى أولي الأمر من خليفة وولاة وعمال أن يكونوا ملتزمين بحدود الله مع أنفسهم ومع الرعية عادلين،

^١- الجھظ: *التاریخ فی أخلاق العلوک*: ص 30 - وانظر: الأصفهانی: *الأشنی* 95/15 - 113، 290/20 - 292. وابن شهاب الزہری محدث وأدب.

^٢- ابن حرم: *الفصل*: 4/177 وبهـ: *الحال والتحن للزہر* متنی

^٣- الجھظ: *ثیوان واثقین*: 1/310.

^٤- الجھظ: *تراج فی أخبار السنون*: ص 125.

^٥- سورة "الإسراء": الآية 34.

محافظين على سلوكهم، وكل تجاوز لذلك يعد خيانة للعهد. وقد تجلى ذلك
بني أمية للعهد في عدة مناسبات منها:

أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (101هـ/720م - 105هـ/724م) لما
قامت ثورة يزيد بن المهاب (102هـ/721م)، وأزره العراقيون نقلب نظام
الحكم الأموي، أرسل لهم الخليفة يزيد بن عبد الملك رجالاً إلى الكوفة
يسكتونهم، ويعذونهم الزبادة في أعطيائهم، والعمل وفق كتاب الله وسنة نبيه،
وانخدع الناس بهذه الوعود، ونسوا أن ولی الأمر الذي يعترف بتجاوزه
ل تعاليم الإسلام، وبعد بالعودة إليها هو مسؤول لا يمكن تصديقه مهما ادعى.
ونتيجة لهذه الوعود الكاذبة تخلى الناس عن ثورة يزيد بن المهاب،
وخلوه مثلاً خانوا زيد بن علي من بعده، وبذلك فشلت الثورة وقضى على
القائمين بها، وعرض أن يغى الخليفة بوعده فإنه أثقل كاهل العراقيين
بالضرائب^١.

(5) وهناك أسباب أخرى شجعت زيد بن علي على الثورة على بنى
أمية وهي صفات هشام الذاتية وقد مر منها: استخفافه بأمور الدين ومجونه^٢
وهما صفتان يشاركان فيهما أغلب خلفاء بنى أمية، كما يشاركانهم هو أيضاً في
عدم التقييد بالعيود والمولى، فقد كان كسلفه (أخيه يزيد بن عبد الملك) بعد
بنحسين حال الرعية^٣ ثم يطلب الولاة بمزيد من الهدايا والأموال، وإلا فإن
مناصبهم غير مضمونة^٤، وفي عهده ارتفعت الأسعار ارتفاعاً مهولاً، لأنه

^١- ناجي حسن: ثورة زيد بن علي - ص 71.

^٢- الأصفهاني: الأشاني: 59/19.

ووالىء على العراق خالداً القسري، يحتكران سوق الباكورات، لامتلاكهما
ضياعاً فلاحية شاسعة وخصبة^١.

ونصرف هشام هذا بذل على إخلاف بالعهد، خاصة وهو قد وعد
العرافيين بتحسين حالهم، ومعيشتهم إن هم أخلصوا نولاة أمورهم، وتركوا
إزعاجهم من حين لآخر، وتركوا الثورات جانبها، وإذا به بعد كل ذلك يكون
السبب في ارتفاع الأسعار.

أضف إلى ذلك أن إخلاف هشام بالعهد، يبدو حتى مع قربته، فقد
حاول نقض وصية أخيه يزيد بن عبد الملك، في أن يكون ولی عهد هشام،
الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وحاول إرغام ابن أخيه على خاع نفسه لسباقعة
ابنه (مسلمة بن هشام) بانخلافة، فلما رفض الوليد ذلك حرمه مما كان له
ولموانيه من العطایا والاهبات^٢.

وإلى جانب الاستخفاف بالدين والتهك والإخلاف بالعهد، فنهشام بن
عبد الملك صفات ذميمة أخرى جنت عليه سخط الرعية^٣ وأنضم إليها إلى
نوره زيد بن علي ومنه:

(١) - اتصافه بالبخل^٤ وقد علمت التجارب أن كل حريص على المال
بشراته وجنون، يكون عادة بخيلاً، وقد كان هشام كذلك رغم التعيم الذي كان
يرفل فيه، فهو اقطاعي كبير، يملك أراضي^٥ كثيرة في العراق، ورغم هذه
الثورة الطئلة فقد روى ابن كثير أنه يستعمل لفرشه قباء ذلك أخضر،^٦

- من الأثير "التاريخ الكامل": 5/87 - تطبعة الكبرى - القاهرة

- الأصبهاني: الأشاني: 6/99.

- البغوي: التاريخ الكبير: 3/58.

^١ - قباء ذلك أخضر: سذرة حول السرير من قطن، حضراء اللون هنا.

احتفظ به قبل أن يلي الخلافة وبعدها، وإنما سئل عن سبب احتفاظه به وهو القادر على شراء ما هو أحسن، وأفحى، أجاب: والله الذي لا إله إلا هُوَ، هو ذلك مالي قيام غيره، وما ترون لجمعي لهذا المال، وصونه إلا لكم" ثم يضيف ابن كثير رواية عن عقل قوله: "وكان هشام محشوًا بخلًا".^١

ولو كان هشام صادقاً، في أن سبب تقتله، يعود إلى حرصه على مال أثرعية، لعل ابن كثير على ذلك؛ وبالإضافة إلى هذا فإن أقدم مؤرخ شيعي - حسب رأي النشار - هو البعقوبي^٢ يذكر لهشام صفات متناقضة كالقسوة، وبعد الرحمة، والرجولة والحزم، والغلاطة، والظلم، وطول اللسان، والبخل.^٣ ومما يؤكد اتصاف هشام بالبخل، أن الناس لم يروا زماناً أصعب من زمانه، ثم إنه كان معروفاً بتفتيره على مواليه، ونذك وصف (غائب) مونى ليهشم حالهم في عهده وما صاروا إليه بعد وفاته فقال معرضًا بحول هشام:

هذا الأحوال المشؤوم، وقد أرسل المطر،
ومنكنا من بعد ذاك فقد أورق الشجر،
فأشكر الله إنه زائد كل من شكر،

وبسبب بخله أيضاً على نفسه ومواليه وعائذته وزعيته، استقبل أهل الشام التوبي بعد وفاة هشام بالفرح^٤. ويتجلى اتصاف هشام بن عبد الملك بطول اللسان، في إهانته لزيد بن علي بأمه السندي لما بلغه عنه أنه يحدث

^١- الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية: 353/9.

^٢- النشار: نسأة الفخر: 152/2.

^٣- البعقوبي: التاریخ الكبير: 58/3.

- ابن الأثير: التاریخ الكامل: 106/5.

^٤- المسعودي: مروج الذهب: 217/1 - مطبعة السعادة - مصر -

نفسه بخلافة ويتمناها^١، وفي إهانته لواليه على العراق خالد القسري (105هـ - 120هـ) بابن الخناء^٢، وبابن النصرانية^٣، حيث روي عن أمه أنها كانت نصرانية وأن ابنها خالدا بنى لها ولقومها كنيسة، واتهم (خالدا) أيضا بأنه كان للنصارى في عهده نفوذ مما أغضب عليه المسلمين^٤. والحل أن الإسلام أباح لأهل الكتاب ممارسة طقوسهم الدينية عند تقييدهم بدفع الجزية. وهي الضرائب وأحترام عقيدة الآخرين. وبطبيعة طول نسان هشام أيضا في إهانته نواليه الأخير بأنه من قبيلة بجينة قليلة العدد والحقيقة والذلة^٥.

و رغم هذه الصفات المتقدمة التي تصور الجوانب السلبية صاغية على الإيجابية في أخلاق هشام، وتصيراته، فإن ابن قتيبة يذكر له صفات طيبة فيقول: «ذكروا أن هشاما صارت إليه الخلافة سنة ست ومائة، فكان محمود النسيرة ميمون النقيبة، وكان الناس معه في سكون وراحة، ولم يخرج عليه خارج، ولم يقم عليه قائم إلا ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة»^٦ ثم يذكر ابن قتيبة أن هشاما تأثر بقتل زيد تأثرا شديدا، ويوافقه في رواية التأثر صاحب (البداية والنهاية) فيذكر أن هشاما كان

^١- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 251/8 - المطبعة الحسينية المصرية.

^٢- نفس المصدر، واصفحة والتخته الشقة: الجسم والتعوب.

^٣- البغوى: التاريخ الكبير: 54/3.

^٤- الأصفهانى: الأغاني: 59/19.

^٥- البغوى: التاريخ الكبير: 54/3 وانظر الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 251/8 - المطبعة الحسينية المصرية - الأصفهانى: الأغاني: 22/22.

^٦- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 2/199.

من أكره الناس لسفك الدماء، ولقد اغتتم لقتل زيد وابنه يحيى شديداً، وود لو افتقا هما بجميع ما يمتلك.

ويبدو أن رواية ابن قتيبة غير صائبة في مجملها، لأنها تتعرض إلى مدح هشام بذكر محاسنه واهتمام مساؤه التي لا يخلو منها إنسان، رغم اختلاف الأشخاص، أضف إلى ذلك أن دائرة المعارف الإسلامية، ترجم أن يكون (كتاب الإمامة والسياسة)، الفه في حياة ابن قتيبة، رجل مصرى أو مغربى، ثم نسبه إليه،² وبما أن ابن قتيبة أديب، فقد كان أسلوبه في هذا الكتاب وخاصة الفصل الذى عقده للحديث عن خلافة هشام بن عبد الملك أسلوباً أدبياً أكثر منه تاريخياً أو علمياً. ولعل الكاتب الذى صنف هذا التأليف ونسبه إلى ابن قتيبة - إن صح ما ادعاه "دغوى" في دائرة المعارف الإسلامية - عمد إلى هذا الأسلوب، حتى لا يشك في نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة أحد، ولكن (دغوى) لم يذكر الأسباب الدافعة لهذا التزوير؛ هل هي راجعة إلى عادة بعض الكتاب غير المشهورين الذين يؤلفون وينسبون أعمالهم إلى علماء بارزين حتى يقبل القراء على كتبهم أو هي راجعة إلى أسباب أخرى؟

وعلى كل - إن صح هذا الرعم - فإن ما وصف به ابن قتيبة هشام بن عبد الملك من زكي الخصال يصبح محل شك إذ لم يذكر سلياته، وبالنسبة إلى ما ذكره ابن كثير من أن هشاما دخل عليه من مقتل زيد، وابنه يحيى شم شديد فهو - إن صح - تبدو منه إن كراهية هشام لسفك الدماء

¹ ابن كثير: النبذة والنهاية: 352/9.

² دائرة المعارف الإسلامية: 1/261 مادة (ابن).

تعود إلى أن بني أمية لم يستقر لهم فرار، منذ قامت دولتهم فكانت الثورات تلاحقهم، من ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب سنة (61هـ/681م)، إلى ثورة عبد الله بن الزبير المبايع بالخلافة في الحجاز (سنة 64هـ/684م)، إلى ثورة المختار بن أبي عبيدة التقي (سنة 66هـ/686م - 67هـ/687م)، ثورة يزيد بن المهلب سنة (721/102) إلى ثورة خرسان (سنة 116هـ/734م - 128هـ/746م) إلى ثورة الخوارج في المشرق منذ عهد الإمام علي وبعد مقتله، إلى ثورتهم في المغرب عندما نصبووا ميسرة المدغوٰي الخارجي خليفة (سنة 121هـ/739م - 123هـ/741م)، إلى ثورة زيد بن علي (سنة 122هـ/740م)¹. كل تلك الثورات تجعل هشّاما يكره سفك الدماء، ويُعمل على إيقافها غصباً عنه، لضمان استقرار ملوكهم بناء على ما تقدم، وبناء على وصية جده الخليفة مروان بن الحكم (سنة 64هـ/684م)، إلى بنيه بألا يضطهدوا آل البيت، فإن شَوْمَ ظلمهم وقتلهم جر عليهم سخط أزرعية المتعاطفة معهم قد قضى على البيت السفياني، ومنه تخلي معاوية بن يزيد عن الخلافة (منه 64هـ/684م) ومبايعة مروان بن الحكم بها.

ولذلك كان مروان يتقارب إلى علي زيد العابدين، ويصادقه، ويبالغ في تكريمه وتقديمه، ولا يستبعد أن يكون هشام بن عبد الملك بن مروان يتذكر هذه الوصية جيداً، فكانت كراهيته لسفك الدماء - كما ذكر ابن كثير - ولكنه

¹ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك: 501/5، 530 دار المعارف مصر.
 وانظر نفس المصدر 145/8 المطبعة الحسينية، وانظر أيضاً 49/5، 50 - 497/5 - مطبعة الاستئناف بالفهرة - وانظر المسعودي: مزوج الذهب: 217/1 مطبعة المسعدة - مصر - وابن الأثير: تاريخ الكتب: 99/5، 100

اضطر زيدا آخر الأمر للخروج عليه، وقتله قتلة فاجرة، حفقت شأوم جده،
و قضت على الخلافة الأموية لتحل مكانها الخلافة العباسية.¹

ورغم ذلك فإن الشك يحوم حول رواية ابن كثير هذه، لأننا إذا علمنا
أنه توفي سنة (774هـ) وأنه الوحيد من المصادر التي بين يدي في رواية
أن يحيى بن زيد قُتل في عهد هشام بن عبد الملك، بينما مؤرخون أقدم منه
رووا جمعاً أن يحيى بن زيد قُتل في عهد الخليفة الوليد بن يزيد (سنة
125هـ/743م) وهي السنة التي توفي فيها هشام وتولى فيها الوليد،
فاليعقوبي (ت. 284 أو 292هـ/897م)، والطبراني (ت. 310هـ/922م)
والمسعودي (ت. 346هـ/957م)، وابن الأثير (ت. 630هـ/1233م أو
1234م). وهؤلاء جميعاً اتفقوا على أن يحيى بن زيد قُتل في عهد الخليفة
الوليد بن يزيد بخرسان، بإقليم (الجوزجان)، وانفرد ابن كثير عنهم برواية
مقتل يحيى، وفي كراهة هشام نسف الدماء، لا عن طبع فيه وإنما خوفاً على
الحكم الأموي، وهذا التقديم يعود إلى سببين:

- (أ) إن ابن كثير متاخر عنهم وهم أقدم منه زماناً، وأقرب إلى الأحداث
ولذلك فالمنطق يرجحهم في رواية دفعوا طلاقه كورة المتفقى على يد
ب) إن هؤلاء كثرة متفقون، وهو راوٍ واحد منفرد، والأكثرية مقدمة
على الأقلية، وخاصة الأقلية الضعيفة أو الفصوى، ولا أقل من واحد، ثم إن
التوانتر يفيد القطع وهو لاء ثقة توافرها على خبر واحد.

- أبو زهرة: زيد بن علي، 61، 62، الدكتور علي الشابي - الشيعة في إيران - ص 42

أما صفات هشام المترافقية حسب رواية الباعوفي فيهي التالية: كان هشام من أحرج بنى أمية وأرجلهم، وكان بخيلاً حسوداً، فظا غليظاً، ظلوماً، شديد القسوة، بعيد الرحمة، طويلاً للسان^١.

ويعتبره الطبرى رجلاً محسناً عقلاً، وذكر أن تنظيمه لدواوين الدولة كان مثالاً يحتذى به في الدقة والإتقان

واعتبر السياسي المحترف، وأحد سواس بنى أمية الثلاثة وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وبهشام ختمت أبواب السياسة^٢. وليس غريباً أن يكون هشام كذلك فمدنه الطويلة في الحكم - حوالي ربع قرن - كافية لأن تكتب أي إنسان خبراً يجعله من أوس الناس.

أما السعودي فيذكر أنه كان أحوالاً، ختنا، فظا غليظاً، يجمع الأموال، ويعلم الأرض ويستجده الخيل، وأنه أقام حلبة السباق فاجتمع له فيها من خياله وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك في الجاهلية ولا في الإسلام، لأحد من الناس واستجاد الكسي والفرش وعدد الحرب والأمتها، وأصطبغ الرجال، وقرى الشعور، واتخذ القتا والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التي أثني عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية، وفي أيامه عمل الخز، والقطف الخز، فذلك الناس جميعاً في مذهبة، ومنعوا ما في أيديهم، فقل الأفضل وانقطع الرفد، ولم ير زمان أصعب من زمانه^٣.

^١ الباعوفي: التاريخ الكبير: 58/3.

^٢ السعودي: سروج الذهب: 123/3.

^٣ نفس المصدر: 217/1.

هذه روايات مختلفة في تصوير شخصية هشام بن عبد الملك، منها المذلة ومنها الذلة، ولا ننكر أن تأثير الأهواء، والميل غير مستبعد، في هذه الروايات، نظراً لشعور المسلمين قديماً وحديثاً بعدم العيل لبني أمية، لما ارتكبه جل خلفتهم من أخطاء في حق الإسلام والمسلمين.

أضف إلى ذلك أن هشاماً عمر في الحكم طويلاً، وبقي يسوس المسلمين من سنة (105هـ/724م) إلى سنة (125هـ/743م) وهي مدة طويلة جعلت الرعية تملأ وتتمنى تجديد العهد مع خليفة آخر، فلكل جهة طرية¹. كما أن الصفات الذميمة التي وصف بها المؤرخون هشاماً فيها جانب لا يستهان به ينطبق عليه. **أضف إلى ذلك طول الحكم يعمّ الأحزاب، وإنما السلطنة**
كأغلب الرعية مذهب، متدين، ولهم خدود لآلامه
 والذليل على كراهية الناس لهشام ما ذكرناه سابقاً من فرج مواليه بمותו² ومن فرج حتى أقربائه الأذنانيين بذلك فقد ذكر الرواة أن هشاماً لما مات لم يجدوا له إداءً لتسخين الماء كي يغسل، فاستعار حاجبه الأبرش قمماً لتسخين الماء، وأحضر له كفناً لأن الخليفة الجديد الوليد بن يزيد استولى على خزائن الدولة وخزائن هشام، وأمر بإغلاقها انتقاماً منه³ لأنَّه حاول ارغامه على عزل نفسه من الخلافة، ليعهد بها إلى ابنه (مسندة بن هشام)، فلما امتنع حرمه⁴ وحرم أهله⁵ ومواليه من إعطائهم. وذكروا أن هشاماً كان غريباً للأطوار ومتافقاً في صفاتِه، وفي سلوكه مع الرعية، وحتى مع أقربائه، فكانت وفاته غريبة أيضاً بالرغم من كونه يعتبر سلطاناً عظيماً، ومنكما قاهراً، حتى قال من حضر ذلك: "إن في هذا لعبرة لمن اعتبر" وكانت وفاته بالذلة

¹ - العقوبي: "التاريخ الكبير": 59/3.

² - انظر ص 57 من هذا البحث

الصدرية سنة (125هـ/743م) وكان الوليد غائباً فلم يدفن، حتى أقبل في ثلاثة أيام وتنسق على خزان الدولة وخزان هشام، وانتقم منه كما مر^١.

وإذا كان هشام قد توفي عن خمسين سنة على أصح الروايات، وبقي في الحكم حوالي عشرين سنة^٢ فإن ولادته تكون حوالي سنة (72هـ/692م)^٣. وهو ذلك مقارب من حيث السن لزيد بن علي، الذي ولد حوالي سنة (80هـ/700م) والاتරاب عادة يتافقون، وإذا علمنا أن زيد بن علي ينتمي إلى آل البيت^٤ الذين دأروا حب المسلمين جميعاً، وأنه كان يمتاز بعلم جم، وأن هشاماً كان معروفاً بالحسد، خاصة إذا تذكر تبجيل الناس لزرين العابدين بن علي بن الحسين^٥ والذريعة عبد الملك بن مروان، وكيف أفسحوا له الطريق ليستلم الحجر الأسود؟ وكيف لم يهتموا بهشام وهو ابن الخليفة؟ إذا تذكر هشام كل ذلك فلا يستغرب منه إذا ما ضيق زيد بن علي إلى درجة الإحراج، مما اضطره إلى الخروج عليه شهراً سيفه ضد الظلم والقهر وذلك سنة (122هـ/740م)^٦.

^١- ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 207/2.

- أبيغوبى: التاریخ الكبير: 59/3.

- الفطيري: تاريخ الأمم والملوك: 514/5 مطبعة الاستئناف بتقاہرہ

^٢- نجد في حدث المسعودي عن عمر هشام تقاضى، حيث يصرح بأنه كان ثلثاً وخمسين سنة، ويصيغ أنه توفي الخلقة وعمره ثمان وثلاثون سنة، أو أربعون سنة، وبقي في الخلقة حوالي عشرين سنة. فإذا أضفت عمره حالة توليه، إلى مدة حذفه، يصبح سنه عند وفاته ثمانين وخمسين أو سبعين سنة مع أن كل المصادر - ومنهم المسعودي - اتفقت على أن عمره عند وفاته كان ثلثاً وخمسين سنة.

- انظر: المصادر المذكورة في التهامنة رقم واحد في نفس هذه الصفحة.

- وانظر: المسعودي: مروج الذهب: 1 / 216.

^٣- في كتاب فهرس البستانى: المجاتي الحديثة عن مجاني الألب شيخو: 121/2 - 123.

ذلك إذن صورة مجملة عن الأسباب التي دفعت زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(ع) إلى الثورة على هشام خاصة وعن الأمويين عامة، واعلان مذهبه: (إمامه المفضول مع وجود الأفضل).

الباب الثالث

مقارنة بين مبادئ الشيعة الإثني عشرية والشيعة
الزيدية في الأفضلية والوصية والعصمة والتقية وعلم
الأيماء، والغيبة والرجعة والمهدية

نَمْهِيد:

إن مبادئ الشيعة المذكورة لم تظهر إلا بعد مقتل الحسين ~~بِكُوكِ بَلَاءٍ~~ سنة 61هـ/681م) خاصة في عهد الداعية المختار بن أبي عبيدة التقي الذي طالب بدم الحسين بين سنتي (66هـ/686م - 67هـ/687م)، مستغلاً هذه المطالبة للانقضاض على الحكم، إن هذه المبادئ لم تتبادر إلا في عهد جعفر الصادق (ت. 148هـ/766م) وبعده. وقد عد قسم من الشيعة جعفر الصادق إمامهم، وازدادوا تعلقاً به إثر خلاف زيد مع أنصاره الكوفيين حول صحة إمامية الشفرين، فأطلق على هؤلاء اسم الرافضة. ولقد أثروا أن نطلق في مقارنتنا بين المذهبين من مبادئ الإثنى عشرية، لأنها تكاد تكون سابقة في الظهور على مبادئ الزيدية، حيث رأينا أن المختار دعا إلى بعض هذه المبادئ كالعصمة والمهدية والوصية... بينما كان ظهور زيد بن علي على الرمح السياسي والمذهبي بعد وفاة أبيه علي زيد العابدين بن علي سنة 110هـ/729م)، وفي عهد أخيه محمد الباقر (119هـ/737م) أي حوالي سنة 121هـ/739م) إلى سنة (122هـ/740م) تاريخ مقتله على يد الخليفة هشام بن عبد الملك.

أضاف إلى ذلك أن الشيعة الإثنى عشرية تأثروا بالسنية (والمختارية أو الكيسانية) في قولهم بهذه المبادئ، فكان لزاماً علينا أن نبدأ برأي الشيعة الإثنى عشرية في هذه المبادئ، ثم نقارنه برأي الشيعة الزيدية.

الفصل الأول الأفضلية

يرى الشيعة الائتية عشرية أن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة على الإطلاق، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذكر فضله في مواضع مختلفة، حتى أصبح ما روي في فضله يفوق ما روي في أصبح غيره من الصحابة، وأوصي له بالإمامية من بعده، واتصف علي بخصل زكية لا يعرف بها إلا الأنبياء كالأفضلية، والعصمة، والعلم الإلهي، والشجاعة، والشفاء، والزهد... ولذلك فهم يقولون بإمامية الأفضل.

أما الشيعة الزيدية فيعتبرون الإمام في مرتبة بشريّة، ويررون أن علياً أفضل الصحابة أيضاً ولكن المصلحة اقتضت تقديم الشيوخين (أبي بكر وعمر) عليه في الإمامة، وإن فهم يقفون مع الشيعة الائتية عشرية على طرف نقيض، إذ يقولون: بإمامية المفضول مع وجود الأفضل.

وعلى كل مما هو مقياس الفضل الذي استند عليه الائتية عشرية والزيدية في أحكامهم ؟

ثم ما هو رأي أهل السنة والجماعة في موضوع الأفضلية هذه، وخاصة ما ورد في كتب الصدح عندهم ؟

هذا ما سنحاول التقاديم به قبل الخوض في رأي الائتية عشرية، والزيدية في هذا الموضوع.

أورد البخاري في صحيحه فضل أصحاب النبي^(ص) على بقية المسلمين، حتى أن قادة الجيوش الإسلامية الفاتحة يتمنون بخروج بعض الصحابة^(ص)

معهم، ويتزاحمون في ذلك تزاحماً شديداً اعتقاداً منهم أن مصاحبة هؤلاء تجلب لهم النصر، لأن الرسول اعتبر خير أمته قرنه، ثم الذين يلونهم من التابعين وأتباع التابعين، ثم يفسو الكذب وشهادة الزور، والخيانة وضياع الأمانة، والبطر بالنعمة^١ وقد حصر ابن حجر^٢ في شرحه على البخاري الدرجة الأولى في الأفضلية في طبقة الصحابة، ثم في طبقة التابعين الذين عاشوا بين سنتي (100هـ/718م - 180هـ/788م) تقريباً، ثم ثالثي بعدهم طبقة تبع التابعين، وأخر من عات منهم من يقبل قوله^٣ من عاش إلى حدود سنة (220هـ/835م) وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة أسمتها، ورفعت الفلسفية رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا: بخنق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شيداً، ونم يزال الأمر في نفس إلى الآن^٤.

ويمى أن مقياس الفضل بين الناس وخاصة بين الصحابة دقيق وصعب، فقد اختلف العلماء، فمنهم من يرى أن أفضلية الصحابة على التابعون وعلى أتباع التابعين^٥ هي أفضليّة مجموع لا أفضليّة ل التابعين أفراداً وهذا من يرى أفراداً العكس^٦.

ويظهر أن مقياس الفضل بين الصحابة^٧ يعتمد على الأسبقية في الإسلام، والتفضية في سبيله بالنفس وبالمال فمن قاتل مع النبي - صلى الله

^١ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 3/8 - 7 بـ فصل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

^٢ نفس المصدر ونفس النبذ: 6/8.

^٣ نفس المصدر ونفس الصفحة والناب

عليه وسلم - أو في زمانه بأمره أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، لا يعد له في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل بحث^١.
واعتراف ابن حجر بأن من لم يقع ذلك له فهو محل نظر، يدل على صعوبة التفضيل بين الصحابة، لأن مقياس الفضل بين أهل الورع دقيق جداً، ولا نستطيع أن نطلق حكم الأفضلية الجازم، إلا بين من ظهر فضله، وبين من ظهر فسقه، خاصة إذا علمنا أن الأفضلية ليست مقصورة على الصحابة والتابعين، لقوله صلى الله عليه وسلم: "مثلي أمتي مثل المطر الذي لا يدرى أولاً ه خير أم آخره"، أورده ابن حجر في الشرح وعلق عليه بأنه حديث حسن له طرق يرتفقي بها إلى درجة الصحة وقوله: "أفضل الخلق إيماناً، قوم في أصلاب الرجال يؤمرون بي ونهم يردوني"^٣.

وروى أَحْمَدُ بْنُ حِبْلٍ وَالْدَارْمِيُّ وَالصَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جُمَعَةَ قَالَ: أَبُو عَبْدِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَّا هُدْيَةٌ خَيْرٌ مِنْهَا؟ أَسْلَمْتَنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ. قَالَ: فَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِكَ وَلَمْ يَرَوْنِي أَوْ عَلِقْ عَلَيْهِ ابْنُ حِجْرٍ بْنُ إِسْنَادِهِ حَسْنٌ، وَقَدْ صَحَّهُ الْحَاكِمُ.^٤

وعلی كل فامتناز الصحابة^١ والتابعین^٢ وأتباع التابعين على غيرهم بالفضل^٣ غير مشکون فیه لقوله تعالى: لا یستوي عنکم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئک أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا^٤.

نفر المختار وصفحة و النب

نفس المعنون و الصفحة ; الياب

-^٣ نفی المحتوى ، الصدقية والذل

سورة الحمد: الآية 10

وفضيلة صحبة الرسول لا تقوم على مشاهدته فحسب، وإنما تقوم على مجالسته، ومصاحبيه، والذب عنه، والسبق إليه بالهجرة والنصرة ونفي الدين عنه، وتبليغه لغيره، فإنه بذلك لا يعلمه في الفضل أحدٌ من يأتي بعده، لأنَّ ما من خصلةٍ من الخصال المذكورة إلا والسابق إليها، ثم فضل العامل بها بعده، مع العلم أنَّ الفائز بمشاهدة الرسول، يعد سابقاً في الفضل لمن لم يفر بذلك.

وقد ذهب ابن عبد البر^١ والفرطبي بأنَّه قد يكون في أمَّةٍ محمدٌ فيهم يأتي بعد بعض الصحابة من هو أفضلٍ منهم لقوله صلى الله عليه وسلم -
بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء.
لكن كلام ابن عبد البر والفرطبي ليس على الإطلاق في جميع الصحابة لأنَّهما استثنى أهل بدر، والحدباء^٢، والصحابة العشرة المبشرين بالحنة.

ثم لذا أن نتساءل: هل تعد زيادة الأجر مقياساً للفاضل؟ يجيبنا عن هذا السؤال ابن حجر^٣: بأن زادَةَ الأَجْرِ يَقعُ التفاصِلُ بِهَا لِمَنْ يَتَمَاثِلُونَ فِي
ذلك العدل في طبقتهم، كأنصافهم، فيما بينهم أو التابعين أو أتباع التابعين. أما إذا قفتَ إن غير الصحابي قد يكون أفضل من بعض الصحابة لقول الرسول:
العامل منهم أجر حسنين منكم فقد عقدنا مقارنة بين طبقتين غير متماثلين،
ويجوز أن نعقد تلك المقارنة بين صحابي وصحابي، أو بين من يأتي بعدهم
في طبقاتهم، من التابعين وأتباعهم.

^١ ابن حجر: فتح الباري: 7/8 باب فضل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -

الجواز وقد استدل العلماء يجواز المفاضلة بين الصحابة بحديث: "خير الناس الفرون

قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الآخرون أردا
الاختلاف في السبق وفي الصحبة^١.

ولذلك اعترف الصحابة بفضل أبي بكر عليهم جميعا، فقد روى
الطبراني من حديث علي، أنه كان يحلف، أن الله أنزل الصديق اسمه لأبي
بكر من السماء، ورجال هذا الحديث كلهم ثقات^٢.

السبقه ويتجلى فضل أبي بكر في سبقه إلى الإسلام، وفي تصديقه بالنبي،
وفي تبشير الرسول له أن الله أعتقه من النار - ولذلك كان أبو بكر يسمى
عثيقا^٣، وفي انفراده بمناقبة مصاحبة الرسول في الهجرة، وفي تلك السفرة
التي وقاه فيها بنفسه، ونزل القرآن مخددا تلك الذكري التي ثبتت فضل أبي
بكر على جميع الصحابة، فقال الله تعالى: "إلا تتصرون فقد نصره الله، إذ
أخرجه الذين كفروا ثانية اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه: لا تحزن
إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين
كفروا السقطي، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم"^٤.

وقال له النبي: "أنت أخي وصاحب في الغار" حتى عرف بين
الصحابية: (بصاحب الغار).

^١- نفس المصدر: 8/7، نفس الباب

^٢- نفس المصدر: 8/8 باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر - رضي الله عنه -

^٣- نفس المصدر ونفس الباب ونفس الصفحة.

^٤- سورة التوبه: الآية - 40

وقال له أيضًا مطمئنًا لما خاف من قوم المشركين: "ما ظنك يا أبا بكر بثنين الله ثالثهما".^١

وقال الرسول في حجة الوداع: "إِنَّ أَمْنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي صَحْبَتِهِ وَمَوْلَاهُ أَبُو بَكْرٍ، لَوْ كُنْتَ مُتَخَذِّدًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّيِّ، لَا تَخْذُلْ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكَنْ أُخْرَةَ الْإِسْلَامِ وَمُوْدَّتَهُ".^٢

ويستفاد من هذا الحديث أن تخليل ميزة خاصة تفضله على غيره، وترشحه للإمامية حيث أبا بكر فهم من حديث الرسول قرب انتقاله إلى الزوج الأعلى، ومن كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وليس معنى ذلك أن أبا بكر مدنى على رسول الله، لأن الملة تذهب النعمة، وإنما هو من بباب أن أبدل الناس لنفسه ومولاه لرسول الله، هو أبو بكر الصديق، وبذلك يكون مقدمًا على غيره من الصحابة في الأفضلية، فقد واسى رسول الله بنفسه ومولاه، وأنكحه ابنته وأعتق بلالا، ورافق رسول الله في الهجرة حتى قال فيه من حديث لفظه لأبي هريرة: "ما لأحد عندنا يد إلا كافية عليه، ما خلا أبا بكر، فإن له يدًا يكافنه الله بها يوم القيمة".^٣

على أن هناك أحاديث نبوية تزكي الخلفاء الراشدين الأربع في الفضائل التالية في الخلافة، فقد ذكر الشافعي أنه أجمع الصحابة والتابعون على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

١- ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 8/8 - 11 بباب مناقب المهاجرين وفضالهم منهم أبو بكر رحمه الله عنه.

٢- نفس المصدر: 12/8 - 13 بباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يلد أبا بكر أبا بكر نفس المصدر: 13/8 ونفس الباب.

وروي عن ابن عمر : "كنا نقول في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أبو بكر، وعمر، وعثمان، ثم ندعا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا نفضل بينهم" وعدم ذكر علي بعد عثمان ربما يعود إلى كونه صغير السن^١ زمن هذه المفاضلة بالنسبة إلى هؤلاء الصحابة، ورغم ذلك فقد روي عن ابن معين أنه تكلم بكلام غليظ فيمن يذكرون أبو بكر وعمر وعثمان ويذكرون عن علي، فائلاً : "من قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعرف علي سابقته فهو صاحب سنة، ولذلك انكر ابن عبد البر الزيادة التي وقعت في حديث ابن عمر : ... ثم ترك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا نفضل بينهم لأن هذه الزيادة خلاف قول أهل السنة: أن علياً أفضل الخلق بعد الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان.

ولذلك انكر ابن معين أيضاً رأي قوم من العثمانيّة^٢ لأنهم ينتقصون علياً، ويغالبون في حب عثمان، ولا شك أن من افتصر على ذلك ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم، ولهذا فحديث ابن عمر ربما فيه غلط وإن كان سنه صحيحاً، ولكنه قد يكون سالماً من الغلط، ولا يلزم بعدها من سكوتهم عن تفضيله إذ ذلك عدم تفضيله على الدوام، لأن أهل السنة أجمعوا على ترتيب الأربع في الفضل كترتيبهم في الخلافة!

هذا رأي أهل السنة في الأفضالية^٣، أما رأي الشيعة الاثني عشرية فيتمثل فيما أورده التوبختي (ت 310هـ/922م)^٤ في أن الإمامة لا تكون إلا

^١- نفس المصدر: 16/8 17 - باب فضل أبي بكر، بعد النبي - صلى الله عليه وسلم.

^٢- محمد الخضر يك: أصول الفقه - ص. 383

^٣- التوبختي: فرق الشيعة - ص 16 -

نأفضل، لأنَّه يتصف بِرُزْكِيِّ الْخَصَالِ^٤ التي لا تجدها إلا لدى الأنبياء والرسُّل وهي كثيرة ومنها: العصمة، والعلم الإلهي، والسخاء والرُّزْدَه، والتقوى وانور ع^٥ والعسل النصالح، والشجاعة، والانتساب إلى شجرة النبوة الظاهره... وقد صرَّح بعض هؤلاء الشيعة^٦ بأنَّ أهل السنة أهل إهمال^٧ لأنَّهم قالوا: إنَّ الرسُّول أهمل أوصيَةَ إِلَى عَنْيِ بالإمامَة، بينما هو الأفضل والمستحق لها. أهل السنة هؤلاء اختلفوا في إمامَة الأفضل والمفضول، فأقرَّ أكثرُهم جوازَها في المفضول، إذا كانت في الأفضل علة تمنع من إمامَته. أما سائر الشيعة الائتية عشرية فقد انفقو على أن الإمامَة لا تكون إلا للأفضل المتقدم: وهو عَنْيِ بن أبي طالب^٨.

وذهب (ابن التمار) - من الشيعة - ومن وافقه في رأيه، إلى أنَّ عَلَيَا كان مستحفا لِلإِيمَانَة، وأنَّه أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ الإمامَة لَيْسَ بِمَخْطَنَةٍ خَطَا إِلَيْهِ فِي تَوْلِيهَا أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ، وَلَكِنَّهَا مَخْطَنَةٌ بِتَرْكِ الْأَفْضَلِ، وَتَبَرُّؤُوا مِنْ عُثْمَانَ، وَمِنْ مَحَارِبِ عَلَيِّ وَشَهَادَتِهِ بِالْكُفَّارِ^٩.

وَاسْتَدَلَ الشِّيَعَةُ الائتيةُ عَشْرَيْةً عَلَيَّ أَفْضَلِيَّةِ عَنْيِ على سائر الصحابة بالتوصية الموجبة للإمامَة، وبالأحاديث الكثيرة الواردة فيها، والتي تؤكِّدُ حقَّ عَلَيِّ، ومن ذلك ما يزروي عن الإمام الرضا: أنَّ الرُّعْيَةَ لَا تستطيع معرفة قدر الإمامَة، ومحليها من الأُمَّةِ، فيحوزُ فيها اختيارُهم، "إِنَّ إِيمَانَمَا أَجَلَ قَدْرَهِ، وَأَعْظَمَ شَيْئًا، وَأَعْلَى مَكَانًا، وَأَمْنَعَ جَانِبًا، وَلَعَ غُورًا، مِنْ أَنْ يَلْعَلُهَا النَّاسُ

^٤- الشابي - الشيعة في بيان - ص 26.

^٥- التوحيدي: فرق الشيعة ص 17.

بعقولهم، أو أن يذلوها بآرائهم، أو يقيموا ^{لهماما} أماماً باختيارهم، أن الإمامة خص الله بها - عز وجل - أبا إبراهيم الخليل - عليه السلام للناس إماماً، قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين^١.

فأبطلت هذه الآية إماماً كل ظالم إلى يوم القيمة، وصارت في الصفة^٢. والصفوة لا تكون إلا أفضل الخلق، ولذلك فلم تزل الإمامة في ذرية أبا إبراهيم، يرثها بعض عن بعض، وقرنا فقرنا، حتى ورثها الله - تعالى

^١ سورة التغرة الآية 124.

- التوبيخى: من فضلاء بغداد وعلمائها المتكلمين على مذهب أهل البيت ومن أكبر العائلة التوبختي. ونقل عن البرقاني أن التوبيخى كان شجاعاً معترضاً صدوقاً، ونقل عن العفيفى أنه قال: كان التوبيخى شقة في الحديث، ويدعى مذهب المعزن، ونعته ابن شهراسوب بالفالسوف الإمامى (انظر: الحر العجمى: أمن الأمل - ص 469).

طبع مذيلاً لمنهج المقال بطهران سنة 1307هـ). ومن حيث تاريخ وفاته فإنه لم يحدد أغلب الذين ترجموا له، بل ذكروه على العموم والتقريب، من ذلك ما رواه ابن المطهر الحنفى في (كتاب الخلاصة) ص 21 نقلًا عن أبا إبراهيم الزرين محقق (فرق الشيعة - ص 113) فقال: "الحسن بن موسى أبو محمد التوبيخى شيخنا المتكلم السيرز على نظراته في زمانه قيل ^(الثلاثمائة وبعد) (300/5 هـ 910هـ)"

ونذكر أبا إبراهيم الزرين (فرق الشيعة - ص 118، 120) أنه من المؤسف عدم الوقوف على تاريخ ولادته أو وفاته لتتوبيخى لي נשئي الانقطاع بهما في دراسة تراجم هذا العالم غير أن الذي استبطنه من تواريخ معاصره أنه أدرك رأس الثلاثمائة. (300/5 هـ 910هـ)

وهذا ما ذكره أيضاً الخوئي في روضات الجنات - ص 31؛ وكان من أفضلي زمانه الانثنائين هجرية. وأشار محسن العامنى في كتابه (أعيان الشيعة: 16/1، 17) إلى أن التوبيخى من أهل القرن الرابع الهجري. (40/8 هـ 840هـ)

وقد عثينا لدى أستاذنا الدكتور علي تشلي في كتابه (الشيعة في إيران - ص 26) على تحديد لكتابه وفاة التوبيخى مطابيق توقيت وفاة الطبرى وهو (سنة 310هـ 922م).

- محمدًا فقال - عز وجل - : "إِنَّ أُولَئِنَّ اسْمَنْ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهُذَا
النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَنَّيِّ الْمُؤْمِنِينَ".^١

فكانت الإمامة للنبي محمد خاصة به، فقدتها عليا بأمر الله تعالى، "على رسم ما فرض، فصارت في ذريته الأوصياء الذين أتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ، لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ فِيهَا يَوْمَ الْبَعْثَ وَلَكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"^٢ فالإمامية لذلك في ولد علي إلى يوم القيمة.^٣

وأفضلية الإمام تتجلى في كونه في منزلة الأنبياء، ووارث الأوصياء، وخليفة الرسول، ومقامه مقام أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وميراثه ميراث الحسن والحسين. وهو بالإجمال موصوف بكل صفات الفضل والكمال، فهو مظهر من الذنوب، ومبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم، مرسوم بالحلم، نظام الدين وعز المسلمين، وغيض المنافقين، وبوار الكافرين، وهلاكهم وهو "واحد دهر"، لا يدانيه أحد، ولا يعاد نه عالم، ولا يوجد منه بذر ولا نه مثل، ولا نظير، مخصوص بالفضل كلها، من غير طالب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من السفضل الوهاب،^٤ أنتظرون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول؟

١- سورة آل عمران: الآية ٦٨.

٢- سورة الروم: الآية ٥٦.

٣- "الكتابي: الأصول من الكافي": ١/٢٠٠ - ١٩٨ - كتاب الحجة - بـبـ نـادـرـ جـامـعـ فـضـلـ الإـسـلامـ وـمـسـفـاتهـ.

٤- في نفس المصدر: ١/٢٠١.

وَكَيْفَ يُخْتَارُونَ الْإِمَامَ وَالله - تَعَالَى - يَقُولُ: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيُخْتَارُ^١ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةَ سَبَّحَ اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ"^١ وَيَقُولُ أَيْضًا: 'مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ، وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ'^٢ وَكَيْفَ لَهُمُ الْإِخْتِيَارُ، وَالْإِمَامُ عَالَمٌ لَا يَجِدُ، وَرَاعٌ لَا يَضُعُفُ وَيَجِدُ، وَهُوَ الْمَدْنُ الْقَدْسُ وَالْطَّهَارَةُ، وَالنِّسَكُ وَالزَّهَادَةُ، وَالْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ، مُخْصُوصٌ بِدُعَوَةِ الرَّسُولِ، وَنَسْلُ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتَوْلِ، لَا مُغْمَزٌ فِيهِ فِي نَسْبٍ، وَلَا يَدَانِيهِ ذُو حَسْبٍ، فِي الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالثَّرْوَةُ مِنْ هَالِئِمْ، وَالْعُتْرَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالرِّضا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، شَرْفُ الْأَشْرَافِ، وَالْفَرْعَعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافِ، نَامِي الْعِلْمِ، كَاملُ الْحَلْمِ مُضْطَلِّعٌ بِالْإِمَامَةِ، عَالَمٌ بِالْسِّيَاسَةِ، مَفْرُوضٌ الطَّاعَةُ، قَانِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ، حَفَظْ لِدِينِ اللَّهِ"^٣.

وَقَدْ اسْتَحْقَقَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ هَذَا الْفَضْلُ لَأَنَّ اللَّهَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُنِ عِلْمِهِ وَحِكْمَهِ مَا لَا يُؤْتِي غَيْرُهُمْ، فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ جَمِيعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدِي فَمَا لَكُمْ تَهْدِي^٤ كِيفَ تَحْكُمُونَ"^٤. وَنَقْوَلُهُ أَيْضًا: 'مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا'^٥. وَقَوْلُهُ فِي قَصَّةِ الْمُلَكِ صَالِوْتَ: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَنْكُمْ، وَزَادَهُ بِسْطَةً فِي الْعِلْمِ"

^١ سورة القصص: الآية 68.

^٢ سورة الأحزاب: الآية 36.

^٣ الكليني: الأصول من تكاليفي: 1/201، 202 كتاب الحجة - باب نادر جامع في فضل الإمام، صفات.

^٤ سورة يونس: الآية 35.

^٥ سورة البقرة: الآية 269.

والجسم، والله يوْتَي ملْكَه مِن يَشَاءُ، وَالله وَاسِعٌ عَلَيْمٌ^١. وَقَوْلُه نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ
 وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكَ عَظِيمًا^٢ وَقَوْلُه فِي الْأَيَّمَةِ مِنْ آلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَنْتَرَتِهِ وَذَرِيَّتِهِ: "أَمْ
 يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَنِ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ، وَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ كُلِّاً عَظِيمًا، فَسَنَهُمْ مِنْ آمِنِيهِ، وَمِنْهُمْ مِنْ صَدِّ عَنِهِ،
 وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا^٣. وَمِنْ عَلَمَةِ فَضْلِ الْأَيَّمَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَهُم
 لِأَمْوَارِ عَبْدِهِ وَشَرَحَ صُورَهُمْ لِذَلِكَ، وَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ يَنْبِيَعُ الْحِكْمَةَ، وَأَلْهَمَهُمْ
 الْعِلْمَ إِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَحْتَازُوا بَعْدَهُ فِي جَوَابٍ وَلَا جَانِبَوْا بِهِ الصَّوَابَ، فِيهِمْ
 مَعْصُومُونَ، مَؤْيَدُونَ، مَوْفَقُونَ، مُسْتَدِّونَ، قَدْ آمَنُوا مِنَ الْخَطَا وَالْأَنْزَلَ وَالْعَثَارَ،
 يَخْصُّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونُوا حَجَّتَهُ عَلَى عَبَادِهِ، وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُوْتَيْهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^٤، اتَّدِبُهُمُ اللَّهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَحْبِبُ
 بِهِمْ مَذَاهِجَ سَبِيلِهِ وَفِرَائِصَهِ وَحِدْوَدَهِ، فَقَامُوا بِالْعَدْنِ^٥ بِالنُّورِ السَّاطِعِ عَلَى طَرِيقِ
 الْمَنْهَاجِ، الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَبْيَاءِ^٦. لَا لَهُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ،
 وَخَيْرَةٌ مِنْ ذَرِيَّةِ نُوحٍ، وَمَصْطَفَىٰ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَسَلَالَةٌ مِنْ أَسْمَاعِيلِ،
 وَصَفْوَةٌ مِنْ عَتْرَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^٧ -. لَمْ يَزِلَ اللَّهُ يَرْعَاهُمْ

^١- سورة البقرة: الآية 247

^٢- سورة النساء: الآية 112

^٣- سورة النساء: الآيات 54-55

^٤- "كتابي: الأصول من الكافي": 203-202 / 1 - كتاب الحجة - باب ثالث جامع فضل الإمام وصفاته.

^٥- نفس الم مصدر ونفس الكتاب وباب: 204/1 - 205

^٦- نفس الم مصدر ونفس الكتاب وباب: 204/1

يعيشه ويكتؤه بستره، ويطرد عنهم جائل إيليس وجنده، ويدفع عنهم نفاثات كل فاسق، لأنهم منسوبون إلى العفاف والعلم والفضل^١.

ولما كانت صفات الإمام مثالية، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، وأول الأئمة في الفضل هو علي بن أبي طالب، وهو في نظر الشيعة - أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان، وإن تقدموه في الخلافة، لأنهم بعملهم ذلك جاوزوا أمر الله، ووصية الرسول لهم بالولاية من بعده^٢.

وعلى هذا الأساس فعلي في نظر الشيعة - مصيبة في قتاله لطلحة والزبير ومعاوية، وهم مخطئون بلغوا درجة الكفر في محاربة خليفة شرعى أجمع المسلمين على مبادئه^٣.

وأغرب ما في هذا الأمر، ما ذهب إليه أحد المتكلمين وهو، على ما ذكره الأشعري: بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد من أنا عليا وطلحة والزبير مشركون مذاقون، وهم في الجنة لقول الرسول: أن الله سبحانه اطلع على أهل بدر، فقال: أعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم^٤.

وعلى كل فقد قال قسم من المتكلمين وهم الأغلبية بصحة إمامية الخلفاء الرشدين الأربع، لاجماع المسلمين عليهم، فأبى بكر عقد لهم المسلمين الإمامة وأجمعوا عليه، وعمر كان إماماً بعهد أبي بكر، ورضى المسلمين به،

١- نفس المصدر ونفس الكتاب والباب والصفحة.

٢- الأشعري: مقالات الإسلاميين: 2/131-134.

٣- نفس المصدر: 2/130.

٤- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/306-307 كتاب المغازى - باب فضائل من شهد بدار - وننظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين: 2/129-130.

وانتفاقهم على مبايعته، وكان عثمان إماماً باتفاق سنة الشورى عليه¹. ومبايعة المسلمين له، وكان على إماماً بإجماع أهل الحل والعقد عليه بالمدينة.

وأقر متسلكون آخرون إماماً أبي بكر وعمر وعثمان، وأنكروا إماماً على، لأن المسلمين لم يجتمعوا عليه -حسب زعمهم- ومن هؤلاء أبو بكر بن الأصم².

واعترف آخرون بإماماً الخلفاء الراشدين الاربعة، وأنكروا إماماً معاوية، و قالوا: إنه لم يكن إماماً بحال³.

وذهب أبو بكر بن الأصم إلى أنه⁴ كان قتال علي لطحة والزبير من أجل الكف عن الفتنة والإصلاح على إمام، فقتاله لهما على هذا الوجه صواب، وكذلك موقفهما منه. ونفس الأمر في قتال علي ومعاوية، أما إذا كان معاوية قاتل علياً ليحوز الإمامة لنفسه فهو ظالم، وإن كان قتاله لخلاف ما في يديه إليه، إذا لم يتحقق على إمامته فقتاله على هذا الوجه صواب⁴.

وهذا كله من اجتهاد أبي بكر بن الأصم في الرد على الشيعة لأنه قد توالت الخبر لدى المغارحين وكتاب الفرق بإجماع المسلمين على إماماً على بن أبي طلب.

ويتجلى فضل علي في رده عن حطام الدنيا، فكان لا يدخل بما في يديه على الفقراء والمساكين ولو كان في حاجة إليه. فقد تصدق مرة بطعامه

¹- الأشعري: مقالات الإسلاميين: 129/2 - 130.

²- نفس المصدر: 129/2 - ابن حزم: تفصي: 4/164 وبهانشه آستان شهرستانی

³- نفس المصدر: 130/2

⁴- نفس المصدر: 130/2 - 131

وَطَعَامٍ عِيالَهُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَّةٍ، عَنْدَمَا مَرَضَ أَبْنَاهُ الْحَسْنُ وَالْحَسْنُ، فَنَذَرَ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَجَارِيَةَ لَهُمَا أَنْ يَصُومُوا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِذَا شَفَاهُمَا اللَّهُ، وَلَمَّا أَسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِمَا وَشَفَاهُمَا، أَصْبَحُوا صَائِمِينَ. وَفِي يَوْمِهِمُ الْأَوَّلِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَمَعَوْنَ الْيَهُودِيِّ صَائِمِينَ مِنْ شَعِيرٍ لِلإِفْطَارِ، وَعَنْدَمَا حَلَ وَقْتُهُ، وَفَدَ وَضَعُوا الطَّعَامَ عَلَى الْمَانِدَةِ، طَرَقَ بَابَهُمْ مُسْكِنَ قَاتِلًا: أَطْعُمُونِي مِمَّا أَطْعَمْكُمْ اللَّهُ، فَأَعْطَوْهُ مَا عَنْهُمْ، وَبَاتُوا طَازِينَ لَمْ يَذُوقُوا إِلَّا الْمَاءَ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي طَرَقَ بَابَهُمْ يَتِيمًا، وَفِي الْيَوْمِ الْثَّالِثِ طَرَقَ بَابَهُمْ أَسِيرًا فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمَا بِمِثْلِ مَا تَصَدَّقُوا عَلَى الْأَوَّلِ، وَقَضُوا أَيْمَنَهُمُ الْثَّلَاثَةِ طَاوِينَ لَمْ يَذُوقُوا إِلَّا الْمَاءَ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: أَوْيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبَّةِ مُسْكِنٍ، وَيَتِيمٍ، وَأَسِيرٍ، إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جِزَاءً وَلَا شَكُورًا¹.

وَهَذَا هُوَ الْإِبَثَارُ الَّذِي تَحَدَّثُ عَنْهُ الْآيَةُ الْفَرَآنِيَّةُ: أَوْيَؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَهُمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يَوْقِنُ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ² وَمِنْ عَلَمَةِ زَهْدِهِ وَسُخْتَهِ أَيْضًا أَنَّهُ أَعْنَقَ أَلْفَ عَبْدٍ مِنْ كَسْبِهِ. وَمِنْ أَفْضَلِيَّتِهِ أَيْضًا عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ: إِنَّمَا رَدُوا الْأَمْرَ إِلَيَّ لِقَضَيْتَ بَيْنَ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِالْتَّوْرَاةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا بَيْنَ الْلَّوْحَيْنِ. وَكَانَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا عِلْمًا جَمِيعًا مَا أَصْبَحْتُ لَهُ حَمَةً³.

- سورة الإنسان: الآيات 8، 9 - الحلى: منهاج الكرامة ضمن كتاب ابن تيمية: منهاج السنة: 133/4 وبهمنشه: بيان صريح المعقول للمؤلف الأخير

- سورة الحشر: الآية 9

- القاضي أنطون (ت. 363هـ/974م): المجالس والمسايرات ص 379.

- الحلى: منهاج الكرامة في معرفة الإمامية: ضمن كتاب ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 33/4 وبهمنشه صريح المعقول

- الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران - ص - 77.

الاية ويرى الشيعة الاشی عشرية أنه لا يجوز أن يكون هناك أفضل من

علي بن أبي طالب، وقد أشهد الرسون في الوصبة إليه بالإمامية من بعده،

أربعة من عظام الملائكة وهم: جبريل، وميكائيل، واسرافيل، وأخر نسي

اسمها راوي الحديث المشوب إليه وهو أبو عبد الله جعفر الصادق (ت. سنة

148هـ/766م) بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي

عليهم السلام جميعها
بن أبي طالب¹. ولعله الملك عزرا ملائيل المربي ذكرنا المحمد تشاوخي²

وتتجلى أفضلية آل البيت على غيرهم من المسلمين في القرآن الكريم

الذى أوله الشيعة على مقتضى ما يذهبون إليه، حتى لم بعد لغة العربية

مدخل متعارف، بل أصبحت عبارة عن رموز، لا يحل الغازها إلا الشيعة

كما يفعل بعض المتصرفون، وبذلك تخدو اللغة أداة تناحر بين أربابها، لا أداة

تقرب وتفاهم، كما تتجلى أفضلية الأئمة الاشی عشر أيضا في الأخبار

المروية عن الرسول من طرقهم، ولذلك فعلى بن أبي طالب أفضل الصحابة

على الإطلاق، ثم يأتي بعده في الفضل بقية الأئمة الاشی عشر³.

- ابن نبوة الفقي (ت. 381هـ/992م): من لا يحضره الفقيه: 534/4 - حدث رقم 16 -

باب نوادر الوصايا - توفي المؤلف ابن نبوة الفقي بالمربي، وقد ألف عن الكتب ما يقارب

ثلاثمائة كتاب، وألف كتابه (من لا يحضره الفقيه) في شهر ذي القعدة من سنة

(372هـ/983م) وذكر عن نفسه أنه قد أسمع كتابه هذا للشريف الفاضل أبي عبد الله محمد

بن الحسن تعلوي السوسوي العذري وزواجه مشائخه برض بلخ - وكتبه بخط يده (انظر كتابه:

من لا يحضره الفقيه: 623/4). وانتقل ابن نبوة الفقي من خراسان إلى بغداد: وانتصب

للتدريس، وتعلم على يديه تلاميذ كثيرون، فارتسع مكتبه، وأصبحت صناته وثيقة بركن الدولة

بن نبوة، واست Khan Sultan Abuibeyi بنظرية الصدوق في الإمامة لكتير شؤون الدولة اليوبيانية

(انظر الدكتور على الشابي: الشيعة في إيران - ص - 135).

الخارجى: الاستئثار فى النص على الأئمة الاطهار: مخطوط: 1/ب.

والأفضلية على التي لا يشك فيها الشيعة، ومخالفوهم من أهل السنة وغيرهم من الفرق الأخرى يرسى أبو افتتح محمد بن علي الكراجي^١. أنه إن أوردنا نصوصاً في ولادة الأئمة وفي فضائهم من الحسن إلى المهدي المنتظر، فإننا لا نحتاج إلى ذلك، كي نؤيد إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فهو أشهر من أن نضطر إلى تدعيم إمامته بالكتاب أو بالسنة لأنها معروفة لدى الخاص والعام، ولذلك أقر العدو والمخالف بفضله وإمامته وسلموا بأدلة الشيعة في هذا الموضوع.

وأسلوب الكراجي هذا، من أذكي الأساليب التي توخاها الكتاب، لاستيلاء على ذهن القارئ، وإفحامه بحججه، مهما كانت من حيث القوة والضعف - لأنه يعتمد طريقة جديدة لم يعتمدتها أسلافه من الشيعة، فهو لا

١- هو أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجي توفي سنة (449هـ/1057م) من جملة مشائخ الشيعة (انظر: مخطوطته: الإستبصار: ١/١) من تلاميذ الشيخ المغبى (٣٣٦هـ أو ٣٣٨هـ/٩٤٨م أو ٩٥٠هـ - ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) المعروف بمحمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام التغدادي شيخ مشائخ الحلقة، متكلم وشيخ الإمامية في وقته وله أكثر من عاشرة مصنف بين كتاب، ورسالة، ومقالة، من أشهرها (أوائل النقالات) ويعرف بين العلم. (انظر: الطبرى: الإحتياج : ٣٢٢/٢ ٣١٨). وعرف ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية) بأن الكراجي أتقى نقيذه لكتاب (منهاج التكرامة في معرفة الإمامية) فقال : «لراغضة شابهوا اليهود في اختب وليهوى، وشابهوا النصارى في الغلو والتجلب » وهذا المصنف (الخطى) سلك مسلك سلفه كابن النعمان المغبى، والكراجي وأبن القاسم الصوموى والطوسى، فإن الراغضة في الأصل ليسوا أهل خبرة بطرق المناظرة، ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المぬع والمعارضة كما أنهم جهنة بالمنقولات، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الانساد، وكثير منها من وضع المعروفين بالكتب، فيعتقدون على نقل أبي مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ/٧٧٤م) وهشام بن الكابي (ت ٢٠٤هـ/٨١٨م) وكلاهما راغب شيعي صاحب أخبار وأسرار، وأنسب ولا صلة لهما بالدين. (انظر: الحافظ النهبي: المتنى من منهاج الإعتدال - وهو تلخيص لكتاب منهاج السنة النبوية - ص ١٩ - ٢١). وهذه المرآة عالم علينا لأن فيها قدح وسباب مثل «لرها يلهوا» في الريجع والمهوى ... وشابهوا المذهب في الغلو والتجلب ... وأن لهم حركة «لهم حركة» من رفع الخطروين باللذات ... واللذات المعلوم ... ويشبه المذهب بالزراير العقالية المدحمة بالشوائب والأدلة ... العصوصية والسلموسيّة مادياً وذهنياً ... وستذكر هنا ردود شيعة منهاجاً عاطفية في (ص ١٤١م/٢٠٢)

يذكر في علي نصا يثبت ولادته وفضله على غيره من الصحابة لأنه - كما يقول التغويون - : من باب (ترك العلامة له علامة). وإن فعلى في نظره أولى بالإئممة من الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول (أبي بكر وعمر وعثمان)، لأنه أفضلاهم، وبالتالي لا تجوز إمامية مفضول مع وجود الأفضل. وبهذا الأسلوب المبتكر يقدم الكراجكي كتابه مبينا أنه أله لأحد الوجهاء، ويبدو أنه أحد القادة السياسيين من الشيعة، لأن خصمه في الجدال المذهبي طالبه بإيراد نصوص دالة على ولادة الإمامية الاشتراعية¹. ويظهر أن خصمه من أهل السنة حسب سياق حديثه. وهذا نص قوله ذات المعنى المبتكر : "قد علمت حرصك - أيك الله على العلم - واجتهادك، وعرفت منزلتك في الفهم، وانتقادك وما تحثك نفسك عليه، وندعوك همتك إليه، في نصرة الحق ومعنقيه، وإقامة الحجة على مخالفيه، ومنكريه، وأنه يحسن ذلك التوفيق **كل ذلك** والتسليد ويديم **ذلك** المعونة والتأييد، ولما **يلغى** ما جرى بينك وبين خصمك **بلغني** من المناظرة في الإمامة ومطاليبته ذلك بإيراد النصوص على أعيان الإمامية، وتعجبه من القاطع على أنهم صلوات الله عليهم اثنا عشر إماما، واستبعاده أن **الله** يصح في ذلك ورود خبر، عملت **ذلك** هذا الكتاب حجة وعمدة وجعلت ساوى دعوه من النصوص... عدة ليشتد به عضد الولي المؤلف، ويكتب بضمونه قلب العدو المخالف، حسب ما يلزمني **ذلك**² من الحق، ويتعين على من نصرة الحق... أعلم **أيتك الله**... أن الله جل اسمه قد يسر لعلماء الشيعة من وجود الأدلة العقلية والسمعية على صحة إمامية أهل البيت - صلوات الله عليهم - ما يثبت ببعضه الحجة على مخالفتهم... فالعقليات دالة على الأصل

¹- الكراجكي: الاستبصار في النص على الإمامية الأطهار؛ مخطوطة: 1/ب.

²- نفس المصدر ونفس الورقة.

من وجوب الحاجة إلى الإمام في كل عصر، وكونه على صفات معلومة يتميز بها على جميع الأمة ليست موجودة، في غير من أشاد إليه، ولا مدعاة لسوى من اعتمد عليه، والسمعيات منها القرآن الدال في الجملة على إمامتهم، وفضلهم على الأنام، ومنها الأخبار انواردة فيهم بالنص والتعيين عليهم، فاما النص من ذلك المختص بإمارة أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، دون غير من يليه، فقد حمت معرفته، واشتهرت، وترددت الأقوال فيه، وتكررت، وعرف العدو والولي احتجاج الشيعة بالخلفي منه وإنجلي ،^١ ولما كان الآية أفضلخلق في رعيتهم بعد الرسول، فإنهم يتصرفون بكل صفات الكمال وهم أعلم الخلق بعلم الدنيا والآخرة، وأقدرهم لذلك على فن الجدل، والاحتجاج ضد خصومهم من المذاهب الأخرى، أو ضد الملاحدة والمبتدعة والزناقة، وأكبر دليل على ذلك كتاب (الاحتجاج) للطبرسي .^٢ دعاه إلى تأليفه عدول جماعة من أصحابه الشيعة عن الحجاج، وعن سبيل

^١- انكراجي: الاستمرار في النص. على الأية الأطهار: ا/ب. مخطوط.

— هو أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي المُتوفى حوالي سنة 2062هـ/1223م) وهو غير أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير (مجمع التبيان في تفسير القرآن) والمُتوفى سنة 548هـ/1153م). وقد أشى على صاحب (الاحتجاج) أعلام المترجمين كالآخر انعماطي الذي وصفه بأنه: عالم فقيه فاصل، محدث وفقه، واعتبره الخوشناري من أجل أصحابهم الشيعة التقليدين، ووصفه عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) بأنه فقيه ومؤرخ، ولها عدة تأليف ضاع أغلبه، مثل (تاريخ الأئمة) و(فضائل الزهراء) - و(الكافي في الفقد)... وأكثر أخبار الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، مرتبة، كما صرّح بذلك في مقدمة، مبيناً السبب قائلًا: «ولا يأتني في أكثر ما نورده من الأخبار بسناده، لما لوجود الإجماع عليه، يا إذا أو يوقنه لما ذلك العقول إليه، أو لانتهائه في السير وكتاب بين المخالف والمؤتلف؛ إلا ما نورده عن أبي محمد الحسن العسكري - عليه السلام - فإنه ليس في إسناده على حد سواء، وإن كان مثمناً على مثل الذي قدمناه، فلأجل ذلك ذكرت إسناده في أول جزء من ذلك دون غيره لأن جميع ما رويت عنه - عليه السلام - إنما روته بسناد واحد، من جملة الأخبار التي ذكرها عنه السلام في تفسيره.

الجدال ولو كان حفاظاً وقولهم: "إن النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والأئمَّةُ - عليهم السَّلامُ - لم يجاذبوا قط، ولا استعملوه، ولا للشِّيعةِ فيهِ إجازةٌ، بل نهواهم عنه وعابوه". فرأيت عمل كتاب يحتوي على ذكر جمل من محاوراتهم في الفروع والأصول، مع أهل الخلاف وذوي الفصول^١، يظهر فيه جاذبهم بالحق، وفضلهم على غيرهم، لما أتوا من نوادر الحجج المكتبة لشخصهم، وأنهم إذا نهوا عن ذلك، فإنما نهوا الضعفاء، والقاصرين، عن بيان هذا الدين. ولم ينهوا المبرزين في الاحتجاج، الغالبين على أهل النجاح^٢. ولأجل هذا الجدل الحق، علت منازل أئمَّة الشِّيعةِ وارتفعت به مكانتهم، ودل على علمهم الجم، وفضلهم على غيرهم، فعلت بذلك منازلهم، وارتفعت درجاتهم، وانتشرت فضائلهم^٣.

وإذا نجد فضل الحجاج في القرآن وفي السنة، وفي أخبار أئمَّة الشِّيعةِ. وقد قال الله تعالى في أسلوب الحجاج: وجاذبهم بالتي هي أحسن^٤. وقال: ألم تر إلى الذين حاج إبراهيم في ربِّهِ، أن أتاهم الله الملك، إذ قال إبراهيم: ربِّي الذي يحبني ويميت، قال: أنا أحبك وأميتك، قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبعث الذي كفره الله لا يهدى القوم الظالمين^٥. وقد سعاني - حكاية عن احتجاج إبراهيم على عبادة الكواكب، وقطعها، وافونها، وحدوثها، وإثبات أن لها محدث هو الله: 'وكذلك نرى

^١ انظرسي: الاحتجاج: 4/1

^٢ نفس المصدر والصفحة

^٣ نفس المصدر والصفحة

^٤ سورة العنكبوت: الآية 46

^٥ سورة البقرة: الآية 238.

ابراهيم ملکوت السماوات والأرض ولن يكون من الموقفين. إلى قوله تعالى:
وَتَنَكِ الموْقُوفُ حِجَّتًا أَتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ...^١

وروي عن النبي أنه قال: نحن المجادلون في دين الله على لسان
سبعين نبياً.^٢

وروي عن أبي محمد الحسن العسكري (ت 260هـ/874م)، والد
المهدي المنتظر قال: أَحَدْشِنِي أَبِي عن أبيه - عليهم السلام - عن رسول الله
- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: أَشَدُّ مَنْ يَتَمَّ الْيَتَمُ الَّذِي انْقَطَعَ مِنْ أَمْهِ
وَأَبِيهِ، يَتَمَّ يَتَمَّ انْطَقَعَ عَنْ إِمَامَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلَا يَدْرِي كَيْفَ
حُكْمُهُ فِيمَا يَتَبَتَّلُ بِهِ مِنْ شَرائِعِ دِينِهِ، أَلَا فَمَنْ كَانَ مِنْ يَتَبَتَّلُ شَيْئًا عَالَمًا بِتَلِّي
بعلمـنا، وهذا الجاهل بـشـريـعتـنا المنقطع عن مشـاهـدتـنا يـتـيمـ في حـجرـهـ، أـلـا فـمـنـ
هـدـاءـ وـأـرـشـدـهـ وـعـلـمـهـ شـريـعتـناـ، كانـ معـنـاـ فـيـ الرـفـيقـ الأـعـلـىـ^٣.

وعن أبي محمد أيضاً أنه اجتمع بـأنـصارـ لهـ منـ تـلـامـيـذهـ وـالـمحـبـينـ لـآنـ
الـبـيـتـ فـقـالـواـ لـهـ "يـاـ اـبـنـ رـسـوـلـ اللهـ"ـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمــ إـنـ لـنـاـ جـارـاـ مـنـ
الـنـصـابـ^٤ـ يـوـذـيـناـ، وـيـحـتـجـ عـلـيـنـاـ فـيـ تـفـضـيلـ الـأـوـلـ وـالـثـانـيـ وـالـثـالـثـ^٥ـ عـلـىـ أـمـيرـ
الـمـؤـمـنـيـنـ^٦ـ عـلـيـهـ السـلـامــ وـيـوـرـدـ عـلـيـنـاـ حـجـجاـ لـاـ نـدـرـيـ، كـيـفـ الـجـوابـ عـنـهاـ

^١- سورة النعم: الآيات من 76 إلى 84

^٢- الطبرسي: الإحتجاج: 5/1

^٣- نفر المصدر: 1/6-7 الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى علية نفس المصدر: رَفِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (7/1).

^٤- أو من الناحية وهم أهل السنة لدى الشيعة. انظر في ذلك: الكراجكي: مخطوطه الاستصار في "النص على الأئمة الأطهار": 2/ب. وانظر المتنى وشخيص الحافظ الذهبي ص 64-65.

^٥- الأولي والثانوية والثالثة هم على التوالي: أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم.

^٦- أمير المؤمنين لدى الشيعة: هو علي بن أبي طالب دانما رضي الله عنه.

والخروج منها - من بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع عليهم، **لهم**
 فيستمعون بذلك الكلام، فتكلم وأفهم أصحابهم وأكبر عرنيه^١، وقل حده، ولا
 تبق له باقية. فذهب الرجل وحضر الموضوع، وحضروا وكلم الرجل فأفحمه
 وصيروه - لا يدرى في السماء هو - أو في الأرض. قالوا: ووقع علينا من
 الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى الرجل والمتعصبين له من
 الغم والحزن مثل ما لحقنا من السرور. فلما رجعنا إلى الأمام قال لنا: إن
 الذين في السموات لحقهم من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله، كان أكثر
 مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضررة إبليس وعنة مردته من الشياطين
 من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتكم، ولقد صلي على هذا العبد الكاسر
 له، ملائكة السماء والحب والعرش والكرسي، وقابلها الله تعالى -
 بالإجابة فأكرم بابه، وعظم ثوابه، وفقد لعنة تلك الأملالك عدو الله المكسور.

وقابلها الله بالإجابة، فشدد حسابه، وأطال عذابه^٢. **وهذه أرضها ودورها، شبيهة عالئمة على أهل**
السماء عذاب العذاب وذريته وذريته لذريته **لها حكم العذاب** لها حكم العذاب **وهي المسماة بالشمار** الشمار
 ولأجل ما ذكر من قدرة أبي محمد الحسن العسكري في فن الجدل
 والعلم استحق أن يكون أفضل الخلق في رعيته، ومن ثم كان أول لهم بالإمامية
 لأن الحجة العلية هي الراجحة دائمًا، وصاحبها هو السيد الذي لا يحتاج
 لغيره، والحجۃ الضعیفة هي السفلی وصاحبها مسود ومحاج لغيره، وهذا
 الذي يحتاج إليه هو الإمام. والإمام في نظر الشيعة الإثنتي عشرية - أفضى
 من كل واحد في رعيته بما فيهم الصحابة، وهو أشجع وأسخى وأزهد،
 وأكمل في كل ما يعد من الكلمات، ولذلك فإمامية المفضول مع وجود

١- أكبر عرنيه: أكبر حدته. والعربيين: أول الآلف تحت مجتمع الحاچين

٢- نظريسي: الاحتجاج: 12/1-13.

(٤) انظر (جزء ١٣١٥)

الأفضل، هي من فعل القبيح عقلاً^١. لأن الشيعة الإمامية متقوون على أن الحسن والقبح أمران عقليان لا شرعيان، حيث إن الشرع يأمر بالشيء لأنه حسن، وينهى عن الآخر لأنه قبيح.

ورأى الشيعة في الحسن والقبح، هو نفس رأي المعتزلة في هذا الموضوع، وهو عكس ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الحسن ما حسنَه الشرع والقبح ما فَبَحَهُ الشرع، ولو لا الشرع لم يكن هناك حسن ولا قبح. ولو فرضنا أن الله تعالى أمر بما نهى عنه^٢ لا نقلب القبيح إلى حسن، ولو نهي عما أمر به لا نقلب الحسن إلى قبيح.^٢

وإذا كانت إمامية المفضول مع وجود الأفضل هي من فعل القبيح، فهي لا تستساغ عقلاً، ولا يقبلها ذوق، بالإضافة إلى كونها مدعوة إلى الكسل، وعدم الطموح لما هو أسمى، والحال أن النفوس قد جابت على حب التنافس، والسعى نحو الأفضل. ومن ثم فعلى أفضل الصحابة على الإطلاق والأئمة من بعده أفضل المسلمين في كل عصر، ويجب أن تسد الإمامة إلى الأفضل، **وألا يتقدم عليه مفضول** مهما كانت الأسباب الداعية إلى ذلك.

ونقل شيعي اثنى عشرى، هو أبو الحسن علي بن عيسى الأربنی (ت 692هـ/1293م) عن رسالة لجاحظ في (فضل بنى هاشم) على غيرهم، نقل شرف نسب علي، ومكانته في قريش وقرباته من رسول الله، وكونه أفضل أصحابه، وعلمه الذي اشتهر وفافق به كافة الصحابة، وحب النبي له وأمره

- نصیر الدين الطوسي: رسالة في الإمامة - ص 21.

نفس المصدر - ص 21.

- محمد جواد مخنثة: الشيعة في الميزان - ص 273.

المسلمين بمحبته، وأن يكونوا من أتباعه وأنصاره وألا يتخلوا عنه، لأنّه مع القرآن، والقرآن معه لا يفارقه، حتى يرث الحوض معه يوم القيمة.^١

وبالرجوع إلى رسالة الجاحظ هذه نلاحظ أنه يحصي فضائلبني هاشم، وهم آل النبي وعشيرته، على فضائلبني عبد مناف^٢ وهم بنو أمية في الجاهلية والإسلام. فبنو هاشم ينتمون إلى جدهم الأعلى عمرو^٣ الذي كان يلقب بهاشم وكان يقال له: (القمر)، لشهرته وكرمه وشرفه الأثير، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي:

إلى القمر الساري المنير دعوته ومطعمهم في الأرز من قمع الجزر
أمد جد عبد مناف فهو عبد شمس وليس له: لقب كريم، ولا أشتق له
من صالح أعماله اسم شريف... ونسنا نقول: إن عبد شمس لم يكن شريفاً في
نفسه، ولكن الشرف يتفضل، وقد أعطى الله عبد المطلب في زمانه ما لا
يعرف منه إلا النبي مرسيل^٤، مثل لقائه بأبرهة القاتم لهدم الكعبة؛ واحتاجه
عليه بأنه هو رب الإبل، وللکعبه رب يحيها، وتحقق توعده إياه فالجحش
الفيل، وسحق جنده بالصیر الأبابيل، وحجارة من سجيل، حتى تركوا
كالعصف المأكول^٥. وكل ذلك يدل على كرامات، وارهاسات لنبوة محمد صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ
ويفترض الجاحظ أننا لو عزينا ما أكرم الله به مهدا من النبوة،
وافتصرنا على أخلاقه، لفاق كل البشر، أسا إذا اعتبرنا الرسالة في هذا

^١ البارلي: كشف الغمة في معرفة الأسماء: 148/1.

^٢ الجاحظ: رسالة في فضلبني هاشم: ص 68 - 69.

^٣ - إشارة إلى ما جاء في سورة الفيل.

المجال، فإنه سيكون أعظم به وآخر ! وسيكون بشرًا نبياً، يفوق في فضله
ويستثُر بمحبة الله له أكثر من كل الرسول والأنبياء .

وقد اعترف معاوية بن أبي سفيان بفضلبني هاشم عليهم رغم ما بين
العائلتين من تناقض حين قيل له: "أيهما كان أسود في الجاهلية، أنت أم بنو
هاشم ؟ فقال: كانوا أسود مما واحدا، وكنا أكثر منهم سيداً. فأقر وادعى، فهو

مخصوص في إقراره بالتفصي مخصوص، وفي مخصوص ادعائه الفضل خصيم^٣.

ويكفر الجاحظ ملوكبني أمية عدا عمر بن عبد العزيز المعتبر الخليفة
الراشدي الخامس فيقول: "عبد الملك أبو هؤلاء الملوك الذين تفخر الأموية
بهم، أعرق الناس في الكفر، لأن أحد أبويه هذا والأخر من قبل أمة معاوية
بن السغيرة بن العاص، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - طرده من
المدينة، وأجلمه ثلاثة، فحيره الله حين خرج وبقي متربدا متذمدا حونها لا
يهتدى لسبيله، حتى أرسل في أمره علينا وعمارا فقتلاه^٤. ولذلك كان
الهاشميون يقولون للأمويين: "أنتم أعرق الناس في الكفر، ونحن أعرق الناس
في الإيمان، ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه".

ولهذا استنتاج الأربلي من قوله الجاحظ الأخيرة أن الإمام لا يكون إلا
أفضل الناس، وإن الفضل يقلس بالسبق في الإسلام، وأفضل الصحابة هو
علي بن أبي طالب. ولكننا نعلم أن أول من آمن بمحمد من الكبار هو أبو
بكر، ولم يكن من بني هاشم، وإن كان قريشاً، ولذلك اختاروه حتى لا يكون

^١ - "الجاحظ: رسالة في فضلبني هاشم - ص 70 .

^٢ - "الجاحظ: رسالة في فضلبني هاشم - ص 75 . وعندئيم بعدنى محاصر شدید (صفحة مبابالعنفة فضل) وبحكم
السرفان على من تعل (فضهم) وبها جهد اسرفا على من (خافهم)

^٣ - نفس المصدر - ص 75

^٤ - نفس المصدر - ص 80

من عائلة كثيرة العدد والعدة تحميء إذا وجب عزله. أما أول من أمن من الصغار فهو علي بن أبي طالب، وكان عمره سبع سنوات وقيل عشرة سنوات على الأرجح^١، وكان قريشيا هشميأ، وبنو هاشم أسبق الناس إسلاما، وأكرم من بني أمية، لأن جود بني هاشم جود طبيعي لا رغبة فيه ولا رهبة، أما سخاء بني أمية فهو من أجل اصطدام الانصار، ومن أجل التزلف لأن البيت حتى يسكتوهم عن الخلافة^٢. ولا تحدثهم أنفسهم بها، ولا تنتنها في يوم من الأيام.

ويظهر من خلال (رسالة فضل بني هاشم) أن الجاحظ كتبها لبني العباس لأنه يرى: إذا كان الفخر بكثرة العدد - وهو من أعظم مفاحر العرب - فأولاد علي بن عبد الله بن العباس (حين كتابة الرسالة) في الكثرة مثل عدد أولاد عبد شمس، وكذلك مثل أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب 'هذا مع قرب ميلادهما، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : شهادة ولود، خير من حسنة عقيم. وقال: "أنا مكاثر بكم الأمم"^٣.

وكتابة الجاحظ الرسائل لبني العباس ليس بالأمر الجديد، فقد طلب منه أحد الأمراء العباسيين، أن يكتب رأيه في معاوية والأمويين فلَفَ (رسالة الأمويين)^٤. وذلك فالجاحظ مضطر بما عرف من قدرة على التعبير^٥ أن يخصي مساوئ خصومهم، في مقابل اظهار محاسنهم.

^١- ابن حجر : فتح الباري بشرح البخاري: 71/8 - 72 باب عذائب علي بن أبي طالب.

^٢- الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم - ص 82.

^٣- الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم - ص 82.

^٤- الجاحظ: رسالة في معاوية والأمويين - ص 3 -

^٥- قال ابن سيار: المتك عوال على عمر إذا أنس، وتفقهاء، عوال على أبي حبيفة إذا قاتل،

وللمحدثون عوال على أحمد بن حنبل إذا أستد، وبلغاء عيش على الجاحظ إذا انتسب وأعرب:

(انظر الجاحظ، رسالة في التجارة - ص 1). عوال

لِعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ مَنْ هَذَلَ رَكْنَكُوكَ وَأَصْرَبَهُ

وَحَسِبْكَ مِنْ مَسَاوِي بَنِي أُمِّيَّةِ أَنَّهُمْ سَفَوا لَعْنَةً عَلَىٰ مَذَابِرِهِمْ، فَلَمَّا
نَهَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ذَكْرِ عَدْ مَحْسَنَةٍ، وَيَشَهُدُ لَهُ فِيهِ قَوْلٌ كَثِيرٌ عَزَّةٌ،
وَوَصْفُهُ لِبْقِيَّةِ مَلْوَكِ بَنِي أُمِّيَّةِ بِالْمُجْرَمِينَ:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتَمْ عَلَيَا، وَلَمْ تَخْفِ بِرِيَا، وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مَجْرَمٍ
وَقَدْ عَدَ الْجَاحِظُ فِي هَذِهِ الرِّسْلَةِ مَائِرٌ عَلَىٰ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْضِلْهُ عَلَىٰ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرٍ، وَعُثْمَانَ فِي سَنَوَاتِهِ السَّنَتِ الْأُولَى، وَعَلَىٰ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ، مِثْلُ مَا
ذَهَبَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْأَرْبَلِيِّ، نَاسِبًا إِيَادًا إِلَىٰ الْجَاحِظِ، بَيْنَمَا يَسْتَشْهِدُ الْآخِرُ بِأَفْضَلِيَّةِ
الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْثَّلَاثَةِ الْأُولَى، وَخَاصَّةَ الشَّيْخِيْنَ عَلَىٰ عَلَىٰ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا
ذَكَرَهُ مِنْ فَضْلِ بَنِي هَاشِمٍ عَنْدَمَا افْتَخَرَتْ عَلَيْهِمْ أُمِّيَّةُ الْبَدَاهَاءِ، وَالْمَكْرُ وَسَدَادُ
الْحِيلِ، فَاعْتَبَرَهُ مِنْ أَسْمَاءِ فَجَارِ الْعُقَلَاءِ، وَنَيْسُ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ الصَّوَابِ فِي
الرَّأْيِ مِنْ الْعُقَلَاءِ الْأَبْرَارِ، فَأَبْيَرَ بَكْرٌ وَعُمَرٌ قَدْ بَلَغَا فِي التَّبَرِ وَصَوَابِ
الرَّأْيِ وَالْخِبَرَةِ بِالْأَمْرِ الْعَامَّةِ، وَنَيْسُ مِنْ أَوْصَافِهِمَا وَلَا أَسْمَاهُمَا أَنْ يَقُولَ:
كَانَا دَاهِيَيْنِ، وَلَا كَانَا مَاكِرِيَّنِ، وَمَا عَامَلَ مَعَاوِيَةَ وَعُمَرَ بْنَ الْعَاصِ عَلَيَا قَطْ
مَعَالَةً، إِلَّا وَكَانَ عَلَىٰ أَعْنَمْ بِهَا مِنْهُمَا، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْارِبُ، لَا يَسْتَعْمِلُ

— قال أبو الحسن الناطقي: كان الجاحظ صاحب تصنيف، ولم يكن صاحب جدل، وقال المسعودي
وهو شيعي ومن خصوم الجاحظ: وكتب الجاحظ، مع انحرافه الشهير، تجلو أصداء الأذاهن،
ونكشف بوضوح البرهان، لأنَّ نظمها أحسن نظم، ووصفها أحسن وصف، وكما كلامه أجزل
لنظر، وكأنَّ إذا تلخَّفَ ملَكُ الْفَرْزِيِّ، وسَامَةُ الْمَسَامِعِ خَرَجَ مِنْ جَدِّهِ هَرْزِ، وَمِنْ حَكْمَةِ بَلْيَعَةِ إِلَىٰ
ضَرْفَةِ نَادِرَةٍ، ثمَّ فَلَىٰ: وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ تَرْوِيَةِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ أَكْثَرُ مِنْ الجاحظِ كَبِيرًا، وَكَانَ مُنَكِّلَمًا،
وَصَاحِبَ مَذَهَبَ فِي الْإِعْتَزَالِ، دَعَا بِعْضِ الْمُخَالِفِينَ لَهُ إِلَىٰ وَصْفِهِ بِالْمُضَلَّةِ بِسَبِيلِ كَابِيِّ الْمُخَلَّفِ
الْإِسْفَارِيِّيِّ فِي كِتَابِهِ (الْتَّبَصِيرُ فِي الدِّينِ)، لَأَنَّ الجاحظَ مُثْلًا أَبْطَلَ الرِّغْبَةَ وَالرِّهْبَةَ حِيثُ لَدِعَىٰ
أَنَّ اللَّهَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ وَالْجَنَّةَ أَحَدًا، وَلَكِنَّهُمَا بِطَبْعِهِمَا تَجْذِبُانِ أَهْلَهُمَا، وَتَوْفِيُّ الْجَاحِظِ فِي ثَبَرِ
مَحْرَمَ سَنَةِ (255 هـ / 868 م).

انظر الجاحظ رسالة الأمويين - ص 6، 8.

إلا ما يحل له. أما معنوية وعمر وبن العاص، فكأنما يستعملان، ما يحل وما لا يحل في وجود الحين والتدبر.

ويظهر تقرب الجاحظ من بني العباس، في كونه ألف رسالة في فضل بني هاشم، يسمو فيها بأخلاق آل البيت، وزكي خصالهم، على أخلاق بني أمية، فيذكر مثلاً: أن أحداً لا يستطيع أن يحكى عن العباس بن عبد المطلب، ولا عن الحسن بن علي بن أبي طالب لفظاً فاحشاً، ولا كلمة ساقطة، مثلاً

يحكى عن الأخفف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان المأمون أحسن الناس، وكان ^{ولهم قدس الله انسفاج أحلم الناس} ^{رسول الله} عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُتَحْكَى عَنْهُ ^{رسول الله} سمي بذلك ^{رسول الله} إسفاج الدماء.

ويعرف الجاحظ - كما ذكر عنه الأربلي - أنه إذا افترى بني أمية بنساك الملوك، فعلي بن أبي طالب أنسكم، وأزدهم، وأوزعهم، وبديله يضرب المثل.

وإذا ^{وَإِذَا} عَدَ بُنُوءُ أُمِّيَّةِ النَّسَاكِ مِنْ غَيْرِ الْمُلُوكِ، فَأَيْنَ هُمْ مِنْ عَلَيْ بْنِ الْحَسِينِ
زَيْنِ الْعَابِدِينَ^{الذِي كَانَ يَعْرِفُ بِعِلْمِ الْخَيْرِ... وَعَلَيْ الْأَغْرِ... وَعَنِ الْعَابِدِ.})

وما أقسم على الله بشيء إلا وأبر قسمه. ^{وَهُوَ السَّمِّ وَدُولَ التَّقْنَاتِ فِي رِكْبِهِ وَجِهَتِهِ مِنْ أَكْثَرِ}
^{الْقَوْدِ} ورغم كل ذلك فالأربلي لا يجمع مثل الجاحظ في حديثه عن آل البيت، بين العلوين والعباسيين^{بن} يمكنني بذلك الفضائل التي عددها الجاحظ في العلوين، لأن الشيعة خصوم لبني أمية، وبني العباس على حد سواء، ولذلك فهم يبحثون عن فضائل آل البيت العلوى ليدعموا بها حجتهم في إمامته

الجاحظ: رسالة في فضل بني هاشم - ص 103.

- رسالة الجاحظ في فضل بني هاشم - ص 104.

الأفضل دون المفضول^١. ومن ذلك نفهم أيضاً أن الأربلي لا يهتم إلا بما يزيد
مذهبه أما ما جاء من الفضائل في خصومه فإنه يهملها، ولا يرد عليها.
ويستمر الجاحظ في تعداد فضائل آل البيت، متقرباً من بنى العباس،
 أصحاب الخلافة في عصره، متحدياً ببني أمية، قائلاً لهم: وأين أنتم من نسأك
علي بن عبد الله بن العباس؟ وأين أنتم، من موسى بن جعفر بن محمد؟
وأين أنتم من علي بن موسى الرضا "لبس الصوف طول عمره، مع سعة
أمواله، وكثرة ضياعه وغلالته"^٢.

ويعرف الجاحظ بفضل علي بن أبي طالب، وعبد الله بن العباس،
وزيد بن علي^٣ ومحمد الباقر أخيه، ورئيسهم في الفقه والعلم والتفسير
والتأويل، أضف إلى ذلك أن فقه جعفر الصادق ملاً الدنيا وشغل الناس،
ويقال: ابن أبي حنيفة وسفين الثوري الفقيهين المشهورين كانوا من تلاميذه،
ولهذا اعتبر سفين الثوري، وأبو حنيفة زيدي المذهب^٤. لأن جعفر الصادق
كان تلميذاً لزید، متلماً كان محمد الباقر أستاذًا لأخيه زيد أيضًا^٥.

ونذكر الشافعي في (الرسالة) في باب خبر الواحد، مبيناً فضل علي زيد
العبادين، وعلمه: وجدت علي بن الحسين، وهو أفقه أهل المدينة، يعول على
أخبار الأحاديث من أفضل من محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم "الذي قرر
علوم التوحيد والعدل، حتى قالت المعتزلة: غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم

^١ نفس المصدر - ص 105 - وانظر: الأربلي: كثف الغمة في معرفة الأئمة: 1/148.

^٢ الجاحظ: رسالة في فضل بنى هاشم - ص 106.

^٣ أبو زهرة: الإمام زيد - ص 86 - 226

^٤ الجاحظ: رسالة في فضل بنى هاشم - ص 106.

الأول^١. وبذلك تبدو - جنباً - العلاقة الروحية والمذهبية، بين المعتزلة، والبيت، حتى لقد اعتبر آن البيت، أول من فرق القول في علم الكلام، وأول المتكلمين، وأول المعتزلة، وذلك لأنهم قلوا: إن واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، نلقى مذهب الاعتزال على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية^٢.

واصل فإذا كان واصلا قرباً لزيد بن علي - فقد ولد حالي سنة (80هـ/700م) وهي تقريباً سنة وفاة محمد بن الحنفية (81هـ/701م)^٣ - أدركنا أن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بعد من حيث سنه وعلمه أستاذنا نوascal، ولزيد، لأن للأخيرين علاقة مذاكراً علمية عددها الشهيرستاني تلمذة من زيد على واصل^٤. ولفضلبني هاشم علىبني أمية، أورد الجاحظ أن رسول الله قسم قسمة فجعلها فيبني هاشم، ولعله راعى في ذلك أسبقيتهم في الإسلام، فأنه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الخليفة الرشادي الثالث، وجابر بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف فقاً له: يا رسول الله ابن قرابتنا منك، وقربةبني عبد المطلب واحدة، فكيف فضلتهم علينا في العطاء؟ فقال النبي: إنما لم نزل وبنينا عبد المطلب كيهاتين. (وشبك بين أصابعه) فكيف تقولون كنا شيئاً واحداً وكان الاسم الذي يجمعنا واحداً^٥.

^١- نفس المصادر والصفحة

^٢- أبو زهرة: الإمام زيد - ص 41، 53 - 54.

^٣- الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران - ص 48 -

- الشهيرستاني: أصل ونخل: 1/207 - 208 هامشاً لكتاب الفصل لأبي حزم.

أبو زهرة: الإمام زيد - ص 38 - 41.

^٥- "جاحظ": رسالة في فضلبني هاشم - ص 114.

وعند الجاحظ مثال بني أمية في (رسالة معاوية والأمويين)، فحكم على ملوكهم جميعاً بالكفر، عدا عمر بن عبد العزيز الذي يعتبر خليفة راشدة خاسراً لا ملكاً. ويرى أن الذين لا يكفرون ملوك بني أمية ويتسامحون معهم ويقولون نترك أمرهم إلى الله هم أكفر من يزيد بن معاوية وأبيه، وولاتهم كابن زياد وأبيه، خاصة إذا ثبت أن يزيداً تمثل يوم استشهاد الحسين ومن معه من آل البيت في كربلاء - وقد وضع أماته رأس ابن بنت رسول الله في طشت يقول ابن العزى:

جزع الخزرج من وقع الأُسْلَ، ثم قالوا: يا يزيد لا تسل، وعدناه ببدر فاعذل. ¹	ليت أشياخِي ببدر شهدوا لاستطلاوا واستهلاوا فرحا، قد قتلنا الغر من ساداتِهم،
---	---

ويختلف الجاحظ الأربلي في اعتباره علياً أفضل أصحاب رسول الله، وقد رأى أنه في (رسالة فضل بنى هاشم) يقدم أبو بكر وعمر على علي، وهذا هو في (الرسالة العباسية) يقدمهما أيضاً عليه، مصححاً إمامتهما، معتبراً موافقهما إسلامية خالصة، كقضية اختلاف أبي بكر مع فاطمة التي طلبت ميراثها عن أبيها محمد، فذكرها يقول رسول الله: "إذا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة".²

¹ - الجاحظ: رسالة معاوية والأمويين - ص 19.

² - الإسناد: أحمد بن حنبل (164 هـ/781 م - 241 هـ/856 م): المسند: 4/9 - بـ رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - حديث رقم 1406 - والتلطف للجاحظ في رسالته العباسية - ص 301

بال Abbasia وتحمية الرسالة بال Abbasia يظهر منه أنها اتفت لبني العباس مثل رسالته في فضل بنى هاشم - ورسالته في معاوية والأمويين (النظر رسالة الجاحظ في الأمويين - ص - 3).

وقد أيد الجاحظ أبا بكر في موقفه من فاطمة حول قضية الميراث،
معبراً أن الآخرة قد تكون نسيت هذا الحديث فطالبت بميراثها، أو أنها لم
تسمع به فأخطأها في مطالبتها بما اعتبرته حقها كعامة المسلمين، مما جعلها
تقابل أبا بكر بالهجرة، (بالهجر) وتجوزه وهو العادل، وتزمع قطعه. وهو
الواصل لرحم رسول الله، وكان أبو بكر في حوار معها يستأذنها، وهي
تفسوا عليه ومن ذلك قوله: «والله لأدعون عليك». فأجابها: «والله لا أدعون لك».
«فقالت: «والله لا أكمنت أبداً فأجابها: «والله لا أهجرك أبداً».

ولهذا تأثر أبو بكر من غضب فاطمة عليه وطلب من المسلمين أن
يقولوه عن بيتهما إيه بالخلافة، فائلاً لهم: «بيت كل منكم معانقاً حلباته،
وأحرجنا أنا غصصي من غضب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
عليّ. فقلوا: «والله لا نقيلك أبداً»، وكان علي بن أبي طالب بايع أبا بكر ورآه
[إذن] خير الناس بعد نبيهم وأقسم على عدم إقالتهم من الخلافة، فلو كان علي
أفضل من الصديق وأولي منه بالإمامية. ما سكت عن ذلك، أو قدمه على
نفسه².

ويرى الجاحظ أنه أدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها بما جهلت،
وتذكيرها بما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البداء، وأن تكون
هجرة، وتجوز عادلاً، أو تقطع واصلاً³.

¹ - الجاحظ: البر�نة العباسية - ص 301.

² - ابن فضية: الإمامة والعباسية: 20/1.

- ابن فضية: الإمامة والسياسة: 20/1 - ابن كثير: البداية والنهاية: 2050/5 - 251.

³ - نفس المصدر والصفحة.

فكيف يدل هذا الإكثار لأبي بكر على أن علياً أفضل منه، كما ذهب إلى ذلك الأربلي من الشيعة الاثني عشرية - ناسباً إياه إلى الجاحظ^١.
 وبالإضافة إلى ذلك، فإن الحافظ ابن كثير يذكر أن فاطمة ليست ذاتية، لهذا ولا جاهلة ^{لهذا} الحديث، وإنما اعتبرت أرض فدك صدقة، وهي غير العيرات، وطلبت أن يكون زوجها ناظراً على هذه الأرض، فرفض أبو بكر تطبيقاً لسنة الرسول قائلة: إني والله لا أدع أمراً كان يصنعه رسول الله إلا صنعته^٢.

وكان رأي الجاحظ في عمر، مثل ما رأته الرعية فيه، عندما خالق متعثرين كانوا على عهد رسول الله، مصرحاً بذلك على المنبر وهو ما متعملاً النساء، ومتعملاً الحج، فنهى عنهم، ومع ذلك قبلت الرعية بفضلاتها، وراغبها حكمه لصدق ثينه، وبقيت على ولائها منه ومحبتها له، متقماً فعمت مع أبي بكر قبته، أفلأ يدل هذا على ترتيب عمر في الأفضلية بعد أبي بكر وقبل علي بن أبي طالب؟ وبذلك يكون الأربلي قد حرف في نقله عن الجاحظ من أن علياً أفضل الصحابة على الإطلاق^٣. ويظهر الجاحظ فضل عثمان في سنواته السابعة الأولى على علي، وفضل الأخير عليه بعد ذلك.
 وما أوردته الأربلي في تحضير علي أيضاً على بقية الصحابة ما رواه الخوارزمي في (مناقبه) عن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم بنا يا بريدة نعود فاطمة، فما أن دخلنا عليها، أبصرت أباها فدمعت

١- الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/148.

٢- ابن كثير: البداية والنهاية: 5/287.

٣- الجاحظ: ترساتة العباسية - ص 301 - 302.

الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/148.

(٤) إنفق فتوهاء ^{أصنف} هؤلأ على ^{أصنف} نسخة المذكرة 152
وأختاروا مذكرة الحج لابن عاصمة (رضي) حيث ^{أصنف} مذكورة مع رسول الله (ص) وهو حج سفر (الحمد لله رب العالمين)

عیناها، قال: ما يبكيك يا ابني؟ قالت: قلة الطعام، وكثرة لهم، وشدة السقم،
قال لها: أما والله ما عند الله خير مما ترغيبي إليه يا فاطمة، أما ترضعين لني
زوجتك خير أمي، أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً وأفضلهم حلماً، والله إن
ابنیك سيداً شباباً أهل الجنة^١.

ويبدو الفارق في هذه الرواية، بين الشيعة وأهل السنة، فيما أورده
البخاري برواية ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي، أن فاطمة - عليها السلام -
شككت ما تلقى من أثر الرحى، فاتى النبي - صلى الله عليه وسلم - سببي،
فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها. فلما جاء النبي - صلى الله عليه
وسلم - أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم -
إلينا وقد أخذنا مصالحنا، فذهبت لأقوم، فقال، على مكانتكم، فقد بيتنا، حتى
وجدت برد قدميه على صدرني، وقال: لا أعلمكم خيراً مما سألكماني^٢ إذا
أخذتم مصالحكم تكران أربعاً وثلاثين، وتسبان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان
ثلاثة وثلاثين، فهو خير لكم من خادم.

وذلك لأن الرسول اختار أن يوسع على فقراء الصفة، بما قدم عليه من
نبي، ورأى لأهله أن يصبروا على ما هم فيه ليزداد ثوابهم^٣. وأراد أيضاً
أن يقدم درساً لولادة أمور المسلمين في العدل، والإيثار، وعدم محاباة الأقارب
وال أصحاب على بقية الرعية.

وبذلك يتجلى الفارق بين رواية الشيعة، ورواية أهل السنة خاصة وقد
أورد البخاري بعد هذه الرواية عن ابن سيرين أن عامة ما تحكى الرافضة

١- الإزيفي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 149/١.

٢- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/74 - باب منافع علي بن أبي طالب

عن علي، هو من قبيل الم موضوع والمكذوب عليه لأنه - كرم الله وجهه - عرف كبقية الصحابة، يكراهيته للفتنة، وبالعمل على جمع كلمة المسلمين، ولأن تفضيله على كافة الصحابة يقتضي بقاعدة - ولادة الأفضل دون المفضول - أن يكون هو الأولى بالخلافة، ومن ثم فلن يقبل تولية غيره عليه، وسيحدث بينه وبين المتولى الذي لم يطبق وصيحة الرسول له بالإمامية - كما يزعم الشيعة - نزاع، وخلاف وانشقاق، في صفوف المسلمين، أكثر مما حدث في خلافة علي، والحال أنه يقول: "أقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة، أو يموت كما مات أصحابي".

وجاء في شرح ابن حجر لحديث علي الأخير أنه بعث لقاضيه شريح، ولعبدة راوي الحديث فأخبرهما بذلك أي ببغضه للاختلاف² وأمره لهما أن يقضوا كما كانوا يقضون ليكون للناس جماعة، أو يموت كما مات أصحابه، ويقصد بالاختلاف كما جاء في الشرح، أي النزاع المودي إلى مخالفة الشيفين، مما يؤدي إلى ظهور الفتنة. ولذلك كان ابن سيرين يقول للرافضة: "إني أتهمكم في كثير مما تقولون عن علي"³. فيما يتعلق بمخالفة الشيفين - حسب دعوى الشيعة - أما ما يروى عن علي في الأحكام الشرعية، فهو معترف بصحته، ومعمول به، فقد روي عن ابن سعد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: "إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لم تتجاوزها".

¹ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 75/8 كتاب المناقب - باب مدح علي بن أبي طاتب.

² نفن المتصدر والصفحة
³ نفن المتصدر والصفحة

وأفضليّة على، لدى الشيعة، فقد قرئ اسمه مع سادة أهل الجنة في الحديث المروي عن أنس بن مالك عن النبي أنه قال: إنا معشربني عبد **آنا** المطهّب سادة أهل الجنة: **إنا** وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدى^١.

والباقيون عدا المهدى، رزقوا الشهادة فلهم فضل على غيرهم^٢. بينما سادة أهل الجنة أيضا هم الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، ومن ضمنهم الخلفاء الراشدون الأربع، ومن شهد بدرًا من المسلمين قوله - صلى الله عليه وسلم - : ... لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم^٣.

وتتجلى أفضليّة علي على الصحابة في العلوم التي ابتدأت منه وإليه تنتسب^٤، وعلم على وفقهه وذراته بتأویل لا يشك فيها مسلم، ولكنه ليس الأول في ذلك، فقد اعترف له الصحابة بالفتيا ومنهم عمر بن الخطاب الذي قال فيه علي أقضانا^٥. ومع هذا شهد الرسول لعمر بالعلم الذي أخذه عنه، حب الرؤيا التي مرت برسول الله وحکاها قائلاً: 'بينما أنا نائم شربت -

^١ الإبراني - كشف الغمة في معرفة الأئمة 52/1.

^٢ نفس المصدر ، الصفحة

^٣ ابن حجر : فتح الباري بشرح الحزري: 307/8 كتاب المسغارى - باب فضل من شهد بدرًا - 36/8 - 37 كتاب المنافق - باب فضيل أبي بكر

^٤ الإبراني: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 131/1.

^٥ ابن حجر : فتح الباري بشرح البخاري: 76/8 كتاب المنافق باب منافق علي بن أبي طالب.

يعني اللعن - حتى انظر إلى الري يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم
ناولت عمر. فقلوا فما أولته؟ قال: العلم^١.

وفي روايات أخرى: ثم ناولت فضلي أو أعطيت فضلي عمر بن الخطاب^٢. وعن ابن عمر من وجه آخر: "قالوا هذا العلم الذي أتاكم الله،
حتى إذا امتلأت، فضلت منه فضلة، فأخذها عمر قال: أصبتم" ويجمع بين
العلم واللعن، الغذاء الفكري والبدني. والمراد به، علم عمر بسياسة الناس،
وبكتاب الله وسنة رسوله، واحتياط عمر بذلك يرجع إلى أن مدة خلفته، **خلافة**
أطول من خلافة أبي بكر، أضف إلى هذا أن المسلمين انقووا على طاعته،
فياس على موقفهم من عثمان^٣ بالرغم من كون مذنه كثُرت فيها الفتوحات،
وهي مذعنة إلى نشأة الأقضية للتطور الحاصل في حياة المسلمين بالاختلاط
مع غيرهم من شعوب البلاد المفتوحة، حيث تحدث الناس أقضية بغير ما
أحدثوا من فجور،
وازدادت الفتوحات في عهد عثمان فانتشرت الأقوال، وختلفت الآراء،
وطمعت الرعية فيه لطبعه اللين، مما أدى إلى فتنة المسلمين بمقتله، ثم بويغ
عني فوجت نفسه في وضعية لا يحسد عليها، فقد ورث تركيبة من الخلافات
والفتنة، فازدادت الحالة سوءاً^٤.

^١- نفس المصدر: 8/43 - كتاب المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب

^٢- نفس المصدر

^٣- نفس المصدر: 8/43 - 44

^٤- نفس المصدر وكتاب وتباب: 8/44

وبذلك يتبين أنه لم يتفق لعثمان، ولا لعلي ما اتفق من طوابعية الخلق
لعمر، وأبي بكر، ومن ثم فالشيخان أفضل من علي وعثمان وأولى منهما
بخلافة، وهو ما يتناقض مع ما ذهب إليه الأربلي.

ومع ذلك فعلي بن أبي طالب - لدى الأربلي - هو أعلم الناس "بتصفيه الباطن وتزكية النفس" فقد أجمع أهل التصوف من أرباب الطريقة،
وأصحاب الحقيقة، أن انتساب خرقهم إليهم، ومعولهم في سلوك طريقهم
عليه^١. فهو أستاذهم الذي يرجعون إليه، لأن علم التذكرة بأيام الله، والتحذير
من عذابه قد أخذوه الصوفية عن الحسن البصري، وهو شميد على، وبذلك
كان شرفه وافتخاره. وأما علم الزهد والتورع والتقوى والخوف من الله، فقد
كان علي أول من أخذ به، وبه افتدى كبار الصحابة من الزهد، كأبي
الدرداء، وأبي ذر الغفارى، وسليمان الفارسي، وكلهم جمعوا اهتماماً بمحمد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^٢.

وضرب علي المثل الأعلى في مكرم الأخلاق، وحسن التأدب، ولبن
العرىكة مما جعل أعداءه يقولون: "فيه دعابة، وأنه أمرؤ تلعابة"^٣ لأن من
صفاته الممیّل إلى العزاج.

أرضي وهي مجرى عمر خطى هذا
وقصد الأربلي بأعداء علي: عمر بن الخطاب^٤ لأنه هو الذي قال فيه ما
يشبه ذلك حسب ما أوردته اليعقوبي، وحسب ما ذكره الأربلي أيضاً، وذلك لما
تحاور عمر^٥ مع عبد الله بن عباس^٦ حول الخلافة ومن يليها بعد الفاروق،

- الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/133 د. الشابي: الشيعة في إيران - ص 77.

² - الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/133 د. علي الشابي: الشيعة في إيران - ص 77.

- الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/133 د.

الأموال

حيث قال لابن عباس - مظهراً اشغالاً بهذا الأمر - **لأن** علينا يصالح لها **لسبقه**، وعلمه، وقربته، لولا دعابة فيه، ولولا شدته في الحق على المسلمين فلا يجدون لديه رخصة، فقد عدل بين الأحمر والأبيض¹ وكان شديداً على ابن

عمه ابن عباس، في الموال المتخلافة بذاته، من ولاته على البصرة². **والواقعة لأن دعابة على رجلي** - ~~فغير نفع له في الحق تجعله في الخلافة تكون العدل ورحمة~~ - **هذه شهادة عمر في علي رغم شدة الأول في غير عطف، ولينه في غير ضعف، وهي لا تدل على أنه كان عدوا لأبي الحسن، كما أشار إلى ذلك الأربلي.** ثم إن ما رد به الأخير من أن علينا كان سهل الخلافة مع ذوي الدين، وصالحي المؤمنين، وأما من كان من غيرهم، فإنه كان يوليهم خلطة، وشدة طلب تأديبه، ورغبة في تهذيبه³. يتماشى ورأي عمر في علي، من حيث كونه شديداً في الحق لا يجدون لديه رخصة، أما حكم عمر عليه بالذعابة فلا يعتبر نقصاً في علي، يمنعه من تولي الخلافة لأن عمر صادر فيه عن صفاتي الذاتية التي تتسم بالجد المطلق، وترى في المزاج مدعاة لضم الناس في ولادة الأمور، ولا أدل على ذلك من أن المسلمين كانوا في الآن نفسه يخسونه ولا يستطيعون حتى النظر إليه، فتصيبهم الرهبة إذا اجتمعوا به، وربما نسوا ما يريدون تبليغه إليه، أو عجزوا عن تبليغه بالصفة المرضية، بينما كانوا يجدون لدى رسول الله اطمئناناً أكثر مما يجدون لدى عمر، الذي ربما وجدوا في أنفسهم لديه خوفاً، ولا أدل على ذلك مما يرويه البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه قال - أستاذن عمر على

¹ - البغوي - الشارح الكبير - 2/110/114/147/130/114/150 وقد نصح علي عمر بذلك، لحدود على الغريب والبعد، والحكم بكتاب الله في الرضى والسطح، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود. فقال له عمر : أبلغ وأوجز - المصدر نفسه - 2/150.

² - الأربلي - كشف الغمة في معرفة الأئمة - 1/134.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعند نسوة من قريش يكلمنه، ويستكثرونها، عالية أصواتهن على صوته، فلما استذن عمر فلن فبادرن الحجاب، فـ^{فَأَذْنَ} له رسول الله - صلني الله عليه وسلم - فدخل عمر ورسول الله - صلني الله عليه وسلم - يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي - صلني الله عليه وسلم - : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندى، فـ^{فَلَمَّا} سمعن صوتكم ابتدرن الحجاب فقال عمر: فانت أحق أن يهينك يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوت أنفسهن، ألهبنتي، ولا تهين رسول الله - صلني الله عليه وسلم - ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ، وأغلظ من رسول الله - صلني الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلني الله عليه وسلم - : إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، ما نقيك الشيطان سالكًا فجأ فقط، إلا سلك فجأ غير فجك^١.

وعلى كل فعلي بن أبي طالب، في نظر الأربلي، هو مثال الشجاعة والتقة في الدين، والفتيا، والقضاء، كما أنه إلى جانب ذلك كان أثيراً، لدى رسول الله، مما يدل على أفضليته على بقية الصحابة، فقد قال فيه: 'من فارق علياً فارقني، ومن فارقني فارق الله عز وجل^٢'.

ولنست محبة رسول الله لعلي وتحريض الناس على الالتفاف حوله - حسب الحديث - من باب القرابة والمساورة وإلا عدد من باب المحابية لأنه - عليه السلام - أبعد الناس عن ذلك، وإنما هو - كما يبدو من حديث الأربلي -

^١ بن حجر: فتح الباري شرح أبخاري: 45/8-46- كتاب المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب

^٢ الأربلي: كشف الغمة في معرفة الآباء: 143/1

أمر من الله عز وجل نبيه بلغه إلى المسلمين، فمحبة علي، وولايته دين، وكراهيته، ومفارقته كفر، ولذلك قال الفرزدق صاحب الميول الشيعية في علي زين العابدين:

من معشر حبهم دين، وبغضهم كفر، وقربهم منجى ومعتصم^١.

وحتى معاوية الذي سن لعنة على على المنابر، يعترف آخر الأمر بأفضلية علي، وألوائه بالإمامية دون كافة الصحابة، ولكن كان هذا الاعتراف بعد فوات الأوان، والغريب إن اعتراف معاوية بكل هذا لم يشه عن أخذ البيعة لابنه يزيد من بعده، وقد أورد في ذلك الأربلي، أن معاوية بن أبي سفيان حج وزار المدينة في آخر أيامه، فسمع سعد بن أبي وقاص يروي عن الرسول أنه قال لعلي: "أنت مع الحق والحق معك" فطاليه بشاهد على ذلك، فالتوجه إلى أم سلمة زوجة رسول الله، فاعترفت بذلك، فقال معاوية: "... والله لو سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما زلت خادماً لعلي حتى الموت^٢.

ولذلك امتنع سعد من سب علي لما أمره معاوية بذلك، لأنه كيف يجوز أن يطعن أفضل أصحاب رسول الله وقد ميزه - صلى الله عليه وسلم - عليهم بثلاث خصال، لو كانت له منها واحدة، وكانت أحب إليه من أن يمتلك حمر النعم^٣: "سمعت رسول الله يقول لعلي، وخلفه في بعض مغازيه، فقال: يا

^١ ديوان الفرزدق - شعر عبد الحميد النصاوي - فافية الميم: 2/770 - 781.

- انظر السجني الحديثة لفؤاد فرام البستاني عن مجتبى الألب شيخو - 121/2 - 123.

^٢ الأربلي: كثيف اللغة في معرفة الآئمة: 1/144.

^٣ حمر النعم: أحجود أنواع الإبل: وتعرف أيضاً بـ تلوق العصافير.

رسول الله أتَخْفِي عَلَى الصَّابِرِينَ وَالنَّسَاءِ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: أَمَا تَرْضِي
أَنْ تَكُونَ مِنِي بِعِزْلَةٍ هَارِبٌ مِّنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَ بَعْدِي...¹

وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَا عَطِينَ
الرَّايةَ غَدَ رَجُلًا يَحْبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: فَنَطَّا وَلَانَهَا. فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلَيْهَا.
قَالَ: فَأَتَاهُ وَبِهِ رَمْدٌ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةَ: إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ أَدْمَنْ خَلْقِهِ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ بِهِ: كَنْ
فِي كُونِ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، فَقُلْ تَعَاوِنُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ، وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهُنَّ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ.²

وَالْمَعْرُوفُ، لِدِي التَّشِيعَةِ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: إِنَّمَا نَبْتَهُنَّ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى
الْكاذِبِينَ تَرَزَّتْ فِي حَدِيثِ الْمَبَاهِلَةِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْأَرْبَلِيُّ مُفْصِلاً فِي مَوْضِعٍ أُخْرَى
مِنْ كِتَابِهِ³. بَيْنَمَا ذَكَرَهُ هُنَا مُتَعْلِقاً بِالْفَضَائِلِ الْمُلْكَةِ الَّتِي خَصَّ بِهَا النَّبِيُّ عَلَيْهَا
وَاتَّخَذَهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ حَجَّةً فِي عَدْمِ سَبِّ عَلَيْهِ لِمَا أَمْرَهُ مَعَاوِيَةً بِذَلِكِ.

وَخَلَاصَةُ حَدِيثِ الْمَبَاهِلَةِ، حَسْبُ رِوَايَةِ الْأَرْبَلِيِّ، أَنَّ وَفَدًا مِنْ نَصَارَى
نَجْرَانَ يَضْمِنُ أَسْفَقَةً وَرَهْبَانًا قَدْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يَرِيدُ مَبَاهِلَتَهُ، وَتَعْنِي مَجَادِلَةُ
الْقَوْمِ لِبَعْضِهِمْ الْبَعْضِ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ فَانْتَهُنَّ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِ مَنْ⁴.
وَهُمْ قَدْ جَاؤُوا لِيُنَاقِشُوهُ فِي فَضْيَةِ عِيسَىٰ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ اِنْرَبُوبِيَّةِ
وَالْبَشَرِيَّةِ، فَلَمَّا وَجَدُوا مَعَهُ عَيْنَ وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ وَفَاطِمَةَ، خَلَقُوا مَبَاهِلَتَهُ،

1- سورة آل عمران: الآيات 58-60- الأَرْبَلِيُّ: كِتَابُ الْغَنَّةِ: 149/1

2- نَفْرُ الْمُصْدِرِ: 1/233

3- كَهُنَّ الْقَوْمُ، وَبَاهُوا، نَلَاعَنُوا، وَابْتَهَلُوا أَشَّ: تَخْرِعُ وَذَعَ بَصِدْقٍ وَبِخَلَاصَنِ بْنِ مَنْظُورِ لِمَسَانِ الْعَرَبِ: 1/279.

وادرکوا أنه غالبهم في هذه المباہلة، ولو وجده - صلی الله علیه وسلم - وحده لباهلوه. ولذلك اضطر البصاري - والحاله هذه - أن يصالحوا محمدا، فصالحهم على أتفى حلة، قيمة كل حلة أربعون درهما جيدا، فما زاد أو نقص كان بحسب ذلك، وكتب به كتاب. ففي هذه الفضة بيان فضل علي، وبيان معجزة النبي^١.

ويروي الشيعة أن أسقف نجران قال للنصارى: يا معاشر النصرى، إنني لأرى^٢ وجودها، لو سألا الله عز وجل أن يزيل جيلا من مكانه لأنزله، فلا تباهلو فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرايني إلى يوم القيمة^٣. وبذلك يبدو فضل آل البيت على الإسلام، بهم تجات الدعوات ويقضى على الظلم والكفر، وحتى رسول الله يستعين بهم في التضرع إلى الله عند المواقف الصعبة، فهل سيتألونه لو كان وحده؟ هذا ما يؤكد الأربلي في روايته، بأن من معجزة النبي أن يغدو في مباہلته للنصارى مع أهله، وإلا عذر غير النبي حسب ما ورد في إنجيلهم - وهو ما أدركه الأساقفة مسبقا علامة على صحة رسالته، ولذلك قال زعيمهم لما رأى رسول الله مع أهله: والله لو لا مكانة فیصر لأسنت له. ولكن صالحوه...^٤

وبحدث المباہلة هذا، تتجلى فضليه علي، ومعجزة النبي، وإن لادي الأمر إنني غلو في الرأي، يتمثل في أن النبي محمد لا يغامر بالombaہلة منفردا عن آل بيته.

^١ الأربلي: كشف الغمة: 1/233.

^٢ سرطانى الحسنى: حقائق الخمسة: 1/245 شغل عن الدكتور محسن عبد الناظر: مخطوط مرفون: مسألة الإمامية والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية: 1/156.

^٣ الأربلي: كشف الغمة: 1/233.

وكل من حديث المتنزلة، والزراية، والمباهلة، روتها الكتب الصحيحة،
ف الحديث المتنزلة رواه البخاري ومسنعا وأحمد مدعما بقوله - صلى الله عليه
 وسلم - : '... فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم'^١.
 وبقوله من حديث علي عن نفسه: 'والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد
 النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا
منافق'^٢.

أما حديث المتنزلة فقد رواه البخاري في فضائل علي بدون زيادة: 'إِنَّ
أَنَّه لَا نَبِيَ بَعْدِي' و إضافتها ابن حجر في الشرح - على عادته - معتمدا على
بعض أثره وأيات^٣.

وقد جمع ابن حجر - في شرحه على البخاري - مظماً فعل الأربلي،
في رد سعد بن أبي وقاص على معاوية - بين حديث المتنزلة، والزراية،
والمباهلة. وزاد ابن حجر قول النبي صلى الله عليه وسلم - : 'اللهم هؤلاء
أهلني. "عندما دعا علينا، وفاطمة، والحسن، والحسين، عملا بما جاء في آية
المباهلة"^٤ مدعماً ذلك برواية عن أبي يعلى عن سعد بن أبي وقاص من وجه

^١ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 72/8 - كتاب المنافق - باب منافق علي بن أبي طالب.

^٢ نفس المصدر، الكتاب والباب والمصححة.

^٣ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 75/8 - كتاب المنافق - باب منافق علي بن أبي طالب.

^٤ سورة آل عمران: الآيات: 58 - 60.

- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 76/8 - كتاب المنافق - باب منافق علي بن أبي طالب.

آخر لا باس به قال: "لو وضع المنشار على مفرقي، على أن أسب عليا ما
سيته"^١.

وحدثت منزلة الذي أورده الأربطي، لا يدل على أفضلية على التي استحق بها الإمامة دون كافة الصحابة، كما يذهب إلى ذلك كل من روى الحديث من الشيعة، وإنما المقصود به لدى أهل السنة أن عليا متصل بمحمد نازل منه منزلة هارون من موسى. وفيه تشبيه مبهم^٢ بينه بقوله: "إلا أنه لانبي بعدي" فعرف أن الاتصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوة، بل من جهة الخلافة، ولما كان هارون المشبه به خليفة في حياة موسى عليه السلام - دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي - صلى الله عليه وسلم - بحياته^٣. يعني أن الخلافة المقصودة لعلي هي خلافة للنبي في حياته لا بعد مماته، قياسا على دور هارون في حياة موسى، لأن الذي خلف موسى بعد مماته في قومه هو تلميذه وصاحبه وحواريه يوشع بن نون. ولذلك قال النبي لعلي في غزوة تبوك عندما أمره بخلافته في قومه: "لابد أن أقيم، أو أن تقيم"^٤.

وعلى كل فهذه الأحاديث التي اتفق أهل السنة والشيعة على روایتها في فضل علي لا تدل على أفضليته على كافة الصحابة وبالتالي أحقيته بالإمامية - كما يذهب إلى ذلك الشيعة - وإنما تدل حسب رأي أهل السنة - على منزلة علي بين المسلمين، لبلائه في سبيل الإسلام البلاء الحسن،

^١ نفس المصدر.

^٢ ابن حجر: فتح الباري: 8/76 - بذن مدح على بن أبي طالب.

^٣ نفس المصدر: وورد حديث المنزلة في غزوة تبوك وحديث الزراية في فتح خبر: نفس المصدر: 8/72 - 75 ونفس الكتاب والباب.

ولقرايته من رسول الله التي من أجلها يكن له المسلمين كل محبة وتقدير،
ومن باب الاعتراف لرسول الله بالجميل، أن يحبوا آل بيته الذين هم أقرب
الناس إليه، وأحబهم إلى قلبه.

ومهما خالف المذاهب الأخرى الشيعة، فإن عليا يبقى - لديهم -
أفضل الخلق بعد رسول الله، وأولاهم بالخلافة، وتولى أمور المسلمين، وهذا
هو أنس بن مالك يروي عن رسول الله - حسب زعم الشيعة - ، أنه كان
عنه طير فقال: "الله انتي بأحب خلقك إليك يأكل معك هذا الطير... فجاءه
عني فأكل معه".

وعلى نفس هذه الطريقة التي سار عليها الأربنی في تفضيل علي،
على بقية الصحابة، سار ابن المطهر الحنی، فذكر أدلة نقلية كثيرة في
فضليّة علي، منها: خبر رواه الجمهور كافة - على حد قوله - وخلاصته
أنه لما جاء بالطائرة إلى النبي، وتصرّع إلى الله أن يأتيه بأحب خلقه إليه
ياكله معه، أقبل عليه، ودق الباب، ففتح له أنس بن مالك، وأخبره أن محمدا
مشغول، فرجع، فأخبره بذلك مرة ثانية، وفي الثالثة دفع على الباب بشدة
فسمعه النبي، فلما دفعه بالدخول سائلاً إياه عن سبب إيطاته، ولما أخبره لام -
صلى الله عليه وسلم خادمه (أنس) فانلا: ما حملك على هذا؟ فقال:
رجوت أن يكون الدعاء للأنصار فقال: يا أنس أو في الأنصار خير من عني

؟ أو في الأنصار أفضل من على ؟ وعلق الحلي على هذا الحديث قائلاً: فإذا
كان عنى أحب الخلق إلى الله وجوب أن يكون الإمام^١.

ويبدو أن (حديث الطائر) هذا لم يروه الجمهور^٢ - كما ذهب إلى ذلك
الحلي - لأنه غير مذكور في كتاب الصحاح، ولا صححه أئمة الحديث وهو
من صنف الأحاديث التي رويت في فضل معاوية، ومن قبيل الموضوعات
عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل، وحتى الذين روا حديث الطائر،
وجمعوا طرفة، فعلوا ذلك للاعتبار والمعرفة كالحاكم النسابوري، وأبي
نعميم، وابن مردويه، وسئل الحكم عن (حديث الطائر) فقال: لا يصح. هذا
مع أن الحكم منسوب إلى التشيع^٣. وهو الذي طلبوا منه أن يروي حديثاً في

^١ الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: 99/4 ضمن كتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية
وبيامته كتاب: (بيان موافقة صريح المعمول لصحبته المنقول للمؤلف المذكور).

^٢ نفس المصدر: 99/4 - ولد ابن تيمية المعروف بتفقي الدين أحمد بن نفي الدين بن عبد
الحليم الشهير بابن تيمية انحرافياً انتهازياً انحداري سنة (661هـ/1263م) وتوفي سنة
(728هـ/1328م) - أما الحلي فهو المعروف بالحسن بن يوسف بن علي بن المطير الحلي
(648هـ/1250م - 726هـ/1326م) من علماء الشيعة تتلمذ لأمثال ناصر الدين الطوسي
(597هـ/1201م - 642هـ/1245م).

ألف كتاباً كثيرة منها كتابه الذي نحن بصدد الحديث عنه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة)،
صنفه للملك المعروف (خدا بدنه)، وهي كلمة ذرية تعني (عبد الله).
من ملوك الإلخانية، واسمها من ذرية جانكيز خان (549هـ/1154م - 672هـ/1274م)
واسمه الحقيقي (الجايتو) و(خدا بدنه) هذا، غضب يوماً فطبق امرأته ثلاثة ونحوها على زاراد مراجعتها
فلم يفت له أهل السنة (لا بعد أن تتجوز زوجاً آخر؛ ولكن ابن المطير سئل: هل طلاقت بمحضر
شاهدين عشرين ؟ فأجابه لا لأنها لم تتحقق شروطه، وبذلك لم يقع، ولم يعاشره
زوجته، وإليه أصبح ابن المطير من حاشية الملك، مما أدى إلى تشيع الدولة في عهده سنة
(707هـ/1308م) وبعد تلائمه سنة قامت الدولة الصفوية على أساس العذهب الشيعي،
وأصبح انجلو إسپانياً لمؤديهم كما اعترف بذلك علامتهم الشامي (1290م - 1351م)، في
مواضيع كثيرة من كتابه (تنبيح المقال) وهو أكبر كتبهم في التجريح والتعديل - (انظر:

فضل معاوية، فقال مؤكداً: ما يجيء من قلبي^١. وضرب من أجل ذلك، ولكنه لم يفعل بالرغم من كونه يروي الأحاديث الضعيفة وال موضوعة كقوله: بقتل الناكثين والقاسطين، والمارقين^٢. والملحوظ أن تشيع الحاكم هو كتشيع أمثاله من أهل العلم بالحديث كالشافعى، وأiben عبد البر وأمثالهما، لا يبلغ إلى درجة تفضيل على الشيوخين، ولا يعرف من علماء الحديث من يفضله عليهما، وغاية ما في الأمر أن يفضله المتشيع منهم على عثمان، أو يصدر منه كلام، أو إعراض عن ذكر محسن من قاتل علياً، وما شابه ذلك، لإدراك **بالأخبار** علماء الحديث أفضليّة الشيوخين، بالأخبار الصحيحة، ولم يثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال: 'صح لعني من الفضائل ما لم يصح لغيره' بل نقل عنه أنه قال: 'أروي له ما لم يرو لغيره'. مع أن في نقل هذا عن أحمد كلاماً ليس بهذا موضوعه^٣.

وخلالصة الكلام الذي ليس لهذا موضوعه، هو ما ذكره ابن حجر عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: 'ما بلغنا عن أحد من الصحابة، ما بلغنا عن

¹ المنقى؛ وتبخض الحقظ تذهبى - ص 18 - (20) وانظر: منهاج السنة النبوية لأبن تيمية؛ فضاها ^{فضاها} ١/١ حصن كتاب الحلى (منهاج تکرامة في معرفة الاعامة) وبذاتهما كتاب ابن تيمية: بين موافقه صريح المعنون لصحيح المعنول).

- الحقظ أبو عبد الله محمد بن عشنان الذهبي (673 هـ/1274 م - 748 هـ/1347 م)

١- نفس المصدر والصفحة

²- ابن تيمية: (منهاج السنة النبوية): 4/99 وبماهته: (بيان موافقه صريح شعفون تصحيح المعنول) المؤلف الأخير

علي بن أبي طالب^١. ويعني أن علياً كثُرَ حوله الاختلاف، فاضطر الصحابة إلى إيراد الأخبار عن بعضهم البعض، في ذكر مناقبه، والدفاع عنه^٢.

أضف إلى ذلك أن أكل الطير^٣ أو غيره بصفة عامة هو أكل مشروع حسب ابن تيمية - لكنه ورد في سياق دعاء النبي (ص) حينما كان محبه هو ~~الظاهر~~ عامله في هذه العزلة لبر والفاجر ونيلـ فيه ما يدل على أن من يفعله هو أحب الخلق إلى الله^٤. ثم

إن الحديث ينافي مذهب الرافضة في أن النبي يعرف أن علياً أحب الخلق إلى الله تعالى، ومع ذلك فلم يذكره عند دعائه، مما يدل على أنه لا يعرف من هو، لأنه إذا كان يعرفه كان بإمكانه أن يرسل في طلبه ليستريح من هذا الرجاء ~~الباطل~~ حسب تعليق تيمية على رواية الحارثي^٥، مثلاً جاء في حديث المباهلة، من أن وجود آل البيت مع الرسول، أثبت لأساقفة نجران نبوة محمد وأفضلية علي، أو بالثانية معجزة محمد، وكرامة علي الدالة على أفضليته على غيره^٦.

ومن هؤلاء المتشيعين المعتدلين الذين لا يقولون بأفضلية علي على الشيفين، نجد شريك بن عبد الله التخري^٧ الذي سُئل عن أيهما أفضلي: أبو

^١- ابن حجر: فتح الباري شرح البخاري: 76/8 - كذاب المنافق - باب مناقب علي بن أبي طالب

^٢- نفس المصدر واتخاذ وباب: 71/8

^٣- الحنفي: منهج الكرامة: ضمن منهاج السنة لابن تيمية: 4/219 وبه منه (بيان موافقة صريح المعمول...) للأخير.

^٤- الإبراهيلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 1/233

^٥- شريك بن عبد الله التخري: ولد سنة (95هـ/714م) وتوفي سنة (177هـ/794م) كان من روى النص عن علي بن أبي طلب، وذكره ابن قتيبة والذهبي في الميزان وروى شريك عن أهل البيت عنده جما، مما جعل عبد الله بن المبارك بصفة بك أعلم بحديث الكوفيين من مغافن شوري، وكان شريك عدواً لأعداء الشيعة، سيء القول فيهم، ومع ذلك فقد وصفه الذهبي السندي: بالحافظ الصدق، وأحد الأئمة، واحتج به مسلم وأرباب السنن الأربع، ويعد شريك من

بكر، أم علي؟ فأجاب: أبو بكر أفضل من علي. فعلق السائل على جوابه قائلاً: كيف تقول هذا وأنت شيعي؟ قال نعم... من لم يقل هذا فليس شيعيا. والله لقد رقي عنى على منبر الكوفة وقال: ألا أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر، فكيف نرد قوله؟ وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذابا¹.

ويدعم هذا ما ورد في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخفيت أن يقول عثمان - قلت: ثم أنت؟ قال ما أنا إلا رجل من المسلمين². قال ذلك لتواضعه من جهة، ومن جهة أخرى فإن خشية ابنه أن يقول: عثمان، تعود إلى حداثة بن محمد بن الحنفية، وكان يعتقد وقتها أن أباه علياً أفضل - حسب اعترافه - في رواية محمد بن سوقة يحكي على لسانه قائلاً: ثم عجلت للحدثة قلت: ثم أنت يا أبي³. وفيما لأن ذلك بعد وقعة التهروان إذ (سنة 38هـ/659م). والفتنة في أوجها، والابن يريد أن تتدعم ثقته في أبيه أكثر⁴.

أو عبد الله بن عباس، وزوجي عنه الحسن الأزرق نسخة ألاف حديث. (انظر: الطبرسي: الاحتجاج: 143/2 - 144 - 144 - همسة رقم 5).

¹ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 3/1 - 4 وبهاسته (بيان موافقة صريح المعمول) له أيضا.

² - ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 31/8 - 32 كتاب المناقب - بن فضل أبي بكر.

³ - نفس المصدر والكتاب والباب: 32/8

⁴ - نفس المصدر وانصفحة الكتاب والباب.

ويرى الحنفي أنه لا يمكن أن يكون أبو بكر أفضل من علي وأحق بالإمامية وهو قد قال: أقبلوني فلست بخيركم، ولو كان إماماً لم يجز له طلب الإقالة^١.

ولكن لا يوجد في الواقع - دليل، لدى أهل السنة، يفرض على الإمام عدم طلب الإقالة. نعم قد حدث في التاريخ الإسلامي أن أجبر الخلفاء بعض الفقهاء على تولي منصب القضاء لامتاعهم من جهة، ولأهلتهم له من جهة ثانية. وليس معنى ذلك أن منصب القضاء هو منصب الإمامية فالفارق بينهما واضح ولا يحتاج إلى بيان، وإنما امتاع الفقيه عن القضاء^٢ وطلب أبي بكر للإقالة بدلان على الزهد والورع^٣ والخوف من الله ألا يعدل^٤ وخاصة بالنسبة للصديق، وهو ما يخالف رأي الرافضة: أن أبي بكر يطلب الرئاسة، ويرغب فيها^٥. ثم أين الدليل على صحة الخبر المنسوب لأبي بكر أنه طلب الإقالة؟ فـ«كل منقول صحيح، والقدح بغير الصحيح لا يصح»^٦.

ورغم كل ذلك فقضية الإقالة هذه، قد رویت عن أبي بكر في مواضع شتى، ومنها: عندما خاصمته فاطمة في ميراثها عن أبيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبت عليه، تأثر بذلك الصديق مع أن رأيه كان

١- الحنفي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامية ضمن منهاج السنة النبوية لابن تيمية: 219/4 وبها مثلاً (موافقة صريح المغفور...) للمؤلف الآخر.

٢- نفس المصدر وانصفحة " "

٣- نفس المصدر وانصفحة " "

صواباً لأنَّه مُؤيد بالسنة^١. وَقَالَ: يَبْيَسْتَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ مَعَانِقًا حَلْيَاتَه مَسْرُورًا بِهِ^٢ وَتَرَكَتْمُونِي وَمَا أَذَا فِيهِ، لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِكُمْ، أَقْلَوْنِي فِي بَيْعَتِي. قَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَسْتَقِيمُ، وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِذَلِكَ، إِنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا لَمْ يَقُمْ شَهِ دِينِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ نَوْلًا ذَلِكَ وَمَا أَخَافُهُ مِنْ رِحْمَةِ هَذِهِ الْعَرْزَةِ، مَا بَتْ نَيْلَةَ وَلَيْ فِي عَنْقِ مُسْلِمٍ بِيَعْهَدْ بَعْدَمَا سَمِعْتُ، وَرَأَيْتُ مِنْ فَاطِمَةَ^٣.

وَيُعْرَفُ أَبُو بَكْرٍ فِي خَطْبَةِ التَّوْلِيَةِ بِأَنَّهُ أَوَّلُ الصَّحَابَةِ بِالإِمَامَةِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْرُصْ عَلَيْهَا، وَلَا سَأَلَهَا فِي سَرْوَلَةِ عَلَانِيَةٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْدِمْ فَلَدَتْ أَمْرًا عَظِيمًا، مَا لَنِي بِهِ طَاقَةٌ، وَلَا يَدٌ، وَلَوْدَدَتْ أَنِي وَجَدْتُ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهِ مَكَانِي، فَأَطْبَعَوْنِي مَا أَطْعَتَ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَصَيْتَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ثُمَّ بَكَ وَقَالَ: اعْلَمُوا أَبِيهَا النَّاسُ أَنِي لَمْ أَجْعَلْ لِهَذَا الْمَكَانِ أَنْ أَكُونَ خَيْرَكُمْ، وَلَوْدَدَتْ أَنْ بَعْضَكُمْ كَفَائِي، وَلَنْ أَخْذَنِي مَنْ بِسَا كَانَ اللَّهُ يَقِيمُ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْوَحْيِ سَا كَانَ ذَلِكَ عَنِّي، وَمَا أَنَا إِلَّا كَاحِدُكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَقْمَتْ فَاتَّبَعْنِي، وَإِنْ زَغْتُ فَقَوْمُونِي، وَاعْلَمُوا أَنِّي لَيْ شَيْطَانًا يَعْتَرِفُنِي أَحْيَانًا، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي غَضِبْتُ فَاجْتَبَوْنِي^٤.

^١ ابن حجر: فتح الباري: 8/79-80 - باب مناقب فرادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سند أحمد بن حنبل (416هـ/856م - 241هـ/817م)؛ 4/9 - باب مناقب فرادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم 1406 - قال الرسول *فهي* هذا الحديث ولفظه للبخاري: لا تغترث، ما تركته فهو صنقة...^٥

^٢ ابن قتيبة: الإسمة والسياسة: 20/1.

^٣ ابن قتيبة: الإسمة والسياسة: 22/1.

ويتجلى في هذه الخطبة تواضع أبي بكر حتى أن أمر الإمامة، ليس له به طاقة ولا يد، خوفاً من المسئولية الثقيلة التي أصبحت مناطة بعهده، وقد كانت قبل ذلك بيد الرسول، يديرها بمحض بحثه من الله، وأين هو من ذلك ؟ إنه إمام من البشر، معرض للخطأ والصواب، وليس رسولاً معصوماً.

كما يتجلى أيضاً من هذه الخطبة أن أبو بكر أفضل الصحابة، وأفواهم على تحمل المسئولية بعد محمد صلى الله عليه وسلم^{وتفيد لو أنه وجد من هو أقوى منه على الخلافة، وأولى منه بذلك ليتازل له}. ومن هنا يظهر لماذا تدعى القاعدة العامة كلاً من الشيعة وأهل السنة إلى القول بإمامنة الأفضل.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن في هذه الخطبة ما يكشف النقاب عن حقيقة إمام أهل السنة الذي هو إلى الواقع أقرب منه إلى أفق الإعجاز، كما يظهر ذلك لدى الشيعة، *حيث عصمت حماسة والمرسلين*

وذكر الحنفي قضية جيش أسامة، دون أن يتعرض إلى ما فيها من جواز ولایة المفضول مع وجود الأفضل، حيث كان أسامة من أصغر الصحابة سنًا، ثم إن الرسول قرنه إماراة الجيش، وفي الصحابة من هو أكبر منه سنًا، وأفضل منه كالصحابي العشرة المبشرین بالجنة. أما ما أثار انتباه الحنفي في هذه القضية - حسب *كتاب الشيعة* - فهو أن الرسول *تعذر* إرسال أبي بكر وعمر وعثمان ضمن الجيش ولم ينفذ علياً "لأنه أراد منعهم من التوبة على الخلافة، فلم يقبلوا منه"^١. وعذر الحنفي في السكوت عن إمامنة المفضول في هذه القضية يعود إلى أن الشيعة يقولون: بإمامنة الأفضل دون

^١ - الحنفي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ضمن كتاب ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 4/220 وبهامشة (بيان صريح المعقول) للمؤلف الآخر.

المفضول. أما ابن تيمية فقد أهمل ذلك ^{اهمالاً تاماً}، مع أنه حري به أن يذكره كحجة ضد الحلي، خاصة والأخير يعترض بإماراة أسامة على الجيش، وبذلك يؤكد له رأي أهل السنة في جواز ولایة المفضول ^{مع وجود الأختلل} ^٧ عند الضرورة. ولكن ابن تيمية اقتصر في رده على ناحية ثانية، وهي أن أبي بكر وعثمان لم يكونا في الجيش، وقد قيل: إن عمر كان فيه، وأن النبي نو أراد تولية علياً فإن هؤلاء أعجز من أن يدفعوا أمر رسول الله. وإذا كان هذا صواباً فإن عامة المسلمين سيكونون في صف علي، لما قاتل معاوية لوجود نص صريح في إمامته!

نذر على أن بعض كتب التاریخ ~~ذذج~~ على أن عمر افترجه أبو بكر لأن يكون في بعثة أسامة ^{ليبقى} معه يستعين به على أمره؛ وهذا ليس مسبباً لأن عمر دوراً لا ينكر في السقیفة، وله يرجع أكبر الفضل مع أبي عبیدة في مبیعة أبي بكر، وكف المسلمين عن الفتنة، وتوصّل عمر إلى ذلك بأسلوبه الشديد في غير عرف ^{والذین} في غير ضعف، أما أبو عبیدة بن الجراح فقد توصل إلى ذلك بلينه، ونصحه الهادى، وتأثيره في الناس ^{لما} له عدتهم من مكانة الصحابة، والسبق. واسمعه ينصح علياً بمبیعة أبي بكر ^{لما} امتنع عن **الوصف** ذلك، لمطابقة هذه الوصاف ^{لهم}: يا ابن عم، إنك حديث السن وهو لاء مسیحة قوست ليس لك مثل تجربتهم بالأمور، ولا أرى إلا أبي بكر أقوى على هذا الأمر منه، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك ابن تعش ويطرد بـ^كبقاء، فللت لهذا الأمر خليق، وبه حقيق، في فضلك ودينك، وعلمه وفيهك، وسابقتك ونسبك وصهرك.

١- نفس المصدر وأنفسحة.

ولكن عليا أصر على عدم المبايعة لأنه يرى ضرورة إبقاء سلطان محمد في داره¹ وكان رد أبي بكر: «فإن لم تبَايع فلَا أَكْرَهك»².

أما شدة عمر فتظهر في قوله تعالى: «الست متروكا حتى تبَايع». فقال له أحلب على (غاصبا): أحلب حلب لك شطره، وأشدد له اليوم أمره: يرددك عليك غدا»³.

وتظهر شدة عمر على علي أيضا لأنه لم يبايع أبا بكر، في هجومه على دار فاطمة بنت رسول الله، لاجتماع جماعة من المهاجرين والنصار فيها مع علي يتدارسون أمر الخلافة، وأن الأخير أولى بها، فخرج علي، فصار عليه عمر حتى صرّعه وكسر سيفه، ثم دخل إلى الدار مع أبي بكر ومن معهما، فصاحت فاطمة في وجههم قائلة: «والله لتخرون، أو لاكتشفن شعري ولا عجن إلى الله فخرجوه، وخرج من كان في الدار، وأقمن القوم أيامًا، ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يدع عنى - عليه السلام - إلا بعد ستة

¹ ابن قتيبة: الفتنية وسياسة: 18/1-19.

² ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 18/1 - ابن قتيبة:

هو الإمام القمي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري من أئمة الأدب والتاريخ وال نحو وغيرها من العلوم، ولد في بغداد وسكن الكوفة، وتولى فضاء الدينور فنسب إليها. كُتب مسنده سنة (213هـ/829م)، وتوفي في بغداد سنة (276هـ/889م) ترك كثيرة منها: تأويل مختلف الحديث، وآدب الكتاب، والمعارف، والمعاني، وعيون الأخبار، والشعر والشعراء، والرد على الشعوبية، وفضل العرب على الجم، ومشكل القرآن، والإمامية والسياسة، ويعرف بتأريخ الخلفاء، وقد شُك في هذا الكتاب (دغوي) في دائرة المعارف الإسلامية مدعاً أنه منحول من مغربي أو مصري نسبة لابن قتيبة - انظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 1/7.

انظر

وانتظر: (دائرة المعارف الإسلامية: 1/261 - مذكرة ابن).

³ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 18/1

أشهر، وقيل أربعين يوماً¹. وأمتداعه عن ذلك هو من حجج الشيعة الأولى عشرية في أولويته بالخلافة...

ويتجلى فضل عني فيما عدده له أبو عبدة من ركي الخصال التي عرف بها في الإسلام وهي: صدق العقيدة، والعلم، والفهم، وال سابقة، وقرباته من النبي، ومصا هرته له...

وعلى كل فهذه خلاصة قضية بعثة أسامة التي لم يقتصر الحال عندما أورذها على أنها ضد مذهب الشيعة، فمنها نستنتج جواز ولائية المفضول مع وجود الأفضل، أو ربما تقتضي إلى ذلك ولكنه أهمنه، لمخالفته مبادئ الائمة عشرية، بصفة لا تدع مجالاً للوضيح. **وهي قوله تعالى بل حاملاً الماء فضل دوى المفضول**
ومما يدل على أفضلية عني، لدى الشيعة، وبالتالي على إمامته، إنه كان أزهد الناس، وأبعدهم، وأعلمهم، وأشجعهم، بعد رسول الله، وقد ذكرت له أنواع من خوارق العادات، واجتمعت فيه فضائل جعلته يتقدم على كافة الصحابة².

- "اليعقوبي: التزريح الكبير": 85/2 - لأعيجن إلى الله: لا دعون الله في صوت صانع. العجب: التزريح، البغوي: هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر الكاشي المعروف بين واضع الأخري المتوفى بعد سنة 292هـ/905م). ويعتبر تاريخه رسمي (بتاريخ الكبير) أقدم كتاب عربي ينضمون التزريح على "عصوم من آدم، فص بعده إلى ظهور الإسلام، ومنه إلى زمن الخليفة المعتمد على الله العباس سنة 259هـ/872م). واعتبره الدكتور علي سامي انتشار - في كتابه: (نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام): 152/2) أول مؤرخ شيعي لتحيزه الواضح إلى آل النبي.

- الحلي: منهاج الكرامة في معرفة **الإمامية** - ضمن كتاب ابن تيمية: منهاج السنة النبوية 129/4 وبهامشه (بيان موافقة صريح المفقول) للمؤلف الأخير.

وبالجملة فزهد على لم يلجمه أحد فيه، ولا سبقه أحد إليه، وإذا كان أزهد الناس، كان هو الإمام، لامتناع تقدم المفضول عليه^١.

وآية زهد على أنه طلق الدنيا ثلاثة، فقد كان قوته جريش الشعير من غير أدم، ولباسه خشن الثواب، وقصيرها، ومرقعها، حتى أنه كان يستحي من الزرع، وكانت حمائل سيفه ثيفاً، وكذلك نعله، وقد روي عن عمار بن ياسر، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها في الدنيا، وبغضها إليك، وحبيبك الفقراء، فرضيت بهم أتباعاً، ورضوا بك إماماً، يا علي، طوبى لمن أحبك وصدق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك، فحقيقة على الله أن يقيسهم مقام الكاذبين"^٢ وحدث ضرار بن ضمرة قال: "دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين علي، فقال: صفت لي علياً. قلت: اغفني، فقال: لا بد من ذلك قلت أما إذا لابد، فإنه كان، والله بعده المدى شديد القوى، يقول فضلاً، ويحكم عدلاً، ويتجدر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزينتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان - والله - عزيز العبرة، طويل الفكر، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما قشب^٣. وكان فينا كأحدنا، يجيئنا إذا سألناه، ويطلبنا إذا دعوناه، ونحن - والله

^١ نفس المصدر: 139/4

^٢ نفس المصدر: 131/4 - د. علي الشنفي: الشيعة في إيران - ص 76.

^٣ انطعام القشب: النبات لأنمه بات لينة أو لما فيه من السعوم تعذه لو قديم. **الفديح**

- مع تقريره ثـ، وقربه مـ لا نكلمه هـ نـ، بعـضـ أـهـلـ الـدـيـنـ، وـيـقـرـبـ
الـمـسـكـينـ، لـا يـطـمـعـ القـوـيـ فـيـ باـطـلـهـ، وـلـا يـبـأـسـ الـضـعـيفـ منـ عـدـلـهـ، فـأـشـهـدـ
بـالـلـهـ نـقـدـ رـأـيـتـهـ وـهـ يـقـولـ: يـاـ دـنـيـاـ غـرـيـ غـيرـيـ... قـدـ اـبـنـتـكـ². ثـلـاثـاـ، لـاـ رـجـعـةـ
لـيـ فـيـكـ، لـاـ رـجـعـةـ لـيـ فـيـكـ، عـمـرـكـ قـصـيرـ، وـبـطـرـكـ كـثـيرـ، وـعـيشـكـ حـقـيرـ. أـهـ
مـنـ قـلـةـ الزـادـ، وـبـعـدـ السـفـرـ، وـوـحـشـةـ الـطـرـيقـ! فـبـكـىـ مـعـاوـيـةـ وـقـالـ: رـحـمـ اللـهـ أـبـاـ
الـحـسـنـ، فـكـانـ وـاـلـهـ كـذـلـكـ، فـمـاـ حـزـنـكـ عـلـيـهـ يـاـ ضـرـارـ؟ قـالـ: حـزـنـ مـنـ ذـبـحـ
وـلـدـهـ فـيـ حـجـرـهـ، فـلـاـ تـرـقـأـ عـبـرـتـهـاـ وـلـاـ يـسـكـنـ حـزـنـهـ³.

هـذـاـ رـأـيـ الـحـلـيـ فـيـ زـهـدـ عـلـيـ وـفـضـلـهـ، أـمـاـ اـبـنـ تـيمـيـةـ فـيـرـىـ أـنـ الشـيـخـيـنـ
أـنـهـدـاـ مـنـ عـلـيـ، لـأـنـ أـبـكـرـ مـتـلـاـ مـاتـ وـلـمـ يـنـرـكـ شـيـئـاـ ذـاـ بـالـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ
أـمـرـ بـإـرـجـاعـهـ إـلـىـ بـيـتـ الـمـالـ.. كـمـاـ رـأـيـ فـيـ أـوـلـ خـلـافـتـهـ أـنـ يـكـسـبـ قـوـتـهـ مـنـ
عـمـلـ يـدـيـهـ أـوـ مـنـ تـجـارـتـهـ، فـقـرـضـ لـهـ عـمـرـ وـأـبـوـ عـبـيـدةـ درـهـمـيـنـ مـنـ بـيـتـ الـمـالـ،
وـحـلـفـاـنـهـ أـنـ يـبـاحـ لـهـ ذـلـكـ⁴. لـأـنـهـ قـدـ شـغـلـ بـأـسـرـ الـخـلـافـةـ عـنـ أـنـ يـكـسـبـ لـعـيـالـهـ.
أـمـاـ مـنـ كـبـرـ مـنـ أـوـلـادـهـ، وـبـانـ عـنـهـ، وـمـنـكـ أـمـرـهـ، فـسـهـمـهـ كـرـجـلـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ⁵.

حـضـرـ عـلـيـ وـهـرـ

- يـقـولـ الـفـرـزـدـوقـ مـاـ يـشـبـهـ هـذـاـ فـيـ⁶ عـنـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ: يـعـضـيـ حـبـاءـ وـيـعـضـيـ مـنـ مـهـابـيـهـ: فـمـاـ
يـكـنـ إـلـاـ حـيـنـ يـشـمـ. (بـيـوـنـ الـفـرـزـدـوقـ فـاقـيـةـ الـمـيـمـ: 770/2 - الـبـيـانـيـ: الـمـجـانـيـ الـحـدـيـثـ:
121/2 - 123).

² اـبـنـ تـلـاثـاـ: فـارـقـتـ فـرـقـ الـعـنـلـقـ ثـلـاثـاـ - مـنـ بـانـ: أـيـ فـارـقـ الـدـنـيـاـ وـزـهـدـ فـيـهـ.

³ عـلـيـ: مـنـاهـجـ تـكـرـامـةـ ضـمـنـ كـتـابـ اـبـنـ تـيمـيـةـ: مـنـاهـجـ الـسـنـةـ الـتـبـوـيـةـ: 131/4 - 132
وـبـهـامـشـهـ: (بـيـانـ موـافـقـةـ صـرـيـحـ الـعـفـولـ، ..) الـمـؤـلـفـ ثـالـثـيـ - دـ. الشـابـيـ: الشـيـعـةـ فـيـ إـيـرانـ صـ
. 77 - 78.

⁴ نفسـ الـعـصـدرـ: 129/4.

⁵ اـبـنـ فـيـبـيـةـ: الـإـمـاسـةـ وـالـسـيـاسـةـ: 1/22 بـانـ عـنـهـ: أـيـ فـارـقـهـ

وقد كان للصديق مال كثير، ولكن صرفه في سبيل الله، كالجهاد وعتق الأرقاء من المسلمين؛ أما تركته فهي عبارة عن ثوب قطيفة لا يساوي خمسة دراهم، وحبشية ترضع ابنه، أو عبداً حبشياً وبغيرها ناصحاً^١. وأرسلت هذه التركة المتواضعة إلى عمر - حسب وصية أبي بكر - لتضم إلى ممتلكات بيت المال، فاقترح عبد الرحمن ابن عوف إرجاعها إلى عائلة الصديق، فقال عمر معلقاً على هذا الرأي: كلا، ورب الكعبة لا يتأثم منه أبو بكر في حياته، وأنحمه أنا بد موته^٢.

أما علي بن أبي طالب - في رأي ابن تيمية - فقد كان في أول الإسلام فقيراً، يعاني ولا يعول، ثم استفاد المال الرابع، والمزارع والنخيل، والأوقاف، واستشهد وعند ذلك، تسع عشرة سرية، وأربع نسوة، وهذا كله مباح؛ ولم يأمر برد ما ترك لبيت المال، وخطب الحسن الناس بعد وفاته فقال: ما ترك صفراء، ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه^٣.

وروى أحمد بن حنبل عن شريك بن عبد الله النخعي - وهو شيعي - أن علياً أخبر عن نفسه أنه كان على عهد رسول الله يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وأن صدقة ماله لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار فain هذا من زهد أبي بكر وأن كنا - رضي الله عنهمَا - زاهدين". ويعتبر أبو بكر أزهد

^١ البغير النصح: البغير الذي يستقي عليه لزرع أو لشرب
^٢ ابن تيمية: منهاج السنة الثبوية: 4/129 وبهامشها بيان موافق صريح المعقول للمؤلف المذكور.

^٣ نفس المصدر والصفحة

لأنه طبق مفهوم الزهد أحسن تطبيق وهو عبارة عن "عزوف النفس عن حب الصوت، والمال، والذات، وعن العيال إلى الولد والحادية"^١. *حبيب ابن تيمية*
وكذلك اعتبر عمر أزهد من علي لعدله ولصرفه الولايات عن أقاربه
وتنقيصه لأبنه في العطاء عن نظيره وتنقيصه لأبنه في العطاء عن
نظيرتها، وأكله الخشن من الطعام، مع أنه هو الذي قسم كنوز كسرى
وقيس، ومات عليه ثمانون ألف درهم ديناً، بينما استعمل على أقاربه كابن
عباس على البصرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن وغيرهما، ورضي بيبيعة
المسلمين لأبنه الحسن بالخلافة فقال: "لا أمركم، ولا أنهاكم"^٢.

وإذا نظرنا إلى قضية تفضيل ابن تيمية لعمر على علي، من حيث أن
الأول صرف الولايات عن أقاربه نجد أن هذه الرواية أكدتها المصادر
القديمة والصحيحة، فقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب لما طعن أئم
قالوا له: أوص يا أمير المؤمنين. استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من
هؤلاء التفر، أو الزهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض. فسمى علياً
وعثمان، والزبير وصلحة، وسعداً، وعبد الرحمن. وقال: يشهدكم عبد الله بن
عمر، ولئن لم من الأمر شيء، كهينة التعزية^٣.

والتعزية لأبن عمر، في هذا الحديث تعني أن آباء يواسيه لأنه أخرجه
من ستة الشورى، وقال، لما أمره أحد الصحابة، باستخلافه *استخلف من لم*

^١ ابن تيمية: منهاج السنة النبوة: 130/4 - 132 وبهامشة: بيان مواقفه صريح المعمول
للمؤلف المذكور

^٢ نفس المصدر: 131/4 - 132.

^٣ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/68 باب فضة البيعة والإتفاق على عثمان بن
شافع.

لأن يحسن أن يطلق أمرأته" ثم **أن** عمر عد ابن عمه، سعيد بن زيد فيمن توفي الرسول وهو عنهم راض، إلا أنه استشهاد من أهل الشورى لقرباته منه.^١

وإذا كذا لا نشك في زهد عمر بن الخطاب **وأصيقته هي ذلك على علي** **وأبي طالب** **وبيهدهما** بن أبي طالب **وبيهدهما** الفضائل الأخرى، فإنه يبدو أن عمر لم ينقص في عطاء ابنه وابنته - كما ذهب إلى ذلك ابن تيمية - لأن اليعقوبي (ت. 292هـ/905م) يروي أن عمر بن الخطاب قسم الأعطيات سنة 20 هـ/641 م على أساس الأسبقية في الإسلام فأعطى لابنه - عبد الله بن عمر **درهم** خمسة آلاف **درهم** وهو نفس المقدار الذي تسلمه علي، وأخذ (أي عمر) لنفسه أربعة آلاف أقل من نصيب ابنه، وأعطى لأمهات المؤمنين بما فيهن حصة ابناته، وعائشة ابنة أبي بكر ستة آلاف لكل واحدة وسوى بين علي في العطاء وهو من شهد بدرًا، وبين من لم يشهد هذه الغزوة كأبي سفيان بن حرب وابنه معاوية، وأعطى للحسن والحسين ثلاثة آلاف لكل منهما، وأعطى نلمكيين الذين لم يهاجروا سبعمائة وسبعمائة، ولليمانيين أربعمائة ولمضر ثلاثة، وربعة مائتين لكل فرد.^٢

وكل ذلك إن صحي يدل على اجتهاد عمر، وقد أثبت أنه في المعضلات يرى الصواب، وقد يخالف فيه الأصول مراعاة للمصلحة، مثل إيقافه قطع يد السارق عام المجائعة، وعدم إقطاعه الأرضي الفلاحية المفتوحة للجنود المسلمين الغزاة خوفاً من ظهور الطبقية والثراء بين هؤلاء ثراء فاحشا.

١- نفن المصدر.

٢- اليعقوبي - التاريخ الكبير - 101/106/107 - الجاحظ - الرسالة العباسية - ص - 301 - 302

ذلك ولكننا مع ذلك نجد عمر بن الخطاب يبدأ فيمن افترحهم لخلافة علي بن أبي طالب ثم يشتبه بعثمان بن عفان¹. وهذا التقديم قد يفهم منه أفضلية علي على عثمان. غير أن الرواية ربما يكونون تصرفاً في ترتيبهم فقدموا عبد الرحمن بن عوف، يليه عثمان بن عفان فعلي بن أبي طالب - حسب ما ورد في شرح ابن حجر للبخاري - من أنها رواية ابن سعد عن ابن عمر². ويبدو أن رواية البخاري أصح، ويعمل بها، في هذا المجال، قبل رواية ابن سعد أو غيره، نظرًا للثقة التي يوليه أهل السنة والجماعة لكتب الصحاح وفي مقدمتها (صحيح البخاري).

وعلى كل قائل تيمية يرى - كغيره من أهل السنة وهو الحنفي المذهب - جواز إمامنة المفضول مع وجود الأفضل، إذا دعت الضرورة إلى ذلك³.

وقد رأى جماعة من العلماء - حسب ابن تيمية - أن علياً ليس أفضلاً الصحابة على الإطلاق فالشيخان أفضلاً منه، وكذلك عثمان، لأن الأخير أعلم بالقرآن من علي، وعلى أرذد من عثمان في المال، وعثمان أعظم جهاداً بماله، وعني أعظم جهاداً بنفسه، وسيراً عثمان أرجح، وهو أسن من علي ببضع وعشرين سنة، واجتمعت الصحابة على تقييمه، على علي فثبت أنه أفضل، وإن ادعى الشيعة أن علياً أفضلاً من عامة الصحابة لقرباته من

¹- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 68/8 - باب قصة البيعة وامتناع علي عثمان بن عفان.

²- نفس المصدر.

³- ابن تيمية منهاج السنة النبوية: 213/4 وبهامشه (بيان موافقة صريح المعموق...) تلمذ المذكور.

رسول الله وسبقه وجهاده، يكون الجواب أن حمزة أقرب نسباً إلى محمد،
عندما **الانضمام** لعلي **النسب** في الإسلام فقد أسلم في السابعة من عمره **وبيهودة** **لبيهودة**، ولم يناله تمثيله **لبيهودة** **لبيهودة**
ومن أكبر السابقين إلى الإسلام، وإلى الشهادة، ولذلك فهو أفضل من على **جده** **حمزة** **المسعودي**

فإن انتقد الشيعة على عثمان في سنواته الست الثانية، توليه أقربه
أغلاق المسند

جواب وإسرافه في عطائهم، يكون **الخواب** أنه اجتهد منه، أقرب إلى المصلحة منه إلى غير ذلك كما أن هذا الفعل لا يكفله العذر.

إلى غيرها، كما أن ذا النورين كان يعطي أقاربه أحياناً من ماله الخاص،

والامواں أخف خطرًا من الدماء، ولذلك كانت خلافته هادئة ساكنة، كثُرَ فيها

الجهاد والفتحات الكبيرة، وفيه العظيم، ولكنها لا تقارب في الفضل

والسياسة، خلافة الشيوخين، والذين خرجوا على عثمان "فسقه" ، الذين

خرجوا على عليٍ كفروه، ولا خير في اطائفتين". و~~عاصِمًا مِنَ الْجُنُونِ~~
وتطهير هنا ملاحظتان هامتان في رد ابن تيمية على الحلبي: وهما: "أن

الأموال أخف خطرًا من الدماء، وإن الذين خرجوا على عثمان فسقوا والذين
خرجوا على علي كفروا.

ويقصد ابن تيمية باللحظة الأولى، أن عثمان أكرم أقاربه وأعوانهم من بيت المال، ومن ماله الخاص، وهو وإن بالغ في ذلك، فإنه لم يجر المسلمين إلى القتال بينما جرّهم على سفي رأيه - إلى ذلك في معركة الجمل 36هـ/657م) وصفين (في محرم 37هـ/ جوان جويلية 658م) والنهارون، (9 صفر 38 هـ/ 17 جويلية 659م) فسالت دماء المسلمين بسيوف بعضهم البعض، ولذلك فالثائرون على عليٍ كفروه، ويعني بهم الخوارج وإن عم في الحكم، والثائرون على عثمان فسقون، وهم الخوارج الأولون والفسق أخف وطأة من الكفر، ولأن الفاسق مؤمن عاصٌ لدعى أهل

السنة، وكافر لدى الخوارج، وفي منزلة بين المترافقين لدى المعتزلة. وحاشا عثمان من الفسق وحاشا عليا من الكفر. **لأنه من تلبيس طالبهم**

ولكن ليس كل الشارعين على علي كفروه - عدا الخوارج فحسب - فأهل الشام ثاروا عليه وحاربوه ولعنوه ولم يكفروه. وليس كل الشارعين على عثمان فسقه بل بعضهم كفروه كالغلاة من **الشيعة**، وبعضهم اعتبروا خطأه عن اجتيازه لا يصل إلى حد الفسق، ولكنهم طاربوه بتغيير سياساته والتزول إلى الأحكام التي يرونها حقا، أو أن يعزل نفسه.

ومن ذلك يظهر أن ابن تيمية سلك مسلك الحلي في البحث عن أي رد يصادفه نيواجه به خصميه للانتصار لمذهبه، ولم يستطع أن يسل عليا من هذه الخفيات، كما نسل الشعراة من العجین.

وقد حاول ابن تيمية أن يخفف من حدة رده على الحلي - فيما يخص عليا - فعلق: بأنه لا خير في المفسقين والمكفرین^١.

زووجه الإمام علي مثل هذا النقد حتى من أقرب الناس إليه، وهو ابن عميه عبد الله بن عباس^٢ عندما اتهم الأخير بأموال بقيت نديمه من ولاية البصرة، فأنكر، فنما ألح عليه أن يعيدها، رد عليه في قسوة أن الأسوال أخف وصمة من الدماء، قائلا له: "والله لان ألقى الله بما في بطنه هذه الأرض من عقبياتها ولجيئها وبطلاع ما على ظهرها، أحب إلى من أن ألقاه، وقد سفكت دماء الأمة لأنماذ ذلك الملك والإمارة، فابعدت إلى عمالك من أحبت". **وحاشى عليه أذى يكروه عزرا معاوية إلى فتنة المسلمين: بل العكس هو الصواب، وإنما يعارض بالمتقدمة في الحق على نفسه وتراثه وعامة **العلماء** المسلمين**

^١ نفس المصدر

^٢ - النقل عن الدكتور طه حسين: "فتنة الكبرى: علي وبنوه": 2/126، انظر ما قبلها وما بعدها

ونولية على لابن عباس على البصرة ليست لقرابة، وإنما لأن كثرة سكانها مضرية "وما ينبغي أن يُؤمِّرَ عليها بعد الفتنة إلا رجل من مصر شديد القرابة من على". والمقصود بالفتنة موقعة الجمل (36هـ/657م)^١.

وعلى كل يبقى على أفضل الصحابة لدى الشيعة بفضائل كثيرة منحصرة في ثلاثة أنواع: إما نفسانية، أو بدنية، أو خارجية، امتاز بها جميعاً. وفي نطاق فضائله النفسانية ذكر الرزد والعلم وغيرها... ومن فضائله البدنية نجد العبادة والشجاعة والصدقة... ومن فضائله الخارجية: النسب ولم يلحقه فيه غيره، إذ تزوج بفاطمة ابنة سيد البشر محمد - صلَّى الله عليه وسلم - وسيدة العالمين فاطمة، زوجه الله بها من فوق سبع سموات وكان الخطيب جبريل، والشهداء ميكائيل وإسرافيل، في سبعين ألفاً، فأوحى الله إلى الشجرة طوبى: انثري ما فيك من الدرر والجوهر، ففعلت، والنقطة الحور العين^٢.

وتظهر أفضلية علي في أنه كان يصوم النهار، ويقوم الليل، كان يصلي في نيله ونهايه الف ركعة، ورآه ابن عباس في الحرب وهو يرقب الشمس، فسأله عن صنيعه، فأجابه: إنه يريد التعرف على وقت الصلاة، فلادهش ابن عباس قائلًا: في مثل هذا الوقت، فرد عليه علي: إنما ثقاتهم على الصنوات^٣.

١- مادة حرف (ك) نفس الكتاب

^١- المقتى من منهاج الاعتدال وتنحصن الحقظ الذهبي - ص 529 -

^٢- ابن تيمية: منهاج العترة النبوية: 133/4 - وبهامشه: بيان موافقة صريح المعمول... لنفس المؤلف - الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران - ص 76.

ويظهر رد ابن تيمية على رأي الحلي في فضائل على الخارجية، في أنها فضائل موروثة لا تكفي وحدها في اعتبار أفضى الصاحبة،^١ وإنما يجب أن تضاف إليها فضائل مكتسبة، وأن تقييم بالقياس إلى فضائل الآخرين التي يكون الحكم أقرب إلى الصواب، لأن "الأمور الخارجية عن نفس الإيمان، والتفوى، لا يحصل بها فضل عند الله بمجردتها" لقوله صلى الله عليه وسلم - لا فضل نعربي، على أعمى إلا بالتفوى' وسئل عن أكرم الناس؟ فقال: "أتفاهم". فقيل له: يا رسول الله ليس عن هذا نسألك فقال: "يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله، فإبراهيم أكرم على الله من يوسف وآين ما بين أبويهما؟" فلما في بني آدم من حيث النسب - مثل يوسف، وإذا فرضنا اثنين: أحدهما أبوه نبي، والأخر أبوه كفر، وتساويا في التقوى والطاعة من كل وجه، كانت درجتهما في الجنة سواء. ولكن أحكام الدنيا بخلاف ذلك: في الإمامة، والزوجية، والشرف... والخير في الأشراف أكثر منه في الأطراف... ^٢. قال تعالى: 'ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتدٌ، وكثير منهم فاسقون'^٣. وكان أبو إبراهيم وابن نوح وزوجته، وزوجة لوط كافرين، ولذلك قال الله تعالى: 'ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانت تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتهما، فلم يغتريا عندهما من الله شيئاً، وفيهن دخلا النار مع الداخلين'. وضرب الله مثلاً للذين آمنوا، إمرأة فرعون، إذ

^١ - المنشئ من منهاج الاعتدال، وتلخيص الحافظ الذهبي - ص 529 - 530

^٢ - المنشئ من منهاج الاعتدال وتلخيص الذهبي: ص - 530 -

^٣ - سورة: التجديد: الآية 26.

قالت: رب ابن لي بيتا عندك في الجنة، ونجني من فرعون وعمره، ونجني من القوم الظالمين^١.

وما دام الإيمان من أشرف ما يتحلى به المرء في الدنيا والآخرة، وما دام الكفر من أكبر الكبائر فإنه لا معنى لما ذهب إليه ابن تيمية من أن "الخير في الأشراف أكثر منه في الأطراف". لأنه قد يكون بعض الأشراف فاسقين، وقد يكون بعض الأطراف أتقياء عابدين. وعلى معنى قوله المذكور يصبح محظجا لدى الحني، من حيث كون علي من أشرف الخلق بعد رسول الله لصلة القرابة المعفودة بينهما، ولما يصدر عن علي من الخير الكثير بحكم شرفة.

ويكشف ابن تيمية بعد هذا عن انحيازه للجنس العربي، ووقفه في وجه الشعوبية عندما يقرر أفضلية العرب على العجم، وتظهر هذه الأفضالية - لديه - بكثرة ما في الصنف العربي من الخير والتقوى والمحاسن التي فاقوا فيها غيرهم من الإحجام... وهي في الواقع - أفضالية تقوى، وليس أفضالية جنس عربي على جنس أعجمي قوله صلى الله عليه وسلم - لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتفوى. الناس من آدم، وأدم من تراب. ولقوله **أذهب** أيضاً: إن الله قد أذهب عنكم عبادة^٢ الجاهلية، وفخرها بالأباء، الناس رجال، مؤمن تقى، وفاجر شقي^٣.

^١- سورة التحرير: الآيات 10 - 11.

^٢- العبادة: أكبر

^٣- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 527- 526/6: باب قول الله تعالى: يا أيها الشّان: إِنَّا حَنَّكُمْ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائلَ لَتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

ولست أدرى من أين لابن تيمية هذه الإحصائية التي تفيد أن النقوى
والخير، والمحسن، هي لدى العرب أكثر منها لدى العجم؟

ثُمَّ أَنْ ما أخذه الحلى عن عمر لأنّه جمع في ستة الشورى، بين الفاضل
والمفضول، ومن حق الأفضل التقدم على المفضول، رد عليه ابن تيمية فيه
بخبر صحيح هو، أن هؤلاء الستة من الصحابة كانوا متقاربين في الفضل،
ولم يكن تقدّمهم على بعضهم ظاهراً كتقدّم الشّيخين على البقية من أصحاب
رسول الله، وإنّما كان في الشورى يؤخذ تارة برأي عثمان، وتارة برأي
علي، وأخرى برأي عبد الرحمن بن عوف، وكلّ منهم له فضائل لم يشركه
فيها الآخر. وعلى فرض أنّ فيهم الفاضل والمفضول، فلماذا قيل: إنّ علياً
هو الأفضل، وعثمان والبقية هم المفضولون، وهذا خلاف ما أجمع عليه
المهاجرين والأنصار، وعامة الأئمة الذين قالوا: من قدم علينا على عثمان،
فقد أزري بالمهاجرين والأنصار^١. وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن
عمر، أنّهم كانوا يفاضلون بين الثلاثة على عهد رسول الله، فيرون أفضليتهم
أبا بكر فعمّر، فعثمان، ثم يدعون أصحاب رسول الله فلا يفاضلون بينهم، وقد
روي أن ذلك كان يسمعه النبي فلا يذكره^٢.

سـ إنفاكم، وقوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْإِرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّفِيقٌ» (سورة النساء آية .٥١).

^١- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: ١٦٥/٥ وبهامشة: (بيان موافقة صريح المعقول ل الصحيح المنقول) تلمذ ابن سذكور.

^٢- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: ٦/١٦ - كتاب المناقب - باب فضل أبي بكر - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: ٣/١٦٥ - وبهامشة: (بيان موافقة صريح المعقول...) تلمذ ابن سذكور.

ومهما يكن فقد اتفق أهل السنة على أفضلية أبي بكر وعمر وعثمان - بالنقل أو بالعقل - على علي¹. وحتى بعض الشيعة المعتدلين يعترفون بهذا، ومن هؤلاء الشيخ عبد الجود بن خضر الشرببي الذي يقول ما نصه: أما علي بن أبي طالب سكرم الله وجهه... فهو بدر الأولياء، ودر الأصفقاء، ختمت الخلافة بأبي الحسين، كما ختمت النبوة بسيد الكوين، فهو أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وباب مدينة العلم² وطراز الحقائق والمفهوم³ يعقوب الدين، ³ وميد المشركين فاز المصطفى بالإخاء وفاق بالإخاء بالمصاهرة على سيدة النساء لم يسجد لصنم، ولم يقسم بزلم. قد اشتهرت في مهامه الحرثوب شجاعته، وظهرت في ثقائق العلوم براعته. كذاه المصطفى بابي تراب، فكان أحب ما ينادي به إليه⁴. لأنه كنية شرف لا كنية تحقر،

¹- المتنقى وتلخيص الحافظ الذهبي - وص 531.

²- إشارة إلى ما تزويه الشيعة عن النبي: "أنا مدينة العلم وعلى بنيها".

³- القائم بسر الدين في رعيته بمثابة يعقوب: منكة التحل ورئاس القوم - .

⁴- الشرببي: دور الأوصاف في فصل النساء الأشراف: مخطوط 3/ب. الشرببي هو الشيخ عبد الجود بن خضر الشرببي. تاريخ نسخ مخطوطه: (دور الأوصاف في فصل النساء الأشراف) هو 15 صفر سنة 1183هـ/1770م) ألبـ كتابه أجاية لطلب ثقب الأشرف بشعر دمياط في مصر المعروف باسم حلي بن السيد مصطفى بن السيد محمد ثقب الأشرف بمصر، لجمع ما يسر من فضل آل البيت وذكر جملة من أعيانهم وما ورد من كراماتهم ومؤثرهم، وقد تصدى الشرببي لتأليف هذا الكتاب في شيخوخته وضعف جسده وسعده وبصره ونفعه من كثرة النسوم، وطول التفكير لبني رغبة ثقب الأشرف من جهة وليكون من جهة ثانية بذلك من أحباء آن القيمة تقوله حصنى الله عليه وسلم: 'أحب آل محمد يوماً خيراً من عبادة سنة، ومن سأله عليه دخل الجنة' - حسب روایته - وقال الشفعي رضي الله عنه:

يَا أَلْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَكْمٌ فَرِضَ عَلَى النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ أَنْ زَلْهَ
كُفَّاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقُدْرَاتِ نَحْنُ مِنْ لَمْ يَصُلْ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ
وَقَالَ أَيْضًا: أَلْ بَيْتٌ نَرِيعُنِي وَهُمْ إِلَيْهِ وَسِلْتُنِي.

عن المحتوى

أو سرّحها ولم يمكّنها

كما فعل بنوا أمية، عندما سن معاوية لعنته على المنابر، فكانوا يلعنونه بذكر كنيته (أبي تراب) مستكفين عن ذكر اسمه^١. **واللعنّة هردوه قد عليهم حرمها**

ويواصل الشرباني استعراض فضائل عني بن أبي طالب. فالنبي أخى بين الصحابة مهاجرين وأنصارا، وآخر علیاً لنفسه وناهيك به من فضيلة، وأعظم به من شرف^٢.

واستخلفه نيلة الهجرة على فراشه فنسبوا له أنه قال في ذلك شعرا:

فديت نفسي خير من وطئ الثرى، ومن طاف باليت العتيق وبالحجر،
رسول كريم خاف أن يمكروا به، فنجاه ذوا الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موافق، وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أرأيهم، ولا يهمونني، وقد وطنت نفسي على القتل والأسر^٣،
وكان علي حامل رأبة النبي والمقدم بها على الأعداء^٤.

أبوه هو أبو طالب بن عبد المطلب، شقيق عبد الله وله النبي، وأمه فاطمة بنت أسد من بني هاشم، وهي أول هاشمية ولدت هاشمية، أسلمت، وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها، فكف عنها النبي في قميصه، واضطجع في قبرها، ولما سأله عن ذلك أجاب: أبستها لتكتسي من ثواب الجنة،

أرجوهم أن أعنى عدّا بيدي يعني صحيحتي: (انظر الشرباني: مخطوطه: دور توصاف في فصل النساء الأشراف: ٢/١ ب)

١- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: ٨/٧٣ - كتاب العذاب - باب منف علی بن أبي طالب

٢- الشرباني: مخطوطه: دور توصاف في فصل النساء الأشراف: ٥/١

٣- نفس المصدر: ٤/١.

٤- نفس المصدر: ٣/١.

وأضطجعت في قبرها، لا كف عنها ضغطة القبر، أنها كانت من أحسن خلق
الله صنعا بِيَدِهِ بعد أبي طالب^١.

وجمع بعض شعراء الشيعة، مثثر علي بن أبي طالب وفضله في
مقطوعة يتبعين على من ادعى حبه حفظها - حسب رأي الشرباني - وهي
التالية:

محمد النبي أخي وصهري، *
وحمزة سيد الشهداء عمي، *
وحفتر الذي يضحي ويسمى، *
يعطير مع الملائكة ابن أمي، *
وبنت محمد سكني وعرسي، *
منوط لحمها بدمي ولحمي، *
وسبطاً أحمد ولد أي منها، *
فإيكم له قسم كفسي، *
سبتكم إلى الإسلام طرا *
صغيراً ما بلغت أو ان حلمي، *
بسائق همتى ووفور عزمي، *
وسفتكم إلى الإسلام فسرا *
رسول الله يوم غدير خم^٢. *
وأوجب لي الولاية حفا عليكم

والمحضود بالولاء الواجب لعلى في البيت الأخير هؤلاء محبة، لا هو ولاء
ولاء استخلاف ووصية من الرسول له بالخلافة، لإقرار أهل السنة بذلك،^٣

١- الشرباني: درر الأوصاف في فضائل أنسنة الانحراف: ٣/ب - ٤/أ
٢- نفس المصدر: ٤/أ

٣- إشارة إلى حديث الرسول: من كنت مولاه فعليه مولاه (الشرباني: درر الأوصاف: ٤/أ)
مخطوط. وقتل عمر بن الخطاب لما سمع ذلك في غدير خم: طويبي لك بِنْ علي، أصبحت
مولى كل مسلم ومؤمنة.
(انظر: الشيرازي: المثل والنحل: ٣/٢٢٠ نيلات كتاب ابن حزم الفصل -).

ولا اعتراف هذا الشيعي المعذن به، حيث لا يتعرض لتوصية صراحة في كتابه (درر الأوصاف في فضل السادة الأشراف) ويقر بقضية أبي بكر وعمر وعثمان على علي، لأنّه خاتم الخلفاء الراشدين كما ختمت النبوة بسيد الكونين^١. ويورد الشريبي قصيدة الوصية في شكل مخالف لما اتفق عليه الشيعة، فالصحابي يسألون الرسول فائليين: "يا رسول الله ألا تستخلف علينا؟" قال: لأنّ تولوا علينا - وما أراكُمْ فاعنِينَ - تجدوه هادِيَ مهدياً^٢. وبذلك يظهر أن الرسول لم يأمرهم باستخلافه^٣ وإنما أخبرهم أنّهم إن استخلفوه سيجدوا عادلاً. يهدّيهم إلى الصواب، وهو ما اقتبس منه بعض الشيعة مهديّة على وخاصة السنية^٤. وقد تباً الرسول بأنّهم لن ينصبوه إماماً، وحتى نما نصبوه بعد الثلاثة اختلفوا عليه، ولم يناصروه وهو الخليفة الشرعي، وأضعوا فيه معاوية وأهل الشام، فاستأثر الغاصب بولاية المسلمين، وأزيح على الخليفة الشرعي عن الركح السياسي نهايّاً^٥ بعد ما قتله الخارجي عبد الرحمن بن

ملجم سنة (40ـ661م)^٦. لعنَه اللَّهُ

ورغم اعتدال الشريبي في تشيعه فإنه يذكر في مأثره على بعض المبالغات كعلمه الذي أعطى فيه تسعة عشر حكمة، وأعطي الناس عشر

١- الشريبي: درر الأوصاف في فضل السادة الأشراف: مخطوط: 3/ب

٢- نفس المصدر: 4/ب

٣- العدادي: الفرق بين الفرق - ص 234 د. الشابي، سباحث: ص 59، وانظر ما قيلها وما يذهب

٤- الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران ص 71

وأحدا حسب حديث يدعى الشيعة على رسول الله في حق علي، ونصه:
فسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي على تسعه، والناس واحدا^١.

وعلى ندى الشربنتي - اكتب فضله بعلمه إلى جانب فضائل أخرى
فيه الوحد بين الصحابة الذي أجاب عمر بن الخطاب عن الخصال التالية:
أخبروني عن الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ ينساه ؟ وعن الرجل يحب
الرجل ولم يلقه ؟ وعن الرؤيا بعضها حق وبعضها أضغاث أحلام ؟ وعن
ساعة من الليل ليس أحد إلا وهو مروع فيها ؟ وعن الرائحة الطيبة مع
الفجر^٢.

فأجابه عن النساء بأن على القلب سحابا كصحاب القمر إذا ارتفع عنه
تذكر صاحبه، وإذا أبعد إليه نسي. أما محبة الرجل للرجل فلأن الأرواح
جنود مجندة، مما تعارف منها اختلف، وما تناقض منها اختلف، حسب حديث
نبوي شريف، وأما الرؤيا فتحصل بخروج روح عند النوم فإذا كانت في
ملائكة السموات فهي الرؤيا الصادقة، وما كان منها في الهواء فهي أضغاث
أحلام. وأما ساعة الليل التي يروع فيها كل الناس، فهي الساعة التي يرتفع
فيها البحر لتغريق أهل الأرض، ففترات الأرواح لأنها تحس بذلك. وأما
الرائحة الطيبة مع الفجر، فهي ريح تهب من تحت العرش، في ذلك الوقت،
فتتحرك الأشجار في الجنة وتتقلّ عبرها الزكي إلى الكون^٣.

^١- الشربنتي: درر الأوصاف في فضل السادة الأشراف: 4/ب- ١/٥

^٢- نفس المصدر: ٥/ب-

^٣- نفس المصدر: ٥/ب - ٦/١

ووهكذا ينقل الشرببي لعلي بعض خوارق العادات من قبيل كرامات الأولياء على عادة القدامى في إبراد الغرائب^١.

ولعل اعتدال الشرببي هو الذي دفعه إلى عدم ذكر وصية علي كغيره من الشيعة، فالتجأ إلى ذكرها بصفة غير مباشرة وذلك يتمثل في ما نقله عن (جامع الفتوت) أن عليا قال عن علمه شرعا:

و هذا العلم لا يحويه إلا نبي أو وصي الأولياء^٢.

ويبدو من خلال ذلك، أن الشرببي يحاول أن يرضي نقيب الأشراف (قاسم طببي) لأنه ألف الكتاب إجابة لطبيه^٣.

ويتعرض الشرببي إلى ما ابالي به بعض الشيعة، أو بعض من لهم ميول شيعية مامن أحبوه علينا لفضله وقرباته، وسبقه، إذ اتهموا بكونهم من الزراقة صدقا أو كذبا، وأحبانا لتصفية حسابات شخصية، فيذكر ما قاله الإمام الشافعي في حب علي، وأل البيت، ولعله أصرت به نفس هذه التهمة فقال:

يا راكبا قف بالمحصب من ملى، واهتف بساكن خيفها والناهض
ليلا، إذا سار الحجيج إلى مثى، سحر المنتظم الفرات الفايض:
إن كان رضا، حب آل محمد، فليشهد النقلان أني راضي^٤.

ويتعرض الشافعي إلى أن محب آل البيت متهم بالزراقة، ومحب أبي بكر متهم بأنه من أهل السنة الناصبة^٥. وقال في ذلك شرعا:

^١ نفس المصدر: 9/أب -

^٢ نفس المصدر: 6/ب

^٣ نفس المصدر: 1/2 ب

^٤ نفس المصدر: 1/8

إذا نحن فضلنا عليا، فإننا
 روافضن بالتفسير عند ذكر الجهل،
 وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته،
 رميت بنصب عند ذكري للفضل،
 فلا زلت ذارفض ونصب كلها،
 بحبهما حتى أوسد في الرمل.²
 ولكن الشافعي رغم حبه لآل البيت ليس شيعيا، ويرد على الروافض
 منهم الذين يبالغون في أفضلية علي وسب الشيختين، ولذلك لما بلغه قول شيخ
 الرافضة:

نحن أناس قد غدا شأننا، حب علي بن أبي طالب،
 تعيننا الناس على حبه، فلعنة الله على العاب
 أجابه الشافعي بقوله:
 ما عيكم هذا، ولكنكم
 تسبون من سمي بالصاحب، فلعنة الله على الكاذب
 وقولكم فيه وفي بيته
 كمثل كلب قد غدا هارب.³
 فمبيتكم ينبع في قبره،

وهكذا فعلى فأفضل لدى الشرببي ولكن لا يقدمه على الثلاثة: أبي بكر
 وعمر وعثمان، وإنما يقدمه على معاوية.⁴

ويغرب الشرببي في فضل علي، وكراماته فيذكر أنه يمسخ الفساق
 للزناة إلى كلاب، ثم ~~يخص~~ يعيدهم إلى صورتهم الطبيعية، ويعفو عنهم. وهو

١- الناصبي لدى الشيعة هو الذي يتوئي أبا بكر وعمر ويعتقد إمامتهما؛ وبنصيتها مخطوط
 لـ الكراجكي: الاستحسان في فضل السادة الأطهار: 2/ب - وانتظر: المنقى وتشخيص
 الحافظ الذهبي - ص 64، 65 - هامش رقم (1)

٢- الشرببي: دور الأوصاف في فضل السادة الأشراف: مخطوط: 1/8

٣- نفس المصدر: 8/ب

٤- الشرببي: دور الأوصاف في فضل السادة الأشراف: مخطوط: 1/9

و عمل عمر هذا، أراد به أن يقرأ حساباً للأجيال الإسلامية الصاعدة، حتى تجد فرصة للعيش الكريم، وقد خالفه الصحابة أول الأمر، فقدم القضية لمجلس الشورى فقرروا العمل برأي عمر، بعد طرح الخمس الواجب الله ورسوله، ومن شملتهم الآية القرآنية الكريمة **واعلموا أنما غنمتم من شيء**، **فإن له خمسة، وللرسول، ولذي القربى، واليتيمى، والمسكين وابن السبيل،** إن كنتم أمنتم بالله، وما أزلنا على عبادنا يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، **وا والله على كل شيء قادر**^١.

أما علي بن أبي طالب فقد خالف عمر وسوى في الأعطيات بين العرب والنعم، وبين الأحمر والأسود، ولم يسألوه عن سبب مخالفته لشقيقين في العطاء بحسب الأسبقية إلى الإسلام، أجاب: بأنه قرأ كتاب الله فلم يجد فيه فضلاً بين المسلمين إلا بالتقوى - **فَرَأَتْ مَا بَيْنَ الدَّفَنِيْنَ فَلَمْ أَجِدْ لَوْلَهْ إِسْمَاعِيلَ عَلَى وَلَدِ إِسْحَاقِ فَضْلَ هَذَا وَأَخْذَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَصْبَعِيهِ^٢**. أما من حيث الدين المتعدد بذمة عمر، والذي حصره ابن تيمية في ثمانين ألف درهم، علامة على زهد وعدم مده يده لبيت المال، فقد ذكره أيضاً البخاري بمقدار مقارب لهذا في الحديث الذي يقول فيه عمر - عندما طعن - **لَابْنِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ، انظُرْ مَا عَلَى مِنْ دِينِ، فَحَسِبَهُ فَوْجَدَهُ سَتَةً وَثَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ.** قال - **إِنْ وَفَى لَهُ مَا لَهُ أَلْ عمرْ فَأَدَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،**

^١ - سورة الأنفال - الآية 41.

^٢ - البعنوسي - النزير الكبير. 150/130/2.

وإلا فسل فيبني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا
تعدهم إلى غيرهم، فلادعني هذا المان^١.

وذكر ابن حجر في شرحه على البخاري رواية **جاير بن الدين كان** **أن**
ثمانين ألف درهم، وفي رواية ثانية أن مقداره ستة وعشرون ألفاً، مما يدل
على وجود هذا المقدار الذي ذكره ابن تيمية.

أضف إلى ذلك أن علياً يعترض بأفضلية عمر عليه، لأنه يتنى أن
يكون في منزلته، وذلك في حديث صحيح رواه البخاري عن ابن عباس، قال
ـ «وضع عمر على سريره، فتكلفه الناس يدعون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم
يرعني إلا رجل أخذ منكبي، فإذا عني أبي طالب، فترجم على عمر وقال
ـ ما خلقت أحداً أحب إليّ من ألقى الله بمثل عمله منكم وأيم الله إن كنت
لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنني كنت كثيراً اسمع النبيـ
صلى الله عليه وسلمـ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر
وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر...»^٢.

ـ لبع أهل السنةـ

ويعتبر هذا الحديث ردًا على الشيعة في اعتبارهم عندهم أفضلي
الصحابية، وأولاً لهم بالإمامية عملاً بقاعدتهم في إمامية الأفضل دون المفضول،
وذلك يرد ابن تيمية على الحلي بأن عانياً ليس أفضلي من الشيفين^٣ ولا أفضلي
من عثمان، وهو الرابع في الفضل بعد الثلاثة، يعني أن ترتيبهم في الفضل
كترتيبهم في الخلافة وهو الرأي الذي انعقد عليه إجماع أهل السنة^٤.

^١ـ ابن حجر -فتح البرى بشرح البخاري - باب قصة البيعة والإتفاق على عثمان بن عفان.

^٢ـ نفس المصدر - 47/8 - كتاب المتفق - باب مناقب عمر بن الخطاب.

^٣ـ نفس المصدر - 32/8 - كتاب المتفق - باب فضل أبي بكر.

ويظهر زهد علي فيما نقله الشربي عن الحسن البصري، أنه كان لعني وفاطمة كاء قطيفة يتغطيان به، فإذا استعملاه بالطول، اكتشف ظهراهما، وإذا استعمالاه بالعرض انكشف أرجلهما، وكان لهما جلد كبس يفترشانه ليلاً، ويعملق على البعير الناضج^١ نهاراً.

وبذلك يبدو علي لدى الشربي - فاضلا، وليس أفضل الصحابة على الإطلاق وليس أولاهم بالإمامية لأنه يعتبره خاتم الخلفاء الراشدين^٢ فهو شيعي معتدل وإن أغرب في بعض ما يورده عن علي في فضله وكراماته.

تابع الزيدية^٣ وإذا أردنا أن نتحدث عن الأفضلية، لدى الزيدية، فيعني ذلك أننا سنعرض إلى رأي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في هذا الموضوع، ثم إلى رأي الفرق الزيدية المناسبة إليه، وابتداء فإنه يجدر بنا أن نتعرض إلى العوامل التي أحاطت بزيد بن علي، وأجبرته على إعلان ثورته، وبالتالي إعلان مذهبه: إمامية المفضول مع وجود الأفضل، وهي ظروف متصلة بهذا اتصالاً وثيقاً، وإهمالها يجعل رأي زيد والزيدية أبتر لدى الدارس، ويتجلّى هذا الترابط في استعمالبني أمية أساليب التفرقة والفتنة بين آل البيت، واستغلالهم لقضية صدقات فاطمة^٤ في ذلك، واتهامهم زيداً ومن معه بتسلّم أموال من ولـيـ العـراق خـالـد القـسـريـ في صـورـةـ هـداـياـ وودائعـ.

١- البعير الناضج: الذي يستنى عليه.

٢- الشربي: دور الأوصاف في فضل المسادة الإشراف: مخطوط: 3/ب -

٣- تعرف بصدقات فاطمة، وصدقات الرسول، ووقف على... وتقع قرب المدينة.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان: 4/712.

أمر من الغرابة بمكان ولذلك قال له بعض أصحابه: يا إمام أنت تقدر على
مثل هذه الكرامة ويغلبك معاوية؟

^۱ فاجابه نحن قوم مکرمون، ولا نسبقه بالقول، ونحن بأمره عاملون.

و على كل فضائل علي كثيرة، ومنها: الشجاعة، والزهد، والقرابة من الرسول بصلة الرحم والمحاهرة، والسبق إلى الإسلام، والعلم، والحكمة لأنه خبر الدنيا وما فيها². وينسب الشيعة على هذه الآيات التي جمعت مائة:

أنا لا حرب إليها، وبنفسك أنتي لها،

لا ترى في حومة الـ هيجا لي قيهَا شبيها،

ولي السبقة في الإمساك سلام طفلاً وجيهاً،

وَنِي الْفَخْرُ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتَمْ بِهَا سَبَطْتُمْ وَأَبْيَدْتُمْ؛ وَأَبْيَهَا

بن فخری برسول الله اذن و جزئه،

لَيْ وَقْفَاتِ بِبَذْرٍ، حِينَ حَازَ النَّاسُ فِيهَا،

وبأخذ وحيين لي وقفات تلتها

وأنما الحامل للراية يدي تحتها

وإذا أضرم حرباً
أحمد قدمها،

وَإِذَا قَالَ لَنِي : قُمْ
يَا عَلَى فَلَتْ : إِلَيْهَا

هبة الله فمن مثل
لئي من الناس أتىها^٣

١- نظر "متن و نظر . الصفحة

نفر "مصدر": 1/6

نفر "خصدز": 4/۱

لقد استعمل بنو أمية أساليب التفرقة والفتنة بين آل البيت، مستغلين قضية صدقات فاطمة، وكان المتخاصلون حولها، هذا الظرف الذي نحن بصددده، آل الحسن، وبنوهم عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأآل الحسين، وبنوهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وصدقات فاطمة هي عبارة عن حيطان سبعة كانت على ملك اليهودي (مخيريق) وهو حبر من بني النظير أسلم وقتل مع المؤمنين في غزوة أحد حتى استشهد، وكان أوصى بهذه الأرضي إلى الرسول فأوقفها النبي على ابنته فاطمة، وهي غير داخلة في موضوع أرض خير وفدى التائبين طلبتهما السيدة فاطمة من أبي بكر باعتبارهما ميراثها عن الرسول، ولأنهما كانتا على ملكه في حياته، فامتنع أبو بكر مستدلاً بقوله صلني الله عليه وسلم "تحن عشر الأنبياء لا تورث ما تركنه صدقة"^١ والتوصية أو الوقف هما غير الميراث، وأوقفت فاطمة هذه الأراضي على زوجها علي بن أبي طالب قبل وفاتها، وجاء في نص الوصية: "هذا ما أوصت فاطمة بنت الرسول - صلني الله عليه وسلم - بحوانتها السبعة: الحسني، والصادفة، والدلائل، والعنان، والبرقة، والميت، وما لأم إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب ومن بعد علي فإلى الحسن، ومن الحسن فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الأكبر من ولدي".

- أحمد بن حنبل (164هـ/723م - 241هـ/856م): المسند: 9/4 - باب رسول الله - صلني الله عليه وسلم - حدث 1406.

- ابن حجر: فتح التبّاري شرح البخاري (196هـ/612م - 256هـ/870م): 8/79 - باب مناقب قرابة رسول الله - صلني الله عليه وسلم -

وقد أشارت قضية الصدقات هذه الخصومة بين آل البيت، واستغلها الأمويون لزيادة الفرقاً بينهم ومن ذلك ما وقع من نزاع زمان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لما حاول عمر بن علي بن أبي طالب الاستئثار بولاية الصدقات، ولا يستبعد أن يكون ذلك بداعٍ من ولاته الأمويين على العراق الحاج بن يوسف (76هـ/696م - 100هـ/719م) لإثارة الفتنة بين آل البيت لأن الحسن بن علي توفي سنة (90هـ/709م)، ولكن عبد الملك بن مروان تدخل لصالح الحسن بعد أن تم له ما أراد من إثارة القلوب على بعضها مدعياً أن الحق إلى جانب الحسن، باعتبار أن وصية فاطمة صريحة في كونها إلى الأكبر من أولاد علي منها، وعمر أكبرهم، ولكن عمر بن علي بن أبي طالب من زوجة أخرى غيرها إذن فهو خارج عن الوصية. إذن فهو خارج عن الوصية.

ومن عهد سليمان بن عبد الملك (96هـ/715م - 99هـ/718م) تولى الصدقات زيد بن الحسن الذي توفي سنة (120هـ/738م) فنازعه فيها أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية قائلًا له: قد جعل علي هذه الوصية في صدقته إلى ذوي الفضل من أكابر ولده، وأنا أكبر منه وأعلم بذلك وبكتابه وسنة رسوله فلا تحرر هذه المكرمة دوني وإنما الوصية لعلي لا لفاطمة¹¹ بينما وصية فاطمة واضحة فإنها الأكبر من أولادها من علي ومن أحفادها منه سرضي الله عنهم.

- النقل عن ناحي حسن ص 56 - 52 عن مؤلف مجهول: نبذة من كتاب التاريخ - ص 27 - (نشرها بطرس غريبا زينوبيج، موسكو - 1960 - معهد الدراسات الشرقية).

وتدخل سليمان بن عبد الملك فوقف إلى جانب محمد بن الحنفية ولم يكن من ورثة فاطمة وأولادها، وبذلك خالف صريح الوصية لتوسيع شقة الخلاف بين آل البيت، معتمدا على حجة محمد بن الحنفية في كونه أكبر أولاد علي، ولكن الوصية تنص، إلى جانب ذلك، على أن يكون الموصى له من أولاد فاطمة لا من أولاد غيرها. أما حجته في كونه أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، فهي ليست قاطعة لأن ذلك لم يرد في الوصية.

ولما تولىخلافة عمر عبد العزيز الذي اعتبر الخليفة الراشدي الخامس لعده (تولى سنة 99 هـ/718م - وتوفي سنة 102 هـ/721م)، أعاد ولادة الصدقات إلى زيد بن علي بن الحسين الحسن، واستمرت الصدقات تثير المشاكل بين آل البيت إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي تولى الخلافة سنة (105 هـ/724م إلى سنة 125 هـ/743م) الذي لاحظ أن زيد بن علي بن الحسين يلتقط حوله الشيعة خاصة، وأهل السنة عامة وخشي أن تحدثه نفسه في يوم ما بالخلافة فيطمع فيها، ولا يستبعد أن يكون هشام كلف واليه على المدينة: إبراهيم بن هشام أن يعمل على توسيع شقة الخلاف مستغلا مشكلة الصدقات بين آل الحسن ويتمثلهم جعفر ثم عبد الله، وبين آل الحسين ويتمثلهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وكان زيد وجعفر يتذغان كل مبلغ ندى وإلى المدينة، ثم يقومان فلا يعيان ما كان بينهما من خلاف¹.

1- الخبرى: تاريخ الأمم والملوك: 263/8 الطبعة الحسينية المصرية.

وَبِالْغَهْمَا بَيْنَ يَدِي الْوَالِي يَدُلُّ عَلَى مَا لَبَنِي أُمِّيَّةَ مِنْ دُورٍ فِي إِثْرَةِ
الْفَتْنَةِ بَيْنَ آلِ الْبَيْتِ عَمْلًا بِالْقَاعِدَةِ: (إِنْ لَمْ تَشْغُلِ الْعَامَةَ شَغْلُوكَ). أَوْ بِالْقَاعِدَةِ:
(فَرْقَ تَسْدَ).

وَلَمَّا ماتَ جَعْفَرُ تَوْلِي بَعْدَهُ أَخْوَهُ عَبْدُ اللَّهِ تَمْثِيلَ آلِ الْحَسَنِ فِي خَصْوَمَةِ
الصَّدَقَاتِ، فَتَنَازَرَ مَعَ زَيْدَ لَدْيِ الْوَالِي^١ وَبِسَبِّ تَحْرِيْضِ هَذَا الْوَالِي عَلَى إِثْرَةِ
الْفَتْنَةِ بَيْنَ آلِ الْحَسَنِ وَآلِ الْحَسِينِ، افْتَأَتْ لِسَانُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي لَحْظَةِ غَضْبٍ، فَأَهَانَ ابْنَ عَمِّهِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ
الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِأَمْهِ الْهِنْدُوكِيَّةِ الْأَمْمَةِ، وَرَدَ عَلَيْهِ زَيْدٌ الإِهَانَةُ،
ثُمَّ نَدَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَصَمِّمَ عَلَى عَدْمِ النَّذِيلِ مِنْ ابْنِ عَمِّهِ بِسَبِّ قَضِيَّةِ الصَّدَقَاتِ،
أَوْ بِأَيِّ سَبِّ أَخْرَى^٢،

قَائِلاً لَهُ: لَا تَعْجَلْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، اعْتَقْ زَيْدَ مَا يَمْلِكُ إِنْ خَاصَّكَ إِلَى
خَادِ أَبْدَا ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى وَالِيِّ الْمَدِينَةِ خَالِدَ وَقَالَ: "لَقَدْ جَمَعْتَ ذَرِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَمْرِ مَا كَانَ يَجْمِعُهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عَمْ"^٣.
وَكَانَ الْحَاضِرُونَ يَنْتَظِرُونَ هَذِهِ الْلَّقَاءَتَ بِشَوْقٍ، لِفَصَاحَةِ زَيْدٍ وَعَبْدِ
اللهِ، وَكَانُوا يَدُونُونَ عَنْهُمَا أَفْوَاهُهُمَا، وَيَحْفَظُونَهَا، وَيَتَذَكَّرُونَهَا بِإعْجَابٍ^٤.

وَحَاوَلَ زَيْدٌ مَرَّةً أُخْرَى الْاِنْتِصَارَ بِالْخَلِيفَةِ هَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمُلْكِ، لِيَفْضُّلَ
النَّزَاعَ فِي وَلَايَةِ الصَّدَقَاتِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ السَّبِّبَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْفَتْنَةِ، وَلَكِنَّهُ
مُضطَرٌ إِلَى ذَلِكَ مَدَارَةً لَهُ، وَخَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ، وَهَنَى لَا يَصُدِّقُ مَا يَشَاعُ عَنْهُ

^١ - الطَّبَرِيُّ: تَارِيخُ الْأَمْمَ وَالْمُلُوْكَ: 262/8 - المطبعةُ الحسينيةُ المصريَّة.

^٢ - الطَّبَرِيُّ: تَارِيخُ الْأَمْمَ وَالْمُلُوْكَ: 262/8 المطبعةُ الحسينيةُ المصريَّة.

^٣ - نفسُ المُصْدِرِ: 263 - 262/8

^٤ - نفسُ المُصْدِرِ: 262/8

من أنه يعني نفسه بالخلافة، لأنه أهل لها، ولكن هشاماً تعمد إهانته مرتين: الأولى عندما رفض مقاولته، والثانية عندما أمره أن يلحق بأميره على المدينة، فأجابه زيد، والله لا أرجع إلى خالد أبداً، وما أسأل مالاً، وإنما أنا رجل مخاصم^١. فأهانه هشام بأنه يحدث نفسه بالخلافة وهو ابن أمّة، فرد عليه زيد: بأن الأمهات لا يغدر بالرجال عن نيل المكرمات. وقد كان اسماعيل بن ابراهيم رسولاً وأمه أمّة وهي هاجر، ومن عقبه ولد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - وما على أحد من ذلك بأس إن كان جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبواه علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - فطرده هشام من مجلسه، فرد عليه زيد مهدداً: أخرج ولكن لا تراني إلا حيث تكره^٢.

وكل هشام على حنكة سياسية لأنّه ظاهر بعدم فهم تهديد زيد، أو بعدم اعتباره الأهمية الفصوى ليدفعه إلى الثورة، وعندما سيخلص منه، ويغدر في قتله^٣. ولكنه كلّ على حمق أيضاً لأنّه استغل سلطته ليهنى أحد رعيته خاصة وهو أحد أسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحفاده).

وحارب زيدبني أمية ولم يتراجع رغم خيانة أنصاره الكوفيين له، ونكثهم بيعته، واستمر يقاتل بعشرتين ونيف من جلة القراء والفقهاء، خرجوا

^١- نفس المصدر: 262/8

^٢- نفس المصدر: 263/8.

^٣- ابن قببة: الإمامة والسياسة: 199/2 تحقيق محمد محمود الرافعى.

- أبعقوبي: التزريح الكبير: 3/58-59.

- تطبرى: تاريخ الأمم والأنواد: 284/8 - 285 النطعنة الحسينية المصرية

- المسعودي: مروج الذهب: 1/217 تحقيق محمد سعيد الشين عبد تحميد

ذاجي حسن: ثوره زيد بن علي - ص - 96.

معه بسيوفهم معرضين أنفسهم للموت والاستشهاد في سبيل الحق، والبعض الآخر من الفقهاء أزروه بسالمتهم ووقفوا إلى جانبه مشجعين بتأييدهم المعنوي، الذي لا يقل تأثيراً عن التأييد المادي، فقد روى الأصفهاني عن الفضل بن الزبير، قال: قال أبو حنيفة: "من يأتي زيداً في هذا الشأن (شأن ثورته على بين أميه) من فقهاء الناس؟" قال: قلت سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهاشم بن البريد، وأبو هاشم الرمانى، والعجاج بن دينار وغيرهم... فقال نبى: قل لزيد لك عندى معونة، وقوّة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح. ثم بعث معي ذلك إلى زيد، فأخذذه زيد^١.

وقال عن ذلك أحد العلوبيين: "رحم الله أبا حنيفة، لقد تحقق موته لنا في نصرة زيد بن علي"^٢ معنويًا وماديًا.

وقال الزمخشري في (الكتاف): "وكان أبو حنيفة يفتى سراً بوجوب نصرة زيد بن علي، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المتسنم بالإمام والخليفة" مما دفع تلميذه (زفر) إلى التوم عليه قائلًا: والله لن نتركنا يا شيخنا، حتى تتضع حول أعداقنا الأغلال^٣.

^١- ابن قتيبة (2709هـ/ أو 884م أو 880م): الإمامية والسيئة؛ 2/199.

- الطبرى: تاريخ الرسل والسلوك: 498/5، 499، 320، 331 - دار المعرفة بمصر - توفي الطبرى (سنة 310هـ/ 922م) - الأصفهانى: مقاتل الطالبين - ص - 146 - 147.

- ابن كثير: البداية والنهاية: 9/352 - توفي ابن كثير (سنة 774هـ/ 383م).

^٢- الأصفهانى: مقاتل الطالبين - ص - 145 - 146

^٣- النفق عن أحمد أمين: ضحي الإسلام: 3/273-274

ونال أبا حنيفة من جراء ذلك التعذيب، ولكنه استمر بعد مقتل زيد مؤازراً لزريديه في شخص الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بصاحب النفس الزكية الذي خرج على الخليفة العباسى أبي جعفر المنصور بالمدينة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة صحبة عيسى بن زيد، واستطاع المنصور أن يقتل الثازرين سنة (145هـ/763م)، وأن يزج بأبي حنيفة في السجن حتى مات في حبسه سنة (150هـ/768م).

ويرى زيد بن علي في خروجه، علىبني أمية أنه طبق مبدأ إسلامياً هو: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما جاء في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وتزمنون بالله¹. وقوله: وَلَنْ تَكُنْ مِّنَ الْمُنْكَرِ إِذْ يَدْعُونَ إِلَيِّ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ² وكما جاء في قول الرسول: "من رأى منكم منكرًا فاستطاع أن يغيره بيده، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقبليه وذلك أضعف الإيمان"³. ولكن يبدو أنه ما كان من حقه أن يغامر بخروجه بهذا العدد القليل من الرجال لأنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة وإذا كان متقياً أن هشام بن عبد الملك لن يدعمه بعد تهديداته السابقة لپاه حتى ولو تخلى عن خروجه عليه فأرضن الله واسعة.

¹ سورة آل عمران: الآية 110.

² سورة آل عمران: الآية 104.

³ ابن ماجة (207هـ/823م - 275هـ/888م): انس: 2/1330 - كتاب النفن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن "المنكر" -

وروي، في نفن المتصدر والناف وانتداب: 1329/2 عن أبي سعيد الخدري: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل "جهاد كلية حق عند سلطان جائز" أفضل "جهاد كلية حق عند سلطان جائز" المثل.

وقد ثبتت في بعض المصادر علاقة زيد بن علي، بأكبر أعلام المعتزلة، وهو واصل بن عطاء فلا يُستبعد أن يكون إمام الزيدية تأثر بإمام المعتزلة في بعض آرائهم، وخاصية في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان واصل بن عطاء فيه من أهل النظر، وكان زيد من أهل العمل والتطبيق، وكرأي واصل في أن أحد الفريقين في واقعة الجمل وصفين، كان على خطأ يوجب التفسير، إما فريق علي وأصحابه، أو فريق أهل الشام وغيرهم من الخصوم، ومن هذه المصادر التي تحدثت عن هذه العلاقة نجد الشهرياني يقول ما نصه: أراد زيد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فلتمد في الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة، مع اعتقاد واصل بأن جده علياً بن أبي طالب في حربه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل، وأصحاب الشام، ما كان على يقين من الصواب، وأن أحد الفريقين كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الإعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة¹. وبذلك أصبحت الزيدية بسبب هذه العلاقة معتزلة في آرائها - كما ذكر الشهرياني.

ومما سبق يبدو أن المعتزلة أهل علم ونظر، والزيدية أهل علم وعمل، لأن الأول لم يشهدوا شيئاً في وجه سلطان جائز، والآخرين اشترطوا في الإمام الخروج على الحاكم الظالم إذا لم يتب.

ولعل السبب في عدم خروج المعتزلة، ورکونهم إلى ما يشبه التقى هو أنهم أرادوا أن يداروا السلطة القائمة خوفاً من بطشها، كما جاملوا أيضاً آل البيت وأن العلم والحق قلم يسموه بالخطأ المباشر، في اعتبارهم أصحاب

¹ - انظر وـ التحليل: 1/256 - تحقيق أحمد فهيمي.

على أو خصومه كانوا على خطأ يوجب التفسيق، لأنهم يجدون في نقوسهم لأهل الرسول كل محبة وتقدير.

وقد نفهم أن واصلا قال بهذا الرأي خرفا من بطن بنى أمية، لأنه يعلم أن أهل الشام وخصوم علي هم الذين كانوا على باطل، وليس غريبا أن يكرر صرح لزيد بن علي بهذا ويرجاه عدم افشاءه. ويبدو أن هذا هو السر في عدم انقسام عرى الصداقه بين زيد بن علي وواصل بن عطاء، رغم حكم الأخير على أهل الشام أو أنصار علي بالفسق، ورغم لوم محمد بن علي الباقر شقيق زيد، ولو لم يعترض الصادق ابن أخيه هذا، على زيد من أجل الحكم السابق الذي يبرأ الشيعة جائرا في حق علي بن أبي طالب^١.

وقد يكون زيد تحمل اللوم وحافظ على الصداقه لأنه وفي بعيده، فلم يفت رأي صديقه واصل في بنى أمية وهو تفسيقهم، لأنه رجل علم وعمل لا ينفصل عرى الصداقه العلمية بسبب مخالفة في الرأي، وقد رأينا ذلك بخاصم ابن عمه عبد الله بن الحسن حول صدقات فاطمة، ومع ذلك فلم ينقطع ما بينهما من صلة الرحم ومن الصداقه القائمة على الجدل العلمي، حتى أن ابن عمه عبد الله كان يدرك هذا، ويسرع إثر النقاشه - الذي يتبعان فيه كل تباليغ، ويثيران فيه دور البلاغة على الحاضرين - إلى دابة زيد - مساعدًا إياه على الركوب^٢.

^١ - الشهيرستاني - المثل والتلخ - 1/209/210 ذيلا لكتاب ابن حزم - الفصل
- ابن تمرنضي - الشبة والمثل - ص - 21/20 النقل عن الشمار - نشأة الفكر - 2/166.
^٢ - الأصفهاني - مذاقل الطالبين - ص 129.

ومما سبق نستنتج أن زيداً بن علي تار علىبني أمية تطبيقاً لمبدأ المر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي أخْنَصَ لِهِ رغم الحالة التي وجد عليها نفسه في المعركة، وقد تركه أصحابه بعد أن بايعوه وهم قد بلغوا في رواية الطبراني أربعين ألف مقاتل،^١ وفي رواية ابن الأثير خمسة عشر ألفاً^٢. وكان زيد لما ترك الكوفة بعد إهانة هشام له بأمه السنديّة، وبعد ما لحقه من الأذى اثر المكافحة التي أجرأها والي العراق يوسف بن عمر التقفي بين زيد ومن معه، وبين سلفه خالد القسري حول تهمة الهدايا والودائع الموجهة إليهم – لحقت (بزيد) الشيعة عند مكان يسمى العذيب،^٣ وعرضوا عليه مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونه بأساففهم إذا خرج علىبني أمية، وهمّوا من شأن جنود الشام، واعتبروا أن قبيلة واحدة من قبائلهم، كقبيلة هذان، أو تميم، أو بكر كافية للقضاء على عدوهم، وقالوا له: "فتشدّك الله لما رجعت، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة. وأعطوه المواثيق والإيمان المخلطة، فجعل يقول: إنّي أخاف أن سلموني، وتخذلوني ك فعلكم بأبي وجدي، فيحلفون له"^٤.

وقد حذر من ذلك ابن عمّه داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وابن عمّه محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وهما اللذان اتهما بنفس تهمة زيد: (الودائع والهدايا)، في علاقتهما بخالد القسري حذر اه

- الطبراني - تاريخ الأمم والملوك - 8/265 النسخة الحسينية المصرية

^٢ - ابن الأثير - التاريخ الكامل - 5/86 وبهامه مروج الذهب للحسودي

^٣ - العذيب - مكان يقع على بعد واحد وعشرين ميلاً من مدينة الكوفة باتجاه الحجاز، انظر البغوي - ان تاريخ الكبير - 3/357

^٤ - الطبراني: تاريخ الأمم والملوك: 8/264 - المطبعة الحسينية المصرية

من غدر أهل الكوفة، كما حذر من ذلك قريبه سلمة بن كهيل^١. وبعث له عبد الله بن الحسن بن الحسن الذي كان خصم زيد حول صدقات فاطمة رسالة في نفس الموضوع، تدل على بلاشته التي أسلفنا الحديث عنها، وهذا نص هذه الرسالة: إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةَ نَفْخَ الْعَلَانِيَّةَ، خَوْرَ السَّرِيرَةِ، هَرْجَ فِي الرَّخَاءِ، جَزْعَ فِي الْقَاءِ، تَقْدِمُهُمْ أَسْتَهْمُ، وَلَا تَشَاعِيْهُمْ قُلُوبَهُمْ، لَا يَبْيَتُونَ بَعْدَهُ فِي الْأَحْدَاثِ، وَلَا يَنْرُؤُونَ بَدْوَلَةَ مَرْجُوَةَ، وَلَقَدْ تَوَلَّتْ إِلَيْهِ كُتُبَهُمْ بَدْعَوْتَهُمْ، فَصَمِّمْتَ عَنْ نَذَانِهِمْ، وَأَبْسَتَ قَلْبِي غُشَاءَ عَنْ ذَكْرِهِمْ، يَأْسًا مِنْهُمْ، وَأَطْرَحَا لَهُمْ، وَمَا لَهُمْ مِثْلُ إِلَّا مَا قَالَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ أَهْمَلْتُمْ خَضْتُمْ، وَإِنْ حَوْرَبْتُمْ خَرْتُمْ، وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِيمَانٍ طَعْنَتُمْ، وَإِنْ أَجْبَتُمْ إِلَى مُشَاقَّةِ نَكْسَتُمْ^٢.

ووفاء لمبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وزيادة في التأكيد بعدم النكوص في العهد، طلب زيد من أنصاره أن يباعوه على قلب نظام الحكم الأموي بصيغة جامعة مانعة هي التالية: "إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَنِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَهَادِ الظَّالِمِينَ وَلَدْفَعَ عَنِ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَإِعْطَاءِ الْمُحْرُومِينَ، وَقُسْمَ الْفَيءِ بَيْنَ أَهْلِهِ بِالْإِسْوَاءِ، وَرَدَ الظَّالِمِينَ، وَإِقْنَالَ الْمُجْمَرَ، وَنَصْرَنَّ أَهْلَ أَبْيَتٍ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَنَا، وَجَهَلَ حَقَّنَا، أَتَبَايعُونَ عَلَى ذَلِكَ؟ فَإِذَا قَالَ الْفَائِلُ: نَعَمْ. وَضَعَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ: لَيْهِ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهِ

^١ الطبراني: تاريخ الأئمَّةِ والطَّوَافُوك: 265/8 - 266 المطبعة الحسينية الصغرية.

^٢ نفس المصدر: 265/8 - عبد الله بن تحسين صاحب الرسالة هو أبو محمد بن عبد الله المعروف بصاحب النفس الزكية.

وذمته، وذمة رسوله لتفين بياعي، ولتفان عدوه، ولتصح لى في السر
والعلانية، فإذا قال: نعم مسح يده على يده، ثم قال: الله أشهد^١.

وإذا أردنا أن تستخرج ما في هذه البيعة من بنود جامعة لكل ما يمكن
أن يفكر فيه قائد محنك عالم بالدين والدنيا، ومانعه لكل ما من شأنه أن يكون
خارجها عنها، وداعيا للتدليل والنكوص نذ ما يلي:

أن الحكم الذي يسيوس به زيد بن علي الناس، في صورة انتصاره
على بني أمية، يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله، لجهاد الظالمين، وهم بنوا
أممية، والعدل بين كافة المسلمين، سواء أكانوا عرباً أم أعراباً، أم أعاجم،
وأغلب هؤلاء مستضعفون محرومون من الأعطيات المغدقة على بني أمية
خاصة، وأهل الشام عامة، والعدل في قيمة الغنائم بين كافة المجاهدين،
وابفال المحمر، وهو ما وعد به زيد في حالة انتصاره على بني أمية، ويقصد
به عدم إرسال الجنادل قبل القتال، ووضعه في التغور لمدة طويلة، وهو عمل
انتقامي لجأ إليه الحجاج بن يوسف ضد العراقيين، فكان يجرهم في البعثة
البعيدة، إلى شرق الخلافة الإسلامية في الفتح، مع ما فيه من مشقة ومقارفة
لذويهم وأهليهم^٢. وبذلك يحقق الحجاج بن يوسف غايتيين بوسيلة واحدة،
وهما: الانتصار، وما يتبعه من فتح، واتساع ورقة الدولة الأموية، وغنائم لا
تحصى ولا تعد، أو موت بعض العراقيين في حالة الهزيمة أو حتى في حالة
الانتصار، واستراحة الدولة الأموية من نقمتهم، وثوراتهم المتكررة.

^١- الطبراني: تاريخ الأمم والملوك: 492/5 - مطبعة الاستقامة بالفاهرية.

^٢- الطبراني: تاريخ الأمم والملوك: 8/8 المطبعة الحسينية المصرية.

وجاء في وثيقة المبايعة أيضاً الوعد بنصرة أهل البيت والذود عنهم، وهو البند الذي جلب به زيد أنصاراً عديدين من الشيعة أو من لهم ميول شيعية.

وخرفاً من نكث الكوفيين العبد، وغدرهم فقد قدم زيد في البيعة وعوده في البنود واستئنفة المذكورة، وختمتها بالعبد المغلظ بينه وبينهم، وهو عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسوله، ليفين المبايع بعده وليقاتلن عدوهم، ولينصحن لزيد في السر والعلانية، فإذا وافق المبايع، مسح زيد على يده، ثم أشهد عليه الله قائلاً: "اللهم فاشهد".

وبعد هذا فقد ظن زيد أنه لن يبقى لمبايع تراجع إلا إذا كان من طينة غير إسلامية.

ومما يدل على تمسك زيد بمعبد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مقرراً الخروج علىبني أمية، رده على ابن عممه داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، لما حذر من غدر الكوفيين، وهو يعلم في قراره نفسه أنه محق في تحذيره - فقال له: "إن علياً كان يقاتلته معاوية بدهنه، وبكثرة أنصاره من أهل الشام، وأن الحسين قاتله يزيد والأمر عليه مقبل" فرد عليه داود: "إنني أخاف إن رجعت معهم، إلا يكون أحد أشد عليك، منهم، وأنت أعلم" ومضى إلى المدينة، ورجع زيد إلى الكوفة¹.

وتحليل زيد لأسباب فشل علي بدهاء معاوية، وفشل الحسين بإفهام الأمر علىبني أمية، يعني أن الخلافة كانت مقبلة عليهم، بسبب تجاه طريقة معاوية ومؤازرة عمرو بن العاص له، وهو تحليل كأنه أراد به أن يقول:

1- انظر إلى: تاريخ الأمم والملوك: 8/ 265 - المطبعة الحسينية المصرية -

أما الآن فامر الخلافة مدبر عن بني أمية، والدليل على ذلك كثرة الثورات: ثورة خراسان، وثورة افريقية والمغرب، وثورة زيد بن علي التي هي في طور التحضير آنذاك.... .

أضف إلى هذا أن بني أمية كانوا شاعرين بتحرك ثوري ضدتهم. ظنوا علويًا أولاً الأمر وكأنوا محقين في ظنهم لأنّه كان كذلك، ولكن بني العباس استغلوه لفائدةِهم، ولم يُعرف هذا التحول إلا بعد أن قُضى أبو مسلم الخراساني على الدولة الأموية، وانتقم لأبي البيت، ونبش قبور بني أمية، مثلاً نبشوا هم قبر زيد بن علي، وسمّوا به، وصلبوا عارياً، ومثلوا بالحسين، وصلبوا، وسموا الحسن، ونعنوا عليه على المنابر، وقلبوا كنيته أباً تراب من كنيسة شرف إلى كنيسة تحفير¹.

وقد تقطن أحد شعراء بني أمية، وواليهم على خراسان - وهو نصر بن سيار من عهد هشام (105هـ/724م - 125هـ/743م) إلى آخر ملوكهم مروان بن محمد (126هـ/744م - 132هـ/750م) حين ظهر أبو مسلم الخراساني يدعوه لأنّ البيت، إلى وجود هذا التحرك الثوري السري الذي ينذر بالثورة، ونار الحرب على ملوكهم، فقال منها إياهم إلى ما تغافلوا عنه باعثاً بذلك الأبيات إلى مروان بن محمد²:

أرى بين الرماد ومضن ناز ،
ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ،
وإن الحرب أولها الكلام

¹- ابن حجر : فتح الباري بشرح البخاري : 8/73-74

- مزوج الذهب للمسعودي : 1/219

²- الأشعري : مقالات المسلمين : 1/131 هاشمة رقم (2)

- عبد الرحمن الربيعي : بغية المستحب في تاريخ مدينة زيد - ص 26-27.

أقول : من التعجب لبيت شعري ،
أيقتظ أمينة ، أم نبي ، أم ؟
فقل : قوموا ، فقد حان الفيام
على الإسلام والعرب السلام

و واضح من البيت الأخير أن نصر بن سيار أدرك بتجربته كوال ، أن
هذه الثورة العلوية تعتمد على الموالي ، وستدلي الأممية ذات النزعة العربية ،
وعندها فعلى الإسلام والعرب السلام - حسب رأيه -

وبذلك يبدو تحذيل زيد لأسباب فشل على بدهاء معاوية ، وفشل الحسين
بِقَبْلِ الْأَمْرِ عَنِ بْنِ أُمِّيَّةَ ، وتخمينه أن النصر سيكون إلى جانبه لإذبار
الأمر عنهم ، لكثرة الثورات التي عكرت صفو ملوكهم ، تحذيلاً صائبًا ، لو لم
يخته الكوفيون ، ويتخلوا عنه في ساعة العسرة ، على عادتهم مع أجداده .
وكان زيد يحس في الواقع بصدق ابن عميه داود بن علي في نصبه ،
وتحذيره أيام من الكوفيين ، لأن زيداً نفسه فيه انصاره هؤلاء ، مؤكداً عليهم
وجوب الوفاء بالعهد ، إن هم خرجوا معه علىبني أمية ، مذكراً إياهم بغدر
أسلافهم بجديه علي والحسين^١ .

وكان زيد في إقدامه وتحذيره واقعاً بين أمرتين - أولهما - خوفه من
غدر الكوفيين ، وتاريخهم في ذلك مع الأئمة مشهور ، وثانيهما - إقدامه على
المعركة ، رغم كل الاحترازات ، وفاء لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر .

^١ - البغوي - التاريخ الكبير - 3/51/58/61 .
المسعودي - مروج الذهب - 1-219 .

وهذا ما كان آخر الأمر، فلم يخشن الموت، وقد سمع وهو في خضم التردد بين الإقدام والإحجام، وبين الترغيب والترهيب، يتمثل بقول الشاعر:

بكرت تخوفني المنون، لأنني
أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
لابد أن أسفى بكأس العنهل،
فأحببتها: إن المنية منهل،
فأقفي حياءك لا أبا لك واعلمي
أني أمرؤ ساموت، ابن لم أقتل.

ولما قربت ساعة الثورة على بنى أمية، وشعر أنصار زيد من الكوفيين باستعداد والي العراق يوسف بن عمر الثقفي بجيش من جنود الشام مدرب على قمع الثورات والفنن، يشرف عليه وإن عرف بالفظاظة والغلظة - والشيء من مآتاه، لا يستغرب، أو ليس هو وريث الحجاج بن يوسف، في القسوة والفظاظة؟ إنه يحمل نفس لقبه، إنه ابن عمّه. ولعل هشام بن عبد الملك أراد أن يجدد العهد مع الولاة الجفاة، الشداد، فرمى يوسف بن عمر الثقفي على العراق المعروفة بميولها العلوية، وحجبها للفنن، وصعوبتها على الخليفة الأموي في دمشق، ولا يستغرب أن يكون الدواء أحياناً من جنس الداء، كما قال أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم أغراء،
وداوني بالتي كانت هي الداء
لذلك كنه أحس الكوفيون بالخوف فتراجعوا عن البيعة، وكانت هزيمة
زيد رغم استبساله في القتال، بمائتين وثمانين عشر^٢ من القراء والفقهاء^١ لم ينكروا البيعة، لأنهم علموا، فعملوا، ولم يتراجعوا، حتى استشهدوا، واستشهدوا.

^١ ابن الأثير - الكامل في التاريخ - 5/86 وبهامه مروج الذهب للمسعودي.

^٢ النبيان - ص 6

^٣ النطيري - تاريخ الأمم والملوك - 5/499 مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الأصفهاني - متفاقي الطبيبين - ص 137.

وكان لهزيمة زيد بن علي أسباب أهمها:

الخوف الذي دب في نفوس الكوفيين مما جعلهم ينكثون العهد،
اضطراراً من ناحية ونوعاً من ناحية أخرى، حسب تاريخهم الحال في ذلك،
مع آل البيت... مع علي... وهم أبناء الحسن والحسين... ومع أحفاده كزيد بن
علي... ثم أن زيد بن علي تَعَجَّلَ في الخروج على بني أمية، قبل حلول
الأجل المضروب بيته، وبين أنصاره الكوفيين والبصريين والحراسين،
وأنصاره في الموصل، وفي المدائن، والرِّي، وجرجان، لأنَّه تخوف أن يأخذ
عليه يوسف بن عمر التَّقِيُّ الطَّرِيقَ، لما فشا أمر ثورته، قبل الموعد المحدد
لقيامها، وكان زيد قد أوعَدَ أصحابه ليلة الأربعاء، أول ليلة من صفر سنة
اثنين وعشرين ومائة 122 (هـ) 740 م. على الخروج، ولكنه خرج قبل
الأجل بيوم. وتعجَّلَ الخروج، من شأنه أن جعل تنفيذ الخطط مضطرباً،
وربما ارتجالاً.

ثم ابن يوسف بن عمر التَّقِيُّ، التجأ إلى حيلة شيطانية، تتمثل في
حصار^٣. أغلب الكوفيين في المسجد الجامع، وغلق أبوابه عليهم، وغلق
دروب السوق، وتهديد كل من يوجد خارج المسجد بقطع عنقه، لما بلغه
تاریخ خروج زید، "بعث الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة في
المسجد الأعظم فيحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمذكوب،

١- الإصفهاني - مقاتل النَّطَالِبِينَ - ص 145-148.

٢- انصبri - تاريخ المم والعلوٰت - 499/4 مطبعة الاستاذة بالقاهرة.

نفس المصدر وانصفحة - الإصفهاني: مقاتل الطَّالِبِينَ - ص 136/137.

٤- ابن الأثير - تاريخ الكمال - 89/5 وبما شهده مروج الذهب المسعودي

والمقاتلة، فادخلوهم المسجد، ثم نادى مناديه: "أيما رجل من العرب أدركناه في رحبة المسجد، فقد برئت منه الذمة، انتوا لمسجد الأعظم، فأتى الناس يوم الثلاثاء، قبل خروج زيد...".

ولما أحسن زيد بعذر الكوفيين قال: 'سبحان الله، أين الناس؟' قيل: هم محصورون في المسجد، فقال: لا والله، ما هذا لمن بابعنا بعذر'،² وأدرك أنهم فعلوها حسينية، وعلوية - حسب تصرิحة - أي أعادوا معه الدور الذي نعموا مع جديه علي وحسين رضي الله عنهم - وعلق زيد على ذلك قائلاً: 'ما أخلفكم، قد فعلتُوها، الله حسيبكم'³.

ورغم كل ذلك فقد حاول الكوفيون تبرير تراجعهم عن مناصرة زيد بن علي، لما رأوا أن يوسف بن عمر التقي قد شدد عليهم وعلى زيد الخناق، مجهزا لهم جيشاً من الرماة مدرباً على قمع الثورات، فاحسوا بالخطر، وعندها اتصلوا بزيد بن علي، وسألوه في تراجع ظاهر عن المبايعة التي نه عليه/ قاتلبيين: 'ما قولك في أبي بكر وعمر؟' قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما.

ما سمعت أحداً من آل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً.⁴ فأجلبواه؛ فلماذا تطلب بدم أهل البيت إلا أن يكونوا نزعاً سلطانكم واستأثراً به دونكم، فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا أحق بسلطان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم - من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا

¹- الطبرى - تاريخ الأمم والسلوك 5/499.

²- الطبرى - تاريخ الأمم والسلوك - 5/499.

³- نفس المصدر 5/500.

⁴- نفس المصدر 5/498.

وَدَفَعُونَ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفَّارًا، وَقَدْ وَلَوْا فَعَدْلًا فِي النَّاسِ،
وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالُوا: فَلَمْ يَظْلِمْكُمْ هُولَاءِ إِذَا كَانُوكُمْ لَمْ يَظْلِمُوكُمْ،
فَلَمْ تَدْعُوهُ إِلَى قَتْلِ قَوْمٍ لَيْسُوا كُلُّكُمْ بِظَالِمِينَ؟ فَقَالُوا: إِنْ هُولَاءِ لَيْسُوا كُلُّهُمْ كُلُّكُمْ، إِنْ
هُولَاءِ ضَانُونَ نَحْنُ وَلَكُمْ، وَلَا نَنْفَسُهُمْ وَإِنَّمَا نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ،
وَإِلَى السُّنْنِ أَنْ تَحْيَا، وَإِلَى الْبَدْعَ أَنْ تَطْفَأْ، فَإِنْ أَجْبَتُمُونَا سَعْدَتُمْ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَبْيَتُمْ
فَقُلْتُ عَلَيْكُمْ بِوْكِيلٌ^١.

فَفَارَقُوهُ وَقَالُوا: "سَبَقَ الْإِمامَ" وَيَعْنُونُ أَنَّهُمْ رَفَضُوا إِمَامَهُ فَسَمِاهُمْ زِيدٌ
لِرَافِضَةِ، وَمِنْذَ ذَلِكَ الْحِينَ أَصْبَحَ اسْمُ الرَّافِضِيِّ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُرَفَضُ
إِمَامَةُ الشَّيْخِيْنِ.

وَقَدْ عَنِ الرَّافِضَةِ بَقَوْلِهِمْ لِزِيدَ بْنِ عَلَيْ: "سَبَقَ الْإِمامَ" أَنَّ الْإِمامَ
الشَّرِعيَّ هُوَ السَّابِقُ لِزِيدٍ مِنْ حِثَّ السَّنِّ، وَهُوَ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ وَكَانَ قَدْ مَاتَ
سَنَةً (119هـ/373م). وَأَوْصَى لَابْنِهِ جَعْفَرَ الصَّادِقَ (ت. 148هـ/766م)
بِالْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ - حَسْبَ زَعْمِهِمْ^٢.

وَكَانَ الرَّافِضَةُ قَدْ اتَّصَلُوا بِجَعْفَرِ الصَّادِقِ، قَبْلَ موْعِدِ خَرْوَجِ زِيدٍ عَلَى
بَنِي أَمِيَّةِ، وَسَأَلُوهُ: "إِنْ زِيدَ بْنَ عَلَيْ فِينَا يَدِيْأَعُ، أَفْتَرِي لَذَا أَنْ نَبَايِعُهُ؟" فَقَالُوا لَهُمْ
نَعَمْ بِاِبْرَاعِدِ، فَهُوَ أَفْضَلُنَا، وَسَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا. فَجَاؤُوهُمْ فَكَتَمُوا مَا أَمْرَهُمْ بِهِ^٣. مَعَ
يَدِهِ عَلَى تَرَاجِعِهِمْ عَنِ بَيْعَةِ زِيدٍ الَّتِي نَهَا عَلَيْهِمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ؛ وَنَعْلَمُ كَانُوا
يَحَاوِلُونَ إِيجَادَ تَعْنِيَةٍ لِنَكْتَهُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ، فَلَتَجَدُوا إِلَيْ جَعْفَرَ الصَّادِقِ يَسْتَشِرُونَهُ،

١- نفس المصدر والصفحة

٢- ابن الأثير: التأريخ الكبير: 5/89 وبيامشه تاريخ مروج الذهب للسعودي

٣- الصيرفي: تاريخ الأئمَّةِ وآلِهِمْ: 5/498-499 مطبعةُ المُسْتَقْدِمةُ بالقاهرة

ظناً منهم أنه ينافس زيداً في الإمامة، ولا أدل على ذلك - حسب فهمهم - من أن جعفر الصادق - يخاصم زيداً من أجل صحبته لواصل بن عطاء (80 هـ/700 م - 131 هـ/749 م) الغزال رأس المعتزلة الذي يذهب في القول بالقدر على غير ما يذهب إليه أهل البيت، مجوزاً الخطأ على عني في حربه لأهل الجمل، وأهل الشام^١. وبذلك يبدو أن الإمامة في نظر هؤلاء الروافض، لا تعدو أن تكون حلية وتشريفاً، يسارعون إليه في حالة الأمان والاطمئنان على نفوسهم وممتلكاتهم، ومحاولة للثأر من خصومهم، وليس تكليفاً بمسؤولية شاقة للعدل بين الرعية، وحماية بيضة الإسلام.

ولما أشار عليهم جعفر الصادق بعكس ما كانوا يتوقعون، ويبغون، كتموا ذلك، وكتمانهم علامة على ما يبيتوا من خيانة البيعة، وألا فلو كانوا صادقين، فإن ما أشار به عليهم جعفر الصادق من ضرورة مبايعة زيد لأنه أفضل آل البيت - حسب اعترافه^٢ يطمئنهم أكثر على إمامتهم زيد، ولا يكتمن هذه الشهادة الثمينة لرجل يستحقها، بل تزيدهم ثقة وإصراراً على نصرته، وخاصة إذا كانت من إمام معروف بالذوق والفضل والعلم كجعفر الصادق.

هذه رواية الطبراني، أما البغدادي فيرويها على النحو التالي: «كان زيد بن علي، قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، خرج بهم على ولی العراق يوسف بن عمر الثقفي^٣ عامل هشام بن عبد الملك على

^١ الشيرستاني: العلل والنحل: 1/249 ذيلاً كتاب ابن حزم: الفصل

^٢ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 5/498-499

^٣ يوسف بن عمر هو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي ولد هشام بن عبد الملك (75 هـ/955 م) في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ولد هشام بن عبد الملك. وكان

العراقيين (البصرة والكوفة)، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر التقي، قاتلوا نهـ: أنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر الذين ظلمـا جدك عليـ بن أبي طالب، فقال زيدـ: إني لا أقول فيما إلا خيراً¹. وإنما خرجـ على بنـي أمـةـ الذين قاتلـوا جـديـ الحـسينـ، وأغارـوا علىـ المـديـنةـ يومـ الحـرـةـ، ثمـ رـمـوا بـيتـ اللهـ بـحـرـ المـنجـيـقـ والنـارـ، فـفـارـقوـهـ عـنـ ذلكـ حتىـ قالـ لهمـ: رـفـضـتـمـونـيـ، وـمـنـ يـوـمـتـ سـمـواـ رـافـضـةـ². ولـمـرـدـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ: أـعـلـنـ زـيـدـ مـذـهـبـهـ: إـمـامـةـ الـمـفـضـولـ معـ وـجـودـ الـأـفـضـلـ الـذـيـ أـكـدـ فـيـهـ أـوـنـوـيـةـ عـلـىـ بـإـمـامـةـ، لـكـ الـمـصـلـحةـ اـفـتـضـتـ تـقـدـيمـ الشـيـخـيـنـ عـلـيـهـ لـصـغـرـ سـنـهـ...

وابـذاـ كانـ الطـبـريـ وـالـبـغـادـيـ قدـ لـمـحـاـ تـمـيـحاـ إـلـىـ مـذـهـبـ زـيـدـ فـيـ إـمـامـةـ، وـهـوـ إـمـامـةـ الـمـفـضـولـ معـ وـجـودـ الـأـفـضـلـ، وـقـدـمـاءـ فـيـ عـرـضـ تـارـيـخـيـ، فـبـذـاـ تـجـدـ مـنـ الـمـفـكـرـيـنـ الـتـدـامـيـ مـنـ أـهـلـ النـاحـيـةـ التـارـيـخـيـةـ لـأـنـهـ لـيـسـ مـؤـرـخـاـ،

الحجـاجـ فـلـيـ فـيـ عـلـىـ الـعـرـاقـيـنـ. وـنـذـاـ لـأـنـ تـصـورـ كـيـفـ أـنـ هـشـامـ لـمـاـ تـوـنـيـ الـخـلـفـةـ مـنـ (106ـهـ/725ـمـ - 125ـهـ/743ـمـ) جـددـ العـهـدـ معـ "توـلـادـ الـقـدـاةـ تـقـهـرـ" الـعـرـاقـيـنـ فـعـيـنـ يـوـسـفـ بنـ عـمـرـ تـقـيـ بـعـدـ خـتـمـ الـقـسـريـ. وـاسـتـمـرـ يـوـسـفـ بنـ عـمـرـ فـيـ إـمـارـةـ مـنـ سـنـةـ (120ـهـ/738ـمـ) إـلـىـ سـنـةـ (127ـهـ/745ـمـ) حـبـتـ قـلـ قـلـ فـيـ سـجـنـ نـشـقـ وـفـيـ قـتـلـهـ لـبـنـ خـالـدـ الـقـسـريـ تـقـلـمـاـ زـلـيـهـ مـنـهـ (الـبـغـادـيـ: الـفـرقـ بـيـنـ الـفـرقـ؛ صـ 35ـ هـ - 2ـ).

¹ ذـكـرـ فـيـ كـتـابـ التـبـصـيرـ لـابـسـفـرـ لـيـبـيـ: "أـنـيـ عـلـيـهـماـ جـديـ عـلـىـ، وـقـالـ فـيـهـماـ خـبـرـاـ" اـنـظـرـ الـفـرقـ بـيـنـ تـفـرـقـ لـلـبـغـادـيـ صـ 25ـ، هـامـشـ رقمـ 4ـ - تـحـقـيقـ الـكـوـثـرـيـ.

² "الـبـغـادـيـ: الـفـرقـ بـيـنـ الـفـرقـ صـ 25ـ تـحـقـيقـ الـكـوـثـرـيـ.

- أـحـرـقـ بـنـ أـمـةـ الـكـعـبـةـ، وـرـمـوهـ بـحـرـ شـنـجـيـقـ سـنـةـ (684ـهـ/1664ـمـ) اـنـظـرـ فـيـ ذـلـكـ: لـبـنـ فـيـيـهـ إـلـامـةـ وـالـسـيـاسـةـ (12/2ـ) - وـالـحـرـةـ: مـوـضـعـ قـرـبـ مـنـ مـدـيـنـةـ الرـسـوـلـ وـفـيـهـ حدـثـ مـوـقـعـةـ عـظـيـمةـ بـيـنـ أـهـلـ الـدـيـنـ وـبـيـنـ جـيشـ الـشـامـ فـيـ عـهـدـ زـيـدـ بـنـ مـعـنـوـيـةـ فـاغـارـوـا عـلـيـهـمـ وـأـسـرـفـوـا فـيـ قـتـلـ الـمـسـلـمـيـنـ (انـظرـ: الـبـغـادـيـ: الـفـرقـ بـيـنـ الـفـرقـ - صـ 35ـ - 36ـ، هـامـشـ (3ـ). تـحـقـيقـ مـحـمـدـ مـحـيـ الدـيـنـ عـبـدـ الـحـمـدـ).

وإنما اعنى بالقضية من ناحية تحليلية وعقدية موضحاً أسبابها ومدلولها بالرجوع إلى أصولها، ومن بين هؤلاء المفكرين نجد الجاحظ (ت. 255هـ/868م) في رسالته يهتم بهذا الموضوع اهتماماً له شأنه، لأنَّه أسوق زميلاً من هؤلاء المؤرخين في معالجة هذه القضية: (إمامية المفضول مع وجود الأفضل).

وإذا كانت القضية بالنسبة لأولئك المؤرخين تتلخص في كون علي أفضل الصحابة على الإطلاق، وأولاهم بالإمامية، في رأي زيد، فإنَّ الجاحظ يورد هذه القضية في رسالة له بعنوان (استحقاق الإمامية)، مستفتحاً إياها بطرح رأي الزيدية في الأفضلية، متعرضاً بعد ذلك إلى اختلاف الآراء في وجوب نصب الإمام أو عدم نصبه، منحازاً إلى الرأي القائل بوجوب نصب الإمام، مدعماً إياه بالحجج، مقدماً إمامية الأفضل على المفضول، مع بيانه لمقاييس الفضل.

وبناءً لمنهجية البحث نتعرض إلى قضية الإمامة بين الجواز والوجوب، ثم إلى مقاييس الفضل، خاتمين برأي الزيدية في إمامية المفضول مع وجود الأفضل.

وفينا يختص وجوب نصب الإمام، لدى الجاحظ، فيتجلى ذلك فيما ركب في الإنسان من شهوات وغرائز كالتمكُّن والغَلْبة، والقُهْر، وشدة جهله للمنافع والمضار كالأداء والدواء والأغذية والسموم، ولو ترك الله الناس "فُوقى عقولهم، وجماح طبائعهم، وغلبة شهواتهم، وكثرة جهائهم وشدة فراغهم إلى ما يرديهم ويطغيهم...". كان قد كلفهم شططاً وأسلّمهم إلى عدوهم، وشغّلهم عن طاعتهم التي هي أجدى الأمور عليهم وأنفعها لهم، ومن أجلها

عدل التركيب وسوى البنية، وأخرجهم من حد الطفولة والجهل، إلى حد البلوغ والإعتدال والصحة و تمام الأداة والآلة، ولذلك قال عز ذكره: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني»^١.

ولو ترك الله الناس وتجربتهم دون أن يمد لهم يد المساعدة لاختلط عليهم الصار بالنافع في سلوكهم ومعيشتهم، ولترادفت أسفاقهم حتى تصير مذبحة قاتلة^٢. فلما كان ذلك كذلك علمنا أن الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه، لم يخلقهم إلا لصلاحهم، ولا يجوز صلاحتهم إلا بتقديمهم، ولو لا الأمر والنبي، ما كان للتغيرة وتعديل الفطرة معنى^٣.

وعنى هذا فلا بد للعباد من أن يكونوا مأمورين، منهيين، بين عاص ومطيع، ولا بد لهم لمقاومة طبائعهم ومخالفة أهوائهم من الزجر الشديد والتوكيل في العاجل، والتوعيد بالعقاب الأليم في الآجل^٤.

”وإذا كانت عقوب الناس لا تبلغ جميع مصالحهم في دنياهم، فهم عن مصالح دينهم أعجز، إذا كان علم الدين مستبطناً من علم الدنيا“^٥.

ولذلك فإن احتاج الناس إلى إمام في دنياهم، فهم أحوج إليه لمعرفة مصالح دينهم. وإذا كان علم الدنيا يدرك بأساليبه المباشرة وغير المباشرة. فإن علم الدين غامض لا يخلص إلى معرفته إلا بالطبيعة الدائمة والغاية.

١- سورة الذاريات: الآية 56

٢- الححظة: رسالة في استحقاق الإعامة - ص 246.

٣- نفس المصدر: ص 246-247

٤- نفس المصدر: ص 247

٥- نفس المصدر: ص 247

٦- نفس المصدر والصفحة.

الشديدة مع تلقين الأئمة، ولأنَّ الناس لو كانوا يبلغون بأنفسهم غاية مصالحهم في دينهم ودنياهם، لكان إرسال الرسل قبيل النفع بسير الفضل^١.

ولهذا علمنا أنه لابد للناس من إمام يعرفهم جميع مصالحهم الدنياوية والدينية، وجذنا أن "الأئمة ثلاثة؛ رسول، ونبي، وإمام، فالرسول نبي إمام، والنبي إمام وليس برسول. والإمام ليس برسول ولانبي"^٢. وممثلاً يختار الله لعباده أفضل خلقة، رسلًا وأنبياء، يجب أنختار المسلمون قادتهم من أفضل من يوجد علمًا وذراءة بسياسة الأمم.

وبذلك يبدو وأنه لا معنى لرأي النجدات من الخوارج ورأي هشام الفوطسي وأبي بكر الأصم المعتزليين القائل: إذا تناصح الناس، وتعادلوا وأقاموا حدودهم، وأدرك كل منهم حقوقه وواجباته فلا ضرورة لنصب إمام^٣، فهو رأي مثالي لا يمكن تصوره، وهم قد صدروا في هذا عن افتئاع بأن افراق المسلمين سببه الخلافة، وسلط أغلب الحاكمين على الرعية.

ولما كانت مسؤولية هذا الإمام عظيمة بين الرعية لأنَّه مكلف بأمر الدين والدنيا، كان لزاماً علينا أن نختاره من أفضل من وجد لأنَّ الحكم والسلطة إذا تقارب أقدارهم وتساوت خواصهم، قويت دواعيهم إلى طلب الاستعداد، وامتدت منافستهم في الغلبة^٤. وممثلاً يتنافس أصحاب الحرف،

١ - نفس المصدر وصفحة

٢ - نفس المصدر وصفحة

٣ - نفس المصدر - ص - 249/250

- ابن حزم - انفصل - 4/87 وبiamishه (انظر) لابن حزم.

٤ - د. علي الشنقي - الشيعة في إيران - ص - 60.

- الجاحظ - رسالة في سحق الآئمة - ص - 258

وـ«الصنائع والعلماء»، محاولين التفوق على بعضهم البعض بـ«اخفاء أسرار صناعتهم»، وـ«طلب الغلبة والإستيلاء» والرئاسة في ميادينهم، فكذلك يفعل أصحاب اسلطة، وكل من تعنيه نفسه بشهوة الحكم، وـ«طلب الرئاسة»^١. وإن فـ«اصلاح الأمور» في تونية أفضل الناس إماماً على المسلمين، لرفع أسباب التحاسد، والتباغض، والتغالب، والمحاهاة، والمنافسة لأنـه «إذ كان القائم بأمور المسلمين، باشـنـ الـأـمـرـ، متـفـرـداـ بـالـغاـيـةـ فـيـ الـفـضـلـ، كـانـ دـوـاعـيـ النـاسـ إـلـىـ مـسـابـقـتـهـ وـمـجـارـاتـهـ أـقـلـ»^٢.

وـإذا كان هذا رأـيـ الجـاحـظـ فـيـ إـمامـةـ الـأـفـضلـ، فـيـحـسـنـ بـنـاـ أـنـ نـذـكـرـ رـأـيـ الزـارـيـ فـيـ جـواـزـ إـمامـةـ الـمـفـضـولـ لـنـسـتـأـسـ بـهـ. وـقـدـ بـنـىـ الزـارـيـ رـأـيـ هـذـاـ عـلـىـ معـنـىـ أـخـلـاقـيـ اـكـسـرـ شـوـكـةـ نـفـسـ الـأـفـضلـ الـمـتـعـالـيـةـ أـحـيـاـنـاـ، لـبـلـوـغـهـاـ درـجـةـ زـرـاقـيـةـ مـنـ الـفـضـلـ، بـرـزـتـ بـهـ غـيرـهـ، عـلـمـاـ وـأـخـلـاقـاـ، وـيـخـشـىـ أـنـ تـؤـوـلـ بـهـ إـلـىـ الـنـقـيـضـ، إـلـىـ الـنـكـبـ بـعـدـ التـوـاضـعـ، وـبـعـدـ زـكـيـ الـخـصـالـ، وـالـمـعـرـفـةـ بـأـسـرـارـ الـدـيـنـ وـالـدـيـنـاـ^٣. وـهـوـ رـأـيـ يـذـكـرـنـاـ بـرـياـضـةـ الـمـتـصـوـفـةـ فـيـ رـياـضـةـ الـنـفـسـ، وـالـقـضـاءـ عـلـىـ صـفـاتـ الـغـرـورـ وـالـتـعـالـيـ فـيـهـاـ. لـأـنـ الـنـكـسـارـ الـعـاصـيـ - لـدـيـهـمـ - أـفـضـلـ مـنـ صـوـلـةـ الـمـطـيعـ.

وـإذاـ كـانـتـ حـجـةـ الزـارـيـ فـيـ جـواـزـ إـمامـةـ الـمـفـضـولـ، مـبـنـيـةـ عـلـىـ أـسـسـ أـخـلـاقـيـ رـياـضـيـ تصـوـفـيـ، لـرـياـضـةـ الـنـفـسـ عـلـىـ التـوـاضـعـ - وـلـعـلـهـ مـدـفـوعـ إـلـىـ

- نـفـسـ اـسـصـدرـ وـالـصـفـحةـ

^١- نـفـسـ اـسـصـدرـ وـالـصـفـحةـ

^٢- الزـارـيـ؛ نـهـيـةـ الـعـقـونـ فـيـ دـرـيـةـ الـأـصـونـ؛ مـخـطـوـطـ: 240/241 | نقـعـنـ أـحـمـدـ مـحـسـودـ صـبـحـيـ؛ فـيـ نـظـرـيـةـ الـإـمـامـةـ لـدـىـ الشـبـعـةـ الـإـثـنـيـ عـشـرـيـةـ - صـ 158

ذلك بالتمام الحجج تلزد على الشيعة^١. فإن الجاحظ يبني حجته في وجوب إمامية الأفضل على أساس عقلي مصلحي يراه ضرورة لا مناص منها للعدل بين الرعية، ونشر عمود الدين. ولا أدل على هذا الرأي - في التماض الجاحظ للحجج العقلية، للبرهنة على ضرورة نصب الإمام الأفضل - من تحليله لمقاييس الفضل، لدى هذا الإمام، فيقول ما نصه: "فإن قالوا: فما صفة أفضليهم؟ قلنا: أن يكون أقوى طبائعه عقله، ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص، وكثرة السماع، ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماعه بحسن العادة، فإذا جمع إلى عقله علما، وإلى علمه حزما، وإلى حزمه عزما، فذلك الذي لا بعده، وقد يكون الرجل دونه في أمور، وهو يستحق مرتبة الإمامة ومنزلة الخلافة، غير أنه على حال لابد من أن يكون أفضلي أهل دهره. لأن من التعظيم لمقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يقام فيه إلا أشبه الناس به في كل عصر، ومن الاستهانة به أن يقام فيه من لا يشبهه وليس في طريقه، وإنما يشبه الإمام الرسول بأن يكون آخذا بسيرته منه، فأما أن يقاربه أو يداريه فهذا ما لا يجوز، ولا يسع تمنيه والدعاء به"^٢.

هذا هو مقاييس الفضل، لدى الجاحظ، بناء كما رأينا على أساس عقلي، حيث اشترط فيه أن يكون الإمام أعقل قومه وأنفذهم بصيرة إلى جلائل الأمور، وأعلمهم بسياسة الأمم وأحوالهم. أضف إلى ذلك أن الإمام خليفة للرسول، وليس خليفة الله كما ذهب إلى ذلك البعض من الباحثين القدامى^٣.

^١- نفس المصدر والصفحة.

^٢- الجاحظ: رسائل في استحقاق الإمامة - ص 259

^٣- ابن حندون: المقدمة - ص 191.

زمن التعظيم لمقام رسول الله إلا يقام فيه إلا أشبه الناس به... وكما كان رسول الله أفضل الخلق، يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه، آخذا بكتاب الله، وسنة رسوله، مطبقا إياهما في سياسة الترغية.

ويمكن أن نعرف مقياس الفضل لدى الإمام زيد بن علي، والزيدية عموماً بما نستشفه مما مر من صفات زيد، وبما نستخرجه من بعض المصادر وإنملاع، وبما يمكن أن يكون مفهومه عاماً لدى المسلمين في كل العصور، لأن الزيدية أقرب في مبادئها إلى أهل السنة منها إلى أية فرق آخر.

فهل امراء بالفضل الاكثر ثوابا عند الله، أم الأجمع نهراً الفضل
، الخلق الطيبة؟

يُظهر أنَّ اجتِماعَ قدرٍ منِ الْخَلَالِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي شَخْصٍ مَا، يَنْتَجُ عَنْهُ حَسْوَنَةٌ عَلَى قَدْرٍ مِنَ الثَّوَابِ وَلِذَلِكَ فَكِثْرَةُ الثَّوَابِ، مَفْرُونَةٌ بِزَكِيَّ الْخَصَانِ، وَذِيمَوْنَتُهَا يَعْكِنُ أَنْ يَكُونَا مَقِيسًا لِلْفَضْلِ لِذَيِّ الزَّيْدِيَّةِ وَلِذَيِّ الْمُسْلِمِ عَامَّةً.

وقد رأينا الجالحُّ بعدَ أَنْ بَيْنَ مَقِيَّاًنِ الْفَضْلِ لَدِيهِ، يَحْصُرُ مَقِيَّاًنَ الْفَضْلِ لَدِيِّ الزَّيْدِيَّةِ فِي أَرْبَعَةِ أَفْسَامٍ، مَسْتَخْرِجٌ مِّنْ شَرْوَطِهِمْ لِقِيَامِ الْإِمَامِ.

^١ أونها: القدم في الإسلام حيث لا رغبة ولا رهبة إلا من الله والله،

وهو ما يعبر عنه بالسبق والأسبقية في الإسلام، وانتهت عند المسلمين أن أيام

^{٢٤١} الجاحظ: رسالة في استحقاق الائمة، ص 241.

بكر الصديق أسبق الكبار وعلي أسبق الصبيان حيث أسلم في سن العاشرة
على التراجع^١.

ثانيها: انزهه، وأزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وأمنهم على
نفائس الأموال، وعفائل النساء، واراقه الدماء^٢. وقال زيد بن علي: "ما أحب
الدنيا أحد إلا ذل^٣. وذلك عندما كان يصعد الدرج ليقدم شكواه ضد آل
الحسن، حول صدقات فاطمة، إلى هشام بن عبد الملك^٤.

ثالثها: الفقه، والعلم عموماً، لأن به يعرف الناس مصالح دينهم
ودنياهem^٥. والدليل على توفر هذا الشرط في زيد، أنه ينسب إليه الزيدية
(كتاب المجموع في الفقه الزيدية) الذي رواه عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن
خالد الواسطي^٦. كما أن جد زيد: علي بن أبي طالب كان مستشاراً للشيوخين
ولعثمان، في المعضلات مما حدى بعمرو بن الخطاب أن يصرح قائلاً: "علي
أقضذان"^٧ وأن يقول أيضاً: أقضية ولا أبا الحسن لها^٨. ورجل كعلي بن أبي
طالب بلغ درجة من التفقه في الدين، والاجتهاد، والقياس، لا يستغرب إذا

^١ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/71 كتاب المنقب - باب مذقب علي بن أبي طالب.

^٢ الجحظة: رسالة في استحقاق الإمامة - ص 241

^٣ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 3/263 المطبعة الحسينية المصرية

^٤ نفن المصدر والصفحة

^٥ الجحظة: رسالة في استحقاق الإمامة - ص 241.

^٦ أبو زهرة: الإمام زيد - ص 230 - 231

^٧ ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/76 كتاب المنقب - باب مذقب علي بن أبي طالب.

^٨ البغوي: التاريخ الكبير: 2/105، 150.

اعتبره حفيده زيد أفضل الصحابة على الإطلاق، وأولاًهم بالخلافة، ولكن المصلحة اقتضت تعين أبي بكر الصديق^١.

رابعاً: "المشي بالسيف كفاحاً في الذب عن الإسلام"^٢. وهو الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، إعلاءً لكلمة الحق والعدل. ويعتبر هذا الشرط من أهم شروط الزيدية في الإمامة، وعبروا عنه بالخروج على السلطان الجائر، وقد طبق إمامهم زيد هذا الشرط عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى استشهد. ولذلك ذكر الشهير سعدي هذا الشرط ضمن بقية شروط الإمامة لدى الزيدية فقال: "كل فاطمي، عالم، راهد، شجاع، سخي، خرج بالإمامية يكون إماماً واجب الطاعة"^٣.

وبذلك يكون الشهيرستاني أضعف إلى مقياس الفضل -الذي ذكره الجاحظ للزيدية- فسماه: الشجاعة المغرونة بالخروج على السلطان الجائر، والسخاء، وقد عبر الجاحظ عن الخروج بصيغة الجهاد عموماً، ولا يتحقق الجهاد والخروج إلا إذا كان الإمام شجاعاً في غير تهور، يقدم عندما يكون الإقدام عزماً، ويحجم عندما يكون الإحجام حزماً، ولا يطاً موضع لا يرى له فيه مخرجاً، وهو ما يدخل ضمن رؤيا الجاحظ في أن يكون الإمام أقوى طبائعه عقله، ونفذ بصيرته، وشدة قصبه، مع العلم والحرم والعزم، وحسن الاستماع إلى من حوله من الخصوم وغيرهم، بالإضافة إلى حسن الخلق الذي عبر عنه بحسن العادة^٤. ومن حسن العادة أو الخلق أن يكون

^١- الشهيرستاني: الملل والنحل: 250/1 - 251 ابن خلدون: المقدمة ص 197.

^٢- الجاحظ: رسائل في استحقاق الإمامة - ص 241

^٣- الشهيرستاني: الملل والنحل: 249/1 - 250 - ذيل الكتاب ابن حزم: الفصل

^٤- الجاحظ: رسائل في استحقاق الإمامة - ص 241

الإمام كريما سجنا لا يدخل بما في يده، وبما في بيت مال المسلمين على المسلمين، لأن ذلك من مقياس فضله، واستحقاقه للإمامية -حسب المفهوم الزيدي لها، وحسب المفهوم العام للمسلمين-

ومنى اجتمعت هذه الخصال في شخص، وجب على الزيدية تفضيله عليهم، وتقديمه دونهم للإمامية. وهم لذلك يرون بعد فحصهم للأخبار والآثار وسؤال العلماء والفقهاء، أن أشهر الروايات تجمع على أن علياً أسبق إلى الإسلام من بقية الصحابة، مع أن هناك روايات أخرى تقدم أبي بكر، أو زيد بن حارثة، أو خبابا¹. وقد من بنا أن أبي بكر أول الكبار إسلاماً، وعلياً أول الصبيان إسلاماً².

ويبدو أن الزيدية أكثر فرق الشيعة اعتدالاً، وخصوصاً في ما نقله عنهم الجاحظ حول قضية أسبقية علي في الإسلام، أو حول قضيائهما مقياس الفضل الأخرى، وفي ذلك قال ما نصه: "ونم نجد قول كل واحد من هذه الفرق قاطعاً لعذر صاحبه، ولا ناقلاً له عن مذهبها، وأن كانت الرواية في تقديم علي أشهر، واللفظ به أكثر وأظهر، وكذلك إذا سلناهم عن الذابين عن الإسلام بمهمتهم، والماشين إلى الأفراط بسيوفهم، وجذبناهم مختلفين فمن قاتل علي، ومن قاتل: إبنا عفرا، ومن قاتل أبو دجانة، ومن قاتل: محمد بن مسلمة، ومن قاتل: طلحة، ومن قاتل: البراء بن مالك، على أن لعني من قتل الأفراط والفرسان والأكتفاء ما ليس لهم، فلا أقل من أن يكون علي في

- نحن المصدر

² ابن حجر: فتح التباري بشرح البخاري: 8/71 - كتاب المتفق - باب من قاتل على من أتى طالب أنه شمي القرشي.

طبقتهم، وإن سألاهم عن الفقهاء والعلماء، رأيناهم يعدون علياً، وعمر، وعبد الله بن مسعود، وزيداً بن ثابت، وأبي بن كعب. على أن علياً كان أفقههم لأنّه كان يسأل ولا يسأل، ويفتّي ولا يستفتّي، ويحتاج إليه، ولا يحتاج إليهم. ولكن لا أقل من أن نجعله في طبقتهم وكأحدّهم، وأن سألاهم عن أهل الزهدة، وأصحاب النّقش المعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها، قالوا: على، وأبو الزرداء ومعاذ بن جبل، وأبو ذر، وعمار، وبلال، وعثمان بن مطعون. على أن علياً زهدهم، لأنّه شاركهم في خشونة الملبس، والمأكل، والرضا باليسير، والتبلغ بالحقر... ومخالفة الشهوات وفارقهم بأنّ منك بيوت الأموال، ورقاب العجم، فكان ينضح بيت الماء في كل جمعة، ويصلّي فيه ركعتين، ورفع سراويله... وقطع ما فضل من زداته عن أطراف أصابعه بالسفرة في أمور كثيرة، مع أن زهده أفضل من زهدهم لأنّه أعلم منهم، وعبادة العالم ليست كعبادة غيره، كما أن زلته ليست كزلة غيره، فلا أقل من أن نعده في طبقتهم... فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه، متفرقة في غيره، من أصحاب هذه المراتب، وأهل هذه الطبقات الذين هم الغایات، علمنا أنه أفضّلهم، وإن كان كل واحد قد أخذ من كل خير بنصيب فإنه لن يبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه^١.

فعلى أفضّل الصحابة ومقدم عليهم بالرغم من كون كل واحد منهم قد أخذ من كل خير بنصيب، ومع ذلك فهم لم يبلغوا مبلغ عيّ الذي اجتمع له جميع الخير وصنوفه، وعلى هذا الأساس فهو أول لهم بالخلافة إلا أن المصلحة اقتضت تقديم غيره، حيث كانوا على بقية الخلفاء الراشدين أقل

^١- الجاحظ: رسالة في استحقاق الإمامة - ص - 241 - 242

فساداً وأضطراباً، وأقل طعناً وخلافاً، وهم في أمره على طبقات: فمن رجل قد قتل على أبيه، أو ابنه، أو أخيه، أو ابن عمّه، أو حميه، أو صفيه، أو سيدة، أو فارسٍ^١.

ومن بين هؤلاء الحاذقين من ملأ الظعينة قلبه، وهو لذلك ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة كائفاً فناعمه، مبدياً صفحته^٢.

ومنهم من كتم عيشه مدارياً عدوه، متظراً أدنى علة، ليتخذ منها وسيلة إلى الثأر، وشفاء الغليل نقرب عهده بأخلاق الجاهلية، وعدم تغلغل الإيمان في قلبه^٣.

وقد ظهر ما ذكره الجاحظ جلياً عند مباهعة علي بالخلافة، فقد تخلف عن هذه المباهعة معاوية بن أبي سفيان لأن علياً قتل جده لأمه وخانه وبعض قرابتة في غزوة بدر. تم أن معاوية يعلم أن علياً لو تولى الخلافة فسيعزله عن ولاية الشام، لأن علياً ينتقي ولاته من حيث التفاصف والعدل بين الرعية، وعدم محاباة الأقارب، وهي صفات لا تتتوفر في معاوية، ولذلك استغل الأخير فمیص عثمان مدعياً الثأر له لعنه يظفر بالخلافة. أو على الأقل تبقى له ولاية الشام عندما تؤول الخلافة إلى غير علي.

ولن نم يصرح معاوية بعذاته بهذه، مدعياً انشغاله بدم عثمان، كسبب في امتناعه عن مباهعة علي، فإن ثلاثة نفر من قريش لم يتورعوا عن ذكر السبب الحقيقي لعدم مبايعتهم علياً، والمتمثل في كونه ونرهم يوم بدر، وذكر

^١- نفس المصدر - ص 243

^٢- نفس المصدر والصفحة

^٣- نفس المصدر والصفحة

اليعقوبي قصة هؤلاء المستعينين عن المبايعة، فقال ما نصه: "وبائع الناس
 على إلا ثلاثة ثغر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد
 بن عقبة، وكان نسان القوم، فقال: يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت
 أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقد قتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه من قريش،
 وأما مروان فشتمت أباه وعبدت على عثمان حين ضمه إليه، ونحن نبألك
 ونضمن لك بيعةبني عبد مذاف على أن تتضع عنا ما أصبنا، وتعفي لنا عما
 في أيديك، وتقتل قتلة أصحابنا، فغضب علي وقال: أما ما ذكرت من وترني
 إليكم، فالحق وتركم، وأما وضعبي عنكم ما في أيديكم، فليس لي أن أضع حق
 الله، وأما إعفاني عما كان في أيديكم فما كان الله وللمسلمين فالعدل يسعكم،
 وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزموني قتلهم اليوم لزمني قتلهم غداً، ولكن لكم أن
 أحصلكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن صدق عليه الحق فاتباعه أضيق،
 وإن شئتم فالحفوا بملحقكم فقال مروان: بل نبألك، ونقيم معك فترى
 وذرى^١.

ومن بين هؤلاء الذين كانوا يرفضون أن يتولى علي الخلافة نجد من
 عرف شدته في أمره، وقلة اغفاره في دينه، وخشونة مذهبها^٢. وقد تفضل
 عمر بن الخطاب إلى صفات علي هذه، وكان وقتها منشغل البال بمن سيخلفه
 على المسلمين، فذكر عبد الله بن عباس أن شدة علي في الحق، وكون الرعية
 لا يجدون لديه رخصة، مع استبداده بالرأي، وتبكيته للناس، وحداثة سنها

١- "اليعقوبي: التاريخ الكبير": 125/2 - 126.

٢- "تجاهظ: رسائل في لتحقّق الإسلامة": ص 243.

ستكون أسباباً في عدم توليه الخلافة، أو في كثرة اختلاف المسلمين عليه إذا
تولى، ونکثهم بيعته ومحاربته^١.

هذا، مع أن الغائب على الظن لدى العامة أن عمر بن الخطاب أشد من
علي بن أبي طالب، لأن في علي دعابة ربما أطمعت فيه الناس^٢. وخاصة
قصيري النظر الذين لا يدركون أنها نوع من الطيبة، والشعور بالسعادة
لقياً له بواجباته.

وعلى كل فسدة عمر، هي شدة في غير عرف، ولينه هو لين في غير
ضعف.

واستبداد علي بالرأي هو انتصار للحق العام لا للمصلحة الشخصية،
وهو نوع من قيادة الناس إلى مرض الحق الذي لا يستسيغه بعضهم، ولا بد من
قيادتهم إلى الجنة ولو بالسلسل.

أضف إلى ذلك أن بعض العرب وخاصة بنو أمية كانوا يكرهون أن
يجتمع الملك والنبوة في بنى هاشم، فقد نافسوا في الجاهلية، وتفوقوا عليهم
وهم لا يقبلون أن يستمر هذا التقوّق في الإسلام، ويرفضون أن يتولى علي
بن أبي طالب الهاشمي القرشي الخلافة بعد عثمان، خوفاً من خروجها منهم
بعد أن آتت إليهم، مع أنهم كانوا عند وفاة الرسول يخشون خروج السلطة
عن العائلتين: عائلة بنى هامش، وعائلة عبد مناف، وتجلى ذلك في موقف

^١ البغوي: التاریخ الكبير: 110/2 - 111 - ابن الأثیر: التاریخ الكامل: 33/3 - وبهامشه
تاریخ الوذعی.

^٢ البغوي: التاریخ الكبير: 111/2 - ابن الأثیر: التاریخ الكامل: 33/3 وبهامشه تاریخ
الوذعی.

أبي سفيان بن حرب - والد معاوية - لما نقدم إلى علي بن أبي طالب بياديه بالخلافة، ناصحا إياه وبنى قومه بقوله شعرا:

بني هاشم لا تطمعوا النابس فيكم، ولا سيفاً تيم بن مرّة، أو عدي
وليس لها إلا أبو حسن على فما الأمر إلا فيكم واليكم ؟
إذا حسن فأشدد بها كف حازم، فإنك بالأمر الذي يرجى مني
وإن امرأ يرمي فصيّاً وراءه عزيز الحمي، والنابس من غالب قصبي !
وضهر شعور بني أمية بالحسد نحو بن هاشم ومدافعيهم منهم، في اقرار
معاوية بن أبي سفيان على نفسه ورهطه، لبني هاشم بالتفوق عليهم في مجال
الرئاسة حين قيل له: 'أيهما كان أسود؟' في الجاهلية، أنتم أم بنو هاشم؟ فقال
كانوا أسود منا، وكنا أكثر منهم سيداً³. يعني أن السيدات في فريش والعرب
عموماً كانت تناط في الغائب ببني هاشم، إلا أن بني أمية كان فيهم رجال
مشهورون، وأسياد في قومهم كثيرون؛ لا يستغني رئيس القبيلة عن
مساوزتهم في الحرب والسلم.

وتجلى بعد ذلك فرح بنى أمية بالسلطة لما بويع عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بالخلافة، فتناصروا على أن بعضوا عليها بالنواخذة، وطبق معاوية النصيحة لما قتل عثمان أحسن تطبيق، فاستغل قميصه استغلالاً سيئاً مدعياً التأله، مبقياً الخلافة في بنى أمية.^٤

- المعموري: الفتوحات الكبير: 84/2

- أنتِ: أكثر سعادة.

^٣- الجھط: رسالتہ فی فضل بنی هاشم علی بنی عبد شمس - ص ٧٥.

^١ ابن حجر - فتح الباري بشرح البخاري - 54/8 كتاب المناقب باب مدح قبض عثمان بن عفان - صن - التوأجد الأطرا من.

وبين هؤلاء وهؤلاء من يكرهون مبادعة علي بالخلافة، عرب بدو،
 أخلف، همج، رعاع، لا نظام لهم ولا اختيار عندهم، يفترقون لأنفسه
 الأسباب، فلا تدفع صولتهم إذا ماجوا، ولا يؤمن هياجهم إذا سكوا، إن
 رزقهم الله النعمة طغوا في البلاد وبصروا، وإن أصيروا بالجذب آثروا العناد
 والفساد، لا هم إلا بعض القادة وأهل الثراء والنعمة، يترقبون أن تدور
 الدائرة عليهم، ولذلك وصفوا بالطغام، والسفلة وقال فيهم الإمام علي: "تعود
 بالله من قوم، إذا اجتمعوا لم يملدوا، وإذا افترقوا لم يعرفوا". وهؤلاء هم
 الخوارج الذين ثاروا على عثمان وقتلوه، فتحملت علي تبعتهم، لأن شيء، إلا
 لأنه الخليفة الذي بويع بعده، ومسؤولية دمه مناطة بعهديه، وهم الذين خرجو
 على عنى وأصفين إيه بالكفر لقبوله التحكيم، وهم الذين تبا رسول
 بظهورهم حين اتهمه (ذو الخويصرة) في قسمة غنائم حنين بعدم العدل،
 فأستدنه عمر بن الخطاب في ضرب عنقه، فنهاه الرسول مذكرا هذا
 الجريء المتهور، بأنه إذا لم يعدل محمد فمن سيعدل؟ مخبرا أنه سيخرج
 من صلب هذا الرجل، جماعة يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من
 الرمية، يحقر أحدهم صلاته إلى جنب صلاتهم، وقرأه إلى جنب قرآنهم،
 ونكته لا يتجاوز أحلاقهم. وهذا نص الحديث: "إِنَّمَا يُنَاهَىٰ عَنِ الْمُحَاجَّةِ
 مَنْ يَرَىٰ أَنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْخَلْقِ الْمُرْسَلُونَ" ^١
 يقررون القرآن، لا يجاوز أحلاقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من
 الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم سر الخلق والخليفة ^٢.

- الجاحظ - رسالة في استحقاق الإمامة - ص 244

^١ رواه أحمد وتبخاري وأصحاب السنن. واللفظ هنا للدرامي. سند أحمد (241هـ 856م)

^٢ حديث 2312 كتاب الفتن واتساعها - سنن الدرامي (ت 255 هـ 869م)

213 باب في قتل الخوارج - فلها وزن - الخوارج والشيعة - ص 45/44

وبمثال هؤلاء القوم ابني على، فتفاقم الاختلاف عليه من كل جانب إلا من ضرب آخر من المسلمين، فقد تفهوا في الدين، وعرفوا سبب الإمامة وأدركوا الحق والعدل لإيمانهم ومحبتهم للMuslimين وكراهيتهم للفتنة، ولكنهم قليل في كثير، ومحظوظ كل زمان، وإن كثروا فيهم أقل عددا، وإن كانوا أكثر فقها^١. هؤلاء عرفوا الحق وأهله، ولكنهم أثروا اجتماع كلمة المسلمين، وأبوا أن يزدروا الطين بلة، بانضمامهم لأحد الأطراف المتنازعية، خاصة وبالمدينة متفقون مردوا على النفاق، يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وينتظرن فرصة الردة. ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، كان من اجتماع السقيفة ما كان حيث قال الانصار لمهاجرين: هنا أمير ومنكم أمير، فرد المهاجرون على لسان أبي بكر: هنا الأمراء ومنكم الوزراء. وصار المسلمون أحزابا^٢. لذلك أشفق على، أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس، مخافة أن يتكلم متكلم، أو يشغب مثاغب، معن وصفنا حاله، وبينما طريقته، فيحدث بينهم فرقه، والقلوب على ما وصفنا، والمنافقون على ما ذكرنا، وأهل الردة على ما أخبرنا، ومذهب الانصار على ما حكينا، فداعاه النظر لذين إلى الكف عن الإظهار، والتجافي عن المر، وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه، لا يعادل التغريب بالدين، ولا يفي بالخطار بالأنفس، لأن في التهبيج البائنة، وفي فساد الدين فساد العاجلة والأجلة^٣.

^١- الحخط: رسالة في استحقاق الإمامة، ص 244

^٢- الأحزاب هـ بمعنى الشيع، والفرق المختلفة في الرأي لا يعني انحراف السياسة المعروفة في المصطلح المعاصر، ولا بمعنى الفرق المذهبية التي تبلورت من بعد مقتل احسين

^٣- الحخط: رسالة في استحقاق الإمامة، ص 244

فكف عن طلب الخلافة ضدنا باليدين وإيثار الآخرة على الدنيا، فعل ذلك على رجاحة عقله، وقلة حرصه، وسعة صدره، وشدة زهره، وفرط سماحته، لأنَّه رأى أنَّ المصلحة في تقديم أبي بكر عليه، كفا للفتنة، وجمع الكلمة المسلمين، وزرأى رأيه أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وفضلاء أصحابه، والمشيرون له، فكان أبو بكر أصلاح الناس لها بعد علي، فأصاب في قيامه، والمسلمون في إقامته، وعلى في تسويفه، والرضا به ولائته، منه على الإسلام وأهله، فلما قمع الله تعالى أهل الردة بسيف النعمة، وأباد النفاق وقتل مسلمة، وأسر طليحة، ومات أصحاب الأوتار، ونفيت الضغائن، راح الحق إلى أهله، وعاد الأمر إلى أصحابه^١.

وإذا كان دعاء الزيدية هذا صحيحاً، على ما حكاه الجاحظ عنهم، فلماذا امتنع علي عن مبايعة أبي بكر مدة ستة أشهر، وهو يعلم أنَّ المصلحة في تقديمها على نفسه في الخلافة لما ذكر؟ ولماذا سوف علي في مبايعته؟ وأعتبر مصيبة في هذا التسويف لدى الزيدية. – حسب زعمهم – وهي دعوى بدون دليل، حيث لم يتوثّها على عادتهم في موافق علي، وإنما اكتفوا بامتداحه في هذه المماطلة عن المبايعة، حتى لا تكون نشازاً في مذهبهم بدون تفسير^٢.

ابن الأفْعَلُ الْذَاهِيَّةُ ج. بِوَافِقِهِ وَفِي الْحَدِيثِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يُمْنَى جَارِهِ بِوَالْقَمَهِ، وَقَالَ فَيَادَهُ، بِوَافِقِهِ: ظُلْمَهُ وَغُشْمَهُ، وَقَالَ الْكَلَّاتِي: غَوَّاثَهُ وَشَرَهُ – انظر الرازي – مختار الصحاح – ص 69 – مادة – برق.

^١ - نفس المصدر - ص 244/245

^٢ - نفس المصدر، ص 245

ثم لماذا بابع على أبي بكر بعد هذه المدة الطويلة؟ هل لأن وجه فاطمة الذي كان يحميه من الناس قد ذهب بوفاتها؟ فاستذكر علي وجوه الناس، وخف سوء العاقبة، وإن يصبح منيواً، لدى المسلمين، على ما ذكره ابن قتيبة وأبن كثير¹. أم لأنه، ظهر له في هذه المدة مدى خطورة الردة، وما نتج عنها من حروب، استفحـل أسرها، فثار الدخول فيما دخل فيه المسلمين؟

قد تكون هذه الفرضيات مقبولة، خاصة وأن الخوف على المسلمين من الفتنة، أمر وجد فيه الزيدية مطليهم، فبنوا عليه مبدأهم القائل بأونوبية على بالخلافة، ومصلحة المسلمين في تقديم أبي بكر عليه².

وبذلك يبدو أن مذهب الزيدية لا يجعل للقرابة والحسب سبباً إلى الإمامة، دون من يجعل القرابة سبباً من أسبابها، وعلة من عللها، وهم الرافضة. كما حكاه الجاحظ عنهم، ممثلاً رأي الزيدية باعتباره أحسن رأي لهم، وهو ما ينافي ومنهجه في التأليف عن الفرق الإسلامية حيث أنه يقدم تفاري من كل نقطة، قول هذا قهم وذوي أحلامهم، لأن فيه دلالة على غيره، ودلالة على ما سواه³.

ومن أجل مبدأ المصلحة المذكور، قال الزيدية: بإمامـة المفضول مع وجود الأفضل، فقد يكون الرجل أفضل الناس، وبيني عليه من هو دونه في الفضل، حتى يكلفه الله طاعته وتقادمه، أما لمصلحة، وإما للاشـفـاق من الفتنة، كما ذكرنا وفسرنا، وأما للتغليظ في المحنـة، والتـشـدـيد في البلـوى

¹ ابن قتيبة - أقمنـة والـسـيـنة - [1] 20 - ابن كثير - الـبـداـية وـالـنـهـاـية - 286/5.

² - الجاحظ - رسالة في استحقاق الإمامة - ص 245.

³ - نفس المصدر، والصفحة

والكلمة، كما قال الله تعالى للملائكة: "اسجدوا لأدم، فسجدوا إلا ابيليس أبي"!^١. والملائكة أفضل من آدم كجبريل وميكائيل وامرائيل، المقربين عند الله قبل خلق آدم بدهر طويل، لما قدموا من العبادة، واحتلوا من ثقل الطاعة، ومع ذلك فقد اختبرهم الله، بتکاليفهم أغاظ المحن، وأشد البلوى إذ ليس في الخضوع أشد من السجود على الساجد^٢.

وشبيه بهذا تملك الله طالوت على بني إسرائيل، وفيهم يومئذ من هو أفضل منه وهو نبيهم داود - عليه السلام - الذي أخبر الله تعالى عنه فقال: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مِنْكُمْ فَقَالُوا: أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا. وَنَحْنُ أَحْقَاقُ الْمُلْكِ مِنْهُ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعْةً مِنِ الْمَالِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلْكَهُ مِنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عِلْمُهُ"!^٣.

وشبيه به أيضاً، تولية الرسول - صنف الله عليه وسلم - مكفرله زيد بن حارثة على جعفر الطيار يوم غزوة مؤتة وهو جعفر بن أبي طالب وكان أربعين سنتين واستشهد في هذه الغزوة وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بن زيد بن حارثة وهو شاب في مقتل العمر على شيوخ المهاجرين والأنصار وجنة البريين، والسابقين الأولين إلى الإسلام، مع علو قدرهم، وارتفاع شأنهم، ومنهم أبو بكر، وعمر، وسعد بن زيد بن عمر بن نفیل،

- سورة البقرة: الآية 34 - وسورة طه: الآية 116.

^٢ - الجاحظ: رسالة في استحقاق الإمامة: ص 245-246

^٣ - ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 76/8-77 كتاب العذائب - باب منقب جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -

و سعد بن أبي وقاص...^١. ولم يقل أحد منهم وقتها: لماذا ولى علينا رسول الله من نحن أفضل منه، معتبرين ذلك من قبيل الوحي الذي لا ينافى، مستنتاجين منه - حسب رأيهم الزيدية - : جواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل.

وللأسباب التي قدمناها، قالت الزيدية وكثير من المعتزلة: يجوز أن يكون في رعية الإمام من هو أفضل منه، وجائز أن يكون الإمام مفضولاً، كما يكون الأمير مفضولاً، وفي رعيته من هو خير منه^٢.

والإلى جانب الجاحظ الذي عرف بمذهب الزيدية تعريفاً مفصلاً، نجد الشهري الثاني قد حل محل مذهبهم تحليلًا كافياً، ولكن لم يبلغ مبلغ الجاحظ في ذلك، إذ أن الأخير توسع في تفضيل مذهبهم وأضاف إلى علة أخرى، لم يذكرها الشهري الثاني لهم، وهي علة معروفة عند بقية فرق الشيعة وخاصة الإثنى عشرية وتعني بما: أن ابتلاء على بكثرة الاختلاف عليه، وابتلاء الإمام بالمحاسب من بعده، هو للتغليظ في المحنة، والتشديد في البلوى، والاختبار من الله تعالى، لصدق إيمان عباده، غير أن الشيعة الإثنى عشرية لم يعترفوا - مع أقرارهم بهذا الإختبار - بإماماة المفضول مع وجود الأفضل، واعتبروا هذا الإبتلاء من الله لعبادة، نوعاً من زيادة الأجر وتحصيل الثواب، إنهم أخصوا في الصبر^٣. واتخذ الزيدية من الإبتلاء سبباً إلى اقرار مبدأ إماماة المفضول مع وجود الأفضل.

^١ - الجاحظ: رسالة في استحقاق الإمامة - ص 246

^٢ - الأئموري: (ت 330هـ/942م)؛ مقالات المسلمين: 2/134.

^٣ - انكيلاني: الأصول من التكفي: 2/446-450 - كتاب الإنسان والصبر - بذب تعديل عقوبة الذنب - باب ذكر، نسخة 1335هـ ترقى / 1375هـ ش.

وقد لخص الشهريستاني مذهب زيد في كونه يجب إماماً المفضول مع وجود الأفضل، فائلاً: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر، لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من سكين ثأرة الفتنة، وتحبيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين علي - عليه السلام - من دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل العيل، ولا تقاد له كل انتقام، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوه باللين والتقدم والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زرع الناس وقالوا: لقد وليت علينا فطا غليظاً، مما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابته، وغلظته في الدين، وفظاظة له على العداء، حتى سكفهم أبو بكر - رضي الله عنه - وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قاتم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضية.

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه أي من زيد وعرفوا أنه لا ينبرأ من الشيختين، رفضوه حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة^١.

١ـ الشهريستاني: (ت 1153هـ/1548م) تحقيق أحمد فهمي محمد. ولما حضرت لوفاة أبي بكر يبعث إلى عمر يستخلفه، فقال للذين: استخلف علينا فطا غليظاً، ثم انتفتوا إلى أبي بكر فلذين: مما تقول لربك إذا تقبيه وقد استخلفت علينا هذا التنديد، فقال أبو بكر، تخوفوني برب؟ قلول: يا رب أمرت عليهم خير أهلك. وأنصاف: أيها الناس احذروا الدنيا، واتزروا الآخرة، إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صنع به أوله، ولا يتحققه إلا أفسدكم مقدرة، وأمساككم لنفسه،

ومن ذلك نستنتج: براءة الشيعة الروافض من الشيوخين ونکفیرهم
والعيد بالله بسبب استثارهم بالسلطة، دون الأولي بها، وهو علي بن أبي
طالب -حسب زعمهم- ولكن آل البيت عامة، وزيد بن علي خاصة يتولون
الشيوخين، متزهدين إياهم عن الظلم والکفر لعدلهم، وعملهما بكتاب الله وسنة
رسوله، ويرفضون تطرف بعض الشيعة في هذه القضية وفي غيرها من
القضايا.

اما رأي زيد فيتمثل في أن آل البيت أحق بسلطان رسول الله، ولكن
القوم استأثروا عليهم، ودفعوهم عنه، ولم يبلغ ذلك عندهم درجة الكفر، ولعله
قصد بهذا الاستثناء أبو بكر وعمر وبقية الصحابة الذين أمر بهما، وصورة
ذلك أن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي
بكر، لأن سيف علي لم يجف بعد من دماء المشركين من قريش وغيرهم من
القبائل، والضعائين في صدورهم من طلب التأثر باقية لم تتس، والمصالحة
تفتفي أن يتولى الخلافة من عرف باللين، والتقدم في السن، والسبق إلى

وأسكر في حال الدين، وأخلعكم برأيي، لا يشاغل بما لا يعنيه، ولا يحرر بما ينزل به، ولا
يستحي من النعم، ولا ينجس عند "الذئبة"، قوي على الأمور، لا يخور شيء منها، يحذر من
الظلم وأهله (ابن تجوري: سيرة عمر: ص 49/50) الفيل عن كتاب المطالع والنحل
الشهرستاني: 1/251، هامته رقم 1 تحقيق أحمد فهيمي محسن). هذا رأيه في عمر على ما
ذكر من صفاته ومع ذلك لم يرضوا به فكيف يرثون بعلي، وقد قتل بعض أبنائهم في
الجاهلية، وكان عمر لا يرغب في الخلافة ل أنه قال لأبي بكر: لا أريدك، فأجابه: بل هي
مزيدك، فقل عمر: لا حاجة لي بها، فقال أبو بكر: لكن بها إبتك حاجة، واشك ما جبونك بها،
ولكن حبوبها بك. ثم قيل له: خذ هذا الكتاب واحرج به إلى السن، وأخبرهم أنه عبدي، وسنهم
عن سعيهم وعن حادتهم، فخرج عمر بالكتاب وأخلعهم، فقلوا: سمعاً وطاعة، وسئل رجل
عنما فيه، فقال: لا أدرى، ولكن أول من سمع وأطاع، قتل الرجل: لكنني والله أدرى بما فيه:
أمرته علم أول، وامرتك العدم. (ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 1/25).

الإسلام، والقرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي شروط متوفرة في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وما سمي بالصديق إلا لكثره تصديقه للرسول، ومواساته له بالمال والنفس، وتزويجه من أحب بناته إلى قلبه وهي عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وهو صاحبه في الغار،
إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا^١.

وبذلك يبدو مذهب زيد بن علي في جواز إمامه المفضول مع وجود الأفضل، ومن خلاله يتبيّن أن آل البيت غير مسؤولين عن تطرف بعض الشيعة، وغلوهم كاليسيّنة والمختارية والكيسانية^٢، لأن زيدا لم يسمع أحداً من أجداده، ولم يسمع أباه عليا زيد العابدين، ولا أخاه محمدا الباقر، ولا ابن أخيه جعفرا الصادق، يتبرأ من الشيوخين، ولا يقول فيما لا خيرا، ومع ذلك فقد رفض الشيعة زيدا، ولم يعترفوا بإمامته، رغم اعتداله، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى كون الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 61هـ/681م) تزوج الأميرة شهربانو بنت آخر ملك كسرامي، هو (بزيان كرد الثالث قتل سنة 31هـ/652م)، فأنجبت له عليا بن الحسين (ت. 49هـ/670م) المعروف بزيد العابدين والد زيد بن علي، وبذلك اجتمع الشرف المحمدي والدم الكسرامي النبيل في الحسين، وسيجتمع أكثر في عقبه، وهذا ما يترجم حب الشيعة المتألّي له، لأنّه، بالإضافة إلى ما ذكر، يمثل رمزاً حياً للاستشهاد في سبيل الحق، ومن خلال الحسين ارتدى الشيعة إلى نظرية الحق

^١- نزلت في ذلك الآية القراءة الثالثة لسجل حادث الهجرة ونصها: «الا تتصرّوه فقد نصره الله، الا اخرجه الذين كفروا ثالثي الذين لا هم في الغار، إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا» سورة التوبة الآية 40.

^٢- انظر نشأة التشيع في هذا البحث.

"المقدس" الفارسية، لأن الدماء المقدسة تجري في عروقه، ويتوفر فيه الشرط الذي يتوفر في ملوك الفرس، وستجري هذه الدماء أكثر في أبنائه، ولهذا فالآئمة الإثنا عشرية ينحدرون من نسل محمد، وفاطمة، والحسين، وزوجته الأميرة (شهربانو) الفارسية¹.

ونذلك أيضاً قال الشاعر مهيار الدينسي (ت. 428هـ/1037م) مفتراً بأصله الفارسي، ودينه الإسلامي، وهو من غالاة الشيعة الروافض، المتعصمين بالطعن في الصحابة - قال:

وضسمت الفخر من أطرافه، سودد الفرس، ودين العرب².

ويشك (كريستنسن) في زواج شهربانو من الحسين، فيقول: "ولما الأميرة شهربانو، فنقول روایة شیعیة لعلها غير صحيحة، أنها تزوجت الحسين بن علي. وهكذا حفظت أحقيّة الأئمة: فإن أبناء الحسين الذين هم أبناء محمد في الوقت نفسه، وكانت بنته فاطمة زوجاً لعني، قد ورثوا (الخورنة) أي المجد الإلهي الذي كان لملوك إيران"³.

ونحن ليس يعنينا أن يكون الحسين قرّوج (شهربانو) بنت (يزدجرد) أو يزدجرد الثالث آخر ملك كسرى أو لم يتزوجهها، وإنما الذي يعنينا أن الروایة الشیعیة هي التي تقول ذلك، وبالتالي فهم قد حاولوا إعادة تطبيق (نظريّة الحق المقدّس الفارسية) في الإسلام على آئمّة آل البيت المحمديّ،

¹- كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين - ترجمة بحبيبي الخشاب - ص 488 - 489 انظر إلى علي الشبلي: ساحت في علم الكلام ، الفلسفه - ص 74 - 75 - الدكتور علي الشبلي - الشيعة في إيران - ص 5، 63، ويزدجرد الثالث هو يزدجرد الثالث.

²- مهيار الدينسي: "ذیوان": 1/9-64

³- كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين - ص 489.

وسواء افتعلوا قصة الزواج هذه، أم كانت أمراً واقعاً، فإن ذلك يكشف عن حقيقة هامة هي: أن التشيع ليس إلا تفسيراً قومياً (فارسياً) للإسلام، أدرك به القوم طلبهم في أحكام الصلة بين ما عرفوه في ماضيهم، وما وقفوا عليه حين اعتنقو الدين الحنيف، واستقام لهم في ظله اعتناق جملة من الآراء، كانت أثيرة، لديهم، من غير أن تمس بحقيقة الإسلام^١.

ولذلك فالآية العاشرة بداية من علي بن الحسين يحدرون من أصل فارسي – حسب هذه الرواية – وهو ما يفسر أسباب انضمام الفرس لآل البيت^٢.

ولكن بالرغم من كون الشيعة ارتدوا إلى (نظريه الحق المقدس)، وطبقوها في الإسلام على آئمه آل البيت، فإنهم تخلوا عن إمامية زيد بن علي، ونكروا بيعته وهو سليل الشرف المحمدي، والمجد الكسروي، حيث أنه ابن علي بن الحسين، وجده لأبيه هي شهريار بنت يزد كرد أو يزدجرد الثالث، آخر ملوك الفرس، لأنه تولى الشيفين ولم يتبرأ منها، ولذلك أنكر الشيعة الرافضة إمامية زيد، وساقوها إلى جعفر الصادق، زاعمين أنها انتقلت إليه بوصيّة من أبيه محمد البقر – بينما يستحق زيد الإمامة بشهادة أخيه محمد هذا، وبشهادة ابنه جعفر، فقد اعترف الآخرين أن زيداً أفضل آل البيت وسيدهم وخيرهم^٣، واعترف محمد البقر بأن نزيد مذهبها وذلك عندما حاجه

- د. علي الشابي: الشيعة في إيران - ص - 5 -

^٢ نفس المرجع والصفحة.

^٣ الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 5/498-499 - مطبعة الاستقامة بالقاهرة -

في مبدأ الخروج الذي يشترطه في ثبوت الإمامة قائلاً له: "... على قضية مذهبك والدكت ليس بإمام، فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج".^١

وبذا ربطنا قوله محمد الباقر "على قضية مذهبك..."، بقوله ابنه جعفر الصادق في زيد: هو أفضلنا وسيدنا وخيرنا، أدركنا أن الصادق يستعمل لفظة "أفضلنا" في وصف عمه زيد، وكان باستطاعته أن يقتصر على وصفه، بكلونه: سيدهم، وخيرهم، وأنقاهم، ولعله تعمد استعمال كلمة تدل على الأفضلية، وهي اصطلاح يبدو أنه كان معروفاً في مذهب زيد، عند آل البيت، وعند العامة من الشيعة. وعموم المسلمين، وأن جعفر الصادق ما صرخ بذلك إلى أنصار زيد - لما سأله أنه فيهم يتابع، فهل يدعونه؟^٢. إلا لكونه أهلاً لأن يقود المسلمين إلى نصر مؤزر علىبني أمية، وهو يتحقق فيه ثقة أبيه محمد الباقر الذي اعترف بأن له مذهب، رغم مخالفته له في الرأي حول مبدأ الخروج، كشرط في الإمامة، وليس عيباً أن يختلف العلماء وعموم الناس مذهبياً، ولكن العيب أن يقاتلوا من أجل الاختلاف في الرأي، والحقيقة أن كلاماً منهم يدعى الإخلاص فيما يرى ويعتقد، لأن الاختلاف رحمة، وإثراء للمعتقدات والمذاهب، وليس الاختلاف دائماً نعمة، وفتنة. ولم يستعمل زيد بن علي التسيف، إلا لما اضطر إلى رفع ظلمبني أمية عن رقب المسلمين، وقد عجز هو ومن سبقه من آل البيت، ومن غيرهم عن ارجاعهم إلى جادة الصواب بالتي هي أحسن، أو بالقوة.

^١ - الشيرازي: العلل والنحل: 1/252 - تحقيق أحمد فهيم محمد.

^٢ - الطبراني: تاریخ الامم والسلوک: 5/499.

ولنن لم يفصل الزيدية مبادئهم ويدونوها منذ عهد زيد، فإنهم فعلوا ذلك بعد مقتله سنة (122هـ/740م) وبعدهما تفرعوا فرقاً متعددة، تقترب، وتبتعد في مبادئها عن إمامهم الأول، ولا يجمع بينها إلا القول بإمامية زيد بن علي وأبيه يحيى^١. الذي خرج بعد أبيه في خراسان في عهد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فقتله وصلبه سنة (125هـ/743م).

^١ هو يحيى بن زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج مثل أبيه وتطييقاً لمبادئه، على الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك - الذي تولى بعد هشام - بالجوزجان من بلاد خراسان، منكراً للظلم، وما عم الناس من الجور، فوجه إليه نصر بن سبار - واتي خراسان - قائد سلم بن أحوز المازني، فقتل يحيى في المعركة، سهم أصلبه في صدغه، وحز رأسه وحمله إلى الوليد، فصلب جسده على باب مدينة الجوزجان ولم يزل مصلوباً إلى أن خرج لبو سلم الحراني، فقتل سلم بن أحوز، وأنزل جثة يحيى وصلبي عليها في جساعة من أصحابه، وفقرتْ هناك في الجوزجان مشهور مزار، وليس لم يحيى عقب مثل أبيه زيد.

وقيل أن جثة يحيى أثرلت بعد صلبه وأحرقت، وذرى نصفها في نهر الفرات، وذرى النصف الآخر في الترّزّع، وذلك حسب أمر الخليفة الوليد بن يزيد إلى واليه على العراق يوسف بن عمر الشفقي قائلاً له: «إذا أذنك كتبني هذا، فانظر عجل العراق، فاحرقه ثم انسنه في البه نسفاً».

ويقصد الوليد بكتابته يحيى باتجاه، أن الشيعة الزيدية عدواً لحيى، كما عبد بنوا السراويل العجل، تعربضاً به، وتحيراً له، وتجهيناً لمذهب أبيه لدى المسلمين، ونفذ الوالي وصبة الخليفة فذلك لأهل العراق في شهادة:

... وأشياء أهل العراق لا دعنكم تأكلونه في ضعافكم، وتنطرون في مائكم.
وكل يحيى لما قتل أبوه بكذلة التكوفة، رثاه بنيت، يثير بها حماسة بني هاشم، ليأخذوا بزاره،
بعد أن خانه أتباعه التكوفيون: فقال:

بني هاشم، أهل النبي والتجارب	خلاني عنى بالمدينة بلغاً
فحتى متى مردان يقتل منكم	خياركم، والدهر جم التجارب
وحتى متى نرضون بالخسف منهم؛	وكلتم أيام الخسف عند التجارب
لكل قتيل معتمر يطبلونه،	وليس زيد بالغرافين طلب

- ابن فضية (ت. 276هـ/889م): الإسماعية والأنسية: 2/110 - الطبراني (ت. 310هـ/922م)
تاريخ الأئمّة والملوك: 5/598 - مطبعة الاستدامة بالقاهرة - الأشعري (ت. 330هـ/942م):
مقالات الإسلاميين: 1/130، 144 الأصفهاني (ت. 356هـ/966م): مقالات الطالبيين - ص

ومن أهم الفرق الزيدية نذكر: (الصالحية والبتيرية). وهما معدودتان كفرقة واحدة، رغم انتسابهما لرجلين، فالصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حي والبتيرية نسبة إلى كثير التواء الأبيتر.

ويعد الحسن بن صالح بن حي (100 هـ/718 م - 168 هـ/785 م) من كبار الزيدية، وعظمائهم، وعلمائهم، وكان فقيهاً ومتكلماً ومحدثاً، ولذلك روى عنه مسلم في صحيحه ولم يرو عنه البخاري في صحيحه، وإنما ذكر في تاريخه¹. وألف الحسن بن صالح كتاباً منها: كتاب (التوحيد)، وكتاب (الجامع في الفقه) على نمط مؤلف إمامه زيد بن علي: (المجموع في الحديث وفي الفقه). وللحسن أخوان: أحدهما علي بن صالح، والأخر صالح بن صالح، وهما على مذهب الزيدية، وكان علي متكلماً، وذكر محمد بن إسحاق أن أكثر علماء الحديث والفقه كانوا زيدية، مثل سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري... وعلى كل فقد أثني العلماء على الحسن بن صالح وقالوا فيه خيراً لا عند الله².

158 - البغدادي (ت. 1037هـ/428م): الفرق بين الفرق - ص 34-35 - النشر: شأء الفكر الفلسفى في الإسلام: 152/2.

¹ - ذكر البخاري في تاريخه الكبير: أن الحسن بن صالح بن حي، سمع سداك بن حرب، مات سنة سبع وستين ومائة، وهو من نور همدان، وكتبه أبو عبد الله (أشغل عن كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي - ص 33-34 تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد).

² - النوبختي: فوق الشبعة - ص 14 -

- البغدادي: اندرق بين الفرق - ص 33-34 - هامشة (3) تحقيق محمد محبي عبد الحميد، أبو زهرة: الإمام زيد - ص 226-230 وما بعدها

أما كثيرون فإنه ينسب إلى فرقه البترية¹. من الزيدية، وهو محدث أيضاً من رجال العدل وفرقته البترية هي نفسها الفرقة الصالحية، لأن تقليدهما في المبادئ، ومن رجالها فقهاء مشهورون كشريك بن عبد الله وابن أبي نبوي، ومحمد بن ادريس الشافعي، ومالك بن أنس،² لأن الشيعة الزيدية معتدلون، ويعتبرون في آرائهم أقرب إلى أهل السنة، منهم إلى آية فرقة أخرى.

ويذهب البترية أو الصالحية إلى أن علي بن أبي طالب أولى الناس بعد رسول الله بالإمامية، لفضله، وسابقته، وعلمه، فهو أفضل الصحابة، وأشجعهم، وأسخاهم، وأورعهم، وأنقاهم وأزهدهم وصفاته هذه مستقاة من شروط الزيدية في الإمامة.

ورغم أفضلية علي فقد أجازوا للصلة - إمامية أبي بكر وعمر، وعدوهما أهلاً لها، لأن علياً سلم لهما الأمر، ورضي بذلك، وبإيعهما طائعاً غير مكره، وتذلّل في حقه لهما، ولذلك صارت ولادة الشيفين رشداً وهدى، لتسليم علي ورضا، وهم راضيون بما رضي، ولو لا رضاه وتسليميه لكان (أبو بكر وعمر) - حسب زعمهما - مخطئين ضاللين، هاتكين. وهذا رأي أوائل هذه الفرقة. وخرجت منها فرقة أخرى اعتبرت علياً أفضل الصحابة لقربه وسبقه، وعلمه... وهو أولى بالإمامية من غيره، ولكن لا مانع للناس من أن يولوا عليهم غيره، بشرط أن يكون هذا المتأول مجزئاً، أحب ذلك أم كرهه، وتعتبر توليتهم لأبي بكر على أنفسهم برضى من علي رشداً وهدى

- البترية: بضم الباء فسكون الناء.

- الشوبكي: فرق الشيعة - ص 14 النشر: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: 194/2.

وطاعة الله - عز وجل - وصاعته واجبة بأمر من الله تعالى، فمن خالقه من قريش، أو من بني هاشم أو من غيره من المسلمين فهو كافر ضال^١.
ويتوقفون في عثمان وفي قتله ولا يصفونه بـكفر ، ولا ذم ، ولا مدح^٢.
شأنهم شأن إمامهم زيد بن علي.

وتعتبر الصالحية والبترية وما تفرع عنهما أحسن حالاً لدى أهل السنة من بقية فرق الزيدية لاعتداهم، وشهرة رجالهم بالتفوي و العمل الصالح، من ذلك أنهم كفروا انحرافية من الزيدية لـتكفيرهم الشيختين . ولكن هؤلاء من هذه الفرق الصالحية لا يتبررون من يتبرأ من الشيختين^٣.

وإلى جانب قول الصالحية والبترية بتقديم الأصلح، على الأفضل، فهم يتوقفون عند عثمان، توقف مرحلة أهل السنة في حكمهم على مرتكب الكبيرة بالفسق سفهـ - ثم يرجئون أمره إلى الله، وخلاصة رأيهم في عثمان، أنهم إذا نظروا إليه باعتباره أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، حكموا بـصحة إسلامه وإيمانه، وإذا نظروا إليه من ناحية الأحداث التي أحدثها من استهتاره بـبتريةبني أمية، وبني مروان، واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة

^١ التوبخـي: (ت. 310هـ/922م)؛ فرق الشيعة - ص 25-26.

^٢ الأستـري (ت 330هـ/942م) = مقالات إسلامـيين - 1/136-137 على محمد زيد - معـزلةـ الـيـن - ص 20

^٣ البـعدـادي (ت 428هـ/1037م) الفـرقـ بينـ الفـرقـ - ص 34
الـسـيـهـ هـاشـمـ مـعـرـوفـ - عـقـدـةـ الشـيـعـةـ الـإـلـمـامـيـةـ - ص 230-231

عليـ محمدـ زـيدـ = معـزلـةـ الـيـنـ - ص 19

قالوا: يجب أن يحكم بکفره، فتخيروا في أمره وتوقفوا في حاله، وارجوا
أمره إلى الله لأنه أحكم الحاكمين.

وهذا التوقف في أمر عثمان رضي الله عنه - لئن شابه رأي مرجنه أهل السنة في مركب الكبيرة عامة فإنه مشابه لرأي المعتزلة في اعتباره في منزلة بين المترفين، لا هو كافر ولا هو مؤمن، فهو ليس كافرا لأن له جزءا من الإيمان وهو القول والاعتقاد، وهو ليس مؤمنا لأنه لم يطبق.

وهذان الموقفان بالنسبة للبترية والمعزلة يذكراننا بالطريقة الإسلامية في اعتماد المذهب الوسط لقوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا².

وهذا الاعتدال الذي توسّم به هذه الفرقـة الزـيدية ليس غـربـياً عنـ الحـسنـ بنـ صالحـ بنـ حـيـ، فـقدـ كانـ فـقيـهاـ، مـتكلـماـ، مـعـرـوفـاـ بـالـعبـادـةـ وـالـزـهـدـ، وـالـنـقـوىـ وـالـخـشـيـةـ مـنـ اللهـ، وـقـدـ طـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـصـفـ خـلـمـ الـمـيـتـ؛ فـماـ قـدـرـ عـلـيهـ مـنـ الـبـكـاءـ. وـكـانـ هـوـ وـأـخـرـهـ عـلـىـ وـأـمـهـاـ مـنـ الـعـبـادـ، قـسـمـواـ الـلـيلـ بـيـنـهـمـ ثـلـاثـةـ أـحـزـاءـ لـلـقـيـامـ وـالـتـبـعـدـ، فـمـاتـ الـأـمـ، فـاـفـتـسـمـاهـ بـيـنـهـمـ نـصـفـينـ، وـلـمـ مـاتـ عـلـىـ، أـصـبـحـ الـحـسـنـ بـنـ صـالـحـ يـقـومـ الـلـيلـ كـلـهـ وـحـدهـ، وـلـذـاكـ قـالـ فـيـهـ عـابـدـ الشـامـ سـلـيـمانـ الدـارـاتـيـ: لـمـ رـأـيـتـ أـحـدـاـ، الـخـوفـ أـظـهـرـ عـلـىـ وـجـهـهـ مـنـ الـحـسـنـ، قـامـ لـيـلـةـ بـعـدـ يـشـأـلـونـ، فـغـشـيـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـخـتـمـهـ^٣.

^١ - الشهري (ت 548هـ/1153م) - الفصل والنحل = 217/1 - ذيل الكتاب ابن حزم = الفصل

¹ سورة البقرة الآية 142 - د. علي الشابي = مباحث في علم الكلام والفلسفة - ص 132 .
² 133

³ - التغلق عن النشر: نشأة الفكر الفلسفي: 192/2.

وإذا كان هناك معتذلون في فرق الزيدية كما مر بنا لدى الصالحة
والبترية، فهناك بعض الغلاة منهم مثل الجارودية أتباع أبي جارود (ت.
150 و 160هـ/768 أو 777م) زياد بن أبي زياد، ويقال له: النهدي،
والهمداني، والنقفي، والكوني، والأعمى لأنّه كان مكفوفاً البصر وأبو
الجارود هذا هو الذي سماه الباقر: سرخوجاب "فسره بأنه شيطان يسكن
البحر، ولعنة جعفر الصادق بكونه: أعمى القلب أعمى البصر، وبكونه
شيطاناً أعمى يسكن البحر، وذكر عنه الحافظ بن حجر بأنه متروك الحديث،
وضعفه جداً، وقيل عدو فيه: أنه كاذب، عدو الله، لا يساوي فلساً، لأنّه كان
شيعياً رافضياً، يضع الأحاديث في ثقب أصحاب الرسول ويرى في فضائل
آل البيت أشياءً ما لها أصول، ولا يعترف بها من يدعى نصرتهم، والإنتقام
لهم من هؤلاء الأئمة، ولا تحل كتب حديثه لأنّه معدود من غلاة شيعة
الكونية، وليس له من الزيدية إلا الإعتراف بإمامية زيد، وابنه يحيى، والغريب
في الأمر، أنّ آباً الجارود اتصل بزيد بن علي في الكوفة، وثبت معه في
المعركة وعرف مبادئ الشيعة المعتدلة التي تقترب من مبادئ أهل السنة،
ومع ذلك فقد تخلى عن هذه المبادئ لما قتل، وأصبح من غلاة الرافضة.
ويتجلى ذلك في رأيه ورأي أتباعه من أن عيناً بن أبي طالب أفضل الصحابة
على الإطلاق، وأن مقامه لا يجوز لأحد سواه، وادعوا أن من دفع عيناً عن
هذا المقام فهو كافر، وأن الأمة كفرت وضلت لتركها بيعة على، لأنّ الرسول
- حسب زعمهم - ولأه الإمامية بعده بالوصف لا بالاسم. وعني هذا الأساس

فلا تصح إمامية المفضول مع وجود الأفضل، وهو المبدأ الذي نادى به زيد،
مقدماً الأصلح على الأفضل¹.

ومن الجازوية من ساق الإمامة في أولاد الحسن والحسين، وهي
فيهما شوري². ومن فرق الزيدية الغلة أيضاً نجد (السليمانية)، أصحاب
سليمان بن جرير الزيدية، ويررون أن الإمامة شوري بين الناس، وأنها تصلح
بعد رجلين من خيار المسلمين، وهي تجوز في المفضول وإن كان الفاضل
أفضل منه في كل حال، وبثبات صحة إمامية الشيختين.

وحكى عن سليمان بن جرير أنه كان يزعم أن بيعة أبي بكر وعمر
خطأ لا يستحقان عليه الفسق والكفر من قبل التأويل، وقد تمت إمامتهما
باختيار الأمة الإسلامية، وهي حق اجتهادي، وقد أخطأ الأمة خطأ
اجتهادي لا يوجب الفسق، والكفر، باختيارها لأبي بكر، وعمر، مع وجود
الأفضل والأصلح، وهو على وقد ثبت أنه لا يضل ولا تقوه عليه شهادة
عادلة بضلاله. ونلاحظ أن سليمان بن جرير، وأن بدا شبهة معتدلة في حق
الشيختين، فقد غلا في حق عثمان بن عفان وبعض الصحابة فكر عثمان
لتساهمه مع أفراده، حتى تجاوزوا حدود الله، ولأجل الأحداث التي نقمت

1- مقالات الإسلاميين واختلاف المصطلح للأشعري: 1/134

- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص 30

- النشر : نشأة الفكر : 2/187

2- التونختي: فرق الشيعة - ص 26-27

- الأشعري: مقالات الإسلاميين: 1/134-135

- البغدادي: الفرق بين الفرق: ص 30-32

- السيد هيثم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية - ص 231-232 على محمد زيد: معجزة
اليمن: ص 19-20.

عليه حسب رأيه - وكفر عائشة وطلحة والزبير لقادتهم عن قتل علي، ولذلك يكفر أهل السنة سليمان بن جرير لتكفيره هؤلاء الصحابة¹.

ويعتبر سليمان بن جرير معاصرًا لأبيه ابريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج في خلافة هارون الرشيد (170هـ/787م - 193هـ/809م) إلى المغرب ولذلك تسب العائلة المالكة في المغرب إليه، ويسمون بالأدارسة².

وتعد الصالحية واليتيرية، والجارودية، والسليمانية من أهم فرق الزيدية، ويتفق في هذا التقسيم كل من عبد القاهر البغدادي (ت. 428هـ/1037م)، والشهرستاني (ت. 548هـ/1153م)، وأبي المرتضى (ت. 840هـ/1436م)³.

ولعل هذه هي الفرق الأساسية الأولى، وهناك فرق أخرى مثل الشعيمية، والصباحية، وفرق أخرى ذكرها الأشعري دون أن يشرحها شرحاً صافياً. أما نشوان الحميري (ت. 573هـ/1178م) فقد ذكرها فائلاً: وليس باليس من فرق الزيدية غير الجارودية⁴. لأن أغلب الزيدية استقروا باليمن وهم إلى الوقت الحاضر كذلك، والأغلبية منهم يستطيعون اليمن الشمالي

1- الأشعري: مقالات إسلاميين: 135-135هـ.

2- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص 32-33.

3- الشهرستاني : الشل والنحل: 1/214 دليل الكتاب ابن حزم النصل.

4- الميد هشتم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية - ص 231.

5- علي محمد زيد: معركة اليمن - ص 19-20.

6- نفس المراجع والصفحة

7- نشوان الحميري: مراجعة رسالة التحور العين: ص 155-156 انتقل عن علي محمد زيد: معركة اليمن - ص 20.

المعروف بالجمهورية العربية اليمنية، سابقاً وتوجد أكثر كتبهم ومخطوطاتهم في جامع صنعاء أما اليوم فاليمن دولة واحدة (الجمهورية العربية اليمنية) بشمالها وجنوبها رغم محاولة الانفصال الفاشلة من الجنوب عام (1431هـ/2010م)

وعلى كل فقد ذكر الأشعري أن الفرقة الرابعة من الزيدية (بعد الصالحية والجارودية والسليمانية) هي (النعمية) أصحاب نعيم بن اليمان، ويزعمون أن علياً أفضل الصحابة، وأن الأمة ليست مخطئة خطأ إثم لما ولت الشيوخين مع وجود علي، ولكنها مخطئة خطأ بینا في ترك الأفضل إلى المفضول وتبذلوا من عثمان، ومن كل من قاتل علياً، وشهدوا عليه بالكفر.

أما الفرقة الخامسة من الزيدية فلم يذكر لها الأشعري اسمها، وإنما ذكر أنها تتبرأ من أبي بكر وعمر، ولا تذكر رجعة الأموات.

والفرقة السادسة من الزيدية هم (اليعقوبية)، أتباع رجل يدعى يعقوب، يتولون أباً بكر وعمر، ولا يتبررون من تبرأ منها، وينكرون رجعة الأموات، ويتبذلون من دان بها¹.

ومن خلال ما ذكرنا عن فرق الزيدية يظهر لنا أن أغلبها - عدا الصالحية والبروية - توافق بقية فرق الشيعة وخاصة الإثنى عشرية، على أن علياً أفضل الصحابة على الإطلاق، وأن الإمامة يجب أن تستد لالأفضل دون المفضول، ثم أن بعض هذه الفرق الزيدية غالٍ في آرائها في حق الشيوخين وفي حق عثمان، وفي حق بعض الصحابة كعائشة وطلحة والزبير، وكفرتهم أحياناً، لتؤيي بعضهم الإمامة قبل علي، ولمقاتلة بعضهم الآخر له أو عدم

¹ - الأشعري: مقالات الإسلاميين: 1/137.

مناصرته، ولم يبق لهذه الفرق من الالتباس إلى الزيدية - الموسومة بالإعتدال - إلا القول بـإمام زيد بن علي، وابنه يحيى.

وبذلك تظهر لنا صورة عن زيد بن علي ومذهبه من وجهة نظر الزيدية، فهو إمام، لديهم يقوم مذهبهم على إمامية المفضول مع وجود الأفضل، وهو يعد إماماً، لدى آل البيت، وخاصة لدى أخيه محمد الباقر (ت. 119هـ/737م) الذي قال له: على قضيّة مذهبك... ولدى ابن أخيه جعفر الصادق (ت. 148هـ/766م) الذي قال لأنصار زيد الكوفيين - لما سأله عن عبأيته - : أبايعوه فإنه أفضلينا، وسيتنا، وخيرنا^١. وهو أيضاً إمام لدى أهل السنة، اعترفوا به، واعتبروه أهلاً للخلافة نعمه، وشجاعته، وسخائه وزهده، ونقواته، ولا أدل على ذلك من أن أبي حنيفة النعمان (إمام المذهب الحنفي) أرسل له بداعيه، ويشجعه في حروبها علىبني أمية بمقدار مالي هام يسعين به على الشراء والسلاح، لمحاربة اللص المتنبى بالخلفية، منبني أمية - حسب تعبير أبي حنيفة^٢ - وقبل زيد هذه المساعدة. وروي عن محمد بن جعفر بن محمد أنه قال: رحمة الله أبا حنيفة. لقد تحققت مودته لنا في نصرته (زيد بن علي)، وفعل بابن المبارك في كتمانه فضائلنا ودعا عليه^٣.

ولا اعتراف أهل السنة بـإمام زيد ومذهبها، نجد أن أغلب محدثيهم وفقهائهم ينتمون إلى المذهب الزيدية، وأشهرهم مالك بن أنس، وأبو حنيفة،

^١ - الطبراني: تاريخ الأئمّة والسلوك: 499/5 - مطبعة الإتقانة بـالقاهرة

شذريستاني: المثل والنحل: 1/252 تحقيق أحمد فهسي محمد

الدكتور على الشبي: الشيعة في إيران - ص 71: 86-97

^٣ - ولد ابن المبارك سنة: (118هـ/836م)، وتوفي سنة: (202هـ/818م).

- الأصفهاني: مقاتل الطالبين - ص 145-167.

ومحمد بن ادريس الشافعي وشريك بن عبد الله، وابن أبي ثلثي، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري^١.

ورغم ثبوت الإمامة لزيد بن علي، وثبوت انتساب المذهب الزيدية له، فقد نأزّعه الشيعة الإثنا عشرية في ذلك، وكانوا أخف وطأة في منازعاتهم له من الشيعة الرافضة في عهده، الذين رفضوه لتوليه الشيفين، وقالوا له: "سبق الإمام" أي أن محمد الباقر - حسب رأيهم - أوصى بالإمامنة لابنه جعفر الصادق، ولم يوص بها لزيد، ولم يعترفوا بإمامته بعد أن بايعوه على الخروج علىبني أمية في أعداد وفيرة بلغت خمسة عشر ألفا، أوأربعين ألف مقاتل^٢.

هذا هو موقف الشيعة الرافضة من زيد بن علي، أما الشيعة الإثنا عشرية فقد قالوا: نعترف بخروج زيد على دولة بنى أمية الظالمة ولكن لم يخرج طالبا الإمامة لنفسه، وإنما خرج من أجل إعاده الحق إلى أهله، وفي حالة انتصاره - لو كتب له الانتصار على بنى أمية - فإنه سيعيد الإمامة إلى الوصي الشرعي، وهو جعفر الصادق، وهو، في نظرهم، لم يحدث نفسه بالإمامنة، ولا تمناها في يوم من الأيام، لاعتقاده أنها ليست له، ولكن انصاره هم الذين رأموه ذلك، وقولوه ما لم يقل، وحملوه ما لا يتحمل.

- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص 33 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - أبو زهرة:
الإمام زيد ص 225-228 - النشار: شأء الفكر الفلسفى في الإسلام 194/2.

- الصيرفي: تاريخ الأمم والملوک: 264/8 المطبعة الحسينية المصرية، 499/5 مطبعة
الاستقامة بالقاهرة - ابن الأثير: التاريخ الكامل: 5/86-89 وبهامته (مزوج الذهب)
لمسعودي.

ولزد على هؤلاء ذكر أن أقدم المصادر التاريخية الشيعية كاليعقوبي (ت. 292هـ/805م) والطبرى السنى (ت. 310هـ/922م) تحدثت عن سبب إهانة الخليفة هشام لزيد بن علي بأمه السندي لأن نفسه كانت تحدث بالخلافة، وتنميه بها، باعتباره الأفضل، والأولى بها في زمانه، ولو لم تكن القضية صدقاً لما أثيرت حولها هذه الصفة، وما سكوت زيد عن خلافة هشام بن عبد الملك إلا لكونه يرى أن المصلحة في جمع شتات المسلمين، قد تقتضي تقديم المفضول على الأفضل في الإمامة. ثم أن زيداً لم ينف عن نفسه تنميته للخلافة ولم يثبتها، ولكن يبدو أنه اثتبها في صيغة غير مباشرة لأن رد على إهانة هشام: بكون الأمهات لا يعden بالرجال عن نيل المكرمات، وحجته في ذلك أن إسماعيل بن إبراهيم كان رسولاً وهو ابن أمّة هي (هاجر)، ومن نسله جاء أعظم نبي للبشرية هو محمد - صلى الله عليه وسلم "وما كان على أحد من ذلك أن كان جده رسول الله، وأبواه علية بن أبي طالب ما كانت أمّه فأطربه هشام من مجلسه وزاد في مضائقته، ليضطره إلى الخروج ويعذر في سبب قتله، مدعياً حماية الإسلام من الفتنة. وخرج زيد من قصر الإمارة حانقاً، يقول لهشام: اخرج، ولكن والله لا تراني إلا حيث تذكره¹.

وتحدث ابن طباطبا عن زيد بن علي فقال: كان من عظماء أهل البيت، عليهم السلام علماء، وورعاً، وشجاعة وديننا، وكرماً، وكان

¹ ايعقوبي: التاریخ، الكبير: 56/3 - الطبری: تاریخ الامم والملوک: 263/8 المطبعة الحسينية مصرية.

دائماً يحدث نفسه بالخلافة، ويرى أنه أهل ذلك، وما زال هذا المعنى يتردد على لسانه في نفسه، وظهر على صفحات وجهه، وفتكات نسانه^١.

وكل هذه الحجج التي شقها، كافية للرد على الشيعة الإثني عشرية في عدم اعترافهم بأن زيداً بن علي كان يحدث نفسه بالخلافة، لأنه أهل لها، وكان في خروجه علىبني أمية يسعى إلى تحقيق ذلك، أمراً بالمعرفة ونأياً عن المنظر. ثم أنه خرج أيضاً لأسباب المنكر أمرية تتعلق بنسبه من ناحية أبيه على زين العابدين، ومن ناحية أمه السندية، فمن ناحية أبيه فإن ذلك النسب يدعوه إلى المطالبة بالخلافة لأن آل البيت أحق بها من غيرهم - حسب رأيهم - ومن ناحية أمه، فنسبه الذي يغمره الناس به من حين لآخر، وخاصة أعداؤه كهشام، رسب في لاوعيه شعوراً بحب الظهور، يستربه هذا النقص عن قصد أو عن غير قصد، بسبب احتقار الناس للموالى حتى بعد عتقهم، وقد روي أن معاوية لام الحسن بن علي بن أبي طالب على زواجه من مولاته، وعزم مرة (معاوية) على قتل شطر من الموالى، وإيقاء الشطر الآخر للأعمال الشاقة ولكنه أثني عن عزمه، وتراجع آخر الأمر عن هذا القرار الخطير^٢.

وعلى كل فلم يكن زيد - في حالة انتصاره علىبني أمية ينوي إعادة الخلافة إلى الوصي أشعري: الإمام جعفر الصادق - كما يزعم الإثني عشرية - وحاجتهم في ذلك ما يررونه عن محمد الباقر، أنه أوصى لابنه

^١ ابن طباطبائي: الفخرى في الأدب السنطانية - ص 95 انتقل عن الدكتور علي الشنبي -

مباحث ص 122.

^٢ الدكتور علي الشابي: مبحث في علم الكلام والفلسفة - ص 73 - 74

جعفر بالإمامية حسب ما وجده في مصحف فاطمة من أسماء الأئمة، وأنها تؤول بعده إلينه. ولكن أخيه زيدا نازعه في هذه الوصيّة، ثم رجع عن نزاعه لما علم أنها لابن أخيه جعفر الصادق، والاعتراف بالحق فضيلة أو فريضة.¹

ولنن اعترف آل البيت بفضل زيد وعلمه ونقواه فقد نزهوه - حسب رعم الإلثني عشرية - عما نسب إليه في أمر الإمامية، ويررون في ذلك أحاديث، منها حديث الإمام الرضا مع الخليفة العباسي المأمون، من أن زيدا بن علي من علماء آل محمد، غضب الله فجادد أعداؤه حتى قتل في سبيله، ولقد حدث الإمام علي الرضا، أبوه موسى بن جعفر الصادق، أنه سمع أيام جعفر الصادق يقول: "رحم الله عم زيدا، أنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ونور ظفر بما دعا إليه لأعداء الحق إلى أهله، ولقد استشارني في خروجه فقلت: يا عم: إن رضيتك أن تكون أنت المقتول بالكنيسة".² فشأنك. وأضاف الرضا أنه لما قرر زيد الخروج علىبني أمية، وجابت مناصريه، وويل لمن سمع داعيته ولم يجبه. فسأله المأمون أليس هناك من ادعى الإمامة في غير محلها؟ فأجابه الرضا: إن زيدا بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وأنه كان أتفى من ذلك، لأنه صرخ قائلاً: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد.

واعترف الإلثنا عشرية بفضل يحيى بن زيد بن علي أيضا، زاعمين أنه لما كان متوجهًا إلى خراسان بعد قتل أبيه، قال لبعض الشيعة، "إن أبي لم يكن بإمام، ولكن كان من السادة الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله... إن أبي كان أعلم من أن يدعى ما ليس له بحق، وإنما قال: أدعوكم

1- الطبراني: الإسناد: 133/2 - 140.

2- كنيسة الكوفة: المكان الذي دارت فيه المعركة بين زيد وجنو: الشام حتى قتل.

إلى الرضا من آل محمد، على ذلك ابن عمي جعفر - عليه السلام^١. جعفر الصادق بن محمد الباقر.

ومع ذلك فإننا نعثر، لدى ناقل هذه الآثار، السيد هاشم معروف، على نقل آخر من كتب التاريخ في كون زيد بن علي حدث نفسه بالخلافة، وتناهياً وأهين من أجلها، ولم يرد على ذلك ردًا صريحاً وإنما بدأ حديثه المذكور برواية الشيعة الإثني عشرية، معلقاً بأن نفس زيد الكبيرة لم ترض له أن يرى هشاماً يتحداه، ويشتتم سيد الهائميين في زمانه، أخاه محمدًا الباقر قائلًا له في صلبه: ما فعل أخوك البقرة؟ فرد عليه رداً عنيفاً، وقد أحذته الحمية، فائلاً له: "سماء رسول الله بالباقر، وأنت تسميه البقرة، لخالفته في الآخرة، كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة وترد النار" وخرج من عنده غاضباً، مقرراً الثورة عليه، وعلى سلطان بني أمية، ليعيد الإمامة إلى أربابها الشرعيين في حالة الانتصار^٢.

ورغم هذا الزعم الإثني عشرى فإن زيداً، حدث نفسه بالإمامية، وتناهياً باعتباره اضطر لخروج في سبيل الحق، حيث لم يعد للمصلحة، وتقديم المفضول على الأفضل من داع، مطبقاً بذلك مبدأه، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متمنياً للشيخين، مقرراً أن إمامية المفضول مع وجود الأفضل لا تصح إلا في حالتيهما، مضحياً بنفسه في سبيل خروجه، فقتل في كاسرة الكوفة في جمع قليل من بابيعوه، أثروا الوفاء على الخيانة، ضد جيش من خيرة جنود الشام مدربين على قمع الثورات.

^١ السيد هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإسلامية - ص 227-228.

^٢ السيد هاشم معروف: الشيعة الإسلامية - ص 228-229.

أَمَّا قُولُ الْإِثْنَيْ عَشْرَيْهِ الْمَذْكُورُ بِنْفِيِ الْإِمَامَةِ عَنْ زَيْدٍ، فَيَعُودُ إِلَى أَنَّهُمْ
يَعْتَرِفُونَ بِصَدَقِ زَيْدٍ وَإِخْلَاصِهِ فِي خَرْوَجِهِ عَلَى بَنِي أَمِيمَةَ مِنْ جِهَةِ، وَمِنْ
جِهَةِ أُخْرَى فَهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِإِمَامَتِهِ، لَأَنَّ فِي ذَلِكَ تَاقِضِيَّاً مَعَ تَسْلِسِلِ الْإِمَامَةِ
لِنَدِيَّهُمْ فِي الْأَيْمَةِ الْإِثْنَيْ عَشْرَ، وَلِهَذَا فَهُمْ وَاقِعُونَ بَيْنَ ذِينَكَ الْأَمْرَيْنِ فَحَاوَلُوا
الْتَوْفِيقَ بَيْنَهُمَا عَلَى عَادِتِهِمْ فِي التَّأْوِيلِ، وَالْخَرُوجُ مِنَ الْمَأْزَقِ الْحَرْجَةِ بِأَرَاءِ
تَحْفَظُ لَهُمْ مَذَهْبِهِمْ وَتَقْنُعُ الْأَتْبَاعَ أَنَّهُ هُوَ الْمَذَهَبُ الصَّوَابُ.

الفصل الثاني الوصية

قبل الحديث عن أهم مبادئ الشيعة، وهي الوصية، يجدر بنا أن نذكر بالمنهج الذي ارتَأينا في هذه الدراسة، حيث أثنا على أنفسنا أن نبدأ برأي الشيعة الإثني عشرية، ثم نقارنه برأي الزيدية، لأن للأول مبادئ لا يقول بها الآخرون ولا يحتملون إلا حون مبدأ واحد تقريباً، هو القول بأفضلية علي، وألوبيته بالخلافة دون سائر الصحابة. وعند هذا الحد يقف الإثنا عشرية، غير متذمرين عن مبدئهم، بينما يعلق الزيدية على هذا الرأي، بأن المصلحة اففضت تقديم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، علي أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، وبذلك جوزوا إمامية المفضول مع وجود الأفضل، وقدموا الأصلح على الأفضل.

وبادي ذي بدء، فإن كلمة الوصية قد وردت في اللغة بمعنى العهد، يقال: أوصى الرجل، ووصاده عهد إليه، وأوصيت له بشيء، وأوصيت إليه، إذا جعلته وصيتك، وعهدت إليه بأمر. وتواصى القوم إذا أوصى بعضهم بعضاً. وأيضاً بالجد والكل إذا نصحه به. ويقال: أوصيته ووصيته أيصاء، ونوصية ووصية. وفي الحديث: استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان أي تواصوا بالإحسان إلى النساء لما يقدمن من لكم من الإعانة¹.

1- ابن منظور: نسان العرب: 938/3 - 939

ويشتق من الوصية، الوصي، وهو الذي يوصي، ويوصى إليه،
ويستعمل المذكر والمؤنث. ووردت الوصية من الله بمعنى الفرض، قال
تعالى: 'وصيكم الله في أولادكم، لذكراً مثلاً حظ الآترين'.^١

وصي الشيء بغيره وصياً وصنه قال ذو الرمة:
نصي الليل بالأيام، حتى صلاتنا مقاسمة، يشتق انصافها السفر
إشارة إلى تقصير الصلاة الرباعية في السفر فتصبح اثنين
وقيل: فلأة واصية، لأنها تتصل بفلأة أخرى، وقال الأصمعي: رصي
الشيء يصي إذا اتصل، ووصاد غيره يصي، وصله: وقال ابن الأعرابي:
الوصي من النبات: المتألف ببعضه البعض.

ويقال: وصي بين الوصاية، أي وصيته واضحة لا نbis فيها،
والوصية ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت، ولذلك قيل في
الإصطلاح: على ابن أبي طالب وصي محمد، لاتصال نسبة وسبه وسمته،
بنسب رسول الله. وقال في ذلك الشاعر كثير عزة:

خبر من لاقيت أنك عاذ، بل العاذ المحبوس، في سجن عازم،
وصي النبي المصطفى، وابن عمده، وفكان أغلال، وقاضي مغزرم.^٢
وروي أن البيت قوله في محمد بن الحنفية باعتباره ابن وصي،
وباعتبار أبيه علي بن أبي طالب أوصى إليه بالإمامية، في نظر قسم من
الشيعة، كان يترؤسهم المختار بن أبي عبد الله النقفي. والملاحظ أن عيناً لم يكن
في سجن عازم، أضعف إلى ذلك، أن القصيدة في شعر كثير عزة، مشهورة

- سورة النساء: الآية 11
- نفس المصدر: 938/3

بكونها في مدح محمد بن الحنفية، وهي إلى جانب ذلك تدل على معنى الوصية في الإصطلاح المذهبى - لدى الشيعة عموماً. ومن ثم يذهب الشيعة الإثنا عشرية إلى أن الرسول أوصى لعلي بالإمامنة نصاً ظاهراً، ويفيتنا صادقاً، من غير أن يكتفى بالوصف، بل أشار إليه بالعين، لأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقة الرسول للدنيا مفارقة اطمئنان على المسلمين ولأنه لم يبعث إلا لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً، يرى كل واحد منهم رأياً، بل يجب أن يعين لهم خليفة من بعده، وقد عين لهم علينا في مواضع تعرضاً، وفي مواضع تصريحاً؛ بالإشارة إلى اسمه وصفته، فأصبح الأولى بالخلافة دون سائر الصحابة، وأولى المؤمنين منهم بأنفسهم، لفضله وعصمته، وظهوره مولده، وسابقته، وعلمه، وسخائه، وعدله، وزهده، وشجاعته^٢.

ودعم الإثنا عشرية هذه الوصية بالقرآن والسنّة، سالكين في ذلك طريقة التأويل التعسفي أحياناً كثيرة مما جعل اللغة العربية تفقد مدلولتها المتعارف لدى الناس. وهذا ما أشار إليه (كلود تسيهيرز بير) في تعليقه على تفسير علي بن إبراهيم القمي، بأنه جعل من القرآن كتاباً حزيناً للشيعة^٣.

ونو حاولنا أن ننقصي سبورنا - جذور هذه الوصية لظهور لنا أن أول من قال بها في الإسلام عبد الله بن سباء، يهودي أسلم في خلافة عثمان،

^١ نفس المصدر: 938/3 - 939

^٢ لتبختي: فرق الشيعة - ص 24 الشهري: المثل واتخال: 1/217 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل.

^٣ كلود زبير: مذاهب التفسير الإسلامي: ص 31.

بشهادة المتكلم الشيعي النوبختي، والمورخ السنوي الطبرى. وهم متعاصران، توفيوا حوالي سنة (310هـ/922م). وقد أخبرا أن ابن سباء أول من أظهر القول: بتوصية لعلي بالإمامية، وطعن في الخلفاء الراشدين الذين تولوا قبله، وتبرأ منهم وكان يقول وهو على يهوديته: أن يوشع بن نون وصي موسى، فقال في الإسلام مقالته في اليهودية، معتبراً علياً وصي محمد¹.

ولكن الإنثى عشرية أنكروا أن تكون لمذهبهم علاقة بيهودي، يدعى ابن سباء، لغلوه واعتبروا من اعتقاد ذلك وأهله، وقليل الدراراة بمذهب التشيع². وذهبوا إلى أن التوصية لعلي بالإمامية الإلهية، من ذلك ما ذكره بعض الشيعة: أن جذور التوصية تمتد إلى ما قبل الخليقة، وقبل الإسلام، حيث خلق الله محمداً من المادة النورانية، قبل أن يخلق آدم. فكان نور محمد والأيممة يتلألأ على وجهه. وهو النور الذي أمر الله الملائكة بمقتضاه أن يسجدوا لأدم، ثم ورث هذا النور (شيت)، بناء على وصية إلهية له، بخلافة أبيه آدم، دون ستر أخيته، ثم تسلسل النور الإلهي من (شيت) إلى ولاده، فتوارثوه مع العلم، والتوصية لأن الله لا يمكن أن يخلق الأرض من إمام، حتى آل الأمر إلى نوع، من أولي العزم من الرسل، بعد آدم، ثم ورثه ابنه سام، ثم تسلسل العلم والتوصية في أعقابه، إلى هود، ثم إلى إبراهيم، ثم انتقل النور الإلهي إلى عبد المطلب، فكان رسول الله كالغرة في جيشه. وبه انتصر على جيش

- النوبختي: فرق الشيعة - ص 27-28

- الكافيني: الأصول من الكافي: 1/293

- الدكتور علي الشامي: الشيعة في بيزان - ص 25-28 محمد احسين آل كشف الغطاء: أصل الشيعة ص 84.

- المظفرى: تاريخ الشيعة - ص 10.

ابراهيم الأثري بمدد إلهي. وانقسم النور في عبد المطلب إلى قسمين. حسب حديث نسبته الشيعة إلى رسول الله يقول فيه: أكنت أنا وعلي نورا في جبهة آدم، وانتقلنا من الإصلاح الظاهر إلى الأرحام المطهرة الزكية. حتى صرنا في عبد المطلب، فانقسم النور قسمين، فصار قسم في عبد الله، وقسم في أبي طالب، فخرجت من عبد الله، وخرج علي من أبي طالب، وصدق الله: "الذى خلق من الماء بشراً، فجعله نبياً، وصهراً، وكان ربك قديرًا". وهذا تتصل بهذه المادة النورانية سلسلة وجود الصفو، كما تكتمل سلسلة ميراث الأنبياء، والأوصياء من العلوم الإلهية². وهذا الحديث له أصول سنية حوزه الشيعة الإثنا عشرية حسب مبدئهم.

وكانت مادة أرواح الأئمة من هذا النور الذي يهر المخلصين، فلأمنوا إيمانا صادقا، ولقد آمن الملائكة من قبل حين انتقل هذا النور إلى آدم، فلم يسجدوا فيحقيقة الأمر لأنهم، وإنما سجدوا لهذا النور، إلا إيليس أبي واستكير، وقد أمر الله آدم أن ينظر إلى قمة العرش، فشاهد تلك الأجسام النورانية المقدسة منعكسة في هذا القدس العظيم، كما تتعكس صورة الوجه في مرآة صافية، فاحتوى العرش الإلهي انعكاسات الأجسام المقدسة، بذلك

¹ سورة النون: الآية 54

- الكليني: الأصول عن الكافي: 389/1 - 390 كتاب الحجة - باب خلق آدم الأئمة وأرواحهم وفلوبيهم

² المسعودي: إثبات الوصبة - ص 102 - 109 رشيد راشد الشنفي الجلي أنسنة المرضية في حبة خير شرية 5/1 أني عالم المعرفة السلكة العربية المسعودية جدة 1404/1984 ص 24.

يؤمن خلص المؤمنين، ويكره اتباع الشياطين، أليس وجنته؟ ولذلك يقول
الشاعر:

في أدم ضمير النبوة أول،
وفي خاتم النبيين تم تمامها.²

وقد ذكرت الكتب السماوية هذه الوصية لعلى بالإمامية، مثل ذكره
لبيعة محمد خاتم الرسل.³

واعتبارا إلى كون الوصية لعلى بالإمامية ذات مسار غيبي، فإن قسما من الشيعة انسلاخ عن المذهب الإثني عشري، وكونوا مذهبياً معتدلاً، عرف بالمذهب الزيدية، نسبة إلى إمامهم زيد بن علي الذي رفض الإمامة الغيبية، ولم يقل بالوصية، والعصمة، والتقية، والغيبة والزوجة والمهدية، غير معترف بما يسمى بعلم الأئمة الإلهي، الموروث عن الأنبياء، مشترطا الخروج لثبت الإمامة، غير قانع بالإمامية الروحية، إلا لمن سبقه من الأئمة، نتيجة ظروف دموية عصبية، مررت بهم على الركح السياسي.⁴

واعتبر الزيدية، بعد إمامهم زيد، الوصية لعلى بالوصف لا بالنص على اسمه، وبالتحريض لا بالتصريح، وأن الناس قصروا، فلم يتعرفوا على الوصف، ولم يطليوا الموصوف، ونصبوا أبا بكر باختيارهم مقدمين الأصلح على الأفضل.⁵

- نفس تراجع - ص 150

¹ - حسين نصر: الإسلام أهدافه وحقائقه - ص 63

² - تراجيكي: الاستئثار في النص على الأئمة الأطهار: مخطوط: 12/أ- ب - 13/أ- ب - السيد محمد علي - خلفاء الرسول الـ١٣ عشر - ص 185 - 190

³ - الشيرستاني: المثل والنحل: 1/209- 110 دبل تقصد

⁴ - نفس المصدر: 1/207- 219

وهذا هو السبب في تخلٍ الشيعة عن زيد، بعد أن بايعوه على قتال بنى أمية، ورفضوا إمامته، حتى سموا بالرافضة، وهم من الغلاة¹.

وعلى كل، فإن لم يعترف الشيعة الإثنا عشرية - وهم من المعتلين - بشرعية الأئمة الزيديين، واعتبروهم أحياناً في المرتبة الثانية من الإمامة².

فإليهم لم يرفضوهم من حظيرة التشيع، كما رفضوا الخوارج من قبل، أو البابية والبهائية من بعد³. وعلى هذا الأساس فرأي الزيدية المستمد من الواقع، والمنتقل في قولهم بإمامية علي وصفا لا نصا، يعتبر بحق تصحيحاً للعوائد الإثني عشرية داخل نطاق التشيع، يؤكّد ذلك افتراق طوائف من الشيعة كالجارودية اتباع أبي الجارود زياد بن المنذر، والسليمانية أصحاب سليمان بن جرير، والبترية أصحاب كثير النوى الأبيتر، والصالحية أصحاب صالح بن حي، افتراقهم عن الشيعة الإثني عشرية، لما نمسوه من اعتقدات خطيرة، وانتسابهم إلى الشيعة الزيدية لاعتقادهم، وكراهتهم للغنو. ويدل على ذلك، اعتماد الشيعة الإمامية على هؤلاء الأتباع المنسوخين عنهم، في إيراد بعض الأخبار، مثل أبي الجارود الذي ورث عنه الكافي في روى (الكافي): أن الأئمة هم معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة⁴.

هذا محمل رأي الفريقيين في الوصية، وسنبدأ برأي الإثني عشرية، وتفصيل ذلك: أنه ما دامت الأرض في حاجة إلى إمام، وإلا لما جلت بأهلها.

¹- الطبراني: تاريخ الأئمَّة والسلوك: 498/5-499 مطبعة الاستفادة بالقاهرة

²- السيد هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية - ص 228.

³- أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية ص 207

⁴- الأصول من الكافي: 1/22، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معدن العلم - صبحي: نظرية الإمامية، ص 207-208.

وَمَا دامت الْإِمَامَةُ لِطَفَّا مِنْ أَنَّهُ يَعْبُدُهُ، حَتَّى لا يَتَرَكُهُمْ هَسْلًا بَدْوَنْ رَاعٍ، بَعْدَ انتِقالِ الرَّسُولِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فَلَا يَدْرِي مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا الْإِمامِ الَّذِي سَيَرُ عَالَمَ، وَيَحْفَظُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَدِنْيَاهُمْ، وَهُمْ كَرْعَيْهُ لَنْ يَوْفَقُوا فِي اخْتِيَارِ الْإِمَامِ مِمَّا أُوتُوا مِنْ بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ، وَدَرِيَةٍ وَاسِعَةٍ بِأَمْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَلَا بَدْ منْ تَدْخُلِ الْيَدِ الْإِلَاهِيَّةِ تُعِينُهُمْ هَذَا الْإِمامُ، حَيْثُ افْتَضَتْ حَكْمَتُهُ أَنْ يَكُونَ أُولَئِكَ لِعَبَادَهُ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لِهِمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عِمَّا يَشْرِكُونَ»^١.

وَيَوْمَ الْشِّيعَةِ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةِ آيَةِ الْخَلْقِ وَالْإِخْتِيَارِ المَذَكُورَةِ، لَتَدْلِيلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ عَلَيْيَنِي بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِمَامًا لِعَبَادَهُ، وَأَوْصَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا تَبَليغَ النَّاسِ، أَنَّهُ الْإِمَامُ الشَّرِعيُّ بَعْدِهِ، فَنَصَّ عَلَيْهِ بِالْإِسْمِ وَالْوَصْفِ.

وَالغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّا لَا نَعْثَرُ عَلَى هَذَا النَّصِّ بِالْإِسْمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَالْوَحِيدُ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِي ذَكَرَ اسْمَهُ صَرِيحاً فِي الْقُرْآنِ هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارَثَةَ، مَكْفُولُ مُحَمَّدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَا زَوْجَنَاكُهَا، نَكَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجِ أَذْعَانِهِمْ، إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَاءً، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً»^٢. أَمَّا عَلَيَّ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَدْ أَشَارَ

- سورة الفصل: الآية 68

الكتبي: الأصول من الكافي: 1/168-180، 293، كتاب الحجة، أبواب الحجة وباب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام

- الطبرسي: الإحتجاج: 1/1 - 3

- الطوسي: الفصوص، ص 35 - 38

الطوسي: رسالة التسمية، ص 16 - 19.

^١ سورة الأحزاب: الآية 37

إليهم القرآن دون أن يصرح بأسمائهم، مثل الإشارة إلى أبي بكر في قصة الهجرة من مكة إلى المدينة في قوله تعالى:

"إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ، إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذَا هُمَا فِي الْغَارِ، إِذَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا".¹

وعدم ذكر علي صراحة في القرآن، يعتبر أحد المشاكل التي واجهت الشيعة الإناث عشرية واستطاعوا حلها بالإعتماد على تأويل الآيات القرآنية ولو بتعسف، وبالإعتماد على ما ورد في فضل علي من الأحاديث والأخبار، وتتأويلها بصفة تجعلها دالة على الوصية له بالإمامية نصاً ووصفاً. ويؤدي هذا التأويل الشيعي أحياذا باللغة إلى أن تفقد مدلولها المتعارف لدى الناشر.

ويذكر أهل السنة هذه الوصية تعلي بالنص على اسمه أو بالوصف لأن الخلافة في نظرهم شوري بين المسلمين. غير أن بعضهم يرى: أن الرسول ما دام قد أذاب أبو بكر للصلة بال المسلمين في مرضه الذي مات فيه، فهو قد رضيه لدينهم فكيف لا يرضونه لدينهم؟. والبعض الآخر منهم فيه من هذه الإنابة في الصلاة إشارة من الرسول للمسلمين، أن يختاروا أبو بكر، لفضله، وسبقه، وسننه، وصحبه، وقد تجنب الرسول العهد له بصفة مباشرة حتى لا يصبح سنة من بعده، ربما تؤول بال المسلمين إلى الحكم الاستبدادي الوراثي،

¹- سورة التوبة: الآية 40

²- الشوكاني: فرق الشيعة - ص 15

- ابن خلدون: المقدمة، ص 203

كما أن المعهود إليه قد لا يكون أهلاً لثقة من ولاده، فيغير في تطبيق أحكام الله، وقد كان حريصاً عليها في حياة من وضع فيه ثقته^١.

وزاد في قذاعة الإثنا عشرية بوصية علي نصاً ووصفاً، امتناعه عن مبادعة أبي بكر مدة ستة أشهر، ولا يفسر على امتناعه، على أنه إنكار لفضل الصديق، وسابقته، ولا نفاسة عليه، وإنما لكونه يرى أن له في الأمر حقاً استبد به أبو بكر. وقد صرخ له علي بذلك عندما بايعه بعد وفاة فاطمة فتى بعد حمد الله والثناء عليه - : "أما بعد، يا أبي بكر فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك، ولكننا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددت علينا" مستدلاً بقربته من رسول الله، وبؤيده في ذلك آل البيت، كزوجته فاطمة وعمه العباس، وهذا قد امتنع عن مبادعة أبي بكر أيضاً. ويعرف علي أن الرسول لم يوص إليه بالإمامية، ومع ذلك فهو يصف أبي بكر بالمستبد ظناً على في أمر الخلافة، وعشيرة علي في قريش أكثر وأقوى من عشيرة أبي بكر فيها؟ وهو أحد الأسباب في اختيار المسلمين له، حتى إذا حاد عن الحق سهل عزله، ولا عشيرة تحمي بماه على أن الحكم ينحون الرعية بدينهم، وقد يستبعدونها بعثائرهم وبأموالهم، أما أبو بكر فقد اختير لدينه ولأنه أقلهم عشيره^٢. ويظهر من خلال ذلك: أن العصبية لم تنبع من القلوب تماماً رغم دخول أصحابها إلى الإسلام، وأن بقاياها لا تزال موجودة تظهر من حين لأخر، وقد كانت شخصية الرسول حاجزاً دون هذه

^١ ابن حجر: فتح الباري شرح البخاري: 12/8-16 كتاب المناف - باب منف أبي بكر تصدق - رضي الله عنه.

^٢ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: 20/1-21

^٣ النوخني: فرق الشيعة: ص - 18-19.

الحمية الجاهلية، فلم تظهر إلا بعد انتقاله إلى أترفق الأعلى. أما استبداد أبي بكر على علي حسب ما نسب للأخير - فيعود إلى ظن علي أنه أولى بالخلافة منه لقربته من رسول الله، "والله إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم تنفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنكم استبدتم بالأمر، وكنا نرى لقربتنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لنا في الأمر نصيبا". وهذا القول من المواقف التي بنى عليها الشيعة الإثنا عشرية، والشيعة الزيدية رأيهم في أفضلية علي وأحقيته بالخلافة دون سائر الصحابة، إضافة إلى آيات وموافق أخرى ذكرناها في ما سبق من بحثنا هذا². ولكننا نلاحظ في الروايتين السابقتين أن عليا يعترف بفضل أبي بكر، ولا يدعى أنه أفضل منه، وإنما ظن أنه أولى منه بالخلافة لقربته من الرسول، وأن الصحابة الحاضرين في السقيفة استبدوا عليه فأسندوا الخلافة إلى أبي بكر عوضا عنه، ولو كانت هناك وصية تدعم بها رأيه في استبداد هؤلاء عليه.

ورغمما من كل ذلك فإننا نجد لدى اليعقوبي ذكرا لهذه الوصية على لسان علي، في ردوده على الخوارج، لما نعموا عليه التحكيم، وكفروه، قائلين لتوسيط بينهما: "نعم يا ابن عباس، نعمنا على علي خصالا، كلها موبقة، نو لم نخصمه منها بخصلة خصمناه، محا اسمه من امرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية، ورجعنا عنه يوم صفين فلم يضر بنا بسيفه حتى نفيء إلى أمر الله، وحكم الحكمين، وزعم أنه وصي فضيع الوصية، وجئتنا يا ابن عباس في حالة حسنة تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه. فقال ابن عباس قد سمعت يا أمير

¹ - ابن كثير: البداية والنهاية: 286/5

² - انظر رأي الإثني عشرية والزيدية في الأفضلية من هذا البحث

المؤمنين مقالة القوم، وأنت أحق بالجواب، فقال: حجتهم، والذي فلق الحبة، وبرأ النسبة، قل لهم: أنتم راضين بما في كتاب الله، وبما فيه من أسوة رسول الله؟ قلوا: بلى. قال: فعُطِيَ بذلك ارضي... وأما قولكم: أني وصي قضيَت الوصية، فإن الله عز وجل - يقول: "وَنَهَى عَنِ النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - شَنِي عَنِ الْعَالَمِينَ"^١. أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج إليه أحد كان البيت يكفر؟ أن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر، وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بترككم لكم. فرجع بعضهم عن رأيهم، وأما البقية فأصرروا على تكfirه ومعاداته، والتحموا معه في حرب، عرفت بموقعة النهر والنهر وان سنة (38هـ أو 658م، أو 660م)^٢.

ويتجلى في رد علي، تكريره لقولهم، إنه وصي قضيَت الوصية، وتنبيههم بأن تركهم له يعد كفراً، كثرة المستطاع الحج إلى بيت الله الحرام، وهو نم يقاتلهم بالسيف حتى يفتروا إلى أمر الله، لأنَّه كان في أهل بيته، في عدد يسير، وكان الخارج عدداً جماداً^٣.

وبذلك يبدو أنَّ علينا بعترف بوصية الرسول له بالإمامية، حسب رواية ليعقوبي - وأن ترك تنفيذ تلك الوصية يؤدي بالنازك إلى الكفر، وهذا رد يذكرنا برد الشيعة عموماً على منكري وصية علي. ومن ثم يصبح الشك

^١ سورة آل عمران: الآية 97.

² أنسقيوبي: التاریخ الكبير: 138/2؛ الدكتور علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة - ص 138

³ ليعقوبي: التاریخ الكبير: 137/2

بحوم حول رواية اليعقوبي التي انفرد بها دون غيره - فهل اليعقوبي شيعي أم له ميول شيعية؟

الظاهر حسب هذه الرواية وغيرها من الروايات إن لم تصفها إلى الكتاب بد شيعية - أن اليعقوبي أول مؤرخ شيعي وينتقل ذلك في حديثه عن علي وأل البيت بكثير من المدح والبالغة¹. أضف إلى ذلك أن موافق علي التي ذكرتها كتب الحديث والتاريخ، والفرق، تنفي عنه أن يكون معتقداً بوصية إليه بالخلافة، أو منصوصاً عليه اسمأ أو وصفاً بعد رسول الله.

ومع ذلك فإننا نجد من الآتي عشرية من قدامى ومحاذين من يربط بين نشأة التشيع وبين الوصية لعلي بالخلافة ربطاً صريحاً، ومنهم من لم يشر إلى ظهور التشيع بوضوح وإنما تحدث عن النص على الإمام علي، باسمه وصفته، وهو ما يدل على أن بدء التشيع - لديهم - كان منذ أوصى النبي إليه بالولاية من بعده².

ومن بين هؤلاء الباحثين والمورخين ذكر التوبختي (ت 310هـ/922م) الذي يعتبر أن أول الفرق في الإسلام هي فرقه الإمام علي بن أبي طالب، المتسعون شيعة علي، زمان النبي وبعده، وهم معروفون بالانقطاع إليه وبماته، باعتبار أن الرسول أوصى له بالخلافة في عهده، وأمر بتتنفيذ الوصية من بعده. ولذلك كان نعلي متشارقون في حياة محمد منهم، المقداد بن الأسود الدژلي، وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري، وعمار بن

- اليعقوبي: التاريخ الكبير: 125/2 - 184 في حديثه عن علي والحسن والحسين ومعاوية ويزيد وملاوية بن يزيد

- الشمار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: 152/2.

² - انظر نشأة التشيع في هذا البحث

ياسر... وغيرهم من الأتباع الذين وافقت مودتهم مودة علي بن أبي طالب. ولما توفي الرسول، قالت الإمامية: إن علياً إمام بعد رسول الله يجب صاعنه على الناس، ويجب القبول منه والأخذ، ولا تصح إمامية غيره، لأن النبي استودعه علمه وجميع ما يحتاج إليه من منافع الدين والدنيا، فاستحق الإمامية ومقام النبي، لعصته، وطهارة مولده، وسبقه إلى الإسلام، وسخائه، وزهده، وعدالته في رعيته، ولـ «أن النبي نص عليه، وأشار إليه باسمه ونسبه، وعيته، فقد الأمة إمامته، ونصبه لهم علماً، وعقد له عليهم امرة المؤمنين، وجعله أولى الناس منهم بأنفسهم في مواطن كثيرة مثل غدير خم وغيرها»^١. وأعلمهم أن منزلته منه منزلة هارون من موسى، إلا أنه لا ثبتي بعده. فهذا دليل إمامته، إذ لا معنى إلا النبوة والإمامية، وإن جعله نظير نفسه في أنه أولى منهم بأنفسهم في حياته، وتقوله - صلى الله عليه وسلم - لأحد الفيائزين:

^١ إشارة إلى حديث الموالة المعروف بحديث غدير خم الذي روىته الشيعة ورواه من أهل السنة أحمد بن حنبل (780/164 - 655/241) عن ابن عمر قال: «سعت علياً في الرحبة وهو ينتد الناس من شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم غدير خم، يقول ما قال، فقام آنها عشر أو ثلاثة عشر بدر يا فشهدو! أئهم سعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لعنه يوم غدير خم: أليس الله أولى بالمعذبين. قتوا! بلى، قل: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، أنتهم وأني من ولائي، وعاد من عاده». المسند 2/56-57 حدث رقم: 641، 642. المسند: 75/2، 195 حدث رقم 670، 950 - والمعروف لدى أهل السنة أن المراد بحديث المدواة هذا هو التحرير على صحة علي، وعدم معارضته، والوقوف إلى جانبها، لغيره من الرسول، وسبقه إلى الإسلام، ونعته وتجهاده في الله حق جهاده، وبذكر أهل السنة أن يكون هذا الحديث دالاً على وصية لعني بالخلافة بعد الرسول، محتجين في ذلك بذلك منها قوله عمر لما سمع الحديث يوم غدير خم: طوبى لك يا علي لقد أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، أي أصبحت سيد السنين جميعاً، ولو كان الحديث دالاً على وصية لما تقدم أبو بكر أو عمر أو عثمان على في «الخلافة - انظر: الشهرستاني؛ المال والنحل: 3/220 ذيلاً لكتاب الفصل (ابن حزم).

للتنهن أو لأبعثن اليكم رجلاً كنفسي. ولمقام النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يصح من بعده إلا من هو كنفسه. والامامة من أجل الأمور بعد النبوة، ولا بد من أن يقوم فيها بعد على رجل من أولاده، وأولاد فاطمة بنت محمد، يتصرف بكل الخصال الطيبة والموروثة عن آبائه منصوص عليه من الإمام الذي قبله، مشار إليه بعينه واسمها، من والاه نجا، ومن عاداه كفر وهلك، وضل وأشرك، ولذلك فالإمامية جارية في عقب علي ما اتصلت أمور الله، وأمره ونهيه. ولم تزل الإناث عشرية ثابتة على إمامتها ما ذكرنا، حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي ليلة تسعة عشرة وستمائة في ليلة الأحد في الواحد والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ / 661 م.

^١- النوبختي: فرق الشيعة - ص ٢٣-٢٥

² سورة المسكدة: الآية 67.

لذاك أخذ الرسول بيد علي وقال: "أيها الناس إنك لم يكننبي من الأنبياء من
كان قبلني، إلا وقد عمره الله، ثم دعاه فأجابه، فلما شفتك أن أدعى فأجيب، وأن
مسؤول وأنت مسؤولون، فماذا أنت قاتلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت
ونصحت، فأديت ما عليك، فجازاك الله أفضى جزاء المرسلين فقال: اللهم
أشهد ثلاث مرات - ثم قال: يا معاشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ
الشاهد منكم الغائب^١. ثم ائتم النبي عليا على ما ائتمنه الله عليه من غيبة،
وعلمه وخلفه ودينه الذي ارتضاه لنفسه واحتسب به وحده دون سائر الخلق،
وائتمن على ابنيه الحسن والحسين على ذلك بحضور المسلمين، وأشهدهم
عن ما ائتمهما عليه، وأخبرهم أن (الحسن والحسين) استحقا الإمامة لأنهما
ابنا رسول الله، وعليهم بالسمع لهما والطاعة، ولا فضل لأحدهما على الآخر
إلا بسنّه، من ذلك أن الحسين كان إذا حضر في مجلس الحسن، لم ينطق فيه
كلمة حتى يقوم أخوه. ولذلك كانت الإمامة بعد عني للحسن، ثم انتقلت بعده
إلى الحسين ولما شعر الأخير بدونه أجهن أوصى بها لابنه عن المعرفة
بزین العابدين، وهكذا تستمر الوصية لدى الإثنى عشرية، من سابق إلى
لاحق، حتى تصل إلى الإمام الثاني عشر، صاحب الدار، وصاحب الزمان،
ومهدي المنتظر^٢.

١- الكثيفي: الأصول من الكافي: 290/١- 291 كتاب الحجة، باب ما نص الله عز وجل
ورسوله على الأمة - عليهم السلام - واحداً فواحداً.

٢- الكثيفي: الأصول من الكافي: 1/ 290- 291 كتاب الحجة - باب ما نص الله ورسوله على
الأمة واحداً فواحداً - واطر ما بعد هاتين الصفحتين في نفس الكتاب وأنواع الإشارة
والنص على الأمة.

وتنكك إمامية هؤلاء جميعاً، بذكرهم في آثار الشيعة المختصة بالأئمة دون غيرهم من الاتباع، وهي مصحف فاطمة والجفر والجامعة. فالجامعة هي عبارة عن صحيفة طولها سبعون ذراعاً، بذراع رسول الله، وأملأته وخط على يمينه، وفيها كل حلال وحرام. وكل شيء يحتاج الناس إليه.

أما الجفر: فهو عاء من أدم¹ فيه علم النبيين والوصيّين، وعلم العلماء من بنى إسرائيل، وهو نوعان: الجفر الأبيض: وفيه زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والجفر الأحمر: وفيه السلاح، وهو مثل التابوت في بنى إسرائيل، وكانتوا إذا وجد أهل بيته منهم التابوت على بابهم، أوتوا النبوة، ومن صار إليه السلاح من آل البيت أوتى الإمامة.

والإمامية لدى الإثني عشرية، أوبيت لأبناء الحسين، دون أبناء أخيه الحسن، وتوكيداً لهذا فقد سئل أبو عبد الله جعفر الصادق، أصلحكم الله: أتعرف هذا بنو الحسن؟ فقال: أي والله كما يعرفون اللذين أنه ليل، والنهر أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد، وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق لكان خيراً لهم².

أما مصحف فاطمة ففيه قرآن وفيه ما يغنى آل البيت عن السؤال، وفيه جواب ما يضطر الناس إلى سؤالهم. وقد كان قيده علي عن جبريل. لما كان يأتي إلى فاطمة معزياً إليها في أبيها، ومخبراً لها عن مكانه وحاله، وعما سيكون بعدها. ولذلك فجبريل لم يقطع صيته بآل محمد بعد وفاته فقد

١- الأدم: "الجـ".

٢- "كتابي: الأصول من الكافي: 238/1 - 240 - كتاب الحجة باب مثل السلاح فيما مثل التابوت في بنى إسرائيل - وبيان فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليه السلام -

أصبح يزور فاطمة وعليها فيتجالن عنه بقية الوصي وعليه فالإمام الشيعي
وربّ النبوة.

والأهمية هذه الكتب لدى الشيعة الإثني عشرية، في التنصيص على
الأئمة، فقد سئل أبو عبد الله (جعفر الصادق) عن مدعى الإمامة من الزيدية
ومن مؤيديهم من المعازنة فأجاب: طأن عندي لكتابين (مصحف فاطمة
والجفر) فيما تسميه كلّ نبي، وكلّ ملك يملك الأرض^١ ولا يوجد من بين
هؤلاء واحد من الزيدية كزيد بن عليٍّ ولا محمد بن عبد الله صاحب النفس
الزركيّة.

وقال في رواية أخرى: كنت انظر في كتاب فاطمة - عليها السلام -
ليس من ملك يملك (الارض) الا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه، وما
وجدت لولد الحسن فيه شيئاً.

هذا هو رأي قدامى الإثني عشرية في هذه الكتب، بيد أنه لا يستبعد أن
يكون الجفر نسخة من القرآن عليها تعنيق على بما حديث به الرسول، وما
أثر عنه في تفسير القرآن، ومن ثم فلا يمكن أن يوجد في الجفر أي سر أو
غموض اختص به الأئمة دون الانصار والاتباع. وقد ضلل الشيعة حتى عبد
الدولة الصفوية (القرن 10هـ/16م) بعتقدون ذلك، وجاء في (تنكرة الأئمة)
للمجلسى، أن الجفر كتاب، لدى عليٍّ، وأن ما بقي منه هو ثمانية وعشرون
فصلًا، وكل فصل يتكون من ثمانية وعشرين صفحة، وكل صفحة تتكون من

١- الكليني: الأصول من "الكافى": 1/238-242 - كتاب الحجة - بباب مثل الشلاح فيما عذر
الثبوت في بني اسرائيل - وباب فيه ذكر تصحيفه والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليه
السلام.

ثانية وعشرين جزءاً، احتضن بعلمها الأئمة، ومن تعلم على أيديهم^١. غير أن الشيعة المعاصرین لا يعترفون بأهمية هذه الصحف لأنها ليست من بين كتب الحديث الشيعية الأربع^٢ التي تعتبر، لديهم، بمثابة كتب الصاحب لدى أهل السنة، ثم إن هذه الآثار الشيعية ليست موجودة في الوقت الحاضر، ولعلها وجدت لدى الأئمة الإثنى عشرية، وهي فرضية، يعارضها الرأي القائل: إنه لم يعثر على كتاب أمامي أفاد بأنه استقى معلوماته من هذه الصحف المذكورة مباشرةً، أو بالرواية عن أحد تلاميذ الأئمة المقربين، واستخرج بعض الشيعة المعاصرین خبر هذه الصحف مما وجده لدى القدامی كالكتابي وغيره من أصحاب المصادر، ومن هؤلاء نذكر عبد الحسين شرف الدين في مراجعاته مع السنی، حيث اعتبر علیاً ألف مصحف فاصلة بعد فراغه من جمع القرآن، وفيه عبر وحكم وأخبار تجد فيها العزاء عن فقد والدها^٣.

وعلى كل فتجلی أهمية هذه الصحف -هذا- في كونها تتصل على الأئمة الإثنى عشر، من علي إلى المهدي المنتظر. ومن ثم فإنها تنفي ادعاء الإمامة لنفسها أنها شرعيّة، كالزیدية وغيرهم، وفي هذا المجال يدعي الإمام زيد بن علي، اعترف بأنه لم يخرج طالباً الإمامة لنفسه، وإنما في حالة انتصاره على بنى أمية لو انتصر عليهم سيعيد الحق إلى أهله،

^١- دونالدر: عقدة الشيعة ص 56، 64-65.

^٢- كتب الحديث الشيعية هي: الكافي لكتابي (ت. 328هـ/939م)، و(من لا يحضره الفقيه) لابن بابوية (ت. 381هـ/991م) وكثيري (تهذيب الأحكام) والإسبيClar للطوسى (ت. 672هـ/1273م).

^٣- محمد جواد سخنی: الشيعة في الميزان - ص 57-62 الدكتور علی الشابی الشیعی في المیزان - ص 68-69.

أي إلى الإمام الشرعي جعفر الصادق، وبهذا أقر ابنه يحيى على نفسه عندما خرج على بني أمية في خراسان، وعندما خرج أبوه في الكوفة، قليلاً لسؤاله: إن أبي كان أعلم من أن يدعى ما ليس له بحق.

واعتماداً على هذه الصحف، فقد نفى جعفر الصادق - حسب راوية الشيعة - الإمامة عن التزيدية، وعن أولاد آل الحسن بن علي^١.

ولإثبات النص على الأئمة الإثني عشر. نجأ الشيعة إلى تأويل أغلب آيات القرآن ليكون دالاً على ذلك، فمثلاً قوله تعالى : **وَاطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا رَسُولَكُمْ وَأُولَئِنَّ الْأَمْرَ مِنْكُمْ**^٢.

قد نزل في علي بن أبي طالب وفي ابنيه الحسن والحسين - حسب رواية عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) - ولما سأله أبو بصير: أن الناس يقولون: لم لم يسم الله علينا وآل بيته في القرآن ؟ أجابه: أن رسول الله نزلت عليه أحكام الصلاة والزكاة والحج مجملة، وهو الذي فسرها لهم مبيناً عدد التركعات، والأنصبة والمقادير، وعدد أشواط الطواف، وما إلى ذلك، ثم نزلت الآية الأنفة الذكر في هؤلاء الأئمة، فقال رسول الله في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعد من عاداه، وأدر الحق معه حيث دار^٣.

ولكن يعرف لدى عامة المسلمين، أن آية: **وَاطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا رَسُولَكُمْ** تزلت محرضة على طاعة الله، والرسول، وأيضاً

^١- الكفني: الأصول من الكافي: 238/1-242 كتاب الحجة - بنب في ذكر تصحيفه والجفر وـ "الجامعة" ومصحف فاضلة - عليها السلام.

^٢- سورة الأحزاب: الآية 7.

ال المسلمين، سواء كانوا من الشيعة أو من غيرهم، كما أن حديث المواطنة
الواردة في حق علي، يزويه أهل السنة، بدون أن يذكروا إضافة الشيعة:
”وأدر الحق معه حديث دار“¹.

ويدعى الشيعة الإثنا عشرية أن رسول الله قال: ”أوصيكم بكتاب الله
وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل، لا يفرق بينهما حتى يوردهما عن
الحوض فأعذاني ذلك“ ... وقال: ”إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن
يدخلوكم في باب ضلاله فلو سكت رسول الله فلم يبين من أهل بيته، لادعاها
آل فلان: وأل فلان، لكن الله عز وجل أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه صلى الله
عليه وسلم: ”إنما يريد الله بآدبه عنكم الرجس أهل البيت، ويطهيركم
تطهير“².

وكان علي والحسن والحسين وفاطمة، في بيت أم سلمة زوجة الرسول
فأدخلهم صاحب الله عليه وسلم - تحت الكساء، ثم قال: ”اللهم إن لكل نبي
أهلاً ونقلة، وهو لاء أهل بيتي ونقي، فقالت أم سلمة: ألسن من أهلك؟ فقال:
إنك إلى خير، ولكن هو لاء أهلي ونقي: فلما قبض رسول الله كان علي أولى
الناس بالثواب من أنفسهم لكثرة ما بلغ فيه رسول الله. فلما مرض على ذلك
الإمامية إلى الحسن، وبعده تقدّم الحسين فكانت في عقبه، لأن أولي الأرحام
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، ولأن الله أمر بطاعتهم، وبلغ منهم رسول
الله، وأذهب الله عنهم الرجس، وفي رواية شيعية ”عن جعفر الصادق أن“

1- أحمد بن حنبل: المسند: 56/2 - 57 - 642 حديث رقم 641، 75/2 - 195 حديث رقم:
950 - 670

2- سورة الأحزاب: الآية 33

الرجس هو الشك، والله لا يشك في ربنا أبداً" وبذلك يbedo ضرب من التأويل الشيعي، فالرجس الذي هو التنس والإثم، يصبح، لديهم، الشك في الألوهية، ويعني ذلك أن الله ما دام قد نص على الآية فإن الشك في هذه الوصية يعتبر شكًا في الله. والله قد حرض على صلة الرحم، فهم أولى ببعضهم البعض في النساء والضراء: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"^١. ولكن الشيعة يذوون بهذه الآية على أنها نازلة في

إضافة الشيعة: أو أدر الحق معه حيث دار^٢.

ويدعى الشيعة الإثنا عشرية أن رسول الله قال: "وصيكم بكتاب الله وأهل بيتي. فإني سألت الله عز وجل، ألا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض فأعطياني ذلك" ... وقال: "إنهم يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة فلو سكت رسول الله فلم يبين من أهل بيته، لادعها آل فلان: وآل فلان، لكن الله عز وجل أنزل في كتابه تصديقاً لنبه صلى الله عليه وسلم: إنما يريد الله نبذه عنكم الرجس أهل نبيت، ويظهركم تطهيراً".^٣

وكان علي والحسن والحسين وفاطمة، في بيت أم سلمة زوجة الرسول فأخذتهم - صلى الله عليه وسلم - تحت الكساء، ثم قال: "الله أبا كل نبي أهلاً ونقله، وهو لأهله بيته وشقيقه، فقالت أم سلمة: أليست من أهلك؟

^١ مزدوج

^٢ أحمد بن حنبل: المسند: 2/56-57 حديث رقم 641، 75/2-642 حديث رقم 195، 950-670

^٣ سورة الأحزاب: الآية 33

فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي ونقمي: فلما قبض رسول الله كان على أولى الناس بالناس من أنفسهم لكترة ما بلغ فيه رسول الله. فلما مضى على آلة الإمامة إلى الحسن، وبعده تقدّها الحسين فكانت في عقبه، لأن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، ولأن الله أمر بطاعتهم، وبلغ فيهم رسول الله، وأذهب الله عنهم الرجس، وفي رواية شيعية¹ عن جعفر الصادق "أن الرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبداً" وبذلك يبدو ضرب من التأويل الشيعي، فالرجس الذي هو الدنس والإثم، يصبح، لديهم، الشك في الألوهية، ويعني ذلك أن الله ما دام قد نص على الآية فإن الشك في هذه النصية يعتبر شكاً في الله. والله قد حرض على صلة الرحم، فهم أولى بعضهم البعض في النساء والضراء: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله".

ولكن الشيعة يؤدون هذه الآية على أنها نازلة في الإمارة، والإمامية، وهي جازية في أولاد الحسين، وليس لمحمدي فيها نصيب غيرهم، مع أن أولاد الحسن وبقية أولاد علي من زوجاته الآخريات هم أيضاً أولوا أرحام، والتأويل يقتضي أن يدخلوا في الإمامة، وسبب خروجهم منها يعود إلى أن الحسين تزوج من (شهر بنو) بنت آخر ملك كسرامي هو (يزكرد الثالث) فأجلبت له على بن الحسين، فأصبح الشرف المحمدي والمجد الكسرامي يحوط عقب الحسين من ذاهبيتين، ولذا استحقوا الإمامة - حسب

1- سورة الأحزاب: الآية 6

- الكليني: الأصول من الكافي: 1/285-288 - كتاب الحجة - باب ثبات الإمامة في الأعذاب وإنها لا تغدو في أخ ولا عم، ولا غيرهما من القربات. وباب ما نص الله عز وجل على الآية الواحدة.

(نظرية الحق المقدس) في الحكم الفارسي، ويبدو من خلالها الرأي الفارسي:
إن التشيع هو التفسير القومي الفارسي للإسلام^١. ولذلك قال الشاعر المسلم
مهيار الدينمي الفارسي الأصل:

وَضَمِّنْتُ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ، سُوْدَدَ الْفَرْسُونَ، وَدِينُ الْعَرَبِ.^٢

أما قوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يَقِيمُونَ
الصَّلَاةَ، وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" فهو إشارة إلى أن علي بن أبي طالب
بيثما كان يصلّي وهو في حالة ركوع، وعليه حلة قيمتها ألف دينار - كسراء
إياها النبي، وقد أهداها له النجاشي ملك الحبشة - جاء سائل، فقال السلام
عليك يا ولدي الله. وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدق على مسجين، فطرح
الحلة عليه وأوْمأ بيده إليه إن أحصلها، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية،
وصير نعمة أولاده ملصقة بنعمته، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون
بهذه النعمة مثله، فيتصدقون وهم راكعون، والسائل الذي سأله أمير المؤمنين
- عليه السلام - من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من
الملائكة^٣.

^١ كريستنس: إيران في عهد الساسانيين - ص 489 - الدكتور علي الشامي: مباحث - ص 76 - 74

- التشيع في إيران - ص 5 - 63

² مهيار الدينمي: الديوان: 64/1 - قافية الباء.

³ "كتابي: الأصول من الكافي: 1/268- 289 كتاب الحجة، باب ما نص الله عز وجل على
الأئمة واحد، فهو واحد - صورة المحدثة: الآية 55.

وجاء في تفسير الطبرسي، وهو شيعي اثنا عشري، نفس هذه الرواية، ولكن مع تغيير طفيف هو أن علياً تصدق بخاتم من فضة على مسكين، عوض حلته التي أهدتها له الرسول.

وفي رواية ثانية لنفس المفسر الشيعي، دعمها بكونها مروية عن مفسرين سفينين كالطبراني، ذكر أن هذه الآية نزلت في حق عبد الله بن سلام ونفر من قومه اليهود، وفي حق علي، وذلك أن عبد الله بن سلام لما آمن مع نفر من اليهود، أذاهم قومهم، ورفضوهم فلم يجالسوهم، ولم ينأحروهم، ولم يكلموهم، فشق ذلك عليهم، واشتكوا إلى الرسول فقال لهم: إنما ولهم الله وزراؤه... الآية ثم أن النبي بصر في المسجد بسائل الناس بين قائم وراكع، فسأله: هل أعطاه أحد شيئاً؟ فألواماً إلى علي قائلة: ذلك القائم؛ فقال النبي: على أي حال أعطي؟ قال أعطاني وهو راكع، فكبر النبي ثم قرأ: "ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"¹.

فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك:

أباً حسن، تقدبك نفسك ومهجتك،	وكل بطيء في الهدى، ومسارع.
أيدذهب مدحيك المخبر ضائعاً،	وما المدح في جنب الإلاه بضائع،
فأنت الذي أعطيت، إذ كنت راكعاً	زكاة، فدتك النفس، يا خير راكع،
فائز فيك الله خير ولاية،	وثبتكاً مثني كتاب الشرائع ² .

وروى الطبراني في هذه الآيات، روايات عدة، منها أنها نزلت في الذين آمنوا، وعلي بن أبي طالب من الذين آمنوا¹. ومنها أيضاً أنها نزلت في علي

¹ سورة العنكبوت: الآية 56.

² أبو علي الفضل بن الحسن الطبراني: مجمع التبيان في تفسير القرآن: 124/6 - 129

لما مر به ساقٍ، وهو راكع في المسجد فأعطيه خاتمه، ورواد هذا الأثر منهم المعدل، الثقة الصدوق، ومنهم من اتهم برداة الحفظ والضعف، والوقوع في الخطأ.²

وقد صدر الطبرى تفسير لهذه الآية، بأنه لا ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون، الذين صفتهم ما ذكر الله تعالى، وعلى المؤمنين أن يبرروا من اليهود والنصارى، ولا ينخدوهم أولياء من دون الله، لأنهم لن يكونوا أولياء للMuslimين، بل بعضهم أولياء ببعض، ولذلك فقد قيل: إن هذه الآية نزلت في الصحابي عبدة بن الصامت وكان أنصارياً من الخزرج لبرئته من ولادة اليهود من بني قينقاع، ومن حلفهم، إلى رسول الله والمؤمنين ولقوله: أولي الله ورسوله والمؤمنين، وأبرا من حلف الكفار ولو لايتم.³

وأشار المحقق، إلى أن الطبرى قد غفل عن تفسير قوله تعالى وهم راكعون ظناً منه أن الرواية التي ساقها في سبب نزول الآية في على كافية تفسيرها، أو ربما كان ذلك عن سهو، مما جعل بعض الناس يتوهمن أنها جملة حالية، حالة كون المتصدق راكعاً، ولو كانت الجملة حالية، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره، لأنه ممدوح، وليس معناها كذلك عند أحد من العلماء، وأيضاً الفتوى والتفسير.

ذالصواب أن قوله تعالى: 'وهم راكعون' يعني وهم خاضعون لله، ومتذللون له بالطاعة، وسقادون لأمره في إقامة الصلاة بحدودها وفرضها،

¹- الطبرى: جامع البيان عن تأويل القرآن: 10 - 425 - 426.

²- نفس المصدر: (10) - (426/10) - (87/9) - (88 - هـ3) - (222/5) - (224 - 222/5).

³- نفس المصدر: (425 - 424/10)

من تمام الركوع والسجود والخشوع، وبمطبيعون الله فيما أمرهم به من إيتاء الزكاة، وصرفها لمستحقها، وهذا هو معنى الركوع في أصل اللغة، وهو ما أورده الطبرى، أيضاً في تفسيره لهذه الكلمة في مكان آخر^١. ومن ثم فإن هذه الآية حتى ولو كان من الثابت، أن سبب نزولها في علي أو أنها نزلت فيه مع غيره، فإن الولاية فيها لا تعنى الوصية له بالإمامية، وإنما تعنى أنه ناصر للمسلمين، بعد الله ورسوله، لشجاعته، وسبقه، وصدق إسلامه، وفضله، وذلك شأن كل مؤمن مخلص لله في عبادته، ومتذلل له بالطاعة، وخاضع لأوامره ومتنه عن نواهيه.

ولاية علي لدى الإنى عشرية من الله ومن الرسول، وفي هذا روى أبو بصير . قال: كنت جالساً عند محمد الباقر، فقال رجل: "حدثني عن ولاية علي، أمن الله، أو من الرسول؟" فغضب ثم قال: "ويحك! كأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخوف من أن يقول: ما لم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج".^٢

وروى عن جعفر الصادق أنه لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب، أمر رسول الله الصحابة أن يسلموا على علي بأمرة المؤمنين، فسأل زيد بن حارثة: أمن الله، أو من رسوله؟ فأجابه: أنها من الله ومن رسوله. فأنزل الله تعالى: "ولَا تتفضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفلاً أن الله يعلم ما تفعلون".^٣

^١- نحن نتصدر: (426/10 - هـ 4) - (574/1)

^٢- تكليفى: الأصول من إكافي: 1/290 - كتاب الحجة - باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً.

^٣- سورة النحل: الآية 91

ويعني الله بذلك -حسب التأويل الشيعي- سؤال الصحابي زيد بن حارثة: أمن الله، أو من الرسول؟ وجواب الرسول له وللصحابة كافة، أن هذه الآية متعلقة بقوله تعالى: **أَوْ لَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَفَضَتْ غُرْنَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثَّا**، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، إن تكون أمة هي أربى من أمة، إنما يبلوكم الله به، ونبيين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون¹.

وتصبح هذه الآية أيضاً -حسب التأويل الشيعي- أن تكون أيماء هي أركى من أيمانكم، وسئل جعفر الصادق: هل هي أمة أم أيماء؟ فأجاب: أيماء فأضاف السائل: فإننا نقرأ أربى فقال: **مَا أَرْبَى وَأَوْمًا بِدِه فَطَرَحَا**" يعني أن (أربى) تصبح أركى.

ومقصود ببليوكم الله به، هو علي، ليبين للناس يوم القيمة ما كانوا فيه يختلفون لو نو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن يصل من يشاء، وبهدي من يشاء، ولتسألن يوم القيمة عما كنتم تعملون. ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فترى قدم بعد ثبوتها، وتدنو قوا السوء بما صدّدتم عن سبيل الله ولكن عذاب عظيم².

ومقصود باتخاذهم إيمائهم دخلاً بينهم، فنزل قدم بعد ثبوتها -حسب التأويل الشيعي- مقالة رسول الله في علي: إن إمامته من الله ومن الرسول، وعليهم ألا يتراجعوا فيما علموا من الحق حتى لا تزل أقدامهم، ويدنو قوا السوء بما صدرّوا عن سبيل الله، وسبيل الله هو علي -في مفهوم الشيعة-

- سورة النحل: الآية 92

³ - سورة النحل: الآية 93

ومن ذلك يبدو خطراً التأويل الشيعي على اللغة العربية إذ تصبح معه مدلولاً لاتها المتعارفة لدى الناس، لا معنى لها.

ولما كانت الوصية لعلي وأبنائه الأحد عشر، من الله ورسوله، فإن الشيعة يدعون أنها وصلت بالتوارث بين الأنبياء، حتى دفعوها إلى محمد، ودفعها هو بدوره إلى علي، وقد روى جعفر الصادق أن موسى أوصى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع إلى ولد هارون، ولم يوص إلى أولاده موسى، لأن الله تعالى له الخيرة يختار من يشاء، ومن يشاء، وبشر موسى ويشع بالMessiah، فلما بعث المسيح بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، من ولد إسماعيل، وجرت البشري بعد المسيح بين الحواريين الذين سموا بالمستحفظين لأنهم استحفظوا الإسم الأكبر، وهو الكتاب الذي يدرك به علم كل شيء جليله وحقيقه وقد كان مع الأنبياء، وفيه يقول الله تعالى: ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان^١. والكتاب هو الإسم الأكبر الذي عرف في التوراة والإنجيل والفرقان، وفي كتاب نوح، وصالح، وشعيب، وفي صحف إبراهيم وموسى، وهذه الكتب كلها هي الإسم الأكبر المتضمن للوصية، ولم تزل الوصية في عالم بعد عالم، وفي النبي بعدنبي، حتى دفعوها إلى محمد، فدفعها إلى علي، وبذلك يكون الإمام - لدى الإمام عشرية - في درجة النبي^٢.

^١ - سورة الحديد: الآية 25.

^٢ - الكافي: الأصول من الكافي: 193/1 - كتاب الحجة - باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - عليه السلام -

وأخبر محمد ربه بأن: "العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب، ولم يبعث فيهم نبي، ولا يعرفون فضل نبوات النباء - عليهم السلام - ولا شرفهم، ولا يزمنون بي، أن أنا أخبرتهم بفضل نبوات أهل بيتي". فقال جل ذكره: "ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضيق مما يمكرون"^١. وقال أيضاً: "وقل سلام فسوف تعلمون"^٢.

ولما ذكر رسول الله العرب بفضل وصيهم، وقع النفاق في قلوبهم، وعلم به رسول الله، فنزل قوله تعالى: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فإنهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجدون"^٣. ولنرث عن النفاق في قلوب العرب لنزول الوحي بوصية علي، فقد نزل على الرسول عند دنو أجله ما يؤكد هذه الوصية، لأنها حق، والحق يجب أن يعلن، أحبه الناس أم كرهوه، فقال الله عز وجل: "إذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب"^٤. يعني به إذا افرغت فانصب علمك، وأعلن وصيتك، فأعلمهم فضله علانية، فقال - صلى الله عليه وسلم - : "من كنت مولاه، فعللي مولاه، الله وآل من ولاته، وعد من عاده - ثلاث مرات - ثم قال: لا يعيش رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفارار، يعرض بمن رجع، يحب

^١ سورة النحل: الآية 127

سورة النمل: الآية 70: "ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضيق مما يمكرون"

^٢ سورة الزخرف: الآية 89

^٣ سورة الحجر: الآية 97

^٤ سورة الانشراح: الآية 8

أصحابه، ويجبونه^١، في معرض تهديده لبعض القبائل بأنها إن لم تنته، فسوف يبعث لها عليا يكسر شوكة صلفها^٢.

وروي عن رسول الله - حسب إدعاء الشيعة - في علي أحاديث كثيرة، تثبت أنه الوصي، وأنه صاحب الإمامة بعده، ذكر منها: 'علي سيد المؤمنين' و"علي عمود الدين" و"هذا هو الذي يضرب الناس بالسيف على الحق بعدي". و"الحق مع علي أينما مال". وقد ورد هذا الحديث الخير ضمن قوله - صلى الله عليه وسلم:

'من كنت مولاه فعلي مولاه، الله وان من والاه، وعاد من عاداه -
ثلاث مرات - وأدر معه الحق حيث دار'^٣ في بعض الروايات الشيعية^٤. بينما يرويه أهل السنة في فضل علي فحسب دون الوصبية إليه بالإمامية، يرددونه مجردا من زيادة الشيعة وأدر معه الحق حيث دار أو "الحق مع علي أينما مال"^٥. وأشار عمر بن الخطاب - حسب رواية اليعقوبي - أن علياً أَنْ وَلِيَ، سوف يقود الناس إلى مَرْ الحق، وإن يحتملوه لأنهم لا يجدون عنده رخصة، وسيختلفون عليه^٦.

وقال رسول الله في آل بيته عامة، وعلى منهم، وأولادهم بالوصية والإمامية: 'إني تارك فيكم أمرين، أنأخذتم بهما لمن تحصلوا: كتاب الله عز وجل، وأهل بيتي، أيها الناس اسمعوا، وقد بلغت، إنكم ستردون على الحوض

^١ - التوبخني: فخر الشيعة - ص 24-25 - الكلباني: الأصول من الكافي: 1/293 - 296 - كتاب الحجة بباب الإشارة والتنص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -

² - نفس المصدر والصفحة

³ - أحمد بن خليل: المسند: 2/56، 75، 195

⁴ - اليعقوبي: التاريخ الكبير 2/110-111، 130-131.

فأسألكم عما فعلتم في التقلين، والتقلىن كتاب الله جل ذكره، وأهل بيتي، فلا
تبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم^١.

بينما التقلىن، حسب رواية أهل السنة، هما كتاب الله وسنة رسوله.

حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم :

"إني نازك فيكم، ما ابن نسكتم به، لئن تصلوا بعدي، كتاب الله،
وستنقذونه^٢."

وأنزل الله سبحانه تعالى : وَاتَّذَا الْقُرْبَىٰ حَقَهُ^٣ ، في عامة المسلمين،
ولكن الشيعة الإثني عشرية يرون أنها نزلت في حق علي، لأنه من قرابة
الرسول، وعلى المسلمين أن يؤتونه حقه، وهو الوصيّة له بالإمامية التي جعلت
له، مع الإسم الأكبر، وميراث العلم، وأثار علم النبوة. ولذلك قال الله تعالى
رابطاً بين معانٍ هذه الآيات: قال: لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في
القربى^٤ ثم قال: "وإذا المودة بنت^٥ ، بأي ذنب قتلت^٦ . والمودة تصبح
لدى الشيعة الإثني عشرية مودة، فيصبح المعنى: "أسألكم (يا عبادي) عن
المودة التي أنزلت عليكم فضلها، مودة القربى، بأي ذنب قتلتموها^٧ . لأن

^١ الكليني: الأصول من الكافي: 1/293-294 باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - نفس المصدر: 1/287، 294 كتاب الحجۃ - وبنب ما نص الله ورسوله على الآية

^٢ رواه الترمذى.

^٣ سورة الإسراء: الآية 26.

^٤ سورة الشورى: الآية 21

^٥ سورة التكوير: الآية 8

^٦ الكليني: الأصول من الكافي: 1/294-295 كتاب الحجۃ - باب الإنذار والنص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

حق على في الوصية ثبت دون كل الصحابة، والدليل على ذلك ما يرويه الشيعة عن رسول الله، أنه قال في مرضه الذي توفي فيه لعائشة ولحفصة: 'ادعوا لي خليبي ! فأرسلنا إلى أبويهما (أبي بكر، وعمر،) فلما نظر إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعرض عنهما، ثم قال: 'ادعوا لي خليبي' فأرسل إلى على، فلما نظر إليه أكب عليه يحدثه، فلما خرج، لقياه (أبو بكر وعمر)، فقال له: ما حدثك ؟ فقال (علي): حدثي ألف باب، يفتح كل باب، ألف باب¹. دلالة على اتساع معارف علي الموروثة عن النبيء والتي تخول له وحده أن يكون الوصي بعده، وبها سيقود الرعية إلى الحق، والعدل، ليأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أقدامهم خيرا كثيرا - حسب روایة اليعقوبي عن أبي ذر الغفاری - لما كان يقعد في مجلس رسول الله، يتحدث بما فيه الطعن على عثمان، يتلوم المسلمين، لتأخيرهم من قدم الله للامامة، وهو في نظره - على بن أبي طالب، وصي محمد، ووارث علمه، مع بقية آل البيت، لأنهم هم الذين يجب أن تكون فيهم الإمامة والوراثة².

وقد روى أهل السنة، حديث الرسول هذا: 'ادعوا لي خليبي' بشكل مغاير لرواية الشيعة، وخلاصته: أن الرسول قال لنسائه في مرضه الذي مات فيه، وقد حضرت الصلاة: "ادعنون لي حبيبي" فعرفت عائشة أنه يريد أبا بكر، فرأى أن ترسل إلى عمر، لأن أباها رجل رقيق، يفضحه البكاء وعمر أقوى منه. وأتى عمر، فسلم، ففتح رسول الله عينيه، ورد السلام، ثم أطرق عنه، فعرف أنه لم يرده. فلما خرج، أقبل الرسول على نسائه مكررا

¹- نفس المصدر والكتاب والباب: 296/1.

²- اليعقوبي: التاريخ الكبير : 120/2.

لقوله: "ادعون لي حبيبي" فقالت عائشة: يا رسول الله ابن أبي بكر ورجل رفيق،^١ أمرت عمر يصلي بالناس، فقال صلى الله عليه وسلم: إنك صوبحت يوسف عليه السلام - ادعون لي حبيبي، إنما أفعل ما أمر
قدعي أبو بكر فصلى بالناس.

ويبدو من خلال الروايتين -رواية الشيعة ورواية أهل السنة- أن الحديث لا يفيد الوصية لعلي أو لأبي بكر بالإمامية بعد الرسول، فالشيعة افتعلوا قصة اتفاق عائشة وحصة على دعوة أبيهما، أبي بكر وعمر لما دعا الرسول خذلته عليه: بينما الخلة الواردة في رواية الشيعة، وصفة الحبيب الواردة في رواية أهل السنة كانتا العلاقة المعروفة بين محمد وبين الصديق، ولم تكن هذه العلاقة مشهورة بين الرسول وبين علي، وإن كان علي لا يقل عن أبي بكر، خلطة ومحبة للرسول، نسبقه، وجهاده، وقربابته.

واستنتج الشيعة من هذه الرواية: أن الرسول يوصي لعلي بالخلافة، واستنتاج أهل السنة منها: بدورهم عهد الرسول إلى أبي بكر بالولاية، مع أن الرسول لم يصرح بذلك، ولكنهم فهموا من أدبته عنه في الصلاة بال المسلمين، أنه يرضاه لذينهم، فكيف لا يرضونه لذرياتهم، وقادوا بذلك الإمامة التي تعني الخلافة، على إمامية الصلاة، أو قلوا الإمامة الصغرى (الخلافة)، على الإمامة الكبرى (الصلاحة) أو العكس؛^٢ ولعنهم فهموا ذلك من قوله الرسول: إنما أفعل ما أُمِرْتَ، وإذا كان القصد منها خلافة أبي بكر، فلماذا لم يصرح بها الرسول؟

^١- ابن قتيبة: الإمامة والخلافة: 10/1، 11، 12

^٢- انطون خوري: فرق الشيعة - ص 15 - ابن خلدون - المقدمة - ص - 191، 203

الظاهر أن المقصود هو إماماة الصلاة، وقد صرخ بها الرسول، أما الإمامة التي تعني الخلافة، فقد أراد أن يعيقها شوري بين المسلمين، لاتفاقهم على ذلك، حتى ولو حصرها في الإختيار الشوروي والقرشى^١. وحتى لا تؤول إلى حكم وراثي استبدادي.

ذلك هي الوصية الشيعية لدى الكليني هذه هي الوصية لدى الكليني، أما ابن بابويه القمي .. (ت. 381هـ/991م) الشيعي فيد عمنها بشهادة أربعة من الملائكة، وذلك في رواية عن أبي عبد الله جعفر الصادق، قال: أشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على وصيته إلى علي - عليه السلام - أربعة من عظام الملائكة: جبريل، وميكائيل، وأسرافيل، وآخر لم أحفظ اسمه ولستا ندرى: هل تجلى هؤلاء الملائكة للحاضرين حتى يتأكد الأئمرون عليهم بوصية علي، أم أنهم شهدوا على تبليغ محمد هذه الوصية؟ لأن الكويني صوره متزددا في تبليغها، خشية أن يتهم بمحاباة ابن عمه علي، على بقية الصحابة، والحالة أن العرب جفاة غلاظ، حدثوا عهد بالإسلام، لم يعرفوا بعثة الأنبياء والرسل إليهم، والمنافقون فيهم كثيرون، ومع ذلك فإننا لم نعثر على ما يدل أن رسول الله التجأ إلى مثل هذه الشهادة فيما أوحى إليه من عظام الأمور.

ويتفق كل من الكليني، وابن بابويه القمي على أن رسول الله نص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب باسمه ووصفه، ثم نص على الحسن،

- رواه الشيخان ورته كتب السنن - ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري 13/111-117 - 122 كتاب الأحكام بباب السمع والطاعة ما لم تكن معصية - 5/532 كتاب المنافق - باب منافق قريش صحيح مسلم بشرح النووي: 12/201-205 كتاب الإمارة - باب الخلافة في فريش باب الاستخلاف وتركه - التوبيخى: فرق الشيعة - ص 17-19.

فالحسين بالترتيب ثم تصبح الولاية بعد هؤلاء بالوصية من سابق إلى لاحق، وفي هذا يروي ابن بابويه القمي حديثاً عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أجاب فيه سائلاً يقول: هل أوصى رسول الله إلى الحسن والحسين، مع أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قلت: وهما في ذلك اثنان؟ قال: نعم، ولا يكون لسواهما في أقل من خمس سنين^١.

ومن علماء الإمامية الذين اهتموا بالوصية، وجمعوا الأخبار الواردة فيها نجد: الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجمي (ت. 449هـ/1057م)، خصص لذلك مؤلفاً في هذا الباب، سماه (الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار)، قسم فيه الروايات الدالة على الوصية بالإمامية لعني وأبنائه الأحد عشر، إلى قسمين قسم متواتر لدى أهل السنة، وعبر عنهم بالنسبة، ولعله يقصد الذين نصبو إماماً على ولم يرفعوها، وهم لذلك في رأيه - يعتقدون خلاف ما يظہرون، ويقررون بفضل آل البيت، ولا يعترفون بإمامتهم^٢. أي لهم نصبو إماماً الشيوخين وعثمان قبل على.

ومن هذه المرويات الشيعية - في رأي الكراجمي - ما يتضمن النص بالإمامية على الأئمة الإثني عشر، وهي مرويات سمعها الكراجمي في المسجد الحرام سنة (412هـ/1021م) من شيخه أبي الحسن محمد بن أحمد

١- الكافي: الأصول من الكافي: 1/280-281-295-296 كتاب الحجة بنبأ أن الأئمة لم يعطوا شيئاً ولا يفعلون إلا يقصد من الله عز وجل وامر منه لا يتجاوزونه - وبذل الإشارة والنص على أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب - ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه:

٤- 538-539 باب نوادر الوصايا

٣- مخطوط: 1/2، 1/3

بن شاذان القمي الذي ألف في ذلك أيضا كتابا سماه (إيضاح دفائن النواصب)، جمع في أخبار استخرجها من طرفةهم في فضائل أهل البيت^١. أما القسم الثاني من الأخبار الدالة على الوصية لعني وابنائه فهو ما روى عنه الشيعة، وهو أيضا فسماه: قسم روثه الخاصة من علماء الشيعة ومن كلامهم، وقسم روثه العامة منهم.

ومما ورد لدى الخاصة من هذه الأخبار، ما نقله الكراجكي عن الشيخ المفيد (ت. 413هـ/1022م) برواية أبي جعفر (محمد الباقر) عن أبيه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آله وسلم: آمنوا بليلة القدر، فإنه ينزل فيها أمر السنة، وإن لذلك الأمر ولادة من بعدي: علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولدته^٢.

وعن محمد الباقر أيضا عن أبيه، عن جده "قال رسول الله: إبني وأثنى عشر من أهل بيتي أولهم علي بن أبي طالب، أو تاد الأرض التي أمسك الله بها أن تشيخ"^٣. ويبدو من خلال هذين الحديثين حسب رواية الكراجكي، ثبوت الوصية لعني وابنائه الأحد عشر، كما يبدو أيضا اتفاق محدثي الشيعة على أن الإمام هو حجة الله على خلقه، ولطفه بهم، ولو لاه لأضحوه هملا بدون راع، تتباهم نوازع شتى، ولا يعرفون طريق الخلاص^٤.

^١- نفس المصدر: ٣/أ - الناصبي: كل من يتولى التبرخين وبعثة إمامتهم (انظر: المنشى من منهاج الإعتدال وتخصيص الحافظ الذهبي: ص 64 - 65).

^٢- نفس المصدر: ٣/ب

^٣- ساخت قوانبه في الأرض، شوش، وتبغ، دخلت فيها وغابت. (نفس المصدر: ٣/ب)

^٤- الكفي: الأصول من الكافي: ١/١77 - ١78 - باب أن الحجة لا تقوم الله على خلقه إلا بإمام كتاب الحجة - وانظر أبواب الحجة بعدها إلى ص ١8٠ -

وقد ارتأى الكراچكي منهجاً خاصاً به، في مؤلفه (الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار) وهو عدم ذكر الأخبار المتناولة في حق علي، لدى الشيعة، وأهل السنة، وقد وضح منهجه هذا بقوله: "فاما النص... المختص بإمامرة أمير المؤمنين - صلوات الله عليه- دون غيره فمن يليه، فقد عمت معرفته وانتشرت، وتردنت الأقوال فيه وتكررت. وعرف العدو والولي، احتجاج الشيعة بالخفى منه والجلى".^١

ولذلك لا يرى الكراجكي بأسا من إبراد النصوص اذاله على إمامه علي، وأل البيت، لأنها ليست مختصة بعلي دون غيره، وهي في الأن نفسه تتماشي ومنهج المذكور.

ويلاحظ أن هذا المنهج، يحقق لصاحبها غايتيين أو لاهما: أن النص على إمامية علي ثابت لدى الشيعة، ويعرف احتجاجهم، بالخلفي منه، والجنبي أهل السنة والشيعة معا.

ثانيهما: التجديد في أسلوب احتجاج الشيعة، بالأخبار الدالة على إمامية آل البيت، ولذلك فقد أضرب المؤلف عن ذكر ما نداولته الألسن، والأقلام شهرته وحاول أن يفتح بروایات أخرى للخروج بالمجادلين، من الرتابة إلى الجدة والطراقة، ولأن السامعين والقراء ملوا تكرار هذه الحجج.

وَمَا رَوَاهُ الْكَرَاجِيُّ عَنِ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ، وَأَجْمَعَتِ الشِّعْبَةُ الْإِمَامِيَّةُ عَلَيْهِ
وَلَمْ تَخْتَلُفْ فِيهِ، مَا رَوَى عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
الْبَاقِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَلْصَارِيِّ، قَالَ: "ذَخَلَتْ عَلَى فَاطِمَةَ بَنْتِ رَسُولِ
اللهِ - عَنِيهَا السَّلَامُ - وَبَيْنَ يَدِيهَا نُوحٌ، فِيهِ أَسْمَاءُ الْأَوْصِيَاءِ، وَالْأَيْمَةِ مِنْ

ولنها، فعددت التي عشر اسماء، آخرهم القائم بالحق - عليه السلام - الثنائى منهم محمد واربعة على. "واللروح الوارد في الحديث هو ما عرف لدى قدامى الإثنى عشرية بمصحف فاطمة، وفيه أسماء من سيتولى الإمامة من آل البيت واحداً، فواحداً".^١

أما القسم الثاني، فهو ما روتة عامة الشيعة، في النص على الأئمة ومن ذلك ما سمعه الكراجكي في مكة من شيخه الفقيه أبي الحسن محمد بن شاذان القمي، إملاء من كتابه: "إيضاح دفائن النواصب"، رواية عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله يقول: 'عاشراً الناس. اعلموا: أن الله تعالى باب، من دخله أمن من النار، ومن الفزع الأكبر، فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال: يا رسول الله أهدانا إلى هذا الباب حتى نعرفه. قال: هو علي بن أبي طالب، سيد الوصيبيين، وأمير المؤمنين، وأخو رسول رب العالمين، وخليفة على الناس أجمعين. معاشر الناس من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، فليس مستمسك بولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن ولائيه ولايتي وطاعته طاعتي، معاشر الناس! من أحب أن يعرف الحجة بعدي، فليعرف علي بن أبي طالب بعدي، والآئمة من ذريتي فإنهم خزان علمي، فقام جابر بن عبد الله التنصاري فقال يا رسول الله، وما عدة الإمامة؟ فقال: ... عدة الشهور، وهي اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض وعذتهم عدة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران حين ضرب

- الكتبى: الأصول من "الكافى": 238/1 - 242 كتاب الحجة - باب مثل السلاح فينا من الشبوت فى بني إسرائيل - وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليها السلام.

بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنا عشرة عيناً^١، وعدتهم عدة نقباء بني إسرائيل، وبعثا منهم اثنى عشر نقباً، فالآية يا جابر، عدتهم اثنا عشر، أونهم علي بن أبي طالب وأخرهم القائم - عليه السلام^٢.

وفي هذا الحديث يكشف الشيعة عن السبب في كون عدة الأئمة اثنى عشر، وهو عدد - كما يبدو - مستخرج من أرقام وردت في القرآن الكريم، أولها الشيعة على عادتهم، كالرقم الوارد في عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً في كتاب الله، وعدة العيون التي انفجرت لموسى، حين ضرب بعصاه الحجر، وعدة نقباء بني إسرائيل.

ونضيف إلى هذا التعليل، تعليلاً آخر اشتراك فيه انكراجكي مع الأربيلي، في سبب عدة الأئمة اثنى عشر. فقد أورد الثاني في (كشف الغمة في معرفة الأئمة) الحديث المنسوب إلى الرسول لـ "لا يزال هذا الدين قائماً ما وليهم اثنان عشر خليفة كلهم من قريش"^٣. وهو حديث روثه كتب الصلاح، وعلق عليه النووي بالشرح في صحيح مسلم بأن المراد بقول الرسول: إن هذا الأمر لا ينقض حتى يمضي فيهم اثناء عشر خليفة كلهم من قريش أو بقوله: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثناء عشر خليفة كلهم من قريش - عدم حصر العدد في اثنى عشر لأن الرسول لم يقل: لا يلي إلا اثنان عشر خليفة

^١- قال الله تعالى: "وَلَذَا اسْتَفْيَ مُوسَى نَفْرَمْهُ فَلَذَا اضْرَبَ بِعَصَمَكَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عِينًا، فَدَعَ عَنْهُ كُلَّ أَنْمَانِ مُشْرِبِيهِمْ، كَلَّا وَإِنْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ". سورة النور: الآية ٥٩.

^٢- الكراجكي: الاستصدار في النص على الأئمة الأطهار: مخطوط: ١٠٦

^٣- ثغر المصادر: ٩/ب، ١٠/أ - ١٠/ب - ١٢/أ - الأربيلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة:

‘ وإنما قال: أيني؟ وقد ولّي هذا العدد، ولا يضر كونه وجد بعدهم غيرهم، ويحتمل أن يكون المراد مستحقى الخلافة العادلين وقد مضى منهم من علم ويحتمل أيضاً من يعز الله الإسلام في زمانه ويجتمع المسلمون عليه، وقد وجد قبل اضطراب أمر بنى أمية،^١ وبني العباس، ويرفض الإمام موسى الصدر – من الشيعة المعاصرين – هذه الأخبار الشيعية الواردة في تأویل عدد الأئمة الإثنى عشر، ويعتبرها من الموضوعات.^٢

ومما رواه الكراجكي عن عالمة الشيعة أيضاً، قول علي بن أبي طالب: أؤا الله لقد خلفني رسول الله - صلى الله عليه وآله - في أمته، فلأنها حجة الله عليهم بعد نبيهم، وأن ولايتي تلزم أهل السماء، كما تلزم أهل الأرض، وأن الملائكة تتذكرة فضلي، وذلك تسبيحها عند الله، أيها الناس... أنا وصي شيفكم، وخليفة، وإمام المؤمنين، وأميرهم، ومولاهم، فلما قات شيعتي إلى الجنة، ورحمته على أوليائه، أنا صاحب حوض رسول الله ولوائه، وصاحب

^١ صحيح سليم شرح الترمذ (ت. 676هـ/1277م): 12/201 واضاف الترمذ أن مستحقى الإمامية من "خلفاء العادلين قد مضى منهم من علم، ولا بد من تضمين العدد قبل قيام الساعة، وقد يكونون وحدوا في عصر واحد، وتبغ كل واحد منهم طائفة، فقد كان في الأنجلترا ومصر، وبخدا، وغيره من أقطار الأرض في مدة اربعين سنة وثلاثين سنة، خلفاء يدعونها، وييفون بها، ويعضد هذا قول أنس بن مالك: مستكون خلفاء كثيرون. فلما ذكرناه قال: فربعة أئمة أئلة فلاؤن نحن "المصدر والصفحة، كتب أمماره بباب الخلافة في قریش.

^٢- في مقدمته لكتاب: هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية - ص 28-97. ويؤكد شيعي معاصر آخر صحة هذه الأحاديث، مزيداً إليها بما ورد في التوراة من سفر التكوبين (انفصل السابع عشر 21) بينما هي أرقام تختص بنقباء بنى إسرائيل، وبعد العيون التي انفجرت لموسى، وبعدة الشهور عند الله، وكل ذلك لا صلة له بالبحث العلني - (أشيد محمد علي: خلفاء الرسول الإثنى عشر - ص 185-190).

مقامه وشفاعته، أبا الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، خلفاء الله في أرضه، وأمناؤه على وحيه، وأئمّة المسلمين بعد نبيه، وحجج الله على بريته^١ وبذكرنا هذا الحديث، بما رواه ابن بابويه القمي، من أن رسول الله أوصى نعلي بالإمامية، وأشهد أربعة، من عظام الملائكة: هم جبريل، وميكائيل، واسرافيل، والرابع نسي اسمه راوي الحديث (ولعله عزرا ابن) الذي ينسب إلى جعفر الصادق. وحسب رواية الكراجي فالملائكة تتذكرة فضل على، وذلك تسبيحها عند الله^٢. لأنها تعلم أنه الوصي، والوالي، والأمين على وحي النساء، هو وأمناؤه الأحد عشر.

وتحتفل الوصية للأئمة، لدى الكليني، وابن بابويه القمي، ونصرير الدين الطوسي عن الوصية لدى الكراجي، فالكليني وابن بابويه القمي، يرويان أن النبي أوصى نعلي بالإمامية وأوصى بعده للحسن، فالحسين^٣. ثم تنتقل الوصية بعد ذلك في بقية الأئمة من سابق إلى لاحق، بينما يورد الكراجي في القسم الأول من مرويات أعداء الشيعة في نظره - وهو الناصبة، أي أهل السنة: أن الرسول أوصى للأئمة الإثنى عشر، وذكرهم بأسمائهم واحداً فواحداً فائلاً: فصل، وما سمعناه من الشيخ أبي الحسن (القمي) أيضاً، من كتابه (إيضاح دفائن النواصب) الذي أوضح فيه هذه

^١- ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه: 4/538 باب بوادر الوصي - الكراجي ت الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار: مخطوط: 10/ب

^٢- الكليني: الأصول من الكافي: 1/291-328 كتاب الحجة - باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً، واحداً، والأبوات التي ثبته - ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه: 4/539 - باب بوادر الوصي - نصرير الدين الطوسي: رسالة في الأصول: مترجمة عن الفارسية - ص 39.

الذقاني، في ذكر رسول الله - صلى الله عليه وآلـه وسلم - للأئمة الإثني عشر - صلوات الله عليهم - ونصبه على أسمائهم، وإياته لفضلهـم في الآخرة، وعلو شأنـهم، وورد ذلك على السنة أعدائهم... حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه - لعني بن أبي طالب: يا علي أنا نذير أمـتي وأنت هاديهـا، والحسن فائدـها، والحسين سائقـها، وعلي بن الحسن جامـعـها، ومحمد بن علي عارـفـها، وجعفر بن محمد كاتـبـها، وموسى بن جعـفر مـحـصـبـها، وعلي بن موسى مـعـبـرـها وـمنـجـبـها، وصارـدـ مـبغـضـبـها، ومـدـنـيـ مـؤـمـنـبـها، ومـحـمـدـ بنـ عـلـيـ قـائـمـها وـسـاقـيـها، وـعـلـيـ بنـ مـحـمـدـ سـانـدـها وـعـالـمـها، وـالـحـسـنـ زـانـيـها وـمـعـطـيـها، وـالـقـائـمـ الـخـلـفـ سـاقـيـها وـنـاسـدـها، إنـ فـيـ ذـكـرـ لـأـيـاتـ لـمـيـتوـسـمـينـ يـاـ عـبـدـ اللهـ^١.

ولـاـ نـسـتـغـرـبـ أـنـ يـرـدـ هـذـاـ التـفـصـيلـ فـيـ وـصـيـةـ الـأـيـمـةـ، لـدـىـ الـعـامـةـ مـنـ الشـيـعـةـ، لـأـنـ الـعـامـةـ عـمـومـاـ يـغـرـبـونـ، وـيـفـصـلـونـ الـمـجـمـلـ بـطـرـيـقـهـمـ وـعـلـىـ هـوـاهـمـ، أـمـاـ أـنـ يـسـبـ هـذـاـ التـفـصـيلـ إـلـىـ أـهـلـ السـنـةـ، فـذـكـرـ مـاـ لـاـ يـمـكـنـ قـبـولـهـ، لـأـنـهـ لـاـ يـعـتـرـفـونـ بـالـنـصـ عـلـىـ الـإـمـامـ عـلـيـ قـبـلـ الـخـلـفـ الرـاشـدـيـنـ الـثـلـاثـةـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـعـثـمـانـ، فـكـيفـ سـيـعـتـرـفـونـ بـالـنـصـ عـلـىـ بـقـيـةـ الـأـيـمـةـ الـأـحـدـ عـشـرـ؟ـ وـحـتـىـ الـخـاصـةـ مـنـ الشـيـعـةـ، مـنـ مـحـدـثـيـهـ وـمـكـلـمـيـهـ، يـذـكـرـونـ أـنـ الرـسـولـ أـوـصـيـ عـلـيـ، وـالـحـسـنـ، وـالـحـسـيـنـ، ثـمـ تـصـبـحـ الـوـصـيـةـ بـعـدـ ذـكـرـ مـاـ سـاـبـقـ إـلـىـ لـاحـقـ، بـنـاءـ عـلـىـ مـاـ وـرـدـ مـنـ أـسـمـاءـ الـأـيـمـةـ فـيـ أـخـبـارـ الشـيـعـةـ وـفـيـ مـصـحـفـ

^١- الكراجكي: الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار: 10/ب- 11

فاطمة، وفي الحجر، وفي الصحيفة الجامعة^١. أضف إلى ذلك أن هذا الحديث الذي نسبه الكراجي، إلى مرويات أهل السنة، ورد فيه تشبيه مخل بمقام الأئمة، وهو تشبيه المهدي المنتظر بالساقى والمنشد، مما يذكر بمجلس الشراب ويا ليته ساقى ماء زمزم بدعا لا ينشد.

والملاحظ أن الكراجي رتب مرويات عامة الشيعة، في الوصية، مع مرويات أهل السنة في درجة واحدة، فقال: ونحن نور... طرفاً مما روتَه العالمة من الشيعة، وورد على ألسنة الناصية^٢. وعلق على مرويات هؤلاء العالمة من الشيعة بما يفهم منه، أن الشك يحوم حولها^٣.

ومن ثم فإن نص الرسول - حسب رواية الشيعة الأخيرة^٤. على الأئمة الإثنى عشر، واحداً فواحداً، يصبح محل شك هو الآخر...

وأوضح الطبرسي في مقدمة كتابه: (الإحتجاج)^٥. منهجه في باليه، وبيدو من خلاته، أنه وضع من أجل إثبات النص على وأبنائه الأحد عشر، ممتنحاً فضل الإحتجاج، مستدلاً على جوازه باحتجاج الرسول، والأئمة الإثنى عشر، في إقرار الوصية، وإنارة سبيل الحق، وإزهاق الباطل، أن الباطل كان هو ق، مبيناً أن علي ابن أبي طالب، خير وصي وخير إمام ولبي، وعترة النبي الظاهرة خير العترة، وهم الأئمة الهادية الإثنى عشر. أمناء الله

^١ الكليني: الأصول من الكتاب: ١/٢٣٨-٢٤٢ - كتاب الحجـة - بـاب مـثل اـسلـاح فـيـنا مـثـلـ التـابـوت فـيـ بـنـيـ إـسـرـائـيل - وـبـابـ فـيـ ذـكـرـ الصـحـيفـةـ وـالـحـفـرـ وـالـجـامـعـةـ وـمـصـحـفـ فـاطـمـةـ - عـنـيهـ السـلـامـ.

^٢ الكراجي: الاستخار: مخطوط: ٩/ب
نفس المصدر والمصححة.

^٣ نفس المصدر: ١٠/ب-١١/ب
نفس المصدر: ٣/١-٤

في بلاده وحججه على عباده، بهم نعمت علينا نعمته، وعلت كلمته، اختارهم الله تبريره للطفه، وحكمته، وإدارة الأعلام عليه، ورحمته، فائزاحت بهم عن العبيد، وزهق باطل كل مستكبر عنيد... والله عز وجل لم يهمل العبد سدى بلا حجة وحجتهم هو الإمام الوصي: "لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ حِجَةٌ بَعْدَ الْحِجَةِ"¹ (بعد الإمام) ولا ينتسب عليهم في دينه المحجة، ولم يجعل إليهم اختياره، لعلمه بأنهم لا يعلمون أسراره، ولأنه عز وجل متعال عن فعل شيء لا يجوز عليه، مثل تكليف ما لا يهدي العباد إليه، وقد نزع نفسه عن أن يشرك به أحدا في الإختيار حيث قال: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمْ² الْخِيرَةُ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عِمَّا يَشْرِكُونَ".

فإله هو الذي يختار الإمام الأفضل لعباده، وليس المسلمين هم الذين ينتخبونه بالإختيار الشوروي، ولذلك فقد احتاج الإمام على علي على القوم، لما مات عمر بن الخطاب وقد جعل الخلافة شورى بين ستة من الصحابة - بأنه أولى بها، لأسبقيته في الإسلام، وقرباته من الرسول، وعلمه وشجاعته، وظهوره وعصمتها، حيث أذهب الله عنه وأل بيته الرجم، وظهر لهم تطهيرا،

¹ - قال الله تعالى: رَسُولاً يُبَشِّرُنَّ، وَمُذَرِّبِنَّ، لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا سُورَةُ النَّسَاءِ: الآية 164 - والمراد هنا ليس ما ذكرت إليه الشيعة. وإنما هو قطع عذر البشر بما سلوا عن جرائم أعملهم، واستحقوا غضب الله وعقابه، فعلم من هذا أن للذين قتلوا رسول الله جة إلى الله أن يقولوا "لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعُ إِيمَانَكَ، وَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" سُورَةُ هُمَّ: الآية 134. انظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتتوير: 39/6 - وانظر ما قبلها وما يليها.

² - سُورَةُ الْفَصَصِ: الآية 68.

فاطمة، وفي الجفر، وفي تصحيفة الجامعة^١. أضف إلى ذلك أن هذا الحديث الذي نسبه الكراجكي، إلى مرويات أهل السنة، ورد فيه تشبيه مخلص مقام الأئمة، وهو تشبيه المهدي المنتظر بالساقي والمنشد، مما يذكر بمحال الشراب وبأبياته ساقٍ ماء زمزم بداعٍ لا بانشد.

والملاحظ أن الكراجكي رتب مرويات عامة الشيعة، في الوصية، مع مرويات أهل السنة في درجة واحدة، فقال: ونحن نور... طرفاً مما روتنا العامة من الشيعة، وورد على السنة الناصية². وعلق على مرويات هؤلاء العامة من الشيعة بما يفهم منه، أن الشك يحوم حولها³.

وأوضح الطبرسي في مقدمة كتابه: (الاحتجاج)^٥. منهجه في بآليقه، ويبدو من خلاله، أنه وضع من أجل إثبات النص لعلي وأبنائه الأحد عشر، مستدلاً على جوازه باحتجاج الرسول، والأئمة الإثني عشر، في إقرار الوصية، وإذارة سبيل الحق، وإزهاق الباطل، أن الباطل كان هوقاً، مبيناً أن علي ابن أبي طالب، خير وصي وخير إمام ونبي، وعترة النبي الظاهرة خير العترة، وهي الأئمة الهاشمية الإثنا عشر، أمداء الله

الكتاب: الأصول من الكافي: 1/238-242 - كتاب الحجة - باب مثل النساج فهذا مثل
النبوت في بني إسرائيل - وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليها
السلام.

٢- الكراجكي: الاستنصر: مخطوط: ٩/ب

نفر المصدر و الصفحة.

نفر المصدر: ١٠/ب - ١١/١

نحو المصدر: 3/1

في بلاده وحججه على عباده، بهم تمت علينا نعمته، وعلت كلمته، اختارهم الله للبرية للطفه، وحكمته، وإنارة الأعلام عذله، ورحمته، فائزاحت بهم على العبيد، وزهق باطل كل مستكبر عنيد...، والله عز وجل لم يهم العبد سدى بلا حجة وحجتهم هو الإمام الوصي: "لذا يكون الناس حجة بعد الحجة"¹ (بعد الإمام) ولا ينبع عليهم في دينه المحجة، ولم يجعل إليهم اختياره، نعلمهم بأنهم لا يعلمون أسراره، ولأنه عز وجل متعال عن فعل شيء لا يجوز عليه، مثل تكليف ما لا يهتم العبد إليه، وقد نزع نفسه عن أن يشرك به أحداً في الإختيار حيث قال: "وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون".²

فإنه هو الذي يختار الإمام الأفضل لعباده، وليس المسلمين هم الذين ينتخبوه بالإختيار الشوري، ولذلك فقد احتاج الإمام على على القوم، لما صنعت عمر بن الخطاب وقد جعل الخليفة شوري بين ستة من الصحابة - بأنه أولى بها، لأسبقته في الإسلام، وقرباته من الرسول، وعلمه وشجاعته، وظهوره وعصمتها، حيث أذهب الله عنه وأل بيته الرجس، وظهر لهم تطهيراً،

¹ - قال الله تعالى: رَسُولًا مُبَشِّرِينَ، وَمُنذِرِينَ، لَذَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ تَرْمِلٍ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ 164 - والمراد هنا ليس ما ذهب إليه الشيعة. وإنما هو لقطع عذر البشر إذا سلوا عن جرائم أعدائهم، واستحقوا غضب الله وعقابه، فعلم من هذا أن تندس فيك أرسلت الرسالة إلى الله أن يقولوا أولاً أرسلت إلينا رسولاً فتبين آياتك، ونكون من المؤمنين سورة طه: الآية 134. انظر: محمد الطاهر بن عثوم: التحرير والتقوير: 39/6 - وانتظر ما قبلها وما بعده.

² - سورة القصص: الآية 68.

1 ونوصية الرسول له، وتنصيبه يوم (غدير خم) إماما بحديث الموالة المشهور، ونسمة القرآن نه، في عشر آيات، مؤمنا²، ولأنه ورث سلاح رسول الله، وراثته، وخاتمه، ولأنه هو الذي قضى دين رسول الله، وهو الذي شهد وفاته، وغضبه، وكفنه، ولحدده، وهو الذي نادى الله باسمه يوم بدر: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي³. وهو الذي قال فيه رسول الله: أنت أقدمهم سنما، وأفضلهم علما، وأكثرهم حلما. وقال فيه: من سب عليا فقد سبني، ومن سبني، فقد سب الله. إشارة على ما سنته بنو أمية من لعنة علي، وقلبهم كنيته: (أبا تراب) من تشريف، إلى تحريف⁴.

و علي بن أبي طالب، هو الذي أطعمه رسول الله رمانة، وقال: هذه من رمان الجنة، لا ينبغي أن يأكل منه إلانبي، أو وصي،⁵ وهو الذي قال فيه رسول الله: فضلك على هذه الأمة، كفضل الشمس على القمر، وكفضل

١- اقتبسا عن قوله تعالى: إنما يزكي الله لذاته عنكم الزحسن أن البت ويظهركم نظيرها سورة الأحزاب: الآية 33 أذلة على الحديث المروي في بيت أم سلمة زوجة الرسول: في فضل علي فاضلة وتحسن وحسين حيث أذخراهم الرسول في كتاب قائلة: اللهم إنك نبي أهل ونقد، وهو لاء أهل بيتي ونظري الكليني: الأصول من تكافي: 1/287 - كتاب الحجة - باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة - ع - واحدا.

٢- الطبرسي: الإحتجاج: 1/197 - احتجاج أمير المؤمنين - عليه السلام - على قوم لما مات عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقد جعل "خلافة شورى بينهم" - وجاء في نفس المصدر والصفحة - ١ - ما أنزل الله في القرآن آية يقول فيها (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعني رئيسها وأميرها.

٣- نفس المصدر والباب: 1/204.

٤- نفس المصدر والباب: 1/205 - وانظر: ابن حجر: فتح الباري: 8/73.

٥- نفس المصدر والباب: 1/207.

ضل القمر على النجوم^١. وهو الذي قال فيه أيضاً: يدخل الله وليك الجنة،
وعدوك النار^٢. وقال فيه: أنا سيد ولد آدم، وأنت سيد العرب، والعم و لا
فخر^٣.

ولما اعترف سَنَة الشورى، بفضل علي حين ذكرهم به، قال لهم أمير
المؤمنين: أما إذا أقررتُم على أنفسكم، واستبان لكم ذلك من قول نبيكم،
فعليكم بتفوي الله وحده لا شريك له، وأنهَاكم عن سخطه، ولا تعصوا أمره،
وردوا الحق إلى أهله، واتبعوا سنة نبيكم، فإنكم إن خالفتم، خالفتم الله،
فاذفعوها إلى من هو أهون، وهي نَهَاء^٤.

فتعامزوا فيما بينهم، وتشاوروا، وقالوا: قد عرفنا فضله، وعلمنا أنه
أحق الناس بها، ولكنه رجل لا يفضل أحداً على أحد، فإن ول WOMOها إياه،
جعلكم وجميع الناس فيها شرعاً سواء، ولكن ولوها عثمان، فإنه يهوى الذي
تهوون، فدفعوها له^٥.

ويشتم من هذا الخبر رائحة الطعن على ذي التورين، الخليفة عثمان
بن عفان، لأنّه كان - حسب إدعاء الشيعة الإثني عشرية - مطية الصحابة،
إلى تبديل وصيّة الرسول، ودفعها إلى غير مستحقها.

^١ نفس المصدر والباب والصفحة

^٢ نفس المصدر والباب: 208/1.

^٣ نفس المصدر والباب والصفحة

^٤ نفس المصدر والباب: 210/1

^٥ نفس المصدر والصفحة والباب

كما أن الخبر يذكرنا بشدة على في الحق التي أشار إليها عمر بن الخطاب، عندما فكر في العهد إليه بخلافة بعده، ولكنه كان يخشى ألا يجد الناس عنده رخصة، فيكثر الإختلاف عليه وربما عزلوه أو قطوه^١.

ولم ينقل متكلمو الشيعة وحدهم الأخبار الواردة في مدح علي، وآل البيت إلى حد المبالغة، - كتبوا لهم بالشمس، والقمر، وسائر الكواكب... وأن فضالهم يفوق كل فضل، وبه استحقوا الإمامة دون سائر الخلق - فقد نقل ذلك أيضاً مؤرخون شيعيون كاليعقوبي ونسبوا لشیعین روایة عن علي مرتاً بأنه الوصي، عند احتجاجه على الخوارج، وأخرى عن أبي ذر الغفاري عند طعنه على عثمان، حيث اعتبر آل البيت العترة الهادية، نالوا من محمد الشرف، وبه استحقوا الفضل، فكانوا كالسماء المرفوعة، والكتبة المستوراة والقبة المنصوبة، والشمس الصاحبة، والقمر الساري، والنجوم الهادية، وكشجرة الزيتون، أضاء زيتها، وبورك زندها^٢ "محمد وارث علم آدم، وما فضلت به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، ووارث علمه، أيتها الأمة المنتهية بعد نبيها، أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من آخر الله، وأفرزتم تولايته والوارثة في أهل بيته - لا كلّتم من فوق رؤوسكم. ومن تحت أقدامكم، ولما عان ولـي الله - ولا طاش سيم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة

١- يعقوبي: التاريخ: 110/2 - 111 - 120، 130، 131.

٢- زندها: انعود الذي يفتح به انذر - نفس المصدر: 120/2.

- الطبرسي: الاحتجاج: 207/1 - احتجاج أمير المؤمنين - ع- على "لقوم لما سات عصر بن خطاب، وقد جعل الخليفة ثوري بينهم.

نبه، فأما إذا فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون^١.

وأورد الأربلي، أن الأمة اختلفت في ولادة علي بعد وفاة الرسول، وقالت شيعته وهم كافة بنى هاشم، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الدولي، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبو أيوب الأنصاري، وحابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وأمثالهم من جلة المهاجرين والأنصار - : أنه كان الخليفة بعد رسول الله، لما اجتمع له من صفات الفضل والكمال وزكي الخصال التي لم توجد في غيره، كسبقه لإسلامه، وعلمه، وجاهده، وزهده، وورعه، وقرباته، ثم للنص الوارد في إمامته من القرآن ومن السنة، فمن القرآن قوله تعالى: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون^٢. عندما تصدق على بخاته في صلاته^٣. أو بكسوته في بعض الروايات^٤. "وإذا ثبت هذا، فكلما ثبت الله ورسوله من الولاية، فهو ثابت لعلي" - ع - بنص القرآن والسنة لما وقع في حادثة يوم الدار - وهو اليوم الذي أمر فيه رسول الله علينا أن نصنع طعاماً ويكرم بنى عبد المطلب، وعددهم أربعون رجلاً من أعمامه وأل بيته بمكة في السنة الثالثة منبعثة، بعد نزول قوله تعالى:

^١ - البغوي: التزريح الكبير : 120/2، 138 - الطبرسي: الإحتجاج: 1/207 احتجاج على على القوم نما منت عمر بن الخطاب وقد جعل الخليفة شوري بينهم -

^٢ - سورة العنكبوت: الآية 55.

^٣ - الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 61/1.

^٤ - الكثيني: الأصول من "الكاف": 1/288 - 289 كتاب الحجة - باب ما نص الله عز وجل على الأمة واحداً فواحداً - الصبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن: 6/124 - 129.

وأنذر عشيرتك الأقربين^١. - ثم قال عليه السلام: "من يوازرنى على هذا الأمر، يكن أخي، ووصيبي، وزيرى، وخليقى فيكم بعدي؟" فقال على وكان أصغرهم سنًا: "أنا يا رسول الله وهذا صريح في استخلافه^٢.

وأورد أهل السنة آية: "وأنذر عشيرتك الأقربين" في غير ما أوردتها الشيعة الإثنا عشرية، وأصرروا على أنها من قبيل كل نفس بما كسبت رهينة، ولو كانت من أقرباء الرسول، أو من غير أقربائه، ولذلك فقد روى البخاري عن ابن عباس قال: "ما نزلت: "وأنذر عشيرتك الأقربين" جعل النبي يدعوهن قبائل، قبائل^٣ وعن أبي هريرة - وفي نفس الغرض - أن النبي قال: "يا بني عبد مناف، اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير بن لعوام حمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، اشتريا أنفسكم من الله، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئت". فثبت

- سورة الشعراء: الآية 214.

² - الأربلي: كشف التعمة في معرفة الآيات: 61/1 - 62.

³ الطبرى: تهذيب الأثار: 54/1 - 55/6 في سبب نزول "وأنذر عشيرتك الأقربين" - وعلق ابن حجر على هذا الحديث بـ"أن رسول نما نزلت": "وأنذر عشيرتك الأقربين" جعل بذلك: يا بني غير، يا بني عدي، من بطون قريش. ونداءه للغبائل من قريش قبل عشيرته الأقربين ليكرر إنذار عشيرته، ودخول قريش كلها في أقاربه و لأن إنذار عشيرته واقع بالطبع، وإنذار غيرهم يكون بضربي الأولى والأخرى.

ولذا كانت القصة وقعت في صدر الإسلام بمكة، فإن ابن عباس لم يدركها لأنه ولد قبل الهجرة بثلاثين سنة، ولا أبو هريرة لأنهما أسلمتا متأمدين، وفي نداء فاطمة يومئذ ما يقتضي تأخر القصة، لأنها كانت صغيرة أو مراهقة، والذي يظهر أن ذلك وقع سنتين في صدر الإسلام، ورواية ابن عباس وأبي هريرة ثوّة، من مرسل الصحابة للترجمة عن جهة دخولها في مبدأ أنسنة النبوة، ويؤكد ذلك... أن أبا نهب كان حاضراً لذلك، وهو مات في أيام يدر، ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة - عليها السلام - أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس "أي حيث يمكن أن تدعى فاطمة وهي كبيرة، والمرة الأولى دعى و هي صغيرة أو مراهقة، انظر: ابن حجر: فتح الباري بتراجع البخاري: 551/6 - 552 كتاب أمناف - ثاب من انتسب إلى أبيه في الإسلام والجاهلية.

أن رسول الله لا يغنى عن آل بيته، ولا عن غيرهم شيئاً وإنما هي أعمالهم التي تغنى عنهم.

ويرى الأربلي أيضاً أن حديث الغدير: 'من كنت مولاه فعليه مولاه...' هو حديث مجمع على صحته لدى أهل السنة والشيعة معاً، وجوب لعله من الولائية، ما كان واجباً للرسول "وهذا نص ظاهر جلي، لولا الهوى".^١

ولم يختلف علي عن جهاد إلا في غزوة تبوك، خلفه رسول الله على المدينة، تبابة عنه، فقال له علي: يا رسول الله أختلفني مع النساء والصبيان؟ فأجابه - صلى الله عليه وسلم - : "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"^٢. فثبتت وزارة علي للنبي، وثبتت له القيام بكل ما كان هارون يقوم به، ولم يستثن من ذلك إلا النبوة كما أخبر تعالى - على لسان موسى: "وأجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي اشدد به أزري، وشركه في أمري"^٣. ولذلك قال النبي لعلي، في استخلافه على المدينة: "أخلفني في قومي، وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين"^٤. فثبتت له خلافته بحكم التنزيل، فجعل له النبي ما نهارون - ع - عدا النبوة، وجعل له استخلافه، وشدة أزره، وشركته في أمره، وقيامه بنصره، وأمثال هذا كثير^٥.
واعتمد ابن المظير الحلي في إثبات الوصية لعلي بالإمامية، على الكتاب والسنة، وأول، على طريقة الشيعة الإثني عشرية عدة آيات وأحاديث

^١- الأربلي: كشف الغمة في معرفة الآية: 1/62.

^٢- نفس المصدر والصفحة

^٣- سورة طه: الآية 30.

^٤- سورة الأعراف: الآية 142.

^٥- الأربلي: كشف الغمة في معرفة الآية: 1/62-63.

لتكل على ولایة علی بن ابی طالب، علی المسلمين بعد الرسول، من ذلك آیة: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلْتِ إِلَيْكَ" التي اتفق الشیعہ علی نزلها فی علی، وأن الرسول أمر بتتبیغ الوصیة نه، فلما نزلت أخذ بید علی فقال: "من كنت مولاه، فعی مولاه... ولنبوی مولی ابی بکر وعمر، والصحابة، بالإجماع، فیكون علی مولاه، فیكون هو الإمام".

وانشر خبر الولایة فی البلاد - حسب ادعاء الحنی - وبلغ الحارت بن النعمان الفهري، وهو في ملأ من أصحابه بالأبطح، فقال: "يَا مُحَمَّدُ أَمْرَتَ بِالشَّهادَتَيْنِ، وَبِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجَّ، فَقَبَلَنَا مِنْكَ ثُمَّ لَمْ تَرْضِ حَتَّى رَفَعْتَ بِضَبْعِي^۱. أَبْنَ عَمِّكَ فَفَضَّلْتَهُ عَلَيْنَا، وَقَلْتَ: مَنْ كَنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَیْهِ مَوْلَاهٌ، فَبَلَّ كَنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ فَحَدَّثَنَا؟" فقال: "أَيُّ - وَاللَّهُ - مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَوْلی الحارت وهو يقول إن كان هذا هو الحق من عندك، فامطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل حتى رمأ الله بحجر، فسقط على هامته فقتله، ونزل قوله تعالى: سأّل سائل بعذاب واقع^۲".

هذه هي رواية الشیعہ، أما مفسرو أهل السنة، فلم يوردوا أن هذه الآیة نزلت فی علی، ومن ذلك ما ذكره الطبری من كونها نزلت فی أعرابی كان هم بقتل رسول الله فکفاه الله شره، وقيل إنها نزلت لأنه كان يخاف قريشاً فامته الله متهم، وأمره بتتبیغهم، وتتبیغ اليهود والنصاری رسالته.

ونذلك أمر رسول الله حراسه من المسلمين أن ينصرفوا، ويتحفوا بمالحفهم، لأن الله عصمه من الكافرين بقوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلْ

^۱ - بضعی بن عک: بعضی بن عک و العضد: هو بين المرفق إلى الكتف.

سورة "المعراج": آیة ۱

إِنَّكَ مِنْ رَبِّكَ وَأَنْ لَمْ تَعْلُمْ فَمَا بَلَغَتِ رسالاتِهِ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي النَّقْوَمَ الْكَافِرِينَ^١.

وردَ ابن تيمية على ما ذهب إليه الحلي، من كون هذه الآية نزلت في الوصيَّة لعلي بالإمامَة، بأنَّ ما اعتمد عليه الرافضي في ذلك هو عبارة عن روایات متفق على تلقيق بعضها، وعلى أن بعضها الآخر روایات ضعيفة وواهية، لأنَّ ما ذكره النبي يوم (غدير خم)، في حجة الوداع من موالة علَى، لا يتفق مع قصة الحارث بن النعمان الفهري المذكورة، ومع نزول قوله تعالى: 'سَأَلَ سَائِلٍ ثُمَّ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ أَنْحَقُ مِنْ عَنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَرًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ ائْتُنَا بِعِذَابَ أَلِيمٍ'^٢. لأنَّ (سَأَلَ سَائِلٍ) نزلت قبل الهجرة بمكة، (وَإِذَا قَالُوا: اللَّهُمَّ...) نزلت عقب بدر بالاتفاق، والمفسرون متفقون على أنها نزلت بسبب ما قاله المشركون للنبي بمكة، كأبي جهل وذويه، ولم تنزل عليهم حجارة من السماء، ولو كان الحارث قد نزل عليه حجر فقتله، لكن آية من جنس أصحاب الفيل^٣.

وذكر الإمام محمد الطاھر بن عاشور، أنَّ هذه الآية في سورة العنكبوت، وهي من أواخر سور نزولها، وقد بلغ الرسول الشريعة وجميع ما أنزل إليه، فليس في الحال ما يقتضي أو يؤمر بتبنیع. والظاهر أنَّ الآية المذكورة نزلت

١- سورة العنكبوت: الآية 69.

٢- الطبراني: جامع الأنبار عن تأويل القرآن: 10/467-472.

٣- سورة الأنفال: الآية 32.

٤- ابن الصطري الحلي (ت. 726هـ/1326م): منهاج الكرامة في معرفة الإمامية ضمن المتنقى من منهاج الاعتدال: ص 422-425 تلخيص الحافظ الذهبي (ت. 748هـ/1347م).

٥- ابن تيمية (ت. 728هـ/1328م): منهاج السنة النبوية وتلخيص الحافظ الذهبي: المتنقى: ص 422-425.

بسبب خاص اقتضى إعادة تثبيت الرسول ثانية، بثبيت قلبه، وشرح صدره،
يأن يدوم على تبليغ الشريعة، ويجده في ذلك، ولا يكترث بالطاعنين من أهل
الكتاب والكفار، إذ كان نزول هذه السور في آخر مدة النبي - صلى الله عليه
وسلم - لأن الله دائم على عصمته من أعدائه، وهم الذين هون أمرهم في
قوله: يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر^١. فهم المعينون
من "الناس" في هذه الآية، فالمامور بتبليغه، بعض خاص من القرآن^٢.

وذكر الحنفي رواية أبي سعيد الخذري أن النبي "دعا الناس إلى (غدير
خم)، وأمرها بحث الشجر من الشوك، فقام فأخذ بضبعي علي فرفعهما حتى
نظر الناس إلى باطن أبيضي رسول الله، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت: 'اليوم
أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا'^٣. فقال
رسول الله: الله أكبر على إكمال الدين، ورضي الله برسالتي وبالولاية
لعني من بعدي، ثم قال: 'من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه،
وانصر من نصره، واحذل من خذله'^٤.

وعلى ابن تيمية على هذه الرواية الشيعية أنها من الموضوعات باتفاق
أهل العرفة وقد ثبت أن الآية المذكورة نزلت على الرسول، وهو واقف بجبل
عرفات قبل يوم الغدير بسبعة أيام، ثم أنه ليس فيها ما يدل على أمانة علي،
ولا أنه المقصود بها بوجه من الوجوه^٥.

^١- سورة العنكبوت: الآية 41.

^٢- الإمام محمد الطاھر بن عثیور: انحراف والتقویہ: 255/6 - 264.

^٣- سورة المائدۃ: الآية 4.

^٤- الحنفی: منهج انکرامه، ضمن المنقى لمنهج الإعتدال، وتخیص الحفظ الذهبی: ص 425.

^٥- نفس المصدر وانصفحة

وَظَاهِرُ الْآيَةِ، لِدِي أَهْلِ السَّنَةِ، يَعْنِي أَنَّ التَّشْرِيعَ الْحَاصلَ بِالْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ، صَارَ كَفِيًّا لِهُدِيِّ الْأُمَّةِ فِي عِبَادَتِهَا، وَمُعَامَلَتِهَا، وَسِيَاسَتِهَا فِي سَائِرِ الْعَصُورِ، بِحَسْبِ مَا تَدْعُوا إِلَيْهِ الْحَاجَةِ، وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، بَعْدَ يَوْمِ حَجَةِ الْوَدَاعِ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ تَحْلِيلًا وَلَا تَحْرِيمًا، وَلَا فِرْضًا، وَبِذَلِكَ غَلَبَ الْإِسْلَامُ عَلَى بَلَادِ الْعَرَبِ وَانْتَشَرَ، وَتَمَكَّنَ الدِّينُ وَخَدْمَتَهُ الْفَوْةُ، فَأَصْبَحَ مِنْ هُوَبًا أَيْسَهٌ^١.

وَاسْتَدَلَ الْحَلِيُّ عَلَى الْوَصِيَّةِ لِعُلَيِّ الْإِمامَةِ، بِرَوَايَةِ أَبْنَى عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي مَرْضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «أَنْتُونِي بَدْوَاهُ وَبِيَضَاءَ لِأَكْتَبَ لَكُمْ كِتَابًا، لَا تَضَلُّوا مِنْ بَعْدِي»، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَهْجُرُ، حَسِبْنَا كِتَابَ اللَّهِ». فَكَثُرَ الْغُطُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اخْرُجُوا عَنِّي، لَا يَنْبَغِي التَّنَازُعُ نَدِيٌّ، قَالَ أَبْنَى عَبَّاسٍ: «الرِّزْيَةُ كُلُّ الرِّزْيَةِ، مَا حَالَ بَيْنَنَا، وَبَيْنَ كِتَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -».

لِأَنَّهُ كَانَ فِي رَأْيِ الْحَلِيِّ وَالشِّيَعَةِ عَمومًا - يَنْوِي أَنْ يُوصِي لِعُلَيِّ بالخِلَافَةِ بَعْدِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، لَوْلَا كَثْرَةُ نِفْطَهُمْ، وَوَقْوفُ عُمَرَ حَانِلَا دُونَ ذَلِكَ^٢.

وَرَدَ أَبْنَى تَيْمِيَّةَ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ بِأَنَّهَا مِنَ الْمُوْضُوْعَاتِ، لِأَنَّ الشِّيَعَةَ يَعْتَبِرُونَ اسْتِحْقَاقَ عَلَيِّ الْإِمامَةِ، بِنَصِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ نَصَّا جَلِيَا ظَاهِرًا مَعْرُوفًا، وَحِينَئِذٍ فَلَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابِهِ، وَإِذَا كَانَتِ الْأُمَّةَ جَدَّتِ النَّصِّ الْمَعْلُومِ الْمُشْهُورِ - فِي رَأْيِ الشِّيَعَةِ - فَكَيْفَ لَا تَكُونُ كِتَابًا حَضُورًا

^١ - الإِسْمَاعِيلِيُّ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَثْمَانٍ: التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ؛ 6/102-208.

^٢ - المُنْتَقَى وَتَلْخِيقُ الْحَقْظِ الْذَّهَبِيِّ؛ ص 347-350.

طائفة قليلة منهم؟ وكيف يجوز أن يؤخر الرسول هذا الأمر العظيم إلى مرض موته؟ وكيف يحون بيته وبين كتابته أحد صحابته، وهو مأمور بصرريع الآية - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك 'بتبليغ رسالة، لا يخاف في أدانها نومة لائم" فعلم أنه لما ترك الكتاب، لم يكن كتاباً واجباً، ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ، إذ لو وجب لفعله، وما مثل عمر بأعظم ممن يقضى مجتهداً بأمور، يكون النبي قد حكم بخلافها، إذ الشك في الحق أخف من الجزم بنقضه يعني أن عمر ليس قادراً على الإجتهد في أمور قد حكم النبي برأي مخالف له فيها.^١

وَحْجَةُ ابْنِ تَمِيمَةِ عَلَى مَا ذُكِرَ، رَوْاْيَةُ أَهْلِ السَّنَّةِ لِقَصْبَةِ هَذَا الْكِتَابِ الَّتِي
وَرَدَتْ فِي الصَّحِيفَتَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرْضِهِ: إِذْعِي أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ
أَنْ يَتَمَنَّى مَتَمَنٌ، وَيَقُولُ قَاتِلٌ: إِنَّا أَوْلَى بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنَا بِكَ.²

وفي صحيح البخاري قلت عائشة: أوارأساه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذلك لو كان وأنا حي فلستغفر الله، وادعو لك. فقلت: وإنكلاه، والله أنتي لأضنك تحب موتى، فلو كان ذلك لظلت آخر يومك معرسا ببعض أزواجهك، فقال - صلى الله عليه وسلم - : بل أنا وأوارأساه. لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقولون القائلون، أو يتمنى المتمتنون ويأتي، الله، والمؤمنون.

١- نقد المصنف والصيغة

- نعم ، "الحمد لله ، والصلوة

وفي صحيح مسلم عن أبي ملائكة: سئلت عائشة رضي الله عنها - من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - مستخلفاً أو استخلف؟ قالت: أبو بكر. قيل لها: فمن بعده؟ قالت: عمر. قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبد الله...¹

وذهب بعض الشيعة المعاصرون كمحمد الحسن آل كاشف الغطاء، إلى أن الدعوة إلى التشيع كانت تسير جنباً إلى جنب مع ظهور الإسلام، وأن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارس هذه البذرة، أي الوصية لعني، يتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد مماته². ويعني ذلك أن الوصية

¹- نفن المصادر والصفحة.

²- أصل الشيعة وأصولها: ص 87-88.

- يرى بعض الشيعة القدامي والمحدثين كالكتابي ومحمد الحسين أن كاشف الغطاء أن الوصية لعني يدل جنباً على جنب مع ظهور الإسلام، وغالب بعضهم الآخر في إثبات الوصية إلى درجة اعتبار أنها كانت موجودة لعلي والأئمة الآخرين عشر قبل ظهور الإسلام، وأشارت إليها الكتب السماوية مثلاً تجات على لسان عيسى في الانجيل برسول يأتي من بعده اسمه أحمّد: قال عيسى بن مریم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمّد (سورة الصف: الآية 6). ولذلك أورد الكراچكي أن النص على الأئمة الآخرين عشر نقل عن الكتب المقدسة قبل بعثة النبي؛ ومنه ما هو موجود في السفر الأول من التوراة في بشارة آش - تعالى - خليله إبراهيم يونده اسماعيل، حيث قال له بعد ذكر اصحاب: "فاما اسماعيل فقد سمعت دعك فيه، وقد باركته، وستمره، وأكثره جداً جداً وأجعل منه النبي عشر شريفاً، يولدون، واجعله حزيراً عظيماً" وذكر المؤلف أنه قد اعترض على رأيه هذا، لاحتجاجه بتوراة منسوخة، دخلها تحريف بالزيادة والنقصان، فلجاب أن النسخ يكون في الأوامر والتواهي دون الأخبار، لأن الأمر والتهي مفروضان بالتصالح، فإذا اختلفت في معلوم الله، غير وجل، وجب فيها الاختلاف فكان نسخاً في العادات، والخبر شيء عن كل، فمعنى لم يكن أشخبر به صار الخبر كثيناً، والله متزه عن ذلك، سبحانه وتعالى، ولما للتغيير العتراض للتوراة وليس بزجاجة فيها دالة على فخر الإسلام، وفضل لأن بيت رسول الله صلى

نعي بالامامة لم تكن مرة واحدة، وإنما كانت في مناسبات عديدة، من باب التشكير والتعهد لأن الذكرى تنفع المؤمنين، وهو ما يمكن أن يطبق على

الله عليه وسلم، وإنما من طبيعة اليهود حذف هذا، وزيادة ما ينفيه، وإنما انفوا على شيء منه فهو من فضل الله ليس مثل به الشيعة، وشبيه بهذا ما أنكرته أهل السنة تناصبة - في رأي الشيعة - تكثير من فضائل آل البيت واعترفت بالبعض الآخر (انظر: الكافي الأصول من الكافي: 1/293 - كتاب الحجة - بباب الإشارة والتنص على علي - انظر كتاب الكراجكي؛ الاستبصار: مخطوط: 1/2 - 12/باب 13 - 13/باب).

ورد في سفر الانكوبين من كتاب المقدمن: العدد الأول ص 26 - 27 من الفصل السادس عشر: (21) قول رب لا يرباهيم: «وَمَا لِسَاعِيلَ قَدْ سَمِعْتُ فُولَكَ فِيهِ، وَهَا أَنَا أَبْرَكُهُ، وَأَنْفِي، وَأَكْثُرُهُ جَدًا، وَبِكِ اثْنَيْ عَشْرَ رَبِّيْسَا، وَاجْعَلْهُ أَمَةً عَظِيمَةً» وهؤلاء هم أبناء ساعييل، وليسموا الأئمة الائتمي عشرية لدى الشيعة.

وقد رد ابن كثير (ت. 774هـ/1373م) على هذا الادعاء قائلاً: «وفي التوراة الذي يأديي أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر ابراهيم باسعيل، وأنه ينميه ويذكره ويجعل من ذريته إثنى عشر عظيماً. قال شيخنا أبو انباس بن تيمية (صاحب منهاج السنة النبوية): وهؤلاء الصبر لهم في حديث جابر بن مسرة، وقرر أنهم لا تقوم الداعة حتى يوجدوا، إنذارة إلى الحديث الذي رواه (مسلم في صحيحه 12/201-203 - كتاب الإمارة بباب الخلافة في قريش)، وأضاف ابن كثير - نخلا عن شيخة ابن تيمية حول الأئمة الإثنى عشر التواردين في الحديث المذكور - «وغلط كثير من تشرف بالإسلام من اليهود، فطنوا أنهم الذين تدعوا إليهم فرقه ترافضة فاتّبعوهم...» (و) عن كعب، قال: إن الله وهب لاسعاعيل من صلبه إثنى عشر قيماً، فأصلحهم أبو بكر وعمر وعثمان» (ابن كثير، البداية والنهاية: 6/250).

ويسك برأي الكراجكي المذكور شيعي معاصر هو: السيد محمد علي، في كتابه (خلفاء الرسول الات عشر - ص 185 - 190) باعتمار أن ما ورد في التوراة وفي صحيح مسلم، هو إشارة إلى الأئمة الإثنى عشر، ورد على ابن كثير في قوله دون أن يتغير إلى شيخة ابن تيمية، واعتبرت هذه الأحاديث موضوعة، بشهادة شيعي معاصر هو الإمام موسى الصدر، الذي قات: «ولعل الأحاديث التي تحدث في عدد الأئمة الإثنى عشر، وتنظر أن اختبار هذا العدد هو نكوهه عدد أبراج النساء، وعدد الشهور، وعدد اليدابع المفجرة من لحجر بعضها موسى، وكلها إثنا عشر، هذه الأحاديث من أوضح هذه المخالفات والمطابع في الكتاب الناقدة والتارحة (الكافي) ولغيرها يرى بوضوح ما قلناه من مقدمته تكذيب (هنري كوزيان): تاريخ الفلسفة الإسلامية ص 28 وانظر - ص 97.

قصة الكتاب الذي أراد الرسول أن يمليه على المسلمين في مرضه حتى لا يتضروا بعده أبداً، وشبيه به ما ورد في حديث آخر للرسول من طريق أهل السنة وهو قوله: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضروا بعدي أبداً: كتاب الله، وسنتي^١. وبذلك يظهر أن الحاجة لهذا الكتاب لم تعد واجبة، بوجود الكتاب والسنة كمصدرين للتشريع الإسلامي، ولعدم احتياج المسلم لغيرهما إن هم تمسكوا بهما. ومن ثم فقد ذهب الإمام محمد الطاھر بن عاشور، في تأویله لقصة الكتاب المذكور، إلى أنه لم يكن فيما يرجع إلى التشريع، لأنّه نوّ كان كذلك لما أعرض عنه، والله يقول: بلغ ما أنزل إليك من ربك^٢.

وأورد البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت لمسروق: ثلاثة من حديثك بهن فقد كذب: من حديثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالاته^٣. وما ذلك إلا لأن القرآن جامع أصول الأحكام، وهو الحجة على جميع المسلمين، ولو أنهم لم يكن عندهم غير القرآن لكيافهم في إقامة الدين، لأن كلياته، وأوامره المفصلة ظاهرة الدلالة، ومجملاته تبعث المسلمين على تعرف بيانها، من استقراء أعمال الرسول، وسالف الأمة المتقدمين عنه، ولذلك لما اختلفت الصحابة في شأن كتابة النبي لهم كتاباً في مرضه قال عمر حسبنا كتاب الله، فلو أن أحداً قصر نفسه على علم القرآن فوجد: أقيموا الصلاة - وأنوا حفه يوم حصاده (الزكاة) وكتب عليكم الصيام

^١- الترمذى: السناقب: 31.

^٢- سورة العنكبوت الآية 69.

- وأتموا الحج والعمرة لـ تطهير بيان ذلك مما تقرر من عمل سلف الأمة، وأيضاً ففي القرآن تعليم طرق الاستدلال الشرعية كقوله: "ولو ردوه إلى الرسول، وإنى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم".^١

روى مسروق عن عائشة أنها قالت: "من حذك أن رسول الله - على الله عليه وسلم - كتم شيئاً من أمر الوحي فقد كذب ثم فرأت: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك" وروى مسروق عن عائشة أيضاً أنها قالت: "من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم - : كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله انفرية، والله يقول: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك..."^٢.

وأورد الحلي ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً بن مالك قال لسلمان الفارسي، سُل النبي: من وصيه؟ فسألته فقال: يا سلمان من كان وصي موسى؟ قال: يوشع، قال: فإن وصي ووارثي على"^٣.

ورد ابن تيمية على الحلي، أن هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل الذي صنف في فضائل الصحابة كتاباً، ذكر فيه فضائل الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجماعة من الصحابة، وجاء فيه الصحيح والضعيف للتعریف به، وليس كل ما رواد في مرتبة الصحيح لأن في الكتاب زيادات من روایة ابنه عبد الله ابن حنبل، وزيادات واهية، من روایات القطيعي (273هـ/887م - 368هـ/979م) في المسند، ظنها الرافضة من روایة

^١ سورة النساء: الآية 82.

^٢ تطهيري ك جامع البيان عن تأويل القرآن: 10/471-472 - محمد الطاهر بن عثيمين: تحرير وبيان: 6/104-105، 261.

^٣ الحلي: منهاج الكرامة، ضمن المتنقى وشخص الحافظ الذهبي - ص 307.

أحمد¹. أضف إلى ذلك أن (المامقاني) نقل في كتابه: (تفريح المقال)، عن محمد بن عمر الكشي (ت. 317هـ/928م) عمدة علماء الشيعة في الجرح والتعديل، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه، ما ذكره أهل العلم من أن عبد الله ابن سبأ كان يهوديا فاسلاً، ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون أنه وصي موسى، فقال في إسلامه في علي أنه وصي محمد، وعلى ذلك يكون ابن سبأ مخترع لقب الوصي لعني بن أبي طالب، إن صحت هذه الرواية التي تفرضها أغلب المصادر الشيعية. ولكن يظهر أن الكشي (ت. 317هـ/929م)، وغيره من مؤلفي الشيعة كالأشعرى القمي (ت. 301هـ/914م) استقوا هذه الرواية عن أقدم المصادر الكلامية الشيعية، وبالإعتماد على المصادر الكلامية والفقهية نستطيع أن نقف بوضوح على آراء ابن سبأ ومصادرها، وهو أمر له أهميته، لأن آرائه تعتبر الإطار النظري لسائر فرق الشيعة المعتمدة منها والغالبة على السواء.

ومن هذه المصادر ذكر: (فرق الشيعة) للنوبختي الذي تحدث عن اس比ئية بما نصه: "فَلِمَا قُتِلَ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - افْتَرَقَتِ الْفَرَقُ" التي ثبتت على إمامته، وأنها فرض من الله - عز وجل - ورسوله - عليه السلام - فصاروا فرقاً ثلاثة: فرقة منهم قالت: إن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاء، ويملا الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجحوداً، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقوف بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبيئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان منهن أظهر الطعن على أبي بكر

¹ - نفس المصدر - ص 307 - 308

وعمر وعثمان، والصحبة وتبرأ منهم، وقال: إن عليا - عليه السلام - أمره بذلك. فأخذه علي فسأله عن قوله فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعى إلى حكم أهل البيت، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصبره إلى المدان، وحكي جماعة من أهل العلم من أصحاب علي - عليه السلام - أن عبد الله بن سباً كان يهودياً فأسلمه ووالى علياً - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى - عليه السلام - بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في علي - عليه السلام - بمثل ذلك، وهو أول من شهد القول بفرض إمامية علي - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه، وكشف مخالفيه، فمن هذك قال من خالق الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بنع عبد الله بن سباً نعي علي بالمدان، قال للذى نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة، وأقمت على قته سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض¹.

ولذلك يعتبر ابن سباً - في نظر النوبختي - والكتشى، والأشعرى، والقىمى، والمسافانى، والشهرستانى، أول من أظهر القول بالنصر على إمامية علي، وأول من أمن بالوصية، وأعلن أن أباً بكر وعمر وعثمان أخذوا الخلافة بغير حق، وتبرأ منهم، ومن كل ما انكر إمامية علي، وكفرهم مدعاً أن علياً أمره بذلك، ولما سأله علي عن قوله هذا، أقر به فأمر بقتله، فصاح

1- النوبختى: فرق الشيعة - ص 27-28.

- الدكتور علي الشابى: الشيعة فى ايران - ص 27.

الناس: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلاً يدعوا على حبكم آل البيت، ففاه على
إلى المدائن¹.

وبالإضافة إلى كون جذور الوصية التي ظهرت على يد ابن سباء -
تعود إلى الديانة اليهودية - فقد عرف السبئية فكرة الوصية أيضاً من مدينة
الكوفة، ورثة المدائن الفارسية... الكوفة التي كانت تتعج بالآراء والمناوشات
والنحل، وهي التي صدرت عنها آراء السبئية، فتوزع أتباعها على قسمين:
قسم أسلم بحق، ولم يستطع التخلص مما ألم، فحاول التوفيق بين تراثه،
 وبين الإسلام الذي آمن به. وقسم أسلم ظاهرياً، وأبطن ديانته الموروثة،
ويعتبر ابن سباء من أولئك الذين اسلموا ظاهرياً، وأرادوا تقويض الإسلام من
الداخل، لتعلقه الخفي بديانته اليهودية، وبتراثه وأهوائه².

وإن صحت الرواية يكون ابن سباء قد حمل الإسلام هذه الوصية التي
ليست من مبادئه، "لأنه أبي". أن ينفصل عن معين اليهودية التي عرفت
الوصية أساساً، ولم يستسغ الحرية التي مارسها المسلمون في اختيارهم
للخليفة بعد الرسول، فرکن إلى يهوديته ينهى منها ويحرف بها الإسلام³.

١- النوخني: فرق الشيعة - ص 27-28.

٢- الشيرستاني: العلل والنحل: ١/٢٧ ذيلاً لكتاب بن حزم: (الفصل)

٣- الأشعري الفسي: المقالات والفرق - ص ٢٠- ٢١ النقق عن الدكتور علي الشامي: الشيعة في
إيران - ص 28.

٤- الدكتور علي الشامي: مباحث في علم الكلام والفلسفه - ص ٥٧.

٥- الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران - ص 27.

٦- الدكتور علي الشامي ك مباحث - ص ٥٠- ٥١.

ولم يخف سبب قوله هذا عن كتاب الفرق، فذكروا أنه نقل الوصية عن اليهودية، فكما أن يوشع بن نون وصي موسى، فكذاك علي وصي الرسول، ولكن النبي وصي .

وبذلك يكون ابن سبأ قد آمن بالتتساخ، وصبه على دعواه في الوصية يعني أن روح النبي -حسب زعمه- انتقل بوفاته إلى علي مباشرة، وستنتقل في سلالته واحداً بعد واحد بهذا الشكل من التتساخ، ولكن أبو بكر وعمر وعثمان ومن جاء بعدهم، اغتصبوا الخلافة من علي والله. ومن ثم فالوصية استمرت للشريعة، وتجدد لها، حتى لا يوكل أمر الإمامة إلى العامة الموسومين بقصر النظر، وغلبة الأهواء والمطامع عليهم، وحتى يدرأ عن المجتمع الوهن والخلاف.

ويتمكن أن نتلمس في الوصية سبباً سياسياً يتبدى في رغبة الدعاة في السيطرة على الأتباع وتوجيههم إلى حيث يريدون، وإلزامهم بالطاعة، مما دامت الوصية أمراً إلهياً غير قابل للنقض².

ولذلك قال الشاعر الشيعي السيد الحميري في التغني بالوصي:
إني أدين بما دان الوصي به، وشاركت كفه كفي بصفينا،
في سفك ما سفك منها إذا احضرها، وأثيرز الله للفسط الموازيانا،

- الشوكبي: فرق الشيعة - ص 27 - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك: 3/340 - دار المعارف بمصر.

الحادي: الفرق بين الفرق: ص 233 - 236 الشهري: السل والحل 11/2 ذيلا كذلك ابن حزم: الفصل.

- الدكتور علي الشبلي؛ عباحث - ص 50-51.

² أبو الريحان البيروني - في تحقيق ما للهند من مقوله مفيولة أو مرذولة - ص 38 - 51.

- الدكتور عني الشبلي: النسخة في إبران صن 29.

ذلك الدماء معا، يا رب في عنيقى، ثم اسقنى مثلها أمين أمينا،
أمين من مثلهم في مثل حالي لهم، في فتية هاجروا في الله شارينا،
ليسوا بريدون غير الله ربهم، نعم المراد توكه المریدونا.¹
ولغلو ابن سبا فقد انكر الشيعة علاقة مذهبهم به، زاعمين عدم وجوده،
وأن أعداءهم الأمويين خاصة، هم الذين أطلقوا على عمار بن ياسر - أحد
الصحابية المتشيعين لعنى لقب ابن سبا، وابن السوداء².

ويزى المظفرى - وهو شيعي معاصر - : إن من زعم أن أصل التشيع بدعة ابن سبا فهو واهم، وقليل الدراءة بمذهب التشيع³، واعتبر بعض المستشرقين - مثل (كيباتانى) في كتابه (حوارات الإسلام) و(فلها وزن) في كتابه (الخوارج والشيعة) وبعض الباحثين من العرب المعاصرين كطه حسين - ابن سبا اسطورة اخترعت في عهد متاخر وهو العهد العباسي⁴. أو "أن الشيعة في القرن الثاني الهجري، أرادوا التخفيف من وطأة المظالم التي لحقت بهم، فانطلق خيالهم إلى ابن سبا، يدّفع له صورة

دیوان الشیخ "حمیری - ص 418

^٢ - على أنور بي وعاظ المسلمين - ص 247-278

⁴³ مصطفى كمال الشيبى: "صلة بين التصوف والتثنية" - ص 40 - 43.

- منضي عسكري: عبد الله بن سبا - ص 6، 25-26، 195 - التقل عن الدكتور علي اشباحي ك الشيعة في إيران - ص 25-26-27.

محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل التشيعة وأصولها - ص 84.

³ المصطفى: تاريخ الشيعة - ص 10 - النقل عن احمد محمود صبحي: نظرية الامامة لدى الشيعة الائتني عشرية - ص 31.

¹ - دائرة المعارف الإسلامية: 14/61 - مادة (الشيعة) - فلها وزن: الخوارج والشيعة - ص

¹⁶⁷⁻¹⁷⁷ رأي كيداني نقلناه عن د. الشامي: الشيعة في إيران ص 26.

- سه حسین: الفتنة الكبرى؛ عني وبنوه: 42/2، 43-93-94.

من البطولة والفاء، لا يمكن أن تتحقق إلا في العصر العباسي، فضلاً عن
الحكمة والإحکام، والتقطیم في أنس الدعوة، وتجدد الدعاة التي تبی عن
فترقة تالية لعهد عثمان. على أن هذا الفرض باطل من أساسه، لأن الشیعة هم
الذین حملوا عمر بن یاسر لتشیعه، ومنافحته عن علی، الاراء الشائعة في
ذلك، فاستقطبت ما اعتبره حججاً لإثبات هذا المعنی وسلكت في ذلك طرفاً
مختلفة.^١

ويذهب احمد محمود صبحي إلى إنكار شخص ابن سبا أيضاً،
واعتباره أسطورة اخترعها أهل السنة، لغطية الأخطاء التي ارتكبت بسبب
الخلافة، وما أدت إليه من حروب أهلية يأبى وجدان المسلم، أن يتصور أنها
صدرة عن بعض الصحابة الذين حرموا مع الرسون، وشاركوا في وضع
أنس الدولة الإسلامية. ولا بد من إلقاء نبعة كل ذلك على شخص غريب على
الإسلام، اندس ليكيد له، واتصف بالحقارة والخساسة، فهو اليهودي، ابن سبا
تارة، وابن السوداء تارة أخرى، وهذا في التاريخ السياسي، أما في التاريخ
الفكري فعلى عاته يقع أكبر انشقاق عقائدي في الإسلام بظهور الشیعة...
ولكن آليس عجباً أن يبعث دخيل في الإسلام، كل هذا العبث، فيحرك تاريخ
الإسلام السياسي "والعقائدي" معاً، على النحو الذي تم عليه، وكبار الصحابة
شهود.^٢

- الدكتور عني الشابي: الشیعة في بیزان - ص 26.

² احمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشیعة الإثنتي عشرية ص 39-40 - وردت
كلمة العقائدي هكذا، وانصحی أن تصاغ نسبة من المفرد بقول: العقدی.

وعلى كل فرغ إثارة الشكوك حول شخصية ابن سباء، فإن تاريخه ثابتة لورود ذكره في المصادر الشيعية والسننية على السواء، مثل تاريخ الطبرى (ت. 310هـ/922م)، و(فرق الشيعة) للتوبيخى (ت. 310هـ/922م)، وهما معتبران من أقدم المصادر التي ذكرت ابن سباء، وأنه أول من أظهر القول الوصيى لعلي بن أبي طالب بالإمامية^١.

وإذا كان الشيعة الائتia عشرية، قد اعتمدوا على منهج سعى، في إثبات الإمامة، تعرضوا من خلاله لقضية الوصيى، والنص على الأئمة، فإن بعض خصومهم قد سلكوا في الرد عليهم، منهاجاً عقلياً مناقضاً لمسارهم، ومن هؤلاء نذكر أبا حامد الغزالى الذى رد على مدعى الإمامة لشخص معين من عترة الرسول، بكونه يفتقر في إدعائه إلى نص متواتر عن رسول الله يثبت إمامته على، وبينتهى في الوضوح إلى حد الخبر المتواتر في وجود الصحابة كعلى ومعاوية وعمرو بن العاص، فإنها بالتوافق عرفنا وجودهم، وبهما ادعت الشيعة توافق النص على إمامية على زمان الرسول، فإنهم مفتقرون إلى حد التوافق بعده في كل عصر ينفرض حتى لا يزال التقل متواتراً على تفاسخ الأعصار، وإنقراض القرون، بحيث يستوي في بلوغ المخبرين حد التوافق، طرف الخبر وواسطته، وهذا ممتنع يفتقر في كل واحد من علي وأولاده إلى أمور هي:

أن يثبت أن كل إمام مفترض الطاعة، مات عن ولد ونم يمت أبتر، وأن يثبت أيضاً أن كل واحد منهم نص على ولده، قبل وفاته، وجعله ولـي

^١ - الطبرى: تاريخ البرىء والملوك: 340/3 - نسخة دار المعارف بمصر - التوبخى: فرق الشيعة: ص 27-28.

عهده، وعيشه من بين سائر أولاده، فانتصب للإمامية بتوسيعه، ولم يمت واحد إلا بعد التنصيص، والتعيين على ولد عهده، وكل ذلك يكون ثابتاً بالتواتر وأن ينقل خبر بالتواتر أيضاً أن رسول الله جعل النص على جميع أولاده بالإمامية بمنزلة نصيه في وجوب طاعة الله، وأن استحقاقهم للإمامية هو استحقاق من جهة الله، تعالى؛ حتى لا يتصور وقوع الخطأ لواحد منهم في التعيين، وأن ينقل بالتواتر بقاء العصمة والصلاح للإمامية من وقت النص على من نص عليه، إلى وفاته، وبعد نصيه على غيره، فمن سيخلفه في المنصب الإلهي¹.

واعتباراً بهذه الشروط التي وضعها الغزالي كمقاييس للتواتر النص على الأئمما، فإنه يقرر أن انحرام رتبة من هذه الرتب، يسقط دعاوى الشيعة في قضية الوصية لعني أو لباقي الأئمما. ولذلك فإنهم لو أثبتوا تواتر نص كل إمام منهم، وجود ولده في العصر الأول، فلا يغنيهم ذلك حتى يثبتوا تواتره أيضاً، في سائر الأعصار الموالية، بعده عصراً بعد عصر، وهي أمورٌ ثبتت بالتواتر، لأنصحت معلومة كما نعلم وجود الأنبياء، وجود الأقطار التي لم تشاهد كالصين، وفيروان المغرب، وجود الواقع كحرب بدر وصفين، ولا يشترك الناس في دركه، حتى كان لا يقدر أحد على أن يشكك في نسبة، ومن ثم فإن دعاوى الشيعة في قضية النص على الأئمما، دعاوى

¹ - الغزالي: فضائح الباطنية ص 133 - 134.

باطلة، ويدعم هذا البطلان اختلافهم حول وجود بعض الأئمة، وهن أن أباء خلف ولدا أو لم يخلف ولدا كما اختلفوا أيضاً في السوق والوقف.¹

وأختلفوا أيضاً في المهدى المنتظر، ونسبة كل فرقة من فرقهم على نفسها، وأختلفوا في ظهوره حتى داخل الفرق الواحدة، فقال بعضهم: الإمام موجود وليس يظهر تقية، وقال آخرون هو ظاهر، ولم يزد هذه الاختلافات خصوم الشيعة فحسب كالغزالى، وإنما زدت أقسام المصادر الشيعية مثل: (فرق الشيعة) لنوبختي². (ت. 310 هـ/922 م).

ويرى الغزالى أن اختلافهم المذكور يدل على تعدد أخبار الأحاداد لديهم، يصدقها البعض وينكرها البعض، وأخبار الأحاداد لا تورث إلا الظن، والظن لا يعني من الحق شيئاً، وهي نقض صريح لأخبار التواتر التي اشترطها الغزالى لصحة النص على الإمام، ولذلك فقد استبان أن ما ذكره الشيعة من أدلة سمعية، هو طمع في غير مضمون، وفرز إلى غير مفزع، ومثالهم في الفرار من مسلك النظر إلى مسلك النص، مثال من يميل من البيل إلى الغرق، لأن مسلك النص أقرب إلى التبس من مسلك النظر.³

وعلى هذا الأساس، يذهب الغزالى إلى أن كل النصوص التي يدعى بها الشيعة في ثبوت الإمامة بالنص الصريح لعلي وأولاده، هي نصوص واضحة البطلان والوضع، كنصوص (البكرية) في إمامية أبي بكر الصديق، ودعواهم أن الرسول نص على إمامته نصاً صريحاً متواتراً، وكدعوى

¹- السوق: هو تسلسل الإمامة من سابق إلى لاحق، والوقف، هو التوقف بها عند إمام معين كتابعية أو إسماعيلية الذين وقفوا بالإمامية عند اسماعيل بن جعفر الصادق.

²- النوبختي لك فرق الشيعة - ص 24 وما بعدها

³- الغزالى: فضائح البطنية - ص 134 - 135.

(الزوندية) في أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد العباس بن عبد المطلب، لأن
الرسول نص عليه نصاً متواتراً¹.

وإذا دعى الشيعة أن خصومهم يعرفون هذه الأخبار المتواترة، ولكنهم
يعاندون في إخفائها تعصباً لمذهبهم، فإن الغزالى يرد عليهم، بأنهم لم
ينكرون، من يقلب عليهم هذا الإدعاء، مقرراً معرفتهم للحق المنقول بالتواتر،
ولكنهم يعانون في الاعتراض، وهم - في نظره - لا يختلفون عن البكرية
والزوندية الذين اخترعوا قضية النص على أبي بكر، والعباس².

وابن عارض الشيعة، بكونهم يشتركون مع خصومهم، في التصديق
بمعجزات الرسول، كاشقاق القمر، وكلام الذئب، وحنين الجذع، وتكتير
الطعام القليل... إلى غير ذلك مما أنكره الكفار، وطوابق من المسلمين، ولم
يكن الخلاف مانعاً من بلوغ هذه الأخبار حد التواتر، فكذلك عدم تصديق
الخصوم أخبار الشيعة، لا يمنع من بلوغها حد التواتر. فإن عارضوا بذلك،
كان رد الغزالى: نحن لا ندعى التواتر الذي يوجب العلم الضروري إلا في
القرآن، أما ما عداه من المعجزات، فهو نقلها خلق كثير، بلغوا حد التواتر،
لما تصورنا لذلك فيها، وإنما نقلها جماعة دون تلك الكثرة، ونكن يعرف
صدقهم بضرورب من الأدلة النظرية، والاستدلال بالقرآن الذي لا تتوفر في
مرويات الشيعة، لأنهم ييلطون طرق النظر، مكتفين بالسماع، مما يجعل
مقابلتهم بين أخبارهم، وبين أخبار أهل السنة غير مستقيمة، حتى ولو
اعتبروا في الصورة الأخيرة، أن انشقاق القمر من الآيات العلوية، والبراهين

1- ابن حزم: الفصل في العمل والأهواء والتحل؛ 4/90 - 92 وبدليله العمل للشهرستاني.

2- الغزالى: فصائح الباطنية - ص 139.

السماوية التي لا يتصور أن يختص بمشاهدتها عدد دون عدد التواتر، فكيف يتصور التردد فيها، والإنكار لها؟ فهل ترى أحداً يتردد في وجود مكة، وجود أبي حنيفة، والشافعي، وسائر المشهورين؟

ولما كان ذلك من الأخبار المتوافرة، فإن الاسترابة لا تتصور فيه¹.

أما الإجابة عن قول الشيعة - كيف اختص بمشاهدة انشقاق القمر طائفه دون البقية؟ فقد أخبر العلماء الأصوليون المنكرون لاتباس ما يتواتر من الأخبار، بأن هذه المعجزة آية ليلية، ظهرت في وقت كان الناس فيه نياً، أو كانوا تحت السقوف والظلال والأستار، والمصحررون². منهم المنتبهون لا تستحيل عليهم الغفلة في وقت من الأوقات فيكون ذلك من اختصاص شرمندة من الناس قليلة، شاهدوا الكوكب في مكان، ولما لم يكن الانشقاق أمراً دائماً زماناً طويلاً، فليس يمتنع أن يدخل بمشاهدته من حد إلى بصره، ومن كان حول رسول الله، حيث احتاج على فريش بمعجزة انشقاق القمر على أنه يتحمل أن يكون الله تعالى خصص ببرؤية هذه الآية من حاج النبي في تلك الساعة، ونادى حيث قال - صلى الله عليه وسلم - "آتني أنكم ترفعون رؤوسكم فتررون القمر منثقاً، وحجب الله أبصار سائر الخلق - عن رؤيته - بحجاب، أو سحاب، أو تسليط عقته على أمر آخر، وصرف النظر إليه لمصلحةخلق فيه، حتى لا يدعى بعض المتبين هذه المعجزة لنفسه، ويتسغلها للاستدلال بها على صدقه، أو يكون المقصود من هذا الانشقاق لمعجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - من وجهين خارقين

¹ نفس المصدر - ص 140 - 141

² أصحر القوم: بربوا في الصحراء - ص 40 من نفس المصدر - هـ - 5

دون النص على اسمه، وهذا ما أكده الأشعري عندما ذكر أن الجارودية يدعون أن النبي نص على إمامية علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الأمة ضلت وكفرت بتركها الإقتداء به بعد الرسول، وأن الإمامة بعد عني تزول إلى الحسن ثم إلى الحسين، وافتقرت الجارودية فرقتين:

فرقة رعمت أن عانيا نص على إمامية الحسن وهو بدوره نص على إمامية الحسين، ثم هي شورى في ولد الحسن، ووك الحسين ^{فمن خرج منهم} يدعو إلى سبيل ربه وكان عالمًا فاضلا فهو الإمام.

وفرقة رعمت أن النبي نص على إمامية الحسن بعد علي، وعلى إمامية الحسين بعد الحسن، واحدا بعد واحدا.

وعنى هذا الإعتبار فالزيدية يقولون: إن النبي نص على إمامية علي بالوصف دون التسمية بينما يقول الإثنا عشرية، إن النبي نص عليه باسمه وصفته، وتعلّم ما ذكر من تطرف الجارودية من الزيدية - يظهر أن الوصية أضحت نديهم أيضاً بالنص على الصفة والإسم، لفهم يزعمون أن النبي نص على إمامية علي، وعلى إمامية الحسين، والحسن. فهل النص بالصفة دون الإسم، أم أنه نص بالإسم والصفة؟

هذا ما لم تشر إليه المصادر، وأكتفت بذكر النص فحسب بدون تقدير، ولكن غلو الجارودية في الحكم بالكفر على من ترك الإقتداء بعلي، بعد الرسول وعلى من ترك الإقتداء بالحسن ثم الحسين، بعد علي، يرجع أن الوصية لدى هؤلاء أصبحت بالنص على الإسم والصفة، وهذا ما أكدته

١- الأشعري: مقالات الإسلاميين: 133/1 - 134.

الشهيرستاني من أن أكثرية الزيدية مالت، بعد ذلك، عن القول بإمامية المفضول مع وجود الأفضل، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية، وهم أصناف ثلاثة: جارودية، وسليمانية، وبترية، وصالحية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد^١.

ولكن الشهيرستاني لم يذكر رغم تأكيده السابق، أن الجارودية إذا كانت قد مالت عن أهم مبدأ من مبادئ الزيدية، وهو إمامية المفضول مع وجود الأفضل، وطعنت في الصحابة طعن الإمامية، فإنها قد أصبحت مثلهم تقول: بالنص على إمامية علي إسماً ووصفاً، واكتفى بإيراد رأي أوائل الجارودية حيث زعموا أن النبي نص على إمامية علي بعده بالوصف دون التسمية، ولكن الناس فسروا فلم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبووا أبا بكر باختيارهم فكفروا وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي، فإنه لم يعتقد بهذا الإعتقاد^٢.

ولغلو أبي الجارود فقد أطلق عليه محمد الباقر (ت 119هـ/737م) اسم (سرخوب)، ويعني به أنه شيطان أعمى يسكن البحر، وإذا ذكر لجعفر الصادق قال فيه: إنه عمى القلب، أعمى البصر، لأنه كثيف البصر، ضال الرأي^٣.

كما اختلفت الجارودية في الوصيّة، فقد اختلفت في التوقف والسوق فساق بعضهم الإمامة في:

^١ - الشهيرستاني: المثل والنحل: 211/1 ذيلاً لكتاب الفصل لأبي حزم.

^٢ - نفس المصدر: 212/1

^٣ - النوبختي - فرق الشيعة - ص 59-60.

- علي بن أبي طالب (ت 40هـ/661م)
 - والحسن بن علي (ت 49هـ/670م)
 - والحسين بن علي (ت 61هـ/681م)
 - وعلي بن الحسين زين العابدين (ت 110هـ/729م)
 - وزيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 122هـ/740م)
 - ثم منه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحب النفن الزكية (ت 145هـ/763م). لكن المعروف، لدى الزيدية، أن الإمامة بعد زيد لابنه يحيى الذي خرج بعد أبيه بالجوزجان، من خراسان، وقتل سنة (125هـ/743م) ومن الجاروبيه من ساق الإمامة إلى يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي، قتل في (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)، على يد الخليفة العباسي المستعين بن الله (ت 252هـ/866م)، حتى قال فيه بعض العلوية.

قلت أعز من ركب المطavia، وجئت استئنف في الكلام.
 وعز على أن أفك إلا وفيما بيننا حد الحسام.
 والغريب أن هؤلاء، لم يسوقوا الإمامة بعد زيد إلى ابنه يحيى، وإنما ساقوها إلى أحد أحفاد يحيى والمتسمى باسمه، وهو الذي كنا بقصد الحديث عنه¹ أخيراً.

- طبرى: تاريخ الأمم والسلوائح: 505/5 - 506، 513 - 538 مطبعة الاستقامة بـالقاهرة.
 - شعرى: مقالات المسلمين: 135-138 البغدادي: الفرق بين الفرق: ص 34-35 تحقيق
 محمد بھي الدين عبد الحميد

أم' فرقة السليمانية من الزيدية - نسبة لسليمان بن جرير، قلم يذكروا
لعله وصيحة بالمعنى أو بالوصف، وإنما روي عن سليمان بن جرير، أنه كان
يقول: إن الإمامة شوري فيما بين الخلق، ويصبح عقدها بعقد رجلين من خيار
ال المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع جود الأفضل، وأثبت إمامية أبي بكر
وعمر، واعتبرها حقاً باجتهاد الأمة، 'وربما كان يقول: إن الأمة أخطأت في
البيعة لهما مع وجود علي، خطأ لا يبلغ درجة الفسق، وذلك الخطأ، خطأ
اجتهادي، غير أنه طعن في عثمان بالأحداث التي أحثتها وكفره لذلك، وكفر
عائشة، والزبير، وطلحة، بأقدامهم على قفال علي'، وطعن في الرافضة
لقولهم بابداء وانتقية^١.

ومما يؤكد عدم قول سليمان بن جرير بوصيحة لعلي بالوصف أو
بالمعنى، أنه يذهب مع بعض المعتزلة والزيدية، منهم جعفر بن مبشر، وجعفر
بن حرب (من المعتزلة) وكثير النوى الأثير (من الزيدية البتريدة ومن
 أصحاب الحديث)^٢. إلى اعتبار الإمامة من مصالح الدين، ليس يحتاج إليها
معرفة الله تعالى وتوجهه، فإن ذلك حاصل بالعقل، لكنها يحتاج إليها إقامة

- الشهرين الثاني: المثل والنحل: 212/1-213 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل ابن الأثير: التاریخ
الکامل: 91/5-110 وبه المشهور سروج الذهب للمسعودي الذکور علی سامي النشار: نشأة الفکر
الفلسفی في الإسلام: 137/2 الذکور علی الشابی: الشیعة فی لیران - ص 71.

- الشهرين الثاني: المثل والنحل: 214/1-215 ذيلاً لكتاب الفصل لابن حزم
- البداء: هو أن يتبنا إمام الرافضة لتابعه يمر ما فيه وقع إزدادوا ايمانا به، وإن وقع خلافه
فإن لم يهم: بدا شاء أن يغير فيما فدر.

² - الشهرين الثاني: المثل والنحل: 215/1 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل.

الحدود، والقضاء بين المحاكمين، وولاية الائتمان والأيمان^١. وحفظ البيضة، وإعلاء الكلمة، ونصب القتال مع أعداء الدين، وحتى يكون للمسلمين جماعة، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة...^٢.

وإذا كانت الإمامة لدى الزيدية، ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده، وإنما يحتاج إليها لإقامة الحدود، والقضاء بين المحاكمين، نعم تكن هناك ضرورة لوجود نص إلهي على إمام بعينه أو بصفته. ولذلك جعل أهل السنة الإمامة شورى بين الخلق، لاختيار الإمام الذي يرونه كفءاً حتى يحفظ الجماعة الإسلامية، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة.

وفي مقبل ذلك فالإمامية، لدى الشيعة الإثني عشرية، من أركان الإسلام الخمسة وهي عندهم: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، ومعرفة الإمام. ومن ثم فهم قد وضعوا مكان الشهادة معرفة إمام العصر، معتبرين قوله: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله³ متوفرة وجوباً في المطبق للأركان المذكورة، ولا يعقل أن يأتي بها قبل الإقرار التساني والتقطبي بالشهادة، وعليه فالضرورة حمت إيجاد وصية إلهية بالإسم ولونصف الإمام الإثني عشرية⁴.

١- الأئمي: مفرداتها أيام: الأكرمنة، قال الشافعى في لاسمه العرب بصف أحد ثغره فآمنت
شوندا وأيمنت ولدة: وعدت كما أبدلت واتلين ثيب (الذیوان ص 7، 61).

٢- الشهري: المثل واتحن: 215/2 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل

٣- الكفبي: الأصول من الكافي: 1/168-174، 177-185، 286-292 كتاب الحجة -
أبواب: الإضطرار إلى الحجة لا ثروم على خلقة إلا بإمام - معرفة الإمام والرد إليه - ما نص
الله عز وجل ورسوله على الآية - ع - واحداً فواحداً.

وقد عدل الشيعة رأيهم هذا في القرن الخامس، عندما اعتبر محمد بن الحسن الطوسي في تفسيره لقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاَنَّهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَبُوا»^١. أن الإيمان بالله، وبرسوله محمد، وتصديق ما جاء في القرآن والسنة، يكفيان لوصف الفرد بالإيمان. وبذلك لا تكون الإمامة ركناً من أركان الدين، فضلاً عن أن تكون موالاة الإمام هي الدين نفسه، وقد حدد بعض الشيعة المعاصرین^٢ – هو عبد الله فياض هذا المعنى في قوله: إن الإمامة من ضروريات المذهب، لا من ضروريات الدين^٣.

ومن فرق الزيدية أيضاً نذكر الصالحية وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي، والبترية أصحاب كثير النوى الأبيتر وهم معدودتان فرقتان واحدة، لا تتفقهما في المذهب والإعتدال في الرأي، ولأن كلاً من الحسن بن صالح بن حي، وكثير النوى الأبيتر من أهل الحديث والتقوى والورع^٤، ويعتبر قولهما في الإمامة كقول السليمانية من الزيدية، إلا أنهما توقفا في أمر عثمان، وذلك لأنهما إذا نظراً في الأخبار الواردة في فضله، وكونه من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، تولوه وحكموا بصحبة إسلامه، وإذا نظراً في سنته الثانية من خلافته، وما أحدهما من استئثار – حسب زعمهم – في تربيةبني أمية وبني مروان، واستبداده بأمور لم تتوافق سيرة الصحابة، حكموا بکفره.

^١ - سورة الحجر: الآية 14.

^٢ - الطوسي: انبيان 9/351-352.

عبد الله فياض: تاريخ الإمامة ص 131، حشية 1 - التقى عن الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران ص 118

^٣ - التوبخى: فوق الشيعة - ص 25 - 26 انظر رأي الزيدية في إمامية المنفصول مع وجود الأفضل من هذا البحث.

فتغيروا في أمره، ووقفوا في حله، ووكلوه إلى أحكام الحاكمين، وأصبح موقفهم منه موقف أهل الإرجاء^١. وكان بعض الأئمة كأبي حنيفة وزيد بن علي من مرحلة أهل السنة، لا مرحلة البدعة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله^٢.

ورغم هذه المأخذ التي وقع فيها عثمان بن عفان - حسب رعم الصالحية والبترية - ورغم ما من كون علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله، وأولاً لهم بالإمامية، فإنه سلم الأمر راضياً للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، وفرضه إليهم طائعاً، وترك حقه راغباً، فهم راضون لما رضي، وسلسون لما سلم، لا بحل لهم غير ذلك، ولو لم يرض على بذلك لكان هؤلاء الخلفاء هالكين - حسب قولهم^٣.

ويظهر من خلال هذا الرأي أن النبي لم ينصح على إمامية علي بهذه بالإسم أو بالوصف، لأنه كيف يعقل أن يتخلى علي عن حق أوصى الله به إليه؟ ورضاؤه بإمامية من تولى قبله، يؤكد هذه الحقيقة ومع ذلك فإن الشيعة الإمامية عشرية يخالفون الزيدية، ويقولون بإمامية علي بعد النبي - نصاً ظاهراً، وبقينا صادقاً، من غير تعريض إليه بالوصف بل إشارة إليه بالعين، وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعين الإمام حتى تكون مفارقة الدنيا عن فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً، يرى كل واحد منهم رأيه.

^١ الشيرستي: العلل والنحل: 1/216-217 ذيلا الكتاب ابن حزم تفصل

^٢ تقاضي عبد الجبار المعزلي: فضل المعزى وطبقات المعنزة - ص 228.

^٣ الشيرستي: العلل والنحل: 1/127 ذيلا الكتاب ابن حزم الفصل -

ويستك كل واحد طریقاً، لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجع إليه، وينص على واحد هو المؤتوق به والمعول عليه، وقد عین علیاً - عليه السلام - في مواضع تعریضاً، وفي مواضع تصريحاً^١.

وعلى كل فإن فرق الزیدیة لم يصرحوا بوصیة لعلی نصاً أو وصفاً، عدا الجارودیة منهم، فإنهم قرروا أن الوصیة كانت بالوصف دون النص، وبالتعریض دون التصریح، وهو ما لمحت إليه بقیة فرق الزیدیة، في إتفاقهم على أن علیاً أولى الصحابة بالخلافة، ولكن المصلحة اقتضت تقديم المفضول على الأفضل، مصححین بذلك إمامۃ الشیخین، ومختلفین حول عثمان في سنته السّت الثانية من ولادته، فبعضهم يرجی أمره إلى الله، وبعضهم يتبرأ منه ويکفره للأحداث التي نفمت عليه، وهو لاء هم الجارودیة لا يربطهم إلى مبادئ الزیدیة إلا القول بإمامۃ زید بن علی، وإمامۃ ابنه یحییٰ^٢.

ويظهر أن قول بعض الزیدیة بالوصیة لعلی وصفاً دون التسمیة، يرجع أساساً إلى أن إمام الزیدیة كان مائلاً بين الناس، مندمجاً فيهم، لم يضف عليه عدم مباشرته للخلافة ضرباً من الإعجاز وخوارق الأشياء، أضف إلى ذلك أن إمامهم زید بن علی لم يصرح بوصیة لعلی بن أبي طالب وصفاً أو اسماء، وإنما قرر لهم مبدأ عاماً، هو جواز إمامۃ المفضول مع وجود الأفضل، وبعبارة أخرى يجوز تقديم الأصلح على الأفضل، وذلك يتبدىء في قوله، كان علی بن أبي طالب - رضي الله عنه - أفضـل الصحابة،

^١- نفس المصدر: 219/1 - ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل -

^٢- الأشعري كـ مقالات الإسلاميين: 135/1-138

- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص 30-36.

- الشهري: أسلن وانحل: 1/216-217 ذيلاً لكتاب الفصل لابن حزم.

إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان فريباً، وسيف أمير المؤمنين على عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضعائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي... فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الإنقياد؛ وكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة، والتقدم بالعن والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - زعق الناس، وقالوا: لقد وليت علينا فطا خليطاً، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لشدة وصلابته، وغلظته في الدين، وفظاظته على العداء، حتى سكتهم أبو بكر (بقوله: لو سألهي ربى لفلت: وليت عليهم خيرهم لهم) وكذلك يحوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم، فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمة في القضايا¹. وبذلك يكون استحقاق الإمامة لدى الزيدية بالفضل والطلب ووجوب الخروج على الجائزين لا بالنسب والعصبية، وهي قائمة على الاختيار، لا على النص ولوصية، وبذلك أيضاً يصبح شرط الفاضمية في إمامهم لا معنى له، لأنهم يطالبون أن يكون الإمام فاطميها، عالماً، زاهداً، سخياً شجاعاً خرج بالإمامية، حتى يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين².

¹ الشيرستاني: الملل والنحل: 1/250-251 تحقق أحسد فهسي محمد

² نفس المصدر: 1/207 - دليل كتاب الفضل لابن حزم

وإذا كان الزيدية قد هدموا مبدأ الوراثة، فإن الشيعة الإثني عشرية يسلسليون بمقتضاه الإمامة في إثنى عشر إماماً. وبقدر ما كان إمام الزيدية إماماً واقعياً اتصف بمميزات ممكنته، بقدر ما كان إمام الإثني عشرية مثالياً، مغرقاً في الغيبة، كاً تصفه بالعصمة، والوصية له نصاً ووصفاً من الله ورسوله، والعلم الإلهي الذي ورثه بالتسليط عن النبي والأئمة...
والمتأمل في نظرية الإمامة، لدى الزيدية، يظهر له إنها مرت بأطوار من جواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل، لدى زيد وبعض المعتليين من أتباعه، كالصالحية والتترية والسليمانية، غير مقررين وصية لعلي، إلى تقريرها بانواعها دون الإسم، لدى أوائل الجارودية، الذين أدى بهم الغلو أحياناً إلى اعتبار الوصية بالإسم وإنواعها معاً، ومالوا عن القول بإمامية المفضول مع وجود الأفضل وطعنوا في الصحابة طعن الإمامة.^١
وأصبح أكثرهم مقلدين لا يرجعون إلى رأي واجتهاد: أما في الأصول، فيرون رأي المعترضة حذو الفذة بالفذة، ويعظمون آئمة الاعتزال، أكثر من تعظيمهم آئمة أهل البيت، وأما في الفروع، فهم على مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله.^٢
وبناءً على المصادر الزيدية نفسها هذه الحقيقة، كما تؤكد أيضاً غالبية المؤلفين منهم، وتطرفهم عن العبادي التي وضعها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (80هـ/700م - 122هـ - 740م). ومن أهم هذه

- الرَّكْنُ عَلَى لِذَانِي : مِدَاهُتُ فِي عَنِ الْكَلَامِ وَالْفِلْسَفَةِ - ص 124

^٤ اثنى عشر سنتاً : انسان ، تدخل : 1/207-218 ذيلاً لكتاب الفصل لابن حزم.

المصادر، نجد مؤلفات الهادى يحيى بن الحسن بن على بن أبي طالب وغيرها من المؤلفات الزيدية الأخرى.

وأهمية مصادر الهادى في الفكر الزيدى، تقتضينا التعرىف به ونؤ فى عجلة.

وند الهادى بالمدينة سنة (245هـ/860م) قبل وفاة جده القاسم بن إبراهيم الرسي (169هـ/786م - 247هـ/862م) بسنة وبضعة أشهر، وتوفى (الهادى) بصنعاء اليمن في العشرين من ذي الحجة سنة (298هـ) الموافق لـالنالعشر من شهر أوت سنة (911م). وسيرته المتوفرة بأيدينا لا تلقي ضوءاً على شأته وتعلمه، والمؤثرات الثقافية التي احتك بها، ولكننا نستطيع أن نستنتج أنه نشأ نشأ شيعية، بدأ فيها الفكر الزيدى بالالتفاف مع الفكر المعتزلي، وهي البيئة المحيطة بجده القاسم بن إبراهيم الرسي، ولكن بوأكبر التقاء بين المذهبين تمت جذورها إلى عصر زيد بن على وواصل بن عطاء (80هـ/700م - 131هـ/749م). ويبعد أن الهادى أظهر تفوقاً مبكراً، وكثيراً، مما جعل العنويين من الزيدية وخاصة في الحجاز يعقدون له البيعة بالإمامية سنة (280هـ/894م)، وهو ابن خمس وثلاثين سنة، مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة، فلقب عندها بالهادى إلى الحق، وذلك نما تحمله نظرية الإمامية من مكانة هامة في حياته فكراً، وممارسة، فهي الأساس النظري لحياته الحافلة بالعمل الشاق المضني، لتحقيق مشروعه الذي يعد تجسيداً نمسروعاً شيعياً لاقى إخفاقات متالية، لما تضمنه من محاولات الخروج به من حيز النظر إلى حيز التطبيق، ولا يمكن أن نفصل في أية دعوة سياسية بين الجانب النظري، والجانب العملي، ولا تتوفى بين أيدينا

مراجعة كافية نتسطع بواسطتها معرفة نظرية زيد بن علي في افهامه، سوى ما نقل عنه، وما يشك في نسبة بعضه إليه، وعلى كل فإن المصادر الزيدية تجمع أغلبها على أن لم يتمهم، ومنهم القاسم الرسي جد الهاudi، يشترطون أن تكون الإمامة في موضوع مخصوص هو أبناء الحسن أو الحسين. ويروي مؤلف سيرة الهاudi، بإسناده عن زيد بن علي، أن الإمام منهم، المفترض الطائحة على المسلمين، اتصل نسبة بآل البيت، من ولد الحسن والحسين^١.

وعد القاسم الرسي الإمامة فرض الفرائض وأوكدها، أما حفيده الهاudi فقد قرر أنه لابد للناس من أول، إمام، يصلي بهم، ويقيم حدودهم، ويحبى زكاتهم، ويعطىها فقراءهم، ويعزز ثغورهم ويأخذ لضعيفهم من قويهم^٢.

وفي المرحلة الأولى التي تولى فيها الهاudi الإمامة سنة (280هـ/894م) وبعدها، جعل الإمام أحد الأصول الخمسة للعقيدة الإسلامية، وهذا يعني أنها أصبحت في مكانة تساوي مكانة التوحيد، كما أن ذلك يعد النقاء في الرأي بين المذهبين الزيدية والإثنية عشرية، من حيث اعتبار الإمامة من أركان الدين، وأصلاً من أصول الإيمان.

وإذا كان قدامى الإثنية عشرية قد كفروا من لم يعترف بالإمام، علا بما ورد لديهم - من أخبار، ومنها ما أثر عن جعفر الصادق في حديثه عن

- شهون انحبي: شرح رسالة الحور العين - ص 188 - بحبي بن أبي القاسم ثرف الدين سيرة آنھي: مخطوط - ف 28-29 النقل في هذه المخطوطات على محمد زيد: معترفة اليمن: ص 182، وما بعدها من تصنفات.

- الهاudi: من اعتزل الشك: مخطوط: ف: 168.

الإمام: لا يدخل الجنة إلا محبوه، ولا يدخل النار غلاً مبغضوه^١. فإن الهدادي قد حكم بالكفر من الناحية الدينية على رافض الإعتراف بالإمام، وأبي تلبية دعوته لخروج والقتل معه، دون الأمر بقتله، أما من الناحية العملية، فإذا واجه هذا الرافض، الإمام بالقتل، حل للإمام قتله وأهلاكه، وأن لم يحاربه، وتخلف عن نصرته، وجب عليه إبعاده وإقصاؤه، وإبطال شهادته، وإزاحة عدالته، وطرح اسمه من مقسم الفيء، ووجب على المسلمين (من أنصار الإمام) مناذهته في العداوة، والإستخفاف به، والاستهانة بكل أمره وهذا يعني أنه حتى إذا لم يحارب هذا المخالف الإمام، ووقف منه موقف المحابي، فإن الهدادي يوجب على الإتباع، أن يوجهوا الضغوط العملية، والنفيية المختلفة نحوه، ليجعلوه في وضع المنبوذ المحارب اجتماعياً، ويعرضوه للمضايقات، مما لا يجد معه بدا من الإستجابة لدعوة الإمام، والقتل معه، فينجو من هذه الحالة، أو يهاجر من منطقة سيطرة الإمام إلى مكان آخر، تتوفر له فيه حالة من السلامة والإطمئنان المادي والنفسى بالقياسى إلى دولة الإمام^٢. ومن الأوكد أن نشير أن الإثنى عشرية قد عدلوا رأيهم في المسلم الرافض لإمامتهم، فلم يعودوا يحكمون عليه بالكفر ما دام يؤمن بالله، وبرسالة محمد، وتلمس هذا التطور التفكري من خلال ما قرره

^١ - شوبختي سفرق الشيعة - ص - 25/24 - الكافي - الأصول من الكافي - 1/168/185/174/186/187/292 - كتاب الحجة - أبواب تحجة ما نص الله ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً.

^٢ - الهدادي يحيى بن الحسين - دعوة الهدادي إلى أحد بن يحيى بن زيد مخطوط - ق - 115 - علي محمد زيد - معتبرة اليمن - ص 190/191. انتقل عن نفس المرجع وما بعده من الصفحات.

محمد بن الحسن الطوسي في القرن (11هـ/17م) في تفسيره لقوله تعالى:
"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يُرْتَابُوا".^١

وقد حدد هذا المعنى عبد الله فياض، من الشيعة المحدثين، معتبرا الإمامة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين.^٢

ويمكن أن نلاحظ أن رأي الهادي في الإمامة، يلتقي مع رأي الإثني عشرية فيهان من حيث دعامة النسب القائمة على القرابة من الرسول، وإذا كان الهادي قد اشترط أن يكون الإمام من أبناء الحسن أو الحسين، فإن الشيعة الإثني عشرية لا يخرجون بالإمامية عن ولد الحسين. كما يشتركون جميعا في الدعامة المتعلقة بالمؤهلات الشخصية، والصفات التي يجب توفرها في الإمام، مثل العلم، والورع، والتدين، والتقوى والعدل، والزهد، والطهارة، والنساء، والشجاعة...^٣.

ويلاحظ في هذا الصدد، أن الإثني عشرية قد اكتفوا بما يمكن أن يسمى بشجاعة الأئمة نظريا، حيث لم يمارس منهم الشؤون الحربية غير علي والحسين، بينما لم يكتف الزيدية بذلك، وطالبوها الإمام أن يخرج على الحكم الظالمين.

ومما يدل على تخلي الزيدية المتأخرین، عن رأي إمامهم زيد، في عدم انتقادهم اعتبارهم الوصیة لعلي بالوصف لا بالنص على اسمه، كما

١- سورة الحجرات - الآية ٢

٢- انطوسي - التبيان 9/351-352 - عبد الله فياض - ذريعة الإمامية - ص 131 - حاشية - ١ الدكتور علي الشامي الشيعي في غيران - ص 118.

٣- النوبختي: فرق الشيعة ص 24-25 الكوليبي: الأصول من الكافي: كتاب الحجة - بل نادر جامع في فصل الإمامة وصفاته - : 1-200-201.

أئمهم أصبحوا يشاركون مع الإلئقى عشرية في اعتماد الأدلة النقاية وهي عبارة عن حجج، شيعية تقليدية، من قرانية، وأحاديث نبوية وسننية، توجب لذويهم النصر على الأئمة، وإذا كان قد عرضنا بعض الحجج النقاية للشيعة الإلئقى عشرية، فإننا سنحاول التعرف على الحجج التي أوردها الهادى، في هذا المجال. فقد بدأ جد له حول الإمامة بطرح نظرية لفهم النبوة، وارتباطها بالإمامية منذ القدم إلى أن يصل إلى إثبات إمامية على بن أبي طالب باعتباره أساس دعوته التي يستند إليها فنون سقطت أحقيته على في الإمامة، لسقطت نظريته بالضرورة، وبالتالي سقطت دعوته، وللتدليل على ارتباط الإمامة بالنبوة يورد بعض الآيات القرآنية ويؤولها بطريقة تؤيد ما يذهب إليه، مثل قوله تعالى: **وَإِذَا أَبْتَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلَامَاتٍ فَأَقْسَمُوهُنَّ**. قال إبى جاعل لك الناس إماما قال: **فَإِنَّهُ مِنْ ذَرِيَّتِي** ^١ قال: لا يبدل عهدي **الظَّالِمِينَ**^١ فاعتبر النبوة والإمامية والتوصية والمناك في إبراهيم وولده، إلى أن بعث الله محمدا، فأفاضت النبوة إليه، وختم الله الأنبياء به وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين.

فقال عز وجل "محمد رسول الله...".^٢

وقال أيضا: **وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**^٣. وبعد أن ربط الهادى بين النبوة والإمامية منذ إبراهيم، جعل الاعتراف بإمامية على جزءا من الاعتراف بنبوة محمد، فقال: **إِنَّمَا يُجْبِي عَلَى (الْمُؤْمِنِ) أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ** محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عبد الله ورسوله، وخيرته قد بلغ الرسالة

^١ سورة البقرة: الآية 124.

^٢ سورة السجدة: الآية 29.

^٣ سورة الحشر: الآية 6

وأدى الأمانة، ثم قبضه الله حميداً مغفوراً، ثم يجب عليه أن يعلم أن علياً بن أبي طالب بن عبد المطلب أمير المؤمنين، وسيد المرسلين، ووصي رب العالمين، وزعيمه، وقاضي دينه، وأحق الناس بمقام رسول الله، وأفضل الخلق بعده، وأعلمهم بما جاء به محمد، واقومهم بأمر الله¹. فعنى وصي محمد مثلاً يقول الإثنا عشرية وهو لذلك أحق الناس بخلافته، وتصبح الوصية نظرية شاملة حينما يتحدث الهادي عن أنه قد كان لكلنبي وصي، وهو لاء الأوصياء استحقوا الإمامة، لعلهم الغبي الذي وهبه الله لهم دون سائر الخلق، فأدركوا به من الحقائق والأسرار ما لم يدركه غيرهم، وبذلك يبرر الهادي العلاقة الرابطة بين الدم، ووراثة الخلافة عن طريق العلم الخاص الذي يعطيه النبي لوصيه في حياته، ويورثه إياها بعد مماته، حتى يصل إلى إدعاء معرفة الغيب، وحصر الهادي الإمامة في أبناء الحسن والحسين، كثما يقتضي احتكار هذا العلم المتواتر في بعض ذرية علي، وهي حجة واهية، لا تمكن من توسيع هذا الحصر للإمامية².

ويستد الهادي نظرية الوصية بحجج شيعية تقليدية، سبق ذكر بعضها عند التعرض لوصية، لدى الشيعة الإثني عشرية، مثل حديث غدير خم: 'من كنت مولاه فعني مولاه، اللهم وال من والاه، وعد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره'.

وحدث: 'علي مني بمعزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي'.

¹ - الهادي: رسائل العدل والتوجيه 2/74-79. نقل عن علي بن محمد زيد، معزلة اليمن ص 185.

² - علي محمد زيد: معزلة اليمن - ص 185.

وحدث "أنت قاضي ديني، ومنجز وعدى". وحدث "إني تارك فيكم ما أن تمكتم به لن تضروا من بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير، نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"^١. وبانسبة لهذا الحديث الآخر فإن جمهور أهل السنة يرويه رواية أخرى تقول: "إني تارك فيكم ما إن تمكتم به، لن تضروا من بعدي أبداً، كتاب الله وسنّتي"^٢. ويعلق على محمد زيد - من الزيدية المعاصرین على الروایتین وهو باحث وناقد فيقول: "وهذا يعني أن إحدى الروایتین باطلة، ولا نستطيع الجزم أن روایة غير الشیعة هي الباطلة دون غيرها - كما أن الهادی يأخذ بأحادیث أقل توثيقاً من هذا الحديث، مع أنه متکلم يستخدم العقل في تمحیص المسائل المختلفة"^٣. وهذا التعمیق يبدو منه السمة المعروفة، لدى الزیدیة وهي الإعتدال في الرأی وقد وردت عن إمامهم زید بن علی، حتى عدوا أقرب الفرق في الإسلام إلى أهل السنة الذين رواوا عن بعض رجالهم الأحادیث وزعموا هم.

ويظهر التقاء فکراً لهادی الزیدی بالفکر الایتی عشری حين يستشهد لهادی بالقرآن لإثبات نظریته السياسية في الوصیة، فهو يفرض على الآيات تفسیرات قسریة، بحيث يفصلها عن السیاق الذي وردت فيه، وعن أسباب نزولها، ويؤونها بطريقة تعفیة مذاقها بذلك منهجه العقلي الذي اتبעה في جمله مع المرجنة، والمجبرة، وغيرهما... وأبرز دلیل على ما نقول، تفسیره

^١- الهادی: ثہیت الإمامۃ - ق - 165-167 مخطوط

^٢- رواه الترمذی في منهجه منقب: 31 - الحديث منقو عليه

^٣- على محمد زید: معزلة اليمن - 186.

لقول الله عز وجل: ثم أورثك الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم
لنفسه، ومنهم مقتضى، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل
الكبير^١، بأن المراد بورثة الكتاب، هم: محمد، وعلي، والحسن والحسين،
والأخيار من ولدتهم^٢، مع أن بقية الآية، تقسم الذين اصطفاهم الله من عباده
بالكتاب، إلى ثلاثة أصناف وهم:

الصالحين أو العصاة، والمقصودون وهم الذين استوت حسنانهم،
وسيئاتهم، والسابقون بالخيرات، وهم الأنقياء، فهل يجوز أن يحضر النبي،
وهو لاء الآية، في هذه الأصناف، بدون استثناء؟ مع أنه قد ورد في كتب
التفسير مثل (الكتاف): "والذين اصطفاهم الله، هم أمة محمد، من الصحابة،
والتابعين، ومن بعدهم إلى يوم القيمة"^٣. وأكد ابن جزي، أن أكثر المفسرين،
يذهبون إلى أن هذه الأصناف في أمة محمد^٤.

ويروى الحافظ الطبراني عن أسامة بن زيد، أن رسول الله، قال في
هذه الأصناف الثلاثة: "كلهم من هذه الأمة"^٥، بدون تخصيص نزول الآية
السابقة في محمد، وعلي، والحسن، والحسين.

ويذكرنا تأويل الهاشمي لهذه الآية بتفسيرات الشيعة الإثني عشرية
التعسفية لبعض القرآن، مما جعل (كلود تسيهير) يعلق على تفسير علي بن

^١- سورة فاطر: 32.

^٢- الهاشمي: رسائل العدل والتوجيه - 74/2 - 79 نقلًا عن علي محمد زيد: معزولة اليمن ص

³- طرازي: الأربعين في أصول الدين - ص 436.

⁴- الزمخشري: الكتاب: 481/3 مجيب علي الصابوني: صفة التفسير: 576/577.

⁵- ابن حزم: زاد المسير: 490/6.

^٦- محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 174/3 - 148.

إبراهيم النقي، بأنه جعل من القرآن كتاباً حزيناً للشيعة،^١ ويؤكد هذا، الرأي القائل: إن التشيع هو التفسير القومي الفارسي للإسلام.^٢

وبناءً على تأویل الہادی للأيات القرآنية، وعلى هذه الأحاديث الشيعية التي يزروها، فإنه يطعن في الخليفة الأول: أبي بكر الصديق، منها إيه بالكذب على رسول الله في حدث، نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركه صدقة،^٣ هذا الحديث الذي اعتمدته أبو بكر فيأخذ فدك، وهي أرض كان لرسول قد أخذها نفسه عند دخولها، فاعتبرها أبو بكر حقاً عاماً للمسلمين، ومنع فاطمة من وراثتها.

ويطعن الہادی أيضاً في الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لأنه قال في السيدة الذين جعل الشوري فيهم عند موته: إذا مضت ثلاثة أيام، ولم يتلقوا على اختيار الخليفة من بينهم: فاضربوا أعناق السنة، وإذا اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضربوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف، وإذا اتفق أربعة وخالف اثنان، فاضربوا أعناق الاثنين.^٤

وبعد أن ثبت الہادی إمامية علي بن أبي طالب، واستحقاقه ميراث النبي عقب موته بـ الوصية الظاهرة في الأحاديث التي أوردها، جعل الإمامة

كتوند شیره: مذاهب التفسير الإسلامي - ص 31.

الكتبي: الأصول من الكافي: 1/168، 180، 285، 288، 290، 293، 199 - 204 كتب الحجة - أبواب الحجة - أبواب النص على الأئمة - باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته - فلما ذكرنا بيتين، أحراط المعرضة في الإسلام - ص، الدكتور علي الشامي، الشيعة في لبنان، ص 5.

ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري: 79/8 - كتاب العذاب - باب مندب قربة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

- الہادی، ثہیت افمامہ: مخطوط - ق 165-167.

بعد علي في بنية الحسن، فالحسين لا بالوصية الظاهرة كما تقول المصادر الشيعية إلاثا عشرية¹. ولكن عن طريق ما يمكن أن يسمى وصية نبوية غير مباشرة، أو غير ظاهرة، فهو يورد فيها حديثاً أحدهما يقول: "الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة، وأبواهما خيرٌ منها"². والحديث الآخر يقول: "هُمَا إِيمَانٌ قَامَا أَوْ قَعَدَا". ويبدو أن الحديث جاء ليرد على الذين انفصلاً من حق الحسن لأنَّه سلم أمر الخلافة إلى معاوية، بدون مقاومة، وعن طيب خاطر، ووادعه، بالرغم مما كان لا يزال بين يديه من مقاتلين، وهو ما أثار حفيظة الكثير من أنصاره وعدوه استسلاماً غير مقبول، وبذلك يكون الهادي قد تحدث عن الوصية إلى علي بنفظها الصريح، إلا أنه عند الحديث عن الحسن والحسين، لا يتحدث عنهم بالفظ صريح مماثل، وإن كان يستخدم في حقهما الحجج نفسها التي يستخدمها لإثبات أحقيته أتباعهما في الإمامة، ولكنه يقرر أن الإعتراف بإمامتهما جزء من الإيمان حين يقول:

وَاجِهَةُ صَاعِدَيْهِمَا مُفْتَرَضَةٌ وَلَا يَنْتَهِيهِمَا³.

وبناءً على ما قرره زيد بن علي من شروط الإمامة، وتقديمه - للضرورة - الأصلح على الأفضل، والأقرب نسبياً من الرسول، فإنَّ الهادي يقع في تناقض في نظرته لقضية الوراثة في الإمامة، فهو مثلاً يجاج الرافضيين لإماماة علي بن أبي طالب، عقب موت النبي بالقول: إنه إذا كانت

¹- الكثيني: الأصول من الكافي ك 1/168-180، 293، 199، 204 كتاب "حجـة" - أبواب النص على الأئمة - باب ذكر جامع في فضل الإمام وصفاته

²- الهادي الأصول في الدين - مخطوط - ق 104

³- الأصول في الدين - مخطوط - ق 104 - الهادي ك رسائل العدل والتوحيد 74/2 - 79 "الهادي ك لثنيت إمامية أمير المؤمنين وثنيت نبوة" - ق 83

التبورة لا تورث، فإن السلطة، أو ما يسميها الحكومة تورث، وعلى ذلك فالنبي أحق بميراثه من غيرهم،¹ لكنه حين ينتقل للإمامية، ينفي أن تidual بالوراثة، قائلاً: "الإمامية لا تكون بالوراثة"² وعلى هذا الأساس فالوراثة لا تعد شرطاً من شروط الإمامة بالرغم من كون الهايدي يحصرها في موضع مخصوص" هو أبناء الحسن والحسين وهذا الرفض للوراثة مسألة عملية أكثر منها نظرية، لأن الشروط الأخرى التي يشترطها في الإمام مثل العلم والزهد والشجاعة والشدة... خصائص يكتسبها الإنسان من مجتمعه، ولا يرثها عن أبياته، كما أن المهام التي يفرضها على الإمام مثل الدعوة، والخروج، وإشهار السيف، والقتال، تقتضي توفر شروط وخصائص في المتضدي لهذا المنصب، لا توفر أيضاً بالوراثة، ومع ذلك يبقى تسماح الهايدي في مسألة الوراثة، محدداً بحصر الإمامة في أولاد فاطمة.³

واعتباراً لحصر الهايدي الإمامة في أولاد فاطمة، وأعني بهما الحسن والحسين، فإنه رفض الإجماع طريقاً إلى الإمامة، لأن إجماع المسلمين - في نظره - لم يكن في يوم من الأيام طريقاً إلى الإمامة، مستدلاً باستعراض الخلافات التي تفجرت يوم السقيفة، وعدم مبايعة علي وأنصاره لأبي بكر، واختلاف المهاجرين والأنصار، والأوس والخزر، ورفض سعد بن عبادة مبايعة أبي بكر، مشيراً على أن من حضر السقيفة لم يكن جميع المسلمين في

¹ - الهايدي من اعتزل الشك: مخطوط - ق - 170

² - الهايدي: مسألة التبورة والإمامية: مخطوط - ق - 81

³ - دعوة الهايدي إلى أحمد بن يحيى بن زيد - مخطوط - ق - 144.

المدينة، فإذا كان هذا الخلاف قد وقع في المدينة بسبب الخلافة، فكيف يكون حال المسلمين، وخاصة الصحابة خارج المدينة؟

وإذا رفض الهادي الإجماع طريقاً إلى الإمامة، فإنه رفض أيضاً الإختيار كطريق لها بدليل أنَّ الذين اختاروا أباً بكر لم يشكلوا - حسب رعْمه - كلَّ الجماعة الإسلامية في المدينة في وقت كان فيه كثير من المسلمين، ومن الصحابة في مناطق إسلامية أخرى، كالإمامية، والبحرين، واليمن... ويمضي الهادي من جديد في سرد الخلافات التي دارت يوم السفيقة، نافياً الإجماع أيضاً عن خلافة عمر بن الخطاب، لأنَّ أباً بكر هو الذي اختاره، وعهد إليه بمنصب الإمامة، وأمر المسلمين بمباهعته، ثم جعلها عمر شوري بين ستة من الصحابة فقط، وينتهي الهادي من الحجاج، إلى رفض الإجماع، والإختيار الشوروي طريقاً إلى الإمامة، متمسكاً بنظريته القائمة على الوصية الظاهرية من النبي إلى علي والحسن والحسين، ثم تبقي في ذريتهما حسب توفر شروط وضعها¹.

والملاحظ أنَّ أوائل الزيدية كانوا يعملون بالإجتهد والإجماع، ورفض الهادي للإجماع والإختيار الشوروي للإمام، هو مبدأ معروف لدى الشيعة عموماً، والإثنى عشرية خصوصاً، لأنَّهم يعتمدون على أدلة سمعية في النص على الأيمان، ومن ثم فلا مجال لحصول الإجماع عند تنصيبيهم، وحتى في القضايا الفقهية المختلف حولها، فإنَّ الإجماع والإجتهد والقياس كلها أمور لا تجدي نفعاً لأنَّ الرأي الأصوب، هو رأي الإمام من حيث كونه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى، بفضل علمه الإلهي المورث عن الأنبياء

¹ - الهادي: ثبتت الإمامة؛ مخطوط - ف - 163 - 167

والأئمة^١. وحتى نواب المهدي المنتظر منادات الله المعاصرين في الحكومة الإسلامية الإيرانية بداعا من آية الله الخميني إلى آية الله علي خامنئي ومن بعدهما متصلون به يقظة ومتلما ويتصفون بميزانه والأئمة قبله.

وعلى كل فمهما كان من غلو الجارودية، وتطرف الهدى فإن الزيدية في حقيقة أمرهم، معتذلون، لا يقولون بوصية علي نصا أو وصفا، وإنما يعتبرونه أفضل الصحابة، وأولاهم بالإمامية، ولكن المصلحة اقتضت تقديم أبي بكر عليه، ثالثه، وتوذنه، وتقديمه بالسن، وسيقه في الإسلام، وقربه من رسول الله^٢ مصححين إمامية الشيوخين، غير معتبرين منهما، ذاركين أمر عثمان في النصف الثاني من خلافته إلى الله. أما إمامهم زيد بن علي فلم يتحدث عن عثمان صراحة كحديثه عن أبي بكر وعمر، ولعله أراد إلا يفتح بابا يخشى منه زيادة الفتنة عليه من أهل السنة، إضافة إلى ابتلائه بخروج الرؤافض عليه، والحال أنه في أمس الحاجة إلى مزيد من الأنصار^٣.

وبسبب عدم قول الزيدية المعذلين بالوصية نصا ووصفا لعلي، رفضهم الإثنا عشرية^٤ واعتبروهم شخصين لإمامية حسدا للأئمة الشريعين وطلب الدنيا. وذيلهم على ذلك، أنه ما مننبي يملك الأرض إلا وهو مذكور في آثار الشيعة كتجفر، ومصحف فاطمة، باسمه واسم أبيه، وما وجدوا

^١- المنقى من منهاج السنة الثبوية لابن تيمية ونفيص الحافظ الذهبي: ص 543 - 562
محمد أبو زهرة: الإمام زيد - ص 323 - 497 - عبد الرحمن الشرقاوي: شخصيات إسلامية: أئمة الفقه التسعة - ص 21 - 22.

²- الشهرين الثاني: العلل والتحل: 1/208 - 209 - ثيلا لكتاب ابن حزم: الفصل نفس المصدر: 1/207 - 208.

³- الحبشي: تاريخ الأمم والملوك 498/5 طبعة الإسكندرية بالقاهرة - التهرين الثاني العلل والتحل: 1/209 - ثيلا لكتاب ابن حزم الفضل.

لأئمة الزيدية من آل الحسن والحسين من ذكر فيها. ولهذا لما سأله أبو العلاء جعفر الصادق: "أصلحك الله... أتعرف هذا بنو الحسن؟" فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل، والنهر أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم.

وفي رواية أخرى لجعفر الصادق ينفي فيها دعوى بني الحسن أن الجفر عندهم، بناء على أن فيه الحق الذي يسوزهم، وهم لا يقولون الحق، ولا يعترفون بالإمام الشرعي. ثم يقول متحدياً "... وليخروا مصحف فاطمة - عليها السلام - ومعه سلاح الرسول - صلى الله عليه وسلم - إن الله - عز وجل - يقول: "اتتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم أن كنتم صادقين".¹

والمعلوم لدى الآتية عشرية، أن سلاح رسول الله فيهم، بمثابة التابوت في بني إسرائيل وكانت بني إسرائيل، أي أهل بيته وجد التابوت على بابهم، أتوا النبوة، فمن صار إليه السلاح هذا (آل البيت)، أتى الإمامة.² وهذه مقارنة يعقدها السيدة الآتية عشرية بين آثارهم كالجفر ومصحف فاطمة، والتوراة والتورى، وهي مقارنة في غير صالحهم خاصة وال المسلمين عامة، لأن الآثار الأخيرة موسومة بالتحريف.

ويؤكد الآتية عشرية نفي الإمامة عن الزيدية لعدم قولهم بالوصية لعلي بن أبي طالب، حسب روايات من طريقهم، ومنها ما ذكره سعيد السمان قال:

¹- سورة الأحقاف: الآية 3.

²- الكلبي كالأصول من الكلبي: 240، 242 - وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجماعة ومصحف فاطمة 238/1 - كتاب الحجة - باب أن مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل.

كنت عند أبي عبد الله (جعفر الصادق) - عليه السلام - إذ دخل عليه رجال من الزيدية فقالوا له، أفيكم إمام مفترض الطاعة؟ فقال لا^١ فقالوا له: قد أخبرنا عنك الثقات إنك تفتي، وتقر، وتنقول به (بأن فيكم إمام مفترض الطاعة)، ونسميهم لك، فلان وفلان، وهم أصحاب ورع وتشمير^٢، وهم من لا يكذب، فغضب أبو عبد الله - عليه السلام - وقال: ما أمرتهم بهذا، فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا. فقال نبي: أتعرف هذين؟ قلت نعم، هما من أهل سرقنا^٣ وهم يزعمان أن سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند عبد الله بن الحسن^٤. فقال: كذباً لعنهم الله، والله ما رأي عبد الله بن الحسن بعينيه، ولا رأي أبوه، اللهم إلا أن يكون رأي عبد الله بن الحسن، فإن كانوا (الزيدية والسائلان) صادقين فما علامة في مقبضه؟ وما أثر في موضع مضربه، وإن عندي لرأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ودرعه ولا منه ومغفرة^٥.

وروى عبد الله بن أعين أنه أخبر جعفر الصادق أن الزيدية والمعزلة أطافوا بمحمد بن عبد الله صاحب النفس الزكية زاعمين أنه الإمام المفترض الطاعة فهل له سلطان؟

١- قال: ذلك تقبلا، ولعله أراد توربة، يعني ليس فيها إمام لا بد له من الخروج برسكم، لأن الزيدية يشترطون لثبوت الإمامة خروج الإمام على السلطان الجائر.

٢- التشمير رفع الثوب والتزييل للأمر، وبمعنى عن التقوى والطهارة - انظر - (هـ. 3، وهـ. 4).

٣- الكليني: الصوالي من الكافي: 532/1 - كتاب الحجة بباب ما عبد الأئمة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومنهاعه.

٤- من أهل سرقد: معن بسوفيون الإمامية مثنا في آن اتبر من على إلى أبيه من الحسين بن علي.

٥- عبد الله بن تحسين هو والد محمد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفس الزكية قاتله الخليفة العباسى المنصور سنة (145هـ/763م).

٦- الأئمة: ضرب من الدروع، والمغفرة: شريح الدرع ينسب تحت الفنسوة.

فأجابه (جعفر الصادق): 'والله إن عذني لكتابين (الجفر ومصحف فاطمة) فيهما تسمية كلّنبي، وكل ملك يملك الأرض، والله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما'.

وروى عن جعفر الصادق في هذا الباب أيضا قوله: 'كنت أنظر في كتاب فاطمة - عليها السلام - ليس من ملك يملك (الأرض) إلا وهو مكتوب فيه بسمه واسم أبيه، وما وجدت لوند الحسن فيه شيئا'.

ومن خلال هذه المرويات الشيعية تتبّع الإثنا عشرية كما مر لجعفر الصادق رفضه لإمامية عمّه زيد بن علي، بينما يروي عنه الطبراني اعترافه بهذه الإمامة عند ما أشار جعفر الصادق على أنصار زيد بمعبديعته، لأنّه أفضل آل البيت، وسيدهم، وخيرهم "وكانت طائفة منهم (من أنصار زيد) قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له: ابن زيد بن علي فيما يباع أفترى لنا أن نبايعه فقال لهم: نعم بايوعه، فهو والله أفضلي، وخيرنا فجازوا فكتموا ما أمرهم به".²

واعترف محمد الباقر (ت 119هـ/737م) أيضا بإمامية أخيه زيد بن علي (ت. 122هـ/740م)، على ما رواه الشهري، في المنازرة التي دارت بينهما، حيث اعتبر زيد بن علي الخروج شرطا أساسيا في ثبوت الإمامة، حتى قال له الباقر: 'على قضية مذهبك والذك ليس بإمام فإنه لم يخرج فقط ولا تعرض للخروج'.³

¹ الكابني: الأصول من الكافي: 1/232 - كتاب الحجة باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليها السلام - باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه

² الطبراني: تاريخ الإمام والملوك: 5/498-499 - مطبعة الإسكندرية القاهرة

³ الشهري: العلل والنحل: 1/209-210 ذيلا لكتاب ابن حزم: الفصل

ومن نسب نه مذهب من المذاهب، لابد أن يكون إماماً، أضف إلى ذلك أن أبو حنيفة (ت. 150هـ/767م) كان من أنصار زيد بن علي، ووقف إلى جانبه، وقدم له المال ليستعين به على الكراع والسلاح^١. وقال الزمخشري في الكشاف: 'وكان أبو حنيفة يفتى سراً بوجوب نصرة زيد بن علي، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالإمام وال الخليفة'^٢.

وعلى كل فالآحاديث التي رواها الكليني في هذا الباب، أو في غيره، هي محل شك لدى أهل السنة، واعتبروا جنباً من قبيل الموضوعات^٣.

وقد حكم على بعض هذه الآحاديث شيعي معاصر هو موسى الصدر - إمام الطائفة الشيعية الإثنتي عشرية في لبنان^٤. بالضعف، وعدم الصحة، والإخلاق فقال ما نصه: 'والحقيقة هي أننا نلتقي في كتب الآحاديث عند الشيعة بأحاديث يشتم منها رائحة الباطنية (الإسماعيلية) بوضوح، وبأحاديث تدل على مغalaة وغيرها، ولكن المنصف المتأمل فيها، وفي إسنادها، يعرف عدم صحة هذه الآحاديث وضعفها. فالكافي مثلاً (النوكوليني)، وهو أهم كتاب حديث عند الشيعة، بينما يشرحه، ويشرح أحدياته المحدث الكبير محمد باقر المحتسي في كتابه (مرآة العقول)، يناقش كثيراً من هذه الآحاديث ويضعفها.

١- الأصفهاني: مقالات أنصابيين: ص 145 147

٢- احمد امين: ضحي الإسلام: 274/3.

٣- يقول ابن الحوزي: 'إذا رأيت الحديث يخالف المعمول، أو يخالف المتفق، أو ينافي الأصول فاعلم أنه موضوع' انتقل عن صبحي النصالح - علوم الحديث وبصطحه - ص 267-274.

٤- وخلف في منصبه هذا عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب المراجعات، انظر:

وقد ورد في كتب الرجال المعتبرة نقد إسناد الكافي، وسائر الكتب المعتبرة من الأحاديث، حتى يطمئن القارئ إلى اختلاف الكثير من هذه الأحاديث^١.

وإذا كان الإمام موسى الصدر قد اعترف بالحقيقة المذكورة، وهي اختلاف الكثير من أحاديث الكافي، وعدم صحتها، وضعف بعضها، فإن شيعياً معاصرًا آخر هو السيد هاشم معروف، لم يعترض بهذا، ولم يشر إليه، إنما أورد خبرين حاول فيما التوفيق بين عدم اعتراف الإمام عشرية بإمامية زيد بن علي ما اشتهر به الأخير من الورع والتقوى والصلاح، وإنما ما خرج على بشيء أمية طالباً الإمامة لنفسه، وإنما خرج عليهم لظلمهم، تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي حالة انتصاره، لو انتصر عليهم، فإنه سيعيد مقاليد الخلافة إلى الإمام الشريعي وهو جعفر الصادق، ودعم هاشم معروف هذين الخبرين بكونهما مرويين عن ثقتين: هما الإمام الرضا، وبحبي بن زيد بن علي.

روى يحيى في (كتاب الأثير) أن والده زيداً لم يكن إماماً وصيحاً وإنما كان من سادة آل البيت الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، وهو أعلم من أن يدعى ما ليس له بحق، خاصة وقد حذر الرسول من ادعاء الإمامة كذباً، وأضاف يحيى حكاية عن أبيه: "إنما قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، على بذلك عمي جعفر عليه السلام" وهو اليوم أفقه بشيء هاشم^٢.

^١- من مقدمة الإمام موسى الصدر، الكتاب: هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص 28.

^٢- هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية - ص 227 - 228.

وعلق هاشم معروف على هاتين الروايتين فاذلا: "وغير هاتين مما هو صريح في أنه لم يطلب الإمامة لنفسه" وروي عن الباقر: "ويل لمن سمع داعيته ولم يجده" وروي عن الصادق: "إذا دعاكم فأجيئوه، وإذا استنصركم فانصروه"، دون أن يشير إلى ما رواه عنه الطبراني في كون زيد بن علي أهلاً للعبيعة والإمامية لأنه أفضل آل البيت وسيدهم وخيرهم¹. واستنتج هاشم معروف من الروايات الكثيرة الواردة في حق زيد، أنه كان في المرتبة الثانية بعد الإمام الشريعي الإمامي عشرى في عمه، وقداسته، وإخلاصه لله - سبحانه وتعالى - وللمبادئ الإسلامية العظيمة، وب بهذه الدوافع كانت ثورته².

واضطرار هاشم معروف إلى هذه المحاولة التوفيقية، في قضية إمامية زيد والزيدية عموماً، يفسرها عدم اعتراف زيد بوصية لعلي نصاً أو وصفاً، كما يذهب إلى ذلك الإشارة عشرية، ومن ثم فهم لا يعترفون بالزيدية كأئمة شرعيين وقد يعتبرونهم في الدرجة الثانية بعد هؤلاء، وهم موقف تتصل جذوره بنشوء الرافضة الذين تخلوا عن بيعتهم لزيد بن علي، ورفضوا أئمة الزيدية كما مر في الأحداث التي رواها (الكونيني) في (الكافي)، بالرغم من كون أئمتهم نالوا شهرة كبيرة، وكان لهم أنصار كثيرون يعولون عليهم في توسيع السلطة، لما يقضى على الدولة الأموية، وتقوم خلافة آل البيت، شخص بالذكر من هؤلاء الأئمة، زعيم مذهبهم وثورتهم زيد بن علي (ت. 122هـ/740م)، فلقد كانت ثورته على الظلم والإستبداد هي ثورة الفقهاء، والقراء، والأئمة، ومنهم الإمام أبو حنيفة النعمان (ت. 150هـ/767م)

¹ - الطبراني: تاريخ الأئم وأحكام الملوك: 498/5 - 499 - مطبعة الإنقاومة بتقاهرة

² - هاشم معروف: عقيدة التبيعة الإمامية - ص 228.

الذى كان من أنصاره^١. وقال عن ثورته: "لقد ضاهى خروجه خروج جده يوم بدر، فقيل له: لم تختلف عنه؟ فرد أبو حنيفة: حبستي عنه ودائع الناس، عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقبل، ولو علمت أن الناس يخذلونه كما خذلوا جده، لجاءت معه لأنه إمام حق، ولكن اعنته بماله، فبعثت إليه عشرة آلاف درهم، وقلت للرسول: أبغض عذري^٢.

ومن هؤلاء الأئمة الزيديين ذكر أيضاً محمد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفس الزكية، وكان من أنصاره ومباععيه على الإمامة أبو جعفر المنصور (ت. 159هـ/776م). ولكن الت الخلافة في النهاية إلى العباسين، بينما كانت في الحسبان إلى العلوبيين، وتمكن المنصور من قتل صاحب النفس الزكية سنة (145هـ/763م). وكان جزعاً لما أقدم على قتله بما له من ال碧عة في عنقه، ولم يرقمه بين الشيعة وأئل البيت.

ومعاً يدل على شرعية إمامية صاحب النفس الزكية - رغم رفض الإثني عشرية لها،^٣ أن أبو حنيفة كان من مؤيديه، فسجنه المنصور من أجل هذه المناصرة، حتى مات في حبسه سنة (150هـ/767م)، وكان تعميذه "زفر" قد نفطن إلى هذا الخطر المحقق بآمامهم أبي حنيفة، وبهم، فنبهه قائلاً: والله لن تدعنا يا شيخنا، حتى تلف الأغلال حول أعناقنا. ولكنه كان يفتني

^١- الطبرى: تاريخ الأمم والطلوك: 5/498-499 مطبعة الإستقامة بالقاهرة

^٢- الأصفهانى: مقاتل الطالبين - ص 145-147 - عبد الرحمن الشرقاوى: شخصيات إسلامية: ثمرة الفقه الشععة - ص 33.

^٣- الكلينى: الأصول من الكافي: 1/232، 233، 241 - كتاب الحجة - باب ما من سلاح رسول الله ومتاعه - وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة.

يوجوب الخروج مع زيد وصاحب النفس الزكية للجهاد في سبيل الله، وقد يفضل ذلك على الحج، لعزل النصيبي المتسم بالخليفة - في رأيه - .

ومن قبيل هذا ما رواه مالك بن أنس (ت. 179هـ/796م) قال: أكنت أتي ابن هرمز، فيأمر انجارية فتعلق الباب وترخي السترة، ثم يذكر أول هذه الأمة، ويذكر العدل، ثم يبكي حتى تخصل لحيته" قال: "ثم خرج مع محمد بن عبد الله فقال: والله ما فيك قتال، قال: قد علمت، ولكن يراني الجاهل فيقتلي بي".

وروي أيضاً أن الإمام مالك بن أنس ناصر محمداً صاحب النفس الزكية مناصرة ضعفية، بأن كان يفتى: إن البيعة التي تؤخذ كرهها، لا تؤيد من أخذت منه، وكان يعرض في كلامه بما يشير إلى جواز الخروج على الحكام الظالمين، مثل قوله - وقد سئل عن جواز الخروج على الأئمة - : "إن كانوا يخرجون على مثل عمر بن عبد العزيز، فقاتلهم، والا فدعهم ينتقم الله من ظالم بظلم، ثم ينتقم من كليهما". وقد أودى الإمام مالك على ذلك القول إيماء شديداً بالضرب الأليم¹.

ومنه أيضاً قول سلمة بن أسلم في صاحب النفس الزكية، وقد تبادرت

به الشيعة:

إماماً به يحيا الكتاب المنزل،	* أنا لنرجو أن يكون محمد،
ويحيا يتيم بائس وممعون ² .	* به يصلاح الإسلام بعد فساده،

¹ محمد أبو زهرة: الإمام زيد - ص 481.

² الأصفهاني: مقالات الطيبين: ص 233-234-239-243-245-265-279-280-

295 محمد أبو زهرة: الإمام زيد ص 481 الشهري: تأمل وتأمل: 1/213-212-211-210

لكتاب ابن حزم: الفصل

من خلال هذه التواحد، وغيرها... تبدو شرعية إمامية الزيدية، رغم رفض الشيعة الإلئني عشرية لها، أو اعتبارها في المرتبة الثانية، بسبب عدم قولهم بالوصية لعلي بن أبي طالب نصاً أو وصفاً، أو لقول أوائل الجارودية من الزيدية بالوصية لعلي تعرضاً لا تصريحًا¹.

- النوخنی: فرق الشيعة؛ ص 26-27 - الاشعری: مقالات الإسلاميين؛ 1/133 - الکنینی - الأصول من الكافی؛ 1/232-233 - 242 كتاب الحجة - ياب ما عند الأئمّة من ملاح رسول الله ومتنعه - ويلب ذكر الصحيفة والجفر... - الشهريّانی: المل و والنحل؛ 1/211-212 ذيلاً لكتاب ابن حزم؛ الفصل.

الفصل الثالث

العصمة

العصمة في اللغة، تعني المنع. وعصم الله عبده مما يوبقه منعه. وفي التنزيل - أساوي إلى جبل يعصمي من الماء -^١. أي يعني من أن يغرقني الماء.

واعتصم فلان بالله، إذا امتنع بلطفه من المعصية، واستعصم، امتنع وأبى، قال الله عز وجل - حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عن نفسه - قالت: فذلken الذي نعمتني فيه، ولقد راودته عن نفسه، فاستعصم، ولنن لم يفعل ما أمره ليسجن، ولن يكون من الصاغرين^٢. واستعظام يوسف يعني أنه تأبى عليها، ولم يجدها إلى ما طلبها. وفي الحديث أمن كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله فذلك ما يعصمه من المهالك يوم القيمة. وفي التنزيل 'ولَا تمسكوا بعصم الكوافر'^٣. أي بعقد الكفرة من النساء. وفيه أن أصل العصمة، الجبل، وكل ما أمسك من شيء يعتصم به، ومنه قوله تعالى "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".^٤ أي تمسكوا بعهد الله. وقوله "ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم"^٥. أي يتمسك بحبله وعهده^٦.

١- سورة هود: الآية 43.

٢- سورة الممتنعة الآية 10

٣- سورة يوسف: الآية 32.

٤- آل عمران: الآية 103.

٥- سورة آل عمران: الآية 101.

٦- ابن مطرور: لسان العرب: 2/798-799.

هذا معنى العصمة في اللغة أما في الإصطلاح، فتعني امتياز صدور الخطأ عن من اتصف بها وتعتبر العصمة لدى الشيعة الإثنى عشرية من أهم الأصول التي يجب أن تتوفر في الإمام، وتحتل مكانة هامة في عقيدتهم، ولذلك فقد أفضى متکلسوهم في الحديث عنها، إلى درجة أن وصف الإمام بأية فضيلة أخرى أصبح يتضاعف إلى جانب وصفه بالعصمة، ومرد ذلك أن يثبت الشيعة صحة دعوى الأئمة، نقضوا لمقالة أهل السنة القاضية بحصر العصمة في الرسل، ذلك أن علماء السنة لا يقولون بعصمة الأئمة ولا ينفون عنهم الخطأ أو الظلم أو الفسق، ولذلك هو السبب في قبولهم إماماً خلفاء بنى أمية، وبني العباس بالرغم مما أظهره بعضهم من خروج عن دائرة الحق، في بعض الأحيان، ولذلك فمن المحتمل أن تكون فكرة عصمة الرسل والأنبياء في الإسلام، مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعد، إلى تطور علم الكلام عند الشيعة، وللتذليل على هذا، يذهب الإثنى عشرية، إلى اعتبار أول الأئمة المعصومين بعد الأنبياء، علي بن أبي طالب، استحق الإمامة، ومقام رسول الله، نصلة رحمة به، ومصاهرته له، بعد أن كفله في صغره اعتراضاً ورداً بجميل والده عمّه أبي طالب فاستحق ميراثه إنما الإسلام، لعصمه، وطهارة مولده، وسابقته، وعلمه، وشجاعته، وسخائه، وزهده، وعدالته في رعيته، ولا بد بعد ذلك أن يقوم مقام علي، رجل من ولده، ومن ولد فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم - معصوم من الذنوب، تقى، تقى، مامون رضي، ميرزا من الآفات، والعاهات، في كل من الدين، والنسب، والمولاد، يوم من منه العمد، والخطأ والزلل، الموالي له ناج، والمعادي له كافر هالك¹. ولهذا فأصل

¹ - النوبختي - فرق الشيعة - ص 24-25.

كتابي - أول من الكافي - 1/199/204 كتاب الحجة - باب نادر جامع في فضل الفضائل وصفاته.

عصمة الأنماة، وبراءتهم من العيوب والذنوب، هو أحد الأصول الإمامية
الراسخة في العقيدة الشيعية^١.

وتتجلى عصمة الإمامية، في كونهم خلقوا من غير طينة البشر العاديين،
فقد خلقهم الله من علبين، وخلق أرواحهم من فوق، وخلق أرواح شيعتهم من
علبين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فكانت وسائل القربي بينهم، وبين
أتباعهم متواصلة، تحن قلوبهم إلى بعضها البعض.

وكيف لا يكون الأنماة معصومين، وقد خلقهم الله من نور عظمته؟
وصور خلقهم من طينة مخزونة، مكونة من تحت العرش؟
وأنكروا ذلك النور فيها، فكانوا خلقاً وبشراً نورانبيين، خصمهم الله بهدا
الخلق النوراني دون غيرهم وخلق أرواح شيعتهم من طينتهم، وخلق أبدانهم
من طينة مخزونة، مكونة، أبغى من طينة الأنماة، ولم يجعل الله لأحد في
مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا لأنبياء، لأن الإمامة من أجل الأمور بعد
النبوة،^٢ ولذلك صار الأنماة وشيعتهم "الذان وصار سائر الناس همج، للنار
وإلى النار"^٣ وهو مصدق قوله تعالى "كلا إن كتاب الأبرار لفي علبين، وما
أنراك ما علبيون" كتاب مرقوم يشهد المقربون "وقوله عز وجل أيضاً 'كلا
إن كتاب الفجار لفي سجين، وما أنراك ما سجين - كتاب مرقوم -".

١- الشیخ المفید - أبوالثواب العقالات في المذاهب المختارات - ص 97.

دوشنسن - عقيدة الشيعة - ص 328

٢- التوبخى - فرق الشيعة - ص 24/25.

٣- سورة المطففين: الآيات 7-9-18-21.

- الكلبي: الأصول من الكافي: 389/1 - 390 كذاب الحجة - باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم
وفتوبيهم.

وقد عدل الشيعة الإثنا عشرية رأيهم في غير المعترف بالإمام، وذلك من خلال ما فرره محمد بن الحسن الطوسي، في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي) من أن الإعتراف بالله، وبرسله وبما جاء في القرآن والسنة، يكفيان لوصف الفرد بالإيمان، وهذا ما عنده أيضا عبد الله فياض من الشيعة المعاصرین عندما اعتبر الإمامة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين¹. وقد اعتبر الزيدية المتأخرة الإمامة شرطاً لازماً من شروط الدين وصحة المعتقد². وهذا ينافي اعتدال مبادئهم منذ ظهوره حيث أنه بقدر ما كان إمام الإثني عشرية مغرقاً في الغيبة، متميزاً بصفاته المتألية، كان إمام الزيدية إماماً عادياً ذاتاً صفات بشرية، لم يسبغ عليه الانتصار حالة غلوصية، تجعله أقرب إلى الأنبياء منه إلى البشر العاديين، ويتجلى اعتدال إمام الزيدية في رفض زيد صفات الإمام الغيبة كالعصمة والتقدمة والغيبة والرجعة والمهدية والوصية المباشرة، وهذا يعني أن إمام الزيدية إمام مستمد من الواقع تتوفّر فيه شروط لا تخرج عن نطاق القيم العربية الإسلامية، وقد مثلها زيد بدينه وزكي خلقه، وهذا هو السر في اتفاق هذه الشروط مع خلقه ومكونات شخصيته، إذا لا نكاد نجد فرقاً جوهرياً بينهما، وبين الشروط المطلوبة في الإمام الزيدى، فقد وصف زيد بكونه من عظماء آل البيت علماء، وزهداً وورعاً وشجاعة، ودينًا، وكarma وكان دائمًا يحدث نفسه بالخلافة، ويرى أنه أهل لذلك، وما زال هذا المعنى يتتردد في نفسه ويظهر على

¹ الطوسي: الشیان: 351/9 - 352 - عبد الله فیاض - تاریخ الإسلامیة - ص 131 - هـ -

² - نقلًا عن الدكتور علي النابي: الشيعة في إيران - ص 118.

³ - عبد الله أحمد الثور: مختصر من تاريخ اليمن - ص 120 - 122.

صفحات وجهه، وفتات لسانه، ولكن مع ذلك قد حكم بعدم عصمة الإمام، وأقام منهجه الاستدلالي على خلاف العصمة، فلستلزم هذا الحكم طلب صفات ممكنة في الإمام، تناقض ما اتصف به إمام الاثني عشرية من صفات مثالية - لما توجبه نزعة الإشراق - كالعصمة والسمو بالإمام إلى أفق غيببي، تضرر دونه الأفهام وتتحقق به مطامحهم في رجعته بعد غيابه ليملأ الأرض عدلاً وإنصافاً كما مثلت جوراً وظلمها. ولما كان منهج زيد الاستدلالي يقوم على رفض العصمة، وعلى الإيمان بأن ظاهرة النبوة لا تتكرر، رفضه أغلب الشيعة ولم يجد معه في "النهاية إلا قلة من أنصاره، آثرت مبادئه على المبادئ الشيعية الاثني عشرية فخاضوا حرباً غير متكافئة ضد جيش من الأمويين مدرب على قمع الثورات. واستمر الزيدية بعد زيد، يرفضون عصمة الإمام حتى بعد تخلي بعضهم، عن المباديء المعتدلة التي عرفوا بها منذ عهدهم الأول، ولذلك فلا نكاد نجد لعصمة الإمام عندهم ذكراء، مهما حاوينا أن نقصى ما كتبه مؤرخو الفرق، والمتكلمون من الزيدية وأهل السنة على السواء^١.

وحتى من عرف من الزيدية بالغلو والطعن على الخلفاء الراشدين والتمامين الأذلة التقليدية في النص على إعامة علي بالوصية الظاهرة، فإنهم لم يصفوا أيّ منهم بأي نوع من العصمة، وإن أشاروا إلى ضرورة صهارة الإمام ونور عه عن النفائض ونقاه دون أن يحددوه لذلك عصمة تصاهي في

١- من هذه المصادر نذكر مثلاً: سند الإمام زيد برواية أبي حاتم الواسطي، ومؤلفات الباهي يحيى بن الحسين (ت 298هـ/1110م) كالأشرون في الدين، وتشريع أسماعه، ومن اعتزل الشك، وزرسائل العدل والتوحيد... ومقالات الإسلاميين المكتعربي - وفرق الشيعة للتوبختي، وتأرج العروض للسيد المرتضى والفرق بين الفرق تبغدادي - والمثل للشهرستاني...

مفهومها وفلسفتها ما ذهب إليه الإناث عشرية من عصمة الإمام. ونخص بالذكر من هؤلاء الزيدية الهادي يحيى بن الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت - 298هـ / 911م) مؤسس الدولة الزيدية باليمن، وقد ذكر الهادي في مؤلف له سماه: (رسائل العدل والتوحيد) شرطًا للإمام لخصها في كونه: 'ورعا تقىاً صحيحاً تقىاً، وفي أمر الله مجاهداً، وفي حطم الدنيا زاهداً وكان فهماً لما يحتاج إليه عالماً بتفسير ما يرد عليه، شجاعاً بذولاً سخياً رؤوفاً بالرعية، متعطفاً محسناً حليماً مساوياً لهم بنفسه، مشاوراً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم ولا حاكم بغير حكم الله فيهم، قائماً شاهراً لنفسه، رافعاً لرأيته، مجتهداً مفرقاً للدعاة في البلاد غير مقصراً في تأليف العباد، سخيفاً للظالمين، مؤمناً للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين ولا يأمنوه، بل يطلبهم ويطلبونه وقد بانيهم وبانيوه، وناصبهم، وناصبوه، فهم لهم خائفون، وعلى هلاكه جاهدون يبغضهم الغواص، ويدعوا إلى جهادهم القبائل، متشارداً عنهم، خائفاً منهم لا يردعه عن أمور الله، ولا يمنعه عن الإجتهد عليهم كثرة الإرجاف، شمرى مشمر غير مقصراً^١.

- الهادي: علي محمد زيد، معزنة اليمن 182 - 191.
- علي محمد زيد نك معزنة اليمن - ص 182 - 191.
- البغدادي: التاريخ الكبير : 23/2 - 24 - النجف 1358
- الطبرى: تاريخ الأمم والسلوک: 251/8 - الطبعية الحسينية المصرية
- الطبرى: تاريخ الأمم والسلوک: 498/5 - 499 مطبعة الاستقلال بالقاهرة
- البغدادي: الفرق بين الفرق - ص - 25 - تحقيق الكوثرى
- الشهريستاني - اتمل والنحل 1/207 - 218 نbla لكتاب ابن حزم الفصل.
- ابن طباطبا - الفخرى في الأدب السلطانية - ص 95.
- الدكتور علي الشنبي مباحث في علم الكلام والفلسفة - ص 110 - 118.

هذا مجلد رأي الإثني عشرية والزيدية في العصمة، وسنحاول تفصيل ما أجملها، مقتصررين على رأي الشيعة الإثني عشرية لأن محاولة تفصي العصمة لدى الزيدية يعتبر ضرباً من التمحل لعدم ورود ذلك عندهم، ذاكرين أن الإمام عند الإثني عشرية استحق العصمة رغم صفتة البشرية لأنه مخلوق مثل الأنبياء من عشر طيارات الله، عز وجل، من الجنة وخمس من الأرض، ونفح الله فيه روحين مخلوقين هما روح القدس، وروح من أمره تعالى يوحدان في حافظي نهر دون العرش عمّه نور جليل¹.

وبهذا التفسير الغيبي في خلق الإمام أوجب له الشيعة العصمة والبراءة من الذنوب، والآفات والعيوب، لأن واقعهم بصلابته ومرارته فرض عليهم أن يضفوا على الإمام كل صفات المثالية والقداسة ليخلصهم من ظلم الحكماء الذين عاشوا في عهدهم، واستعملوا معهم شتى الأساليب لتصفيتهم جسدياً، وليكون هذا الإمام المثالى ملائكة يهدون في كنفه كلما أقض مضجعهم هذا الواقع المرير، ولذلك بقدر ما كان إمام أهل السنة والزيدية واقعياً غير معصوم، بقدر ما كان إمام الشيعة الإثني عشرية مثالياً مغرقاً في الغيبة، عصمه الله من كل أنواع الآفات والعيوب، لما ذكرنا من الأسباب السياسية التي واجهتهم عند اصطدامهم بالخلفاء السنين، ولأسباب أخرى تتعلق بانتقامهم، معظم هؤلاء الشيعة إلى الأصل الفارسي المعروف بإغرافه في الغيبات والخيل كذلك قيل: إن التشيع هو التفسير القومي الفارسي للإسلام².

¹ الأصول من الكافي 1/389 - 390 كتاب الحجة - باب إيدان الأئمة وارواهم وقلوبهم.
² فنيلوزن بوليون، أحزاب المعرضة في الإسلام، الدكتور علي الشابي، الشيعة في إيران، ص 5.

وللتأليل على هذا نذكر أن ملحمة (الشہنامہ للفردوسي) اعتبرها الفربن قرآن العجم، وهذا الحكم يفسر رجوعهم إلى اللغة الفارسية، بعدما كانت العربية هي اللغة الرسمية للمسلمين جمِيعاً¹. وامتزجت اللغتان في تأثر منقطع النظير دعماً للإسلام حتى قال علماء الفرس المسلمين: لغة أهل الجنة الفارسية الدرية (الأصلية والعربية الفصيحة).

أضف إلى ذلك فإن الشعوبية مرض اجتماعي لم يستطع الإنفلات منه، أي شاعر فارسي، مهما كان معدلاً. وللاحظ هذا في (الشہنامہ) التي تعتبر نظماً لكتاب الملوك الذي حوى تاريخ إيران وقصصها الحقيقي والأسطوري من أوائل البشر، إلى سقوط الدولة الساسانية، وقد سيطرت عليها نغمات البطولة والتغني بعظمة إيران ومجدها الغابر وما ثر ملوكها الأقدمين، "في موضوعات مختلفة تسurg في الإطار الملحمي الذي وقع بين إيران وأعدائها من العرب والتوران (الترك)، والروم، وتعمد إلى إظهار الإيرانيين في صورة بطولية زاهية، يحلو للفارسي أن يتملاها كلما ذاق مرارة الهزيمة وألمت به الكوارث، ولكي تعمق هذه البطولة فقد أظهرت (الشہنامہ) الأعداء أبطالاً أقوىاء محنكين" ومن أبطال الشہنامہ (الضحاك) وهو ملك من أصل عربي وصل إلى اعتلاء العرش الفارسي، ولذلك فإن الفردوسي يصوره بكونه "المُلَكُ الشَّرِيرُ، أَغْوَاهُ الشَّيْطَانَ فَقُتِلَ أَبَاهُ (مردان)، وَكَانَ (زرادشت سواران نيزه كذار) "من صحراء الفرسان الضاربين بالرماد"². وسيطر على

- 1- الدكتور علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوبي - ص 11 -

- استاذ الدكتور علي الشابي في بعض محاضراته

²- ترجمة الدكتور علي الشابي

الأدب الفارسي في العصر الغزنوبي - ص 141.

أرض العرب ثم نما اضطررت الأمور في عهد (جشميد) وثار عليه الشعب اختاروا لهم هذا الظالم ملكا فدام ملكه بينهم ألف سنة أذاقهم فيها كل ألوان الظلم، فاختفت رسوم الحكماء والأشراف، وزاده الشيطان أغواه حين أثبت في كفيفه حيث لا تتغذى إلا بمخي شابين، وهكذا استمر في ظلمه إلى أن ثار عليه الشعب الإيراني الناس المظلوم بقيادة حداد اسمه (كاوه)، يصلح أن يكون أنموذجًا لثورة إيران الشيعية، فحرر وطنه وخلصه من ظلم ذلك (الملك) العربي، فنادي الشعب (بأفريدون) ملكا، فبسط العدل وقضى على الظلم والفساد^١. وذلك الخيال العجيب دليل على شعوبية الفرس المسلمين خاصة في كونهم أسمى من العرب وأفضل فكان صوغهم لذلك الحديث الضعيف أو الموضوع: "لو كانت الحكمة في الثريا لانتقطها أهل فارس"^٢.

وتكتسي هذه الأسطورة صبغة قوبية واضحة فهي تهدف إلى إظهار شعب إيران بمظهر الخير الذي تعرض لظلم (الضحاك العربي) وبلانه، ويقيم الفردوسي في هذه القصة صراعاً مشوقاً بين الخير والشر،^٣ يذكر بصراع إله النور وإله الظلم (اهورا مازدا وأهريمان Ahrimen) في الديانة الفارسية القديمة، وتعني بها الديانة الزرادشتية.^٤ ولذلك عد التشيع تفسيراً قومياً فرنسيّاً للإسلام^٥. كما مرّ بنا سابقاً وأكّلنا عليه ونؤكّد لإثبات هذه الحقيقة التي لا تقدح في صدق إسلام الفرس، بقدر ما تعكس ارتدادهم

^١ الدكتور علي الشامي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوبي، ص 139 - 141 - 220.

^٢ - جيمس هنري برسٹ: انتصار الحضارة ترجمة أحمد فخری ص 256 - 260 - 261.

^٣ - الدكتور علي الشامي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوبي ص 141.

^٤ - يونيون فنهوزن، أحزاب العزة في الإسلام، الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران، ص 5.

وأيمانهم بهويتهم الساسانية وحضارتهم الفارسية العظيمة والأنسانية، ذلك شأن الشعوب صانعي التاريخ والحضاراتوعليه فالمسلمون الإيرانيون حاليا هم هبة الله ونصرة للإسلام والمسلمين فلندرك وليدركوا ذلك جيدا حتى لا يجرف التيار قصار النظر العقدي السياسي فيعتبروا بمصالح الأمة والعربية والإسلامية فيكون مثلك كمثل الجاهل الذي يفعل بنفسه ما لا يفعله العدو بعده... والعياذ بالله.

هذه حسما يبدو بعض أسباب إغراق الفكر الشيعي في الخيال والغيبية، إلى درجة تصويره الأئمة مثاليين، معصومين من كل أنواع الخطأ والذنوب، مثلاً كان ملوك الفرس وأكاسرتهم معصومين، مولهين. وذا كان الإمام معصوماً، في نظر الشيعة فهو قادر على فعل المعصية؟

واعتباراً لصفات البشرية المركبة في الإمام فهو قادر أن لطف الله هو الذي شمله فمنعه من الوقوع في الخطأ كما يقع عامة البشر فيه، أم أن زكاء خلقة الإمام وتراكيبه الروحاني يسعوان به إلى مصاف الملائكة، فلا تمثل نفسه إلى ما يميل إليه سائر البشر من الشهوات المحفوفة بالمكاره؟ لقد تضاربت آراء الشيعة الإثنى عشرية في الجواب عن هذا التساؤل:

هل أن العصمة من فعل الله، أو من استعداد الإمام؟ وبتعبير آخر هل أن الله خص الصفة الأخيرة بالعصمة، أو أن هذه العصمة فعل كامن في الإمام لا يمنعه من الوقوع في الخطأ، ولا يضطره إلى الحسن؟

ويرجع هذا التضارب إلى تأرجح آراء الشيعة بين كون العصمة لطافة من الله، شمل المعصوم فمنعه من الوقوع في الخطأ، أو بين كونها غريزة جبل عليها المعصوم منذ ولادته، فهي صفة كامنة فيه بموجب تراكيبه

الروحاني، وبموجب ذلك النور الإلهي المنتقل في أصلاب الأئمة، أو أن العصمة لطف من الله وغريزة كامنة في المخصوص في آن واحد^١. وفي مرويات الشيعة يبدو الإمام من أهل الصفة والطهارة أكرم الله بهذه المنزلة لقوله تعالى مخاطباً إبراهيم الخليل:

إني جاعل لك نذان إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الخالقين^٢، ولكنك أوحى إليك فعل الخيرات بموجب قوله عز وجل: "ووهبنا نه إسحاق ويعقوب نافلة وكلما جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقاموا الصلاة، وآيتاء الزكاة، وكانوا لنا عابدين"^٣.
ونما أوحى الله إلى الإمام فعل الخيرات فقد طهره من الذنوب وبرأه من العيوب ولا حيلة له في ذلك، إذ لو ترك شأنه لأخطأ وأصاب فهو إذن مخصوص، مؤيد موفق مسدّد، قد أمن من الخطأ والزلل والعتار، مطرود عنه حبات إيليس وجنوده، يخصه الله بهذه المنزلة، ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم^٤.
ويظهر الإمام في مرويات شيعية أخرى وكأنه جبل على العصمة فهو معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول وتسل فاطمة المطيرة البتول، لا مغمز فيه في تسلب، ولا يدان به ذو

^١- الكثيفي: الأصول من الكافي: 1/389-390.
كتاب الحجة باب خلق أبدان الأئمة وأرحاجهم.

^٢- سورة البقرة: الآية 123

^٣- سورة الأكਬار: الآية 73

^٤- الكابي: الأصول من الكافي: 1/199-200-203-204- باب ندر جامع في فضل أفعاله وصفاته

حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم، والعترة من الرسول، ناصح لعبد الله حافظ الدين الله^١. ومن خلص الأشراف والتم الأزرق السادس الفارسي الأصيل النبيل حيث إن الآية كلامهم بعد الحسن من نسل الحسين وزوجه (شهربانو) لفارسية ابنة آخر كسرى (يزد جود الثاني).

ولذلك فالعصمة، لدى الإثني عشرية، قوة تمنع الإمام من الوقوع في المعصية والخطأ، بحيث لا يترك واجبا ولا يفعل محرما، مع قدرته على الفعل والترك، وإلا ما استحق مدحا ولا ثوابا، أو أن المعصوم قد بلغ من التقوى جدا بحيث لا تتغلب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم بالشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطئ معها أبدا وهو غير مجبر على فعل الحسن وترك القبيح، لأن له غريزة تردعه عن الوقوع في المعصية، كما تردع غريزة الشجاعة عن الفرار وغريزة الكرم عن البخل^٢.

وقد عرف الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت 110هـ/729م) المعصوم بكونه من انتقم بجبل الله المتنين، وهو القرآن، فلا يفترق الإمام عن القرآن إلى يوم القيمة، والإمام لذلك يهدى الناس إلى القرآن، ويفسره لهم، والقرآن يهديهم إلى الإمام لقوله تعالى: إن هذا القرآن يهدي لمن هي أقوام^٣.

ويشرح المجلسي تعريف زين العابدين بكون تفسير العصمة بالإعتماد بجبل الله، بما ياعتبار أن الله يعصم الآية من التنوب بسبب اعتمادهم

١- نفس المصدر: 202/1.

٢- محمد جواد مغنية: الشيعة في العيزان: ص 272.

٣- سورة الإسراء: الآية 9.

بالقرآن، أو أن المراد بالمعصوم أن الله عصمه بالقرآن، فيعمل بما جاء به ويعرف معانيه جسيعاً.

وتعتبر العصمة من صفات الإمام الضرورية التي برأها أوائل متكلمي الشيعة، ومنهم هشام بن الحكم (ت. 199هـ/815م) حين اعتبر جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها، وهي الحرص والحسد، والغضب، والشهوة، وهذه الصفات كلها منفية عن الإمام، فلا يجوز أن يكون حريضاً على الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنه خازن أموال المسلمين، فعلام يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسداً لأن الإنسان إنما يحسد من هو أفضل منه، وليس أفضل منه أحد، فكيف يحسد من هو دونه، ولا يجوز أن يغضب شيء من أمور الدنيا، إلا أن يكون غضبه لله، عز وجل، وقد فرض عليه إقامة حذوده، ولا يجوز أن يجري وراء الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الله حبب إلينا الدنيا، كما حبب إليه الآخرة، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر نحن إلى الدنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيباً لطعم مر، وثوباً نيداً لثوب خشن، ونعمه دائمة باقية، لدينا زائدة فانية؟².

ونلاحظ هنا أن كثيراً من الزاهدين والأنقياء والمتصرفون تركوا طيبات الدنيا ومالوا إلى التفشو وما قل من الطعام، وما خشن وستر من الثياب، هروباً إلى الله، وخوفاً من الإفتتان بنعيم الدنيا، ومع ذلك لم يدعوا العصمة، ومن ادعاهما من هولاء فهو كاذب يسعى وراء مصالح أخفاها بالزياء، أو مخبوئ من ذوي السذاجة الدنية، وهذا القياس يعطينا فكرة عن تأويلات

¹ دويندين: عقيدة الشيعة ص 318

² دويندين: عقيدة الشيعة ص 317

الشيعة، وأفيس لهم وحجتهم، وما تحمله أحياناً من روعة وقوة إقناع في
الظاهر، يجعلها غموضاً واضطراكاً في الباطن.

وعلى كل فتفسير هشام بن الحكم للعصمة لا يتضمن إلا نفياً لبعض
الرذائل، دون أي جزم بكونها إلى كونها من فعل الله أو من استعداد المكلف.

أما الشيخ المفيد (ت. 413هـ/1022م) فقد عرف العصمة بكونها
الإمتاع عن فعل الذنوب والقبائح عند حصول اللطف من الله تعالى في حق
الإمام، وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية اختياراً لا على
وجه القهر، لأنَّه قادر على فعل المعصية وترك الطاعة، وقدر على الطاعة
وترك المعصية، ومن ثم فليس العصمة مانعة من القدرة على القبح، ولا
 مضطربة للمعصوم إلى الحسن ولا ملجمة إليه، بل هي الشيء الذي يعلم الله
تعالى، أنه إذا فعله بعد من عيده لم تؤثر عنه معصية له، وليس كلُّ الخلق
يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفووة الأخبار لقوله تعالى:
"ولقد اخترناهم على علم على العالمين"^١. وقوله أيضاً: "وأنهم عندنا لمن
المصطفين الأخيار"^٢.

وعرف نصير الدين الطوسي (ت. 620هـ/1223م) العصمة،
بكونها ما يمتنع المكلف معها من المعصية متراكماً منها، ولا يمكن أن يكون
معنعاً عنها وهو لا يقدر على فعلها. ولذلك فحال الإمام في قضية العصمة
لا يخلو من أمرتين: أما أن يقدر على المعصية أولاً يقدر، فإنْ كان قادراً
عليها فلا يخلو: إما أن يمكن وقوعها منه، أولاً يمكن وقوعها منه، فإنْ أمكن

^١ سورة الدخان: الآية 31.

^٢ سورة صاد: الآية 46 المفید شرح عقائد الصدق ص - 114 -

فهو كسائر المكافئين من غير امتياز، فإن لم يكن فقدرته على ما يمكن، لا تكون قدرة، وإن لم يقدر فهو مجبور وليس ذلك بشرف له^١.

ثم انقل الطوسي من عصمة الرسل إلى عصمة الأئمة، مقرراً أن الله أرسل محمداً معصوماً قائماً بالحق وقائلاً بالصدق، وأنزل عليه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن عصمة الأنبياء والأئمة جميعاً عن المعاصي والذنوب، لا تعني عدم قدرتهم على ارتكابها، بل هم قادرون عليها، ولكنهم لا يقعون فيها لعدم خلوص داعيهم إليها، مثلاً يقال في امتياز القبائع من الله تعالى، وكما أيضاً يقال في عصمة الأنبياء - ع عليهم السلام - ولذلك فإن القدرة على ما يمكن وقوعه لا اعتبار شيء غير ذاته، لا يستكر إنما تستكر القدرة على ما يمكن وقوعه ذاته.

يعني بذلك أنه لا يمكن أن تستكر القدرة على المعصية في حالة عدم ارتكابها، إنما تستكر القدرة عليها في حالة ارتكابها، والصورة الأولى موجبة للمدح والثواب، والثانية موجبة للذم والعقاب.

واشد سبحانه وتعالى لم يجعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غير استحقاق منه، وإنما كل من يستحق تلك الألطاف الإلهية الخاصة التي هي العصمة بكبه فإنه يخصه بها، والإمام يجب أن يكون من تلك الصنفية، والمكثفون بأسرهم لو استحقوا بكبدهم تلك الألطاف الإلهية الخاصة، لكانوا كليهم معصومين، ومن ثم يظهر أن الخل في عدم عصمتهم، راجع إليهم لا إلى الله تعالى^٢.

^١ - الطوسي: رسالته في الإمامة - ص 19 - 20.

^٢ - الطوسي: رسالة الإمامة - ص 1 - 2 - 20.

وقال الطوسي في كتاب (التجريد): "المعصوم قادر على فعل المعصية، والا لم يستحق التكليف وذلك باطل بالإجماع والنقل^١."

وعرف الحنفي (ت. 726هـ/1326م) العصمة بأنها لطف يفعله الله، سبحانه وتعالى، بالمكلف، سواء أكان رسولاً أم إماماً، بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك، لأنه لو لا اللطف الإلهي الذي شمله لم يحصل الوثيق بقوله، ولأنفت فائدة بعثة الرسول، ونصب الإمام^٢. ولذلك فقد ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهوأ، لأنهم حفظة الشرع والقوانين به، حالهم في ذلك كحال الأنبياء، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي لغرض الانتصاف من الظلم المظلوم، ورفع الفساد، وحسم مادة الفتن. ولأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات، واحتساب المحرمات، وتقييم الحدود والفرائض، ومراقبة الأسواق ونزعير من يستحق التعزير^٣.

فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه لا نتفت عنه هذه الفوائد، وافتقر إلى إمام آخر^٤. وعرف السريف الجرجاني (ت. 816هـ/1413م) العصمة بكونها "منكة احتساب المعاشي مع التمكن منها"^٥. معتبراً ليها

^١- الطوسي: التجريد: ص 228- طبع عرقان

^٢- شغل عن هاتم معروف عقيدة الشيعة الإمامية - ص 75.

^٣- التعزير لغة: التوفير والتعظيم والتأديب. واصطلاحاً: الضرب دون الحد الرازي مختار تصحيح: ص 429- مادة (عزر)

^٤- الحنفي: نهج الحق: ص 38.

^٥- السريف الجرجاني التعريف - ص 80- مادة حرف (العين).

غريزة مانعة من صدور الخطأ عن اتصف بها، مثلاً تردع غريزة الشجاعة عن الفرار من المعركة، وغريزة الكرم عن البخل.

أما علي بن الفضل الجيلاني فقد عرف العصمة، تعريفاً اتجه فيه إلى التأثر بالمعضلات الأفلاطونية، معتبراً إياها قوة روحانية وموهبة فطرية مختصة بالنفوس القدسية، لاستعدادها الذاتي وبها تتمكن من الحصول على حقائق مشاهدة عقليّة بغير ظنّتها، ولا يحصل معها ارتكاب المعاصي والسيء والنسيان، وإن كان ذلك ممكناً لذاتها البشرية، وفسر الجيلاني استعداداً نفس المعصوم لتحصيل الحقائق متأثراً بالفلسفة الأفلاطونية أيضاً، فصنف الموجودات في ترتيب تصاعدي من جماد ونبات، وحيوان، وانسان، وإذا كان أعلى مراتب كل موجود يتصل بما فوقه، فإن أعلى مراتب الإنسان متصلة بالملائكة والروحانيات، مرتبطة بعالم الربانية بقوته الروحانية عن طريق تلقي الإلهامات الإلهية، وما تقتضيه... معصومة من الخطأ، ولا تتسلى هذه العصمة إلا للقلة من اصطفاهم الله سبحانه وتعالى - سنته الله في خلقه ونن تجد سنته الله بديلًا.

واعتبر الجيلاني نفس المعصوم من أشرف النفوس بالفطرة نعيلها إلى محسنات الأشياء، وانصرافها عن قبحها، من أجل مشاهدة حقائق الأشياء تماماً مثلاً تشاهد النفوس غير القدسية محسوستها، فالمشاهدات والإتصال بالروحانيات والتلذذ بها، تصرفها عن ارتكاب القبائح والمحرمات، فتكون معصومة عنها، ولذلك تكون اللذة أحياناً في ترك اللذة¹.

علي الجيداني: توفيق التطبيق - 16.

- أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الإمامية عشرية ص 108 - 109.

- ابن أهيم منكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ص 72 - 76.

ومن خلال هذه التعريفات الشيعية، تبدو العصمة لطفاً من الله بالنسبة للعبد، فلا يجد داعياً لترك الطاعة وارتكاب المعصية، وتتجلى أسباب النطف في وجود خاصية في نفس المقصوم أو في بذنه تمنعه من الفجور بمقتضى الغريزة، لقوة إرادته، ولعدم انقياده مع شهواته وميوله النفسية مع علمه بالمعايير وفبائح المعايير، وكذلك بالمناقب والمحاسن، فيعلم قوائد الطاعة ومضار المعصية ويتأكد هذا العلم بالوحي المتتابع، والإلهام من الله تعالى، للإمام، فيدرك أن الله، عز وجل، يؤخذ عما يقتضي فعله وعما يجب تركه، ولو كان من قبيل السهو والنسيان، فيعلم دواماً الحق والعدل، ولا نزل قدمه. وكل من اجتمع في هذه المناقب يستحق أن يكون مقصوماً. وذلك كان شأن يوسف مع امرأة العزيز فقد حكى الله عنه قائلاً: "ولقد همت به وهم بها لو أن رأى برهان ربه"^١.

وهذا أمر يدل على أن للمقصوم القدرة على المعصية وإلا ما استحق مدحه ولا ثواباً على تركها، وكان خارجاً عن التكليف، ولم تصبح العصمة كذلك أو فضلاً، لأنها تتحقق بقوة العقل الذي بموجبه كلف البشر، كما تتحقق بنور الفطنة والاستعداد لذلك مع كثرة العبادة والزيادة، والهداية الربانية، والتوفيقات الإلهية، فيصبح هواء تبعاً لما أنزله تعالى، ويصل بذلك إلى مقام الصالحين الذين يعملون بقوله تعالى: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله"^٢. ويصدق فيه الحديث القدسي الذي روى الشيعة ورواه أبو هريرة أيضاً في صحاح أهل السنة قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله

^١ سورة يوسف: الآية 24 - الحلي: الأنبياء في إيمانه أمير المؤمنين - ص 5 - 85 - 180

^٢ سورة الإنسان: الآية 30.

تعالى قال: أمن عادى لى ونیا فقد اذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء
أحب إلى معا افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقارب إلى بالتوافق حتى أحبه،
فإذا أحببته كانت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي
يحيط بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيك ولئن استعاد بي
لأعيذه. وفي رواية أخرى لأهل السنة عن أبي هريرة أن رسول الله قال:
قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني فإذا
ذكرني في نفسه ذكرته في نفيسي، وإذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا أكثر
وأفضل منه... الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضلاله بالغلاة، ومن تقرب
إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإذا
أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهرون^١. وفي رواية دلله أفرح بأوبه عبده من
أحدكم يجد ضلاله بالغلاة... .

وإذا وصل العبد إلى تلك المرتبة، كان ترك الطاعة وصدور المعصية
عليه محلا، اختيارا الحبرا، إذ لو وقع منه الخطأ لوجب الإنكار عليه، وذلك
مضاد للأمر بطاعته^٢. نقول الله سبحانه وتعالى، يا أيها الذين آمنوا أطابعوا
الله وأطابعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . .^٣. والأوبة تعنى الرجوع إلى الله
والتنبيه عن المعاصي، وهي تمر بمراحل، تبدأ بالاستغفار، فالإقلاع عن
الكبائر والصغرى من الذنوب، وعدم الرجوع إليها، وإرجاع المظالم إلى
أهنتها إذا كانت متعلقة باغتصاب حقوق الغير، وإن انتقلوا إلى الرفيق الأعنى،

^١- رواه البخاري ومسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي: 17/60 كتاب التوبه

^٢- ذوق الناس: عبادة الشيعة ص 318

^٣- سورة النساء: الآية 59.

فالى ورثتهم الشرعيتين. ولا يتم ذلك إلا بالاخلاص في القوبة، والخشوع في العبادة، ومداومة ذكر الله هو الذي يوصل إلى مراتب الصديقين والشهداء والصالحين، والسابقين وإلى الدرجات العلى. ويكون ذلك بالاجتهاد والإخلاص والصدق. عندها تصبح ذنوب غير المقصوم هي من نوع حسناط العامة، لأنه أقفع عن "أسباب الذنوب الحقيقة، التي عذها هشام بن الحكم (199 هـ - 815 م) من الشيعة أربعة وهي الحرص والحسد، والغصب، والشهوة...¹ وكان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، إذا رأى المؤمن من هذا القبيل يقول لأصحابه: "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر على هذا الرجل..."¹ وعلى هذا الأساس فلا يقول أهل السنة بعصمة أيام السياسة وولاة الأمور، وإنما يقولون بإخلاصهم وصدقهم وعذلهم حتى يكونوا من التسبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، وإن كان متاخروهم من الخاصة وال العامة يبالغون في تنزيه ولاة أمورهم تزلفاً وطمعاً في ثواب أو خوفاً من عقاب وأنهم السبب في كل خير، وبعد نظرهم، ورؤاهم الذاقبة وتمرّسهم بالواقع، مع الخبرة ووفرة التجارب، واستشراف المستقبل، فكأنهم أسبغوا على على أيامهم وولاة أمورهم عصمة سياسية، في مقابل عصمة أيام الشيعة الدينية، وكلتاهم لم يقرّهما شرع ولا وضع.

¹ دونالدس: عقيدة الشيعة، ص 317-318.

والعصمة التي يدعىها الشيعة للإمام، هي عبارة عن العصمة التي يزورتها الأنبياء، لأن الإمامة من أهل الأمور بعد النبوة^١ والذى عليه الإمامية، خلافاً لبقية الفرق الإسلامية، هو القول بعصمة الأنبياء والأئمة، ونذلك فإنهم ينتظرون من عصمة الأنبياء، التي تتفق عليها سائر الفرق الإسلامية، إلى القول بعصمة الأئمة، دون أن يجدوا هوة كبيرة تفصل بين الاثنين، فالنبوة لطف خاص، والإمامية لطف عام، وليس عصمة الإمام بأقل أولوية من عصمة النبؤة، إذ انتقاء العام، أكثر شرداً من انتقاء الخاص، وضرر انتقاء العام نطولة ودواره زمانه، أشد من ضرر انتقاء الخاص^٢.

وأكيد الإمامية على وجوب عصمة الأنبياء قبل البعثة وبعدها، ودينهم على وجوبها قبل البعثة، أن النبي لو عرف منه الناس الخطأ، وفعل القبيح والمعاصي قبل بعثته، لم يصدقه إذا جاءهم مذيعاً الرسالة، وتسقط منزلته في نفوسهم. وكيف يعهد الله بأمر النبوة والرسالة - المعتبرين من أعظم المراتب وأسمائها - لمن فعل القبيح فيما مضى من حياته، ثم يأمره بأن ينهى الناس عما كان يفعله بالأمس؟

وإذا جاز للنبي أن يكتب في ماضيه، فكيف يصدق في حاضره؟ وما يمنع أن يختار الله تعالى لذلك الرسالة الكريمة، من طهر نفسه من الذنب، وكان مثلاً لجميع الصفات الإنسانية السامية، لتكون الفائدة به أتم، والغرض به أقرب إلى الحصول؟ ولقد قال الله سبحانه في محكم كتابه: لا ينال عهدي

^١ - التوبختي - الفرق الشيعة - ص 24 - 25

^٢ - الطي - الفتن انذراف بين تصدق والمعنى: ص 180، 84، 5

الظالمين^١، ولا شك أن مرتكب القبيح ظالم لنفسه، غير محافظ بكرامتها، والنبوة عهد من الله، يجعلها في عنق من يختاره، ويراه أهلاً لأندائها والقيام بأعبائها، هذا بالنسبة لعصمة الأنبياء والأئمة قبل البعثة والولادة، أما بعدها فالذي عليه الشيعة الإثنا عشرية عصمتهم عن الصغائر والكبائر على حد سواء، عمداً كانت أم سهواً مما يتصل بتتبليغ الوحي، أو بإحوالهم الخاصة وأفعالهم، ويتفق الشيعة على عصمة الأنبياء مع بقية الفرق الإسلامية، فيما يرجع إلى تتبليغ الأحكام، ومع المعتزلة، خاصة فيما يتعلق بالكبائر^٢ مطلقاً، والصغراء الموجة للاستخفاف^٣.

وقد نحضر الطبرسي بهذا الرأي الشيعي الفائل بعدم جواز صدور الصغائر عن الأنبياء والأئمة، ولو بطريق السهو والنسيان، حين فسر قوله تعالى: "... وأما ينسيك الشيطان، فلا تقع بعد الذكرى مع القوم الظالمين".⁴ فقرر أن الإمامية لم يجيزوا السهو والنسيان على أيعتهم فيما يبلغونه عن الله تعالى من الوحي، أما ما سواه فقد جوزوا عليهم أن ينسوه، أو يسهووا عنه، ما لم يؤد ذلك إلى إخلال بالعقل، وكيف لا يكون كذلك، وقد جوزوا عليهم التوم

١٢٤ - سورة البقرة: الآية

^٢ عن أبي هريرة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قيل: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والنحو لي يوم الزحف، وقدف المحسنة الغافلات المؤمنات)، وفي رواية أخرى قال عليه السلام: إلا أنتم بأكبر الكاذب ثلثة: الإشراك بالله، وعقر قبور الولدين، ونبادة التزور، أو قول التزور، وكان الرسول متكتاً فجئه، فما زال يكررها، حتى قلنا ليته سكت، انظر صحيح مسلم بشرح النووي 2/82 كتاب الكاذب.

^٣ هاشم معروف، تفہیم الشیعۃ الامسیۃ - ص ٧٥-٧٦ سید حسین نصر - الإسلام أهدافه وحقائقه: ص ١٥١-١٥٠

- سوره المؤمن: الآية 68

والإغماء، وهم من قبيل السهو، ومن نسب غير هذا إلى الإثنا عشرية، فقد
ظن ظناً فاسداً، وإن بعض الخن إثم^١.

وقد أكد الإثنا عشرية على عصمة الأنبياء والأئمة وأكثروا فيها القول
وفلسفوها مع أنه لم يوثق عن الصحابة الحديث حتى عن عصمة الأنبياء،
ونهذا لسبب تعتبر قضية العصمة، مستحدثة في الإسلام، ولم تعرفها الديانات
السماوية السابقة، فاليهود مثلاً يصفون أنبياءهم بكثير من المعاichi والذنوب،
وتذكرها أسفار العهد القديم وكأنها أمور اعتيادية، مثل حديثها (أي أسفار
العهد القديم) عن رسول الله إبراهيم حين قدم زوجته سارة لفرعون على أنها
أخته نيبه الدال والخيل والثياب^٢.

ولم تشر أسفار العهد الجديد إلى الحواريين أو الرسل بأنهم كانوا
معصومين، ولم يذره المسيحيون عيسى عن ارتكاب الخطأ بوصفه نبياً، وإنما
بوصفه مسيحاً، حسب عقidiتهم فيه^٣.

ولم يثر جدل بين المسلمين وبين النصارى واليهود حول عصمة
الأنبياء، بقدر ما أثير بين المسلمين أنفسهم، ويظهر أن الشيعة هم أول من
حاضر في الحديث عن العصمة، ومن المحتمل أن تكون فكرة عصمة الأنبياء
والأئمة في الإسلام، مدينة في أصلها، وأهميتها التي بلغتها بعدها، إلى تطور

١- انظر إلى - مجمع "البيان في تفسير القرآن" - 316/4 - 317.

٢- "العهد التعميق" - سفر التكوير - الفصل الثالث عشر (١-٢٠) - الرازي - الأربعين في
أصول الدين ص 434.

٣- ننسى ذلك من تسمية إنجيل النصارى العهد الجديد، إنجليل ربنا يسوع المسيح للقدس على
الفصل الثالث (٤) الفصل الرابع (٤) وما بعدها - إنجليل مرقس - الفصل ٩ (٧ وما بعده)
إنجليل لوقا الفصل الرابع (١ وما بعدها) إنجليل يوحنا.

تفصل ١١ (١ وما بعدها) وانظر لرسائل الملحقة بنتائجنا.

علم الكلام عند الشيعة¹. ولذلك يقول شيعي إثنا عشرى معاصر هو -هاشم معروف- "ومهما يكن الحال بهذه المسألة (أى العصمة) تكاد تكون على إطلاقها مما تفرد بها الإمامية، وقد أقاموا الأدلة الكافية لإثباتها"².

ويوضح في موضع آخر أسباب الإهتمام بقضية العصمة، فيقول: لقد كانت العصمة ولا تزال معركة لأراء الباحثين في العصور الإسلامية لأولى، يوم كان رجال الحكم، يريدون أن يشغلوا العلماء والمفكرين بأمثال هذه المباحث، لينصرفوا عن سوء تصرفاتهم، وتبقى الخلافة الإسلامية مورداً عذباً، ينهلون منها ما توحده إليهم الشهوات والأهواء³.

وقد أورد الشيعة أدلة عقلية، في وجوب عصمة الأنبياء والآيات، جمعها علماً لهم، أمثال الشريف المرتضى (ت. 436هـ/1045م) في كتابه (تنزيه الأنبياء)، والحسن (بن المطهر) الحلي (ت. 726هـ/1326م) في مؤلفه (الأنفاس في إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلا أن الحلي قد أفضى في عرضها، مبرزاً بذلك تبلور هذه العقيدة، وتطورها في عصره⁴.

وقد نحا الشيعة الإثنا عشرية ببعض هذه الأدلة منحى فلسفياً، ومن ذلك ما ذهب إليه نصیر الدين الطوسي (ت. 672هـ/1274م) من وجوب نصب إمام معصوم، يقرب المكلفين من الطاعات والقيام بالواجبات، ويبعدهم عن المعاصي، والمحببات، وهو نطف من الله تعالى بعباده. ثم إن هذا الإمام المذكور، إما أن يكون بحيث يجوز منه أن يخل بواجب، أو يفعل قبيحاً، أو

1- دوينلس عقيدة الشيعة - ص 328.

2- هاشم معروف عقيدة الشيعة الإمامية - ص 77.

3- نفس المرجع ص 74.

4- الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران، ص 115.

لا يجوز منه ذلك، فإن كان بحيث يجوز منه ذلك، امتنع أن يكون نصبه لطفاً من الله بعباده، أي مقارباً من الطاعات وبعدها عن المعاصي، ولزム أن يكون محتاجاً غيره لجواز المعصية عليه، ووجب أيضاً أن يكون هذا المحتاج إليه معصوماً، وإلا وقعن في قضية التسلسل، وهي أمر محال، فثبت أن نصب الإمام لطف من الله بعباده في التكليف، وبعبارة أخرى يجب أن يكون الإمام موصوفاً بالعصمة لوجهين:

أولهما: أنه لو كان غير معصوم، لكن محتاجاً إلى نفسه، أو إلى إمام آخر، فيدور أو يتسلسل وهما محالان وذلك نوجود العلة المحجوبة إليه فيه. وإذا كان معصوماً، فإما أن يكون قادراً على المعصية أو غير قادر، فإن كان قادراً فهو كسائر المكففين، من غير امتياز عليهم، وإن لم يكن قادراً فهو مجبور، والجبر يتنافي مع قول الشيعة بالإختيار¹. ولكن ألى يكون الشيعي مختاراً ما دام أمامه معصوماً؟

ثانيهما: إذا جاز أن يتمتع وقوف المعصية من شخص من المكففين، بفعل الله - تعالى - ولا يضر ذلك قدرته وتمكينه من الطريق - فالواجب أن يجعل جميع المكففين معصومين، إذا كان الغرض من وجودهم، إيصال التواب إليهم، دون وقوف المعصية منهم، وعفائهم عليها². ورأي الطوسي هذا يوجب عصمة بقية الأئمة الاثني عشر، وتساءل الطوسي قائلاً: "لم لا يجوز، إلا يكون الانتهاء في الاحتياج إلى النبي والقرآن، وينقطع التسلسل؟".

¹ - الطوسي - رسالته في الإمامة، ص 19 - 20.

² - نفس المصنف، ص 20.

وبالنسبة لقدرة الإمام المعصوم على المعصية، أو عدم قدرته، فقد ذكر الطوسي، أنه قادر ولكن لا يقع فيها، لعدم خلوص داعيه إليها، كما يقال في امتداع القبائع من الله تعالى، وكما يقال أيضاً في عصمة الأنبياء، فإن القدرة على ما يمكن وقوعه لا تعتبر شيء غير ذاته لا يستقر، إنما تستقر القدرة على ما يمكن وقوعه ذاته^١... يعني أنه لا تستقر القدرة على المعصية مع عدم ارتكابها، إنما تستقر القدرة عليها مع ارتكابها. أما بالنسبة لافتراض عصمة جميع المكلفين ففي الطوسي أنه لا نقول: إن الله جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غير استحقاق منه لذلك، بل نقول: كل من يستحق الإلطاف الإلهية الخاصة التي هي العصمة بكسبه، فالله سبحانه يخصمه بها. ثم إن الإمام يجب أن يكون في تلك الطائفة التي استحقت الإلطاف الإلهية (العصمة) بكسبها، والمكلفون بأسرهم، لو استحقوا بكسبهم، تلك الألطاف الخاصة نكثوا كلهم معصومين، فظهر أن الخال في عدم عصمتهم راجع إليهم، لا إلى الله تعالى^٢.

أما بالنسبة إلى احتياج الإمام - في حالة عدم عصمته - إلى النبي و القرآن، أو لغيرهما، وما ينجر عن ذلك من الواقع في التسلسل، فقد أجاب عنه الطوسي بقوله: بأن نسبة غير المعصومين إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى القرآن، نسبة واحدة، "فلو جاز أن يكون النبي الموجود في زمان سابق، والقرآن مغرياً لمكلف (عن المعصوم) مع جواز الخطأ منه (أي من المكلف) لجاز في الجميع مثل ذلك، وحينئذ يجب احتياجهم جميعاً إلى

^١ نفس المصدر وانصفحة
^٢ نفس المصدر - ص 21.

الإمام، وقد سبق فساد اللازم، فظاهر فساد الملزم^١، وقد لخص "الحنفي" نفس هذه العلاقة القائلة بين النبي، والقرآن والمعصوم، في عبارة تشبه عبارة الطوسي^٢. ويعني الطوسي والحنفي، أن حاجة الإمام إلى النبي والقرآن، لا تنفي عنه العصمة، بل ربما قد تكون من أووك الأدلة على عصمه، إذ يجد فيما العون على عدم الوقوع في الخطأ. ويبدو أن هذا التحرير الشيعي لهذه القضية، يؤدي إلى اعتبار عصمة الإمام عصمة جبرية، بينما يذهب الإمام عشرية إلى كونها عصمة اختيارية كتبها الله في الأزل، وأن باستطاعة الإمام أن يخطئ، لكن لطف الله كون في نفسه ملائكة لاجتناب المعاصي^٣. وعليه، فقد وجب على الله تعالى نصب إمام، يكون عالماً بعلوم الدين والدنيا، كاشرعيات والسياسات والأداب، ودفع الخصوم، لطفاً من الله بعباده، وقياماً بمصالح الرعية، للتقريب من الطاعات والتبعيد عن المعاصي.

ومثلاً يجب أن يكون هذا الإمام معصوماً، طاهراً، ركيماً، يجب أن يكون أيضاً سليماً من العيوب المنفرة خلقاً وخلقها، واصلاً وفرعاً، كالجذام والبرص في الخلفة، والحق والبغض في الشيمية، ودناءة النسب، وكونه ولداً لزناً في الأصل، والصناعة الركيبة، والأعمال الخبيثة في الفرع، " لأن جميع ذلك جارٌ مجرى النطف، إذ فيها تقريب الخلق إلى تكوينه، واستعماله قلوبهم إليه، وفي ضد ذلك ضده"^٤.

^١ - نفس المصدر والصفحة - الحنفي - الآئتين في إمامية أمير المؤمنين - ص 54.

^٢ - الحنفي: الآئتين: ص 5، 84، 180 - تحرجاني: التعريفات: ص 80 - دونلسن: عقيدة الشيعة، ص 318.

^٣ - الطوسي: رسالة في الإمامة ص 21، 22.

ومن ثم فعصمة الإمام عصمة مكتسبة في أخلاقه وسلوكه؟ وعصمة موروثة في خلقه، وتكوينه الجسماني. ولو لم يكن معصوماً لاحتاج إلى إمام آخر معصوم، وإذا لم يكن هذا الإمام المحتاج إليه معصوماً إلى حل نهائى لهذه المشكلة، شأنها في ذلك شأن عملية الدور، وخلاصتها أن انتفاء العصمة عن الإمام تكون مقتضية للدور، وذلك لحاجة الإمام إذا لم يكن معصوماً للرعاية، لترده إلى الصواب مع حاجة الرعاية إليه، للاقتداء به والإلتئام^١.

ورد الغزالى على قول الشيعة بعصمة الإمام، متسائلاً: بما عرفوا صحة كونه معصوماً، بأضررورة العقل، أم بنظره، أم بسماع خبر متواتر عن رسول الله، يورث العلم الضروري؟ ولا سبيل إلى دعوى الضروري ولا دعوى الخبر المتواتر المؤدي إلى العلم الضروري.

"لأن كفالة البشر يشتركون في إدراكهم. وكيف يدعون عصمة الإمام، بينما أصل وجوده لا يعرف ضرورة، بل نازع فيه مزارعون؟"

ويبدو أن شك الغزالى في وجود الإمام، يعني به ما حام حول وجود المهدي المنتظر من أقوال، هل خلفه أبوه أم لم يخلفه؟ وهو شك تعرضت إليه المصادر السنوية^٢ والشيعية^٣. على حد سواء.

وعلى هذا الأساس فإن الغزالى تسأله عن كيفية عصمة الإمام بالضرورة؟ ملاحظاً أنه إذا ادعى الشيعة صحة ذلك بنظر العقل، فنظر

^١- الحلى: الأثنين الفرق بين لاصدق والمبين - ص 52-54، الحلى: منهاج الكرامة ضمن المتنقى من منهاج الإعنة لابن تيمية وشخيص الحافظ الذهبي ص 406-418.

^٢- الغزالى: فضائح الباطنية، ص 142.

^٣- التوبختي فوق الشيعة، ص 95-96 وما بعدهما.

العقل عندهم باطل، وإن سمعوا من قول إمامهم أن العصمة واجبة للإمام، فلم يصدقوه قبل معرفة عصمته بدليل آخر ؟ وكيف يجوز أن تعرف إمامته، وعصمته بمجرد قوله ؟

وتعرض الغزالى إلى دعوى الشيعة في وجوب عصمة الإمام بالنظر العقلي، ذاكراً أن دليлем عليها مقتبس من عصمة النبي، ونُم يحكموا بعصمة النبي، إلا أن كونهم يعرفون الحق بواسطته ومنه يتلقون، ويستفيدونه، ولو جاز عليه الخطأ، والمعصية لسقطت الثقة بقوله، ولا أصبح كل قول يصدر عنه، إلا ويتصور أنه ربما أخطأ فيه، أو تعمد الكذب، لأن المعصية ليست مستحبة عليه، ولكنه لا يمكن أن يقع في معصية، أو يخطئ في وحي، أو يتعمد كذبا فيه، وكذلك الإمام، لدى الشيعة، فمنه يتلقون الحق، وإليه يرجعون في المشكلات كما كانوا يرجعون إلى رسول الله، لأنه خليفة، وبالإمام يستضيئون في مشكلات التأويل، والتزيل وأحوال القيامة كائحاً ونشر، فإذا لم تثبت عصمته، فكيف يتذرون به ؟

ورد الغزالى على الشيعة في هذا الدليل العقلي، الموجب للعصمة، لديهم، بكون سارٍ غلطهم ظنهم أننا نحتاج إلى الإمام لاستفادة منه العلوم، لصدقه وعدله وعصمته عن الوقوع في الخطأ عمداً أو سهواً، وليس الأمر كما يذهبون إليه، لأن العلوم منقسمة إلى عقلية وسمعية، والعقلية تنقسم إلى قطعية وظنية، ولكن واحد من القطع والظن مسلوك يفضي إليه، ويدل عليه، ويمكن تعلم ذلك ولو من أفسد الخلق، ثُمَّ لا تقتضي فيه، وإنما المتباع وجه الدليل.

وأما السمعيات فهي لا تخلو من حالتين: إما أخبار متوافرة، أو أحد، والمتواتر تشترك الكافية في إداركه، ولا فرق بين الإمام وبين غيره، والأحد لا تقييد إلا ضنا سواء أكان المبلغ، أم المبلغ إليه الإمام أم غيره، والعمل بالظن فيما يتعلق بالعمليات واجب شرعاً، والوصول إلى العلم فيه ليس بشرط، ولذلك فلا ضرورة لعصمة الإمام التي يدعى بها الشيعة.¹

ورد الرازي على علاقة العصمة، بقضية الدور والتسلسل مبيناً أن برهان الشيعة في هذا الموضوع، مقتبس من دليل وجود الصانع لدى فلاسفة الإسلام، أو العلة الأولى عند أرسطو، والنقد موجه للدليل في مقدماته المادية لا في صياغته الشكالية المطابقة لأصول الاستلال، ولذلك فلا يسلم الرازي بأن الحاجة إلى الإمام المعصوم، يستدل عليها من جواز الخطأ على الأمة لأن الأجماع معتبر عند أهل السنة معصوماً لقوله - صلى الله عليه وسلم - لا تجتمع أمتي على ضلاله².

ولكن الشيعة لم يعترفوا بصحبة هذا الحديث، ومن ثم فهم يجوزون الخطأ على الأجماع، من حيث جواز الخطأ على الأفراد لن الكل ليس إلا مجموع هؤلاء الأفراد، وبذلك تنتفي العصمة عن الأجماع، ويجوز الخطأ على الأمة ككل وعن هذا الأمر تحدث الحطي قائلًا: " وكل واحد يجوز عليه الخطأ، فـأي عاصم لهم عن الكذب عند الاجتماع".

¹ - شغاني: فضائح البطنية - ص 142-143.

² - الرازي: الأربعين في أصول الدين - ص 434.

- ابن تيمية وتلخيص الحافظ الذهبي: المتنقى من منهج الاعتدال - ص 548-550.

ورد عليه ابن تيمية بأن الأحادي يجوز عليها الغلط والكذب، لكنها إذا انتهت إلى حد التوازير امتنع عليها ذلك، وهو أشبه شيء باللقطة من الطعام التي لا تُشبع، وباجماع نعم كثيرة يحصل الشبع، والواحد لا يقدر على قتل العدو، فإذا اجتمع عدد قدورا؟ فالكثر تؤثر قوّة وعلما، قال تعالى: أن تضل إحداهم فتدرك بـإحداهم الأخرى^١. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد." وقال أيضاً: "من أثيّبتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثيّبتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض" وملحوظ أن اسم الواحد يكسره الإنسان، وبضميه إلى سهام كثيرة يتذرع كسره وكذلك الرأي الواحد قد يخطئ وإذا اجتمعت الآراء مع بعضها، تعذر خطاؤها، وأضفاف ابن تيمية بأنه إذا جاز انتفاء العصمة عن الأجماع لم تثبت عصمة علي، فإنه إنما علمت عصمتها بالإجماع، ولا معصوم سواه - حسب رأي الإمامية - ثم خاطب الشيعة قائلاً: وإن قد حتم في الاجتماع بطل أصل مذهبكم، وإن قلتم هو حجة فقد أجمعوا على الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) قبل علي^٢.

هذا من ناحية الإجماع، أما من ناحية قضية الدور والتسلسل، فإن ابن تيمية قد قرر، أن جواز الخطأ على بعض الأمة، لا يعني الاستناد إلى هذا الدين، لقوله بالحاجة إلى الإمام المعصوم، لأن المعصوم هو الرسول، وطاعته واجبة في كل وقت وحين، على الخلق أجمعين لقوله تعالى: "اللهم

^١- سورة البقرة: الآية 282، الحطي - الآلفين في إسمة أسير المؤمنين ص 100-101.

^٢- انتهى من منهج الاعتزال ويلخيص الحافظ الذهبي - ص 549-550 - الكافي الفرزدق بن المناظرات - ص 17.

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا^١. وعلم الأمة بأوامر الرسول أتم من علم البعض بأوامر آئية الشيعة، فرسول الله هو الإمام المعصوم، وأوامره معلومة فاستغنت الأمة به، وبأوامره وبعمله عن كل أحد، وأونو المرء متذمرون لشرعه ليس إلا، وقد كان ولاته يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا معصومين، ولم يتول على الملة الإسلامية من ادعى له العصمة من آئية الشيعة سوى علي، وكان من نوابه على رعيته بالأمسكار الثانية، من لا يدرى بما أمر ولا بما نهى، بل كانوا يتصرفون أحياناً بما لا يعرفه هو^٢.

وبعد ذلك فقد أكد الحلي أن المقصود من نصب الإمام، تأديب كل فرد من أفراد الرعية، فلو كلفنا كل فرد من أفراد الملة أن يؤدب الإمام، للزم الدور فإن هذا إنما ينجر عن معصيته بسبب ذلك، وذلك ينجر بسبب هذا، والدور والتسليسل باطلان، وبامتاعهما يثبت أن المرء بالمعروف والنهي عن المنكر يجبان على الإمام، وعلى الرعية على هذا الأساس يصبح نصب الإمام سبباً لكثر الفواحش مع أن المقصود من نصبه هو تقليلها، مما يفضي إلى التناقض، فدل ذلك على أن الإمام، لو لم يكن واجب العصمة، لحصل الإضطراب في مصالح الرعية، فرجح القول بكونه معصوماً^٣.

ورد ابن تيمية على الحلي، في قوله بوجوب عصمة الإمام وإلا لافقر إلى إمام معصوم، بأنه لم لا يجوز أن يكون في الرعية من يتباهي الإمام إذا

^١- سورة العنكبوت الآية ٣٩

^٢- المنقى وتلخيص الحافظ الشهري: ص 406 - 418.

^٣- الحلي: الآلفين الفرق بين الصدق والثمين - ص 42 - 102 - 106 - 107.

أخطأ، بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ، مثلاً إذا أخطأ أحد أفراد الأمة تباه إمامه، أو نائبه، وبذلك تكون العصمة ثابتة للمجموع، بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ - حسب مذهب أهل السنة والجماعة - وثبت أن كل واحد من أهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ والكذب، ولا يجب ذلك على المجموع في العادة، ومن ثم فإن ثبات العصمة للمجموع أولى من إثباتها للواحد، وبه يحصل المقصود من عصمة الإمام^١.

ونم يكتفى الشيعة الإثنا عشرية، والإسماعيلية بالتأكيد على عصمة الإمام بل قرروا أيضاً عصمة نوابه. فالمطوسي مثلاً، قرر وجود الإمام المعصوم، المقرب من الله، المبعد عن المعاصي، لأن تلك الميزة الفطرية، (العصمة)، أشد تقريراً من الله وتبعداً عن المعاصي، من أية صريقة أخرى يدعيها أولئك العز، في سياسة رعاتهم، قصد نشر العدل والحق^٢.
ورد أهل السنة، بكون متابعة الرعية للإمام، لا تقتضي عصمتهم، وعصمة نوابه في البلاد، فالقاضي والأمير يتبعان الإمام، ولكنهما ليسا معصومين.

فإن قيل هما من رواد الإمام ولا بد أن يكونا معصومين. أجيبنا: إن الظلم إن وقع من الأمير أو من القاضي، يمكن تداركه لأن سلطته المحدودة، وارتباطه بالإمام، يفرضان عليه الاحتياط في سياساته، وحتى إذا ظلم وجاز فيه قد يتعرض إلى تعلل الرعية، وربما إلى ثورتهم عليه أو إلى عقوبة الخليفة الذي وضع فيه ثقته، وولاه على تلك الجهة، ولكن كيف يمكن تدارك

^١- ابن تيمية ونفيه الحافظ النذري: المنقى من منهاج الاعتداء، ص 410.

^٢- تصريح الدين المطوسي: رسالة في الإمامة - ص 1-17.

ذلك الضلم بالنسبة للإمام المعصوم الأول وببيده مقايد السلطة والسيادة العليا في الدولة؟

ورد الغزالى أيضاً على دعوى الشيعة الفائلة بوجوب عصمة الأئمة ونوابهم، نقايضهم بدور المعلم لأنباءهم، ولذلك وجوب تصديقهم فيما يبلغونه للناس، بأنه لا عصمة لهم أصلاً، وهم ليسوا أفضل حالاً من ولادة الرسول في زمانه، وكانتوا غير معصومين، ولسنا بحاجة إلى عصمة الإمام، أو عصمة نائب، لكي نتعلم منهـما، فإن العلوم يشترـكـ في تحصيلها كل الناس، والإمام ونائبه لا يوـلـدانـ عـالـمـينـ ولا يـتـقـيـانـ وـحـيـاـ منـ اللهـ، ولـكـنـهـماـ يـتـعـلـمـانـ بـطـرـيـقـةـ لا تختلف عن تعلم غيرـهـماـ.

وتناول الغزالى: فإن اعترضـ الشـيعـةـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ، بـأنـهـ إـذـ أـمـكـنـ لـنـفـسـنـاـ نـسـغـنـيـ عـنـهـمـاـ فـيـ التـعـلـيمـ، فـلـمـاـ نـحـتـاجـ فـيـ كـلـ بـدـ إـلـىـ قـاضـ؟ـ وـأـجـابـ الغـزالـيـ بـأـنـ الـاحـتـاجـ إـلـيـهـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ لـاـ بـدـ أـنـ يـكـونـ مـعـصـومـاـ^١.

ويضيفـ الشـيعـةـ إـنـمـاـ نـحـتـاجـ إـلـىـ الإـمـامـ، أوـ نـائـبـهـ مـعـصـومـينـ لـدـفـعـ الخـصـومـاتـ وـجـمـعـ شـتـاتـ الـأـمـورـ، وـلـلوـصـولـ إـلـىـ القـوـلـ الجـزـمـ فـيـ الـأـمـورـ الـاجـتـهـادـيـةـ، وـإـقـامـةـ حدـودـ اللهـ تـعـالـىـ، وـاستـيقـاءـ حـقـوقـهـ، وـصـرـفـهـاـ إـلـىـ مـسـتـحـقـيهـاـ، إـذـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ تـعـطـيـلـهـاـ كـمـاـ أـنـهـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ تـفـويـضـهـاـ إـلـىـ كـافـةـ الـخـلـقـ، فـيـقـرـأـهـمـونـ عـلـيـهـاـ مـنـقـاتـلـيـنـ، وـيـتـكـاسـلـونـ عـنـهـاـ مـتـوـكـلـيـنـ، وـمـتـخـانـلـيـنـ، فـتـعـطـلـ الـأـمـورـ، فـنـجـيـبـهـمـ:ـ أـنـ جـمـلةـ النـدـنـيـاـ فـيـ حـقـ الإـمـامـ، كـبـلـةـ وـاحـدـةـ فـيـ حـقـ الـقـاضـيـ، فـكـمـاـ نـسـغـنـيـ عـلـىـ عـصـمـةـ الـقـاضـيـ فـيـ الـبـلـدـ، وـيـحـتـاجـ إـلـىـ قـضـائـهـ - وـهـوـ يـمـثـلـ نـائـبـ الـإـمـامـ - فـكـذـاكـ نـسـغـنـيـ عـلـىـ عـصـمـةـ الـإـمـامـ، وـنـحـتـاجـ إـلـيـهـ

^١ الغـزالـيـ:ـ فـضـلـانـ الـبـاطـنـيـةـ - صـ 144ـ 145ـ .

أهل الصغريان والعناد، وتطهير وجه الأرض من الطغاة والبغاء الساعين فيها بالفساد، والسهر على أطراف الأرض بانعجمون والحراس، حتى إذا ثارت فتنة، بادر الإمام إلى اطفائها، قبل أن تستحكم غائلتها. هذا وما يجري مجرد، هو وظيفة الإمام أو نائبه وهو الأمر الذي دعا إلى نصبه على الرعية، ويحتاج فيه إلى عدالته، وعلمه، ونجدته، وكفايته، وصرامته، وشرائط أخرى، يجب توفرها في الإمام الحازم، وفي نائبه، لا الإمام المعصوم، أو نائبه المعصوم، كما تدعى ذلك الشيعة الإمامية، حتى أدى بهم الأمر إلى إسباغ العصمة على كل نواب الإمام، الذين كلفهم بخطبة من الخطط، ورشحهم لأمر من الأمور، كالحرس، والعسرين، والبوابين. ولما واجه الانتقاد للشيعة من خصومهم، حول قولهم بعصمة نواب الإمام، أجابوا: بأن هذه الوظائف، أمور دينية، ولا بد من اشتراط العصمة في المنتقددين منها، والمنتصب لها بنصب الإمام لا يكون إلا معصوما¹. من أجل نشر العدل والحق بين الرعية.

أما رد الرازي على دعوى عصمة نائب الإمام، فيخلص في كون هذا الإمام المعصوم، الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما، لابد له أن يفوض الإمارة والوزارة إلى بعض الناس، وذلك المفوض إليه غير معصوم، وبتقدير صدور الظلم عنه، فكيف يمكن للإمام أن يدركه بعد وقوعه، ولا سيما إذا كان الظلم قتلا؟ ثم هل يقدر الإمام المعصوم وحده على نشر العدل، ورفع الظلم، ومنع البغاء أم أنه يستعين بغيره؟ فإن قيل: إنه يستطيع ذلك وحده، فهذا أمر باطل، ألا ترى أن عليا لم يقدر على دفع

¹ - نفس المصدر، ص 144-145.

أحد ولاته وهو معاوية بن أبي سفيان عن الأ默 مع ما كان معه من العساكر الكثيرة فضلاً على أن يقدر عليه وحده، فلا على كان معصوماً، ولا عساكرة ولو لاته كانوا معصومين، لأن وجوب المتابعة لا تقتضي العصمة، والمفتري عند الشيعة لا يمكن أن يكون معصوماً، ولكنهم يوجبون على العامة متابعته متىما يجب على العبد طاعة سيده، والابن طاعة أبيه، والزوجة طاعة زوجها، ولم يجب العصمة لواحد من هؤلاء. فإن قيل للطفل مع عصمة الإمام أظهر، فيقال للطفل مع عصمة الجماعة أظهر وأظهر. وبذلك تصح العصمة للجماعة، ولا تصح للأفراد¹.

وانتقد متكلمو الشيعة، القول بعصمة الأمة، إذ لو ثبنت عصمة الأمة - في رأيهم - لما كانت في حاجة إلى إمام، لأن وجوب نصب الإمام، يرجع إلى جواز صدور الخطأ عن الرعية، ولو جاز أن تحتاج الأمة، مع عصمتها إلى الإمام، لجاز أن يحتاج الأنبياء سمع ثبوت عصمتهم، والعلم بأنهم لا يفطرون شيئاً من القبائح - إلى الأئمة والدعاة، وهذا أمر ظاهر الفساد، مع التسليم أن الأمة معصومة، وهي مع ذلك في حاجة إلى الإمام، لكون معه أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية، فإن حاجة غير المعصوم وهو الإمام -حسب رأي أهل السنة- أولى وأوكل، فلما أن تستغني الأمة عن الإمام لعصمتها، وإما أن يكون الإمام بوصفه غير معصوم في حاجة إلى إمام آخر، فيلزم التسلسل، أو في حاجة إلى الاستناد إلى الأمة، فيلزم الدور، والدور والتسلسل باطلان.

1- الرازي: الأربعين في نصوص الدين، ص 430-438.

أضف إلى ذلك أن عصمة كل الأمة غير ثابتة بالعقل، إذ نرى اليهود والنصارى - على كثريهم مجمعين على الباطل، ومن ثم فالمتكفل بنقل الشريعة وحفظها من التغيير والتبدل، أئمة عينهم الله، موصوفون بالعصمة، ولا يقال بعدها: لم يجوز أن تبقى الشريعة محفوظة، بنقل أهل التواتر، لأن نقليهم يدل على أن ما نقوله صحيح، لكن يدل على أن الذي لم ينقوله لم يوجد¹.

ورد الرازى على رأى الشيعة الذى عرضه سابقاً، بأنه لو كان المعصوم في غير حاجة إلى الإمام لما كان على وهو المعصوم - في نظر الشيعة - في حاجة إلى الرسول، وهذا باطل لأنهم يسلمون أنه كان إليه محتاجاً، وبه مؤتماً. فإن زعم الشيعة أن علياً لم يكن في حاجة إلى النبي، خرجوا بذلك عن الدين، وإن زعموا أنه غير معصوم، خرجوا عن مبدئهم في عصمة الأئمة. كما أن عصمة الأمة دون الإمام، مع احتياج كل منها إلى الآخر، لا تقييد الدور، مثل قول الشيعة: الإمام معتصم بالقرآن فهو في حاجة إليه، والقرآن مجمل في رأيهم - فهو في حاجة إلى مفسر، هو الإمام. وكذلك الصلة بين الأمة والإمام، واستناد كل منها إلى الآخر، ليس من جهة واحدة، حتى يقيد الدور، وإنما هو استناد كل منها إلى الآخر من الجهةين. إن مثل هذه العلاقة بين الأمة والإمام، هي من قبيل الأسماء المترضايفية، لا يوجدان إلا معاً، واستناد كل منها إلى الآخر لا يعني الدور².

١- الرازى: الأربعين في أصول الدين - ص 430-435.

٢- الرازى: نهاية العقول في دراسة الأوصى - مخطوط - ق 435، نгла عن لحمد محمود صبحى: نظرية الإمامة لدى الشيعة البشى عشرية، ص 124.

- تصوير الدين الطوسي: رسالة في الإمامة، ص 20-

ودافع الحلي عن موقف الشيعة، لزاء هذا المأزق الحرج الذي تردوا فيه، وألزمهم به الرازى، في قولهم: بعدم حاجة علي لعصمته - إلى النبي، معتبرا (أى الحلي) منعهم حاجة المعصوم "علي" إلى النبي، من أجل أن يكون نطفا له في فعل الواجب، وتجنب القبيح، وأنهم لم يمنعوا حاجة إلى النبي في غير هذا الوجه إذ أنه رغم عصمته، فهو لا يستغني عن النبي في التعليم وغيره.

وكذلك الشأن بالنسبة للحسن والحسين زمن أبيهما، فمع أنهما مستغنان بعصمتهم - عن إمام يكون لطفا لهما في الامتناع عن القبائح، فقد كانا في حاجة إلى أبيهما، لوجه الذي ذكرناه، ولا ينطبق هذا الأمر على الأمة لأنها ليست معصومة باعتبارها ليست مبتعدة عن القبيح، ولا مقرية من الطاعة بنفسها¹.

وانتقد الشيعة اعتبار الأمة والإمام من الأسماء المتضادفة، لأن الأسمين المتضادفين لا يوجدان إلا معا، مع أن حاجة الأمة إلى الإمام، يتلزم من الناحية العقلية، على أقل تقدير، تصور تأخر وجود المحتاج إليه زمنيا عن المحتاج، وليس التلازم بين الأسمين المتضادفين على وجه الاحتياج لأن المعيبة بينهما عقلية تصورية، معناها وجوب تعليقهما معا، فكل واحد من ذات الآباء، وذات الأم محتاج، لا في ذاته إلى الآخر، بل في صفتة التي تفيد معنى التضاد².

- الحلي: الألفين الفرق بين الصدق والأمين في إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص 184 - 180 - 62 - 61 - 54.

-2- أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة، ص 124.

وعلى هذا الأساس، فالعلاقة بين المعصوم، وغير المعصوم دالة على وجود المعصوم، وهو أمر أكده علي بن الفضل الجيلاني، موضحاً أن ظهور الخيرية في وجود المعصوم، أوضح، و المناسبة المعلوّن للعلة فيه أو فر، بل إن وجود غير المعصوم، دال على وجود المعصوم، ووجود غير المعصوم في العين، دال على وجود المعصوم في النبين، كما أن وجود الممكّنات بأسرها، دال على واجب الوجود^١.

ورد ابن تيمية على الحطي، في قوله بعصمة الأئمة، وعصمة نوابهم، مقرراً أن الرعية ليست متوقفة في معارفها، واستفساراتها، على هؤلاء الأئمة أو نوابهم، المذعنة عصمتهم، كي يفصلوا لها ما غمض من الجزئيات، والكليات، لأن الله قادر، أن ينص على الكليات، بحيث لا يحتاج في معرفتها إلى الإمام، أو نائب، وقدر عز وجل - أن يجعل نص النبي، أكمل من نص الإمام، أو نائب، وبذلك تكون قد استغفينا عن عصمة الإمام، في الكليات، والجزئيات، بنص الله، أو النبي، عليهما معاً^٢.

وإلى جانب هذه الأدلة العقلية في ثبوت العصمة، فقد أورد الشيعة الائمه عشرية أدلة نقلية، ومنها قوله سبحانه وتعالى، مخاطباً إبراهيم: "إني جاعل في الناس إماماً، قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين"^٣.

١- علي بن الفضل الجيلاني: توفيق التطبيق، ص 12، البين: انفراتي و"الغياب"، يعني "الإمام العلّي".

٢- ابن تيمية: المنقى عن منهاج الاعتداء وتلخيص الحافظ الذهبي، ص 406-410-411-415.

٣- سورة البقرة، الآية 124.

وكل من كان مذينا فهو ظالم لنفسه، لقول الله عز وجل أيضاً: إثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بادن الله، ذلك هو الفضل الكبير^١. وإذا استحال إسناد الإمامة للمذنب، وجب أن يكون الإمام معصوماً، وهو المقصود من قوله تعالى - ومنهم سابق بالخيرات بادن الله، ذلك هو الفضل الكبير، أما المقتصد فهو العارف بالإمام، والظالم لنفسه من لا يعرفه^٢.

ولم يوافق الزرازي على استنتاج عصمة الإمام، من هذه الآية، إذ هي في نظره تدل على عدم اشتغاله بالذنب لا غير^٣.
وبالرجوع إلى كتاب التفسير، يظهر لنا: أن الأئمة ليسوا وحدهم الذين اصطفاهم الله من بين عباده، وإنهم ليسوا وحدهم السابقين بالخيرات دون غيرهم من الناس. وحتى إذا افترضنا صحة هذا التأويل الشيعي، فإنهم سيصبحون محظوظين إذ كيف يكون المعصوم، من بين الأقسام الثلاثة الذين اصطفاهم الله، تعالى، وأحدهم ظالم لنفسه، وهم يعتبرون كل من كان مذينا، ظالماً لنفسه بتصريح الآية، سواء أكان ذنبه ظاهراً أم باطناً، ومن ثم فلن يكون معصوماً ولن يصلح للإمامية.

أضف إلى ذلك أن هؤلاء الأصناف الثلاثة، سباقهم إلى الخيرات، وبمقتضدهم فيها، وبالظلم لنفسه منهم، اصطفاهم الله جمِيعاً، وأن السبق إلى خيرات ليس مختصاً بالأئمة دون غيرهم، فقد روى الحافظ الطبراني عن

^١ سورة قاطر : الآية 32.

^٢ الكافي: الأصول من الكافي: 214/1-215، كتاب الحجّة، بب في أن من اصطفاء الله من عباده وأورثهم كتبه هم الأئمة. ع

^٣ الزرازي: الأربعين في أصول الدين، ص 436

أُسَامَةُ بْنُ زِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْثَلَاثَةِ: كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ¹ الْأُمَّةِ، وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَبْلٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي جَنَّةٍ.²

وَرَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْثَلَاثَةَ هُنَّ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، أُورَثُوهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، كُلُّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ، فَظَالَّمُوهُمْ يَغْفِرُ لَهُ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُلْيَا مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ، عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عُوْجٍ وَنَفْصِيرٍ، حَيْثُ أَنَّهُ يَفْرَطُ فِي فَعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، وَيَرْتَكِبُ بَعْضَ الْمُحْرَمَاتِ، وَمَقْتَصِدُهُمْ يَحْسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا، وَسَابِقُوهُمْ يَدْخُلُونَ جَنَّةً بِغَيْرِ حَسَابٍ.

وَالذِّي عَلَيْهِ الْمُفْسِرُونَ، أَنَّ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي هَذِهِ الْأُلْيَا، هُنَّ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ مِنَ الصَّحَّابَةِ وَالْتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَسَمُوهُمُ اللَّهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ.³

فَإِنَّ الظَّالِمَ مَقْصُرٌ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، يَنْتَلِوُ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُتَوَسِّطُ فِي فَعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالصَّالِحَاتِ، يَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ فِي أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ، وَيَقْصُرُ فِي بَعْضِ الْفَتَرَاتِ، وَهُوَ الْمَقْتَصِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ سَابِقٌ إِلَى النَّعْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ جُرَيْجَ: وَأَكْثَرُ الْمُفْسِرِينَ، أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْثَلَاثَةَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الْعَاصِيُّ، وَالسَّابِقُ التَّقِيُّ، وَالْمَقْتَصِدُ بَيْنَهُمَا.⁴

-1- رواه الحافظ النظري عن أئمة بن زيد، التسلية في مختصر تفسير ابن كثير: 147/93 - 148.

-2- رواه أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري، تفنن المصدر وتفنن الصفحة

-3- سورة فاطر، 32.

-4-

وقال الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته على سيناته، والظان لنفسه من رجحت سيناته على حساناته، والمفتقد من استوت حساناته وسيناته، وجميعهم يدخلون الجنة^١.

أما سبب تخصيص أمة محمد، بهذا الإرث والإصطفاء، فيعود على تحمنها أشرف الرسالات، والكتب السماوية، وذلك هو الفضل العظيم الذي لا يدانيه فضل، ولا شرف، فقد تفضل الله عليهم بهذا القرآن المجيد، الباقي مدى الدهر، وأنعم به من فضل^٢.

وذلك أيضاً منزلة الظالم لنفسه الذي جرده الشيعة من العصمة والإمامية، - حسب مفهومهم - وهو وإن كان ظالماً لنفسه، لتقريطه في العمل بكتاب الله أحياناً، وارتكابه بعض المحرمات، إلا أنه لم يخرج من رحمة الله وغفرانه.

ومن أدلة الشيعة النقلية على عصمة الأئمة، ذكر أيضاً قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أطِيعُوا الله، وأطِيعُوا الرَّسُولَ، وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّهُوَمُّ الْآخِرُ، ذَكَرَ خَيْرٌ، وَأَحْسَنَ تَأْوِيلًا^٣. فقد أوجب الله طاعته، وطاعة رسوله، وقرنهما بطاعة أولي الأمر، ولا يطاع أولوا الأمر، إلا إذا كانت أحكامهم

^١ - الصابوني: صفوۃ التفسیر: 2/576-577

^٢ - الصابوني: صفوۃ التفسیر: 2/576-577

- الصابوني: مختصر تفسیر ابن کثیر: 3/147-148

^٣ - سورۃ النساء: الآیة: 59.

موافقة لحكام الله، تعالى، ولا ينسى لهم ذلك إلا بعصمتهم، إذ لو وقع الخطأ منهم، لوجب الإنكار عليهم، وذلك يضاد أمر الله بطاعتهم¹.

ووافق الرازبي على أن الطاعة هنا واردة على سبيل الجرم، وأن الله فرن طاعة أولي الأمر، بطاعته وطاعة رسوله، وأن من أمر الله بطاعته، وجب أن يكون معصوماً، لذا يترب عن عدم عصمه، وقوته في خطأ، تجب متابعته فيه، غير أنه لا يتفق مع الشيعة في المقصود من (أولي الأمر). فهم عنده أهل الحل والعقد، من علماء الأمة القادرين على الاجتهد والإستباط لقوله تعالى: **وَلَوْ رَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ**، وإلى أولي الأمر منهم، **لَعِلمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ**².

والذين يستبطون أحكام الله، هم رسول الله، وكبار الصحابة، والتابعون، وأهل البصائر، والعلماء الفاردون على الاجتهد، وهم الذين تجب لأزанияهم العصمة على سبيل الاجماع³.

ولم يوافق الشيعة على القول بعصمة أهل الحل والعقد، فهي لا تثبت للعقل أو النقل، كما أنهم لم يعترفوا بسلطة أهل الحل والعقد من حيث إمكانهم نظرياً على الأقل - تولية الإمام دون عزله⁴: ويعتبر تسليم الرازبي بوجوب عصمة أولي الأمر، دالاً على شعوره بقوة استدلال الشيعة، من حيث قيام العصمة لمن له حق استباط أحكام الله، حتى لا يتبعه المسلمون في الخطأ.

1- الحني: كثيف المراد، ص 124، الآلئين في إمامية أمير المؤمنين، ص 78.

2- سورة النساء: الآية 83

3- الرازبي: مفاتيح الغيب 10/142-152، 198، 202.
- الصالحي: صفة التقىير: 292/1.

4- الحني: الآلئين في إمامية أمير المؤمنين، ص 100-101.

وعلى هذا فلم يصبح النقد موجهاً إلى مبدأ العصمة، وإنما إلى من يستحق الانتقاد بها، ونذكر كان الإمام متصفًا بها، لدى الشيعة، فقد خالفهم الرازى، لأنه أسبغها على أهل الحل والعقد، وبذلك يكون الرازى قد عبر عن اتجاه ديمقراطي أصيل، حين أسبغ العصمة على أهل الحل والعقد، من العلماء الممثلين لمجموع الأمة، وهو بذلك يكون قد سبق كثيرًا من الفلاسفة الغربيين، أمثال (جان جاك روسو) (1712م - 1778م) الذي أسبغ العصمة على الإرادة العامة للأمة، كضمان قوي لتحقيق العدالة، ومراجعة الحكم إن ظلم أو جارٍ¹.

ولما كانت العصمة من أهم الفضائل التي تتصف بها الإمام، فقد أسرف المتكلمون الشيعة، في تأويل الآيات القرآنية لتصبح دالة على مرادهم، من ذلك مثلاً، أن المقصود بقوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم"²:

هم الأئمة الذين أنعم الله عليهم بالعصمة، لكونهم دائمًا على الصراط المستقيم، فلا يغضب الله عليهم أبداً³. بينما يذهب مفسرو أهل السنة، إلى أن المقصود من هذه الآيات، هو توجيه المسلمين بالدعاء إلى الله، أن يدلهم، ويرشدهم، إلى طريق الحق، والدين المستقيم، وإن يثبتهم على الإسلام الذي بعث به أنبياءه، ورسله.

¹- الرازى: الأربعين في أصول الدين، ص 429-437

- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ص 3-4، وما بعدهما، الكتاب الأزرق، ملخصات الكتب العالمية، الأستاذ محمد مزالى، التيسيراتية، ص 19-75-77

²- سورة الداتحة، الآية 5-7

³- الحلى: الألفين شوارق بين الصدق والدين، ص 62-63-64.

أما المقصود بـ (صراط الذين أنعمت عليهم)، فهو عند أهل السنة طريق الذين ذكرهم الله في سورة النساء بقوله: "ومن يطع الله، والرسول، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا".¹

وعن ابن عباس، أنه صراط الذين أنعم الله عليهم، بطاعته وعبادته، من الملائكة، والأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين.²

وتنتهي سورة البقرة، بقوله تعالى: "ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين".

وانتفاء الريب والشك عن القرآن من جميع الوجوه، وفي جميع الأزمان، يقتضي - لدى الشيعة وجود معصوم، يعلم مدلولاته يقيناً ويعلّمها للناس، فلا يكون فيه رب، أو شك في فهم بعض آياته، لفظاً ومعنى، وكيف يتم للمتقين الهدى إن اختلفت الآراء في تفسير كتاب الله.³

وقال الله تعالى: "كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتذوقون".⁴

ولا يتم بيان الآيات لمعرفة ناسخها، ومنسوخها، ومجملها، وموصلة، إلا بتتصيبب إمام معصوم، يعلم جميع مدلولات القرآن علماً يقينياً، وفي قوله تعالى: "لعلهم يتذوقون" دلالة على أن تحصيل التقوى لا يتم إلا بالاحتراز من الشك، والأخذ باليقين عن الإمام المعصوم.⁵

1- سورة النساء: الآية 68.

2- الصابوني: صفوة انتفاضة: 27/1

3- الحلي: الآلفين الفارق بين الصدق والمبن: ص 64-68.

4- سورة البقرة: الآية 186.

5- الحلي: الآلفين الفارق بين الصدق والمبن ص 65-107.

وَفِيْرُ الطَّبَرِسِيِّ وَالْحَلِيِّ "كُلُّ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى النَّفْوِيِّ وَالْهَدَى وَالْيَقِينِ وَالإِيمَانِ وَخَاصَّةً الْمُفْتَحَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَفْسِيرًا يُوجَبُ وَجْهُ الْمَعْصُومِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ تَبَعَ هَدَائِي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^١". وَهَدَى اللَّهُ لِيْسَ مُجْرِدَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، لَأَنَّ أَكْثَرَهُمَا مُجْمَلَاتٍ، وَعُمُومَاتٍ، كَمَا أَنَّ الْخَوْفَ لَا يَرْتَفِعُ دَائِمًا، فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ إِلَّا إِذَا أَتَاهُمُ الْيَقِينَ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ^٢.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا، لِتَكُونُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"^٣.

وَالشَّهَادَةُ عَلَى النَّاسِ، تَفَتَّضِي الْعَدْلَةُ الْمَطْلَقَةُ الَّتِي لَا تَجْرِي فِيهَا، حَتَّى يَكُونَ الشَّاهِدُ مِنْهَا عَنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، وَلَا تَقْوِفُ هَذِهِ الصَّفَةُ إِلَّا لِإِمَامٍ مَعْصُومٍ، مِنَ الْخَطَا وَالْزَّلْلِ وَالْعَذَارِ^٤.

وَوَصَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ أَصْنَافِ الْمَنَافِقِ، فَقَالَ: 'وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجَبُ كَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَشَهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَكْنَى الْخَصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهَاكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ^٥'.

فَكَيْفَ تَحْذِرُ مِنْ تَوْلِيَةِ أَمْثَالِ هَذَا الْمَنَافِقِ، إِنْ كَانَ ظَاهِرَةً يُؤْدِي إِلَى الإِعْجَابِ بِهِ وَلَا يَعْلَمُ بِأَطْنَاهِ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي تَوْلِيَتِهِ الْفَسَادُ، وَالْخَلَالُ النَّظَامُ؟ فَلَا

^١- الْبَقْرَةُ الْآيَةُ 38

^٢- الطَّبَرِسِيُّ: الْاحْتِجاجُ: 1/197، مَا نَزَّلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ آيَةً يَقُولُ فِيهَا: 'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا' إِلَّا وَعَلَى رَبِّهَا وَأَمْرِهَا

الْحَلِيُّ: الْأَلْفِينِ الْفَارِقُ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالنَّسْلِ، ص 67 - 101.

^٣- سُورَةُ الْبَقْرَةِ: الْآيَةُ 143.

^٤- الْحَلِيُّ: الْأَلْفِينِ الْفَارِقُ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالنَّسْلِ، ص 70 - 74 - 79.

^٥- سُورَةُ الْبَقْرَةِ الْآيَاتُ 202 - 203.

بد والحالة هذه من الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله تعالى، للاحتراز

من تولية بعض المنافقين، المستولين على السلطة بوسائل متعددة.

وقد أمرنا الله تعالى ببعض أحكام لا تعرف حدودها، فقل: "فَمَنْ

أَعْنَدَ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ، فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْنَدَ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ".^١

فكيف يكون تحكيم غير المعصوم، والتحيز في الحكم جائز؟ وما

حدود العدوان - الذي هو القصاص الحق - دون شطط^٢.

وقال الله تعالى: "وَلَا تَنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ".^٣

ولكن كيف يمكن أن تبتعد عن التهلكة دون إمام معصوم؟

وقال أيضاً: 'وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ'.^٤

والامر بالقتل، مع ما فيه من سفك دماء، وإتلاف أنفس، لا يتم اليقين

به، أنه لوجه الله، إلا بوجود إمام معصوم، ومن أجل ذلك قال الله عز وجل

'وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ

عَلَى الْعَالَمِينَ'.^٥

وقال أيضاً: "... وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَهُدِمَتِ

صوامع، وبئر وصوليات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً'.^٦

ولَا يرتفع هذا الفساد، ويحافظ على المساجد، والصلوات - التي هي

قربات فعلية -، ويزداد الإقبال على الطاعات، إلا بوجود إمام معصوم، قد

١- سورة البقرة: الآية 193.

٢- سورة البقرة: الآية 194.

٣- سورة البقرة الآية 242

٤- سورة البقرة الآية 249.

٥- سورة الحج: الآية 40

نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ ثُمَّ فَكَلْ أَوْأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفَقْوَىٰ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، لَا تَتَمَّ
عَلَى وَجْهِ الْكَمَانِ إِلَّا بِوُجُودِ إِمَامٍ مَعْصُومٍ وَلَا تَعْلَمُ أَوْأَمَرَ اللَّهُ وَنَوَاهِيهِ، عَلَى
بَيْنَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ، وَلَا بِوُجُودِهِ أَيْضًا، فَضْلًا عَنْ كَوْنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ
عَنِ الْمُنْكَرِ يَسْتَدِعِيَانِ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ الَّذِي لَا يَتَأْتِي بِدُونِ إِمَامٍ مَعْصُومٍ، لَأَنَّ غَيْرَ
الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَا عَنِ الْمَعْرُوفِ، جَهْلًا بِالشَّرِّ،
أَوْ سَهْوًا أَوْ حَمْدًا، فَيَضْلُّ الْمُتَبَعُونَ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفْرَقُوا، وَادْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْذَاءَ فَلْفَ بَيْنِ
قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَاجًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِّنْهَا،
كَذَّاكَ يَبْيَنُ لَكُمْ آيَاتِهِ نَعْلَمُ تَهْتَدُونَ»^١.

وَبِذَلِكَ أَنْقَذَ اللَّهُ الْمَكْلُوفِينَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَدَّدُوا فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ
وَالْمَصَابِ، بِوُجُودِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ نَفْسِيَّهُ فَقَالَ: لِيَا
أَيْتَهَا النَّفْسَ الْمَطْمَئِنَةَ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي
وَادْخُلِي جَنَّتِي^٢.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَرْجِعَ النَّفْسَ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، إِلَّا إِذَا وَهَبَتْ
مَلَكَةُ التَّجْرِيدِ عَنِ الْعَوْانِقِ الْجَسْمَانِيَّةِ، وَالشَّوَّاخلِ الْبَدْنِيَّةِ، وَاللَّذَّاتِ الْحَيْوَانِيَّةِ، فَلَا
تَلْفَتُ إِلَيْهَا، وَلَا تَشْتَغِلُ بِتَحْصِيلِهَا، وَتَلْكَ هِيَ نَفْسِيَّةُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ^٣.
وَبِالْأَرْجُوَعِ إِلَى كِتَابِ التَّفْسِيرِ السُّنْنِيِّ نَدْرَكُ أَنَّ لَيْسَ إِمَامُ الشِّيَعَةِ الْمَعْصُومَ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَ الْمَكْلُوفِينَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَدَّدُوا فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ، وَإِنَّمَا أَنْقَذَهُمْ مِّنْ

^١ - سورة آل عمران: الآية 103.

^٢ - سورة الفجر: الآيات 30-32.

^٣ - شَلْيَ الْأَلَفِينَ لِلْفَارِقِ بَيْنِ الصَّدْقِ وَالْمَنِينِ - ص 115-117.

ذلك تمسكهم بدين الله وكتابه، وتبذلهم الاختلاف في الدين وراء ظهورهم، كما اختلف اليهود والنصارى قبلهم. والمقصود بحبل الله المتنين، ليس الإمام المعصوم، بل هو عهد الله ونسمته وكتابه، كما في حديث بن الأعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن: 'هو حبل الله المتنين وصراطه المستقيم'. وروي عن ابن مردوه عن عبد الله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن هذا القرآن هو حبل الله المتنين وهو النور العبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه.^١

أضف إلى ذلك أن سبب نزول هذه الآية^٢ كان في شأن الأوس والخزرج، وكأنوا في الجاهلية على شفا حفرة من النار، فآلف الله بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الإسلام إخوانا متحابين متعاونين على البر والتقوى، ولذلك خاطب الله تعالى، رسوله محمدًا مذكرا إياه بنعمته عليه وعلى المسلمين، فقال: 'هو الذي أريك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لو أنفقتم ما في الأرض جمیعاً ما ألهكم بين قلوبهم ولكن الله أليه بيتهنهم'^٣.

وقد استمر الأوس والخزرج، متألفين في الإسلام رغم محاولات اليهود أن يوقعوا بينهم، ولما بلغ رسول الله، أن وشایات اليهود كادت تعيد الأوس والخزرج إلى عصبية الجاهلية، أذاهم فجعل يسكنهم ويقول: 'ابدعوا الجاهلية وأنا بين أظهركم' وتلا عليهم قوله تعالى: 'واعتصموا بحبل الله جمیعاً... وقد نزلت في شأنهم، فندموا على ما فرط منهم، والقواء السلاح

^١- نخرجه ابن مردويه

^٢- قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جمیعاً... سورة آل عمران الآية 103.

^٣- سورة الأنفال: الآية 62.

وتعانقوا واصطلحوا وقيل أن رسول الله امتن على الأوس والخزرج بنعمة الإسلام يوم قسمة ثانيم حلين، فعاتبه من عاتبه منهم لأنّه فضل بين بعضهم البعض في قسمة الفيء بما أراده الله عز وجل، فخاطبهم قائلاً: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين، فاللهم الله بي، وعالله فأغناكم الله بي^١؟ فكلما قال شيئاً قالوا: الله ورملوه أمن^١.

كما أن النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية، ليست نفس الإمام المعصوم كما ذهب إلى ذلك الشيعة^٢. وإنما هي نفس كل مؤمن صادق، طاهر، زكي، مطمئن يوعد الله مصدق بوعده، فلا يخاف من لقائه ولا يفزع، راضية نفسه بما أعطاه الله من النعم، مرضية عنده بما قدمت من عمل صالح، وقد علم المؤمن ذلك، لأن ملائكته بشرته به عند احتضاره، وروي أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان، وقيل إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وقال ابن عباس: إنها نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا فقال -عليه السلام- : أما إنّه سيقال لك هذا^٣ وروى الحافظ بن عساكر عن أمامة أن الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل: ألق: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك^٤.

^١- تصليوني: صفة التلير: 1/219-220.

²- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 1/305-306.

³- أخرجه ابن أبي حاتم

⁴- أخرجه الحافظ بن عساكر - الصابوني: صفة التفاسير: 3/559.

الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 3/639.

ومن خلال التأويل الشيعي للأيات السابقة، تبدو ضرورة وجود الإمام المعصوم، لدِيهِمْ، فبدونه لا يدرك الأتباع مجملات القرآن ومتناهاته، ولا يميزون بين الصادقين والمنافقين، ولا يعرفون الحق الذي من أجله تقتل النفس، تطبيقاً لقوله تعالى "ولَا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق"^١. وقوله

تعالى: "وَقَاتَلُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْكُمْ"^٢.

ولا يعرفون أيضاً أوامر الله ونواهيه على بيته من الأمر، ولهذا فقد يأمرُون بالمنكر، وينهُون عن المعروف، سهُوا أو عمداً، فيضلُّ المتبوعون. ومجمل القول، لدى الشيعة، في هذه القضية، أن الحياة تتوقف بدون وجود الإمام المعصوم، ولكن أين هو هذا الإمام المعصوم؟ وهل يعني غيابه - حسب عقيدة الشيعة فيه - توقف الحياة عن الحركة حتى تعود؟

تلك قضية أثارها (مهدي بزرگان) من الشيعة المعاصرین، متسائلاً من تنتظر؟ الإمام الغائب القائم؟

يقال دائماً إن الإمام سيظهر، ليقيم حكم الله في الدنيا، ويملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً ظلماً، ينظم الاقتصاد، ويقتضي على الفقر، بحيث لا يبقى فقير يستحق الزكاة، ويرسي أسس الأخوة والإيثار والتعاون، وينشر الإطمئنان بين الرعية، بحيث تعيش الشاة مع الذئب دون خوف.

إن قضية الإمام المعصوم الغائب، أصبحت بلاءً على المسلمين في الظاهر، والكواليس طلاق الراحة في الواقع. يقول البعض: إن الحكم أوحد الصحيح، هو حكومة إمام الزمان المعصوم، وكل الحكومات الأخرى يجب

- سورة الأنعام: الآية 151.

- سورة البقرة: الآية 242.

رفضها، لأنها قائمة على الغصب، ولا يجوز الإسهام في أي كفاح سياسي أو اجتماعي إلا بظهور الإمام الغائب المعصوم، وهذا الموقف يعني أن ترك الفرصة للظالمين والغاصبين كي يفعلوا ما يشاؤون، ويحكمون كما يريدون، دون أن نتصدى لمنعهم حتى في حالة الدفاع الشرعي.

وهل يعني ذلك أيضاً لا نصلّى وراء أحد، لأن إمام الجماعة العالم، الكامل، العادل، المعصوم، هو إمام الزمان وحده، فكيف نصلّى الجمعة بدونه؟ وكيف يحق للمعلم أن يدرس طلابه والعالم المطلق المعصوم، وهو إمام الزمان غائب؟ وكيف يجوز للقاضي أن يحكم بين المختصين... وهلم جرا.

ويسترسل (مهدي برزكان) في تبيان رأيه، مقدماً الحل، قائلاً ما نصه: ها نحن هنا أمام أذانية البشر التي تخضع لهوى النفس، ودعوة الشيطان، فنقول الدين، بحيث تجد مجالاً للهرب والتهرب من الحياة، إن هذه الأذانية والضعف هما اللتان تقودان ديناً كالإسلام، ومذهبها كالشيعة نحو العجز الكامل الذي يعني الموت والنهاية.

لم يكن ظهور الشيعة والصراع مع السنة سوى نتاج صراع على الحكم والسلطة السياسية، ولا يمكن للخلاف على أسلوب الوضوء والصلاوة، وتفاصيل فقهية أخرى أن يكون سبباً في كل تلك الصراعات الحادة والتصدامات الدامية، بل كان الخلاف الرئيسي هو اختلاف المصالح والموافق السياسية".

ولا نقصد بالطبع تلك السياسة والمنافسة على الحكم التي يتحدث عنها كسرامي¹. بشكل مغرض، فيقول: إن أئمة الشيعة عندما فشلوا في نيل الخلافة والسلطة، فتحوا هذا الدكان (التشيع) وسيلة للكسب بل إن ما نقصده هو العكس تماماً².

ويبدو أن مهدي بزرگان يريد أن يستنتج من ذلك، أنه إن لم يوجد الإمام المعصوم لغيابه فهناك نائب، أو نواب، من علماء الشيعة، وهم في درجة المعصومين الذين يستطيعون أن يحلوا كل معضلات المسلمين، اعتماداً على القرآن، وأحاديث النبي، وتراث الأئمة، مستفيضين منها الآف الحکام، والموافقات والأفکار، حول القضايا الاجتماعية، لكي يكون المسلمون قادرین على الإجابة على موضوعات العصر وحاجاته، وضرب مهدي بزرگان لذلك مثلاً، بأولئك المنافقين الذين ادعى أوائل الشيعة، أنهم لا

1- هو أحمد كسرامي من مشاهير المورخين الإبراهيميين لـ رأي للثورة الدستورية، وتاريخ إيران، وأنزيحان المعاصر. لخذ مواقف انتقادية ضد الشيعة، واعتبر رجال الدين يعيقون تطور المجتمع، وقد كتب مؤلفه (الشيعة) ليقدّم ما أسماه بخرافات الشيعة، وفي عهد رضا شاه، نظم كسرامي محفلًا دينيًّا، يدعو إلى اصلاح الدين ليلاً ثم العصر؛ وقال بتتفريح الدين الإسلامي والنهي إلى إيجاد دين جديد.

2- وبين الأمور التي حاول إلغاؤها من المذهب الشيعي، هو عنصر القيم بالسيف، مما فسر بأنه خدمة لرضا شاه، وقد جلت عليه هذه المواقف نفحة شديدة، فاختبر في انتهاء من قبل منظمة قذائي الإسلام النظر (هـ 10) من كتاب مهدي بزرگان - الحد الفاصل بين الدين والسياسة ص 125 من تعليلات المترجم، فاضل رسول

2- مهدي بزرگان: الحد الفاصل بين الدين والسياسة، ترجمة عن الفارسية فاضل رسول ص

30- الثاني: الشيعة في ص 185-186.

يعرفون إلا بواسطة الإمام المقصوم¹. مبيناً أن القرآن قد نادى صفاتهم في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَجِّلُ كَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَشَهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَنْدَلُكُ الخُصَامُ، وَإِذَا تَوَلَّ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيَفْسُدْ فِيهَا، وَيَهَكُ الْحَرَثَ وَالنَّسْلَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ"².

واعتبرهم الله عز وجل، في مرتبة المشركين الذين لا تجب طاعتهم، لأنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون فقال: "وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ"³.

وإذا وجد في الشيعة المعاصرين -كمهدي بزرگان- من يدعو إلى إصلاح المذهب الإثني عشرى، فإن منهم من لا يزال يتمسك بالأسلوب التقليدى في هذا المذهب، ومن هؤلاء هاشم معروف، فقد ربط بين عصمة الأنبياء والأئمة، منتقلًا من الدليل العقلى إلى الدليل التلقى، مؤولاً ما تشابه من الآيات على عادة الشيعة، قائلاً: "هذه طائفة من الأدلة التي يستدل بها الإمامية على عصمة الأنبياء، وهي كافية لاثباتها، ولكن النصوص القرآنية قد تعرضت لأحوال جملة من الأنبياء وتدل بظاهرها على وقوع المعصية منهم، فلا يبقى لأدلة العصمة فائدة يعتمد عليها، في مقابل أخبار الله سبحانه، بسرهم وعلانيتهم، فلا بد من رفع اليد عن هذه الأدلة، أو تأويل الآيات الكريمة بما يتفق مع بلاغة الكتاب واعجازه"⁴.

¹ الحلى: *اللذين يفارقون الصدق والمنين*، ص 115، 117. مهدى بزرگان: *الحد الفاصل بين الدين والسياسة*، ص 46-125.

² سورة البقرة: الآية 202، 203.

³ سورة الشعراء آية 151، مهدى بزرگان *الحد الفاصل بين الدين والسياسة*، ص 36.

⁴ هاشم معروف: *عقيدة الشيعة الإمامية*، ص 79.

ويبدو أن قول الشيعة بعصمة علي بن أبي طالب قد انتمسوا من صفات الزكية، ومن سيرته في رعيته، وعدلاته بينهم، وشذته في الحق مع الرعية، ومع نفسه، وعائلته، وآل بيته، إلى درجة أنه لا يعرف في ذلك رخصة، وقد أقدم على التسوية بين العرب والموالي في العطيات، ولما كلموه في هذا الأمر، وأنه خالف فيه سيرة الشيختين، حيث كانت أعطيات المسلمين تعتمد على الأسبقية في الإسلام، أجاب أنه قلب ما بين دفتري كتاب الله - تعالى - فلم يجد لهؤلاء فضلا على هؤلاء. وكان علي إلى جانب ذلك رفقاء بالموالي عموماً، يحشو عليهم، ويحاولون أن يزيلوا ما علق بنفوسهم من شعور بالنقص، بالقياس إلى ارتفاع منزلة العرب الاجتماعية آنذاك، فيقيم حدود الله على القريب والبعيد، ويعده بين الأحمر والأسود¹. ومن أجل هذه المواقف العادلة أحبه الأعاجم، وقررروا أولويته بالإمامية دون ساندر الصحابة، وإنها في عقبه حق مشروع لهم إلى يوم يبعثون. ولأجل هذا الإعتبران التمس الشيعة أيضاً في خطب علي واقواله، ما فسروه بهذه العصمة التي ذهبوا إليها ومن ذلك خطبة لعلي وصف بها 'العارف باليه' متعرضاً إلى نقد صنف من العلماء، حكموا بالهوى، وأكثروا من الاختلاف فقال: 'عبد الله ابن من أحب عباد الله إليه، عبد أعاده على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلب الخوف فزهر مصبح الهدى في قلبه، وأعد القرى² ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهو الشديد، نظر فابصر، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات'

1- اليعقوبي: التزريح الكبير، 101/2، 106، 107، 130، 133، 154، 150.

2- القرى، ما يقدم للضيف من اكرام - ازارزي: مختار الصحاح، ص 533 مذكرة القرى

سُهُلَتْ لِهِ مُوَارِدُهُ، فَشَرَبَ نَهْلًا، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدِيدًا^١. قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ
الشَّهْوَاتِ، وَتَخَلَّى عَنِ الْهَمُومِ إِلَّا هُمَا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صَفَةِ الْعُمَى
وَمُشارِكةِ أَهْلِ الْهَوْيِ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهَدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ
الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَثَارَهُ وَقَطَعَ عَسَارَهُ^٢.
وَاسْتَمْسَكَ مِنْ الْعَرَى بِأُونَقَهَا، وَمِنْ الْحَبَالِ بِامْتِهَا، فَهُوَ مِنْ الْيَقِينِ عَلَى مَقْضِيَّ
ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ، سَبَّحَهُ فِي أَرْفَعِ الْأَمْوَارِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ
وَارِدِ عَلَيْهِ، وَتَصَبِّرَ كُلَّ فَرَعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مَصْبَاحُ الظُّلُمَاتِ، كَشَافُ عَشَوَاتِ^٣.
مَفْتَاحُ مَبْهَمَاتِ، دَفَاعُ مَعْضِلَاتِ، دَلِيلُ فَنَوَاتِ، يَقُولُ فِيْفِيمْ، وَيَسْكُتُ فِيْسِلَمْ، قَدْ
أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَاصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ الزَّمَنُ نَفْسَهُ
الْعَدْلُ، فَكَانَ أَوْنَ عَذْلَهُ نَفِيَ الْهَوْيُ عَنِ نَفْسِهِ. يَصْفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ
لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا لَمَهَا. وَلَا مَظْلَمةً^٤ إِلَّا فَصَدَهَا. قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابُ مِنْ زَمامِهِ، فَهُوَ
قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحْلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلَهُ، وَيَنْزَلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزَلَهُ^٥.

وَذَهَبَ شَارِحُ النَّهْجِ ابنُ أَبِي الْحَدِيدِ (ت. 656هـ/1258م)، إِلَى أَنَّ
خَطْبَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي حَقِيقَةِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ، تَدَلُّ عَلَى أَوْصَافِ
الْمَعْصُومِ، وَأَنَّ عَلِيًّا قَصَدَ بِهَا نَفْسَهُ بِاعتِبَارِهِ حَجَةُ الشِّعْعَةِ، وَمَرْجِعُهُمْ فِي كُلِّ
مَعْضِلَاتِ الْأَمْوَارِ، لِعَصْمَتِهِ، وَعِلْمِهِ الْرِّبَانِيِّ بِأَسْرَارِ الْكِتَابِ وَالسَّنَّةِ وَاسْرَارِ

^١- التَّسِيِّلُ الْجَدِيدُ: طَرِيقٌ جَدِيدٌ لِاعْتَذَارِ فِيهَا لَقْوَةُ أَرْضِهَا - ابنُ أَبِي الْحَدِيدِ، شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: 205/2.

^٢- بَحْرُ غَمَرٍ: كَثِيرُ النَّمَاءِ، نَفْسُ الْمُصْدَرِ وَالصَّفَحةِ

^٣- كَشَافُ عَشَوَاتِ، جَ عَشْوَةُ (بَقْحُ الْعَيْنِ وَضَمَّهَا وَكَسْرُهَا): الْأَمْرُ الْمُلِبِّ، نَفْسُ الْمُصْدَرِ

^٤- مَظْلَمَةُ الشَّيْءِ: حَيْثُ يَظْنُ وَجُودُهُ، انْظُرْ نَفْسَ الْمُصْدَرِ وَالصَّفَحةِ

^٥- ابنُ أَبِي الْحَدِيدِ: شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: 204/2-205.

الكون، ومن ثم فقد خص بالأنطاف يختاز بها الحسن ويتجاذب الفسخ، وهو عون من الله، والعون لطف - لدى المتكلمين - يجعله يستشعر الحزن والخوف، حتى لا يمحى من جريدة المخلصين، فتراء يستعد للمنية بإقامة وظائف العبادة، متمثلاً الموت بين عينيه دائماً، فلا يطيل الأمل، ويروض نفسه على احتمال الشدائد والعمل الشاق، ينظر فيبصر، وذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمعتقداتها ترتيباً صحيحاً، لتنتج العلم القيني، ويدرك الله فيسكنه من ذكره لأن الإكثار من ذكره يقتضي سكون النفس وطمأنينة لقوله تعالى: "الذين آمنوا وطمأن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن أنفُلوب"^١. ويرتوي من حب الله تعالى، وهو العذب الفرات الذي تسهل موارده على من ينتبه الله.

ويجعله أهلاً للوصول إليه، فيشرب منه، ويسلك سبيلاً جديداً أي طريقاً سهلاً لا اعتذار فيه ولا وحث، ويخلع عنه سرابين الشهوات، لأنها مع الغضب يصدان مرآة العقول، فلا تنطبع المعقولات فيها جلية، ويتخلى العارف بالله عن الهموم لأنها تشغله عن الاهتمام بأمور الدنيا والآخرة، إلا هما واحداً هو همه بالله مولاه الذي هو لذته وسروره، والاهتمام به، والتفرد بمناجاته وعبادته ومطالعة أنوار عزه، وبذلك خرج عن صفة أهل الصلال والبهوى، حتى أدرك أنيقين كما يدرك نور الشمس، وذابت نفسه في الله في أرفع الأصول وهي الخلوة به، ومشاهدة أنوار جلاله مرآة فكره حتى تكيفت نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراق، واستطاع أن يكون مفتاحاً لمبهمات الشكون المستغلة بإدراك أدلة الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة، أخلص الله

^١ - سورة الرعد: آية 28.

فاستخلصه، والإخلاص لله مقام عظيم جداً، وهو تزه الأفعال عن الرياء والآيات
يمازج العبادة أمر لا يكون الله.

والملخص لله هو من الصالحين الذين هم أوتاد الأرض، وحجج الله
على الخلق، ولو لاهم نعامت (الأرض) بأهلها وارتقت، يلزم نفسه العدل،
والعدالة ملامة وغريزة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لا تخلقها.
ونلم تحصل العدالة الكاملة لأحد بعد الرسول إلا لعلى، في نظر الشيعة وإن
أبي الحديدة صاحب المبمول الشيعية وإن كان في الحقيقة شيعياً ولهذا يكون
أول عذله على نفيه الهوى عن نفسه، حيث إن من لا يأمر بمعروف ولا
ينتهي عن منكر، لا تؤثر عظمته في غيره،

ولا ينفع ارشاده للناس، ولذلك قرآن ينكب على نفسه، يصف الحق
لغيره ويعمل به، فلا يدع للخير غاية إلا أنها، لأن الخير لذاته وسروره
وراحته، فمتى يجد إليه طريقاً يساكها وبالجملة فإن العارف بالله، قد أمكن
القرآن من زمامه فأطاع الأوامر الإلادبية، وأصبح الكتاب قائمه وإمامه يحل
حيث حل وينزل حيث نزل^١.

ويبدو أنه ليس من الممكن أن تحمل هذه الخطبة كل ما يراه الشيعة من
معانٍ العصمة، ولكنها على أية حال تعبر عن فضائل خاصة بالعارف بالله
يجوز أن تأخذها أساساً لعقيدة العصمة بمفهومها الشيعي، كما ظهرت في
عبد الصادق وزيد بن علي، وتوضح فضائل العارف بالله، أو المعصوم
حسب تأويل ابن أبي الحديدة، في ذكر علي في نفس الخطبة لصنف من

١- ابن أبي الحديدة: شرح نهج البلاغة: 204/2-209.
المرجاني: انعريلات، ص 80 مادة عصم

العلماء: 'وآخر قد تسمى عالما وليس به، فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال، وتنصب للناس أشراكا من جهائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهواده، يؤمن للناس من العظام، ويجهون كبير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه، وذلك ميت الأحياء فإن تذهبون ^٤ وإن يناديكم ^٥ وكيف تعمهون؟ وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمه الحق وأعلم الدين وألسنة الصدق، فأذلواهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ^٦.

أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم - إنما يموت من مات مما ليس بميت وبطلي من بلي مما ليس ببالي، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تتکرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه - وهو أنا - ألم أعمل فيكم بالنقل الأكبر واترك فيكم النقل الأصغر، ^٧ قد ركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وأليسكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلني، وأربتكم كرامي الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قدره البصر، ولا يتغلغل إليه الفكر، ^٨ ويجد الشيعة الإمام عشرية في الجزء الثاني من هذه الخطبة ضالتهم

١- شيم العطاش: الإبن العطاش: قال الله تعالى: فشاربون شرب الهيم - سورة نوافعه: آية ٥٥ الترازي: مختار الصحاح، ص 704.

٢- النقل الأكبر: القرآن - والنقل الأصغر: هم آن البيت، في نظر الشيعة، بن الحميد: شرح نهج البلاغة، 212/2-213-214.

٣- نفس المصدر: 211/2

أيضاً لتأكيد على وجوب عصمة الإمام، ويتمسكون بهذا النصف من العلماء كحجۃ على أولئك الذين يفترون. بغير نور الله، وبدون هدی منه، ويتبعون الهوى ولا يأخذون حکامهم عن المعصوم، هؤلاء المتعالموں هم أقرب إلى الحيوان منهم إلى الإنسان العاقل لقوله تعالى: "إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا".^١

وقول الشاعر:

وكان ترى من صامت لك معجب، زريادته، أو نقصه، في التكلم،
لسان الفتى، نصف، ونصف فؤاده، فلم يبق إلا صورة اللحم، والدم
هؤلاء هم من قبيل موتى الأحياء، لجهاتهم وبؤسهم، ومنه قول الشاعر:
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
وكيف يتحير الناس ويشهون، ويحصلون في البحث عن الحقيقة، وبينهم
عترة النبي، وأل بيته الأطهار، مصدر الحقيقة ومعدن العصمة؟ ويلتمن ابن
أبي الحديد الأدلة السمعية التقليدية التي يرويها الشيعة في فضل آل البيت
ومنها: حديث التقلين الذي ذكر فيه رسول الله من هم عترته؟ مبينا أنه تارك
في المسلمين اثنين وهما: القرآن، وعترته آل بيته. بينما التقلان في روایة
أهل السنة: كتاب الله، وسنة رسوله.^٢

١- سورة الأعراف: الآية 179.

ثفن المصادر والصفحة في هـ ١.

٢- نفس المصدر: 2/212 رواه الترمذی: المسن، ص 31.

و الحديث الكسأ حين نزل قوله تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذَهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَلَّا يَبْيَثُوكُمْ تَطْهِيرًا"^١. فطرح رسول الله كساء على فاطمة وعلى والحسن والحسين قائلاً: "اللَّهُمَّ هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاذْهَبْ الرِّجْسَ عَنْهُمْ"^٢.

و الحديث المواتاة في علي "... اللَّهُمَّ وَالَّذِي مِنْ وَالْأَدَاءِ، وَعَادَ مِنْ عَادَهُ" وأدر معه الحق حيث دار^٣. "وَالَّبِيتُ أَلْبَيْتُ الصَّدْقَ عَمْلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: 'وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدْقَ فِي الْآخَرِينَ'"^٤. لأنَّه لا يصدر عنهم قول أو عمل، إلا وهو موافق للحق والصواب، طبعوا على الصدق والعدل، واستحقوا أن تقاد لهم الرعاية، وأن تنزلهم منازل القرآن، وأن تحرص علىأخذ العلم والدين منهم، كحرص الإبل العطشى على ورود الماء، إن العترة الطاهرة تختلف عن بقية الناس، إنهم يموتون وليسوا يميتون، وينطبق عليهم قول رسول الله: "إِنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَسْلُطْ عَلَىٰ"^٥. و يذهب ابن أبي الحديد إلى أنه لو فتحنا قبور آل البيت، بعد موتهم، لما وجدنا فيها جثثاً، تقوله تعالى: "وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُمَّ يَرْزُقُونَ"^٦. وليس المقصود به ققاء البدن وبقاء الروح لأن ذلك ليس مختصاً بالبيت وحدهم بل يشاركون فيه عامة الناس، وقد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضراء، تدور في أفنان الجنان، وتأكل من ثمارها، وتلوي إلى قناديل

^١ سورة الأحزاب: آية: 33.

^٢ ابن أبي الحديد: شرح التهج: 212/2.

^٣ نفس المصدر والصفحة

^٤ سورة الشعراء: آية: 84.

^٥ ابن أبي الحديد: شرح التهج: 212/2 - 213.

^٦ سورة آل عمران: آية: 169.

من ذهب معلقة في ظل العرش^١. ويرى ابن أبي الحديد أنه إذا جاء هذا في الشهداء، فما بالك بموالي الشهداء وساداتهم آل البيت، ولا يمكن أن يقال لعله أرادبقاء الذكر والصيت، لأن غيرهم من عضماء الإنسانية يشاركونهم في ذلك. وليس المقصود به: إنه يلي من بلي من آل البيت، والنبي ليس ببيان، لأن الإمام علي نو أراد ذلك لقال: إن رسول الله لا تبلية الأرض، وإنه الآن حي، ولكنه في سياق تعظيم العترة، وتجزيل أمرها، وفخره بنفسه، وتمدحه بخصائصه ومزاياه، فلا يجوز أن يدخل في خضون ذلك ما ليس منه.

وقد ذكر الإمام علي هذا القول مرفوعا إلى رسول الله، فقال: "خذوها عن خاتم النبيين" آمرا إياهم بالآ يقّولوا مالا يعْرِفُونَ، وألا يكذبوا هذا الأمر الذي أخبرهم به، فيقولوا مالا يعلمون صحته، مثلها أنكر الكفار الحق، كإحياء الموتى يوم القيمة، والصراط والميزان، والجنة والنار، وبسائر أحوال الآخرة، ومثلما ينكرون هم الحق ويعتبرون عليا قد شارك في دم عثمان، وإن معاوية صاحب حجة في حربه، أو شبهة يمكن أن يتعاقب بها متعلق، كنسبة الخطأ إلى علي في التحكيم، أو يعتقدون أن عليا مفضول، وغيره أفضل منه. ثم ذكرهم (علي) بأنه يعمل فيهم بالتلقل الأكبر وهو كتاب الله، ويترک فيهم بقية التلقل الأصغر الحسن والحسين. ولذلك فعلني قد ألبسهم العافية من عدله، وفرشهم المعروف من قوله، وركز فيهم رأية الإمان، وأوقفهم على حدود الحلال والحرام، وأطلعهم على كريم خلقه، وزكي خصاله، ونهاهم عن استعمال الرأي فيما ذكره لهم من خصائص آل البيت،

- ابن أبي الحديد: شرح النهج: 213/2

وعجبت ما منحهم الله، تعالى، لأن أمرهم أمر صعب، لا تهتدى إليه العقول، ولا تدركه الأبصار. وهذه صفات تتفق مع رأي الشيعة في الإمام المعصوم^١. وفي الجزء الثالث من الخطبة نهى على المسلمين أن يظنوا أن الدنيا محبوبة علىبني أمية، فهي كناقة تعطيرهم لبنها، وتمنحهم صفوها وسعادتها، بينما لا يرفع عن هذه الأمة الإسلامية ظلعمهم وسيفهم، لقد كذب من ظن ذلك، إن هي إلا مجة من لذذ العيش، ينتظرونها برهة من الزمان فيها طون، ثم يرمون بها كلها، ويلفظونها من أفواهم، فلا يبقى منها شيء معهم. حتى يظن أن الدنيا معقوله على بنى أمية، تمنهم درها، وتوردهم صفوها، ولا يرفع عن هذه الأمة صوتها ولا سيفها. وكذب انتظار ذلك، بل هي مجة^٢. من لذذ العيش ينتظرونها برهة ثم يلخصونها جملة^٣.

ولذلك تعتبر خطبة العارف بالله معبرة بحق عن عصمة الأئمة - في نظر الشيعة - وإنك لنجد أن ابن أبي الحديد يتكلم بلسان شيعي في شرحه لها، لأنّه معتزلي وشيعي في آن واحد، مما تظهر من خلاله العلاقة الوطيدة الرابطة بين المعتزلة وأآل البيت، ومن ثم يذهب ابن المرتضى إلى اعتبار علماء آل البيت من أوائل المتكلمين في الإسلام، وأنّهم يمثلون في الوقت نفسه، النواة الأولى للمذهب الاعتزالي^٤.

^١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 212/2-215.

^٢- مجة من لذذ العيش - مصدر مع الشراب من فيه أي رمى به. ويقال: مجت نقطة من القب، أي نرشحت - وثيق ماج أي كبير يمحى طريق - ولا يستطيع حبسه لكرهه، ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة: 215/2.

^٣- نفس المصدر: 214/2-215.

^٤- ابن المرتضى: المنية والمل - نقل: عن محمد ابن زهرة: الإمام زيد، ص 40-41، وعن عبد الرحمن بدوي: مذاهب المسلمين: 40/1-42 وما بعدها.

ويفرق ابن أبي الحميد بين العصمة التي تقول بها المعتزلة، والعصمة التي تقول بها الإمامية، ذاكراً، أن علياً معصوم وإن لم يكن واجب العصمة، ولنست العصمة أيضاً بشرط في الإمامة، ويبدو ابن أبي الحميد شيئاً معتدلاً جمع بين الإعتزال ومحبة آل البيت بالرغم من أن النصوص قد دلت على عصمة علي، وعلى ظهارة ظاهره وباطنه، وأن هذه العصمة أمر قد اخترع به 'علي' دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا: فلان معصوم، وبين قولنا: فلان واجب العصمة، لأنه إمام ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً ولعل بن أبي الحميد أراد بعصمة علي، نزاهته وورعه وتقواه، وهذا الإعتبار الأول مذهب المعتزلة، والإعتبار الثاني مذهب الإمامية¹. يعني بذلك أن المعتزلة يشترطون عصمة الإمام، ويعنون بها عصمة تقوى وورع ونزاهة، أما الإمامية فيرون وجوب عصمة الأئمة عصمة دينية تصاهي في مفهومها وفاسفتها عصمة رسول الله، ولكن مهما اختلفت العبارة لدى الفريقين شكلاً، فالمضمون واحد، وتنظر نقطة الإنقاذه بين المعتزلة وبين الإمامية في اعتبارهم جميعاً أن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة على الإطلاق، فهو أوزعهم، وأتقاهم، وأظهرهم، واقربهم إلى رسول الله، بينما يرى أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة، (أبو بكر، عمر، عثمان، علي)². رضي الله عنهم جميعاً.

ويعتبر نهي علي المسلمين، أن يستعملوا آراءهم فيما ذكره لهم من خصائص آل البيت، دالاً على مفهوم العصمة كما يراها الشيعة، ولذلك

¹- ابن أبي الحميد: شرح النهج: 215/2.

²- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 17/8 باب فضل أبي بكر - وانظر كامل الباب

فقول المخالفين أعجز من أن تدرك الحقيقة بمفرداتها، ولا بد لها من إمام معصوم يعرفها كله الأشياء، ويبين لها حدود الحلال والحرام.

وليس خطبة العارف بالله هي الخطبة الوحيدة الدالة على عصمة علي - في نظر الإثني عشرية - بل هذك خطب وأقوال كثيرة، استنجدوا منها هذا المبدأ الذي يعد من أهم العبادى وأخطرها في العقيدة الشيعية، كما كانت في أحوالات التي وقعت في حياة علي، ما يدل على وجوب عصمه، لديهم، غير أن هذا لا يعني أن العصمة بالمفهوم الشيعي، لدى المتكلمين المتأخرین منهم، كانت معروفة زمن علي، وإنما هي مبدأ لا حق أسبقه هؤلاء المتكلمون على آيمتهم، وأوجبوا على الشيعة الإيمان به، كأصل من أصول التشيع، بالرغم من كون الأئمة لم يصفوا أنفسهم بأي نوع من العصمة، وإنما حملهم أتباعهم مالا يتحملون تبعته، وقد عايش بعض الأئمة هذا الغلو وأضرابه في العقيدة الشيعية، فنبذوه، وتبرأوا منه، ولعنوا القاتلين به، وهنا شخص بالذكر من هؤلاء الملعونين: أبي الجارود الذي طعن في الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، مدعيا الانتماء إلى الزيدية بفرقة سمت باسمه: (الجارودية)، مما اضطر الإمام الباقر إلى لعنه، واصفا إياه بأعمى القلب وأعمى البصر، لأنه كان محفوفا، مطلقا عليه لقب (سرخوب) وكان يعني به أنه شيطان أعمى يسكن البحر^١. وإذا كانت العصمة قد ظهرت في عهد محمد الباقر (ت. 119هـ - 737م)، وعهدي الصادق وزيد بن علي التزيين، وإنهم

^١ التوبيخني: فرق الشيعة، ص 59 - 60، الشيرستاني: الملل والنحل، 213/1 ذيلاً لكتاب الفصل ابن حزم - السيد المرتضى: ناج العروس، 218/2 نفلاً عن الفرق بين الفرق للبغدادي، ص 30، هـ 1.

كانتوا جموعاً يبنون كل غلو ونطرف في محبة آل البيت، أدركنا السبب في تخلّي الشيعة الرافضية عن زيد بن علي، وهو في ساعة العسرة، مُهيّأاً للثورة علىبني أميّة.

وما ذلك إلا لأنّه لم يجارهم في الطعن على الشّيخين، وأول سبّهما بالإمامنة علّي، بأسلوب يختلف عن أسلوب الرافضة التّعسفي، مصراً حالهم: أنه لم يسمع أحداً من آباءه طعن فيهما، وأنه لا يقول فيهما إلا خيراً، غير معترض بعاصمة الإمام، ولا بما يمكن أن يسبّ عليه الشّيعة من ضروب الغيبة، والإسراف في المذالّة، وفي هذا المجال روي أن أبي الخطاب قاد جماعة من الرافضة دخلوا على الإمام زيد بن علي، فسألوه عن مذهبهم، فقال: "إني أبراً إلى الله من المُشَبَّهَةِ الَّذِينَ شَبَهُوا اللَّهَ بِخَلْقِهِ، وَمِنَ الْمُجْرَّبَةِ الَّذِينَ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَمِنَ الْمَرْجَحَةِ الَّذِينَ طَمَعُوا فِي الْفَسَاقِ فِي عَفْوِ اللَّهِ، وَمِنَ الْمَارِقَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنَ الرافضة الَّذِينَ كَفَرُوا أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ¹".

ويُعَتَّقُ هذا القول في نظر الزيدية - : 'عِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْعَدْلِ كَمَا يُعْرَفُ بِهِ مَنْ كَانَ ذَا فَهْمٍ وَعُقْلٍ'². لأنّه مذهب يعتمد على الاعتدال، وعلى الطريقة الوسطى التي اعتمدتها القرآن كمبدأ عام يمتاز به المسلمين فقال

1- زيد بن علي: المسند برواية أبي خالد الوسطي: ص 9-10، الطبرى: تزريح الأمم والملوك: 498/5-499. مطبعة الإسكندرية بالقاهرة، ابن الأثير التزريح الكامل: 5/89، دوّنالنس، عقيدة الشيعة، ص 328.

2- زيد بن علي: المسند: ص 10

تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهادة على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيداً".¹

ولذاك فقد طعن الرافضة في زيد بن علي، ولما قيل لجعفر الصادق:
إن الرافضة يبرؤون من عمك زيد؛ أجاب: "برب الله من تبرأ من عمي،
كان والله أقرباً لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما ترك فيما
ندينا ولا لآخرة مثله".²

ولما سئل يحيى بن مساور عن طعن في زيد بن علي، قال: "لا
يطعن فيه إلا راضي وناصبي".³ مع العلم وأن الرافضة فرقة من شيعة
الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في
الصحابية، وانغلو في وصف الأئمة من آل البيت بأوصاف مسروقة في الغيبة
كالعصمة والوصية والمهدية، ولما عرف شيعة الكوفة مقالاته وأنه لا يتبرأ
من الشيوخين، ولا يقول مقالاتهم، رفضوه وتخلىوا عنه في ساعة المعاشرة، بعدها
 Bai'uhu على محاربة بنى أمية، فأجبر على الدخول إلى المعركة بمائتين وثيف
من القراء والفقهاء أخلصوا في بيعتهم، مقابل جيش أمي عنيد مترب على
قمع الثورات⁴ ثم استعمل نقب الرافضة بعد ذلك في كل من غالا في مذهب
الشيعي وأجاز الطعن في الصحابة. أما التواصب فهم المبغضون لعلي بن

1 - سورة الأنقرة: الآية 143.

2 - زيد بن علي: المسند: ص 46.

3 - زيد بن علي: المسند: ص 13، رواه أيضًا ابن ساجة في سننه.

4 - الطبراني: تاريخ الأمم والملوک: 498/5 - 499 مطبعة الاستدامة بالقاهرة.

أبي طالب، المعادون له من أهل الشام وأنصاربني أمية¹. ولذلك يقال: أهل السنة الناصية، والشيعة الرافضة.

وبالرغم من تخلّي بعض الزيدية عن مبادئ زيد المعتلة، فإنهم لم يقولوا بعصمة الأئمة، ونذكر من هؤلاء سليمان بن جرير صاحب الفرقة السليمانية من الزيدية - فقد كان سليمان بن جرير لا ينورّع عن الطعن في ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، وتكفيره للأحداث التي نفمت عليه، زاعماً أنه قد ثبت عنده أن عليّ أبي طالب لا يضل، وتقوم عليه شهادة عادلة بضلاله، ولا يوجب علم هذه النكتة على العامة، إذ إنما تجب هذه النكتة من طريق الروايات الصحيحة عنده².

ومع حكم سليمان بن جرير بعدم ضلال عليّ، فإنه لم يثبت له ولجساعة آل البيت عصمة، وعدم ضلالهم يعني في نظره - صدق الإيمان وهو من باب التقوى والعفة والتزاهة، وليس من باب العصمة الإلهية التي اشتتها الائـثـا عـشـرـيـة لـلـأـيـمـةـ، وبـمـوجـبـهاـ رـفـضـ الشـيـعـةـ عـصـمـةـ الـأـمـةـ الـتـيـ بـهـاـ أـهـلـ السـنـةـ، لـعدـمـ اـنـفـاقـ الجـمـاعـةـ الـاسـلـامـيـةـ عـلـىـ الخـطـأـ، وـاستـدـ الشـيـعـةـ فـيـ هـذـاـ الرـفـضـ إـلـىـ وـجـودـ تـمـرـقـ فـيـ الـمـجـتمـعـ الـاسـلـامـيـ، وـافـرـاقـهـ إـلـىـ كـتـلـ وـأـحـزـابـ، وـانـضـامـ جـانـبـ كـبـيرـ مـنـهـ إـلـىـ مـغـتصـبـيـ السـلـطـةـ خـوـفاـ أوـ طـمـعاـ، وـلـذـكـ فـقـدـ الشـيـعـةـ تـقـتـهـمـ فـيـ الـأـمـةـ، وـاعـتـبـرـوـاـ مـنـاصـرـتـهـ السـيـاسـيـةـ لـلـحـكـمـ الـقـائـمـ، وـتـأـثـيرـهـاـ الـفـكـرـيـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ إـشـاعـةـ الـأـرـجـاءـ وـالـجـبـرـ آـيـتـيـنـ عـلـىـ عـدـمـ رـشـدـهـاـ، وـانـسـيـاقـهـاـ فـيـ شـيـرـ الـمـصـلـحـةـ الـحـقـيقـيـةـ، وـلـهـذـاـ السـبـبـ لـمـ يـقـلـ الـائـثـا عـشـرـيـةـ عـصـمـةـ الـأـمـةـ،

¹ - زيد بن علي: المسند - ص 13

² - الأشعري: مقالات المسلمين: 1/136

ورفضوا لأجله الإجماع، ولم يعتبروه أصلاً من أصول التشريع، كما رفض
أغلبهم القياس باعتباره اجتهاداً شخصياً مفضلاً للخطأ، ولأنَّ النظر
والقياس - لديهم - لا يؤديان إلى عِلمٍ، على عكس ما ذهب إليه أهل السنة
والزيدية، فقد قالوا بالأجماع والقياس، وأضاف الزيدية إلى ذلك: أن تقليل
الأئمة المشهورين من آل البيت أولى من تقليل غيرهم في اجتهادهم وفي قياسهم
وإجماعهم، سواءً كانوا ممن قام، وشهر سيفه، ودعا إلى الثورة على الظلم
كزيد بن علي (ت. 122هـ/740م) والقاسم (ت. 247هـ/862م) والهادي
(ت. 298هـ/911م)، أم كانوا ممن لم يخرج على الظلم مثل على زين
العابدين (ت. 110هـ/729م)، ومحمد الباقر (ت. 119هـ/737م) وجعفر
بن محمد الصادق (ت. 148هـ/766م).¹

والملاحظ أنَّ الدكتور علي سامي النشار قد قرر في آخر حديثه عن
الزيدية، بما يشبه اليقين، انفراط الزيدية من كل مكان، اللهم إلا في اليمن
فإنها لا تزال منها باقية، وفي مطلع القرن (العشرين) انتشرت فيها فكرة
عصمة الإمام وقداسته، وسادها ما عبر عنه بالفولكلور الإمامي 'على أشد ما
يكون، وبذلك قطعت كل صلة بينها وبين المذهب الزيدية الحقيقي'.² من
حيث الاعتدال الذي عرفت به، عادت إلى الغلو الشيعي.

1- نفس المصدر: 118-119.

- أحمد بن يحيى المرتضى: ملخص الأذهار: 1/5-19 وما بعدها

- ابن نعيم ونخيس الحافظ الذهبي: المتنقى من مذاهب الاعتدال، ص 548، 549.

- علي محمد زيد: معزنة اليمن، ص 31-95.

- الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران، ص 115-116.

²- الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر النفسي في الإسلام: 2/204.

غير أن الدكتور النشار لم يثبت من أي مرجع استقى هذا الحكم، ويبدو أنه اعتمد بناء على أخبار نقلت إليه، أو بناء على مشاهدة شخصية حصلت له في عهد حكم الأئمة، وأخرهم الإمام البدري الذي قضت عليه الثورة اليمنية في السنتين، مستبدلة الحكم الأمامي بالنظام الجمهوري.

وعلى كل فإننا مهما حاولنا أن نقص المصادر الزيدية والسنوية على السواء¹، فإننا لن تجد ذكراً لعصمة الإمام لديهم، عصمة دينية تضاهي في مفهومها وفلسفتها ما وجدناه لدى الشيعة الإثني عشرية، ولذلك يذهب الزيدية من قدامى ومحدثين إلى أن الإمام زيد بن علي من خيرة آل البيت، ومن كبار أهل السنة، وأهل الرزء والورع، "ومن قال: إنه شيعي أو رافضي أو ما أشبه ذلك، فقد تعدى وظلم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"². وقد وافق على هذا الرأي الزيدى شيخ الأزهر سابقاً، سليم البشري الذي التقى سنة 1329 و1330هـ بعد الحسين شرف الدين، إمام الطائفة الشيعية في

1- من هذه المصادر: مسند الإمام زيد بن علي برواية أبي خالد الواسطي، ومؤلفات الهادى، يحيى بن الحسين (ت. 288هـ/911م) مثل مخطوط: الأصول في الدين بدار الكتب المصرية، وتألیف الإمام، مخطوط بدار الكتب المصرية، تثییث إمامه أمير المؤمنین وإثبات الشوّه، مخطوط بدار الكتب المصرية، رسائل العدل والتوجیہ تحقيق محمد عماره، ج 2 دار الهلال، القاهرة 1971، كتاب من اعتزل الشک، مخطوط بدار الكتب المصرية، وكتاب التوبخنی: (فرق الشیعه) في حدیثه عن الزیدیة، ص 15، 16، 25، 26، 27، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 69 - مقالات الإسلاميين للأشعري: 128/1.

- وكتاب البغدادي الفرق بين الفرق، ص 30-36

- وكتاب أنسيد البرنوصي: فاج العروض: 218/2.

- وكتاب الشهريستاني: العلل وانحل: 207/1-218 نسلاً لكتاب ابن حزم: الفصل

- وكتاب ابن حزم: التهذيب: 386/3 وغيرها من المصادر وكلها لم تشر إلى قول الزیدیة بعصمة الإمام

²- سورة الشعراء: آية 227.

لبنان^١، كان من نتاجه كتاب المراجعات حول المذهب الإثنى عشرى، وفي الكتاب المذكور نشر شرف الدين محتوى هذه المداولات بينهما^٢.

ولكن بعض الإمامية المعاصرين ومنهم هاشم معروف يعتبرون زيد بن علي إماما في المرتبة الثانية بعد الأئمة الإثنى عشر، في علمه، وقداسته، وأخلاقه لله، ولمبادئ الإسلام^٣.

وخلاصة رأي الشيعة الإثنى عشرية في موضوع العصمة، هو القول بعصمة الأنبياء، والأئمة معا، عن الصغار والكبار عمداً أو سهواً لأنهم يثبتون للأئمة ما أثبتوه للأنبياء، والإمامية عندهم بعد النبوة^٤، والعصمة في نظرهم - واجبة للأنبياء قبلبعثة وبعدها، وللأئمة قبل تولي الإمامة وبعدها، وحتى في طور طفولتهم فإنه يمتنع صدور الكبار والصغار عنهم جميعاً بطريق العمد، أما بطريق السهو والنسوان فقد ذهب أغلب علمائهم إلى امتناع صدور ذلك عنهم، غير أن الشيخ المفيد وأبا علي الطبرسي لا يريان مانعاً من جوازه، معتبرين جميع الأنبياء والأئمة، معصومين عن الكبار قبل النبوة وبعدها، وقبل الإمامة وبعدها، ومما يستخف فعله من الصغار كلها، وأما ما كان من صغير فجاز وقوعه منهم قبل النبوة وقبل الإمامة، على غير تعمد، وممتنع بعد ذلك، على كل حال، لأن الأئمة قائمون مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع وتأديب الأئمة، ولا بد أن

^١ - Philippe Rochot: *La grande fièvre du monde Musulman*; p 74.

^٢ - زيد بن علي: *المسند* ص 47، عبد الحسين شرف الدين، *المراجعات*، ص 10، 18 من مقدمة الكتاب نمرتضى آل يمين

^٣ - هاشم معروف: *عقيدة الشيعة الإمامية*، ص 227-228.

^٤ - النوخختي: *فرق الشيعة*، ص 24-25.

تكون عصمتهم كعصمة الأنبياء، فلا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة، ولا سهوا ولا نسيان في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، أما السهو والنسيان في صغار الأمور قبل البعثة والإمامية فجائز وفوعه منهم عن خير تحمد.

وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شد منهم، ومن اعتقد غير ذلك فقد ظن ظناً فاسداً وأن بعض الظن إثم^١ غير أن بعض الإثني عشرية اعتبروا أن الله عصم الإمام عن العصيان وعن الخطأ والسهوا والنسيان^٢. وبزر شيعي معاصر هو هاشم معروف، وجوب عصمة الأنبياء والأئمة متسائلاً: كيف يمكن أن تصدر عنهم المعاصي وهم يصدقون بكتاب الله؟ ثم إن رسالتهم لا تكفي الإنسان فوق ما يطيق ليفهم كنهها، فهي تسير مع الزمان وتتساير الحياة، وليس في طبيعة الإنسان ما يتنافي مع تلك الرسالة، وليس من الصعب أن يتزمر كثير من الناس، ويعملون على نهجها ولو درسنا حياة العظماء لوجدنا أن عدداً ليس بالقليل منهم، تجردوا لخدمة الإنسانية وأعرضوا عن الملاذ والشهوات، ليزدوا لإخوانهم في الله وفي الإنسانية واجبات فرضتها عليهم إنسانيتهم المثلى، تاركين حياة النعيم ودواعي المتعة، باحثين عن السعادة الصادقة، قانعين باليسير من الفوائد، واستطاع هؤلاء الأفذاذ أن يحطموا ما في أنفسهم من الرغبات والشهوات، بفضل ملائكتهم القوية التي قادتهم إلى أشرف الغايات وأنبلها.

١- الشیخ المفید اوائل المقالات فی المذاہب المختارات، ص 35.

٢- الطیرمی: مجمع البیان فی تسیر القرآن: 316/4 - 317.

٣- عین بن الفضل الجبلانی: توفیق التطبیق، ص 26.

لأن اللذة الحقيقة تقتضي العزوف عن اللذة البدائية، حيث تكون اللذة في ترك اللذة، وما عصمة الأنبياء والأئمة - لدى الشيعة - إلا قوة في النفس تقودهم إلى ما يعملون من أجله لسعادة الإنسان وخيره، متحملين أشد أنواع الأذى والآلام^١.

ويستشهد محمد جواد مغنية سمن الشيعة المعاصرین - برأي الطبرسي والشيخ العفید في جواز صدور السهو عن المعصوم، ومع ذلك فهو يقول بعدم جواز صدور الكبائر والصغرائر عن الأئمة، بطريق العمد أو بطريق السهو والنسيان، وعصمتهم في إطلاقها هي عصمة القرآن الكريم، الذي يدل بدوره على عصمة العترة الطاهرة، آل بيت محمد، ومن ذلك قول الله تعالى: "إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرُّجْسَ آلُ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"^٢. وقول رسول الله: "إِنِّي تارك فِيمَنِ النَّقْلَيْنِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَعَنْتَرِي أَهْلَ بَيْتِي مَا أَنْ تَمْسِكُتُمْ بِهِمَا، لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدِي، وَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرِقاً حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْحَوْضِ"^٣. ويروي أهل السنة هذا الحديث بصيغة مغايرة، وهي التالية: "إِنِّي تارك فِيمَنِ تَمْسِكْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدِي أَبْدًا، كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنْنَتِي"^٤. واستشهد محمد جواد مغنية على عصمة الأئمة بأقوال أخرى ينسبها الشيعة للنبي، ومنها: 'علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه كيما دار' و يقوله:

^١- هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية، ص 78-79.

^٢- سورة الأحزاب: الآية 33.

^٣- محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان: ص 272-273-39.

^٤- الترمذى: السنن: باب المناقب، ص 31.

‘من أحب أن يحيا حيّاً، ويموت مماتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول عليا وذرتيه من بعده، فإنهم لن يخرجوك من باب هذى، ولن يدخلوك من باب ضلاله’ ويقول الإمام علي يصف نفسه: ‘ما وجد النبي، صلى الله عليه وسلم، لئن كذبة في قول ولا خطلة^١، في فعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل^٢. إثرأمه، يرفع لي في كل يوم نمير^٣. من أخلفه، ويأمرني بالاقتداء به، ‘وهذا معنى العصمة عند الشيعة، لا كذب في قول، ولا زلة في فعل^٤.

وبعد أن وضع محمد جواد مغنية هذه الأخبار الشيعية، في حكم المقصود بصحتها، تسامل قائلًا: ‘وإذا كان النبي هو الذي وصف آن بيته بالعصمة، فأي ذنب للشيعة إذا هم أطاعوا ربهم، وعملوا سنة نبيهم؟ لقد أقام المهوشون الدنيا واقعدوها على الشيعة، لأنهم قالوا بالعصمة، ولو كانت لهم أدنى خبرة بسنة الرسول، لقالوا بمقالة الشيعة... ثم إن قول الشيعة، بعصمة الأئمة الأطهار من آل الرسول، ليس بأعظم من قول السنة: إن الصحابة كلام عدول، وأن المذاهب الأربعة يجب اتباعها وأن اجتهد الحاكم، أي حاكم،

^١- ‘الخطلة’ الزلة، والخطل: الاستنطاف الفاسد، وخطل بكسر العين وفتح الفاء وأخطل فحش: الزرازي: مختار الصحاح: ص 181، مذكرة خطل.

^٢- الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمها، والجمع فصلان وفصيل، ويدل الفصال على التقطام، ومنه قوله تعالى: ‘ووصينا الإنسان بوأنديه، حملته أمها وهذا على وهن، وفصاله في علمين، أن المثكر لي ولو لذيفن، إلى المصير’ سورة لقمان: الآية 13.

انظر: الجوهرى: الصحاح - اختصره محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الزرازي: مختار الصحاح - ص 505 - مذكرة فصل

^٣- يرفع لي كل يوم نمير: أي يربيني كل يوم بزكي خصلاته وشرف حبه، مختار الصحاح، ص 680، مذكرة نمير

^٤- سعد جواد مغنية: الشيعة في الميزان، ص 39.

وأجتهد الإمام الأعظم، تحرم مخالفتهما، لأن صلاح الخلق في إتباع رأيهما.

نافلاً هذا الرأي عن الغزالى في (المستصفى) وعن الخضري في (أصول الفقه)^١، مقرراً أن الرجال تعرف بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال – كما قال الإمام علي^٢ – . وقد أجمع المواقف والخلف، على أن الأئمة من آل البيت، كانوا يسرون على هدي جدهم محمد رسول الله، قوله وعملاً، وأن الناس كانوا ينجوون إليهم في حل الشكلات والمعضلات، وكانوا يتقربون إلى الله – سبحانه وتعالى – بتعظيمهم وتقديرهم، كما كان الحال بالنسبة إلى رسول الله.

وفي الختام سأل مغنية، أولئك الذين أنكروا على الشيعة القول بالعصمة، هل ينكرون أصل العصمة وفكيرتها من الأساس، أو ينكرون عصمة الأئمة فقط؟

وإذا أنكروا العصمة، فقد أنكروا عصمة الأنبياء التي اتفق عليها أهل السنة والشيعة، وإذا أنكروا عصمة الأئمة، فقد أنكروا سنة رسول الله الذي ساوي نفس الشريعة مجسمة في شخصه، لم يتحقق الغرض المقصود لهذا قال الإمام علي: «ذاك القرآن الصامت، وأنا القرآن الناطق»^٣.

هذا هو رأي محمد جواد مغنية في العصمة. أما بالنسبة لنفيه عن الغزالى والخضري في نفس الموضوع، فقد رجعت إلى (المستصفى في علم الأصول)، فوجدت أن الغزالى، قد تعرض إلى قضية جواز اجتهد النبي فيما

١- محمد جواد مغنية: الشيعة في العيزان، ص 39.

٢- نفس المرجع، ص 39-40.

٣- نفس المرجع، ص 40.

لَا نصٌّ فيه، ودللٌ الدليلُ من الاجماع على تحريم مخالفة اجتهاده، كما دلَّ أيضاً على تحريم مخالفة الأمةِ كافية، فيما أجمعَت عليه من الاجتِهاد، وكما دلَّ على تحريم مخالفة اجتهاد الإمام الأعظم، واجتهاد الحاكم. إلا أن الغزاني لم يقل: أي حاكم، مظْمِناً ادعى ذلك مغنية – وإنما قرن الإمام الأعظم – الذي هو في مرتبة الأئمة الأربعَة علماً ونزاهةً – بالحاكم، لأن صلاح الخلق في اتباع رأي الإمام الأعظم والحاكم وإجماع الأمة لأنها إذا اتفقت على رأي استحسان وقوعها في الخطأ، وكذلك الشأن بالنسبة للنبي. ومن العلماء من ذهب إلى أن المصيبة واحدة، تكونه معصوماً عن الخطأ دون غيره، ومنهم من جوز عليه الخطأ، ولكن لا يقرُّ عليه. فابن قيل كيف يجوز ورود التبعيد بمخالفة اجتهاده، وذلك ينافي اتباعه، ويُنفر عن الإنفِياد؟ قلنا: إذا عرفُهم على لسانه، بأن حكمهم اتباعٌ ضَلَّلُهم، وإن خالفَ ظنَّ النبي، كان اتباعُه في امتناع ما رسمَ لهم كما في القضايا بالشهود، فإنه لو قضى النبي بشهادة شخصين لم يعرف فسقهما ثم يقبلاهما. وأما التغير، فلا يحصل، بل تكون مخالفته فيه، كمخالفته في الشفاعة، وفي تأثير النخل^١ ومصالح الدنيا^٢.

وبين الغزاني أن إمكان النصر لا يضادُ الإجتهاد، وإنما يضادُه نفس النصر، كيف وقد تَبَعَّدَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالقضاء بقول الشهود، حتى قال: إنكم لتختصون إلى، ولعل بعضكم أن يكون أحن بحجته من بعض أو كان يمكن نزول الوحي بالحق الصريح في كل واقعة حتى لا يحتاج

^١ التغير: هو التجاوز والتباعد وعدم الإنفِياد – الغزاري مختار الصحاح، ص 672، مذكرة نفر، وتأثير النخل، ثقیله وصلاحه، لنظر مذكرة أبل، من نفس المصدر، ص 2.

^٢ الغزاني: المستصلحي من علم الأصول: 2/354-356

إلى رجم بالظن، وخوف الخطأ، فاما وقوعه فالصحيح أنه قام الدليل على وقوعه في غيبته، بدليل قصة معاذ بن جبل، عندما ولاد الرسول البعض، وسأله عن كيفية حكمه في القضايا المعروضة عليه فأخبره أنه سيحكم فيها بكتاب الله، فسأله الرسول: فإن لم تجد؟ فأجابه: بسنة رسوله. فكرر عليه القول: فإن لم تجد في سنة رسوله؟ فأعلمه، أنه سيعمل رأيه ويقيس القضايا ببعضها، بحسب كتاب الله، وسنة رسوله. فحمد الرسول ربه على اهتداء معاذ إلى مثل هذا الحل¹ وقام الدليل أيضاً على اجتياز الصحابة في حضرة الرسول، فقد روي أن النبي قال لعمر وبن العاص أحكم في بعض القضايا، فقال: يا رسول الله، اجتهد وأنت حاضر؟ فقال: نعم، إن أصبت فلاك أجران، وإن أخطأت فلاك أجر، و قال الرسول لعقبة بن عامر، ولرجل من الصحابة: "اجتهدوا، فإن أصيتما فلكلما عشر حسنات، وإن أخطئتما فلكلما حسنة"². ورغم ما من كون حديث معاذ مشهور، قبلته الأمة، وهذه أخبار آحاد، يحتمل أن تكون مخصوصة بعمر وبن العاص وبعقبة بن عامر، وبالصحابي الثاني أو بواقعه معينة فإنها تثبت جواز الخطأ على الصحابة، وإن اعتبارهم عمولاً لا يعني عصمتهم، وإنما يعني نزاهتهم وتورعهم عن المعاصي، وخاصة أولئك الذين توالت الأخبار في حقهم، وأنهم أضرروا عن كل خلاف يزعزع كيان الأمة الإسلامية، ولو كان الصحابة كلهم معصومين كما نسب ذلك مغنية إلى أهل السنة - لما ذكر الرسول أنهم يخطئون ويصيبون.

1- نفس المصدر: 354/2 - 355 رواه أحمد وابن داود والترمذى، نظر على عبد الرزاق - الإسلام وأصول الحكم، ص 100 وانظر ما قبلهما وما بعدهما

2- نفس المصدر: 355/2

وحتى رسول الله نفسه، قد اجتهد في مصالح الدنيا كتابة النخل¹،
ومكان النزول في غزوة بدر، وخالفه الصحابة، وأقر آراءهم².

أضف إلى هذا أن عدالة الصحابي تتجلى فيما يروي عن النبي من
أحاديث صحيحة، لا في شخصه كصحابي، لأن اعتبار الحديث صحيحاً،
لكونه رواه صحابي، لا بعد قاعدة عامة، وحجة قاطعة، بل بما كان السبب
في ادعاء أحاديث كاذبة على رسول الله، ونسبتها إلى رواة من الصحابة،
ولهذا الغرض فقد قال الغزالى ما نصه: "قول الصحابي: نهى النبي صلى
الله عليه وسلم - عن كذا، كبيع الغرر،

ونكاح الشغار، وغيره... لا عموم له، لأن الحجة في المحكى، لا في
الحاكي ولقطه"³.

أما الخضرى فقد تحدث عن قضية عدالة الصحابة، بكونها من المسائل
التي كان فيها الخلاف، والذي عليه جمهور المسلمين، أن الصحابة جميعهم
عدول، لا يسأل عنهم، ولا تطلب تركتهم. ورأى البعض أنهم كغيرهم يطلب
تعديلهم. وقال المعتزلة: هم عدول إلا من قاتل علينا، ودليل الجمهور: أن الله

1- تأثير النخل تأثيجه وتنكيره - البرازى: مختار الصحاح - ص 2، مادة لبر

2- الغزالى: المستصفى من علم الأصول: 2/356.

3- نفس المصدر: 66-67 بيع الغرر (بفتحين) نهى عنه رسول الله، وهو مثل بيع السمك
في الماء، وتطير في الهواء، البرازى: مختار الصحاح، ص 471 سعادة غرر - الشغار نكاح
كن في الجاهلية، وهو أن يقول رجل لآخر: زوجني ابنتك أو اخنك، على أن أزوجك لبني أو
أخن، على أن صداق كل واحدة منها عوضاً عن الأخرى. وقد حرم الإسلام هذا النكاح لقول
النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لا ينكر في الإسلام".

لنظر البرازى مختار الصحاح - ص (340)، مادة (شغر).

ورسوله، قد شهدائهم بالعدالة، وليس بعد الله، ورسوله شيء، يمكن أن يعتد به، أو يعتمد عليه. وقد أتى الله تعالى على محمد وعلى الصحابة بقوله: «محمد رسول الله، والذين معه، أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا، يبتغون فضلا من الله ورضاوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومتلهم في الإنجيل». كزرع أخرج شفاء، فازره، فاستغاظ، فاستوى على سوقه يعجب الزارع ليعيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا، وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا^١. وقال النبي: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيحة».

ورد الخضرى على رأى المعتزلة: (الصحابة كلهم عدول إلا من قاتل عليا) بأنه ليس لکلامهم معنى، حيث يترتب عليه إسقاط عدالة البعض منهم، مثل: طلحة، والزبير، وهما من رضي الله عنهم بالنص حيث قال الله تعالى: «لقد رضي الله عن المؤمنين، إذ يبادعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم، واتابهم فتحا قربى»^٢، وكان طلحة، والزبير، من ضمن الصحابة الذين بايعوا الرسول تحتها^٣.

ثم بين الخضرى بعد ذلك، المراد بالصحابى - الموصوف بالعدالة، في اصطلاح جمهور الأصوليين، بأنه من طالت صحبته للنبي، متبعاً له مدة، يثبت معها إطلاق اسم الصاحب، عليه عرفاً من غير تحديد بزمن

١- سورة النون: الآية 29.

٢- سورة النون: الآية 18.

٣- الخضرى: أصول لفقه، ص 223-224.

مخصوص، وقدره بعضهم سنة أو غزوة. وربما يفيد هذا المعنى قول رسول الله لبعض من يخاطبهم من المسلمين: "الله، الله، في أصحابي" ولذلك لا يطلق لفظ الصاحبي إلا على من لازم النبي مدة، استحق بها هذا اللقب، ولا يعد كل من رأه - فحسب - صاحبها، إذا لم تصل عشرته له، ولذلك تعرف الصحابة بالشهرة، وإذا دعاها معاصر لرسول الله، فالظاهر صحة دعواه، ولا تقطع به. وهذا الإصطلاح مخالف للاصطلاح المشهور عند المحدثين، وهو أن الصاحبي، من ثقى النبي وما ت على اسلامه^١.

ويبدو من خلال ذلك، أن عدالة الصحابة لدى أهل السنة - التي أشار إليها محمد جواد: مغنية، مقيدة بطول العشرة والصحبة، لأولئك الذين امتدحهم القرآن والرسول، وخاصة الذين بايعوه تحت الشجرة، وللصحابة العشرة البشرين بالجنة، ولأولئك الصحابة الذين أبلوا في سبيل الإسلام البلاء الحسن، بالنفس والمال، ونخص بالذكر من هؤلاء: الخلفاء الراشدين الأربع: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وأبي علي. - رضي الله عنهم جميعا -

أما دعوى محمد جواد مغنية، على أهل السنة: أنهم يرون وجوب اتباع أحد المذاهب الأربع ويحرمون مخالفة آرائهم الاجتهادية، كما يحرمون مخالفة اجتهاد الإمام الأعظم، فقد ذكر الخضرمي أنه يجوز للعامي أن يقلد المجتهد، إذا غلب على ظنه أن ما قدم إليه هو فتواه، ويكون ذلك بالسمع منه إن كان حيا، أو بالنقل الصحيح الموثوق به إن كان ميتا، فأئمة الاجتهاد السابقون الذين لم تدون آفواهم، ولم تنقل نقلًا يعتمد عليه، لا يجوز تقليدهم. ولما نقلت أقوال الأئمة الأربع المجتهدين، نقلًا متواترا، نقله أتباعهم خلفا

- نفس المرجع، ص 224.

عن سلف، فإنه لا يجوز نقله غيرهم، لأنضباط مذاهبهم، وتنقييد مسالاتهم، وتخصيص عمومها، ولم يدر مثله في غيرهم الآن، لأنفراضاً أتباعهم.¹

ومن حيث اجتهاد أي حاكم، سواء أكان عادلاً تقيراً، أم ظالماً فاسقاً، فلم نعثر للخضري في كتابه (أصول الفقه) على ما يفيد دعوى مغنية، بأنه تحرم مخالفته، بل وجدها على العكس من ذلك، يشدد في قبول أقوال المجتهدين، واختيار ما أجمعوا عليه، ومثاله أنه لا عصمة لاجتهاد الصحابة إن خالف خبراً متواتراً عن رسول الله، مقرراً أنه يطرد العمل في بلد أو إقليم، ليس فيه إلا قول مالك على قوله وفتواه، ولا يجوز العمل بذلك بقول غيره من أئمة الإسلام². يعتبر أجماع أهل المدينة حجة، إذا كان من طريق النقل عن رسول الله. أما علمهم الذي منشأه الاجتهاد، فإنه لا يكون اجماعاً، بل ولا يكون حجة يجب العمل بها، ولا يكون مرجحاً لأحد اجتهادين على الآخر.

وما قبل في أجماع المدينة من طريق الاجتهاد، يقال في أي بلد آخر. وكذلك الشأن في اتفاق الخلفاء الراشدين الأربع وأئمة المذاهب الأربع إن كان من طريق النقل عن رسول الله اعتبر حجة، أما إذا كان منشأه الاجتهاد، فإنه لا يكون اجماعاً، ولا يكون حجة. على أنه إن لم يخالفهم في فتواهم أحد من أهل زمانهم، فهذا نوع من الأجماع السكوني، بل هو أرقى أنواعه، فإن ظهر لهم مخالف لم تكن فتواهم من قبيل الأجماع الذي يفيد الحكم قطعاً، ومما يصعب تصديقه أن يوجد حكم اتفق عليه هؤلاء، ثم وجد لهم مخالف فيه، لأنهم قد استوفوا معظم الصحابة أو ما روی عنهم فهل من السهل أن يكون

1 - الخضري: أصول الفقه، ص 384.

2 - نفس المراجع، ص 278-279.

هذا دليل عن رسول الله، مخالف لفتراهم جميعاً، ثم لا يظهره من علمه منهم، في زمن واحد، ولا يأخذ به أحدهم ؟ هذا أمر بعيد الاحتمال جداً، ولذلك يتزوج أن اتفاق الصحابة والأئمة الأربع يقربنا من القطع بالحكم !

وتعرض الخضري بعد ذلك إلى قضية اتفاق أهل البيت، وإن الشيعة تعدد أجماعاً قطعياً، لا تجوز مخالفته، وقد استدلوا بقوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويظهركم تطهيراً^١، وهي نفس الآية التي استشهد بها الشيعة ومن بينهم الكليني^٢. ومحمد جواد مغنية^٣ على عصمة الأئمة. ورد الخضري على الشيعة أن الخطأ يعني الرجس، وهو لا يجوز على المقصودين به في الآية، ولذلك فتاوى الشيعة لهذه الآية ينظر فيه من ناحية: أن مفهوم أهل البيت ليس على ما تقوله الشيعة، لأن نظام القرآن ينبع عنه، وأن سياق الآيات كان في خطاب أزواج النبي فقد قال الله تعالى : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء . إن اتقون فلا تخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولًا معروفاً، وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهليه التولى، واقمن الصلاة وآتین الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويظهركم تطهيراً . واذكرن ما يأتى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، إن الله كان لطيفاً خبيراً^٤. وما سبق الآيات

^١- نفس المرجع، ص 279

^٢- سورة الأحزاب: الآية 33.

^٣- الكليني، الأصول من الكافي: 1/286-287 باب ما نص الله -عز وجل - على الأئمة ، وهذا واحداً

^٤- محمد جواد مغنية - الشيعة في الميزان - ص 39.

^٥- سورة الأحزاب: الآيات 32-33.

المستن بهما، وما لحقهما، يدل دلالة واضحة، على أن المراد بأهل البيت أزواجه المطهرات، وهن أمهات المؤمنين، فقد قال الله تعالى: "يا نساء النبي من يأت منكين بفاحشة مبينة، يضاعف لها العذاب ضعفين، وكان ذلك على الله يسيراً، ومن يفت منكين الله ورسوله، وتعمل صالحاً نوتها أجرها مرئين، واعتدنا لها رزقاً كريماً".

أضف إلى ذلك أن مفهوم الرجس، حسب النظام القرآني، وسياق الآيات المذكورة، ليس المقصود به ما ذكر الشيعة من الخطأ في الاجتهاد، وإنما هو ما ينقص قدر بيت النبوة، من الريبة والمعاصي، فقد شاء الله أن يظهرن من ذلك تطهير². وهذا التخريج الذي ذهب إليه الخضرى وإن دل على ما يشبه قول الشيعة بعصمة الأئمة، آل النبي، فإنه يفيد أن الخطاب القرآني ليس مختصاً بالأئمة، وإنما هو عبارة عن نصح، وتنذير، لنساء النبي، حتى لا يقعن في فاحشة ومعصية، مما يظهر منه، أنهن غير مخصوصات عن القوع في الخطأ، ولكن الشيعة اعتبروا آية الرجس المذكورة، دليلاً على عصمة الأئمة، وبالثاني فإن اتفاق أهل البيت يعد - لديهم - إجماعاً قطعياً لا يجوز خلافه³، كما أن الإمام يجب أن يكون لهذا الغرض - أفضل أهل زمانه في صفات انكمال من الفهم والرأي، وانعلم، والحزم، والكرم، والشجاعة، وحسن الخلق، والغففة والزهد، والعدل، والتفوى، والسياسة الشرعية، ونحوها... ويجب أن يكون أطوع خلق الله الله، وأكثرهم

1- سورة الأحزاب: الآيات 30-31 - الخضرى: أصوص الله، ص 279

2- الخضرى: أصول الفقه، ص 279-280.

3- نفس المرجع، ص 279.

علمًا و عملا بالبر والخير¹. وفي هذه الشروط والصفات الكاملة، مع شرط العصمة في الإمام، تتجلى - لدى الشيعة - روح الثورة على الباطل وعلى كل من يتغفل على مناصب ليس أهلا لها. أو يطمح إلى مستوى عدم كفاءته، ولذلك فقد قرر محمد جواد مغنية: أنه قد يقال، أو يتوهم: إن هذه الشروط، جاءت كنتيجة لتشكيل الحكم بالشيعة، وما لحقهم من الاضطهاد وانتشرت، ولكن الأصل، هو قول الله تعالى: "أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ، أَمْ نَحْنُ أَنْ يَهْدِي إِلَّا مَنْ يَهْدِي، فَمَا لَكُمْ، كَيْفَ تَحْكُمُونَ"².

هذه هي صفات إمام الشيعة... وهو في نظرهم - إمام معصوم عن الوقوع في الخطأ، حسب ملكة نفسية، تهيمن على الإنسان، فتمتنعه عن فعل المعصية، وتترك الطاعة وتسيطر على عقله وحسه، وشعوره، فتجعله متجعله متيقظا إلى أبعد حدود التيقظ، فلا يسيء، ولا ينسى، ولا يفعل مالا يرضي لأنها الحجة يهدي الرعية إلى الحق، ولا يحتاج إلى أن يهدوه إلى طريق الرشاد، وبقدر ما هم في حاجة إليه، بقدر ما هو في غنى عنهم³.

ويرى الدكتور علي الشابي، أن لتاريخ الفرس دخلا، في قول الشيعة بعصمة الإمام، فقد ألف الفرس قبل الإسلام أن يسبعوا على أكاسرتهم ضربوا من التالية والقداسة. تكاد تجردهم من بشريتهم، وتبعا لهذا فإنهم كانوا يقدمون لهم صنوفا من الطاعة والأجلال إلى حد مخاطبة الملك بقولهم: "شماك بغان: أي "أنتم الآلهة"، وحين دخل الفرس إلى دين الإسلام لم تعجبهم طبيعة

¹- الطوسي: تلخيص الشافعي، ص 320، - المظفرى: دلائل الصدوق: 17/2

²- سورة يونس: آية 35 - محمد جواد مغنية - الشيعة في الميزان - ص 40

³- محمد حسن آل ياسين - الإمامية، ص 27-28.

العلاقة بين الخلفاء والرعاية، باعتبارها مخالفة للنقايد التي كانت سائدة في العهد انساني فارتدوا من خلال مناصرتهم لآل البيت، وارتباطهم بهم، إلى نظرية الحق المقدس، وإلى النزوع بالأيممة إلى أفق غيبى¹.

كما أنه لا يوجد في نهاية الأمر فرق بين موقف الشيعة، وموقف أهل السنة من عصمة الإمام، ذلك أن الشيعة أسبغوها على أئمة لم يباشر أغلبهم الحكم، ولا ثافنو الواقع، فجاء تحلياتهم لها مثالياً. أما أهل السنة فهم لم يجمعوا حتى على عصمة الأنبياء أنفسهم، فضلاً عن الأئمة، وذللك فإن موقفهم العملي يجب أن يختلف عن موقف الشيعة النظري تمام الإختلاف، ولكن علاقتهم بالسلطة الحاكمة في العهود التاريخية المختلفة، كشفت عن اعتبارهم الحاكمين من طينة غير طينة الرعاية، ونصرفوا معهم بما ينم عن إيمانهم بعصمتهم، وإن لم يستعملوا هذا اللفظة بالذات، فالإيام دون غيرهم موصوفون بالحكمة والسداد، وتذيرهم ينفذ إلى صميم الحقيقة، وكل ما يصدر عنهم لا ينافي لأنه الأصوب، وهم لا يخطئون، وحتى خطؤهم يعتبر صواباً لا تدركه العامة، وحكمة لا تصل إليها عقولهم، وهم في هذا لا يختلفون عن أئمة الشيعة، ما دامت أخطاؤهم تصوب مبدأ البداء الذي اخترع لهم، فالفرق إذن، لا يتنزل حكماً رأينا - على حقيقة العصمة، ولا على النتائج التي تؤدي إليها لأنها واحدة، وإنما يتنزل على صبغتها، فالشيعة ينظرون لها بمنظار ديني، وأهل السنة يعتمدونها بمنأى عن الدين².

1- الدكتور علي الشنبى: الشيعة فى ايران - ص 116 - 117.

2- نفس المراجع والصفحة.

وتعلل الفارق الذي اهتدى إليه الدكتور علي الشابي، يشير إلى أن اسباب أهل السنة، العصمة على أيمنهم، هو نوع من الخوف، والمداراة، والتسلق، لأصحاب السلطة، هروباً من عقاب أو طمعاً في ثواب.

ونتج عن قول الشيعة بالعصمة الدينية، أن أصبح الأئمة سديهم - شفعاء ووسطاء بين الله والناس، ومن لجأ إليهم أعانه الله، ومن اعتنقت بهم نجا، وهو الأمر - الذي أطلق بموجبه - مفكرون غير مسلمين على المذهب الإمامي اسم (الكنيسة الشيعية)، مقارنة منهم بين الوساطة المعروفة في الديانات المسيحية، وهذه الوساطة الشيعية التي أفرها أصحابها، واعترفوا بها، وأكدوا عليها¹. وتتأثر أهل السنة بالشيعة في هذا المجال، وكثُرت زيارتهم لقبور الأولياء، باعتبارهم شفعاء عند الله، لا يمانهم الصادق، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونشرهم للهدي بين الناس، ولذلك فإنه يجوز التقرب بهم إلى الله وحسبما تؤديه هذه الوساطة من خلال ممارستهم لها قد يداها، وحديثاً، فإن الإدعاء بأن هذا الاعتقاد شرك بالله يعتبر إرجافاً لا طائل من روايه، ما دام القائلون بهذه الوساطة، لا يعتبرونها إلا وسيلة تقربهم من الله².

وبإذا حاولنا نحن بدورنا، أن نجد أمثلة للمقارنة، التي عقدها الدكتور علي الشابي، بين عصمة إمام الشيعة، وسداد رأي إمام أهل السنة، لاحظنا مثلاً، أن الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية)، قد

¹- سيد حسين نصر: الإسلام، أهدافه، وحقائقه، ص 151.

Histoire de l'Humanité: Encyclopédie: Unesco moyen âge- Tome 3 – P 449.

أستاذنا الدكتور علي الشابي في بعض محاضراته.

²- الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران، ص 117-118.

تعرض لشروط الخلافة، وكون متوئها من ذوي العدل، والعلم، والنجدة، وظهور الشوكة، والصرامة، والورع، ثم حل هذه الصفات، وثبت أنها منطبق تمام الانتساب على شخص أمير المؤمنين: أبي العباس المستظر بالله (ت. 512هـ/1118م)^١، وهو الذي ألف الغزالى كتابه المذكور من أجل التأكيد على صحة خلافته، واظهار فضائح خصومه من الباطنية (الإسماعلية)، ومن ثم يرى الغزالى أنه يجب على كل مفت من العلماء أن يفتى بوجوب طاعته على الرعية، وتنفيذ أقضيته بالحق، وبصحة توئيه للقضاة والولاة، وصرف حقوق الله إليه، ليصرفها إلى مصارفها.

أما المراد بصفة النجدة فهو ظهور الشوكة، ووفر العدة، والاستمساك بكثرة الأتباع، وقمع الظالمين، ومجاهدة الكفرة، والقضاء على الفتن قبل استفحالها، هذا هو المراد بالنجدية وهي حاصلة في نظر الغزالى - لهذه

١- هو الخليفة العبسى، أبو العباس أحد بن المقى بالله عبد الله بن الأمير محمد بن القاسم العبسى ولد سنة (470هـ/1078م)، وبوبع نهيانخلافة عند وفاته سنة (487هـ/1094م) وله ست عشرة سنة، وهو الخليفة العبسى الثامن والعشرون، وفي أيامه قربت شوكة الباطنية فأخضعهم سلاجقة فى أصبهان وأعمالها، بعد ما عظم خطيتهم وخافهم كثيير وعالم لمجرمهم على الناس، وقتلهم تعزىزة والولاة والقضاة والأمراء، وتوفي المستظر بالله سنة (512هـ/1118م) وعمره أربعون سنة.

وقد فسح الغزالى فى كتابه (فضائح الباطنية وفضائل المستظيرية) أن يناضل الباطنية من حيث المذهب، كما أن الأمراء السلاجقة كانوا يكافحونهم من حيث السلطنة السينسية، وكان الغزالى على وعي تام بخطر الباطنية (الإسماعلية) على الإسلام ولها كان هجومه عليهم عنيفاً، ملخصاً، منحمساً فى الفصل الناسع بينما جاء الفصل الخامس ضعيفاً لا يتناسب فى قوته حجاجه مع قوته حجاج الفصول الأخرى، وهو الفصل الذى عقده لإاقمة البراهين الشرعية على أن الفتن بتحقق، والتواجب على الخلق طاعته فى عصر الغزالى هو إمام المستظير بالله.

- انظر مقدمة عبد الرحمن بدوى، لكتاب الغزالى: فضائح الباطنية - صفحة (أ، ج، ط، ب).

الجهة المقدسة، ويعني بها خلافة المستظاهر بالله لأن الشوكة في عصره (القرن 5هـ/11م) خاصة بالأئمَّة من دون سائر الخلق، وقد أسعدها الله بموازاة هذا الخليفة القائم بالحق، ونصرته، وقمع أعداء دولته، حتى أنهم يدينون باعتقاد شرعية خلافته، وإمامته، ووجوب طاعته.

أما كفاية المستظهير فتتجلى في إدارته لدفة الحكم بمهارة، ومقدرة، مما جعله مفروض الطاعة منصور الإمامة، وحتى صار أكابر العقلاة، يمتدحون رأيه الصائب في معضلات الأمور، وما ذلك إلا لعقله الشاقب، وتفطنه للدقائق - وهي صفة غريرية، وهي من الله تحفة وهدية^١. مع استضاءته برأي ثوابه، ذوي البصائر، وأولي التجارب، وهي الخصلة التي أمر الله بها نبيه، فقال: «شاوروهم في الأمر»^٢. وقد وفق الله المستظهير بالله في اختيار وزرائه، فكانما ثوب الوزارة لم يقطع إلا على قدهم، لأرائهم السديدة، وصدق تدینهم، ومقارعتهم للخطوب، ومراعاتهم المصلحة العامة في حفظ نظام الدين والملك، مع اتزان، ونطاف بالرعيّة، وتلقي ثابره.

واعلم هنا أن ما أشار إليه الغزالى، من كون سداد رأى الإمام، صفة غرizzlyة فيه، يقابل اعتبار العصمة عند بعض الشيعة، ملكرة اجتناب المعاصي مع التسken منها.³

^١- العزلي: فضائح البطلية، ص 141-144-145-181-186-187.

²- سورہ آل عمران: آیہ 159.

^٢ - "الجر جاني: المعرفات، ص ٨٠ - مادة (حصى).

كما يبدو أيضاً مستشار الإمام، أو زائبه لدى أهل السنة راجح العقل،
كامل الحلم، متنين الدين، صابراً مصابراً على الشدائـ، ولكنه مع ذلك ليس
معصوماً عصمة دينية كالتي يشترطها الشيعة في الإمام ونوابه^١.

أضف إلى ذلك أن المستظاهر باش كان ورعاً نقياً مهاجراً للشهوات
متقشفاً استحقاراً منه للدنيا والتقى آخره وهو على التحقيق في نظر الغزالـي
الشاب الذي نشأ في عبادة الله^٢ رغم صغر سنـ، وقد صدق فيه قول الشاعـر:
ابن الهلال إذا رأيت نموه،
لـقت أن سـصير بـراً كـملـاً.^٣

هذا بالنسبة للغزالـي. أما ابن تيمـة فقد تعرض في رده على قول
الحـلي: بعصمة الإمام، إلى أن الرافضة قد أوجـبت طـاعة غير رسول الله، أي
الإمام طـاعة مطلـقة، وهو أمر - في نظرـه - أفسـد من قولـ منـسوباً
إلى شـيعة عـثمان، وهم اـنصـارـ بـني أـميةـ الذين أـوجـبـوا طـاعةـ أولـيـ الأمـرـ طـاعةـ
مـطلـقةـ أـيـضاًـ. وإذا كان أـهـلـ اـشـامـ قد أـطـاعـواـ السـلـطـانـ وـهـوـ مـوـجـودـ، فـإـنـ

^١- الغـزالـي: فـضـائحـ الـباطـنيةـ، صـ 186

- نـصـيرـ الدـينـ طـوـوسـيـ - رسـالـةـ فـيـ إـلـامـةـ، صـ 1-17، الرـازـيـ: الـأـرـبعـنـ فـيـ أـصـولـ الدـينـ
صـ 427.

- ابن تـيمـةـ وـتـلـيـخـ حـاقـظـ الـذـهـبـيـ: المـنـتـقـيـ مـنـ مـنهـاجـ الـاعـدـالـ، صـ 155-406-410-411

ـ إـشـارةـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ روـاهـ لـوـ هـرـيـرـةـ عـنـ اـشـبـيـ حـسـنـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - آـنـهـ قـالـ: مـبـعدـةـ
يـظـلـمـ اللـهـ بـظـلـهـ يـوـمـ لـاـ ظـلـ غـلـاظـهـ: الـأـمـمـ الـعـادـ، وـشـابـ نـشـأـ فـيـ عـبـادـةـ رـبـهـ، وـرـجـلـ قـلـبـهـ مـعـلـقـ
فـيـ الـمـسـاجـدـ، وـرـجـلـانـ تـحـبـاـ فـيـ اللـهـ اـجـتـمـعـاـ عـنـهـ وـتـكـرـفـاـ عـنـهـ، وـرـجـلـ طـلـبـهـ اـمـرـأـ ذاتـ مـنـصبـ
وـجـمـالـ، قـالـ: لـاـ إـلـهـ إـلـهـ اللـهـ، وـرـجـلـ نـصـيقـ لـخـيـ حتىـ لـاـ تـعـلمـ شـمـالـهـ مـاـ تـقـفـ يـمـينـهـ، وـرـجـلـ
ذـكـرـ اللـهـ خـالـلـاـ فـفـاضـتـ عـيـنـاهـ اـنـظـرـ:

- ابن حـجرـ: فـتـحـ الـبـارـيـ بـشـرـحـ الـبـخـارـيـ: 2/143 - كـتـابـ الـأـذـانـ - بـلـبـ منـ جـلـسـ فـيـ الـمـسـجـدـ
يـنـتـظـرـ الـصـلـاـةـ، وـفـضـلـ الـمـسـاجـدـ - حـدـيـثـ رـقـمـ 660 - تـحـقـيقـ الـبـارـزـ

²- الغـزالـي: فـضـائحـ الـباطـنيةـ، صـ 188.

الشيعة قد أوجبوا طاعة معصوم مفقود، مع العلم وأن الأمويين لم يقولوا بعصمة خلفائهم عصمة دينية – كالتى ادعتها الرافضة لأيمتهم – بل كانوا يجعلونهم كالخلافاء انرشدين، وأئمة العدل، ويقولون: إن الله يقبل منهم الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات^١. والمهم هنا هو قول الأمويين بعصمة خلفائهم عصمة بمعنى العدل وسداد الرأي والتقى والسياسة.

وهذا التجاوز عن السيئات الذى أشار إليه الأمويون، هو نوع من الإزاء (*)، قال به بعض أهل السنة، وأخذهم عليه الشيعة، كما أخذوهم لأجل مناصرتهم لمحضي السلطة؟ واستنتاج منه الشيعة عدم عصمة الجماعة، لأن الأمة التى تقف فى نظر الشيعة - هذا الموقف، لا يصح اجتماعها ولا ينزعه عن الوقوع فى الخطأ^٢. ولن يكون هناك معصوم غير الإمام الشرعي الإثنى عشرى، وهو وحده الذى لا يمكن أن يصدر عنه أي نوع من الخطأ، فى حق نفسه، أو فى حق الرعية، وإلية المرجع فى كل ما يعين لهم من الأقضية، وسياسة الحكم. ومن ثم فإن فكرة العصمة التى تبدو مسرفة فى الغيبة والقداسة، هي فى حقيقة الأمر مستمدّة من واقع السياسة، وقد أقر بهذا ثبّاعي معاصر هو: مهدي بزرگان)، حين أشار إلى أن ظهور الشيعة والصراع، مع أهل السنة كانا نتاج صراع على الحكم والسلطة السياسية، ولا يمكن للخلاف على أسلوب الوضوء والصلوة، وتفاصيل فقهية

- ابن تيمية: منهاج السنة الشبوية: 2/86 - وبهامشه كتاب (بيان موافقة صريح المعتقون لصحيح المنقول) للمؤلف المذكور

(*) يسمى بعض أهل السنة بالمرحلة لأنهم يرجون أمر العاصي إلى الله تعالى لئن شاء عذاب شاء عذاب، والعاصي هو مرتكب الكبير هنا ويختبر عند عذمة أهل السنة فاسقا، وعند المحترنة في منزلة بين المترذشين من الكفر والإيمان، وعد الخوارج كافرا.

- الدكتور علي الشابي: الشيعة في إيران، ص 116.

آخرى، ان يكون سببا في كل تلك الصراعات الحادة، والصدامات الدامية، بل كان الخلاف الرئيسي هو اختلاف المصالح والموافق السياسية¹. ويظهر أنه ما دامت العصمة أقرب إلى السياسة منها إلى أبحاث الفقه والدين، فلابد أن يكون لها شبيه، أو توجد على صورة من الصور في سائر النظريات السياسية. الواقع يثبت أن جميع فلاسفة السياسة حين تناولوا موضوع اسيادة العلية للدولة جعلوه فوق مستوى الشبهات، ولكننا نلاحظ أنهم لم يبحثوا في الخطأ وحدوده في الكبار أو الصغار، ولم يتعرضوا لمصدر العصمة هل هي نطف إلهي، أم ملك طبيعية أم اكتساب؟ لأنها أبحاث مرتبطة بالسياسة الدينية أو الشرعية الملازمة للنظريات السياسية عند المسلمين، وقد أثبتت الفلسفه السياسيون القائلون بالدكتاتورية عصمة الحاكم، صاحب السيادة العليا في الدولة، واختاروا ذلك أوصافاً أخرى غير لفظة العصمة، وينطبق نفس الأمر على فلاسفة النظم الديمقراطي، فقد وصفوا الشعب، أو نوابه الممثليين له، أو دستور البلاد بسداد انرأى والحكمة وعدم الواقع في الخطأ، ويبدو من خلال ذلك، أن العصمة أصبحت صفة ملزمة لمن يمتلك اسيادة العلية في الدولة، كضمان وحيد لاستقرار نظام الحكم، وفرض تأييده على الرعية، ففي الفلسفة اليونانية وصف أفلاطون في (جمهوريته الفاضلة) الحاكم философ، بأنه يعلم الخير ويريده إراده صادقة، قد زالت من نفسه المحسوسات المادية، ودافع الشهوات، فعكف على تأمل

- مهدی بزرگان: الحد الفاصل بين الدين والسياسة - ترجمة عن الفارسية فضل رسول - ص 30-31.

المعقولات الصرفة والخير المطلق، فانتهى عنه صدور الظلم والأثرة^١. وبذلك يظهر لنا وجه الشبه بين إمام الشيعة، وبين الحاكم الفيلسوف عند أفلاطون، وفي مدينة فاضلة أخرى في العصر الوسيط لدى المسلمين، نجد الفارابي (ت. 339هـ/951م) المعلم الثاني^٢ - قد وصف رئيس المدينة الفاضلة بأنه متصل بالعقل الفعال، القائم بدور جبريل ملك الوحي عليه السلام بذلك يقترب من الله، ولا يستطيع الوصول إلى ذلك إلا الأقلون الذين لم يشغلهم عالم المادة عن عالم الروح فسعوا إلى اختراق حجب الأرض، ونصلعوا إلى نور السماء^٣ كل ذلك من جهة قوّة مخيّله التي تجعله أشبه ما يكون بأصحاب الوحي أو البصيرة التي تفيض عليها الحقائق الإلهية، وهذا يقترب رئيس المدينة الفاضلة من إمام الشيعة المعصوم وليس هذه العلاقة بالأمر الغريب إذا ما علمنا أن الفارابي ينسب له التشيع على مذهب الإمامية، وأن آرائه في فلسفة النبوة تتفق والأراء التي نادى بها آئية الشيعة^٤. ولتوسيع ذلك نذكر أن الفارابي من أكثر فلاسفة الإسلام اشتغالاً بالمسائل السياسية والاجتماعية، فهو قد تغرض لهما في كثير من مؤلفاته، وعني بهما عذراً تدل على الرغبة والإهتمام.

^١ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية - ص 105 - 135.

^٢ المعلم الأول لرسبو - ويعتبر الفارابي المعلم الثاني

- انظر كتاب: الفارابي - آراء أهل المدينة الفاضلة - ص 96 - 141.

- انظر كتاب: الأستاذ محمد مزالي - النبیقراطیة، ص 19 - 42 - 75 - 77.

^٣ الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ص 96 - 141.

^٤ هری كوریان: تاريخ الفلسفة الإسلامية - ترجمة نصیر مروة وبن معه، ص 243.

ومن رسائله في هذا المجال رسالتان في السياسة والاجتماع وهما: (السياسة المدنية) و(رأي أهل المدينة الفاضلة)، ولهم شرح مختصر على (نوميس أفلاطون)، كما له أيضاً كتاب (تحصيل السعادة) وهي مؤلفات درج الدارسون على تسميتها بـ'فلسفه الفارابي السياسية' ويعتبر كتاب (رأي أهل المدينة الفاضلة) أشهرها وأنصقها به، إذ فيه يظهر الفارابي من بين الذين فكروا تفكيراً منطقياً في النظريات السياسية، وقد عرف المتأخرون له هذه المنزلة فلقيوا مؤلفاته به، وسموه: (صاحب المدينة الفاضلة) وهو كتاب يحاكي (جمهوريه أفلاطون) إلى حد بعيد، يشتمل على كثير من الآراء الأفلاطونية. الواقع أن أفلاطون انفرد من بين سائر مفكري الإغريق بالتأثير في دراسة العرب الاجتماعية والسياسية، وبرز في هذا المضمار على أرسطو الذي اثر في الفلسفة الإسلامية في نواحيها الأخرى، ذلك لأن كتاب (السياسة) لأرسطو لم يترجم إلى العربية، وعندما افتقد ابن رشد عوشه بكتاب (الجمهورية) لأفلاطون.

وعلى طريقة أفلاطون يرى الفارابي أن سكان المدينة الفاضلة وحدة لا تنجزاً متصاممون كالبدن إذا اشتكي منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فلا يالم شخص وحده، ولا يسر وحده، بل يجب أن تسرى في الجميع روح تحن بحساس مشترك ولن تتم لتجميع سعادته إلا إذا قسم العمل بين أفراده بالتساوي تقسيماً يتناسب مع مستوياتهم، وينجلي فيه روح التضامن والتعاون حتى لا تطمح نفس إلى مستوى عدم كفايتها، وحتى لا تخلي نفس أخرى بواجب من واجباتها¹، وبديهي أن الأعمال الاجتماعية

1- هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 243-245.

متقاوئة تقاوت عيالتها، وأسماءها وأشرفها ما اتصل برئيس المجتمع وب مهمته، لأنّه يمثل في المدينة القلب من الجسم، وهو مصدر الحياة وأصل التنسق والنظام، وليس وظيفته سياسية فحسب، بل هي أخلاقية كذلك، لأنّه معصوم لا تصدر عنه الأخطاء والمعاصي وبالجملة فهو مثال يحتذى، وسعادة الأفراد تتلخص في التشبه به، والاقتداء بيته^١. وقد علق الفارابي كل آماله على رئيس الجمهورية الفاضلة، وأشترط (الفارابي) فيه شروطاً كثيرة تشبه تمام الشبه الشروط التي قال بها أفلاطون من قبل، وخصص في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) فصلاً مستقلاً (في خصال رئيس المدينة الفاضلة)، قرر فيه أنه لا بد أن يكون هذا الرئيس سليم البنية، قوي الأعضاء، تامها، جيد الفهم والتصور، قوي الذاكرة، كبير الفطنة، سريع البديهة، حسن العبارة، محباً للعلم والاستقادة، متحاباً بالصدق والأمانة نصيرًا للعدالة، عظيم الإرادة، ماضي العزيمة قائعاً، متجنبًا للملاذات الجسمية^٢. وهي شروط مثالية صعبة التحقيق ونادرة الوجود في شخص واحد. كما لاحظ الفارابي نفسه، ولذلك فرأى أهل السنة في عصمة الجماعة يعبرون أقرب إلى الصواب من رأي الشيعة والفارابي وأفلاطون. عملاً بتقرير رسول الله أن أمته لا تجتمع على

^١ ابن هيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية، ص 69 - 71.

^٢ الأستاذ محمد مزاري - الشيموفراتية، ص 19 - 42 - 75 - 77.

^٣ - الفارابي: المدينة الفاضلة، ص 96 - 141 (تحصيل السعادة ص 16 - 43 - 45) - نقل عن مذكور في: الفلسفة الإسلامية ص 71.

^٤ - الفارابي: المدينة الفاضلة ص 59 - 60 (تحصيل السعادة ص 44 - 45)

Platon - République P 490c ...

^٥ نقل عن مذكور: في الفلسفة الإسلامية، ص 71.

خطأ¹. ومع هذا فإن الفارابي عقد شروط رئيس المدينة الفاضلة بالإضافة
شرط آخر أملأه عليه مذهبة انعام، واستعداده الاصوفي، ويوضح بالتنبي
مصدر عصمة رئيس المدينة الفاضلة، ونعني به أنه لا بد لهذا الرئيس من أن
يسوء إلى درجة العقل الفعال الذي يستمد منه الوحي والإلهام. والعقل الفعال
هو أحد العقول العشرة المتصرفة في الكون، وهو أيضا نقطة الاتصال بين
أنعبد وربه، ومصدر الشرائع والقوانين الضرورية لحياة الخلقية والاجتماعية
والسياسية². وهو ملك الوحي جبريل -ع-

والحاكم الفيلسوف الذي قال به أفالاطون، يتحول إلى حكيم متصل بهذا
العقل الفعال عند الفارابي ولذلك قال دي بور: "يرز الفارابي رئيسه في كل
الصفات الإنسانية والفلسفية، فهو أفالاطون في ثوب محمد النبي"³. وواجب
على رئيس معصوم كهذا، قد حظي بالسعادة ونعم بالاتصال بالكائنات
ازوحيَّة أن يجذب مرؤوسيه نحوه، ويقوم على تهذيب أرواحهم أولاً

1- بن نيمية ونفيض الحافظ الذهبي: المتنقى من منهاج الإعتدال: ص 548-549

2- الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ص 96-141.

3- de Boer: Geschis- chte der philosophie islam

نقل عن مذكر ابن لاهيم

من ذكر: في الفلسفة الإسلامية ص 72.

لقد حمل بعض المستشرقين مثل (دي بور) و(زينان) على الفلسفة الإسلامية، معتبرين إياها فلسفه يونانية مكتوبة بخط عربي، سالبين إياها من مقومات فلسفة متكاملة الأصول.

ونحن لا ننكر تأثر الفلسفة الإسلامية بفلسفة اليونانية، ولكن ننكر على أمثل هؤلاء المستشرقين تحاملهم على الحضارة الإسلامية، والحل أنها لا حافظت باعترافهم على التراث الإنساني من الضياع، وأثره، وانحدرت نفسها عنه مقاً وأضحت، لا ينكره عقلاً الغرب، تظهر فيه سمات الشخصية الإسلامية جلية. (انظر كتاب علي عبد الرزاق - الإسلام وأصول الحكم ص 28-

29 من تعليقات المحقق ممدوح حفي)

وبالذات، ويصعد بهم إلى مستوى النور والإشراق. ونحن على هذا الاعتبار أئمَّا مدينتَة سكانها فرسان، ورئيسيها نبي، أو إمام معصوم، وهي مدينة فاضلة ومثالية لا وجود لها إلا في مخيَّلة الفارابي، تماماً، مثل إمام الشيعة المعصوم، فهو أيضاً إمام مثالي، لا وجود له إلا في صفوف الأنبياء، وخيال الشيعة، ومن ثم فإنَّ الفلاسفة الذين تخلوا مذناً وجمهوريات فضلي لم يجدوا ذلك متحققاً إلا إذا خلعوا على الحاكم صفات مثالية قد تختلف لفظاً لكن مدلولها يشير في غير لبس ولا إبهام إلى العصمة. وكذلك شأن أهل السنة عندما اعتبروا الإمام مثالياً في حنكته السياسية، مقتربين به من صفة العصمة خوفاً من عقاب أو طمعاً في ثواب، أو حباً في الأمان العام.

ويبدو أنَّ متكلمي أهل السنة لم يذكروا مبدأ العصمة الذي جرَّهم الشيعة إلى الخوض فيه، ولكن عوض أن يسبغوه على فرد، فإنَّهم خلعوا على إجماع الأمة، أو ممثليهم من أهل الحل والعقد حتى أنَّ متكلمنا متمسكاً بسنَّته إلى درجة التعجب، كابن تيمية، حين يرد على قول الحلي "أليس بمعصوم غير عني اتفاقاً؟" يقول: وأتباعبني أمية كانوا يعتبرون الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب، بل إنَّ كثيراً من العباد وال العامة يعتقدون عصمة شيوخهم، مع اعتبارهم أنَّ الصحابة أفضل منهم و اعتقادهم ذلك في الخلفاء من الصحابة أولى¹.

وقد أشار ابن تيمية إلى حقيقة هامة تتمثل في كون غير الشيعة قد أسبغوا العصمة على حكامهم، وليس أتباعبني أمية أول من أسبغ العصمة على خلفائهم، ونزع هوهم عن النقد، بل إنَّ كل المجتمعات السائدة في العصور

- ابن تيمية وشیخ بن الحافظ الذهبي، المتنقى من منهاج الاعتدال، ص 411

القديمة والوسطى خلعت العصمة على ملوكها وحكامها، وأمنت بنظرية الحق المقدس، ففي مصر الزروم كان فوق مستوى الشبهات، والفراعنة أدعوا أنهم أبناء الآلهة بتصريح القرآن: "فحشر فنادي، فقال: أنا ربكم العلي"^١، وأكثروا الفرس قد آمنوا بنظرية الحق المقدس لأنهم ورثوا (الخورنة) أي المجد الإلهي الذي كان لملوك إيران، ولهذا فقد كان كثير من أبناء الملوك، وأعاقب الطبقات الكبيرة للجمعية الإيرانية، يتدارسون أنسابهم ويحفظون أنسابهم، حفظ العرب من قحطان ونزار لأنسابهم وأنسابهم، وكان للعنكبوت الكاسرة قداسة تعلو بهم فوق مستوى الشعب، وتتيح لهم ألا يسألوا عما يفعلون، ولكن هذا تعبير بصيغة مختلفة عن العصمة^٢.

وإذا تقدمنا إلى القرن التاسع عشر، وجدنا فلاسفة الألمان مثلاً، قد خلعوا على صاحب السيادة العليا في الدولة صفات القدسية والمثالية، مما يجعله قريباً من إمام الشيعة المعصوم، ومهما اختلف الوسائل لتبرير السلطة المطلقة للحاكم، فإن الإنقاء قد يتم في نهاية المطاف بين الفريقين (بين فلاسفة الألمان والشيعة) في الرأي، فالعصمة عند الشيعة لازمة عن اللطف الإلهي، والنصل من الله، وهو ما يتماشى مع طبيعة الفكر الديني، أما فلاسفة الألمان فهم يبررون السلطة المطلقة للحاكم بما يتلاءم مع 'متافقين' بالسياسة، أو بما يمكن أن يسمى بالرأي بعيدة التي يدركها السياسي دون عامة الناس، لأن هؤلاء قد لا تصل أفهامهم القصيرة إلى مرامي السياسي

^١- سورة النازعات: آية 23-24.

^٢- كريستن - إيران في عهد المسلمين - ترجمة يحيى الغذب - ص 489

علي عبد الرزاق: الإسلام وأصول الحكم، ص 18-19-23.

الأستاذ محمد مزالى، الديمقراطية، ص 54.

البعيدة المدى، وحكمته من نصوصات سياسية معينة، ربما تبدو غريبة لدى رجل الشارع، لأنه يجهل الواقع السياسي الداخلي والخارجي، ولا يعرف منها إلا معلومات قد لا تمت في غالب الأحيان إلى الحقيقة بصلة، ولذلك يرى أنسيلسوف الألماني 'فخنه' (1762م - 1814م) أنه لا يجب انت�ان الجمهور المتقلب على الحكم لأن أراءه مختلف باختلاف أغراضه، ومزاجه، وتأثير الغير فيه، ويجب أن يوكل الحكم إلى الإبطال الذين يعزى إليهم كل تقدم في تاريخ البشر، لأنهم الأبطال الذين بزوا عصورهم والعمالقة الذين ظهر نبوغهم في القوتين المادية والروحية، وهم يعيشون وفق الحق والقانون الخلقي، لتخليهم عن أهوائهم، واتباعهم الإرادة الخلقية ببصيرتهم النافذة، أما كيفية اختيار الحاكم فإنه يبدو وكأنه أمر حتمي لدى 'فخنه' حيث سيظهر في القريب أو البعيد رجل يقول حكم وطنه، يكون أعدل مواطنيه وأكملهم وأفضائهم، ومن المؤكد أن هذا الرجل العظيم، وأمثاله من صفوه البشر، سيفدون طريقاً للوصول إلى الحكم، ولابد أن نساعد هؤلاء الشرفاء الأقداد على توالي السلطة العليا في الدولة، حتى لا يطمح إليها من ليس لها بكرة، فيبهنك وتلهك الرعية¹.

وبذا انتقلنا بعد هذا إلى رأي آخر، وجذنا مثلاً أن 'هيجل' (1770م - 1831م) قد انتقد مبدأ الإختيار والانتخاب الشائع في الأنظمة الديمocrاطية واعتبره معول هدم يعطي للأفراد حق الاعتراض أو النقد للدولة، وسحب إرادتهم من تأييدها، وقد يسعّملون هذا الحق في أغراض شخصية بعيدة عن

¹ - يوسف كرم؛ تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 264
على عبد الزراق، الإسلام وأصول الحكم، ص 23 - 24 - 28 - 29.

المصلحة العامة، بينما تقوم الدولة على مبدأ مقدس لأنها داخلة في مملكة الروح، وهي الفكرة السامية الموجودة على الأرض، والملك عند هيجل صاحب سلطة مطلقة، وله مركز مستقل عن مصالح الأفراد إذ تتمثل في ذاته إرادة الدولة، وهو يمثل السيادة العليا فيها، لأنّه يعبر عن شخصية الكل، أو مجموع الشعب المتمثل في فرد واحد، لعكابته الملكية السامية، ولأنّه يحمل رسائلة العالم التاريخية النبيلة، وأهدافه هي روح العالم، وهو لا يستمد سياساته من المجرى العادي للأمور كسائر الناس، وإنما من نبع خفي هو منبع الروح الداخلي الذي يخرج إلى العالم ليحقق إرادة التاريخ. وأنّ الملك يدرك ببصيرته النافذة ما يحتاج إليه عصره، وتنسلط عليه عاطفة جياشة وعظيمة تدفعه إلى تحقيق الرسالة التاريخية التي خلق من أجلها، فتضاعل إلى جانب ذلك كنه تلك الهقوات الخفية التي قد تصدر عنه، لأنّ ميزة انشائه للدولة، أو تغييره لها، أو وصونه إلى اعتلاء عرشه بأية طريقة كانت يبرر سلوكه مهما كان خطأً أو عنيناً، حيث لا يمكن الفصل بين عاطفة الزعيم والتغيير الفعال للتاريخ ؛ إنّه أسمى من أن يحكم على أفعاله بالقيم الخفية العادية¹. لأنّه يسعى إلى تنمية أهداف الدولة بتحقيق الروح المطلق، والتضحية بالمصالح الخاصة في سبيل المصالح العامة. ومن ثم فلا يجب أن يقف الأفراد من صاحب السلطة العليا موقف الخصم، باسم الفقد الشخصي المدعم بالحرية والديمقراطية، وعليهم احترام الحاكم كما يحترم إلاه أرضي، لأنّ نظامه لازم من طبيعته التاريخية ولا يفرض عليه من خارج ؛ نظام منقطع الصلة به، ولو كان صادرًا عن العقل. وعلى هذا الأساس وليس النظام الجمهوري أكمل

¹ - الدكتور عبد المعز نصر: فلسفة شيشلية عند الأئمـان، ص 53 - 63.

أنظمة الحكم سواء أكانت شعبية، أم ارستقراطية لأن الجمهورية تسرف في تقدير حرية الفرد، وتضحي بالمصلحة العامة والمثل الأعلى في سبئه، أو في سبيل بعض الأسر والطبقات البورجوازية، ومن أجل هذا السبب أضحت الجمهوريات القديمة، ولم يستمر إلا النظام الطبيعي وهو الملكية، لأنها تشخيص الدولة وال فكرة القومية في زعيم واحد، هو محل سلطتها ورمز تقاليدها، وتحقق أهدافها وغيابها: إنه العقل اللاشخصي وقد صار عقلاً وأعياناً، إنه الإرادة الكلية وقد صارت إرادة شخصية، إنه صاحب السيادة العليا، ومع ذلك فهو يستثير برأي مجلس تشريعي مكون من خيرة ممثلي القوى القومية، وبخاصة القوى العقلية، ورأيهم استشاري بحث، لا يلتزم الملك بتطبيقه لأنه وحده ممثل السلطة المطلقة، وحكمة الروح المطلق تؤيده، فتجنبه الانحراف إلى الأنانية والطغيان^١. والرأي الاستشاري البحث هو ما ذهب إليه المفسرون كالقرطبي في تفسير آيات الشورى القرآنية الكريمة فالإمام العمل برأي المستشار أو تعديله أو طرجه حسب المصلحة العامة.

ويبدو أنه إذا خلنا الجانب الديني عن العصمة، واستبدلنا به عنصراً مبايناً (غبياً) يتلاءم مع الفكر الغربي، فإننا لا نجد فارقاً كبيراً بين عصمة الإمام الشيعي، وسلطة الحاكم الألماني فكلاهما من أشراف الناس، وأفضلهم، ومن الصفة المختارة، ويعبر عن إرادة كلية أو إلهية تدفعه لتحقيق رسالته، ونصب كل منهما أعظم من أن يتم بالإختيار والانتخاب الشوري. ولقد مجد الفلاسفة الألمان الدولة فأعتبروها مقدسة تمهدًا لخلع صفة القدسية على الملك أو الحاكم. أما الشيعة فقد مهدوا لعصمة الإمام بفكرة

^١ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة - ص 274 - 281.

الطف الإلهي، والنصل من الله وبذلك تلقي فلسفة التاريخ عند الألمان بالسياسة الدينية لدى الشيعة، عند حقيقة واحدة هي امتياز الحاكم، وقداسته، وعصمه، ولكن يلاحظ أن كيفية ظهور الإمام عند الشيعة أوضح، باعتباره منصوباً من الله، وبلغ وصيته هذه، الإمام السابق إلى الإمام اللاحق، وما على الرعية إلا الطاعة لأوامر الله الذي لا رأى لحكمه. أما فلاسفة الألمان فلم ييرروا وجه حتمية ظهور صاحب السيادة العلية في الدولة لأداء رسالته، مكتفين بالتأكيد على ظهوره في الوقت المناسب، وهذا موقف يشبه إلى حد ما رأي بعض فرق الزيدية - وهم الصالحيّة (اتباع الحسن بن صالح بن حي) - في جواز قيام إمامين في قطرتين أو قطر واحد، والغلبة تكون للقائم الذي استطاع أن يستولي على الحكم، ويثبت قدرته، وجدارته بهذه السلطة التي وصل إليها وما على المغلوب إلا الطاعة للإمام القائم الغالب ولو كان المغلوب أولى وحجه أظهر، مما جعل الشهريستاني يصف موقفهم هذا بأنه خطط عجيب¹. أما دائرة المعارف الإسلامية فتراه من علامات الاعتراف بالواقع وبذل التعتت². وهو ما ينماشى مع رأي أهل السنة المعتمد على الواقع - خشية الفتنة والحراب الأهلية (*). ولذلك ترتفعوا للإمام وجاملوه، واعتبروه فوق المسائلة لسداد آرائه واعتماده على الشوري، وإذا كان فلاسفة الدكتاتورية قد خلعوا صفات القداسة والعصمة على الحكام، وجعلوهم فوق مستوى البشر، فإن فلاسفة الديمقراطية أضافوا نوعاً

1- الشهريستاني: المثل والنحل: 216/1-217 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل

2- دائرة المعارف الإسلامية: 16/11 - 17 مادة حرف الزاي

(*) قل تعالى: وآثنتكَ أَكْبَرَ مِنْ الْقَاتِلِ نُورَةً أَنْبَقَةً - آية 217.

من انفاسة على صاحب السيادة العليا في الدولة، سواء أكانت الشعب أم ممثليه من النواب المنتخبين، أم الدستور المعتبر عن طموحات الأمة، وتتضح فكرة العصمة في الفلسفة الفرنسية لدى "جان جاك روسو" (1712م - 1778م) فيما خلعه على الإدارة العامة للشعب، وهي تقابل الاجماع عند أهل السنة، وكلاهما معصوم عن الخطأ، ولا يصدر عنهم إلا ما فيه خير الجماعة.

وبذلك كان "روسو" قد نادى بوجوب تنازل كل فرد عن إدارته الخاصة التي تسعى إلى التمييز وتتبع من الأنانية، بينما الإدارة العامة تسعى إلى الخير وتعبر عن مصالح الكل، وهو موقف هام من مواقف كثيرة لمفكرين فرنسيين مثل "قولنطير" (1694م - 1778م) و"نيترو" (1713م - 1784م) و"مونتسكيو" (1689م - 1755م) اعتبرت بحق ممهدة للثورة الفرنسية سنة (1789م) التي نادت بالحرية والمساواة والأخوة، وأن السلطة يجب أن تكون بيد الشعب لأنها رشيدة، وإرادتها العامة معصومة عن الوقوع في الخطأ، ولقد سبقهم أهل السنة في الإسلام برأيهم المنقول عن رسول الله، أن إرادته لا تجتمع على ضلاله¹.

وفي الفلسفة الأنجلزية الحديثة تجد "توماس هوبيس" (1588م - 1679م) قد منح الحاكم سلطة مطلقة وغير مقيدة، وهو مع ذلك لم يعترض بالموجودات الروحية ولم يعتبر إرادة الحاكم من إرادة الله، بل اعتبر إرادته معتبرة عن إرادة الجماعة، واعترف في الآن نفسه بجواز صدور الخطأ عنه،

1- ابن تيمية وتخريص الحافظ الأذهبي: العنقى من منهاج الإعدال 548 - 549 - يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة - ص 188 - 191 ، 4 - 203 ، 204 - 206 - 207 - الأستاذ محمد مزالي - الديمقراطية - ص 45 - 48.

مما يتنافى مع القول بعصمته، ولكن لم يمنع الشعب حتى حق عزله، أو حتى مراجعته، أو مراقبة أخطائه وإحصائها، بل أوجب عليهم أن يطيعوه طاعة مطلقة، وأن يعتقدوا دين الدولة لأنها واجب محروم على كل مواطن لغاية نفعية لا دينية، كما يحق لهذا الحكم في نظر "هوبس"، أن يتصرف بحرية تامة وكيفما شاء، وكل ذلك من لوازمه العصمة، وإن لم يسبغها عليه.

أما الدول الديمقراطية فإنها تسبغ العصمة على الجماعة، وعلى ممثلهم من النواب المنتخبين وعلى الدساتير التي أقرتها، عوضاً عن أفراد امتازوا بالحكم المطلق. وترى في هذه الدساتير مرجعها للأحكام ومصدراً للتشريعات والقوانين، وبالرغم من كونها دساتير وضعية، وليس سماوية، فإنها تعد خرقها أو انتهاؤها تصوّصها أمراً يهدّد النظام الأساسي للدولة، ويعرض قاعده للاتهام بالخيانة، ولا تقدم الدول على تعديل تصوّص دساتيرها إلا عند الضرورة الفصوى، أو بسبب تغيير النظام السياسي والاجتماعي من أساسه، وما ذلك إلا لن هذه الدساتير وضعتها جماعة من خيرة أفراد الأمة، وتطلب هذا الأمر وقتاً طويلاً، وبحوثاً مستفيضة، وآراء ممحضة ومحكمة قبل أن تستقر على صورتها النهائية، وبها اكتسبت ما يمكن أن يطلق عليه عصمة رأي الجماعة¹. ولا تغير إلا بالاستشارة العامة.

ولهذا السبب فإن جميع الأنظمة السياسية في العالم على اختلافها تقر بوجود سلطة علينا تكون مرجعاً للأحكام بين الرعية، ولا يخضع الأفراد لهذه السلطة سواء أكانت حاكماً، أم إرادة عامة، أم دستوراً، إلا إذا أضفي عليها نوع من القداسة، ووصف بالعصمة، لأنها تحقق بالديمقراطية والانتخابات والاستشارة العامة. ولذلك فالظاهر، أن عصمة إمام الشيعة ليست بشيء

1- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 51-56-57.

يدعو إلى الاستغراب، مهما بدا في هذا اللفظ من غيبية، وإذا كان الشيعة هم أول من ابتدعوا البحث في حقيقة العصمة، وحددوها وفسرها كما مر بنا، فإنهم ليسوا وحدهم الذين انفروا بالقول بها، وإن بدا وصف فرد بالعصمة مستغربا في ظل الأنظمة الديمocrاطية الحديثة، فقد كان ذلك شيئا عاديا في العصور القديمة، إلى عهد قريب، وكان سليل الملك يعتبر مقدسا بالوراثة من أول عمره إلى آخره، وقرر الشيعة هذه القدسية بأنها لطف من الله، وملكة طبيعية تعصم صاحبها من الوقوع في الخطأ، وبأنها نور متوارث في أصلاب الأئمة.

وعن هذا الأساس فإن صفة العصمة - مهما اختلف التعبير عنها - لم تخل منها نظرية سياسية، ولم يخل منها نظام حكم، سواء أكان دكتاتوريًا، أم ديمقراطيا، وإن بدت لنا العصمة بحثاً بيئياً، أو وصف بها الأنبياء والأئمة، فما ذلك إلا لارتباط السياسة بالدين في الإسلام. بالرغم من بعض الرؤى الحديثة التي تقول بفضل الدين عن السياسة خشية انتقال خلافاتها إلى الدين وهو عامل توحيد.

ومع ذلك فإن هذه العصمة، سواء أكانت لدى الشيعة أم لدى غيرهم من النظم القديمة أو الحديثة باختلافها، إنما هي دعوى تدحضها الطبيعة البشرية للإنسان، وقد نجا هؤلاء جميعا إلى العصمة ويلجؤون، من أجل تركيز سلطتهم وبوسط نفوذهم على الشعوب التي يحكمونها، وما وجود هذه الأصوات التي نادت بالحكم المطلق إلا دليل على أن كثيرا من العلماء، وفلاسفة التاريخ السياسي، كانوا يتزلجون أصحاب السلطة، طمعا في ثواب أو خوفا من عقاب، أو ربما كان يجدون لبعضهم، أن الإستقرار السياسي نعمة لا تتكر، ولا يمكن توفيرها إلا بواسطة الحكم المطلق، وبه وحده يقضى على

انغوغانيين، والصائدین في الماء العكر، من ذوي المصالح، المستترین بقناع الحرية والديمقراطية والمبادئ الدينية وبحسم المسلمين الخلاف في هذه القضية بقول الله عز وجل: "والفتنة أکبر من القتل"¹.

1- سورة التغیرة: الآية 217.

الفصل الرابع:

علم الأئمة

نذكر بالمنهج الذي ارتتأناه في هذه الدراسة وهو التعرض لرأي الآتى عشرية، قبل رأى الزيدية، لأن الآتى عشرية هم الذين أثاروا البحث في قضية علم الأئمة، وغيرها من القضايا الأخرى، كالعصمة، والوصية، والأفضلية، والمهدية، والتفقة، وفلسفتها، متأثرين في ذلك بحضوراتهم، وخالقهم الفارسي، وهو نوع من النزوع إلى أفق غيبى تصر دونه الأفهام، يعبر عن حرمانهم من السلطة، ويعوضهم في لأن نفسه ما افتقدوه، بواسطة هذه الحلة المثالية التي يكسون بها الإمام مما دفع بإمام الزيدية (زيد بن علي) إلى الرد عليهم، ووضع هذه المبادئ في إطارها الحقيقي، بعيدة عن الغلو¹.

وإذا عدنا إلى رأى الآتى عشرية، بدت لنا العلاقة وثيقة بين علم الإمام وعصمه، وذلك لأن العصمة تتلحم بما يعرف عند الشيعة بعلم الإمام، الغيبى، أي أن الإمام ما دام معصوماً، فلا بد أن يكون عنده من النوع الإلهي الذي يختص به دون غيره، وهو الذي ينفي عنه الخطأ، وربما السهو والنسيان، ليكون حجة على كافة الخلق، موثقاً بقوله وثيقاً تماماً، ومصدراً حقيقياً للمعارف اليقينية².

- الإمام زيد بن علي: المست ص 46.

عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص 18.

الدكتور علي سامي المشار: نشأة الفكر: 156/2 - 157.

- الجيلاني: توفيق التطبيق ص 26.

وإذا كان الإمام مصدراً حقيقياً للمعرفة اليقينية، فمن أين يتلقى هو معارفه؟ إن هذا الأمر، يقتضي منا البحث في مصدر علم الإمام، وبمقتضاه تبدو نظرية الإمامة - لدى الائتية عشرية - ليست بحثاً في القيم السياسية والدينية فحسب، وإنما تتناول أيضاً القيم (الأبستمولوجية)، أو ما يمسى بنظرية المعرفة، التي تضاربت حولها آراء المذاهب الحسية، والعقلية، والحسية. ومن ثم فهل أن مصادر المعرفة - لدى الإمام الائتية عشرية، ولدى اتباعه من الشيعة - حسية، أم عقلية أم حسية؟

يتناول الشيعة نقد مصادر المعرفة المذكورة، بكونها قاصرة عن بلوغ الحقيقة اليقينية التي لا ينطوي إليها انشك، وروى - في هذا الصدد - هشام بن الحكم (ت. 199هـ/815م)¹ أنه حكي لجعفر الصادق (ت. 148هـ/766م) بحضور أعيان الشيعة ما بلغه عن عمرو بن عبد (ت. 144هـ/762م)، وجلسه في مسجد البصرة يدرس الناس آرائه الاعتزالية، فعظم ذلك عليه، وصمم أن يخرج إليه، فأتاه يوم الجمعة، فوجده في حلة

1- يعترض هشام بن الحكم من أقطاب الشيعة الذين أنهوا في تصوير المذهب الائتية عشرية، ولد بالكوفة، ونشأ بواسطه، وتاجر بيغداد، واستقر بها في آخر عمره سنة (199هـ/815م). وقيل هي سنة وفاته، وكان ينزل بيني ثبيان بالكوفة، لأنه كان مولاهم. ويظير أنه كان أكبر شخصية شيعية في علم الكلام، وكان من تلاميذ جعفر الصادق، ومن أصحابه انتقال، نزل حضرة لدى البراكمة لتشييعهم المستتر، وانصل بهزون الرشيد نفسه. وكان بزعا في الجدل، وفورة الحجة والمناظر، وسرعة البديهة. (انظر الطبرسي: الإنجاج: 69/2)

- دونيسن - عقيدة الشيعة ص 309.

- أحمد أمين - ضحي الإسلام: 269/3 - 270.

كبيرة، وعليه شملة سوداء من صوف انتزرت بها، وشملة أخرى قد ارتدتها^١، وأناس حوله يسألونه، فلقد (هاشم بن الحكم) في آخر القوم على ركبتيه، ثم قال: أيها العالم أنا رجل غريب، أثذن لي فأسألك قال: سل. فقلت: ألك عين قال: يابني، أي شيء هذا السؤال الذي تسائل عنه؟ فقلت: هذه مسألتي، قال: يابني سل، وإن كانت مسألتك حمقى. فقلت: أجيبي فيها... قال: نعم لي عين، فقلت: ما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، فقلت: ألك أتف فأجاب: نعم.. فسألت: ما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، فقلت: ألك لسان؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أتكلم به، قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، فقلت: ما تصنع بها؟ قال أسمع بها الأصوات، فسألت: ألك يدان؟ قال: نعم، فقلت: ما تصنع بهما؟ قال: أبطش بهما، وأعرف بهما الذين من الخشن، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح، فعلق هشام بن الحكم: أليس في هذه الحواس غنى عن القلب؟ ويعني به العقل^٢ قال عمر بن عبيد: لا،

- اعتبر دونشمن عمرو بن عبيد من صوفية أهل السنة، لارتكانه هذه الثواب الخثنة، والظاهر أنه من صوفية المعترضة، لتشفه وزيهده من ناحية، ولأنه ينسب للمعترضة من ناحية ثانية، حيث كان أول من جاري واصل بن عطاء المغربي، رأس المعترضة (ت. 131هـ/749م) في رأيه الإعْزَانِي حزن مرتكب الكبيرة، وكونه في منزلة بين المعتزلتين: فلا هو مؤمن، ولا هو كافر...

- انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين: 1/18 - دونشمن - عقيدة الشيعة ص 303.
بدوي: مذاهب الإسلاميين: 1/82 - 96.

ورد في القرآن الكريم اسماعيل القلب عوضاً عن العقل، قال الله تعالى - : 'فَبِئْنَا لَا نَعْمَنُ الْأَبْصَارَ، وَلَكُنْ نَعْمَنَ الْقُلُوبَ اتَّقِنَ فِي الصَّدُورِ' سورة الحج: آية 46.
وقال عز وجل: 'أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَنَكُونُ تَهْمَ قُلُوبٍ يَعْقُلُونَ بِهَا'، الحج: آية 46.
وقال: 'لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْعُدُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْنَانٌ لَا يَصْرُونَ بِهَا' سورة الأعراف: آية 179.

فسأل هشام: كيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟ فأجابه عمرو: إن الحواس إذا شكت في شيء عن طريق الرؤيا أو المذاق أو اللمس أو السمع أو الشم ردته إلى العقل، فيحصل اليقين ويبطل الشك. فقال هشام بن الحكم: إن الله عز وجل - قد أقام القلب لتصحح شك الجوارح؟ فأجاب عمرو بن عبيد: نعم. فعلق هشام مؤكداً: لابد إذن من العقل وإلا لم تستيقن الجوارح؟ ولما وافقه عمرو بن عبيد على هذا الاستنتاج الأخير، أقام هشام بن الحكم مقارنة في كون دور العقل بالنسبة للحواس، كدور الإمام بالنسبة للرعاية، فكما لم يترك الله الجوارح بدون عقل يصحح لها ما شكت فيه، ويثبت لها الصحيح من السقيم فكذلك لن يترك الله الخلق كلهم هملاً ولا يقيم لهم إماماً يعلمهم، ويردون إليه شکهم وحيرتهم. فشك عمرو بن عبيد ولم يقل شيئاً، ثم التفت إلى سائله قائلاً: أنت هشام بن الحكم؟ فأجابه: لا. قال: أجالسته؟ فقال: لا. فسأل عمرو بن عبيد: من أين أنت؟ فأجابه: من أهل الكوفة؟ فقال عمرو: فانت إذن هو. ثم ضمه إلى صدره، وأقعده في مجلسه، وما نطق حتى قام هشام بن الحكم.

ولما سمع جعفر الصادق القصة من هشام بن الحكم، ضحك وقال له:
 من علمك هذا؟ فأجابه جرى على لسانه يا ابن رسول الله. فعلق الصادق قائلاً: هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى!

وبذلك يبدو أن الأئمة، وأتباعهم المقربين الذين هم في درجة نوابهم، هم - لدى الشيعة - من يوحى إليهم، في وقت الحاجة، بما يجب أن يقال، أو يفعل، فيجري الحق على ألسنتهم، وأفعالهم، بدون أن يعرفوا مصدره،

١- الطبرسي: الاحتجاج: 125/2 - 128.

ونكون الغلبة في النهاية دائماً إلى جانبهم، فيسكت الخصوم، ويعرفون برجاحة رأي الشيعة¹. حسب زعمهم.

ويدل هذا على أن الشيعة رزقوا ملائكة احتجاج عجيبة يستطيعون بها أن يقدموا آراءهم، في شكل مغر، ومفعى إلى حد ما، وخاصة إلى ضعاف العقول أو إلى أولئك الذين يكونون أقل ثقافة منهم، وذراءة يفتنون الاحتجاج، فينطلي عليهم سهولة² - ما وراء الجدل من مغالطات كثيرة، مغطاة بحيل عقلية، تدل على ذكائهم النادر، وأطلاعهم الواسع، ومن هذا القبيل ما روي عن هشام بن الحكم، وأنه كان أكبر شخصية شيعية في علم الكلام، وكان لسنا، جدلاً، قوي الحجة، ناظر المعزلة وناظروه، ونقلت له كتب الأدب، وكتب علم الكلام الشيعية³ مناظرات تدل على حضور بيته، وقوة حجته، إلا أن جلها كان عبارة عن حجج واهية وسفطانية، للخروج من المأزق الحرجي الذي تردى فيها، خشية خصومه من أصحاب السلطة القائمة، أو خوف تناقضه مع آرائه الشيعية، عملاً بمبدأ التقى، وانتصاراً لمذهبها، وفي هذا انسداد روى صاحب (عيون الأخبار) أن هشام بن الحكم، دخل يوماً على بعض الولاة العباسين فقال رجل للعباسي: أنا أفتر⁴ هشاماً لأن علياً كان ظالماً. فقال له: إن فعلت ذلك فلما كذا. فقال له: يا أبا محمد (كنية هشام) أما علمت أن علياً نازع العباس إلى أبي بكر؟ قال: نعم. قال: فلما كان الظالم لصاحب؟ فتوقف هشام وقال في نفسه: إن قلت العباس، خفت

1- يمتد: كتاب الصبرسي: (الاحتجاج) بضرورب مختلفة من احتجاجات الشيعة، تنتهي دائماً بانتصارهم على خصومهم في الرأي.

2- نفس المصدر: 25/2-128.

3- افتر هشاماً...: ألم أنه على الاعتراف بأن عيناً كان ظالماً.

العباسي، وإن قلت علينا ناقضت قولك، ثم قال: لم يكن فيهما ظالم. قال يختص اثنان في أمر وهم محقان جميعاً؟ قال: نعم اختصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالم، وإنما أراد أن يتباهى على ظلمه.^١ فلمست الرجل، وخرج شبه المقتع، أو المبهور بدهاء هشام بن الحكم، وبراعته في التخلص من المآذق، بما لا ينافي مذهبها، ويرضي العباسين في أن واحد، لأنهم يدعون أيضاً مثل الشيعة، أن رسول الله أوصى بالخلافة لعمه العباس، ولكن أبي بكر استأثر بها دونه. وبالقياس بين الوثائقتين المرويتين عن هشام بن الحكم، تظاهر قيمة الوثيقة التي انتقد فيها مصادر المعرفة، وليس يعني هنا صحة هذه الوثيقة أو عدم صحتها، بقدر ما يعني أنها تعبر عن نقد الشيعة لمصادر المعرفة الحسية والعقنية. ويذهبون في ذلك إلى أن المعرفة لا تحصل عن طريق الحواس، لأنها كثيراً ما تخدعنا. ولا تحصل لهم عن طريق العقل، لأنه معرض إلى الخطأ والصواب، لاعتماده على الحواس، والوسائل التي تخطئ أحياناً، لا يوثق بنتائجها وثيقاً تماماً، وتبقى نسبية، أو مشكوكاً في صحتها، ويوافقهم في ذلك أهل السنة والمعزلة والفلسفه أيضًا.^٢ ولا تحصل لهم المعرفة بواسطة الكشف، والمعاينة، والحدس، والذوق، كما

١- ابن فضیل: عيون الأخبار: 15/2 - وفي قضية اختصار الملكين إلى داود قال الله تعالى: **وَهُلْ أَنْكُنْ نَبِأُ الْخَمْسَ إِذْ سَهُرُوا الْمَحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوِدَ، فَفَزَعُ مِنْهُمْ قَالُوا: لَا تَخْفَ خَصْمَنَ بِغَيْرِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، فَاحْكُمْ بِمَا تَرَى وَلَا تَشْخُطْ وَاهْدِنَ إِلَى مَوَاء الْصَّرْصَرِ.** لـ هذا أخي له شعر وتشعرون نعجة وهي نعجة واحدة، فقال أكلتهاها وعزني في خطاب قال: **لَكَ ذَلِكَ بِسْؤَالِ نَعْجَكَ إِلَى نَعْجَكَ، وَلَنْ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَطَاءِ لَيُبَيِّنَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِلَّا الَّذِينَ آتَيْنَا وَعْدَ الْصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَظَنَّ دَاوِدَ بِمَا فَتَاهَ فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَأْتَهُ وَأَذْبَ.** فغفر له ذلك، وإن له عندها لزلفي وحسن مأب، سورة ص - الآية: 20-24.

٢- الغزالى: المتنق من الصلال: ص 128-130.

يدعى الصوفية، لأنها معرفة محدودة لدى فئة من الناس ويصعب تعميمها عليهم جميعاً، حيث لا يمكن أن يكون كل الناس منصوفين.

ويتضح نقد الشيعة لمصادر المعرفة، بصفة جلية، لدى علي بن الفضل الجيلاني، وهو كعادته يسمى بهذا النقد إلى أفق فلسفى، يقتبسه من نقد الفلسفه لمصادر المعرفة، معتبرا الإمام واجب العصمة، حتى يكون حجة على كافة الخلق، ومصدراً حقيقياً لمعارفهم اليقينية، لأن حصول اليقين إما بطريق البرهان العقلي، أو بواسطة الكشف والمعاينة، حسب أدوات المرتضىين، والخطأ في كلا الطريقين ممكן بل واقع. وبالنسبة لطريق أهل النظر، فإن إقامة الأدلة العقلية، وإثباتها بحجج سالمة من جميع الشكوك، أمر متعدد، لا تفي به قوّة بشرية، لتفاوت المدارك النظرية، بتفاوت مدارك أربابها ومقاصدهم، من حيث اختلاف العقائد، والعوائد، والأمزجة، والصفات الجزئية، المتعددة، بداية من المرتبة الهيولائية إلى المرتبة المستفادة، ودرجاتها، وبيعاً لهذا الاختلاف، فقد اضطررت أراء العقلاهين، بما هو صواب عند شخص، هو عند غيره خطأ، وما هو دليل عند البعض هو شبهة عند الآخر، فلم يحصل لذلك اتفاقهم في أمور كثيرة، ولم يوثق بالنتائج التي وصلوا إليها، حتى أن كثيراً من المتمسكون بالأدلة النظرية، جزموا بصححة بعض البراهين، وظنواها يقينية، بعد عجزهم، وعجز معاصرיהם عن العثور، على ما في مقدمات تلك البراهين، من الخل والفساد. أضف إلى ذلك أن الكلام في تلك الإشكالات القاتحة، في صحتها، وفسادها، كالكلام في تلك البراهين، لأن قوى الناظرين والقادحين، متفاوتة، وقد تزيف النتائج التي انتهوا إليها بفعل طول الزمان، مع خفاء بغيوب على المتأملين فيها،

والمتمسكون بها، وإذا وقع بعض هؤلاء في الغلط جاز ذلك على البقية، إلا أن العثور على الغلط في حد ذاته يطمئن الباحثين، ويحسم الخلاف في الأديان، والمعاذب، ولكنه اطمئنان في غير محله، لجواز أن يكون الغلط صحيحاً، والصحيح غلطاً، ومن ثم فالنقد موجه للرأي ونقضه، وموجه لنقد نفسه، من حيث الطرق، والأساليب والقواعد المنطقية التي وقع الاعتماد عليها، وليس من الممكن الجمع بين القولين أو الأقوال المتباعدة، لكون أحد القولين يقتضي إثبات ما يقتضي الآخر نفيه، فيستحيل التوفيق بينهما، أو القول بهما معاً، أو ترجيح أحدهما على الآخر، وبذلك يتذرع تحصيل اليقين والجزم الدام بنتائج الأدلة العقلية، وأساليب نقادها، وتتصبح مراعاة الشروط على وجه الصواب أمراً صعباً مستصعباً، لاستحالة، الجزم بعدم الغلط مطلقاً¹.

ويمكنا أن نجاج الجيلاني، بنفس الأسلوب الذي حاج به الفلاسفة، عند نقاده مصادر المعرفة، لديهم، فيصبح نقاده هو الآخر غير سالم من المطاعن التي ذكرها، مشكوكاً في صحة مناهجه، وأساليبه، ونتائجـه، لإمكان وجود الخطأ فيها، لأن اعتماد مبدأ الشك في محله أو في غير محله، يخشى منه أن يؤدي في النهاية إلى نتيجة خطيرة، تتمثل في نفي وجود الحقيقة الثابتة، حسب مذهب الفلاسفة السوفسطائيين، القائلين: "حقيقة الوجود غير ثابتة، والعلم بها غير متحقق". زاعمين أن حقائق الأشياء عبارة عن أوهام وخيالات باطلة، وإنها تتشكل بحسب معتقد الناظر، وطبيعته البيولوجية (الجسمية)، والفكرية، وتختلف من شخص لأخر، فتكون الحقيقة حادثة عند هذا، وقديمة

¹- الجيلاني توفيق التطبيق، ص 26-28.

عند ذلك، وتكون عرضاً عند البعض، وجوهراً عند الآخر. وليس غريباً أن يذهب السوفسقانية إلى مثل هذا الرأي، ما دام هذا الاسم الذي أطلق عليهم يعني: الحقيقة الممودة، والغلط المزخرف¹. ولكن نفي آية حقيقة من الحقائق يعد في حد ذاته ضرباً من التفكير، وحقيقة من الحقائق، لكونه نوعاً من الحكم. وإذا ثبت شيءٌ من الحقائق فلا يجوز نفيها على الإطلاق، لأن غلط الحواس أحياناً لأسباب جزئية وغالباً ما تكون معروفة، كتخيل السراب ماء - لا ينافي الجزم بحقائق الحواس الأخرى، عند انتفاء أسباب الغلط. وبذلك تكون أحكام العقل صائبة، في حالة سلامة الآلات التي قادتنا إلى المعرفة، وبانتفاء الأسباب المؤدية إلى الخطأ، يغدو العقل مصدراً للمعرفة الحقيقية، مهما حفَّ به أحياناً من شك وغلط، لأن الشك لا ينفي وجود اليقين، بل قد يكون طريراً إليه، وبذلك صرخ الغزالى عندما قال: فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال "وهو أمر يقودنا إلى تقرير صحة قول أهل الحق من الفلاسفة، وغيرهم: "حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق".

ويتجلى من خلاله أن شك الجيلاني، في مصادر المعرفة، هو شك غير منهجي. بل هو شك مقصود لذاته، وهو غاية، وليس وسيلة، ليؤكد به أن الحقيقة الثابتة، لا توجد إلا لدى الإمام الشافعى عشري، فهو مصدرها، وعليه المعول في افتراضها. وفي الواقع فإن هذا الشك الإمامى، يضاهي إلى حد

1- تعنى (سوف): العلم والحكم (اسطا): المزخرف والتغلط، كما اشتقت كلمة الفلسفة من (فينا)، (سوفا) أي محب تحكم.

بعيد، شك الصوفية المفتعل في مصادر المعرفة، ليؤكدوا من خلاله، أن الحقيقة تتنفس عن طريق الذوق، لا عن طريق الحس والعقل¹. ومن الفلاسفة الذين اعترفوا بالشك، ولم ينكروا الحقيقة، ذكر، (رنى ديكارت 1596م - 1650م)، وهو متأثر بتجربة الغزالى (ت. 505هـ/1112م) في المنفذ من الضلال.

وقد اعتبر (ديكارت) الشك طریقاً إلى الحقيقة، واثبت وجوده بواسطته، ولم يستطع الشك في كونه يشك، وبذلك غدا الشك لديه ضرباً من التفكير، حسب مقولته الشهيرة: "أنا أفكر فانا موجود"². وأكَّد الفلاسفة التجربيون ثبوت حقائق الأشياء، ونذكر منهم الفيلسوف المعاصر (لينشتاين)، (عاش في النصف الأول من القرن العشرين)، وهو وإن اعترف أن الحقائق نسبية، إلا أنه أكد من ناحية ثانية، أن الحقيقة بسيطة، وهي غير معقدة، إنها قوة مادية كاملة وعبارة عن حركة غير مطلقة، تكمن فيها قوة، يمكن استغلالها في المجال المادي. أو بعبارة أخرى كل جسم يوجد في مكان، وزمان فهو يحوي ويخلق ويخلق حوله مجالاً للحركة، وإن الفضياء حول هذا الجسم، يتحدد، ويتحدد بمقتضى هذا المجال. وكدليل على ثبوت الحقيقة، بواسطه العقل والحس - رغم أن الشك يحوم حولها أحياناً - فقد نتج عن نظرية النسبية لا ينتشل، اختراع القنبلة الذرية³. وهي أمر ملموس يؤكد صحة معرفة

¹- الغزالى: المنفذ من الضلال - ص 128-130 وانظر ما قبلها وما بعدها - التفتزاني: شرح انفلات النسفية، ص 6-10.

²- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 59-79، وانظر ما بعدها غلى ص 88.

³- الدكتور مصطفى محمود: لينشتاين والنسبية، ص 5، 20-26، 51، 73.

وانظر ما قبلها وما بعدها
طبع دار العودة، بيروت

الحواس، والعقل عند سلامة الطرق ولوسائل المؤدية إلى ذلك، ونولاه لما وقع الالهتماء إلى هذا الاكتشاف وأمثاله، وعلى كل، فإن علي بن الفضل الجيلاني، بعد أن انتقد مصادر المعرفة - لدى الفلاسفة - انتقل إلى انتقاد مصادر المعرفة عند الصوفية، ولكنه كان بهم أرفق من أهل النظر والعقل، مبيناً أن طريق المرتاضين، وأهل الذوق، والكشف أصوب وأسلم من طريق الناظرين، لأنه من جملة عين اليقين، لكن لا يحصل منه اليقين دائمًا، لاختلاف المكاشفين باختلاف التجليات، ومراتب الرياضيات، ولا اختلاف الأسماء ومعظاهرها، ولتسالك في أسفاره إلى الله، مخاطرات عظيمة، وأشتباكات كثيرة، بين اكتشاف الصور في عالم الخيال والوهم، وبين اكتشافها في عالم التجليات الحقيقة، التي بواسطتها يرى السالك بيصر قلبه، حفائق الأشياء على قدر وسعه، ولا يستطيع التخلص من بعض الأوهام والخيالات إلا بإرشاد مرشد امتاز بكمال الذات، حتى يرى بعين اليقين المبدأ والستئني، والأول والأخر، والظاهر والباطن وهذا المرشد في نظر الشيعة - هو الإمام لأنه معلم الرعية، وقائد الصوفية، فقد أجمع أهل التصوف من أرباب الحقيقة أن علم الطريقة مشروب إلى علي بن أبي طالب، وجميع الصوفية في المشرق والمغرب يرتفعون بخرفتهم إليه، ويعولون في سلوك طرقهم عليه^١.

وتخلص علي بن الفضل الجيلاني بعد نقده لمصادر المعرفة - لدى أهل النظر والحس، إلى القول بأن حال أهل هذه الأذواق في هذه الحال، كحال أهل النظر في الإستدلال. فثبت أنه لو لم يكن المعصوم، وكلمه بين

١- الأربطي: كشف الغمة في معرفة الأيماء: 131/1 على بن الفضل الجيلاني: توفيق التطبيق، ص 28.

الناس، لم يحصل اليقين للناس، ولا يسلم الناس من شر الخناس الذي يosoين في صدور الناس، من الجنة والناس، فلا استغناء لهم عن وجود المعصوم أصلا، فلا بد من وجوده فيما بينهم أبدا^١.

وبذلك يكون العلم الحقيقي - في نظر الشيعة - هو علم الأنبياء والأئمة، لأنه لا يعترقه خطأ، ولا سهو ولا نسيان، وهو علم لدني، شهودي، قدسي، صادر عن الوحي والإلهام، وكل ما يحصل من المعرفة ل العامة، بالحواس والعقل، يحصل للأوصياء المعصومين، بالحدس والبداهة والقياس، لوفرة الأصول والعلوم التي بين أيديهم، وليس المقصود بالقياس، القياس العقلي، المتعارف لدى غيرهم، من طلب المعرفة، لجواز صدور الخطأ، والسهو والنسيان على هؤلاء، وإنما هو قياس من نوع الانتقال من الظاهر إلى الباطن، وليس علمهم وفقا على شرائع الدين وأحكامه، وإنما يتعدى ذلك ليشمل علوم الدنيا وشؤونها، غير أن الشريعة تصدر عنهم عن وحي، وما يتعلق بمسائل الدنيا يصدر عنهم عن إلهام^٢.

وتعتبر قضية علم الامام بوسطة الوحي، أهم مشكلة واجهت الشيعة، وكيف يكون له ذلك، وقد انقطع وحي السماء، بختم محمد لرسالة النبأ؟ ولقد تضاربت آراء الشيعة حول هذا الرأي، فمن مؤكدة على الوحي للإمام بواسطة الملائكة، ومن منكر لذلك. فقد ذهب بعض الشيعة، من أتباع الإمام التاسع، محمد بن علي التقى (ت. 220هـ/835م)، إلى أن علم الامام

^١- علي بن الفضل الجيلاني: توفيق التطبيق، ص 28-29.

^٢- المؤلف مجهول: لوازيم الإسلام في علم الامام - مخطوط غير مرقم - نقا عن دكتور أحمد محمود صبحي - نظرية الإمامة، ص 146.

يبدأ عند بلوغه، كمثل الإلهام، والنكت في القلب، والنقر في الأذن، والرؤيا الصداقية في النوم، والملائكة المحدث له، ووجوه رفع العذار، والعمود، والمصباح، وعرض الأعمال عليه، وذلك كلّه قد وردت فيه الأخبار الصحيحة، التي لا يجوز رفضها ولا رد مثيلها.

والسبب الذي دعا هؤلاء الأنصار، إلى تحديد علم الإمام ببلوغه، هو أن محمد التقى تولى الإمامة وعمره أربع سنين وبضعة أشهر، إثر نفي أبيه علي بن موسى الرضا (ت. 203هـ/819م) إلى خراسان، ومن كان في سنِه، فلا يمكنه أن يتفرغ لتعلم دقيق المعرفات وجليلها، ولكن الله علّمه عند البلوغ بالضرور المذكورة، أما قبل ذلك، فهو إمام على معنى أن الأمر له دون غيره، إلى وقت البلوغ¹.

وذهب البعض من أتباع التقى إلى نفي كون علم الإمام بالوجوه المذكورة، لأنّ الوحي قد انقطع بعد محمد باجتماع الأمة ولأن الإلهام هو أن يلحقك عند الخاطر والتفكير، معرفة بشيء كانت تقدمت معرفتك به، من الأمور الشفاعة فذكرته حيث أن العلم لديهم - تذكر والجهل نسيان، وهذا العلم الإسلامي لا نعلم به شرائع الدين، والعبادات، على كثرة اختلافها، وكثرة عاليها، وإنما علم ذلك بالسماع والنقل، حيث إن أصلح الناس فكرا، وأقربهم إلى التوفيق، ثم فكر وهو لم يسمع بأن الصبح ركعتان، والظهر أربع، والمغرب ثلاث، ما اهتدى إلى ذلك بعقله، وإنما بعلمه بواسطة التوفيق والتعليم والسماع، وقد علم محمد التقى ذلك عند البلوغ من كتب أبيه، بما

1- الشوبكي: فرق الشيعة، ص 89-90.

ورثه من العلم فيها، وما رسم له من الأصول والفرع¹، لأن الأئمة ورثة الأنبياء ويرثون علومهم عن بعضهم البعض.

وأجاز البعض من الشيعة، أن يكون "علم الإمام بواسطة الوحي" مقررين صحة إمامية غير البالغ، ولو قلت سنه، لأنه حجة الله، ويجوز أن يحيط بعلوم الأئمة الغيبية، ولو كان صبياً، وتجوز عليه الأسباب المذكورة²... مثلاً جازت لمن سلف من حجاج الله الماضين ومن كانوا غير بالغين، واعتلو في ذلك بيحى بن زكريا، وإن الله أتاهم الحكم صبياً³، وأسباب عيسى بن مريم الذي نطق في المهد⁴، وبحكم الصبي يوسف آباء يعقوب⁵، وبعلم سليمان بن داود حكماً⁶ من غير تعليم.

ولا ينكر عامة الشيعة أن وحي السماء قد انقطع برسالة محمد، ولكنهم يجعلون علوم الأئمة من نوع الإلهام، وتسليد الخطى، بروح من عند الله، فقد أكد جعفر الصدق، وبقية الأئمة الإثنى عشر، علم الإمام الغيبي، ولا يتم له ذلك إلا بمشيئة الله، أو رغبة الإمام المقربون بالمشينة، فإذا اقتضت حكمة الله

١- نفس المصدر، ص 90-91.

٢- نفس المصدر، ص 89-90.

٣- قال الله تعالى: يا بحى خذ الكتاب بقوة وأنذره الحكم صبياً (سورة مريم: ١٢)

٤- وقل الله عن عيسى: ذلذلت إليه، فاللوا كيف نكلم من كان في العيد صبياً، قال بن عبد الله أتاني الكتاب وجعلنينبيا - سورة مريم: 28-29.

٥- وقال الله في يوسف: قلما دخلوا على يوسف، أوى إليه أبوه، وقال ادخلنا مصر إن شاء الله أمنين، ورفع أبوه على العرش، وخرزوا له سجداً، وقال يا أباي هذا تأويل رؤيتي، قد جعلها ربي حفلا... - يوسف: 99-100.

٦- وقل الله تعالى عن سليمان بن داود: وَدَاؤُدْ وَسَلِيمَانْ إِذْ يَحْكُمُنَّ فِي الْحَرَثِ إِذْ نَفَثْتُ فِيهِ غَمَّ الْفَوْمَ وَكَذَا نَحْكُمُهُمْ شَاهِدِينَ، فَهَمَنَاهَا سَلِيمَانْ، وَكَلَّا أَتَيْنَا حَكْمًا وَعِلْمًا - (سورة الأنبياء: 77-78).

أن يطلع الإمام على شيء أطّلّعه عليه، وإذا أراد الإمام أن يعلم الشيء أعلمه الله به. وسئل جعفر الصادق أتعلمون الغيب؟ فأجاب: يبسّط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنّا فلا نعلم، لأن العلم سرُّ أوحاه الله إلى محمد بواسطة جبريل، وأورثه محمد علي بن أبي طالب، وأودعه الأخير إلى الحسن والحسين، وانتقل منهما حتى وصل إلى المهدى المنتظر. فقال له السائل: أرأيت قول الله -جل ذكره- : "عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدٌ" فـ"أكمل الصادق الآية": "إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ" ¹. وكان محمد من ارتضاه الله، وأما قوله تعالى: "عَالَمُ الْغَيْبِ" فالمقصود به أن علم الغيب نوعان: علم غائب عن خلقه فيما قدره، وقضاءه في علمه، قبل أن يخلقه ويفضي به إلى الملائكة، وهذا العلم موقف عند الله، إن شاء قضاء، وإن شاء بذاته فيه أمر، فيغير في قضائه، والعلم الثاني هو الذي يقدر الله فيقضيه ويمضيه، وهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله، ثم انتقل إلى الأئمة². وهو مالا يقع فيه بداء.

وحمد الإمام الرضا (ت. 203هـ/819م) بصفة جلية - علوم الأئمة بواسطة الوحي، حين سُئل: جعلت فداك خبرني: ما الفرق بين الرسول والإمام، والنبي؟ فأجاب: الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل، فيراه ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي، وربما رأى الشخص ولم يسمع. والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص³. يعني أنه من نوع الهاتف الذي يطرق آذان بعض الأولياء، والصالحين زيادة عن الإلهام الذي يجري على ألسنتهم بدون

¹- سورة الجن: الآيات 26-27.

²- الكلباني: الأصول من الكافي: 1/256-257.

³- نفس المصدر: 82/1.

أن سمعوا شيئاً أو يروه، وبذلك يكون كل من الإمام، والنبي، يتلقى العلم من مصدر واحد هو الله، وإنما يختلفان في الوسيلة التي يتلقيان بها، فالرسول والنبي يتلقيان العلم بواسطة الوحي، ونزول الملائكة، وانقطاع ذلك بمحمد، لا يعني انقطاع نزول علم الله، لأن الله سدد خطى الأئمة بروح من عنده، قال تعالى: "وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان"^١. وأخبر الصادق أنه منذ نزول الروح على النبي ما صعد إلى السماء، وهو في الأئمة إلى يوم القيمة، فقد كان يخبر النبي، ويصدق خطأه، وهو من بعده يقوم بنفس الدور مع الأئمة، وليس المقصود به جبريل لقوله تعالى: "أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تُسْتَعْجِلُوهُ، سَبَّحَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرَكُونَ، يَنْزَلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ...^٢" . والروح غير الملائكة^٣. وهو أعظم عند الله منزلة من جبريل. ولهذا السبب فعلوم الأئمة ماض وحاضر ومستقبل، والمستقبل لا يعني في الواقع الأمر إلا العلم الغيبي، فقد روى الشيعة عن الرضا أن مبلغ علم الأئمة ماض، وحاضر، ومستقبل فالماضي مفتر وهو ما تقدم من علمهم، والحاضر مكتوب، وهو ما يأتيهم من الأخبار والقوانين مما يحيط بهم، أو بما هو بعيد عنهم. وأما الحادث أو المستقبل، فقذف في القلوب ونفر في الأسماع، والقذف في القلوب الهام، والنكت في الأذان، حدث الملك وأمره لهم، وأفضل علوم الأئمة، هو علم المستقبل، ولا يعني ذلك أنهم يدعون النبوة، لأنه لانبي بعد محمد^٤. وهذا العلم الإمامي بأنواعه الثلاثة، يشتمل

^١- سورة الشورى: الآية 52.

^٢- سورة التحل: الآية 2

^٣- الكليني: الأصول من تلقي: 1/273 - 275.

^٤- نفس المصدر: 1/264.

على أمور الدنيا والآخرة، كالشرعيات، والسياسات والأداب، ودفع الخصوم وغير ذلك، من كل ما يحتاج إليه الإمام، أما ما لم يحتج إليه فيجوز إلا بعلمه، وقد تظهر للإمام كرامات، وهي جائزة لدى أهل السنة - من باب كرامات الأولياء، ولكن بعض الشيعة غلواً، فزعموا أنها من قبيل معجزات الرسل والأنبياء، وأن الملائكة تهبط عليهم بالوحي، ولا يجوز أن ينسخوا لشرياع، أو يبتلواها لأنهم مكافون بحفظها، والقيام عليها، وتفسيرها للرعية لا غير¹.

وقد نسبت الشيعة لجعفر الصادق، علم الغيب، لما توافر عندهم، من وقوع كرامات كثيرة لأن البيت، استثار جعفر الصادق بأغليتها، إذ أخبر بأحداث قبيل وقوعها، فصدقت الأحداث أخباره مما جعل الشيعة يعتمدون عليها في نسبة علم الغيب إليه، وادعوا أنه ابتدع للاحتاطة بالغيب، علما يسمى الجفر، وأعد ضرباً من الحساب، والرموز، حين تستخدم، تتضح الحوادث المستقبلة المنظوية في ضمير الزمان. ومن هذه الحوادث التي أخبر بها جعفر الصادق، وبعض الأئمة، وأمعن الشيعة في الإفادة منها، نسبة علم الغيب إليهم، نذكر على سبيل المثال، ما ثبأ به علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، من مقتل زيد بن علي بكناسة الكوفة، وأن بني أمية يطألون الجبال لوطناتهم، وكل ذلك معدود في

- الأشعري: مذالات المسلمين: 117/1-118.

- الطوسي: رسالة في الإمامة، ص 21.

كتبهم^١، ولعنها الجفر والصحيفة ومصحف فاطمة، وبذلك تصبح هذه الكتب مصدر العلم الغيب لدى الشيعة.

وإذا صدقنا بهذا النوع من الكرامات، لبعض الأئمة والأولياء والصالحين، فإننا لا نصدق نسبة علم الغيب إلى البشر، لأنه يعد ضربا من الإدعاء الذي لا يصدقه العقل، ولا أدل على هذا من أن الأئمة أنفسهم، أنكروا نسبة علم الغيب إليهم، وطعنوا في كل مغال في حبهم، ولعنوه، من ذلك أنه جاء في بعض الروايات أن علي بن أبي طالب أحرق بعض أتباع عبد الله بن سبا لأنهم ادعوا نبوة علي وألهوه، وورد في بعض الروايات الأخرى أنه هم بحرافتهم، وسواء وقع الإحرق، أم لم يقع، فإن مجرد الهم به، يفيد نبذ الأئمة لأي نوع من الغلو وبراءتهم مما نسب إليهم. ولعن محمد بن الحنفية، وجعفر الصادق المختار بن أبي عبيد الثقي، لقوله بالحلول الإلهي في الأئمة، وإدعائه معرفة الغيب^٢. وقد نلتمس نكران الأئمة لما نسب إليهم من علم الغيب، من أحاديث الشيعة أنفسهم، فقد روى سدير "أنهم كانوا في مجلس جعفر الصادق، ينتظرون حضوره، وإذا به يخرج إليهم مغضبا، فما أخذ مجلسه، قال: يا عجبا لآقواما يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد همت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني بما علمت في أي بيوت الدار هي. فسألته (سدير) في هيئة المستغرب، كيف تقول

١- الأصفهاني: مقالات انتظاريين، ص 130 - 131، ابن خلدون المقدمة، ص 200، 334.

الدكتور علي الشابي، الشيعة في إيران، ص 94.

٢- التوبيخى: فرق الشيعة، ص 27 - البغدادى: انفرق بين انفرق، ص 38 - 41، 233 - ابن خلدون: المقدمة، ص 200.

الدكتور علي الشابي، مباحث، ص 53.

ذلك في أمر جارتك، ونحن ندرك أنك تعلم علماً كثيراً، ولا تنسبك إلى علم الغيب. فأخبرهم الصادق أنه كذلك كما وصفوا ولكن، لا يعرف علم الغيب، بالرغم عن كونه يفوق علم (أصنف بن بريخيا) صاحب سليمان الذي ورد ذكره في القرآن، بأنه يعلم بعض الكتاب¹، وأوْمَأ الصادق بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب كله سوا الله - عندنا².

ومع ذلك فقد أكد الشيعة على علم الإمام الغيبي، عندما قرروا، أن الله قد تفضلي مشيّته، إعلام الإمام بشيء منصرٌ في ضمير الزمان، وقد يتولّ الإمام إلى الله فيفيده بعلوم الماضي والحاضر والمستقبل³.

ويبدو من خلال هذا الاضطراب، في نسبة علم الغيب إلى الإمام، أو عدم نسبة إليه، مرور المذهب الإثني عشرى بأطوار مختلفة دعت علماء الشيعة إلى تعديل آرائهم في قضية علم الإمام، وغيرها من القضايا، وذلك عندما اصطدموا بأراء خصومهم من المذاهب الأخرى، كأهل السنة الذين انكروا أن يكون علم الأئمة محبطاً بأي نوع من أنواع الغيب.

وإذا كان علم الإمام غيبياً، في نظر بعض الشيعة، فهو ليس مكتسباً لأن هذا العلم يحتاج فيه إلى التعليم، بينما يعتبر الإمام حجة على الخلق، يلتجؤون إليه، ولا يلتجئون إلىهم، وليس علمه فطرياً فحسب - لأن الفطري وقف على البديهيات، وإنما هو علم لدني، شهودي، قدسي، وأنه إذا اختار عبداً من عباده، وأصلحه، وأودع قلبه بنابيع الحكمة، وألهمه أنعلم الهاما،

¹- قل نعاني: قل الذي عنده علم عن الكتاب، أنا أتيك به قبل أن يدرك إليك طرفك" (سورة النمل: آية 40)

²- الكتب: الأصول من إنكافي: 257/1.

³- نفس المصدر: 256/1 - 257.

فإنه لا يعي بعد ذلك في جواب، ولا يختار في وجه الصواب، بل هو مؤيد، موفق، مسدد، ملهم، قد أمن من الخطأ والزلل والعثار، وكان بحق مصدرًا موثوقاً به في معارف رعيته لغزارة علمه، ولوراثته لعلوم الأنبياء. وعلق أحد الآباء بحضره الصادق، أن هذا هو العلم. فأجابه: ليس هذا هو العلم، إن العلم هو الذي يحدث يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، مشيراً إلى أن العلم، ليس ما يحصل بالمساع، وقراءة الكتب، وحفظها، فذلك اكتساب بالتقليد، وإنما العلم الحقيقي ما يفيض من عند الله على قلب المؤمن يوماً بعد يوم، وساعة فساعة فينكشف به من الحقائق ما نطمئن به النفس، وينشرح له الصدر، ويتوهّر به القلب، ويتجلى به العالم فكانه ينظر إليه ويشاهده، وكان كل من الإمام الباقر، وابنه الصادق، إذا قرأ قوله تعالى: **إِنَّمَا** هو آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم^١. أو ما بيده إلى صدره. وبذلك استحق الأئمة أن يكونوا خزنة علم الله، ومصدراً لمعرفة أهل الأرض والسماء، فقد روى محمد الباقر أن الأئمة خزان الله في سمائه وارضه، لا على ذهب، ولا على فضة وإنما على علمه، وهم ترجمة على وحيه، والحجة البالغة على الخلق كافية.

ونسب لجعفر الصادق أن الله خلق الأئمة، فأحسن خلقهم، وصورهم فأحسن تصويرهم، وجعلهم خزان علمه في سمائه وارضه، ولهم نطفات الشجرة، وبعبادتهم عبد الله، عز وجل، ولو لاتهم ما عبد الله، وهم ولاة أمره، وموضع وحيه^٢.

¹ - سورة العنكبوت: الآية 48.

² - الكلبي: الأصول من الكافي: 1/ 193 - 192.

ويبدو أن الأئمة، في نظر الشيعة، ليسوا مصدراً لتعليم الإنسان فحسب، وإنما هم مصدر لتعليم الملائكة أيضاً، بينما يتفق الشيعة مع أهل السنة في أن الملائكة أجسام نورانية، مكلفوون بعبادة الله آباء الليل، وأطراف النهار، وهم رسله، ونبلة وحيه إلى آنبيائه، وروي أن جبريل نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم - مرة في هيئة السائل العارف بالجواب وقد أدرك الصحابة الحاضرون هذا الأمر، وأشاروا إليه، وفي هذا روى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذات يوم. إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر انسفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتنؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأل، ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإنسان قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيراً، وشره. قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتظاهرون في البستان. قال: ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي: يا عمر، أتدرى

من السائل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل، أنتم بعلكم دينكم^١. ومن ثم فلن يكون الأئمة مصدراً لعلوم الملائكة، لأن تلقيهم لذلك من خاتم الرسل محمد، أولى من تلقيهم من غيره من الأئمة، فهذا جبريل جاء من رب العزة، معلماً للمسلمين جميعاً، ولم يأت متعلماً.

ومع هذا فإن الشيعة لا يجدون حرجاً في جعل علوم الأئمة، متساوية لعلوم الأنبياء إن لم تفهم، ورووا أن العزم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وهو كلام لا يزال عند آل البيت، وما مات عالم، إلا خلفه من أهله عالم، له مثل علمه، أو ما شاء الله، وما مات عالم من هؤلاء فذهب علمه، لأن الأرض لا تبقى بغير عالم وحجة. وسئل محمد الباقر: يا ابن رسول الله، فأمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) أعلم، أم بعض النبيين ؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول، إن الله يفتح مسامع من يشاء، إتي حدثته، أن الله جمع لمحمد علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين ؟ ثم أضاف: أليس يقولون: إن علم علي، يساوي علم رسول الله ؟ فأجابه الشيعي: نعم، ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسول أحداً. فقال الباقر: فخاصصهم بكتاب الله، قال السائل، وفي أي موضع منه ؟ قال الباقر: يقول الله تعالى لموسى: أوكتبنا له في الألواح من كل شيء^٢. وقال عيسى: ولأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه^٣. بينما قال محمد:

١- رواه مسلم

٢- أولو العزم من الرسل خمسة هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهما السلام -

الكتابي: الأصول من الكافي: 1/224.

٣- سورة الأعراف: الآية 145.

٤- سورة الزخرف: الآية 63.

وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هُوَلَاءِ شَهِيداً^١، وَقَالَ لَهُ فِي نَفْسِ الْأَيَّةِ: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ^٢.

ونسب إلى الرضا، قوله: إن محمداً كان أمين الله في خلقه، فلما قبض
كان أهن النبیت ورثته، وأمناء الله في أرضه على علومه، وأحكامه،
ومعارفه، فعندتهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب، ومحل ولادة كل الناس
وموتهم، وهل سيموتون على الكفر أم على الإيمان. وإن شيعة آل البيت
لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آباءهم، أخذ الله على الأئمة وعليهم الميثاق،
يرذون موردهم ويدخلون مدخلهم، وليس على ملة الإسلام غيرهم، هم
المخصوصون بالفضل والكرم والسخاء، والأئمة أبناء الأوصياء، وهم أولى
الناس بكتاب الله، وبرسول الله، وهم الذين شرع لهم الله دينه فقال في كتابه:
شَرَعْ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَعِيسَى، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ، كِبْرٌ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ^٣.

وبذلك يظهر - لدى الشيعة - تفوق الأئمة على الأنبياء في علومهم،
باستثناء محمد فإنهم يساوونه في العلم. وقد نسب إلى جعفر الصادق قوله: لو
كنت بين موسى والخضر، لأخبرتهما أنني أعلم منهما، ولا ينبعهما بما ليس
في أيديهما، لأنهما أعطيا علم الماضي، ولم يعطيا علم الحاضر والمستقبل
حتى تقوم الساعة. وهذا أمر طبيعي عند الشيعة من حيث تأخر الأئمة زمنياً

^١ سورة الأنفال: الآية 89.

^٢ الكليني: الأصول من الكافي: 1/221-224.

^٣ سورة الشورى: الآية 13 - الكليني: الأصول من الكافي: 1/224.

عنهم وعن بقية الأنبياء، فيعلمون بسبب هذا التأخر الزماني ما لم يعلمه المنقذون. ولكن هل يعني ذلك أن المهدى المنتظر، ومن سبقه من الأئمة كالزضا والهادى والعسكري أعلم وأفضل من على ومن ريحانى رسول الله الحسن والحسين ؟ كما ورد وصفهما في صحيح البخارى^١، ولدى الشيعة أيضاً. ويحل الشيعة هذه المعضلة، في كون ترتيب الأئمة الإثنى عشر في الفضل، كترتيبهم في القرب من رسول الله - باستثناء القائم - يعني ذلك أن القائم أفضل من هؤلاء جميعاً. أما بالنسبة لعلم الأئمة فبائهم قد تساوا كلهم في درجه، لأنهم أوتوا علم الماضي والحاضر والمستقبل وتبعاً لهذا فلن يزيد علم آخر الأئمة عن علم أولئك^٢.

ويفسر النور المتنقل في أصلاب الأئمة، ورثة هؤلاء لعلوم الأنبياء، ولكن كيف يفسر تفوق الأئمة في علومهم على الأنبياء والرسول باستثناء رسول الله محمد ؟

يجيب الشيعة عن هذا الإشكال، بما يرونه عن محمد الباقي، أن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً وقد أوتي (آصف بن برخيا) صاحب سليمان - حرفاً واحداً، لما تكلم به، متوسلاً إلى الله بحق محمد، استجابة الله لدعائه، وخفف الأرض، ما بينه وبين "عرش بلقيس، ملكة سباً، حتى تناوله بيده ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفة عين^٣. أما الأئمة فقد أوتوا اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم. واستأنر الله بالحرف الثالث والسبعين، دون

^١- ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 100/8
وانظر كذلك باب: مذنب الحسن والحسين

^٢- أحمد محمود صبحى - نظرية الإمامة - ص 148.

^٣- سورة النمل: الآية 39-41.

بقية الأنبياء، والمرسلين، والأئمة وتفصيل ذلك، ما رواه الشيعة عن جعفر الصادق، أن عيسى بن مريم قد أوتي حرفين، وموسى أربعة أحرف وأبراهيم ثمانية أحرف، ونوح خمسة عشر حرفا، وآدم خمسة وعشرين حرفا، وجمع الله ذلك كله لمحمد وزاده عليه، فلوتني اثنين وبسبعين حرفا¹. ولكننا نلاحظ أن هذه الرواية الشيعية متناقضة مع ما ورد في القرآن الكريم، وبالخصوص في حق آدم، حيث علمه الله الأسماء كلها ولم يعلمه خمسة وعشرين حرفا، فحسب كما يدعون، قال الله - عز وجل - : «علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، فقال أبىؤونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أبىتكم بأسمائكم فلما أبأهم بأسمائهم، قال ألم أقل لكم أنني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تختمون»².

ويضيف الشيعة إلى تفوق الأئمة - في علومهم - على الأنبياء والمرسلين أسبابا أخرى، هي وراثتهم للوسائل التي منحها الله لهؤلاء الأنبياء، ومنها عصا موسى، وهي لا تزال لدى الأئمة خضراء كهيئتها حين انزاعت من شجرتها، وإنها لتنطق إذا استطعت، أعدت للإمام القائم، وتصنع بها ما كان يصنع موسى، وإنها لتخيف الأعداء وتلتف ما يألفون، وتصنع ما تؤمر به، بفضل شفتين أحداهما في الأرض، والأخرى في السماء، وبينهما أربعون ذراعا. ويمتلك الأئمة أيضا الواح موسى والطست

¹ - الكلباني: الأصول من الكافي: 320/1
² - سورة البقرة: الآيات 31 - 33

الذى كان يقرب به القرابين^١ وخاتم سليمان، وقميص يوسف الذى ألقى على وجه أبيه فارتدى بصيراً، وسيف رسول الله محمد (ذا الفقار) الذى أهداه إلى علي، ودرعه، ورايته المغالية^٢، والإسم الذى كان إذا وضعه رسول الله بين المشركين وال المسلمين، لم يصل إلى هؤلاء سهم من أعدائهم، ولم يصابوا بسوء. ومثل السلاح في الأئمة، كمثل التابوت في بنى إسرائيل^٣. ومع ذلك فلم ينتصر الشيعة على أعدائهم الأمويين والعباسيين، رغم وجود هذه الوسائل في حوزتهم، اللهم إلا أن يكونوا أنبوا استعمالها. وهذا أمر مستبعد بالنسبة لفينة من الناس، نالها من الضيم ما نالها، وهي تمتلك وسائل الدفاع، ثم لا تستعملها. ولكن قدامي الشيعة يصررون على وجود هذه الأسباب في حوزتهم، ومنها الجفر، وهو وعاء من جلد فيه علم النبيين، والوصيin، وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل. والجفر نوعان: الجفر الأبيض، وفيه زبور ناود، ونوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، وكل حلال وحرام. أما الجفر الأحمر فيه السلاح، وعلوم الحرب، ولا يفتحه الأئمة إلا وقت الاستعداد للمعارك^٤.

وإذا سئل الشيعة: عن سبب عدم استعمالهم لهذه الوسائل، للانتصار على أعدائهم، ومن افتئن منهم السلطة التي يرون أنهم أحق بها من غيرهم؟ أجابوا عن هذا وإضرابه، بأن ما اختصوا به من هذه الكتب، كشف لهم عن

^١- الطبت إلينا، القرابين: النباتات التي كل يقرب بها إلى الله، انظر تراثي مختار الصحاح، ص 392، 527 مادة (طبت) و(قرب).

^٢- رايته المغالية - عن الغيبة - انظر الكلبي: الأصول من الكافي: 1/233-3.

^٣- الكلبي: الأصول من الكافي: 1/231-238.

^٤- نفس المصدر: 1/239-240.

الغيب، وعن حكمته الله فيه. فالجفر مثلاً كان عبارة عن جلد ثور، مليءٌ علماً، فيه ما يسع لأهل البيت، من حرمان، وMais، وافتاك لسلطتهم الشرعية، وأن عليهم أن يصبروا على تعنت أعدائهم، لأنهم مستعدون لمطاولة الجبال لو طاولتهم، ومن ذلك ما صح، لديهم، عن جعفر الصادق، أنه كان يحذر بعض قرابتة من آل الحسن وآل زيد بن علي، ومن الخروج علىبني أمية، وبني العباس، وأن من ينهض منهم لمحاربة أعدائهم سيكون مأله القتل، لأن كل ذلك مسجل في هذه الكتب... فزيد بن علي، قتيل كنasse الكوفة في سنة 122هـ/744م). ويحيى بن زيد بن علي، قتيل الجوزجان في سنة 125هـ/743م). ومحمد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفس الزكية، قُتيل بالمدينة في سنة (145هـ/763م). وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، قتيل البصرة في نفس التاريخ (145هـ/963م)...¹

ولذلك يرى هؤلاء الشيعة، أن الوقت لم يحن بعد - للاستعداد للمعارك، واستعمال هذه الوسائل الموروثة، والانتصار على أعدائهم، ويكتفيون فخراً أنهم يمكنون آثاراً، بمثل هذه الأهمية، لا توجد عند غيرهم، وإذا كان عامة المسلمين يعتزون بالقرآن الكريم، باعتباره كتاباً لا يأبهه الباطل من بين بيته ولا من خلفه، وصالحاً لكل زمان ومكان، فإن الأئمة يعتزون، إلى جانب ذلك، بمصحف فاطمة، وهو يفوق في حجمه القرآن الكريم ثلاثة مرات ولكنه لا يحوي من قرائنا المعروفة حرف واحداً، إنما هو عبارة عن علوم اختص

¹- التوبيخات لفرق الشيعة، ص 65 - الكافى: الأصول من الكافى: 1/241.
الأسفهانى: مقالات لطلابين: ص 130 - 131، 258 - وانظر ما قبلها وما بعدها
الشيرستى: المسألة والتحل: 212/1 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل: طبع خلدون - المقدمة، ص
334، 200.

بها آية آل البيت، بها يعرفون ما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيمة، مهما كان عظيماً، أو بسيطاً، جيلاً، أو حقيراً.

ويبدو أن حصر الشيعة الإسم الأعظم، في ثلاثة وسبعين حرفاً، لا يتماشى مع علم الله، الموصوف بالعلم اللانهائي، المحيط بكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل.. ثم كيف يعقل، ألا يحجب الله عن رسوله محمد، وعن بقية الآيات غير حرف واحد؟ ومن أين للشيعة هذا الحصر للعلم الرباني؟ بينما يقول رب العزة: ألق لو كان البحر مداداً لكلمات ربي، لنفد البحر، قبل أن تتفقد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مداداً². وروى أبو ذر الغفارى في حديث قدسي: ... يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإن سكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسائلوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر...(*).

واظهر أن هذه الآثار الشيعية لم يقل بها إلاثنا عشرية -حسب- بل قال بها أيضاً غلاة الزيدية، فقد ذكروا أن كتاب الجفر، يعود في أصله إلى رأس انتطرف في المذهب الزيدى، وهو المغيرة بن سعيد العجلى³ (الذى ذكر في بعض المصادر الأخرى كمقدمة ابن خلدون، باسم هارون بن سعيد العجلى). وادعى العجلى رواية الجفر عن جعفر الصادق، وأن فيه علم ما سيقع لأنّ البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، كنوع من الكرامات والكشف الذي عرف به الصادق وبعض آل البيت ووقع لهم

- الكتبى: الأصول من الكافى: 239/1-240.

² سورة الكهف: الآية 104.

³ البغدادى: الفرق بين الفرق - ص 238- 240 - الشهريانى: المل وائل: 13/2 نbla لكتاب ابن حزم - الفصل.

ولغيرهم من الأولياء والصالحين. أما سبب تسمية بالجفر، فهو يرجع إلى اسم الجد الذي كتبه فيه العجلني، وهو يحتوي على تفسير باطني للقرآن، يلعب فيه التأويل التعسفي دوراً كبيراً، وتنظر في المعانى غريبة عن السياق القرآنى، ومع ذلك فإنه ينسب لجعفر الصادق.^١

وتنظر هذه الآثار الشيعية، من قبيل العلم الغيبى، الذى لا يستطيع أي عقل أن يصدقه، اللهم إلا إذا اعتمدناها، باعتبارها مروية عن آيمة ثقات كجعفر الصادق. ولكن لا يعد ذلك قوله فصلاً في هذه القضية، لأن التمسك صحة الحديث، من مجرد شهرة الرواى، وصدقه، وعدم تجريحه، يكون مدعاه للتقول عليه ثم إن هذه الكتب الشيعية لم تتصل روایتها، لدى أهل السنة، ولو صح سندها إلى جعفر الصادق، أو إلى غيره من الآيماء، لكان فيه نعم المستند، من نفسه، أو من روى عنه من آل البيت، لأنهم أهل الكرامات، وقد ذكرنا جانبها في تحذيرهم بعض الخارجين منهم على انسلاخة القائمة. وإذا كانت الكرامة تقع لغير آل البيت، فما بالك بهم علماً، وديننا، وأثارنا وقربنا من رسول الله، وسبقاً إلى الإسلام وتشهد على ذلك أصولهم الزكية، وفروعهم الطيبة، وهم أبراء من كل غلو ونطرف شبه إليهم، لأنهم لعنوا القائلين به. ولكن هذا الرأى رغم اعتداله، فإن الشيعة ينتظرون صاحبه متحاملاً عليهم ومتهمها بالكيد لهم.^٢

^١ - ابن خلدون: المقدمة ص 334.

^٢ - " الحديث النبوي رواه مسلم.

ابن خلدون: المقدمة - ص 334.

وقد فسر الشيعة الإثنى عشرية، ميراث الأئمة، لعلوم الأنبياء الغيبة، بانتقال النور في أصلاب الأئمة، واضطربهم ذلك إلى التعرض، إلى كيفية خلق هؤلاء جميعا. فحين أراد الله خلق آدم، أتيا الملائكة بقوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة. قالوا: أجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك. قال: إني أعلم ما لا تعلمنون".^١

وما يعلمه الله، ولم تعلمه الملائكة وقتها سفي نظر الشيعة - هو أن يخلق الله خلقا، ويجعل فيهم الأنبياء والمرسلين، والأئمة المهدىين، خلفاء على خلقه، وحججه على كونه، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويهدون إلى طاعة الله؟ فخلق محمدًا، والأئمة من مادة نورانية، قبل أن يخلق آدم، فكان هذا النور يرى على وجه آدم، ثم ورثه ابنه (شيث)، وأوحى الله إليه أنه خليفة، ووارث علمه، فأوصى آدم إليه، وسلمه الاسم الأعظم الذي أوتيه، وجعل كل ذلك في ثابت، دفعه إليه، وجمع أولاده وأشهادهم على أنه وصيه، وأمرهم أن يسمعوا له، ويطيعوا، وانتقل النور الإلهي من شيث إلى ولده، حتى آل الأمر إلى نوح، من أوني العزم من الرسل، وورثه بعده ابنه سام، ثم تسلسل العلم في أعقابه إلى هود، حتى وصل إلى إبراهيم، فعم الدنيا نور، لاحق بأعدان السماء، له إشراق وطنين، تهتز له الملائكة من حسه، مما حدا بإبراهيم، إلى مخاطبة رب العزة مستفسراً ربي وسيدي، ما رأيت لك خليفة، أحسن من هذه الخليفة، ولا أمة من أمم الأنبياء، هي نور من هذه الأمة، فمن

^١ سورة البقرة الآية 30.

هذا؟ فنفوذني: يا إبراهيم، هذا نور حبيبي محمد، أجريت ذكره قبل أن أخلق
سمائي وارضي، وجعلته نبأ.

وانتقل النور في الأصلاب ^{الأئمّة والأئمّة} حتى وصل إلى عبد المطلب،
فكأنّ نور محمد غرة في جبين جده، وهو الذي هزم به جيش إبراهيم، وفيه
وكان هذا النور يرى على جبين عبد الله والد محمد، وأعطا الله أمّة بنت
وهب، أمّ محمد، من هذا النور، والجمال، والبهاء، والكمال ما جعلها سيدة
قومها، وروي عنها أنها لما قربت ولادة محمد، خرج منها نور عالٌ، أضاء
ما حولها. ولما لم يعش لمحمد ابن يرث هذا النور الإلهي، حيث أنه ينتقل
في الأصلاب الظاهرة من أبي إلى ابن، فإن النور في عبد المطلب، قد انقسم
لـ ^{قتلين}، ونسب الشيعة لرسول الله قوله: ^{كنت أنا وعلى}، نورا في جبهة آدم
ـ عليه السلام ـ فانتقلنا من الأصلاب الظاهرة إلى الأرحام المصهرة الزكية،
حتى صرنا في صلب عبد المطلب، فخرجت من عبد الله، وخرج على من
أبي طالب، ^{وصدق الله عز وجل}، "الذي خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً
وصهراً، وكان ربّاً قديراً".

ويذهب الشيعة إلى أن مادة أرواح الأئمة من هذا النور الخالب الذي
بهر المخلصين، والمحبيين، فأمنوا به ليmana صادقاً، وقد أمن الملائكة من
قبل، حين انتقل النور إلى آدم، فلم يسجدوا في حقيقة الأمر لأدم، وإنما لهذا
النور، إلا إيليس أبي واستكير. وقد أمر الله آدم أن ينظر إلى قمة العرش،
فشاهد تلك الأجسام النورانية المقدسة، منعكسة في هذا القدس العظيم، كما

1- سورة الترقان: الآية 54 - السعدي: ثابت الوصية - ص 74 - 102 - 105 - 129 -
يوسف بن اسماعيل النبهاني - الأنوار المحمدية من المawahب اللدنية - ص 137 - 138.

تعكس صورة الوجه في مرآة صافية، فاحتوى العرش الإلهي انعكاسات الأجسام المقدسة، بذلك يؤمن خلص المؤمنين، ويُكفر أتباع الشياطين، يُليس وجلوده¹.

ولأسباب عديدة، ومنها تبحر بعض الأئمة في العلوم، دفع لهم اتباعهم، من أعلام الشيعة، هذه الصورة المثالية، المغفرة في المعرفة الغنوصية، وهي انمعروفة التي قامت عليها المذاهب المجوسية (الزرادشتيَّة، والمانوية، والمزدكيَّة)، في اصطافاتها فكرة التور، وانتسبت على هذه الفكرة، الديانة المسيحية، في اعتبارها عيسى كلام الله، وما زلت الأفلاطونية الحديثة، وهي تتكلم عن فكرة الهباء، ولذلك فقد جعل الشيعة اتباعهم ورثة لعلوم الأنبياء وإن علمهم غيبٍ، شهودٍ، قدسيٍ، وهو نكتٌ في القلوب، ونقرٌ في الآذان، والهَام، ورؤيا صادقة، ورفع مزار، وعمود، ومصباح، وعرض أعمال، وملك محدث². ولتوسيع هذا الأمر نذكر أن من خصائص التفكير الغيبي، القول بوحدة الوجود، ووحدة العالم، لا الإعتقاد، بتجزؤ موضوعاته، وغضاربه، على حد تعبير (بريراندرسل)³. ذلك أن عصمة الإمام قضية سياسية بحتة،⁴ اقتضت البحث في مصدر علم الإمام، ووجه اليقين فيه، وأضطرهم وصف أيّمتهم بالعلم الغيبي، وميراث علوم الأنبياء، إلى ذكر تفوق

1- النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام 2/168 - طبعة دار المعرفة - 1965.

2- التويختي: فرق الشيعة ص 89 - 90) الدكتور علي الشامي: الشيعة في إيران ص 94.

3- بفلا عن أحد محمود صبحي - نظرية الامة - ص 149.

Russel: Musticism and logic p 4

4- العلوسي: رسالة في الإمامة، ص 21 - مهدي بزرگن: الحد الماصل بين الدين والسياسة،

هؤلاء الأئمة، في جميع المعارف الإنسانية، وساعدتهم على ذلك ما شاع حول الأئمة - لدى معاصرיהם من أتباع وغيرهم - من شهرة في العلوم سواء أكانت شرعية، أم دنياوية تبدي من علي بن أبي طالب (ت. 40هـ/661م)، وإليه تنتهي. وذكر البغوي أن مبادعي علي على الخلافة أكدوا كلهم على استحقاقه لها دون سواه، لعلمه ولاحتياج الناس إليه، وعدم احتياجه إليهم، وبكونه أسبق الناس إلى الإسلام، وأعلمهم بالله، وأولى المؤمنين منهم بأنفسهم، له مالهم، وليس لهم ماله، وأنه زين الخلافة، وما زانته، ورفعها، وما رفعته، لأنه وصي الأوصياء، ووارث علوم الأنبياء، وهو الشجاع الذي شهد له كتاب الله بصدق الإيمان، وبشره الرسول بجنة الرضوان. فاكتملت فضائله، واجمع الناس على علمه، وعذله، وشنته في الحق، وشهرته في ميدان القضاء بين المتناقضين، وإليه يرجع الفضل في حل معضلات الأمور، وتقديم الرأي والنصيحة عند الاستشارة، وقد اتفق على ذلك أهل السنة والشيعة، حتى قال عمر بن الخطاب: "أفضلية ولا أحد حسن لها".¹

واعتبر علي مستشاراً للخلفاء الراشدين الثلاثة (أبي بكر، وعمر، وعثمان)، يرجعون إليه في القضايا المستحدثة، بقدر ما أحدث الناس من فجور، وبقدر ما داخل المجتمع الإسلامي من تطور بسبب الفتوحات التي صحت شرق البلاد وغربها، ولم يكن هؤلاء الخلفاء في الواقع يخسرون علياً بالمشورة دون غيره، وإنما كانوا يستشيرون كل من اشتهر من صحابة رسول الله بالفتوى والعلم، ولكن الشيعة ينسبون إلى النبي قوله: "أفضلكم علي". وقوله: "أنا مدينة العلم وعلى بابها"، وقول علي يصف نفسه: "علمني

¹ - البغوي: التاریخ الكبير: 2/125-126.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألف باب من العلم، فانفتح لي في كل باب ألف باب¹.

ويتناول أهل السنة هذه الأحاديث الشيعية بالنقد، ويؤكدون في الأنفس، أن عمر بن الخطاب أعلم من علي، مع اعترافهم بفضل الأخير وعلمه، وفي هذا المجال يرون من طرفهم الصحيحة ما أخرجه البخاري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "بِنَمَا أَنَا نَاهِمُ شَرْبَتْ - يعني اللبن - حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرَّيْ يَجْرِي فِي ظَفَرِي، أَوْ فِي أَطْفَارِي، ثُمَّ نَاهَتْ عُمَرٌ، فَقَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ؟ قَالَ: الْعُنْمُ". وعلق ابن حجر على هذا الحديث، بأن المراد بالعلم هو سياسة الناس بكتاب الله، وسنة رسوله، واحتضن عمر بذلك لطول مدة في الخلافة بالنسبة لأبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة لعثمان، لأن مدة أبي بكر كانت قصيرة، فلم تكثُر فيها الفتوح، التي هي من أعظم الأسباب في نشأة الاختلاف، ومع ذلك فقد ساد عمر الناس، ورغم طول مدة في الخلافة، لم يخالفه أحد للبن في غير ضعف، وشدته في غير عنف، وازدادت الفتوحات اتساعاً في عهد عثمان، فانتشرت الأقوال، واحتضنت الآراء ولم يتطرق لها ما اتفق لعمر من ضوابط الخلق، فنشأت بسبب ذلك الفتن، إلى أن أفضى الأمر إلى علي، مما ازداد الأمر إلا اختلافاً، وما ازدادت الفتن إلا انتشاراً².

- الإربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة: 130/1-134 - ابن حجر: فتح الباري 69/8-

75 - باب مناقب علي

- الحطي: منهاج الكرامة: ضمن المتنقى من منهاج العبدال لأبي نعيمية ونلخص الحافظ الذهبي ص 496.

- ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 43/8-44 باب مناقب عمر بن الخطاب.

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : "لقد
 كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد، فإنه عمر" ، وعن
 أبي هريرة أيضاً أن رسول الله قال: "لقد كان فيمن كان قبلكم من بني
 إسرائيل، رجال يكلمون، من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم
 أحد فعمر" . ويعني بالمكلم، الرجل الصادق للظن، وهو من ألقى في نفسه
 شيء من قبل الملائكة الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به، وبذلك يجري
 الصواب على لسانه من غير قصد، وقد تكلم الملائكة لبلوغه درجة الولاية
 والصلاح، حسب الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، قيل: يا
 رسول الله، وكيف يحدث؟ قال: "تتكلّم الملائكة على لسانه" . ويرى ابن حجر
 أنه من المتحمّل أن يكون المحدث هو الملهّم بالصواب الذي يلقى على فيه،
 وإن لم ير مكلماً، وهذا يعني الشك في صحة تكاليم الملائكة للإنسان وسماعه
 صوتها، ويؤكد هذا صحة حديث الرسول، "إن الله جعل الحق على لسان
 عمر وقبه" ^١ . وإنما ذهب إليه الشيعة، من العلم الغيبى للأئمة، يصبح
 مفترقاً، مما نسبه أهل السنة، إلى عمر من العلم والفضل، ولكنه سفي الواقع
 نوع من الصلاح، والولاية، والإكرام، الذي يخص الله به، من يصطفى بهم من
 خلقه لاستعدادهم إلى الخير، والتقوى، والمعروف.

وذكر ابن سيرين أن عامة ما ترويه الزرافضة عن علي، وفي علي، هو
 من قبيل المختلق، وخاصة تلك الأقوال المشتملة على مخالفة الشيوخين، أما ما
 روي عن علي فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، فهو مقبول، ما لم يجرح

- ابن حجر: فتح الباري: 49/8 - 50 باب مناقب عمر بن الخطاب

الراوي، فقد روى ابن سعد بإسناد صحيح عن ابن عباس، قال: 'إذا حدثنا نفحة
عن علي بفتحها لم نتجاوزها'.^١

ومع هذا، فإن الشيعة يتمسكون بأفضلية علي، وعلمه، دونسائر
الصحابة وبأنه مصدر كل علم. فعلم الكلام، من صنع الأشاعرة، والمعترضة
والشيعة والخوارج، وهو لاء أشهر الفرق التي بحثت في هذا الفن، وأتمتهم
بنسبون إلى علي بن أبي طالب، ويعتبرون أول من
خاض في علم الكلام، وأنهم يمثلون، في الآن نفسه، الطبقة الأولى للمذهب
الاعتزمي، وانفق على ذلك إلاث عشرية، والزيدية على حد سواء.^٢

أما الأشاعرة فهمائهم أبو الحسن الأشعري (ت. 330هـ/942م)،
وكان تلميذه لأبي علي الجباني (ت. 321هـ/933م)، وكان الجباني في
نظر الأربلي - ينسب إلى علي بن أبي طالب. وأما الشيعة فانسبهم إلى
علي بن أبي طالب، ظاهر، ويعتبر من البدويات التي لا تحتاج إلى دليل.
وأما الخوارج فأكابرهم، ورؤساؤهم تلاميذ لعلي، بالرغم من افتراقهم عنه
بعد التحكيم، وقد كانوا قبل ذلك من أنصاره.

وإذا كان علماء الإسلام، وأئمة علم الأصول، ينسبون إلى علي، فكفي
 بذلك - في نظر الشيعة - دليلاً على غزارته عنده. وأقصى المطالب في علم
الأصول، علم التوحيد، والعلم بالقضاء والقدر، والعلم بالتبوة، والعلم بالمعاد
والبعث، والأخرة، وكلام علي يشهد بمنزلته في العلوم، ومعرفته بها، وبلغه

١- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 8/75 باب مناقب علي بن أبي طالب

٢- الأربلي: كشف النقمة: 1/131 - ابن المرتضى: المتنية والأمل في شرح العلل والنحل:
مخطوط مصور بدار الكتب المصرية - النقل عن أبي زهرة: الإمام زيد - ص 41 - 42 وعن
بدوي: مذاهب الإسلاميين: 1/40 - 41.

فيها ما تعجز الأوائل والأواخر عن مضاهاته، فمن تدبر معاني كلامه، وعرف مواقعه علم أنه البحر الذي لا يساجل، والبحر الذي لا يطأول'.

وعلى عالم بالفرائض، وقد حدَّ النبي على تعلمها، فقال: تعلموا الفرائض، وتعلموها، فإنها نصف العلم، وهو أول ما ينزع من أمتي".

وبرز علي على أقرانه في علم القرآن، وأخذه عنه ابن عمِه عبد الله بن عباس، أما القراءات فإمام الكوفيين فيها عاصم، وقراءاته مشهورة في الدنيا، وهو تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي، وأبو عبد الرحمن هذا تلميذ علي، وعلى أخذها عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وأما النحو فقد اكتشفه علي، وعلمه لأبي الأسود الدؤلي. وعرف علي إلى جانب ذلك بالبلاغة والفصاحة، ومن أراد البرهان - في نظر الأربلي -

فعليه (بنهج البلاغة).

وأما عدم تصفية الباطن وتركيبة النفس، فقد أجمع أهل التصوف من أرباب الطريقة، وأصحاب الحقيقة، أن انتساب خرقهم إليه، ومعولهم في سلوك طريقهم عليه. وأما علم التذكير بأيام الله والتحذير من عذابه، فالمقتدى به في ذلك أحسن البصري، وكان تلميذاً لعلي، وبذلك كان شرفه وفخره.

وأما علم الزهد والتورع، فقد كان في الصحابة جماعة من الزهاد، كأبي اندرداء، وأبي ذر الغفاري، وسلامان الفارسي، وكانتوا كلهم تلاميذ لعلي، اقتدوا به، واهتوا جميعاً بسنة رسول الله محمد. وأما علم مكارم الأخلاق وحسن الخلق، فإن علينا بلغ فيه الغاية القصوى حتى قال عنه أعداؤه - حسب

الأربلي - فيه دعاية، وأنه أمرؤ تلعاية¹. ومن جملة من وصفه بالدعابة عمر بن الخطاب، عندما ذكر له اسم علي كمترشح للخلافة بعد عمر، ولكن البعقوبي الذي أورد الخبر، لم يشر إلى عداوة عمر لعلي كما ذكرها الأربلي²، الذي برر سهولة أخلاق علي بأنها كانت نوعاً من السلوك الخاص، الذي كان يعتمده مع ذوي الدين، وصالحي المؤمنين، وأما من كان غير هؤلاء، فإنه كان يولي غلظة وشدة طلبنا لتأديبه، ورغبة في تعزيزه وتأنيبه، عملاً بقوله تعالى: *فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يَحْبَهُمْ وَيَحْبُونَهُ أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ*³.

وإلى جانب شهرة علي بن أبي طالب بالعلم، فقد اشتهر بذلك أيضاً بعض الأئمة الإثني عشر، ونخص بالذكر منهم محمد بن علي الباقر (119هـ/737م) الذي ما لقب بالباقر إلا لأنه بقر العلم، واطلع على أسراره، وكان متضلعاً في الفقه والحديث والكلام. كما أن شهرة جعفر الصادق، قد فاقت شهرة أبيه محمد الباقر في العلم، فعرف بخصاله الزكية، وتضاعف في الفنون والعلوم، من فقه، وكلام وحديث، وتصوف، وفلسفة، وكمياء، وعلم بالأسرار والرموز، وإليه ينسب الفقه الشيعي، فيقال الفقه الجعفري، حتى اعتبر انموذج عصره، واستحق أن يتوج إماماً في قلوب الشيعة، يهتدون بهديه، واستقطب اهتمام الغلاة والمعتدين من الشيعة، وتأسي به أهل السنة لما عرف من علمه وفضله، واعتبر عندهم، العالم الورع،

1- الدعاية: انتراج، وامرؤ تلعاية: كثير المزاح والدعابة - انظر الأربلي: كشف الغمة: 130/1-134.

2- البعقوبي: التاريخ الكبير: 110/2 = 111.

3- سورة المائدah الآية 54 - الأربلي كشف الغمة: 1/134.

والمحدث النقة، ولكنهم لم يصدقوا ما نسب إليه من أخبار شيعية مغفرة في المعرفة الغنوصية، مؤكدين براءته منها، وأنها من وضع الغلاة إلى جردة أنها انطلت على المعتلين منهم، فصدقها، وأضحت من ضروريات مذهبهم، ومن أركان تدينيهم. وجعلت هذه الشهرة جعفر الصادق يملاً الدنيا ويشغل الناس، في عصره، وفي الأزمنة اللاحقة، وترك تأثيره في أجيال متعاقبة. ولذلك بعد الدور الكلامي والفقهي - عند الشيعة - قد اكتمل في عهد جعفر الصادق، وأن الإمامة الروحية قد انغرست في قلوب الإثنى عشرية بفعل تأثيره^١.

تلك هي بعض الأسباب التي ساعدت، على نسبة الشيعة لأيمتهم العلم الغيبي، فاندفعوا يرسمون لهم حالة من المثالية، والمعارف الغيبية الغنوصية، جعلتهم يبدون لدى أتباعهم محظيين بشتى أنواع الفنون، لا تغيب عنهم شاردة، ولا واردة، وهو لطف من الله بعيده، إذ لو تركوا وشأنهم بدون إمام ينصف مظلومهم من ظالمهم، ويرد حيرتهم وشكهم بما أوتي من معرفة إلهية، لضلوا، وناهت عقولهم، وغشيتهم جهالة جهلاء فادتهم إلى سوء المنقلب. وعلى هذا الأساس فالإيمان اصطفاهم الله تعالى بكتابه، وأورثهم علم أثرياء، وأطعنهم على أسرار الكتب السماوية المنزلة على رسle، فكانوا بشراً وخلقاً نورانيين، ومكثهم الله من معرفة اللغات التي نزلت بها هذه الكتب، ولذلك فلن يختاروا في جواب، ولن يقولوا أبداً: لا أدرى، وهم يشبهون في علمهم، وصلاحهم، وظهوره أنفسهم اسكندر ذا القرنين وهو العبد الصالح

- الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر: 205/2.

- الدكتور علي الشلبي: الشيعة في إيران، ص: 86-97.

الذى سد على ياجوج وماجوح، وقيل انه (فورش الكبير)، كما يشبهون أيضاً (اصف بن برخيا) صاحب سليمان، و(يوشع بن نون) صاحب موسى، ومع ذلك فالآئمّة ليسوا أنبياء - في نظر الشيعة - ويكرهون أن يقول فيهم أحد هذا القول¹، بالرغم من كونهم معدودين لديهم - أعلم منهم، ويعرف إلاثا عشرية بأن الرسول صلى الله عليه وسلم - ورث علم الأنبياء السابقين، ويقررون أن الآئمّة ورثوا علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك فهم يخصّون الآئمّة بعلوم غيبية لا تناول.

وإذ كان الآئمّة يحيطون بكل هذه العلوم الغيبية، فهم لدى الشيعة مصدر معارف كافة الخلق، ونفهم أن يتوجهوا إليهم بالسؤال، ولكن ليسوا مطالبين بالجواب عن كل ما يوجه لهم من الأسئلة، كنوع من التقى، أو كنوع من إدراكهم لحكمة الله الذي كشف لهم أسراره، مما جعلهم يعرفون متى يحيطون؟ وكيف يحيطون؟ ولماذا لا يحيطون؟ ولا يأبهون باحتاج من احتج لأن الرعية مطالبة بطاعة الآئمّة، وليس عليها أكثر من ذلك، وهم الأدرى بمصالحهم منهم بأنفسهم، ولذلك استحق الإمام علي وبقية الآئمّة أن يكونوا أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم². ومن ثم فدور الإمام دور سياسي، قبل أن يكون دورا دينيا، لأن السياسي هو الذي يدرك مصالح الرعية قبل إدراكها نصالحها بنفسها، نظرا لاطلاعه على بواعظن السياسة وخلفياتها، والحكمة من تصرفه تصرفات سياسية معينة، ربما تبدو للرعية غير مطابقة لمداركهم

¹ الكافي: الأصول من الكافي: 1/228 - 5 - 1/268.

² نفس المصدر: 1/211 - 212.

- الحنفي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ضمن (المتنقى من منهاج الاعتدال) لابن تيمية وتلخيص الحافظ الأذهبي، ص 343 - 345

المحدودة، وهو الوحيد الذي يعرف مواجهة الأحداث، بمعنى؟ وكيف؟ ولماذا؟ والخلاصة أن للناس معارفهم الضاربة في أكباد الحقيقة. وللرعيّة معارف متداولة، يتحكم في رواجها بينهم عباقرة السياسيين في العالم، لمصلحة لا تدركها أبصارهم، ولا تبلغ فهمها أفكارهم.

وكذلك الشأن بالنسبة للأئمة الإثني عشر ونوابهم. إنهم لدى الشيعة - أهل الذكر الذين وردوا في القرآن الكريم، وفيهم قال الله تعالى: «فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»^١. ونسب إلى جعفر الصادق أنه فرأ هذه الآية، وأوْمأ بيده إلى صدره فائلاً: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، وروي عن الرضا أنه قال: على الشيعة أن يسألوا الإمام، وليس على هؤلاء الجواب، فإن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا أمسكوا، وذلك بصربيح القرآن: «وما كان المؤمنون ليتفرقوا كافة فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا أرجعوا إليهم، لعلهم يذرون»^٢. ولو كان الإمام يجيبون أتباعهم عن كل مسألة، لتكلّم عليهم الأوامر والتواهي، لكثرتها، ولتشددهم في الدين فإن الله قد يشدد عليهم، فيعجزون عن الاستجابة، ويطبق عليهم آنذاك قوله تعالى: «فإن لم يستجيبوا لك، فاعلم أنها يتبعون أهواءهم، ومن أضل من اتبع هواه»^٣.

١- سورة النحل: الآية 43.

٢- سورة التوبه: الآية 123.

٣- سورة القصص: الآية 50 - الكثيني: الأصول من الكافي: 211/1 - 212 - 228 هـ -

هـ - 5 الحلي: سهاج انكرامة - ضمن المتنى من منهج الاعمال، لابن تيمية، وشخيص

الحافظ الذهبي - ص 343 - 345.

ويبدو أن تمعن الأئمة بحرية الجواب، أو الإمساك عن أسئلة الأنبياء، هو نوع من الذكاء الذي تعمده أقطاب الشيعة، يجنب هؤلاء الأئمة الوقوع في مصيدة انعزال، جواباً عن بعض الأسئلة الغيبية أو الصعبة، لأن ادعاءهم باحاطة أيمانهم بكل فروع المعرفة وأنهم لا يقولون لا أدرى، ولا يختارون في جواب، هو أمر يخرج عن حدود الطاقة البشرية. وهذا ما يراه أهل السنة في أيمانهم، وكونهم مهما أتوا من علم، فهم بشر، قد يتوقفون، وتشكل عليهم بعض المواقف، ويرجعون سائلتهم إلى فرصة أخرى، ليتمكنوا من المراجعة وإفادتهم بالجواب الصحيح.

ومما يدخل في نطاق علم الأئمة -الثانية عشر- الغيبي القول بالبداء. وهو مشتق في اللغة من فعل بدا، أي ظهر الشيء عندما كان خفياً. وقد يفيد الشك فيما ظهر، وعدم بلوغه درجة اليقين الذي لا يتطرق إليه الريب. أما في الإصطلاح فإبداء هو ظهور ما كان خفياً من الفعل لظهور ما كان خفياً من العلم بالمصلحة وتوضيح ذلك فيما ينسب للإمام جعفر الصادق (ت 148هـ/766م) أنه أعلن ولادته إسماعيل بن جعفر من بعده، فلما توفي إسماعيل في حياة أبيه، سئل الصادق: هل من عقائد الشيعة، أن يعلم الإمام غيب السموات والأرض؟ وإذا كان يعلم، فلماذا أخبرنا بولادة إسماعيل، ونم يتحقق ما أخبرنا به؟ فلجانب الصادق: إن الله بدأ له في إمامية إسماعيل، أي أن الله بدأ له أن يموت إسماعيل، ولا يكون إماماً. ومن ثم تصبح إمامية إسماعيل دالة في نطاق البداء، لتغير مشيئة الله¹. ويكون البداء من

- 1- التوبيخ: فرق الشيعة - ص 66- 67 - الجرجاني: التعريف من 24 - مادة البداء -
الرازي: مختار الصحاح للجوهرى ص 44 - مادة بدء

الأوصاف التي ربما تتصف بها أفعال العباد الاختيارية، من حيث صدورها عنهم بالعلم والإختيار، وهم لا يريدون شيئاً من أفعالهم الاختيارية إلا حسب مصلحة تدعوهم إلى ذلك الفعل، تعلق بها علمهم، وربما يتعلق علمهم بمصلحة. فيعملون على تحقيقها وتتنفيذها، وقد يتعلق علمهم بمصلحة ثانية توجب خلاف المصلحة الأولى، فيصبح غرضهم مخالفًا لما كانوا يريدونه من قبل. وهذه المصلحة الثانية هي التي يطلق عليها الشيعة الإثنا عشرية، اسم (البداء)، أي أنه قد ظهر لهم، ما كان خفياً عنهم من العلم بالمصلحة، ثم توسعوا في الإستعمال، فأطلقوا البداء على ظهور كل فعل، كان الظاهر خلافة، فيقال: بدا له أن يفعل كذا، أي ظهر من فعله ما كان الظاهر منه خلافه^١.

وبرهن الشيعة الإثنا عشرية على وجود البداء وصحته بدليل فلسفى، يتمثل في كون وجود كل موجود من الموجودات الخارجية، له نسبة إلى مجموعة عليه التامة، المعتبر عنها بالعلة الدالة في ذاته، والمكونة له، والتي يستحيل معها عدم الشيء، وبالتالي يتحتم وجوده بالضرورة، كما أن له نسبة أخرى خارجة عن ذاته اقتضت علاقته بها وجود الشيء، حسب توفر شرط، وعدم وجود موانع، فإذا وجدت الشرط، وعدمت المانع، تمت العلة التامة، ووجب وجود الشيء، وإذا انعدم الشرط أو وجد المانع، لم يوجد السبب القاضي دورة، وحدث التأثير المانع لوجود الشيء، وعندئذ يصدق البداء... ومن المسلم به - لدى الشيعة الإثني عشرية - أن علم الله - عز وجل - بالموجودات والحوادث، مطابق لما عليه في الواقع، وأنه تعالى علم

^١ - الكليني: الأصول من الكافي: 1/46 كتاب التوحيد بباب البداء.

بالأشياء من جهة علتها التامة، وهو العلم الذي لا بدء فيه أصلاً. وله علم بالأشياء من جهة مقتضياتها المتوقفة على وجود الشرائط، فقد الموانع، وهو المراد بقوله تعالى: يمحو الله ما يشاء ويثبت وحده ألم الكتاب^١. ونسب إلى جعفر الصادق قوله: 'وهل يمحو الله إلا ما كان ثابتاً، وهل يثبت إلا ما لم يكن'^٢.

وهذا البرهان الشيعي عن البداء، مقتبس، في حقيقة الأمر، من مسألة القضاء والقدر ودور الإنسان فيما، إلى جانب ما سبق في علم الله تعالى - من أمور ستفعل، ومن أمور أخرى سيكون وقوعها على طريقة معينة من بين حالات كثيرة، حسب اختيار العبد وكسبه، وحسب ما سبق في علم الله تعالى ولكن الأمر الذي لا يعترف به أهل السنة، هو قضية البداء عند الشيعة، وكونه من أصناف علوم الأئمة الغيبية، حيث أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وهو الذي استأثر بذلك وحده، دون كافة الخلق، بما فيهم رسلاه وأنباؤه، وهم أقرب عباده إليه، وما دعوى البداء التي يقول بها الشيعة، إلا وسيلة لتبرير ما نسبوه لآية، من تبؤ بالغيب، خالقه الواقع، فالتجوزوا إلى البداء حتى لا يخهروهم أمام العامة، والخاصية، في هيئة المتناقضين، مع ما ادعوه ورؤجواه عن أيمنهم الأبراء من كل ما نسبوه إليهم من أمور غيبية، لا تمت إلى الواقع بصلة. ومع ذلك، فإن الشيعة يررون عن أيمنهم، أخباراً كثيرة، في امتداج البداء وفضله، ومنها أن الله ما عبد بشيء مثل عبادته بالبداء. وما عظم الله بشيء مثل تعظيمه بالبداء. ولو علم الناس ما في القول بالبداء من

^١- سورة الرعد: الآية 39.

^٢- الكلبي: الأصول من الكافي: 1/146-147 - كتاب التوحيد بن البداء - 11.

الأجر، ما فتروا عن الكلام فيه. وما تنبأ نبئ أو رسول فقط، إلا اشترط عليه قبل أن يقدر هذه المسؤولية، الإقرار بخمس خصال: بالبداء، والمشينة، والسجدة، والعبودية، والطاعة.

والبداء - عند الشيعة - يضاهي النسخ، فمثلاً يكون النسخ في الأعمال، يكون البداء في الأقوال. ورووا عن الإمام الباقر أن العلم علمن: علم مخزون عند الله لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته، ورسله، وأيمنته، فما علمهم إياه فإنه سيقع، وعلم مخزون عند الله، خاص به، يقدم منه ما يشاء، ويؤخر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ومنه يكون البداء. ونسب إلى جعفر الصادق، أن ما بذله في شيء، إلا كان في علمه قبل أن يبدو له، ولا يمكن أن يبدو له أمر بسبب جهل، لأنه من صفات البشر، وهو تعالى منزه عن ذلك.

ونسب إلى الرضا، أن الله ما بعث نبياً قط، إلا بتحريم الخمر، وأن يقر الله بالبداء. وروى الشيعة عن علي بن أبي طالب، أن الله عالم، وشاء، وأراد، وقدر، وقضى، وأمضى. فامضى قضاءه، وقضى ما قدره، وقدر ما أراده، فبعلم الله كانت المشينة، وبمشيئة الله كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضاءه كان الإمساء، والعلم متقدم على المشينة، والمشينة ثانية، والإرادة ثلاثة، والتقدير واقع على قضاء الله وأمسائه، فله - عز وجل - البداء فيما علم، متى شاء، وأراد، لتقدير الأشياء. وما قدره من قضاء سيمضيه، فلا بداء فيه "وهو المبرم من المفمولات، ذات الأجسام المدركات بالحواسن، من ذوي لون، وربيع، وزن، وكيل، وما ذب، ودرج، من أنس وجن، وطير، وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواسن". والبداء يقع

فيما لم يعيته الله لمخلوقاته، فإذا وقع التعين فلا بدء، والله يفعل ما يشاء،
فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشينة عرف صفاتها، وحدودها، وأنشأها
قبل اظهارها، وبالإرادة ميز نفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر
أقوانها وعرف أولئك وأخرين. قال تعالى بعد خلقه للأرض: "وقدر فيها
أقوانها، في أربعة أيام، سواء للسائرين"^١. وبالقضاء أبان للناس أماكن الأشياء،
ودلهم عليها، وبالإضفاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير الله عز
وجل^٢.

ولذلك شرع الله البداء، لحكمة ارتضاها، وفائدة ارتاها، بما يصلح حال
عبدة، ومن أجل هذا فقد اختلف الأئمة، في الأقوال، والأحكام، ونسخها
بالنسبة إلى الرعية، لأنهم أطباء النفوس والأرواح، وحالهم فيها كحال أطباء
الأبدان لمصالحها، ول المناسبة مزاجها، وبيان فسادها، ومواطن صحتها، فهم
الأدرى بأحوال الخلق ومصالحهم، ولهم أن يتصرفوا بما يرون من مفيدة لهم،
طبقاً لمشينة الله، وما بذله نحو خلقه في الأقوال والأفعال^٣.

ونلاحظ أن التناقض يكتفى أراء الشيعة حول البداء من كل جانب،
وإلا فبماذا نفسر ثوابيهم، أن ما أعلنه الله لمخلوقاته، من رسول، وأنبياء،
وآيات، لا يقع فيه بداء؟ وكيف ينسجم هذا مع ما تدعوه الشيعة، من أن جعفر
الصادق، أعلن ولالية ابنه اسماعيل، فلما توفي في عهد أبيه، قال: بدا الله إلا
يكون اسماعيل إماماً. وكيف يبدو الله في أمر، كان قد أعلنه لأحد آياته، قبل

^١- سورة فصل الآية ٩.

^٢- الكثيني: الأصول من الكافي: 146/١ - 149 كتاب التوحيد بباب البداء.

^٣- علي بن الفضل الجيلاني: توفيق التطبيق - ص 29 - 30.

أن يظهر فيه بداء^١؟ أليس هذا مخالفًا لما قررته الشيعة في البداء وأنه لا يكون إلا فيما كان في علم الله قبل أن يعلمه لعباده؟^٢

يبدو أن هذا التأويل الشيعي فيه نوع من السفسطة، أو ما يمكن أن نطلق عليه: من باب ذر الرماد في العيون، لتعتيم الحقيقة، وتحويل الأنظار عنها، برأء كثيرة، لمعنى لا يستحق كل هذا الاستغراق، لبساطته، وعدم انسجامه مع الواقع. وليس للشيعة من وراء ذلك أيضًا غاية، إلا محاولة تبرير هذا التناقض، الذي شاب علم الإمام الغيبي، ولو أنهم تمكنا في عهودهم الأولى من ممارسة السلطة السياسية، لما كانت لهم أمثال هذه الآراء الغيبية في النوصية، والعصمة، والمهديّة، وعلم الأئمة، والبداء، ولما كان لهم أي ضرب من هذه الرموز، والأسرار، كالاسم الأعظم، والصحف الخاصة بالأئمة، وكل ما أدعوه لهم من أمور ورثوها عن الأنبياء^٣.

ولو كان هذا رأي الشيعة القدامي فحسب، لهان الأمر، ولكننا نجد من الشيعة المعاصرين من يتبني القول بعلم الإمام الغيبي، كمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، وسيد حسين نصر، والسيد هاشم معروف الحسيني، وعبد الله فياض... حيث يدعون إحاطة علم الإمام بكل جليل ومحير من الأمور، حتى ما يعد منها من البساطة بمكان، وأن لا اجتهاد، ولا تقليد، ولا قياس ولا إجماع، إلا للإمام المعصوم، لما ذكر من صفاته التي تحول دون وقوعه في أي نوع من الأخطاء، لأن مدعى الإجماع، يكون حاكيا لقول المعصوم بلا

١- الكلبي: الأصول من التكفي: 146/1 - 149 - كتاب التوحيد - باب البداء

٢- التوخيتي: فرق الشيعة، ص 66 - 67.

٣- ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص 171 - 174.

واسطة، وقد يكون من توابه، وكل ذلك بفضل النور العتقل في أصلب الأيماء، فيكون الإمام مصدر كل وحي وأساس كل تفسير باطنني، ومصدر كل علم، وظهوره وتفوي، ومن هنا كانت الشيعة تسمى النبي وفاطمة والأئمة الاثني عشر بالطاهرين الأربع عشر، واقتضت حكمة الله أن يرث ولد واحد الإمامة عن أبيه، لأنه لا يمكن أن يحمل مشعل نور النبوة، في داخله، إلا إمام واحد وانعلاقة التي تربط إماماً بأخر ليست علاقة قرابة، أو صلة رحم فحسب، بل هي علاقة روحية، ترتكز على انتقال هذا النور من إمام إلى آخر، وبه يكتب العصمة، والعلم الإلهي ويحظى بالسلطة التي تجعل منه الحفيظ على الشرع، والشارح له، والمصدر لمعارف رعيته¹.

ومن ثم يكون الشيعة الاثنا عشرية، قد خصوا الإمام، ومن يقوم مقامه من التواب بالاجتهد دون سائر علماء الأمة، بينما لا يقصر أهل السنة الاجتهد على شخص بعينه، وإنما هو صفة عامة وعمل مشترك بين كافة علماء المسلمين، ممن توفر فيهم شروط الاجتهد... وإلى مثل هذا الرأي تقريراً يذهب الزيدية، إلا أنهم يقمعون اجتهدائهم، على اجتهد غيرهم من علماء المسلمين، وهو تقديم يعد سفي الواقع - صوريًا اقتضنه ضروريات المذهب، وهم على استعداد لكي يأخذوا من اجتهد غير أئمتهم، ويعملوا به، إذا كان ذلك موافقاً لشروط الاجتهد ويخدم مصلحة المسلمين².

1- آن كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها - ص 117122، حسين نصر الإسلام حفظه وأهدافه، ص 150 - 152 - هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية، ص 193 - 208، عبد الله قياض: تاريخ الإمامية، ص 137 - 153 - الخبئي: الحكومة الإسلامية ص 84.

2- الأشعري: مقالات المسلمين: 1/141 - التوبخى: فرق الشيعة - ص 61 - أحمد بن يحيى المرتضى: شرح الأثراء: ٤/١٧ - الدكتور علي الشابي - الشيعة في إيران، ص 120.

وإلى جانب هؤلاء الشيعة المحدثين، الذين يتمسكون بالرأي السلفي لعلم الإمام الغيبي، يجد بعض المتكلمين المعاصرين منهم حرجاً شديداً في الدفاع عن هذه العقائد أمام خصومهم، ولذلك فقد أقبلوا على تأويل هذه المواريث الغيبية المنسوبة للأئمة، تأويلاً يجعلها قريبة من العقل والواقع، وفي هذا المجال ذكر شيعي معاصر هو عبد الحسين شرف الدين، حين سأله سني، هو شيخ الأزهر سابقاً سليم البشري في (الثالث الأول من القرن 14هـ / الثالث الأول من القرن 20م) عن حقيقة مصحف فاطمة فأجاب: لما فرغ علي من جمع القرآن - بعد وفاة النبي - ألف لسيدة نساء العالمين كتاباً كان يعرف عند أبنائها الطاهرين بمصحف فاطمة، يتضمن أمثلاً وحكماء ومواعظ، وعبرات وأخباراً، ونواتر، توجب لها العزاء، عن فقد سيد الأنبياء إليها، وألف بعده كتاباً في الديات اسمه (الصحيفة)¹.

ويعتبر هذا التأويل مقبولاً من الناحية العقلية، والذوق السليم، فيما يتعلق بمواريث الأئمة. غير أن الدكتور أحمد محمود صبحي، قد أخذ عبد الحسين شرف الدين لأنه لم يذكر من أين استقى هذا التفسير. وليس ذلك - في الواقع - بأمر ذي باع، لأنه قد يكون اعتمده كنوع من الاجتهاد الشخصي، والظاهر - وهو الأقرب إلى الصواب أنه أخذه عن الكثيني ولم يخرجه على عادة بعض الكتاب، فقد عثرت على ما يناسب هذا المعنى في (أصول الكافي) عند حديثه عن مصحف فاطمة، ومواريث الأئمة الغيبية².

1- عبد الحسين شرف الدين - المراجعات - ص 292 - ثلا عن صبحي: نظرية الإمامة - ص 154.

2- الكثيني: الأصول من الكافي: 1/238- 240 كتاب الحجة - باب فيه ذكر الصفحة والجفر والجامعة، ومصحف فاطمة.

أحمد محمود، صبحي - نظرية الإمامة - ص 154.
520

ومهما كان هذا التأويل صوابا في إقناعه، أو غير صاحب، فإنه لا ينسينا أن هذه العقائد الغبية والشيعية، ما هي إلا رد فعل، ونوع من التعويض، المعبر عن حرمان أصحابها من ممارسة السلطة السياسية، والحال أئمَّا يرون أنفسهم أولى بها من غيرهم، لقربتهم من رسول الله، بالإضافة إلى أسباب أخرى ذكرناها فيما سبق من دراستنا هذه. أضف إلى هذا أن اضطهاد الخصوم للشيعة أتاح لخيالهم أن يشتط، فيصور لهم أيمتهم أفضل من عامة المسلمين، ويغوضهم بالسلطان الروحي، ما فدوه من سلطة فعلية زمنية، وتكون لهم مملكة الناطن، بدل مملكة الظاهر لأعدائهم، ويحيط إمامهم بكل علوم الدنيا والأخرة، ويجري الله الحق على لسانه، فلا يلزم الله حكما من الأحكام إلا إذا أطعن عليه الأئمة، ووافقت مشيخته مشيختهم، وبذلك أمكن التعويض عن حرمان الشيعة، بتخييل الأئمة يمكنون الأرض والسماء وما فيهما، وما عليهم، وهم في الواقع لم يحكموا، ولم يملكو إلا فترة بسيرة في عهد علي بن أبي طالب، لم يذق فيها طعم الاستقرار. ولأجل هذه الأسباب فإننا نجد من علماء الشيعة المحدثين، من أنكروا علم الإمام الغيبي من أنسنه، مقتربين في ذلك من أهل السنة والإباضية، معتبرين علوم الأئمة، مستمدة من الكتاب والسنة، ومن تضليلهم فيهما، ومن هؤلاء تذكر الإمام موسى الصدر، إمام الطائفة الشيعية في لبنان¹، الذي لا يعترف بكون الإمام مرجعا في تفسير الرموز القرآنية، ولا كاثفا لبواطن الحكم بالإرث العلمي

¹- هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية - ص 15 - 24 من مقدمة الإمام موسى الصدر -
 وانظر ص 86 - 102.

عن النبي، ولا قيما على كتاب الله، ولا حقيقة نروية ملائكة يوحى إليه، لأن الوحي قد انقطع برسالة محمد، وليس الإمام ولامة على المسلمين، تكون من نوع لب النبوة وحقيقةها، وإنما هي ولامة بمعنى السلطة، لتكوين المجتمع الإلهي، الذي هو الطريق الوحيد لتربية المسلم تربية كاملة. وليس الإمام مسؤولية إدارة باطن الشريعة. وقد قرر الإمام موسى الصدر، هذا الرأي التجدددي الجريء، في المذهب الإثني عشري، وذلك في معرض رده على المستشرق الفرنسي (هنري كوربان) في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية). الذي صور فيه العقيدة الشيعية بأنها عقيدة غبية، حسب ما يتبدى من مصادرهم، وبين موسى الصدر، أن الإمام الإثني عشري، هو المثل الكامل الذي يقتدى به في الدين والدنيا، في قوله وفعله، في فكره وعواطفه وأخلاقه وأدابه... وهو مقام خطير لا يبلغه إلا الأفذاذ من البشر، بعد التجارب الصعبة، والجهاد المتواصل، مع توفر الإستعداد لكل ذلك. أما رأي الإمام في تفسير القرآن فهو الرأي المفضل لإدراكه المثالي، لمعاني كلام الله، حيث أنه يحمل انترات العلمي الديني عن رسول الله الذي قال في الأئمة: 'مَنْ أَهْلَ بِيَتِي كَمَثُلَ سَفِينَةٍ نَوْجٍ، مِنْ رَكْبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرَقَ'.

وليس علم الأئمة بمعنى العرفان الغنوسي (Gnose)، كما يفسره (هنري كوربان) بالعلم النبوي، وإنما العلم في نظر موسى الصدر - يؤخذ من باب مدينة العلم، وهو علي، الذي قام بدوره العلمي أحسن قيام، فروى النصوص، وعلم ما كان يعلمه لأبنائه الأئمة، ولأنباعهم، ولكن من حاول أن يستلهم عليه من المسلمين، وقد روى الأئمة الإثني عشرية، هذه الكنوز الإسلامية، ونقلوها نقلًا متواتراً متصلًا عن علي، عن رسول الله، وهم

يفهمون النصوص القرآنية والسنّية فهما نموذجياً إسلامياً، ويطبقون المبادئ العامة على الموضوعات الحديثة، تطبيقاً دقيقاً، حتى أصبحت كلماتهم حجاً تتطابق على ما وصفهم الرسول به من كونهم أحد تقليله (الكتاب والعترة آل البيت) في أمته.

ويجب الا ننكر أن رأي الإمام موسى الصدر، رأي تجدیدی في العقيدة الإثني عشرية، ولكنها على كل حال، تجدید لا يخرج عن نطاق المذهب المذكور، من إقرار للأئمة بالأفضلية، والوصية، والعصمة، والرجعة، والمهدية، والتفقة. وهو تجدید يوقيعه في تناقض مع مذهبه، لأن إنكاره للمعارف الغربية الشيعية يجبره على اتخاذ موقف واضح من الأحاديث الشيعية التي أفضت في ذكر علم الإمام الغيبي، ومن ثم فإنما أن يعتبر موسى الصدر هذه الأحاديث صحيحةً وعندما يكون لا معنى لهذا الرأي الجريء الذي أطلقه، أو أن يعتبرها موضوعة، فيسلم رأيه من التناقض، وتتصدّع عقيدته، ولكنه استطاع أن يقف في ذلك موقفاً وسطاً، دل من خلاله على ما يمر به من معاناة لنقرير هذا الرأي، وأية ذلك أنه حين رد على (كوربان) في قضية الباطن التي نسبها للشيعة، صرّح أن الكلام حول هذا الموضوع ذو شجون، ولكنه يعترف، في الآن نفسه، أن في كتب الشيعة كما في كتب غيرهم، أحاديث يشتم منها رائحة الباطنية بوضوح، وأحاديث تدل على معالاة وغيرها، ولكن الباحث المنصف والمتأمل في إسنادها، يكتشف عدم صحة هذه الأحاديث وضعفها.

ويضرب موسى الصدر بذلك مثلاً، بكتاب الكافي، أشهر كتب الحديث الشيعية، ويعرف أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة، وأن كتب الرجال قد تناولت

نقد أسانيده، ونقد سائر أحاديث الكتب الشيعية المعتبرة، وأسانيدها، وطمأن القارئ إلى اختلاق الكثير من هذه الأحاديث، ومن بينها تلك الأحاديث التي تبحث في عدد الأيماء الإثنى عشر، وتذكر أن اختيار هذا العدد هو لكونه عد أبراج السماء، وعدد الشهور، وعدد الينابيع المتجردة بعضاً موسى، وعدها كلها اثنا عشر، وتعتبر هذه الأحاديث في نظر موسى الصدر - من أوضح المخالفات، حسب ما استفاده من الكتب الناقلة، والشارحة للكافي، ولغيره من كتب الحديث الأخرى^١. وعلى كل فابن ممارسة الشيعي الإثنى عشرية السياسية حالياً جعلهم يقتربون من واقع المسلمين العام وينقدون تراثهم...(*).

ويبدو من خلال هذا النقد، أن علاقة المذهب الإثنى عشرى بالعقيدة الغيبية، والمعارف الغنوصية، هي علاقة دخيلة، أضافها الأتباع تعبراً عن شعورهم بالحرمان من السلطة السياسية وتعويضاً لما نالهم من الإضطهاد على أيدي أتباعهم.

هذا هو رأي الإثنى عشرية في علم الإمام، أما الزيدية فإنهم قد رفضوا أي نوع من أنواع المعارف الغيبية للأيماء، ولم يعترفوا بمبدأ البداء الذي قرره الإثنى عشرية. وروى الزيدية في مسند ينسب لزيد بن علي، أن علي بن أبي طالب حدث فقال: ورثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابين، كتاب الله تعالى، وكتاباً في قراب سيفي. قيل: يا أمير المؤمنين، وما

^١- نفس المرجع - ص 28 - مقدمة الإمام موسى الصدر.

(*) وذلك منذ الثورة الإسلامية التي قادها الإمام آية الله الخميني سنة 1979 م وقيام الحكومة الإسلامية في إيران إلى يوم الناس هذا في القرن 21 م.

الكتاب الذي في قرابة سيفك؟ قال: من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، فعليه لعنة الله^١.

وزوبي في المسند المذكور عن جعفر الصادق، أنه وجد في قرابة سيف رسول الله: من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، أو آوى محدثاً، فلا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على رسوله^٢.

ومن ثم يبدو، أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لا كتاب غيره، لدى الزيدية وهو الداعي إلى الحق، وقف الظلم، والإقرار بولاية الإمام الشرعي. وما دام الزيدية يقولون بإمامية المفضول مع وجود الأفضل، فإن هذا الإمام الشرعي قد يكون من آل البيت، وقد يتقدم عليه غيره من لا ينتسب إليهم لمصنحة راعوها، وقاعدة دينية ارتأوها^٣. ولهذا فإن الزيدية لا يدعون وجود كتب أخرى في حوزة أمتهم تصاهي ما ادعاه الإثنى عشرية، من مصحف فاطمة، والجفر، والصحيفة الجامعة، وغيرها من الآثار الأخرى التي ورثوها عن الأنبياء، ويعتبر الزيدية ميراثهم الوحيد عن رسول الله هو القرآن الكريم، أما الكتاب الثاني الذي أشار إليه علي بن أبي طالب فهو كتاب محاري، يعني به الحق، والنعل، وطاعة، أولى الأمر. وليس يعنيها صحة هذا الحديث المشوب إلى علي، بقدر ما يعنيها أنه وثيقة تشهد على الفارق، بين علم الإمام الإثنى عشرى الغيبى، وعلم الإمام الزيدى الواقعى. وما ذلك

١- زيد بن علي: المسند، ص 457

٢- نفس المصدر وانصفحة هـ ٢.

٣- التوبختى: فرق الشيعة، ج ١٦.

الشهريانى: المثل وانحل: 1/209-208 هامشًا على كتاب ابن حزم: الفصل

إلا لأن الزيدية قد حكموا بعدم عصمة الإمام، وأقاموا منهجهم الاستدلالي على خلافها، واستلزم هذا، طلب صفات ممكنة، وواقعية في الإمام، تختلف تمام الاختلاف، عما اتصف به إمام الإثني عشرية، من عصمة، وسمو إلى أفق غيبى، تصر دونه الأفهام، وتتحقق به مطامحهم، عند رجعته بعد غيبته الطويلة، لميلاً الأرض عدلاً وانصافاً، كما مثلت جوراً وظلماً، ولذلك فعلم إمام الزيدية، هو علم ليس بالأزلي، ولا بالسري، وليس هو بالقدسي ولا بالنذري، ولا خفاء فيما يعلم الإمام، ولا غيبة تجل أفهمه، وتجعل ما يدركه من هذه الرموز الغبية فسراً عليه دون غيره، إلا إذا شاء الإمام أن يشرح بعض هذه الأسرار الإلهية لرعيته. ولذلك فعلم الإمام الزيدى هو علم عادى، كعلوم بقية الناس، يعتمد على طلب العلم، والجد والاجتهد فيه، وطول المثاقفة للمعارف، ومجالس العلماء والتلمذ عليهم، والكرع من مناهيلهم. وبهذا الأمر وحده، يستطيع الإمام الزيدى أن يتعمق في أسرار الشريعة، وأصول الدين، بالإستفادة من المعارف المتاحة للجميع، ومن قضايا التاريخ الذي يعرفنا بأنفسنا، أضف إلى هذا أن علم الإمام الزيدى يقوم أيضاً على الاستفادة من أوضاع المجتمع الذي ينتمي إليه الإمام، ومن أوضاع المجتمعات العالمية، حتى يستطيع أن يدرك مطالب أمه ومشاغلها، بالقياس إلى موقعها في المجموعة الإنسانية، والدور الذي تقوم به، طبقاً لسنة التطور التي باركتها الإسلام، وحتّى عليها في قوله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" ^١.

١- سورة إنعام: الآية ١١ الدكتور علي الشابي: مباحث: ص 124 - 125.

ولذلك فقد رفض زيد بن علي، علم الأئمة الغيبي، الذي يزعم أصحابه أنه يتلقى بدون مدرن، ومطالعة كتب، وللتدليل على صحة رأيه هذا، أقبل زيد على تنفي العلم من جميع المصادر، فقد كان أبوه زين العابدين، وأخوه محمد الباقر، على عقيدة رجال الحديث في مسألة العدل والتوحيد، وعنهما أخذ العلم.

كما ذكر ابن أخيه جعفر الصادق الذي كان على عقيدة أهل السنة والجماعة في قضية الجبر والاختيار، وسافر زيد لطلب العلم من المدينة إلى البصرة... ومن أكبر تلاميذ زيد هشام بن الحكم، وكان من أشد أعداء المعتزلة، بالرغم عن كون زيد بن علي، يعتبر حلقة الاتصال الحقيقة بين المذهب الاعتزالي، وأئمة أهل البيت، مما يكشف عن ميزات القائد المثالي التي يتحلى بها زيد كالسماحة، والإيمان بضرورة حرية الرأي في العلم، والعقيدة ليقع إثراء الأفكار البناءة، ونعم المنفعة، وتتطور الأمة الإسلامية، وكان اتصال زيد برأس المعتزلة واصل بن عطاء الغزال، معبرا عن رغبته في الإطلاع على آرائه الكلامية، ولم تكن علاقته به علاقة تلميذ بأستاذه، وإنما كانت علاقة مذكرة، وتبادل رأي، مع علم زيد أن واصل يعتبر أحد الغريقين من أصحاب الجمل وأهل الشام، أو أصحاب علي، مرتكبا لكبيرة ولا تجوز شهادتهم بعد افتائهم - على درهم¹، مما دعا إلى تقسيم البيت العلوي إلى قسمين، بتلاحيان بالألفاظ أحيانا، قسم مع زيد بن علي، وقسم مع محمد

1- التوبيختي: فرق الشيعة، ص 19-20

الباقر، ثم مع ابنه جعفر الصادق¹ وكل ذلك يوضح صفات زيد القيادية القائمة على حرية الفكر، وبروزها في الآن نفسه - رغبته في تلقي العلم من جميع المذاهب، ليكون أهلاً لإمامية المسلمين، ولبيرهن لمعتقداته مذهب الرفض، أن علم الإمام، علم عادي، يتلقي بالدرس، والمطالعة، وتبادل الرأي، وليس علماً غبياً، شهودياً، قدسياً.

ذلك هي ميزات علم الإمام الزيدية، وهو العلم الواقعى الذى أدركه زيد ودعا إليه، ونفى من أجله الصفات الغيبية التي أسبغها الإثنا عشرية على إمامهم، مما جعلهم يرفضونه، ويتخلىون عنه، وهو في حاجة أكيدة إليهم فأطلقها زفراة عالية: فعلوها حسينية².

ولكن لم يبق الزيدية بعد زيد بن علي، موسومين بالاعتدال، فقد غدوا كالرافضة في خلوتهم، وطعنهم على الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول (أبي بكر وعمر، وعثمان) رضي الله عنهم - والتمسوا الأدلة التقليدية التي اعتمدتها الرافضة كحجج على شرعية ولاية أيمتهم بالرغم عن براءة زيد منهم، ومن هذه الأدلة ما روي في مسند زيد بن علي، منسوباً إلى رسول الله كقوله: يا علي، إن الله قد غفر لك، ولذرتك، ولشيعتك، ولمحبك شيعتك، فابشر فإنك النزرع البطرين، منزوع من الشرك، مبطنون من العلم. وقوله: "... من كثت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاده، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وقوله: يا علي، لو لاك ما عرف المؤمنون بعدي

¹ - ابن المرتضى: المتنية والأمل، ص 20-21 نقلًا عن الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: 165/2-166.

² - الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 500/5-501 مطبعة الاستقامة بالقاهرة

وقوله: إذا كان يوم القيمة، نوديت من بطنان العرش نعم الأب، أبوك
ابراهيم، ونعم الأخ، أخوك علي بن أبي طالب¹... .

وأضحت علم الإمام الزيدى غيباً، شبيها بعلم الإمام الإثنتي عشرى،
ونسب غلة الزيدية هذا العلم الغيبى لزيد بن علي، من ذلك ما رواه علي بن
محمد بن عبيد الله العنوى (النصف الأول من القرن الرابع الهجرى، العاشر
الميلادى) عن النهادى الإمام الزيدى اليمنى (ت. 298هـ/911م) أنه نقل عن
زيد بن علي أن الإمام من ولد الحسن والحسين... عالم بحال الله وحرامه،
تحتاج إليه الأمة ولا يحتاج إليها². يعني أن علمه محيط بكل شيء، وأن
تعلمته بدون درس، وطلب علم، وإنما يوحى من الله ولذلك فلن يكون في
حاجة إلى الرعية بل هم في حاجة إليه، لأنهم لن يستطيعوا أن يبلغوا درجته
العلمية مهما اجتهدوا، وانقطعوا إلى الدراسة.

وبيني النهادى الأحقية السياسية لعلي بن أبي طالب، بعلاقة الدم وصلة
الرحم الرابطة بين النبي وبين آل البيت، وعن طريق العلم الخاص الذي
يعطيه النبي لوصيه، وادعاته أن الآئمة يعلمون الغيب، وأن هؤلاء الأوصياء
يتمتعون بغمض علم الأنبياء، والإطلاع على خفي أسرار الرسل وإحاطتهم
بما خص الله به أنبياءه، حتى وجد عندهم من ذلك ما لم يوجد عند غيرهم من
أهل دهرهم، مما خص الله به أنبياءه، وأنقى إليهم من مكنون علمه وعجائب
فروائده، مما أوصى الله به إليهم ومما لا يوجد أبداً عند غير الأوصياء، مثلاً

¹ - الإمام زيد بن علي: المسند: ص 456-457

- النهادى يحيى بن الحسين - كتاب الأصول فى ثديين - مخطوط ق 104.

² - علي بن عبيد الله العلوي: سيرة النهادى يحيى بن الحسين، ص 28-29.

كان يوجد عند وصي موسى وعند وصي عيسى، ومثلاً وجد عند وصي محمد، علي بن أبي طالب، وبه استطاع أن يجيب الجاثيق^١ عن مسألته، وما كان عنده من علم كتاب الجفر، وما عنده من علم ما يكون إلى يوم القيمة، مما أطلع الله عليه نبيه، وأطلع عليه وصيه، ولم يعلمه عن الرسول غيره^٢. وعلى هذا الأساس فإن قول النهادى بحصر الإمامة في أبناء الحسن والحسين، كأنما يقتضى احتكار هذا العلم المتواتر في بعض ذرية علي، وهو رأى ينماشى مع ما ذهب إليه الإثنى عشرية في قضية علم الأئمة من آل البيت، ويختلف عنهم في مسألة حصر هؤلاء (الإثنى عشرية) الإمامة في أبناء الحسين دون أبناء الحسن.

ومما يدل أيضاً على أن علم أئمة الزيدية، أصبح علماً غبيباً، باطنياً، شبيهاً بعلم أئمة الإثنى عشرية، هو أن السرخوبية^٣ أو الجارودية من الزيدية اعتبروه علماً محظياً بجميع المعرفة الدينية والأخروية، فالحرام حرام آل البيت، والحلال حلالهم، والأحكام أحكامهم، وأنهم قد ورثوا علم النبي وعندهم جميع ما جاء به، وهو كله منتقل بينهم، عند صغيرهم وكبيرهم،

^١ هو راهب نصراني، وقد بدأ به وفضة، يسأل لمن الأمة الإسلامية، وخليفة رسول الله عن مسألة فتن أجيته أسلم، وأعطيه المال، وإن لم يجده عاد أدرجه بما عنده، وكان ذلك في عهد خلافة أبي بكر، وتدعى الشيعة أن أصحاب رسول الله الثلاثة، (أبي بكر، وعمر وعثمان) عجزوا عن الجواب، ولكن علي بن أبي طتب أخذ الموقف بالتجنوب لمحظوظ عن مسألة الجاثيق، لما أتي من العلم الريانى، فلسلم الراهب على يديه وأعطيه المال الذي جاء به، وانخبر المسلمين أنه فرأى في الإنجيل أن عيناً وصي رسول الله، وما برع الراهب مكانه، حتى فرق عنى المال على الفقراء من أهل المدينة - (انظر: الطبرسى: الاحتجاج: 317/1 - 308).

^٢ النهادى بحوى بن الحسين - مسألة اثبوا - مخطوط (ضمن مجموعة) ق 80 - 82.

^٣ نسبة إلى الجارود، ولقبه الباقر يربخوا، وعني به أنه شيطان أعمى يسكن البحر، ولغلوه وكف بصره، اعتبره أعمى القلب أعمى أبصار - التوبختى - فرق الشيعة، ص 59.

والصغير منهم والكبير في العلم سواء، لا يفضل هذا على ذاك، سواء أكان في المهد أم كان أكبر، أم أصغر، ومن لم يعتقد هذا الرأي، فهو سفي نظرهم - كافر، مشرك بالله. ولا يحتاج أئمة الزيدية أن يتعلموا من أحد منهم، أو من غيرهم، لأن العلم ينبع في صدورهم، كما ينبع الضرع المطر، وقد علّمهم الله بنطّافه كيف شاء^١.

أما سبب غلوهم هذا، فيعود إلى كراهيتهم أن يستدروا الإمامة إلى بعضهم دون بعض، وبذلك يكونون قد تناقضوا مع قولهم: إن الإمامة صارت فيهم جميعاً، وهم فيها شرع سواء. ويُفتَّن التوبيخى دعواهم هذه في علم أئمتهم، مستدلاً بعدم روایتهم عنهم علماً ينفع به، إلا ما زروه عن محمد الباقر وجعفر الصادق وأحاديث قليلة عن زيد بن علي، وأخباراً يسيرة عن عبد الله بن الحسن، أما ما سوى ذلك، فيعتبره التوبيخى دعوى كاذبة، نوصفهم أئمتهم بأوصاف عز نظيرها، كعلمهم كل شيء تحتاج إليه الأئمة، في أمر دينها ودنياهما، ومذاقها ومضارها من غير تعلم^٢.

ويكشف هذا النقد عن كراهيته التوبيخى للغلو، كما يكشف أيضاً عن اختلافه مع الزيدية في المذهب، حيث إنه اثنا عشرى، ولذلك فعلم الزيدية الغير مروي عن الباقر وهو من أئمة الزيدية والإثنى عشرية، وعن الصادق وهو معدود من أئمة الإثنى عشرية، أما علم الزيدية اليسير فمروي عن علي، وعن ابن عميه عبد الله بن الحسن، وهما معدودان من أئمة الزيدية.

١- التوبيخى، فرق الشيعة، ص 60.

٢- نفس المصدر، ص 60-61.

ولبان التوبختي عن حقيقة هامة، هي أن الأصل في سائر فرق الزيدية الاعتدال، لأنهم لم يحصروا العلم في أيمتهم، وإنما اعتبروه مبئوثاً، مشتركاً فيهم، وفي عامة الناس، وهو بينهم سواء ويجوز أن يأخذ الزيدية العلم عن أيمتهم، أو عن بقية علماء المسلمين، مما يحتاجون عليه في دينهم ودنياهם، فإن لم يجدوا عندهم، أو عند غيرهم ما هم في حاجة إليه، فيجوز للناس أن يجهذوا، وأن يأخذ الزيدية منهم هذا الاجتياهاد، سواء أكان مصدره أيمتهم أم غيرهم¹.

ويؤكد هذا الرأي الثاني، أن المذهب الزيدى كان موسوماً بالاعتدال منذ عهد زيد بن علي، وبعد فترة من مقتله (122هـ/740م) لعلها لم تتجاوز حياة الصادق. ومن مظاهر اعتدال المذهب الزيدى، نكرانه للبداء، فقد ثبت عن زيد بن علي أنه كان يرفض الوصبة والعصمة والمهدية والتقية وعلم الأئمة الغيبى والبداء. وقد أنكى المنفورة بن سعيد العجلي سرغم تطرفه في آرائه الزيدية على جعفر الصادق، قوله بالبداء، في قضية إمامية ابنه اسماعيل².

وما أدى إلى مقالته البترية والسليمانية من الزيدية (أصحاب كثير النوعي الأبقر وسليمان بن جرير) فأنكرروا البداء والتقية. واعتبروا أئمة الرافضة قد وضعوا لشيعتهم مقالتين، لا يظهرون بهما إمامهم، على كذب أبداً، أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التقية، وتوضيح ذلك أن أئمة الرافضة، أحلو أنفسهم من

¹- التوبختي: فرق الشيعة، ص 61-62، أحمد بن يحيى المرتضى: شرح الأثرهار 2/1-17.

²- نفس المصدر: ص 66-68 - التوبختي فرق الشيعة.

شيعتهم، محل الأنبياء من الرعية، وادعوا العلم بالماضي والحاضر
والمستقبل، وأخبروهم ببعض المغيبات، فإذا صدق الواقع ما أخبروا به،
ازداد تجھیم أئمّة اتباعهم، مؤكدين أن علمهم من قبل الله، وهو يشایه تعليمه
لأنبيائه، وأن العلاقة التي تربطهم بالله، هي نفس العلاقة التي تربط الأنبياء
به سبحانه وتعالى، وإذا كذب الواقع ما أخبروا به، لأنّوا بدعوى البداء، وأن
مشيئة الله أرادت ذلك لمصلحة لا تدركها الرعية¹.

ولكن الأمر الذي لا شك فيه، أن جعفر الصادق بريء من هذه
النّثرات المنسوبة إليه، وما هي غلام من صنع خيال الإتباع المغالين، تأكيداً
لعلم الأئمة الغيبي، فلما خالف الواقع ما كانوا يتصرّفونه، لجؤوا إلى هذه
البدعة المعروفة بالبداء.

وبإذا كانت ممارسة السلطة السياسية للشيعة الاثني عشرية، حالياً،
والتي حرموا منها قرروا عديدة، أعادهم للاعتدال العقدي للواقع الإسلامي
العام، فإن أئمّة الزيدية المعاصرین قد عزلوا من هذه السلطة السياسية منذ
بداية النصف الثاني من القرن العشرين، لأنّهم لم يحسنوا تنزيل اعتدالهم
العقدي، ليكون محياناً مع التطور العالمي، والتقدّم المعاصر، أثناء حكمهم
لليمن السعيد، والمشهور بالخصب والخضراء على مرّ التاريخ منذ (ست
مائّة) فكان أرضاً للحضارة والازدهار...

1- نفس المصدر، ص 66-67.

الشهر الثاني: المصطلح والنحو: 214/1-215 بثلا ثالث الفصل لأبن حزم.

الفصل الخامس

الغيبة والرجعة والمهدية

كلمة المهدى في اللغة، كلمة سفي الأصل - بسيطة، وهي اسم مفعول من هدى يهدى هدى، وكل من هداء الله فهو مهدى. ويقال: هداء الله للدين يهديه هدى، أي ارشده، وبين له الحق والصواب. وهديته الطريق والبيت هداية، أي عرفه به، فالهدى هو الرشاد، والبيان، والتوضيح للصراط المستقيم، وغيره. قال الله تعالى: "قُلَّا اللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ" ^١. وقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَا لَهُمَا مَا كَانُوا لَنْتَهَىٰ لَوْلَا أَنْ هَدَا اللَّهُ" ^٢. وقال: "إِهْدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" ^٣. وقال: "أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ" ^٤. معناه ألم يبين لهم ^٥. وقال عز وجل أيضاً: "وَهَدَنَا نَجْدِين" ^٦. أي بينا له طريق الخير والشر، ليختار ما يريد عن بيته من أمره ^٧.

وقد استعملت كلمة المهدى في هذا المعنى اللغوي، زمن النبي، وجاء قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث دالاً على ذلك، عندما نزوج أم

^١ سورة يونس: الآية 25.

^٢ سورة الأعراف: الآية 43.

^٣ سورة الفاتحة: الآية 5.

^٤ سورة النسجدة: الآية 26.

^٥ الرازي ومخترل، الصحاح تجوهري ص 692 - 693 مادة (هدى)

^٦ سورة البند: الآية 10

^٧ تصليوني: صفة التفاسير: 562/3

سلمة وهو في النزع الأخير "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في
المهدىين"^١.

وعندما قال لأصحابه يوماً، "... عليكم بستي، وسنة الخلفاء الراشدين
المهدىين..."^٢.

واستعمل حسان بن ثابت، نفس المعنى اللغوي لكلمة المهدى، في رثائه
للرسول، حيث قال:

كحلت مآقيها، بكحل الأرمد، *
ما بال عينك لا تقام، كأنما
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد، *
جزعا على المهدى، أصبح ثاوية
بابي وأمي من شهدت وفاته *
في يوم الإثنين، الثبى المهدى^٣.

ومدح الفرزدق، سليمان بن عبد الملك، فقال:
سليمان انبارك قد علمتم * هو المهدى، قد وضح السبيل.

ومدح الفرزدق أيضاً هشام بن عبد الملك فقال:

فقات له: الخيبة غير شاك * هو المهدى، والحكم الرشيد.^٤

ثم تحولت كلمة المهدى شيئاً فشيئاً، عن معناها اللغوي، لتفيد معنى
اصطلاحياً آخر، يعني لدى الإنبياء عشرية - غيبة الإمام الثاني عشر عن
أعدائه، خوف التكيل به، حتى يتمكن من الرجعة إلى شيعته، لينصف
المظلومين، وينقم من الظالمين، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن مات
جوراً وطغياناً، ويهدى إلى طريق الرشاد والخير.

١- صحيح مسلم بشرح النووي: 222/6-223.

٢- ابن ماجة: السنن: 1/15-16.

٣- حسان بن ثابت - النبوان - ص 24

٤- أحمد أمين: التهوية والمهدوية ص 8-9.

ويبدو من خلال ذلك - أن ظهور النفيّة لدى الإثنى عشرية - اقتربت بغيبة المهدي المنتظر، وعلى هذا الأساس قدمنا الحديث عن المهدية، وجعلنا النفيّة، آخر مبادئ الإثنى عشرية التي نفّسح لها مجالاً في هذه الدراسة.

وقال الإثنا عشرية بمهدية محمد بن الحسن، الإمام الثاني عشر، وأبن الحسن بن علي العسكري، المتوفى سنة (260هـ/874م)، لفساد الحياة الاجتماعية، وتهيؤ اتباعهم، لتقيل ظهور منفذ، يخلصهم مما يقاسونه من ظلم، وعسف، واضطهاد، على يد السلطة الحاكمة. غير أن زيد بن علي (ت. 122هـ/740م) لم يعترف بظهور مهدي، بين الشيعة أو بين غيرهم، ولم يسبغ هذه الصفة على أي إمام من الأئمة، لأنّه يعتبر الاعتقاد في المهدى مما يشطب عليهم، عن جهاد أهل الباطل، ولهذا يشترط في ثبوت الإمامة، خروج صاحبها على الظلم والطغيان. ورفض زيد لذلك يدل على ما شاع قبله، وفي عصره، من فكرة المهدى المنتظر فقد قال السببية بمهدية علي بن أبي طالب (ت. 40هـ/661م)، وأنه لم يقتل، ولكنه رفع إلى السماء والبرق سوطه، وأن الرعد صوته، وسيعود إلى الأرض ليملأ عدلاً بعدما ملئت ظلماً^١. ولعل السببية اقتبسوا ذلك من علاقتهم بالحضارة الشرقية، ومما نسب إلى النبي عندما سُئل عنمن يؤمر بعده، فذكر أبا بكر، وعمر، ثم قال عن علي: وإن تؤمروا علينا، وما أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم الطريق

١- التويخني: فرق الشيعة، ص 27-28-96-101-103-108-109 ابن بغدادي: الفرق بين الفرق، ص 233-236، التمهيرستاني: المثل والنحو: 27/1 ذيلاً لكتاب ابن حزم: الفصل الدكتور علي الشامي الشيعة في إيران، ص 121-127.

المستقيم^١. كما أطلقـت كلمة المهدـي علـى الحـسين بـعد مـقتـله بـكر بلـاء، أطلقـها سـليمـان بن صـرد قـائـلا عـنـه "الـلـهم لـرحـمـ حـسـنـا، الشـهـيدـ اـبـنـ الشـهـيدـ، المـهـدـيـ اـبـنـ المـهـدـيـ، الصـدـيقـ اـبـنـ الصـدـيقـ." وأـطـلقـ المـخـتـارـيـةـ وـالـكـيـسـانـيـةـ لـفـظـ المـهـدـيـ عـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـنـيفـةـ بـنـ عـلـيـ أـبـيـ طـالـبـ منـ غـيـرـ زـوـجـتـهـ فـاطـمـةـ. وـأـنـهـ لـمـ يـمـتـ، وـهـوـ بـجـبـلـ رـضـوـيـ فـيـ الـحـجازـ، وـبـجـانـبـ عـيـنـانـ نـضـاحـتـانـ عـسـلـاـ وـمـاءـ، وـسـيـرـجـعـ إـلـىـ النـيـابـةـ فـيـمـلـؤـهـاـ عـدـلـاـ. وـكـانـ كـثـيرـ عـزـةـ يـعـنـدـ مـهـدـيـةـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـنـيفـةـ حـيـثـ قـالـ:

وـلـادـهـ الـحـقـ أـرـبـعـةـ سـوـاءـ،
أـلـاـ أـنـ الـأـيـمةـ مـنـ قـرـيشـ،
هـمـ أـسـبـاطـهـ وـالـأـوـصـيـاءـ،
عـلـيـ وـالـثـلـاثـةـ مـنـ بـنـيـهـ،
وـسـبـطـ سـبـطـ إـيمـانـ وـحـلـمـ،
يـقـودـ الـخـيـلـ يـقـدـمـهـ الـلـوـاءـ،
وـسـبـطـ لـاـ يـذـوقـ الـمـوـتـ حـتـىـ
بـرـضـوـيـ عـنـدـ عـسـلـ وـمـاءـ.^٢
تـغـيـبـ لـاـ يـرـىـ فـيـهـ زـمـانـ،

كـماـ تـسـبـتـ الـبـيـانـيـةـ^٣ـ الـمـهـدـيـةـ لـابـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـنـيفـةـ، اـبـيـ هـاشـمـ عـبـدـ اللهـ.
وـيـؤـكـدـ الشـيـعـةـ الـإـشـاـعـرـيـةـ عـلـىـ قـدـاسـةـ الـإـمـامـ، وـمـنـ ثـمـ فـهـمـ يـرـونـ أـنـ
مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الـعـسـكـرـيـ، هـوـ الـمـهـدـيـ الـمـنـتـظـرـ، وـأـنـهـ أـمـلـهـمـ فـيـ الرـجـعـةـ،
لـيـخـلـصـهـمـ مـنـ ظـلـمـ الـحـاكـمـيـنـ، وـأـنـهـ لـمـ يـمـتـ، بـلـ هـوـ مـسـتـرـ تـقـيـةـ، خـوـفاـ مـنـ

^١- اـنـحـافـتـ اـبـنـ حـجـرـ السـفـلـانـ؛ الإـصـابـةـ: 501/2 - 503 وـبـهـامـشـهـ كـتـبـ الفـرـطـيـ؛ الإـسـتـعـابـ فـيـ أـسـمـاءـ الـأـصـحـابـ - الـدـكـورـ عـنـيـ الشـابـيـ؛ مـبـاحـثـ صـ 54 - 60 وـلـتـظـرـ ماـ قـبـلـهـ وـمـاـ بـعـدـهـ.

^٢- كـثـيرـ عـزـةـ؛ الـدـيـونـ، صـ 521 تـارـيـخـ الطـبـرـيـ؛ 580/5 - 589، 12/6، 17، 61، 65، دـلـرـ اـسـعـارـ مـصـرـ - الـبـعـدـادـيـ اـنـفـرـقـ بـيـنـ الـفـرـقـ صـ 236، 238، أـحـمـدـ أـمـينـ الـمـهـدـيـ وـالـمـهـدـيـةـ، صـ 9 - 11.

^٣- الـبـيـانـيـةـ: أـصـحـابـ بـيـانـ بـنـ سـعـانـ الـمـهـدـيـ - لـتـظـرـ: الـتـوبـخـيـ، فـرـقـ الشـيـعـةـ صـ 39، الـبـعـدـادـيـ اـنـفـرـقـ بـيـنـ الـفـرـقـ، صـ 236 - 238.

أصحاب السلطة القائمة، حيث لا يجوز عندهم أن تخلو الأرض من حجة قائم على ظهيرها عدل، حي ظاهر، أو خائف مغمور، للخبر الذي رواه عن علي بن أبي طالب، أنه قال في بعض خطبه: "اللهم إني لا تخلني الأرض، من حجة لك ظاهر، أو مغمور، لئلا تبطل حججك وبيتناك"^١.

وذكرت بعض المصادر الشيعية (فرق الشيعة) للتويحيدي، أن الشاك قد حام حول وجود المهدي، وإنكرت بعض فرقهم، أن يكون الحسن بن علي العسكري، قد خلف ولدا، لأنه توفي، ولم يعرف له ولد ظاهر، ولا وصي مشهور، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر، وأمده، وهي أم ولد، يقال لها: (عسفان). ولذلك فالإمامية في نظرهم - لجعفر، لأنه الابن الذي لا يشك في نسبه.

ولهذه الفرق الشيعية اختلافات كثيرة، تدل على حيرتهم وعلى أنهم
تائهون في البحث عن الحقيقة، ولهم فيها خطأ عجيب، يكفر بعضهم ببعض،
وكل منهم يقرر ما يراه صالحًا لفرقته وتسوق لذلك مثلاً عن الفرق
الذين يسيرون، نسبة إلى (نفيس) الذي كفر مهدي - الإلئني عشرية - المنتظر،
وتقول عليه نقو لا شدیدا، معتبرا القائم الشرعي هو عمّه جعفر، وهو أفضل
الخلق بعد رسول الله. وبسبب جرأة نفيس هذا، أقاد خصومه في حوض ماء
كبير، فمات غرقا. ولا حق لأحد أن يكفر غيره بسب خلاف عقدي جزئي
بين المسلمين.

ورد الإشارة عشرية على هذه التقويلات، بأنه لا يجوز أن تكون الإمامة في جعفر لقول أبي عبد الله (جعفر الصادق): «لا تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين، كما أنه ثبت بالأدلة النقلية المتواترة عندهم، أن محمد

^١- النويحي: فرق الشيعة - ص ٩٦-٩٧.

بن الحسن العسكري هو المهدى المنتظر وهو الحجة وتأكد نسبه إلى أبيه الحسن بن علي العسكري، ولو خلت الأرض من الحجة لساخت بأهلها، ولا يجوز شيء من مقالات هذه الفرق كلها. وأن صاحب الزمان هذا، خائف مستور نقية، حتى ياذن الله في ظهوره، ويعجل بفرجه، وخلاص رعيته مما هم فيه من ظلم وعسف، وليس على أتباعه أن يبحثوا في أمره، وأن يطالبوه، لأن ذلك محرام عليهم، حيث يكون في إظهار ما ستر من أمره عنهم، كشف لحقيقة - لدى أعدائه - *فيسيربحون دماءه*، وفي السكوت عنه حقد لهذه الدماء وصيانتها. وروروا عن الصادق أنه أخبر عن القائم، بكونه معروف المكان، ظاهر الأمر، لا ينكر نسبه، ولا تخفي ولادته، وذكره شائع مشهور بين الخاص والعام، من سماء باسمه فعليه لغنة الله¹.

وروروا أن رجلاً من شيعته لقيه في الطريق فحاد عنه، وترك السلام عليه، لما علم من تقيته فشكراً على ذلك وحمده، وقال له: "لَكْ فلاناً نقيبي، فسلم على، ما أحسن، اوذمه على ذلك وأقدم عليه بمكروه، ووردت في ذلك أخبار مماثلة عن الكاظم، وعن الرضا، وأن ثقاته وثقات أبيه سوهم قلة - يعلمون أمره وينكرون عليه تكتماً شديداً². وهم أدرى الناس بمكانه، وبمنزاته فهو يعلم الغيب، ويعلم ما في نفوس أتباعه، وما تصرفوا به دون علمه، أو استشارته بواسطه وكلائه، فيخبرهم به. وقد يفاجئ أحد الأتباع، معلماً إياه، أنه طمع في جزء من المال المخصص للناحية المقدسة، أبلغه عنده

¹- *النوبختي*: فرق الشيعة، ص 95-107، الكتبى: الأصول من الكافى: 1/336-337

523-524

²- نفس المصدر، ص 107-110 - الكتبى: الأصول من الكافى: 1/329-330-343

بينما هو مكلف بتلبيغه للمهدي من بعض الأنصار، وعليه أن يرسله حالاً، فيسارع إلى ذلك، طالباً المغفرة والصفح مستغرباً من كيفية إطلاع المهدي على هذه الأسرار، وهي طريقة يتبين بها معرفته للغيب. كما أن القائم قد يشفى المرضى، بمجرد الدعاء لهم، ولو من بعيد. ويعلم حال المتجمسين عليه من السلطة القائمة، المتذكرين في هيئة أتباعه، ويخبر بهم وكلاء، أمراً شيعته بالاحتياط منهم¹.

ويتجلى الشيعة، إلى تأويل القرآن، تأويلاً تعسفيّاً، ليدل على صحة إمامية المهدي، ورجعته عندما يأذن له الله بذلك. فقد رروا عن الصادق في قوله تعالى: "فَإِذَا نَفَرَ فِي النَّاقُورِ"². إن من الشيعة إماماً مظفراً، هو القائم، فإذا أراد الله - عز وجل - إظهار أمره، نكت في قلبه نكتة، فقام بأمر الله تعالى، ورجع إلى شيعته ليملأها عدلاً، بعد ما ملأت ظلماً.

ونسبوا إلى الصادق أيضاً، أن حكمة الله اقتضت وقوع غيبة المهدي المنتظر لأمدٍ طويلاً، لأن الله أبى إلا أن يجري في آل البيت، سدن الأنبياء في غيابهم، وجاء هذا الخبر مؤيداً بآية قرآنية، مسؤولة تأويلاً شيعياً بعيداً عن سياق الآية، الحقيقي، وهي قوله تعالى: "لَتُرْكِنَنَ طَبْقًا عَنْ طَبْقٍ"³. أي سدنا على سفن من كان قبلكم. وفسر الباقي بعض أسباب غيبة المهدي، بكونها نوعاً من غضب الله على خلقه، قائلاً: "إِذَا غَضِبَ اللَّهُ سَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى

¹ - الكلباني: الأصول من انكافي: 1/328-342-514-525

² - سورة العنكبوت: الآية 8.

³ - سورة الإنشقاق: الآية 19.

لـ الدكتور علي الشibli: الشيعة في إيران، ص 121.

خلفه، نحانا عن جوارهم¹. بسبب تهاونهم في واجباتهم الدينية، وعدم تقديرهم بالأوامر الإلهية واجتباهم لنواهيه، وعدم احترافهم بقدر الأئمة.

وليس المقصود بقوله -عز وجل- : "فإذا نقر في الناقور "نَكَّ اللَّهُ فِي قَبْلِ أَنْمَهْدِي، نَكِي يَرْجِعُ إِلَى شِيعَتِهِ، فقد روى ابن عباس ومجاهد، أن معناه: انفخ في الصور - وهو كهيئة القرن - نفحة البعث والنشور، لأن النقر في كلام العرب، هو الصوت إذا اشتد، إلى حد الفزع كنایة عن هول يوم القيمة وعظمته، ولذلك ورد في الحديث: كيف أنعم، وصاحب القرن، قد انقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر، فينفخ؟ فقالت الصحابة: فما تأمرنا يا رسول الله؟: قولوا: حسنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا².

وقد أفاد الكليني في سرد الأحاديث التي يرويها الشيعة، في ثبوت النص على إمامية المهدي، ومن رأه من انصاره، وأقر بإمامته، حيث أخرجه أبوه في خرقه تحمله جارية، فذكروا من صفتة، ومن نسبة لأبيه، إذا قال لهم بالحرف الواحد: هذا صاحبكم، أي المهدي. وما عرف به القائم من علوم إلهية، وتبؤ بالغريب، حتى أنه يخبر المتزوج من أتباعه عن صلاح ذريته، أو عدم صلاحهم مستقبلاً، ومن سيعيش منهم، ومن سيموت، فيدعوه لهذا بالعافية، والبقاء، وحسن الخاتم ويمسك عن الدعاء للآخر، لأنه يعلم بعدم استمرار حياته، وموته وهو رضيع أو وهو طفل، أو شاب، وأن المهدي هو المقصود بقوله تعالى: "فلا أقيم بالخنس، الجوار الكنس"³. وحسبما رواد

1- الكليني: الأصول من الكافي: 343/1

2- أخرجه أحمد، وبن أبي حاتم - الصابوني: حفورة التقاسير: 474/3 - مختصر تفسير ابن كثير: 568/3.

3- سورة التكوير: الآيات: 15 - 16

الشيعة عن الباقي، فإن الخنس إمام يخنس في زمانه عند انقطاع العلم من صدور الناس أي يستتر، سنة ستين ومائتين (هجرية)، ثم يبدو كالشهاب الواقد في ظلمة الليل، ومن أدرك ذلك من اتباعه، فرت عليه^١.

وروي عن أبي الحسن الثالث (علي بن محمد النقى). ت.
254هـ/868م) أن من علامات ظهور المهدي، وتوقع الفرج، رفع العلم من أظهر المؤمنين^٢.

وإذا كانت الصورة المتألقة التي رسماها الشيعة عن المهدي، تدخل في حيز عقيدتهم فيه، فإن النظم القرآني، لا يقبل بحال أن تؤول بعض الآيات، لتدل على ذلك، ومن ثم فإنه ليس المقصود بالخنس في قوله تعالى: 'فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس' المهدي المستتر عن شيعته، فقد روي عن علي بن أبي طالب، وابن حسان، وعبد الله بن عباس، ومجاحد، وسعيد بن جبير، وانضحاك... أن - الله -عز وجل- أقسم قسماً مؤكدًا، بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار لجريانها في فلكها، مع الشمس والقمر، فيطغى عليها النور الأقوى، ثم بعد أن تستتر تظهر وقت الغروب وكامل الليل وهو المقصود بالخنس لقول العرب: 'أوى الظبي إلى كناسه، إذا دخل حرمه، وتعجب فيه'^٣.

وينسب الشيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه أخبر عن زمن ظهور المهدي وعن صفاته ودوره، ونسبه، والتي بواسطتها يمكن التعرف عليه، ومن ذلك ما ذكره الأربلي أن النبي قال: 'المهدي من أمتي،

١- الكليني: الأصول من الكافي: 1/339.

٢- نفس المصدر: 1/331- ولنظر أيضاً نفس المصدر - 1/328-343 - 525.

٣- تصايبوني: صفة التقى: 3/525 - مختار تفسير ابن كثير: 3/607.

أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض عدلا، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك
سبعين سنين^١.

وروي عن أبي جعفر الثاني (محمد بن علي النقاش)، عن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آمنوا
بليلة القدر فإنه ينزل فيها أمر السنة وإن ذلك الأمر ولاه من بعدي: علي بن
أبي طالب، واحد عشر من ولده".

ونسبت الشيعة إلى حذيفة بن اليمان أنه قال: "خطبنا رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فذكرنا ما هو كائن، ثم قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا
يوم واحد، لطوى الله - عز وجل - ذلك اليوم، حتى يبعث رجلاً من، ولدي،
اسمه، أسمى" قال سلمان الفارسي: "يا رسول الله من أي ولدك؟" قال: "من
ولدي هذا - وضرب بيده على الحسين - عليه السلام".

وينسب الشيعة إلى رسول الله أنه قال للعباس بن عبد المطلب: "يا عم،
يملك من ولدي إثنا عشر خليفة، ثم تكون أمور كريهة، وشديدة عظيمة، ثم
يخرج المهدى من ولدي، يصلح الله أمره في ليلة، فيملأ الأرض عدلا، كما
ملئت جوراً، ويمكث في الأرض ما شاء الله، ثم يخرج الدجال".

وعن علاقة ظهور المسيح عيسى بن مريم، بظهور القائم، روى
الشيعة عن أبي هريرة، أن رسول الله قال: "كيف أنتم، إذا نزل ابن مريم فيكم
وإمامكم منكم؟ وأضاف الأرباعي أن هذا حديث صحيح حسن، متفق على
صحته، من حديث محمد بن الشهاب الزهري، وزوجته كتب الصاحب^١".

١- الأزبي: كشف الغمة في معرفة الآية: 436/2 - 438، 469، 379، 503.

واعترف الأربلي، أن بعض الأخبار الواردة في المهدى، مطعون في صحتها، ومن ذلك ما نسب إلى الباقر، أنه قال: 'ليس بين قيام القائم، وقتل النفس الزكية، أكثر من خمس عشرة ليلة'. وحاول الأربلي، تأويل المراد بهذا الحديث، فاما أن يكون صاحب النفس الزكية هو غير محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقتل في رمضان سنة (145هـ/763م) وأما أن ينطرب الطعن إلى هذا الخبر، ويصبح بالذالى موضوعاً.

واعتبر عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه (الموضوعات)، أغلب الأحاديث الواردة في المهدى، وفي فضل آل البيت موضوعة، لتجريح أكثر روايتها، ولغرابة ما ورد في متونها من معان، مشيراً إلى أن فضائل علي الصالحة كثيرة، غير أن الرافضة لم تقتصر بذلك فوضعت له من الأحاديث ما يضع ولا يرفع، وهم - في نظر ابن الجوزي - ثلاثة أصناف: صنف سمعوا شيئاً من الحديث، فوضعوا أحاديث وزدوا ونقصوا، وصنف لم يسمعوا شيئاً، وادعوا على جعفر الصادق أقوالاً هو بريء منها، وصنف ثالث، هم عوام جهله، يقولون ما يريدون، سواء استساغه العقل، أو لم يستسغه، وهذا ما أكدته الكراجي، من مصنفي الشيعة، عندما ذكر أن من أخبارهم النقلية تصوّصاً يتناولها العامة منهم². وروى ابن الجوزي عن الشعبي، أن الرافضة أغرتهم بأموال عظام، مقابل وضع أحاديث في فضل علي، وحضر طلاب الحديث من روایاتهم. وكذلك حال الأحاديث الواردة في مهدى فرق بعض أهل السنة...

- نفس المصدر: 540/2.

² - انظر إلى: الإنتبصار في النص على الأئمة الأطهار - مخطوط، (د. ك. و) تونس 9/ب - وما بعدها

وحكم ابن الجوزي على الأحاديث الشيعية الواردة في المهدى المنتظر،
 وغيبته، ورجعته، بالوضع، مقارنا علاقه الرافضة باليهود، فقد قالت اليهود:
 لا يكون الملك إلا في آل داود، وقال الرافضة: لا تصلح الإمارة، إلا في آل
 عني، "وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وإنه
 من أشراط الساعة" وقالت الرافضة، بالتفه، وأنه لا جهاد في سبيل الله حتى
 يخرج المهدى، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ومن
 علامة قرب قيام الساعة - لديهم - رجعة هذا القائم، وحرف اليهود تورانهم،
 وأولت الرافضة القرآن تأويلاً تعسفاً بعيداً عن السياق الحقيقي، ليدل على
 غيبة المهدى، وعودته، وليدل على معتقداتهم الأخرى...¹. وهذا يخص
 الفرق المتطرفة من الشيعة الرافضة عدا المعتدلة وهم الائた عشرية،
 ومن الأحاديث الموضوعة، التي أوردها ابن الجوزي، في هذا المجال،
 ما نسبته الشيعة إلى رسول الله أنه قال: أنا خاتم النبيين، كذلك علي وذراته
 يختمون الأوصياء إلى يوم القيمة" وختام هؤلاء الأئمة المهدى المنتظر.
 وزكر ابن الجوزي، حكمه بالوضع على هذا الحديث، لأنه انفرد
 بروايته الحسن بن محمد الغنوبي، وقد قال فيه الحافظ: كان رافضاً. ومن
 رواه أيضاً، إبراهيم بن عبد الله الذي قال عنه ابن حبان: كان يسرق
 الحديث، ويسوّيه، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، يعني أنه ينسب
 الأسانيد الصحيحة للأحاديث الواهية والموضوعة، ولذلك فهو يستحق الترک
 من طلاب الأحاديث، وألا ينتفوا لما يروي.

1- ابن الجوزي: الموضوعات: 338/1 - 3/2 - 7.

واستخرج ابن الجوزي، من بين الأحاديث الواردة، في فضل الخلفاء الراشدين، أحاديث موضوعة، معنونا لها بقوله: باب في فضل الأربعـة". ومن أغربها رواية ومتنا، ما ذكر في بعضها، من أن المهدى المنتظر هو أبو بكر الصديق، وفي ذلك قال ابن الجوزي: "أبـاـنا ابن خـيـرـون، عنـ الجـوـهـرـيـ، عنـ اـذـارـ قـطـنـيـ، عنـ أـبـيـ حـاتـمـ بنـ حـبـانـ، حـدـثـاـ حـمـزـةـ بنـ دـاـودـ بنـ سـلـيـمـانـ بنـ الرـبـيعـ، حـدـثـاـ كـادـحـ بنـ رـحـمـةـ، عنـ الحـسـنـ بنـ أـبـيـ يـعـفـورـ، عنـ أـبـيـ الزـبـيرـ، عنـ جـابـرـ، قـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : أـبـوـ بـكـرـ وزـيـرـيـ، وـالـقـائـمـ فـيـ أـمـتـيـ مـنـ بـعـدـيـ، وـعـمـرـ حـبـيـبـيـ، يـنـطـقـ عـنـ لـسـانـيـ، وـعـمـانـ مـنـيـ، وـعـلـيـ أـخـيـ وـصـاحـبـ لـوـائـيـ".

وـعـدـ ابنـ الجـوزـيـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـنـ الـمـوـضـوـعـاتـ، لـأـنـ أـحـدـ روـاتـهـ، وـهـ (ـكـادـحـ بنـ رـحـمـةـ)ـ مـجـرـحـ قـالـ عـنـ أـبـيـ حـبـانـ: يـرـوـيـ عـنـ النـقـاتـ روـاـيـاتـ مـقـلـوبـةـ، حـتـىـ يـسـبـقـ إـلـىـ الـقـلـبـ، أـنـ الـمـتـعـمـدـ لـهـ، وـهـ بـعـمـلـهـ هـذـاـ يـسـتـحـقـ التـرـكـ مـنـ طـلـابـ الـأـحـادـيـثـ. وـقـالـ عـنـهـ أـبـوـ الفـتحـ الـأـزـدـيـ، هـوـ كـذـابـ.

وـمـنـ رـجـالـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ، نـجـدـ الـحـسـنـ بنـ أـبـيـ يـعـفـورـ، وـهـ مـجـرـحـ أـيـضاـ، فـقـدـ تـرـكـهـ أـحـمـدـ بنـ حـنـبـلـ. وـقـالـ عـنـهـ يـحـيـيـ: "لـيـسـ بـشـيـءـ، أـمـاـ النـسـانـيـ فـاعـتـرـهـ مـتـرـوـكـ الـحـدـيـثـ".^١

وـمـنـ خـلـالـ هـذـاـ يـتـضـحـ: أـنـ الـأـحـادـيـثـ الـتـيـ أـوـرـدـهـاـ الشـيـعـةـ فـيـ الـمـهـدـىـ الـمـنـتـظـرـ، وـنـسـبـوـهـاـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ، أـوـ إـلـىـ أـئـمـمـهـ، مـثـلـ جـعـفـ الـصـادـقـ، أـوـ الـإـمـامـ الـرـضـاـ...ـ هـيـ أـحـادـيـثـ مـوـضـوـعـةـ.

^١- بنـ الجـوزـيـ: الـمـوـضـوـعـاتـ: 1/377ـ378ـ402ـ404.

ولكننا نجد في الآن نفسه، أن أهل السنة، قد روا لهم أيضاً أحاديث في المهدى المنتظر، فهل يتحقق الشيعة، وأهل السنة على مهدي واحد - حكم ابن الجوزي على الأحاديث الواردة فيه بالوضع - أم أن لكل فريق منهما، مهدياً خاصاً به؟

الظاهر أن لكل منهما مهدية المنتظر، ورأيه الخاص في هذه القضية، لأننا إذا نظرنا إلى هذه الأحاديث المنسوبة، إلى النبي في ظهور المهدى، وجدنا أن بعضها قد روتها كتب أهل السنة، ومن ذلك ما جاء في مسند أحمد وفي سنن أبي داود، وابن ماجة، والترمذى والبزار والحاكم، والطبرانى، وأبي يعلى الموصلى، ومنها مثلاً ما رواه عبد الله بن عمر، أنهم بينما كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رأهم النبي أغرورقت عيناه، وتغير لونه، فقال له ما نزال نرى في وجهك يا رسول الله شيئاً نكرهه فقال: "إذا أهل بيتك، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وأن أهل بيتك سيلوّقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريدًا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يعطونه، فيقاتلون، فينصررون، فيعرضون ما سألوه، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتك، فيملؤها قسطاء، كما ملؤوها جوراً؛ فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبوا على النجاح".

وأول ما يتبدّل إلى الأذهب في متن هذا الحديث، أنه يتعرّض إلى مناصرة فرقة، أصحاب الرأيات السود، وهو شعار بني العباس ويعتبر ذلك تقريراً إلى الفرس، لأن قائدتهم، وقائد الرأيات السود هو أبو مسلم الخراساني.

— ابن ماجة: أنسن: 2/1366 — بن خلدون — المقدمة ص: 311، 317.

وكل حديث يخدم مصلحة فرقه من الفرق، قد جرّه نقاد الحديث حسب
قواعد علوم الحديث ومصطلحاته^١.

أضف إلى ذلك أن إسناد هذا الحديث ضعيف، لضعف أحد رواته وهو
يزيد بن أبي زياد الكوفي، بالرغم من كون الحديث قد رواه أيضاً، الحاكم في
المستدرك، من طريق عمر بن قيس، عن ابراهيم، ورجاله هم نفس رجال
الرواية الأولى تقريباً^٢. ويعرف هذا الحديث، عند المحدثين، بحديث الراءات،
واعتبره ابن الجوزي من الأحاديث التي لا أصل لها.

وقد خرجه ابن ماجه في (سننه)، عن عبد الله بن مسعود، من طريق
يزيد بن زياد، عن ابراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن عمر، كما أن
راوي الحديث، يزيد بن زياد، قد قال عنه شعبة: كان رفاعاً - أي يرفع
الأحاديث التي لا تعرف مرفوعة - إلى صاحبها، ثم إلى رسول الله، وهي
من الموضوعات. وقال عنه محمد بن فضيل: كان يزيد بن زياد من كبار
أئمة الشيعة. وقال عنه أحمد بن حنبل، لم يكن بالحافظ، ووصفه يحيى بن
معين، وأبو زرعة، بأنه كان لينا، أي ضعيفاً، ولا يحتاج به. وقال الحافظ
الذهباني، عن هذا الحديث: ليس بصحيح^٣. وعليه
فهميوا أهل السنة أحاديثهم موضوعه أيضاً ومدسوسة على كتب
الصحيح... .

- الدكتور صبحي الصانع: علوم الحديث ومصطلحه، ص 267، ولنظر كامل الفصل 6
أسباب الوضع

^٢ سنن ابن ماجة: 1366/2

^٣ ابن الجوزي: الموضوعات: 6/2، 30 - ابن خلدون، المقدمة، ص 317 - 318.

وأخرج ابن ماجه في سننه أن المهدي من آل البيت ومن أبناء فاطمة،
بنت رسول الله فاذلا: "حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري،
حدثنا ياسين عن إبراهيم بن محمد بن الحنيفية، عن أبيه عن علي، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم - : "المهدي من أهل البيت، يصلاحه الله في
ليلة" وتناول انتقاد إسناد هذه الحديث بالبحث، ومن ذلك أن ياسين العجلي،
وإبن قال فيه بحبي بن معين، ليس به بأس فقد ذكر البخاري أن فيه نظرا،
وهذه النقطة في اصطلاحه، قوية التضعيف جدا، مضيفا، أنه لا يعلم له حديثا
غير هذا. وأورد له ابن عدي في (الكامل) والذهباني في (الميزان)، هذا
الحديث على وجه الاستئثار له، وقالا: 'هو معروف به'¹.

وأخرج ابن ماجه وأبو داود في سنهما عن أم سلمة. من طريق على
بن نفیل عن سعید بن المسیب، قال: 'كنا عند أم سلمة، فذکرنا المهدي،
فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "المهدي من ولد
فاطمة" ولفظ الحاکم: 'سمعت رسول الله - صلی الله علیہ وسلم - يذكر
المهدي، فقال 'نعم' هو حق وهو من بنی فاطمة" ولم يصفه بالحديث
الصحيح، ولا بغيره من التغوت وضعف أبو جعفر العقيلي هذا الحديث،
وقال: "لا يتتابع على بن نفیل عليه ولا يعرف إلا به"².

وأخرج ابن ماجة في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن
زياد الإمامي، عن عكرمة بن عمارة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة،
عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله - صلی الله علیہ وسلم - يقول:

1- سنن ابن ماجة: 2/ 1367 - ابن خلدون، التقدمة، ص 318.

2- سنن ابن ماجة: 2/ 1368 - ابن خلدون، المقدمة ص 314.

"حن ولد عبد المطاب، سادات أهل الجنة، أنا وحمزة وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدى". وفي إسناد هذا الحديث نظر فقد قال الذهبي في الميزان: "لا ندرى من هو علي بن زياد، ولم ير من وثقه ولا من جرمه، والصواب أنه عبد الله بن زياد. أما سعد بن عبد الحميد، فإنه وإن وثقه يعقوب بن أبي شيبة، وقان فيه يحيى بن معين: 'ليس به بأس، فقد تكلم فيه الثوري بأنه رأه يفتى في مسائل، ويخطى فيها'. وقال عنه ابن حبان: 'كان من فحش عطاؤه فلا يحج به'". وقال عنه أحمد بن حنبل: "إنه يدعى سماع كل كتب مالك، وهو هنا مقيم في بغداد، فكيف سمعها؟ وقد أنكر الناس عليه ذلك".

وأخرج أبو داود في سننه، وتابعه الحاكم في المستدرك، من طريق عمران بن القطان عن قتادة، عن أبي بصرة، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله قال: "المهدى مني، أجلى الجبهة، أفقى النف، يملأ الأرض فسطوا وعدلا، كما ملئت جوراً وظلماً ويملا سبع سبعين"². ووصف الحاكم هذا الحديث بأنه صحيح على شرط مسلم، بالرغم من كونه لم يخرجه هنولاء البخاري. أما راوي الحديث عمران بن قطان، فمخالف في الاحتجاج به، وأخرج له البخاري استشهاداً لا أصلاً، وكان يحيىقطان لا يحدث عنه، ووصفه يحيى بن معين بكونه ليس بالقوى، أي بالضعف، وقال عنه مرة ليس هو بشيء يعتد به، وقال عنه أحمد بن حنبل أرجو أن يكون صالح الحديث. وذكره يزيد بن زريع في عداد الحرورية (الخوارج)، لأنه كان يرى

- سنن ابن ماجة: 1368/2 - ابن خلدون، المقدمة، ص 319 - 320.

- رواه أبو داود والحاكم، والنظر لأبي داود ونظر ابن ماجة: السنن: 1366/2.

السيف على أهل القبلة، وإلى مثل هذا الرأي ذهب أبو داود، معتبرا إياه من أصحاب الحديث الحسن، وما سمع عنه إلا خيرا لكنه ذكره مرة أخرى فووصفه بالضعف افتى في إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طائب، بفتوى شديدة فيها سفك الدماء على المسلمين¹. والظاهر أنه لما علمت فكرة المهدي المنتظر بين الفرق الإسلامية من شيعية وسنوية ادعواها بعضهم كذيل على صحة عقيدته.

وللتاكيد على عظمته المهدي بين أتباعه، فقد قرن الشيعة رجعته بظهور خير عميم، يشمل الدنيا قاصبة، ويتمثل في انتشار العدل بعد الظلم، والخصب بعد الجذب. وقد رواه مسلم في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله، ومن حديث أبي سعيد الخدري، ومن طريق آخر عنهما معا. إلا أن مسلما لم يصرح باسم المهدي، ولا دليل يقوم على أنه هو المراد بهذه الأحاديث. وخرجه الترمذى، ولعله ذكره تفسيرا لما رواه مسلم. وخرجه أيضاً أحمد بن حنبل، والحاكم، وأبن ماجة عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإن فسبع، فتعم فيه أمتي نعمة، لم ينعموا مثليها فقط، تزتى الأرض أكلها، ولا تدخل عليهم شيئا، والممال يومئذ كدوس". فيقول الرجل: "يا مهدي أعطني فبيقول: 'خذ'".²

1- هو أخو محمد صاحب النفن الزكي، خرجا على المنصور فقتلهما سنة (145هـ/763م). ابن خلدون المقدمة - ص 314-315 الأربلي: كشف الغمة: 2/436-437 ابن خلدون المقدمة، ص 314-315-316-317-321.

2- رواه مسلم وترمذى وأحمد والحاكم والتقط لأبن ماجة: السنن: 2/1366-1367 كدوس: أبي كثير - الأربلي كشف الغمة: 2/436-437-503. عثما نقول: كبس ولكس (السان العربي لابن منظور: 4/3401-3400 1426هـ/2005).

ومن بين رجال الحديث، زيد العمي، ووصفه الدار قطني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين بأنه رجل صالح، وفضله أحمد على بعض الرواة كيزيد الرقاشي، وابن عيسى، وقال فيه الجرجاني: "إنه متماسك" إلا أن أبو حاتم قال فيه: "إنه ضعيف، يكتب حديثه، ولا يحتاج به" ووصفه يحيى بن معين مرة أخرى بكونه لا شيء في رواية الحديث، بالرغم من إقراره بصلاحه. مبيناً أنه يكتب الحديث وهو ضعيف. وقال عنه أبو زرعة: ليس بقوى، واهي الحديث، ضعيف". وأكد ذلك النساني وابن عدي، وحجتهما، أن عامة من يروي عنهم زيد العمي، ضعفاء^١.

ويرتبط ظهور المهدي المنتظر لدى الاثنى عشرية بخروج الدجال على أثره كعلامة من علامات أشراط الساعة الثابتة في الصبح، ويكون نزول عيسى، مع القائم، أو بعده، فيساعده على قتل الدجال، وعلى الاستيلاء على أمالك الإسلامية، وقد اعتبر ابن الجوزي هذا الأمر مما يثبت تأثير الشيعة باليهودية، ويقوم دليلاً على أن الأحاديث الواردة في المهدي لديهم موضوعة، كما يفهم منه - في الآن نفسه - بطلان هذه الدعوى. ويدرك الشيعة إلى أن المسيح عيسى بن مریم، يأتی بالمهدي في صلاته. ويبدو أن مرد ذلك راجع، إلى أن الشيعة يحاولون دائمًا، أن يبيّنو، أن علاقة محمد بالأنبياء، كعلاقة المهدي بالأنبياء والأئمة وقد انتـم الأنبياء في قصة الإسراء والمعراج بمحمد وانتـم المسيح بالمهدي^٢.

- ابن خلدون المقدمة - ص 311-315-31 - 321.

² الكراچكي: الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار: مخطوط بالمكتبة الوطنية تونس - ق 4 - ب الأربلي: كشف الغمة: 503/2 - ابن الجوزي - الموضوعات: 338/1 - 339
الصلواتي: مختصر تفسير ابن كثير: 362/2 - رواه الإمام أحمد بن حنبل وابن ماجة - ابن خلدون - المقدمة، ص 311

وقد جمع الشيعة، كل الأحاديث الواردة في المهدي، ومن أغربها إسناداً، ما ذكره أبو بكر الإسکافي في (فوائد الأخبار)، ونسبة إلى مالك بن نsen، عن محمد بن المنکدر، عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله قال: من كذب بالمهدي فقد كفر، ومن كذب بالدجال فقد كذب^١، وهو حديث ظاهر الغلو والاختلاق، وأية ذلك، أن أبو بكر الإسکاف، متهم عندهم ووضاع^٢. وإلا كيف يمكن اعتبار من كذب بالمهدي كافر؟ بينما هو من ضرورات المذهب الشيعي، ولا يعد الإيمان به من أركان الإسلام. وهو رأي الشيعة الأخرى عشرية المحدثين ومنهم عبد الله.

وروى ابن ماجة أن رسول الله أخبر بخروج الدجال وخروج (ياجوج وساجوج) يعيشون في الأرض فساداً، فينزل عندها المسيح الحقيقي، ويقضى عليهم، "فيكون عيسى بن مریم... - عليه السلام - في أمتي حكماً عدلاً وإنما مقسطاً، يدق الصليب ويدبح الخنزير، ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة أو بعير"^٣. وأشار صنف الله عليه وسلم - أنه لا مهدي إلا عيسى بن مریم" وقال أئمماً: "ووجه تصديق ذلك في كتاب الله تعالى حتى إذا فتحت ياجوج وساجوج، وهم من كل حدب ينسرون"^٤. وروى هذا الحديث، محمد بن خالد، عن أبي بن صالح بن أبي عباس، عن الحسن البصري عن أنس بن مالك، ووصف يحيى بن معين، محمد بن خالد الجندى، بأنه ثقة.

^١ - ابن خلدون: المقدمة ص 312.

^٢ - نفس المصدر واصنفحة

^٣ - معناه أن يتراك زكاتها فلا يكون لها ساع لي فغير يسعى إليها وبأخذها، ابن ماجة: السنن: 1354/2 - 1366.

^٤ - سورة الأنبياء: الآية 96.

وقال البيهقي أنه نفرد برأيه، وقال فيه الحكم أنه رجل مجاهد ووصفه ابن تيمية، بأنه من لا يحتاج به. واختلفوا في إسناد هذا الحديث، فمرة يروونه كما تقدم، وينسبونه إلى محمد بن إدريس الشافعي، ومرة يروونه عن محمد بن خالد، عن أبان، عن الحسن، عن النبي مرسلا، أما (أبان) فوصفه البيهقي بأنه معروف الحديث. وعلى العموم، فالحديث ضعيف ومistrad، وأولئك بعضهم، يكون "لا مهدي غلا عيسى بن مریم". يعنون به أنه لم يتكلم في المهد إلا عيسى، وهو تأويل تعسفي، قصدوا من ورائه، رد الاحتجاج به، أو الجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى. ورأى فيه الشيعة مسيح المسائج، وهو من آل البيت¹.

ونسبت الشيعة للعباس بن عبد المطلب أن النبي قال له: "يا عم يملك من ولدي إثنا عشر خليفة، ثم تكون أمور كريهة وشدة عظيمة، ثم يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة، فيملا الأرض عدلا، كما ملئت جورا ويمكث في الأرض ما شاء الله، ثم يخرج الدجال"².

والنقد الموجه للحديث، وتأوينه من الطرفين، يسقطان العمل به، ويضيقانه، وبشأن من ناحية أخرى، أن قضية المهدي أثارت جدلاً كثيراً، بين أهل الفرق المختلفة، من مصدق ومكذب، مما أدى إلى وضع أحاديث من كل فريق، تثبت ما ذهبوا إليه وتدعم آراءهم، لما شاع بين المسلمين عموماً، من الخوض في أمره.

¹ - الأذربي: كشف الغمة: 503/2.

² - ابن تيمية: مناج السنة النبوية: 4/211 ويعاشه كتابه (مؤلفة صريح المعنون لصحيف العقوز) - ابن خلدون - المقامة، ص 322 - 327.

وَلَا يَهْتَمُ الشِّعْرُ بِقُصْبَيْةِ الْمَدَةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الدُّنْيَا – قَصْبَرَةٌ كَانَتْ أَمْ طُوِيلَةً
عَدْ رَجْعَةِ الْمَهْدِيِّ قَدْرُ اهْتِمَامِهِ بِعُونَتِهِ، وَهِيَ فِي نَظَرِهِ، أَمْرٌ حَتَّمِيٌّ، قَرَرَ
النَّبِيُّ، وَلَا يَدُ مِنْ وَقْوَعِهِ حَتَّى أَنَّهُ، لَوْلَا مَبْقَى مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ، لِطُولِهِ
أَنَّهُ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ أَلْ بَيْتٍ أَسْمَاهُ مُحَمَّدًا^١.

وَرَوَى أَهْلُ السَّنَةِ هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا، فَقَدْ اخْرَجَ التَّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ،
بِسَنَدِيهِمَا عَمِّنْ أَبْنَى عَبَاسٌ، مِنْ طَرِيقِ عَاصِمٍ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، أَحَدِ الْفَرَاءِ
السَّبِيعَةِ، عَنْ زَرِّ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَوْلَمْ
يَبْقَى مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لِطُولِهِ ذَلِكُ الْيَوْمُ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي، أَوْ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِيِّ، يَوْاطِئُ أَسْمَهُ أَسْمِيَّ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِيِّي. "هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ"
وَاعْتَبَرَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّالِحةِ. وَرَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ بِحَذْفِ "وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِيِّي"
وَذَكَرَ الْحَاكِمُ، أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ رَوَاهُ الثُّورِيُّ، وَشَعْبَةُ، وَزَانَدَهُ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ
أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَاصِمٍ مُشِيرًا إِلَى أَنَّ طَرْقَ (عَاصِمٍ، عَنْ زَرٍّ، عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ) كُلُّهَا صَحِيحَةٌ وَحَسْنَةٌ، لِأَنَّهُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَبَرَ أَحْمَدُ بْنُ
حَنْبَلَ، عَاصِمًا رَجُلًا صَالِحًا، قَارِئًا لِلْقُرْآنِ، خَيْرًا، تَقْدِيمًا.

وَنَكِنُ الْأَعْمَشَ – فِي نَظَرِهِ – أَحْفَظْ مَذَنِهِ، وَكَانَ شَعْبَهُ يَخْتَارُ الْأَعْمَشَ
عَلَى عَاصِمٍ فِي تَشْبِيتِ الْأَحَادِيثِ، وَذَكَرَ الْعَجْلِيُّ، أَنَّ عَاصِمًا كَانَ يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ
فِي زَرٍّ وَأَبِي وَائلٍ، يُشَيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا، وَوَصْفِهِ مُحَمَّدُ بْنُ
سَعْدٍ بِكُونِهِ تَقْدِيمًا، إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ، وَذَكَرَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفِيَّانَ أَنَّ فِي
حَدِيثِ عَاصِمٍ اضْطِرَابًا، وَاعْتَبَرَ أَيْضًا سَيِّءَ الْحَفْظِ، وَحَدِيثَهُ نَكَرَةٌ، وَقَالَ
يَحْيَى الْقَطَانُ: مَا وَجَدْتُ رَجُلًا أَسْمَهُ عَاصِمًا، إِلَّا وَجَدْتَهُ رَدِيءَ الْحَفْظِ،

١- الْأَزْرَبِيُّ: كِتَابُ الْمُؤْمِنَاتِ، 540/2.

ووصفه الذهبي، بالثبت في القراءة وحسن الحديث واحتج في ذلك مع من احتج، بأن البخاري ومسلم أخرجا له، والظاهر أنهما أخرجا له مقولاً بغيره، لأن في نقد السندي، ما يشير إلى أن هذا الحديث مرجح، فقد أخبر عبد الرحمن بن أبي حاتم، أنه قال لأبيه: "إن أبا زرعة يقول: عاصم ثقة، فقال له: ليس محله هذا"^١. وقد يكون المقصود بذلك، أنه ثقة وثبت، في قراءة القرآن، لا في رواية الحديث، الذي يختلط عليه فيه أحياناً، حتى وصف برداة الحفظ، وضرب باسمه المثل في ذلك. وقد يكون المقصود أنه ثقة في غير هذا المحل الذي رويت فيه أحاديث حول المهدي، يعني أن الشيعة أو بعض أهل السنة هي التي نسبت له هذا الحديث، على عادتهم في اختيار مشاهير الرواية، وجعلهم سانيد لأخبارهم، تدعيمًا لأدائهم، ومعتقداتهم.

وأخرج أبو بكر البزار في (مسند)، والطبراني في (معجم الكبير والأوسط)، عن فرة بن إيس، أن رسول الله قال: "تملان الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً، بعث الله رجلاً من أمتي، اسمه إسمى، واسم أبيه اسم أبي، يملؤها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً. فلا تمنع السماء من قطرها شيئاً، ولا تدخل الأرض شيئاً من ثباتها، يلبث فيكم سبعاً أو ثمانين، أو تسعاً. يعني سنتين. وفي سند هذا الحديث، نجد داود ابن المحيى بن المحرم، عن أبيه، وهو ضعيفان لدى نقاد الحديث^٢. أضف إلى ذلك أن الحديث لا يصرح بالمهدى وإنما يشير إليه بصفته، وعلامته، والدور الذي

^١ - رواه انترعدي، والحاكم، والطبراني، وأبو بكر البزار، واللطف لأبي داود: نظر ابن خلدون - المقدمة ص 312 - 313 - 321.

^٢ - ابن خلدون، المقدمة ص 321 - 322.

سيقوم به، وما يصاحب رجعته من خير يعم الدنيا قاطبة. ثم إنَّه لا يحصر المهدية في آل النبي، بل يجعلها في عامة أمة محمد، ومنه يبدو أنَّ هذا الحديث، جاء في صيغته العمومية، للزد على تخصيص الشيعة، أنَّ المهدي هو إمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، ولذلك فقد وجدت في كتب أهل السنة روایات شيعية مماثلة لم تصرح باسم المهدى أيضاً، فقد خرج أبو داود في (ستة)، أنَّ علياً نظر إلى ابنه الحسن وقال: "إنَّ ابني هذا سيد، كما اسماه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه فيخلق، ولا يشبهه فيخلق، يملأ الأرض عدلاً." وفي رواية أخرى عن علي، أنَّ المهدى يقال له منصور يواطئ أو يمكن لأنَّ محمد كما مكنت فريش لرسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته "وَسَكَتَ أبو داود عن هذا الحديث ولم يعلق عليه، وذلك يعني -حسب طريقه- أنَّ الحديث صالح^١. ولكنَّ ذكر في موضع آخر أنَّ (هارون) وهو من رواة هذا الحديث، يعتبر من الشيعة. كما أنَّ من رواه أبا سحاق وهو شيعي أيضاً، وقد اختلط عليه في آخر عمره، وروايته هذه عن علي مقطعة مثل رواية أبي داود عن هارون بن المغيرة في نفس الحديث^٢.

ونثر الصوفية بالشيعة في هذا الأمر وادعوا لهم أيضاً أنَّ لهم مهدياً منتظراً دعموا رأيهم فيه بأدلة نقليَّة وأسهموا في نشر عقيدته لما لهم من تأثيرٍ بالغ على جمهور المسلمين. وقد كان متقدموهم لا يخوضون في عقيدة

¹- نفس المصدر، ص 312-318-314.

²- نفس المصدر، ص 314.

المهدي وإنما كان عملهم منحصراً في العبادة والمجاهدة والتفائلي في محبة الخالق، والزهد في حطام الدنيا والقناعة منه بالقليل. ثم حدث عن المتأخرین من المتصوفة، القول بالكشف والتجلی، والعرفان والكلام فيما وراء الحس، وادعاء الحلول، ووحدة الوجود وشارکوا بذلك الإمامية والرافضة والإسماعيلية في آرائهم الغيبية كالعصمة، والعلم الإلهي والغيبة والرجعة والمهدية والأبدال، وفأدوا بالقطب والأبدال، وهو يحاكي مذهب الشيعة في الإمام والنقيب وأشاروا أقوالهم وتغلوا في الاعتقاد بعذابهم، حتى ادعوا أن مستك طريقتهم، في الخرقه الصوفية هو علي بن أبي طالب، ألبسها الحسن البصري، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة، واتصل ذلك - لديهم - بالجندى من شيوخهم^١. بينما الحقيقة أنـ هذا الاصطلاح الصوفي المتأخر لم يرو عن علي بن أبي طالب من وجه صحيح، والصحابة كلهم أسوة حسنة في طريق الهدى والرشاد، وفي تخصيص علي بهذا دونهم، رائحة من التشيع قوية، دخلت المذهب الصوفي، إلى حد قول أتباعه، بالمهدي المنتظر وتكلم فيه علماؤهم المتأخرون كابن العربي في كتابه (عنقاء مغرب)، وابن قسي في كتابه (خلع النعلين)، وعبد الحق بن سبعين، وابن أبي واصل تلميذه، في شرحه لكتاب (خلع النعلين). وأكثر كلام المتصوفة في المهدي، عبارة عن الغاز، وأمثال، وربما يصرحون أحياناً، أو يصرح شارحو كلامهم، وأسرارهم، بأن النبوة بها ظهر الحق، وتعقبها الخلافة، فالملاك، ثم ينتشر الضلال والفساد، ولا بد من إحياء أمر النبوة، بواسطة خاتم الأولياء، وهو يضاهي مهدي الآتي عشرية المنتظر، أنه سيقضى مثله، على المسيح الدجال

١ـ الأزبي: كشف الغمة في ععرفة الآية: 131/١.

الذى يظهر على إثره. وعبر ابن العربي عن مهدى الصوفية، بأنه لبنة الفضة، إشارة إلى حديث البخاري في باب خاتم النبيين، أن رسول الله قال: **عَنْتِي فِيمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمْثُرَ رَجُلٌ أَبْتَقَنِي بَيْنَهُ، وَأَكْمَلَهُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقِي مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعُ لَبْنَةٍ، فَإِنَّا هُنَّكَ الْلَّبْنَةُ**^١. فخاتم الأولياء، أو مهدى الصوفية المنتظر، يمثل دور النبي في ختم الرسالة، وفرق المتصوفة بين لبنة النبي وخاتم الأولياء، بأن جعلوا لبنة النبي من الذهب، ولبنة خاتم الأولياء من الفضة - ووقتها ظهور المهدى، بتاريخ مختلفة، باختلاف الأزمنة، ولكنها كلها كذبها الواقع. ونسبوا إلى النبي أنه قال: **إِذَا هَلَكَ كُسْرَى فَلَا كُسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قِيَصَرٌ فَلَا قِيَصَرٌ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفَسَيْ بِيَدِهِ، لَتَنْفَقَ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَوْلَوْا الْحَدِيثِ**، معتبرين عمر بن الخطاب هو الذي أنفق كنوز كسرى، في سبيل الله، والذي يهلك قيسار، وينفق أمواله في سبيل الله هو مهدى الصوفية المنتظر، حين يفتح مدينة القسطنطينية.

ونحن وإن صدقنا تاریخياً، أن الخليفة عمر بن الخطاب، هو الذي فتح فارس، وأنفق كنوز كسرى في سبيل الله، فليس يعني ذلك، أن هذا الحديث صحيح، وإنما هو ظاهر الوضع، دعم بهذا الخبر المعاون الذي لا يقبل الشك، و شأنه في ذلك، شأن الأحاديث الموضوعة، التي تتبع أسانيد مشهورة، بالثقة والضبط، للتمويه، على العامة أنها صحيحة.

وكما كذب الواقع توقيت الصوفية لرجعة المهدى، جددوا التبره بظهوره في عهود لاحقة. وهذا داویك، مما دفع ببعض المشائخ، من الذين عرفوا بالزهد، والعبادة، والتتصوف، إلى الإدعاء أنه هو المهدى المنتظر.

لأنه حصل له من الكشف والمعاينة، ما جعله يذهب إلى هذا الظن، زاعماً أنه خطاب من الله -عز وجل- وهو خيال، أو وسوسه شيطان، وقد يكون أحدهم اسمه أحمد بن إبراهيم، فيقال له: محمد وأحمد سواء، وإبراهيم الخليل هو جد رسول الله، وهو يمثل أباً لك، وللهذا فقد واطأ اسم النبي اسمك، واسم أبيه اسم أبيك، حسب الحديث المروي في ذلك^١.

وعلق ابن تيمية في رده على الحلي، حول قضية المهدي، أنه بالرغم من هشاشة هذا الإدعاء وظهور آثار الوضع فيه، فإن مهدي المتتصوفة، والمهدى الفاطمي بالمغرب وغيرهما... حصل بهم بعض النفع، وانضرت بهم صوائف أخرى. ولعل الفائدة التي قصدها ابن تيمية، هي قيام دول على بد بعض هؤلاء، ومن ادعوا المهدية، ومنهم عبيد الله المهدى بأفريقيا وتونس وعاصمتها المهدية.

وعلى كل حال فهو لاء المهديون، هم في نظر ابن تيمية -أفضل من مهدي ازراضاً الذين حصل به من الضرر، أكثر من هؤلاء جميعاً، لأنه عقيدة مجردة، وليس تطبيقاً، حيث لم تعرف له عين، ولا حس، ولا خبر، ولم ينتفع به أحد في الدنيا، ولا في الدين^٢.

ويبدو أن ابن تيمية، بني حصول النفع بالمهديين الآخرين من غير أيسة الاتي عشرية - على تمكن بعضهم من تأسيس دولة، وخروجهم بهذه

- رواه أبو داود والترمذى؛ وأبو بكر البزار والطبرانى

- الأربنی: كشف انigma: 540/2

- الأربنی: كشف انigma في معرفة الائمة: 540/2

- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 4/212 - وبهائمه (موافقة صريح المعمول نصحح المنشوذ) للمؤلف المذكور، - ابن خلدون - المقدمة ص 322-327.

العقيدة، من حيز النظر إلى حيز التطبيق، ولو تمكن الشيعة الائتية عشرية من إقامة سلطة، على يد من ادعى منهم أنه المهدي المنتظر، لما كان لهم هذا انزلي حون المهدي.

ولئن ذهب ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية) إلى أن مهدبي الاصوفية، كانوا خيراً من متظري الرافضة المهدى، من حيث النفع والضرر، فقد نفى في (فتاویه) درجات المتتصوفة، وأعظمها رتبة المهدى، معتبراً الأسماء الدائرة على السنة كثیر من الناسك والعامنة، مثل "الغوث" الذي يمکن، والأوئل الأربع" و"الأقطاب السبعة" و"الأبدال الأربعين" و"النجباء الثلاثمائة، أسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي مأثورة عن النبي - صلی الله علیه وسلم - لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، إلا الأبدال فقد روی فيهم حديث شامي، منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مرفوعاً إلى النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال: "بن فيهم - (يعني أهل الشام) - ، الأبدال الأربعين رجلاً، كلما مات رجل، أبدل الله تعالى - مكانه رجلاً" ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف، ولا هي مأثورة بهذا الترتيب والمعنى، عن المشائخ الذين تعرف الأمة الإسلامية بفضائهم وصلاحهم، بل هي موجودة على هذه الصورة، عند بعض المشائخ المتوسطين، وقد قالوا بها لأمر لا يخلو من احدى حالتين: إما كونهم أثروها على غيرها، أو أنهم ذكروها للإطلاع والإعلام فحسب، وهم في دعواهم هذه المراتب، يصاہون الرافضة من بعض الوجوه، ويلتفون معهم في اعتبار

المهدي، وبقية الأسماء والدرجات والأيماء، وسائط بين الله تعالى -
ومخلوقاته^١.

وبهذه الطريقة كون الصوفية مملكة ظاهرية وباطنية، واتخوا من
فكرة المهدي قطبا لها، ولكنهم غيروا أسماءها، وكمروا نظامها، وهي عبارة
عن سمات في الخيال، وجري وراء أوهام كلها شعر، ولكنه ليس شعرا
لذذا، بل هو شعر معقد، مفاسد برموزه وأسراره التي لا يدركها في الغالب
غيرهم، وقد أفسد هذا الشعر، في حل الأوقات - على الناس عقائدتهم
وأعمالهم وأبعدهم عن المنطق والواقع، والتصرف في شؤون الحياة، وقعد
بهم عن المطالبة بإصلاح الحكم، وتحقيق العدل، فكانوا يهيمون في أودية
الخيال، والحكام يهيمون في أودية الفساد، وكأنهم تواضعوا على ذلك،
فالحاكم يفسد، والشعب يحلم في شكل متصوفين أو في أشكال أخرى، وحالة
الأمة تنتقل من سيء إلى أسوأ^٢. وعند استاذنا الدكتور علي الشابي بعض هذه
الأشعار الصوفية واحدة ظن، يمكن أن نلجم إليها، كلما شعرنا بالحاجة إلى
سفر روحي^٣، لأنه يوم زمني غببي غير محدود، خلاف اليوم المحسوس.

ويعلق الشيعة جدوى ظهور المهدي ولو في آخر يوم من أيام الدنيا،
 بأنه مجرد فرض، للتدليل على أهمية الإيمان بهذا المبدأ في العقيدة الائتية
عشرية. أضف إلى ذلك أن اليوم انوارد في القرآن، هو غير اليوم المعروف

- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 4/212 - وبنبله (بيان موافقه صريح المعمول لصحيح
العنفون) للمرأف المذكور - مجموع فتاوى ابن تيمية: 11/433 - 434، 439 - 445.

- احمد أمين: ضحي الإسلام: 3/246.

^٣ - علي الشابي: الشيعة في ليران - ص 151 - هـ.

لدى الناس، من حيث المدة الزمنية، لقوله تعالى مثلاً: «إِن يَوْمًا عِنْ رَبِّكَ كَأَفَ سَنَةٌ مَا تَعْدُونَ»¹.

وبذا أمعنا النظر في إطلاق رجعة المهدي، بدون قيد الزمان أو المكان، لاحظنا أن الشيعة الائتية عشرية ما نهوا عن التوفيق لظهوره، إلا لأنهم لا يريدون أن يظهر (المهدي المنتظر)، وحجتهم في ذلك، أقوال مشوبة نلأيمه، عقد لها الكليني في كتابه (الكافي) فصلاً خاصاً أطلق عليه: «باب كراهة التوفيق»². ومن ذلك أن المهدي نفسه كتب الوقاتين بواسطة وكيله الثاني محمد بن عثمان التعمري. أما الطوسي فقد أشار إلى أن كتاب «وقت خروج المهدي» صنفه محمد بن حسن بن جمهور القمي، وهو مشهور بأنه من الغلة ومن النوضاعين للأحاديث. ولهذا السبب نلاحظ أن كتاب الشيعة عندما يترجمون لمتكلم شيعي قد ينددون به لأنهم من المبالغين في الوقت، أي في تقدير وقت ظهور المهدي، ولعلهم استكفوا من ذلك لأنه شبيه بما صنفه اليهود، عندما قدروا النهاية وحسبوها على يد أحد وقاتلهم ويدعى «مكاسبجي قصين» بالرغم من كونه لم يسلم من توجيهه صنوف اللوم له من بعض علماء اليهودية³.

ولذلك فإن المهدي المنتظر يمثل لدى الشيعة - فكرة يجب أن تبقى في حدود النظر، ولن يكتب لها أن تدخل إلى حيز التطبيق. وقد كان بعض

1- سورة الحج: الآية 47 - الأربعي: كشف الغمة في معرفة الأئمة 540/2 - ابن خثرون: المقدمة، ص 324-325 قوله تعالى: العقيدة والشريعة في الإسلام - ص 337.

2- الكليني: الأصول من الكافي: 368/1 - الطبرسي: الاحتجاج: 282/2-283 - فؤاد سليم: العقيدة والشريعة في الإسلام - ص 193 - هـ 89 - ص 337-339

الكتاب المقدس: سفر دаниال: 11/12-13.

الشيعة ينفيون بالواقع، ويدهبون إلى إمكانية تحقق الأمال التي عقدوها على المهدى المنتظر، في ظل هولاء الأمراء، فلما فقدوا كل الإمكانيات العملية لتطبيق مبادئهم الاثنى عشرية في المجال السياسي الذي يعيشونه، تحولت فكرة المهدى تدريجياً إلى فكرة خيالية مثالية، ودفع المؤمنون بها إلى مستقبل بعيد غامض وأصبحت عقيدة وجدت للايمان القبلي لا للتطبيق العملى، أو التحقيق الزمانى أو المكانى، وإنما يجب أن تكون دائماً مطلقة في مفهومها العام، خلوا من هذه القيود، ليكون تشبت العامة بها أقوى، والإيمان بها أشد، حيث أنها مرتبطة بأمالهم، وأحلامهم.

ويظهر أن الحركات المهدية التي غالب عليها الطابع السياسي العملى، قد نشأت بين أوساط سنية وزعماً منها من أهل السنة، بينما الحركات المهدية التي اصطبغت بالطابع العقدي النظري فقد قامت بين صفوف الشيعة الإثنى عشرية، وبعبارة أخرى فإن الحركات التي استطاعت أن تقيم دولاً، أو توسع فرقاً مذهبية، إنما ترجع أساساً إلى هذه العقيدة، ومع ذلك فإنه لا يجب أن ننسى أن الحركات التي قامت باسم المهدية لها أسباب أخرى غير مهدوية، أو غير دينية، وهي عبارة عن أسباب سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وقد استغل اتباعها صفة المهدية فأسل quoها على حركاتهم، لضممان نجاحها، لا قيامها. وبين هذا الخضم المتلاطم من الحركات المهدوية ثبو فكرة المهدى الإثنى عشرى حلمى لن يتحقق أبداً، لأنها عقيدة مطلقة من قيود الزمان والمكان، وليس واقعاً ملماً سيعطى في يوم ما... إن فكرة المهدى المنتظر تمثل معنى حياة أتباعه، ولذلك فهو لن يرجع، لأنهم هم الذين أحالوا أنفسهم عاجزين عن رؤيته أو رجعته. ويدهبون (هنري كوربان) إلى

أن "الرجعة ليست بالحدث الذي يمكن أن ينبع من هذا ذات صباح، وإنما هي حدث يتأتي يوماً في يوماً في قلوب المؤمنين من الشيعة" ابن المهدى المنظر بدعا - لدى هؤلاء الأتباع - صاحب الزمان، وتعنى الإشارة الخاصة إلى الإمام المستور الذي لا تراه الحواس، ولكنه حاضر في قلوب المؤمنين... إنه الشخص الذي يستقطب إخلاص الشيعي النقى، وتأمل الفيلسوف، ولذلك فلن يكتب له أن يظهر في وقت من الأوقات، لأن ظهوره يعني نهاية العقيدة الإثنى عشرية التي ينتمي إليها، أو بالأحرى هي التي تنتمي إليه¹. ومن ثم كان نزاماً وجود نواب للمهدى المنتظر أثناء غيابه، يقومون مقامه، ويبلغون حجته ومبادئه وأوامره، إلى أتباعه، وفي هذا المجال يحسن بنا - قبل الحديث عن هؤلاء النواب - أن نبين أنواع الغيبة لأن لكل نوع من النوعين الذين ذكرهما الشيعة للغيبة نواباً مختصين بذلك المدة، فالغيبة الصغرى نوابها محددون بأربعة أشخاص من أخص أتباع المهدى ومواليه، بينما الغيبة الكبرى نوابها غير معينين، وغير محددين، لعدم تحديد مدتها حيث بقيت مطلقة، بدون قيد زمني معروف، ويروى الشيعة عن الصادق أن لقائم غيبتين: صغرى وكبير، فالغيبة القصيرة يشهد فيها المواسم والأعياد، ويرى الناس ولا يرونها، ولا يعلم فيها بمكانه إلا خاصة أتباعه ومواليه، وسيغتنم فرصة هذه الغيبة الكبرى مدعون، سيزعمون أنهم المهدى المنتظر الحقيقي، وعلمه فلا يغترّن بهم مغترون، وعلى الأتباع أن يسألوهم عن أشياء يجيب فيها أمثالهم، فإن أجاب أحدهم عن المطلوب فهو إمام الزمان المخبر عنه، وأن عجزوا عن الإجابة، فإنهم مدعون كاذبون، لأن يتلجلجو، أو تكون

1- هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية - ص 126 - 128.

أجوبيتهم، وأقوالهم، وسلوكهم مع الرعية غير منسجمة مع دور المهدي الموصوف بكونه سيملاً الأرض عدلاً وانصافاً ملائماً ملائلاً جوراً وظلاماً،
ويدعى الشيعة الإثنا عشرية، أن هذه الغيبة مدعاة بالقرآن -حسب تأويلهم التعسفي للآيات الكريمة- فقد روي عن موسى بن جعفر الكاظم (ت 164هـ/781م) في قول الله تعالى: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين^١. أَنَّه قَالَ: إِنْ غَابَ عَنْكُمْ إِمَامُكُمْ، فَمَنْ يَأْتِيْكُمْ بِإِمَامٍ جَدِيدٍ؟^٢ . وليس المقصود بالماء في هذه الآية هو المهدي المنتظر، لأنها نزلت في مشركي قريش الذين أمرَ الله رسوله أن يحاجهم، متحذياً إِيَّاهُمْ بطلب ميسور على الله، صعب العنايل عليهم، وهو أنه إذا غار الماء في أعماق الأرض فلا يستخرج بالآلات الحادة والسواعد المفتولة فمن يخرجه لهم غير الله؟ وإذا كان الله - تعالى - قد أنعم عليهم بهذا، فلماذا يشركون معه غيره من الأصنام والأوثان؟ (الصبوني: صفوۃ التفسیر: 3/421).
ويذهب الشيعة الإثنا عشرية، على أن القرآن الكريم يؤيد رجعة مهديهم المنتظر، ومنه قول الله - تعالى - : وَإِذَا وَقَعَ الْفَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ نَكْلِمُهُمْ، إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقَنُونَ^٣. وقوله أيضاً: وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَّعُونَ^٤. والظاهر - لدى مفسري أهل السنة - أن الآية الأولى نزلت في خروج الدابة، وهي من أشراط الساعة، حين يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما سياق

١- سورة الصاف: الآية 30

٢- الكليني: الأصول من الكافي: 331/1، 339، 340، أبواب الغيبة والمهدى

٣- سورة النحل الآية 82.

٤- سورة النمل: الآية 83.

الآية الثانية فيفيد أن هذا الحشر الجزائري، الذي استدل به الشيعة على رجعة المهدي لوجود من التبعيضية، هو حشر للتوبخ، بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق ويضيف أهل السنة أنه لا يوجد في القرآن ما يدل على الرجعة، بل فيه ما يأبى ذلك، منه قوله تعالى 'حتى إذا جاء أحدهم الموت فالرب ارجعوني، لعنى أعمل صالحا فيما تركت. كلا إنها كلمة هو فانلها...' ^١.

ولتوسيح الظروف الزمنية التي أدت إلى غيبة المهدي، يجب أن نذكر أن الفقد التاريخي لا يمكن أن يجد سبيلا إلى المهدي المنتظر، ولا سبيل إليه إلا بما يسمى بالتأريخ الفدسياني 'ومن خلاله يروي الشيعة أن الشرطة العباسية القت القبض على الإمام الحادي عشر الحسن العسكري كسجين في مدينة سرمن رأى' ^٢. وتوفي سنة (874هـ/260م) عن عمر يبلغ ثمانين وعشرين عاما، وترك ابنه محمد بن الحسن العسكري رضيعا، وعندما بلغ خمس سنوات وبضعة أشهر دخل في الغيبة الصغرى سنة 265هـ/878م، وانتهت سنة (329هـ/941م).

وكان المهدي في الغيبة الصغرى يتصل بالشيعة عن طريق نوابه الأربع، فيقتهم فيما يسألونه عن أمور دينهم، ودنياهם، ونذكر المصادر الشيعية أن الإمام القائم كان يظهر أحيانا في غيبته الصغرى لخاصية أتباعه وأوليائه، وقد عقد الكليني في (الكافي) بابا في تسمية من رأه منهم ^٣. وروى

١- سورة المؤمنون: الآية 99-100 - الألوسي - روح المعانى: 20-21-28

٢- مدينة (سر) من رأى في العراق وتبعد مائة كيلومتر عن بغداد، وتحصر فقال لها: سامراء

٣- الكليني: الأصول من الكافي: 1/333-329هـ

الزنجاني في كتابه (عقائد الإمامية الإثني عشرية) أسماء الأئمّة الذين رأوا
المهدي في هذه العدة^١.

لكن وكلامه الأربعه هم الذين اختصوا ببرؤيته في كل وقت، وهم على
التوالى: عثمان بن سعيد العمري، ويكنى أبا عمرو، والسمان، ويقال له:
الزيارات، والعسكري أيضاً، نصبه في خطة وكيل صاحب الزمان، الحسن
العسكري، والد المهدي، والغريب في الأمر أن الطوسي ذكر في كتاب
(الغيبة) أن من عينه في هذه الخطة - إلى جانب والد المهدي - أبا الحسن
النقي جد المهدي،^٢ بينما الرواية لا تستقيم تاريخياً لأن الإمام النقى توفي
سنة (254هـ/868م) بالإضافة إلى أن الشيعة يؤرخون لميلاد المهدي سنة
(260هـ/874م)، فكيف ينصب هذا الوكيل، قبل ميلاد المهدي، والحال أنه
سينوبه في المستقبل؟ اللهم إلا إذا أدخلنا هذه القضية، في عدد التاريخ
القدساني الشيعي، ومن قبيل النص على الأئمّة الإثني عشر قبل ميلادهم،
حيث ادعى الشيعة أن الرسول أوصى لهم بالإمامنة واحداً فواحداً، سواء أكان
البعض منهم موجودين في عهده، كعني والحسن والحسين، أم كانوا غير
موجودين يوصفهم لم يولدوا بعد مثل بقية الأئمّة التسعة، وأخرهم قائمهم،
وهو إمامهم، وأعلمهم، وأحكمهم وأفضلهم^٣.

١- نقل عن الدكتور على الشابي: الشيعة في لبنان - ص 111.

٢- طوسي: الغيبة - ص 214.

٣- الكراجكي: الاستبصار في النص على الأئمّة الاطهار: مخطوط: 4/ب - دار الكتب الوطنية
- بتونس

أما الوكيل الثاني، فهو محمد بن عثمان العمري، ويكتن أبا جعفر، وهو ابن النائب الأول، عينه أبوه بنص القائم، وأمره^١. وأما الوكيل الثالث فيدعى أبا القاسم الحسين بن روح التوبختي (ت. 326هـ/933م)، أخلص للمذهب الإثني عشرية، وكان أميناً ومتقانياً في خدمة النائب الثاني مما جعله يعينه عند موته، وينصبه ليقوم مقامه، ممثلاً دور السفير بين الشيعة وبين صاحب الزمان، موصياً الأتباع بالرجوع إليه في أمورهم، والتعویل عليه في مهماتهم، وهو في هذه الوصية لا يعدو أن يكون مبلغاً أمر القائم إلى شيعته^٢.

ويدعى الوكيل الرابع أبا الحسن علي بن محمد السمرى، قام بأمر النيابة والسفارة بين الشيعة الإثني عشرية، وصاحب الأمر، بعد الحسين بن روح، وتوفي في النصف من شعبان سنة (329هـ/941م)، وأخرج للناس قبل وفاته توقيعاً من الخاتمة المقدسة، بإمضاء المهدى وأمره يقول فيه، 'بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ' يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر أخوانك فيك، فإنك ميت ما بيئك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفائك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله - تعالى ذكره - وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي إلى شيعتي من يدعى، المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيانى^٣. والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي'

^١- الطبرسي: الاحتجاج: 282/2-283-296.

^٢- نفن المصادر: 282/2-283-286.

^٣- السفيانى: هو مهدى البت الأموي، وزاعت أخباره في البينت الأموية، وكل السفيانى انتظر كائناً بدي المنظر، وانسب في ذلك يعود إلى أن خالد بن الونيد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كان يوصف بالعلم، ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السفيانى، لعله

العظيم. فسأله بعض الناس: من وصيك من بعدي؟ فأجاب: الله أمر هو بالغه.
 ثم قضى نحبه في الأجل الذي تنبأ به المهدى وحدده - حسب رواية الشيعة
 - وقد روی له الشيعة كرامات تؤكد اطلاعه على علم الغيب، لأنه أمر خص
 به الأيامة الإثني عشر، ونوابهم المقربون. وبعد وفاة هذا النائب الرابع، دخل
 المهدى المنتظر في غيته الكبرى التي لا تزال مستمرة حتى يظهر¹. وبما
 أنه لا يرى، ولا يعلم مكانه، فإن علاقته الروحية لا ترتبط إلا بأخص مواليه،
 غير أن الشيعة قد اختلوا في مكان غيته، فمنهم من يرى أنه في سردار
 بمدينة (سر من رأى)، ومنهم من يرى أنه في حفرة أو سردار في دار
 للشيعة بمدينة الحلة الفريدة من (سامراء). وكان جزء من مدينة الحلة
 مخصصاً لعسكر المعتصم، ولذلك سمي علي الفقي، وابنه الحسن العسكريين،
 ويرى هؤلاء الشيعة أن المهدى غيبه هناك، وسوف يخرج آخر الزمان
 لينشر العدل والاطمئنان بين الرعية. ولما كان الشيعة يتذمرون خروجه،
 ورجعوا فبنهم إلى عهد ابن خلدون (ت. 808 هـ/1406 م) كانوا يقفون كل
 ليلة بعد الصلاة المغرب، بباب هذا السردار، وقد أسرجوا مر Kirby أمامه،
 هاتقين باسم المهدى، يدعونه للخروج، وهم على ذلك النداء حتى تشتبك
 النجوم، ثم ينفطون، ويرجتون الأمر إلى الليلة الولائية، دون أن يصيّبهم
 اليأس أو التعب. ولذلك كانت هذه الغيبة، ولا تزال مناط أحلام الشيعة،
 وموئل هدائهم وأعمالهم كلما اشتدت المحن، وعصفت الأحداث، وأمعنت

يصل بواسطته إلى الحكم، ويعبد مجد آل سفيان، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك،
 وتزوج أمها، أم هاشم -أحمد أمين-. ضحي الإسلام: 238/3 - 243.

- التحرسي: الاحتجاج: 2/296 - 297.

السلطة في العسف بهم، أو جرت الرياح بما لا تشتهي سفنهم^١. ومن ثم كان نزاما على الشيعة الإثنى عشرية، أن يفكروا في مسألة نيابة المهدى المنتظر، أبناء غيبة الطويلة هذه: وهي على كل حال تختلف عن النيابة في الغيبة الصغرى التي كانت محدثة بأربعة وكلاء، أما الغيبة الكبرى فهي غير مقيدة بالزمان أو المكان، أو بنواب معينين، إن عمومها وإطلاقها جعلا منها قضية من أخطر القضايا التي طرحتها الفكر الشيعي في الماضي والحاضر، وعلى سبيل المثال فقد تعرض إليها شيعي معاصر هو (مهدي بزرگان) متسائلًا: هل من المعقول أن تتوقف الحياة في غيبة المهدى المنتظر؟ هل من الممكن أن تلغي كل عمل حتى يعود من غيبته الطويلة؟ وحتى في حال رجعته فإنه سيحتاج إلى مساعدين يعينونه على القيام بأعمال الحياة الكثيرة والمعقدة، والتي لا تستطيع أن تجزها نفس بشرية بمفردها.

ولا ينكر (مهدي بزرگان)، أنهم كشيعة إثنى عشرية، ينتظرون الإمام الغائب والقائم، ولكنها يستفسر، في الآن نفسه عما يعنون بالثورة بالقيام؟ ثم من أجل ماذا؟ ويحاول الإجابة متعرضاً لما تقوله العامة دائمًا من جمل تقليدية متمثلة، في كون المهدى سيرجع ليقيم حكم الله في الدنيا، ويملاها قسطًا وعدلاً، بعدما ملئت جوراً وظلماً. فينظم الاقتصاد وال عمران، ويقضي على الفقر، حتى لا يوجد من يستحق الزكاة، وينشر الاطمئنان بين المسلمين ويرسم أحسن الأخوة والإيثار والتعاون، بحيث تعيش الشاة مع الذئب دون خوف. إن قضية الإمام الغائب، لا يجب أن تكون سفي نظر بزرگان - بلاء

١- ابن خدون - المقدمة - ص 199 - بوشن - عقيدة الشيعة - ص 246 - الدكتور علي الشibli - الشيعة في إيران - 112.

على المسلمين، ونوعاً من الانكال والسلبية، وانتظار قوة خارجية تجلب الخلاص، مثلاً ذهب البعض من رجال الدين الكسالي وطلاب الراحة في بعض الفترات...¹

إن انتظار إمام الزمان لا يمنع من الإسهام في الكفاح السياسي، والاجتماعي، إلى أن يتفضل بالظهور، وحتى لا تترك الفرصة سانحة للظالمين، والغاصبين وغير الشرفاء كي يستولوا على السلطة ويفعلوا ما يريدون، ويحكموا كما يشاؤون، دون أن نتصدى نحن لمنعهم، ولو في حالة الدفاع الشرعي عن النفس، ويؤكد (بزركان) أن المهدي المنتظر هو إمام الجماعة العالم، والعامل والعادل والكامل، والمصعوم، ومع ذلك فلا يجب أن تتوقف الحياة أشلاء غيبته، وقبل رجعته، وعليها أن ننبع عنه من يصلى بنا، ومن يعلمها، ويدرسنا، ومن يقضي في خصوماتنا، ويفرض مشاكلنا... حتى يظهر¹.

إن هذا الفهم الجديد لغيبة المهدي المنتظر، يجعل منها قضية قد طرحت لمنع الحركة الشيعية المسحورة أملاً جديداً، ومن ذلك أنه في بعض الثورات الشيعية التي حدثت خلال العصور الوسطى في إيران وأهمها ثورة (السربدارية)، كانت فكرة الإمام الغائب يبشر بها على نطاق واسع فتمنح للمقاتلين قوة وأمل². وفي الثورة الكبرى 15 فيفري 1979، كان الشيعة الإيرانيون يعبرون عن فرحتهم بر جوع آية الله العظمى الخميني من المنفى، بصيحة خارجة من أعماق خمسة ملايين شخص جاؤوا لاستقباله: قاتلين:

¹ - مهدي بزركان: الحد الفاصل بين الدين وسياسة - ص 29 - 31، ترجمة فاضل رسول - نفس المرجع - ص 125 - هـ 9 - من تعليقات المترجم.

عاد الإمام...¹ وينحهم ذلك قوة، وبأساً، وأملاً بمستقبل أيامهم الجديدة، في ظل الحكم الجديد الذي حرموا منه طيلة حياتهم، عدا المدة القصيرة التي تولى فيها الحكم إمامهم الأول علي بن أبي طالب، ولكنه لم يذق فيها طعم الاستقرار.

ويذهب الدكتور علي شريعتي من أعلام الشيعة المعاصرين - إلى اعتبار قضية المهدي المنتظر كحاجة ملحة لحركة عانت من هزائم متكررة، لذلك احتاجت إلى أمل دائم، ورمز متعدد يوحى بالنضال والتضحية. ويتفق كتاب معاصرون آخرون في إيران على أن الوجه الغالب لطرح مسألة غياب الإمام يجب أن يكون إيجابياً، وداعياً للنضال لا مثبطاً لهم². ولأجل هذا السبب فإن غيابه لا تضر بحياة أتباعه من الشيعة، لأن له نواباً من بينهم، يؤدون رسالته، ويتحلون بموهبة روحية، ويظلون على صلة باطنية وثيقة به، في غيابه الطويل، إن المهدي المنتظر كان روحى حى يضرع إليه الشيعة في صلواتهم، ويدعون الله أن يجعل بعودته إليهم، لأنه يمثل سديهم محور العالم، وحاكمه غير المرئي. ولذلك فإنه يشترط أن يكون نوابه، من بين المجاهدين الشيعيين الذين توفر فيهم شروط الاجتهداد، ولن يصل ذائب المهدي المنتظر إلى هذه الدرجة إلا متى اعترف له الشيعة، وفي مقدمتهم

- 1 - Philippe Rochot: La grande fièvre du monde musulman P 42, 48 – 49

- 2 - علي شريعتي هو كاتب، وفيلسوف إيراني معاصر، وظف التاريخ الشيعي، ونظر المذهب الأثنى عشرى، وتعذر مؤلفاته وأعماله من الأسس التي اعتقدت عليها الثورة الإيرانية، نسب Rochot: La grande fièvre du monde musulman (P – 24- 25)

- سهدي بزرگان: الحدائق - ص 125.

رجال الدين، من مجتهدین، وآیات الله، بالفضل والتفوی، والعلم ونصرة الدين، وعندھا يصبح أمره نافذا، وطاعته واجبة على الأتباع من العامة وغيرهم، ويكون تذییهم - رئیسا، وحاکما مطلقا، ويعتبر الخارج عن طاعته، خارجا عن طاعة إمام الزمان، والخارج عن طاعة إمام الزمان، خارجا عن طاعة الله، ومن وصل إلى هذا الحد من العصيان، والاستخفاف بالمبادئ الشیعیة عذ - عندھم - موصوفا بالکفر والإشراك^۱.

وتظهر حول قضیة المهدی المنتظر، مشکلة خطيرة، هي بقاوه حیا إلى اليوم، إذ کيف يمكن التدليل على حیاة إنسان، حتى العصر الحاضر، بينما يدعی الصیاره أنه ولد سنة (260ھ/874م)^۲ أو سنة (256ھ/870م)^۳؟ يعني أن عمره الآن يفوق الألف سنة، وسيبلغ أكثر من ذلك في مستقبل حیاته، أقليس للأعمار حد لا تتجاوزه، مهما طال أو قصر من شخص إلى آخر؟ إن التأریخ القدسانی الشیعی لا يعترف بوجود ما يسمى بهذه المشکلة، ثم إن الأدلة في هذا الموضوع لا تعوز الشیعی الإثنتي عشریة، وهي أدلة متقدمة، من نقلیة إلى عقلیة وربما حتى أدلة (فسیولوجیة) مستمدۃ من الطب الحديث^۴. ومن بين الأدلة النقلیة ما رواه القدامی عن أبي عبد الله (الصادق)، أن لصاحب هذا الأمر خیة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد^۵، والمؤمن الصادق هو الذي يتحمل مسک القتاد بيده. ثم أطرق أبو عبد الله مليا، وقال:

- الدكتور علي الشابی: الشیعیة فی إیران - ص 124 - 125.

- التوبختی: فرق الشیعیة، ص 95 - وانظر ما بعدها، مهندی بزکان، الحد الفضل، ص 125.

- نفس المصدر.

- القتاد: ورق له شوك وانقصود يشبهه ما نقول أحیانا: من يعطف الورد يصبر على شوكه - انظر الكلبی - الأصول من الكافی: 335/1.

إن نَصَّابُ الزَّمَانِ غَيْبَة، فَلِيَقُولَ اللَّهُ عَبْدٌ، وَلِيَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ، إِنْ أَمْرَ الْمَهْدِيِّ أَبْيَانٌ
 مِنَ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ رَغْمَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ فِي وُجُودِهِ،
 وَاسْتَمْرَارُ حَيَاتِهِ، إِنْ هَذَا الشَّكُ الَّذِي يَحُومُ حَوْلَ الْمَهْدِيِّ، هُوَ - حَسْبُ الرِّوَايَةِ
 الشِّيعِيَّةِ - امْتِحَانٌ عَسِيرٌ لِأَتَبَاعِهِ، حَتَّى يَمْيِيزَ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ، مِنَ الْمُؤْمِنِ
 الْمُضْعِفِ، وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ أَنْ أَوْلِيَاءَهُ يَرْتَابُونَ فِي وُجُودِهِ، مَا غَيْبَ حِجَّتَهُ طَرْفَةَ
 عَيْنٍ، إِنْ غَيْبَتِهِ عِبَارَةٌ عَنْ نَقْيَةِ خَوْفِ الْعُدُوِّ، وَاحْتِيَاطًا مِنْ عَامَّةِ الْأَنْصَارِ
 الَّذِينَ سَيَفْرُحُونَ بِوُجُودِهِ لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ، وَعِنْهَا سَيَكْشِفُونَ أَمْرَهُ مِنْ حِلْبَةٍ
 لَا يَشْعُرُونَ، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ النَّاسَ يَفْتَدُونَ الْمَهْدِيَّ، فَإِنَّا لَمْ نَرَهُ وَلَا
 يَنْجُو مِنَ الشَّكِ فِيهِ وَالْخَتْلَافُ حَوْلَهُ، وَمَا يَتَخَلَّ ذَلِكُ مِنَ الدِّسَانِ وَالْمَكَانِ،
 إِلَّا مِنْ أَنْدَلَ اللَّهِ مِيثَاقَهُمْ، وَأَيْدِيهِمْ بِرُوحِهِ مِنْهُ، إِنْ هُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلَصِينَ هُمْ
 - حَسْبُ الرِّوَايَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الصَّادِقِ - أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبَادُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 - لِعَذْمِ شَكِّهِمْ فِي حِجَّتِهِ وَمِيقَاتِهِ، وَتَصْدِيقِهِمْ بِظَهُورِهِ، وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يَتَوَقَّعُونَ
 الْفَرْجَ وَالرَّجْعَةَ صَبَّاجَ، مَسَاءً... وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، إِذَا
 ارْتَابُوا فِي حِجَّتِهِ، فَاعْتَبِرُوهُ مَفْقُودًا، وَلَنْ يَظْهُرْ أَبَاهُ، وَهُوَ رَأْيٌ لَا يَعْلَمُ إِلَيْهِ -
 فِي نَظَرِ الشِّيعَةِ - إِلَّا شَرَارُ النَّاسِ¹.

وَعَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الْكَاظِمِ (ت 164هـ/781م)، أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمَهْدِيِّ
 مِنْ غَيْبَةِ، حَتَّى يَصِيبَ بَعْضُ الْأَتَابَاعِ شَكًّا فِي الْعِقِيدَةِ الْإِثْنَيْ عَشْرِيَّةِ، فَلِيَقُولَ اللَّهُ
 عَبْدٌ، وَلِيَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَلَوْ عِلْمَ الْأَبَاءِ
 وَالْأَجَادِيدِ دِينًا أَصْحَحُ مِنْ هَذَا لَا يَتَبَعُوهُ.

1- «الكليني: الأصول من الكافي: 1/333-339 أبواب الغيبة».

ونسب للكاظم أيضاً أن في صاحب الدار، واستمرار حياته حتى يعود، شيئاً من يوسف بن يعقوب، وورد في هذه الرواية الشيعية؛ فما تذكر هذه الأمة، أن يفعل الله بحجه في وقت من الأوقات، كما فعل بيوسف. فلقد كان له ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر على ذلك. وسار يعقوب وأولاده عند البشرة من البدو إلى الحضر، ليلاقوا بيوسف. فما تذكر هذه الأمة أن يفعل الله - عز وجل بحجه - كما فعل بيوسف، فمشي في أسواقهم، وبطأ بسطهم - لهم لا يورنه - حتى يأذن الله برجعته، كما أذن ليوسف لما قال الله تعالى: «إذك لأنك لأنك يوسف؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي، قد من الله علينا. إنه من يتق الله ويصبر، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين»¹.

ويستدل الشيعة على شبه يوسف بالمهدي أيضاً، من خلال موقف جعفر بن علي العسكري من أخيه الحسن بن علي العسكري، حين انكر وجود ولد له، مطالباً بميراثه منه عند وفاته، ولا يكتفي الشيعة باستكثار موقف جعفر، بل يستدلون على ظلمه لأخيه الحسن العسكري، بما كان من أخيه يوسف، حين ألقوا به في الجب، وعصوا أمر أبيهم يعقوب².

ويذهب الشيعة، إلى أن الله أراد أن يجعل في المهدي سنة من موسى، حين أخفى أمر ولادته عن فرعون حتى لا يقتله. كما أن في ولادة المهدي سنة من عيسى عندما نطق في المهد: «قال: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلنينبياً. وجعلني مباركاً أيّنما كنت، وأصانني بالصلوة والزكاة ما دمت

- سورة يوسف: الآية 90 - الكافي: الأصول من الكافي: 1/336-337.

- الكاظم التزويني - الإمام المنتظر - ص 37.

حياة، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً. والسلام على يوم ولدت، ويوم
أموت، ويوم أبعث حياً^١.

وقال المهدي المنتظر حين ولادته: «نريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أيمانة، ونجعلهم التوارثين»^٢. ووجد مكتوباً
على ذراعه: «وقل: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوفاً»^٣. وقد
دعا الله أن ينجز له وعده، وحمله أبوه وكلمه، ثم حملته روح القدس إلى
أعلى عاليين، واستودعه أبوه عند من استودعت أم موسى ابنها لدبه من قيل،
وكان ذلك من دلائل مهديته. ولقي المنجمون إلى فرعون، أنه سيخرج في
بني إسرائيل طفل، عندما يكبر سبزيل ملكه، فذبح أبناءهم، واستحل نساءهم.
قال تعالى: «وإذ نجيناكم من آل فرعون بسومونكم سوء العذاب، يذبحون
أبناءكم، ويستحبون نسائمكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم»^٤. ولقي إلى بني
العباس أنه سيخرج من آل البيت إمام يغيب عن الأنظار، ثم يرجع ليديم
دولتهم، فترصدوا للمهدي، ووضعوا حوله، وحول أتباعه العيون، يتسلطون
أخباره، فكان لزاماً عليه أن يغيب لفترة شرهم، إلى أن يحين موعد ظهوره
على مسرح الحياة ف تكون له بدايات، وإرادات، وغايات ونهيات... لأنه
النجم الثاني عشر الذي إذا طلع أضاء الدنيا بعد ظلام. وعلى الناس أن
يحمدوا ربهم على ما ابتلاهم به، وعلى ما سينعم به عليهم^٥.

^١- سورة مریم: الآيات 30-33.

^٢- سورة القصص: الآية 5.

^٣- سورة الإسراء: الآية 81.

^٤- سورة النور: الآية 49.

^٥- الكلبي: الأصول من الكافي: 337/1.

المسعودي: إثبات ثوسي، ص 250.

وفي هذا المجال، أسرف الشيعة في تصوير غيبة المهدي، مستدلين على صدق عقيدتهم فيه، بحياة الأنبياء، فقد نسبوا إلى الصادق، أنه سُلِّمَ عما يُعرفه من أمر المهدي؟ فأجاب: إن الله جعل في القائم مما سُلِّمَ من سنن الأنبياء: فمن نوح طول العمر، وسنة من إبراهيم، هي خفاء الولادة واعتزال النس، وسنة من موسى هي الخوف والغيبة، وسنة من عيسى فيختفون في قلبه وموته، وسنة من أيوب هي، الصبر، والفرج بعد البلاء. ثم سنة من محمد، وتنتمي في الخروج بالسيف، وطرح التقى جانبًا، فيقتدي المسلمين بهداد، ويستتون بسننته، وسيرته^١.

وأثار الشيعة القدامى والمعاصرون، قضية استمرار حياة المهدي إلى يوم الناس هذا ونذكر من بين هؤلاء محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الذي لم يخف ما تعرض له الشيعة – لتمسكهم بهذا المعتقد – من الاستهتار والاستكارة، قدیماً وحديثاً، من سائر فرق المسلمين، بل ومن غيرهم أيضاً، وذلك لعدم وجود أي أثر لحياة المهدي. واثبت آل كاشف الغطاء بالأدلة السمعية والعقلية صحة هذا المعتقد، زاعماً أنه لا يستبعد، أن تتجاوز حياة إنسان، الألف عام، فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وتضاربت الأقوال في عمره، وأقل ما روي له في ذلك، ألف وستمائة سنة، وقيل أكثر إلى ثلاثة آلاف سنة. وروى علماء الحديث لغير نوح أعماراً أطول من ذلك، فقد قال الأكثرون منهم، بنبوة الخضر، وأنه حي موجود بين أظهر المسلمين في كل وقت، وروى بعض الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة حكايات في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وأنهم سأله

- - احمد محمود صبحي - نظرية الإمامة، ص 411.

فأجابهم، واقر أغلب المسلمين بوجوده في المواقع الشريفة ومواطن الخير، كما أقرّوا أيضاً بحياة أربعة من الأنبياء اثنين منهم في السماء، هما إدريس وعيسى، واثنين في الأرض هما إلياس والخضر، وإن ولادة الخضر كانت زمن أبي الأنبياء إبراهيم الخليل - عليهم السلام - أضعف إلى ذلك أن المعمرين الذين تجاوزوا العمر الطبيعي إلى مئات السنين كثيرون. وذكر أسد المرتضى في (المالية) بعضاً منهم، وذكر الصندوق في (إكمال الدين)، من هؤلاء المعمرين أكثر مما ذكره الشريف المرتضى؛ ونجد في عصورنا الحاضرة من تناهت بهم الأعمار إلى المائة وعشرين عاماً، وربما تجاوزوها أحياها بسنوات طويلة.

ويلاحظ آل كاشف الغطاء أنه يجب ألا ننسى، أن الله الذي قدر على حفظ الحياة يوماً واحداً، قادر على حفظها آلاف السنين، ومن ثم فإن استمرار حياة المهدي تعد سفيه نظره - من قبيل الأمر الخارق للعادة، وليس الشذوذ عن نواميس الطبيعة، في خصوص الأنبياء والأولياء بشيء عجيب، وأمر نادر. ونحن بدورنا لا نشك أن الله قادر على ذلك، ولكن أين الدليل النقطي الذي يثبت انتظام هذا الأمر على حالة المهدي المنتظر؟ وتعرض آل كاشف الغطاء من ناحية ثانية إلى أن أكبر فلاسفة الغرب أثبتوا إمكانية خلود الإنسان في الدنيا، وقال بعض علماء أوروبا "لولا سيف ابن ملجم قاتل علي، لكان علي بن أبي طالب من الخالدين في الدنيا، لأنه قد جمع جميع صفات الكمال والاعتدال"^١. ولعله لا يغيب عن آل كاشف الغطاء، وعنا، أن الخلود هنا على معنى المجاز، فقد يموت الإنسان، وتبقى أعماله العظيمة، وأخلاقه

١- محمد الحسين آل كاشف الغطاء: - أصل الشيعة وأصولها - ص 111-112.

العلية دالة على وجوده، بينما قد فارق المهدى المنتظر الدنيا أو غاب عن الأنوار وهو في سن الخامسة - حسب رواية الشيعة - فلئى له أن يترك أعمالاً تخلد ذكره، وهو في عمر الطفولة، ثم إن خلود علي بن أبي طالب، مع جنة الصحابة، أمر واقع، لما تزدهم العظيمة، وعدتهم، وتواضعهم مع انزعاجهم، ولا تحتاج في ذلك إلى شهادة علماء أوروبا أو غيرهم حتى يضعنوه في صيغة "الكان". أما فياس هذا الخلود، باستمرار حياة المهدى، فهو فياس مع وجود الفارق، بين من ثبت وجودهم بالتوافر النقلي لدى الشيعة وأهل السنة، وتعني به علينا، وبين من هو موجود عند الشيعة وتعني به المهدى المنتظر، وعند غيرهم من أهل السنة.

وتعرض محمد حسين آل كاشف الغطاء، إلى تساؤل الناس عن الحكمة والمصلحة في بقاء المهدى مع غيبته، وهل وجوده مع عدم الانفصال به إلا كعدمه؟ مبيناً أنه لا يمكن لأي إنسان أن يدرك جميع الحكم الربانية، والمصالح الإلهية، وأسرار التكوين والتشريع، فلا تزال جملة أحكام إلى اليوم، مجهرة الحكمة، مثل تقبيل الحجر الأسود، مع أنه لا يضر ولا ينفع، وحصر الصلوات الخمس في عدد الركعات المعروفة، إلى كثير من أمثل هذا... وقد استأثر الله تعالى بجملة حكم، لم يطلع عليها ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو ولها صالحها كعلم الساعة، قال الله -عز وجل- : "إِنَّ اللَّهَ عَنْهُ عِلْمٌ السَّاعَةُ، وَيَنْزَلُ الْغَيْثَ" ...¹

وأخفى الله سبحانه وتعالى - أموراً لم يعلم على التحقيق وجه الحكمة في إخفائها، كالاسم الأعظم، وليلة القدر وساعة استجابة الدعاء... ولا غرابة

¹ - سورة نaml: الآية 34.

في ذلك بالنسبة لله - جل ذكره - وإنما الغرابة أن يتساءل الناس، ويلحون في الطلب محاولين معرفة ما ستر عنهم، كسؤالهم عن الحكمة في وجود المهدي، والحال أنه غائب عن الأنظار. وأجاب آل كاشف الغطاء بأنه ما دام قد صَحَّ إخبار النبي، وأوصيَّاه المعصومين عن استمرار حياة المهدي، فالسؤال عن الحكمة من ذلك، يصبح أمراً ساقطاً، لأن الأرض لا تخلو من حجة، فوجوده لطف، وتصرفه لطف آخر¹.

واستعمل هاشم معروف سِنْ الشيعة المعاصرین² نفس الأسلوب، للتدليل على استمرار حياة المهدي، مركزاً على ضرب الأمثلة النقلية، مضيفاً إلى ما ذكره آل كاشف الغطاء، أدلة من التاريخ القديم، والتاريخ العربي، على وجود معمرين عاشوا سنوات تكاد تكون خيالية، فقد بلغت حياة الحكيم نفمان بن عاد ما يزيد على خمسة وسبعين سنة، وعاش قيس بن ساعدة الأياطي أكثر من سبعين سنة، أما الشاعر زهير بن حباب، فقد ذكر أنه عمر مائتين وعشرين سنة، وعاش حرثان بن حرث، المعروف بذى الإصبع العدواني ثلاثة وثلاثين سنة... واستخلص هاشم معروف من هذه الأمثلة، أن ليس في طبيعة الإنسان ما يمنع طول حياته، ولهذا فإن غيبة المهدي المنتظر قد كانت قصيرة عندما اقتضت المصلحة ذلك، ثم اقتضت المصلحة غيبة أطول، تستمر لأجلها حياة المهدي على غير وفق المأثور من حياة البشر، لأمر ما أرادته مثينة الله - سبحانه وتعالى - بالإضافة إلى أن المسؤولية في هذه الغيبة الطويلة تقع على عاتق الأمة التي اضطررت المهدي إلى هذا الاحتياج

1- آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها - ص 112-113.

كما اضطرت آباءه من قبل إلى التستر، والحقيقة في دعوتهم، وعدم إعلانها في كثير من الأوقات^١.

ويذهب الكاظمي الفزويني - من الشيعة المعاصرين - إلى أنه ليس في اختفاء المهدي عن عيون الناس خوفاً من الظالمين، حدث فريد من نوعه، ولم يسبق له، مثيل، مستدلاً على ذلك باستخاء أصحاب الكهف عن قومهم لما خالقوهم، وعن الملك الذي كان سيحاربهم بسبب معتقدهم، ثلاثة سنين وازدادوا سعاً بل وربما أكثر من ذلك بكثير، وفي ذلك يقول الله تعالى: 'أولبئوا في كهفهم ثلاثة سنين وازدادوا سعاً قل الله أعلم بما ليثروا له غيب السموات والأرض'^٢. واستدل أيضاً بأمر من مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: ألم يحيي هذه الله بعد موتها؟ فألم الله مائة عام، ثم بعده قال: كم ليث؟ قال: ليث يوماً أو بعض يوم، قال: بل ليث مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم ينسنه^٣، وانظر إلى حمارك ول يجعلك أية للناس، وانظر إلى العظام كيف تنشرها ثم تكسوها لحما، فلما تبين له، قال: أعلم أن الله على كل شيء قادر^٤. وكل ذلك دليل على قدرة القادر، كما هو منصوص في كتاب الله، فما يعجز الله - والحالة هذه - أن يغيب الله حاجته عن الأرض ألاف السنين حياً قائمًا، إلى أن يأذن له بالرجوع^٥.

١- هشام معروف: عقيدة الشيعة الإمامية - ص 176 - 182.

٢- سورة الكهف: الآية - 2625.

٣- لم ينسنه: لم يتغير بمرور الزمان، وكان معه عنب وتين وعصير فوجدها على حالها لم تفسد

- تصريبي: صفة التقى - 166/1.

٤- سورة البقرة: الآية 259.

٥- الكاظمي الفزويني: الإمام العتذر - ص 48 - 49.

ولم يكتف الكاظمي الفزويني، بهذه الأدلة النقليّة والعقليّة التقليديّة، على استمرار حياة المهدي، فاتجأ إلى الآراء الحديثة في انتطاب والفسيولوجيا، يستمد منها ذلك حيث أقر العلماء أنه في الإمكان بقاء الإنسان حياً آلاف السنين، إذا لم تتعريض خلاياه، وأنسجة جسمه إلى التلف وخاصة خلايا المخ، لأن الإنسان لا يموت بسبب طول سني حياته، أو لبلوغه عمرًا معيناً، ولكنه يموت لأن عوارض طارئة كالأمراض، والجراثيم تصيب بعض أعضائه، فتتلفها، فإذا أمكن للعلم التغلب على هذه العوارض، جاز أن تستمر حياة الإنسان مئات السنين. وقد تأثر بهذا الرأي بعض الأثرياء في الغرب وداعبهم الأمل في العودة إلى الحياة من جديد، فأصروا أن توقف أموالهم عن أجل صيانة أجسامهم من التلف بوضعها في بعض المستشفيات، داخل مادة (الأزوت)، والمتغيرة باستمرار، فقصد المحافظة عليها من التحلل مئات السنين، طمعاً في اكتشاف انتطاب للسر الذي سوف يقضي على العوارض والأمراض، ويعيد لها الحياة من جديد، ويضمن سباتالي - الخنود في الدنيا لبني الإنسان. وكل ذلك يدعم في رأي الكاظمي الفزويني - إمكانية حياة المهدي فوق الألف عام، واستمرار وجوده، إلى أن تقتضي حكمة الله رجعته إلى الأرض¹.

ويبدو أن الأدلة التي ركز عليها كل من آل كاشف الغطاء، وهاشم معروف والكااظمي الفزويني، حدّيثم عن حياة المهدي انطوية وإن غير المحدودة، تحتاج إلى نظر، ومن ذلك أن حياة نوح والخضر، وعيسى وإيلاس، وإدريس، وأصحاب الكهف، وحضر ركعات الصلوات الخمس في

¹ - نفس المرجع، ص 37.

العدد المعروض، وإخفاء الاسم الأعظم، وليلة القدر، وساعة الاستجابة... كلها أمور مدعومة بالقرآن، أو السنة الصحيحة، أما المهدى المنتظر فلم يرد في القرآن، ما يؤكد بصفة صريحة وجوده وحياته وعودته، سوى بعض الآيات المزولة بطريقـة الشـيعة التـعـسـفـية، والـتي ذـكـرـنـا جـانـبـاً مـنـهـا، فـيـما سـيـقـ من حـدـيـشـاً عـنـ الـمـهـدـىـ، فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ المـخـصـصـ لـهـ، وـبـيـنـاـ الصـوـابـ فـيـ سـبـبـ نـزـولـهـاـ، وـمـعـنـاهـاـ، بـمـاـ لـاـ يـدـعـ مـجـالـاـ لـلـشـكـ فـيـ كـوـنـهـاـ وـارـدـةـ فـيـ غـایـاتـ أـخـرىـ لـاـ تـتـصـلـ بـقـضـيـةـ الـمـهـدـىـ مـنـ قـرـيبـ، أـوـ مـنـ بـعـيدـ حـسـبـماـ يـظـهـرـ.

ومن المحتمل أن تكون فكرة المهدية هذه، قد تسرت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية، كما ذهب إلى ذلك (فنهوازن)، حتى أنه للاحظ آثار المهدية في قوله عمر لما علم بموت محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم: "... ولبيعته الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم"¹ إلا أن هذا الرأي يعتبر رأياً منقوضاً، لأنه من الجائز، أن تعود فكرة المهدية، إلى مصادر أقدم من ذلك، فقد ذكر ابنشر² استناداً إلى نصوص مسمارية - أنه كان عند أهل بابل القديمى اعتقاد برجعة ملكهم سرجون الأول، ليعيد مجد دولتهم المندثر، إلا أن علماء الآثار الأشوريين، لم يقروا فراءة هذه النصوص، وتخريجها إلى هذا المعنى³.

وتوسيحاً لما ذكرنا، يعتقد اليهود والنصارى أن النبي "إيليا" قد رفع إلى السماء، ولا بد أن يعود إلى الأرض، لإقامة دعائم الحق والعدل.

¹ - (ابن حجر - فتح الباري بشرح البخاري: 27/8، حكـاتـ المـنـاقـبـ، بـابـ فـضـلـ أـبـيـ بـكـرـ - يـوـنـيـوسـ فـنـهـواـزـنـ - الخـواـرـجـ وـالـشـيـعـةـ - صـ 168 - 176).

² - فـوـنـ ثـئـيرـ - العـقـيـدةـ وـالـشـرـعـةـ فـيـ الـإـسـلـامـ - صـ 337.

ويعتقد المسيحيون والمسلمون أن المسيح حي في السماء، كما يعتقد اليهود أن النبي "إيلاس" ما يزال حيا. ويعتقد الهندوس أن منقادهم (براهمة) سيعود في نهاية العهد الحالي للعالم، ليخلص بلادهم من فاتحها المسلمين. ويعتقد البوذيون بخلود (بودا). وينتظر مسيحيو الجبنة، إلى حد الآن عودة مهدي آخر الزمان، وهو ملكهم (تيودور). ولا يزال المغول يعتقدون رجعة (جانكير خان)، لأنه وعدهم قبل موته بعودته، بعد تماضية قرون أو تسعين، لينقادهم من نير الحكم الصيني، ولذلك فهم يتربّلونه، ويقدمون له القرابين على ضريحه، انتظاراً لرجعته.

وظهرت في العهود الإسلامية حركات زندقة، وبعد قمع فتنها، شاعت في الأفق فكرة عودة أصحابها في المستقبل، فقد أدعى المقنع الخراساني حلول الإله فيه، فقضى عليه بالإحرق، وروج أتباعه أنه رفع إلى السماء، وسيرجع إلى الدنيا للانتقام من أعدائه. وذهب إلى مثل هذا الادعاء أنصار (بيها فريد)، وهو أحد الفارسيين الذين حاولوا القيام بثورة زرادشتية في بدء العصر العباسي فقضى عليه أبو قاسم الخراساني، ولكن أتباعه بقوا ينتظرون نزوله إليهم من السماء لينتقم من أعدائه. وما ذلك إلا دليل على امتراج فكرة المهدية بعناصر شرقية فارسية إلى جانب العناصر اليهودية واليسوعية، فقد كان الزرادشتيون أنفسهم يعتقدون عودة (ساوشيانت). ولما قتل الملك أساساني (بهرام) (ماني) لم يعترف المانوية بمقتله، واعتصموا بغيته في السماء، وقالوا إنه سيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً وإنصافاً، كما ملأت جوراً وظلمها. وانتقل المزدكية غيبة (مزدك)، حين قتله كسرى أنوشروان، وظلوا يحلمون بعودته ليخلص الأرض من الشرور.

ويؤمن بهذا المعتقد في الأئمة الحديثة نسبياً، مسلماً (القوفاز)، وهم من لا علاقة لهم بالتشيع، إلا أنهم يؤكدون رجعة بطل استقلالهم، (إليا منصور) الذي ظهر قبل زعيمهم (شامل) سنة (1791م)، والذي لا بد أن يعود إليهم بعد فرن من طرد الروس من بلادهم. ويعتقد أهل (سمرقند) رجعة أوليائهم (كتاه زند) و(قاسم عباس). ويؤمن الأكراد منذ القرن (14هـ/1791م) برجعة زعيمهم المصطوب (حسن بن عدي)¹.

وبذلك كانت فكرة المهدي المنتظر، ولا تزال رمزاً للأمل، وتبشير الواقع لضرواته، وعدم تماشيه مع رغبات الرعية، وأصالتهم، وطموحاتهم إلى العدل، والمساواة، عن طريق إسناد الوظائف إلى مستحقها، من ذوي الكفاءات السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والدينية، وكانت هذه هي الغاية من الحكومات المنتظرة التي كانت تسعى الأمة الإسلامية إلى إقامتها، في جميع أطوار تاريخها وبما أن عالمنهم لا يفهمون رجوع المعاني، وإنما يفهمون رجوع الأشخاص، فقد وضع الشيعة الإثنا عشرية أخبار المهدي المنتظر، بشخصه ووصفه عرضاً عن الدولة المنتظرة. وفي هذا المجال ذكر الألوسي في تفسيره: 'وتلاؤل جماعة من الإمامية ما ورد من الأخبار في الرجعة، على رجوع الدولة والأمر والنهي، دون رجوع الأشخاص، وإحياء الأموات'.²

²- الأكسي: روح النعاج: 20/20 - و تنظر ما فتنها وما بعدها

ويشبه موقف الشيعة هذا، من قضية المهدي المنتظر، موقف اليونان لما فشلوا في الحكم وغلبهم الرومان على أمرهم، فاضطر اليونان وقتها إلى تحويل وجهة فلسفتهم من عملية، إلى فلسفة رواحية نظرية، تجعل السابع في أجوانها يشعر بلذة عقلية، وعلى استعداد لتحمل آلام الحياة في صبر وثبات، ولما خرج أمر السلطة من أيدي الشيعة دعواهم أيضاً إلى تحمل آلام الحياة مكتفين بالدعاء إلى الله أن ينصرهم على أعدائهم، ويعيد مقاييس الحكم إلى ليتهم الروحيين، ماتجئين سجن حين إلى آخر - إلى ثوب التقى يلبسوه كلما لزم الأمر. وأجادوا في تصوير فكرة الأمل، مجسدين إياها في شخصية المهدي المنتظر¹. وبينما كان الشيعة سابقين في أدعائهم وأمالهم كان خصومهم يشقون طريقهم إلى غاياتهم مبررين من أجلها كل الوسائل الموصولة إليها مهما كانت عنيفة وظالمة.

وسار على نهج الشيعة كثير من الفرق الإسلامية، وادعى منهم مدعون من اتجاهات مختلفة أنه هو المهدي المنتظر الحقيقي، ففي البيت الأموي زعم خالد بن الوليد بن يزيد بن معاوية² (ت. 67هـ/687م) أنه هو المهدي المنتظر وبذلك لشدة طموحه إلى الحكم، وإلى المعالي والشهرة واختار له اسم

- أحمد لمين - ضحي الإسلام: 242/3.

- خالد بن الوليد بن يزيد بن معنوية أمير لوي. غتبه على أمره، مروان بن الحكم (ت. 65هـ/685م) وتزوج والدته، أم هاشم. وكان خالد يوصف بالعلم ويقول الشعر، ونظموا له فند الشغل بالكتاب فقصد انغذور على أكابر الحياة الذي يحوال المعادن إلى ذهب ليثري هو وأصحابه، والف فيه كتاب بالعبرية، يعتبر من أوائل المصنفات في هذا العلم، وله (ديوان النجوم) يشتمل على مجموعة شعارة، وكان خالد يوصف بالعلم والعقل والشجاعة - انتظر -

أحمد لمين - ضحي الإسلام: 238/3 - 243.

(السفياني)، إشارة إلى جده أبي سفيان محاولة منه إلى إعادة الخلافة إلى هذا البيت، بعد أن انتقلت إلى بيت مروان بن الحكم.

ومما يدل على وضع فكرة المهدى من أساسها، أن الشيعة انساقوا وراء هذا الادعاء الأموي، فزعموا أن المهدى الإثنى عشرى إذا خرج بباعته الناس بين الركن والمقام، ويدعوهم إلى محاربة عدو الله وعدوهم، فيطهرون ويخرجون من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومن معه، كما عمل أبو جعفر المنصور (ت. 159هـ/776م) على إذاعة قتل محمد صاحب النفس الزكية (سنة 145هـ/763م) ليتمكن من تثبيت السلطة لابنه المهدى، وفقاً للحدث المنحول: «من أهل البيت أربعة: منا السفاح ومنا المنذر، ومنا المنصور، ومنا المهدى الذي سيملا الأرض عدلاً». وبذلك يكون العباسيون قد استغلوه أياً فكرة المهدى، حيث ثقى المنصور ابنه بالمهدي (ت. 169هـ/786م) وروج في الناس أنه هو القادر المنتظر الحقيقي، وجعله ولبي عبده، ليحيط الخلافة العباسية بالسلطان الدنيوي، والتقدس الديني. وكان المهدى هذا، ثالث خلفاء العباسيين، ذا هوس ديني، ظهر في تصرفاته وإمعانه الشديد في محاربة الخوارج، وفي محاربة من سماهم الزنادقة، وتقصي آثارهم، وقتلهم، وظهوره في زي حامي الدين، المتمسك بمذهب أهل السنة، وتسميته نولديه باسم الأنبياء (موسى) و(هارون)، وتقبيله موسى بالهادي، وهارون بالرشيد، وكان يرحب في تسمية هارون بالمهدي

١- نفس المصدر والمصطلحة

- سعد محمد حسن - المهدية في الإسلام - ص - 179.

إلا أنه لم يستطع لأنّه هو، فاقتصر بالرشيد، لقارب الكلمتين من حيث المعنى اللغوي، فاللهى هو الرشد^١.

وأنساق الشيعة بداع التشفى، نحو مهدي السفيانيين والعباسيين وغيرهم من المهديين يصفونهم بـانجذابهم، ويحتمون على مهديهم، أن يحاربهم عند ظهوره، وبقتلهم وتناسوا في غمرة هذا المعركة، أن يكتبو أحاديث خصومهم الواردة في المهدي مما جعل أحاديث هؤلاء الأعداء تجد سبيلاً إلى المعتقدات الشيعية، فخلدتهم الشيعة من حيث لا يشعرون^٢.

وتضخمت قضية المهدي في المغرب على يد البربر بظهور عبيد الله الشيعي، أو انمهدي المنتظر فيهم، فانتصروا وضربوا النقود وكتبوا على أحد رجئي النقود: "بلغت حجة الله" وعلى الآخر "فرق أعداء الله" وكتبوا على السلاح "عدة في سبيل الله". ووهبوا الخيل بعبارة "الملك لله"^٣.
ومجموع هذه الادعاءات، يدل على أن فكرة المهدي قضية دينية، موضوعة من أساسها لنصرة ذوي الأطماع السياسية، ووصولهم إلى مراكز القيادة في دولهم.

ولما كانت الزيدية مذهبها عملياً أكثر منه نظرياً، فقد آمنوا - مثل الخارج - بمبدأ الخروج على الحاكم الضال، وعده شرطاً أساسياً في إسناد الإمامة إلى مستحقها، ورفضوا من جرائه الغيبة والرجعة والمهدية، معتبرين كل الأحاديث، والأخبار الواردة في هذا الأمر موضوعة كما

١- أحمد أمين - المهدى والمهدوية - ص 12-13.

٢- الدكتور أحمد محيوة صبحي - نظرية قمامنة - ص 416.

٣- محمد أمين - المهدى والمهدوية - ص 13.

اعتبروها، أيضاً، نوعاً من تثبيط الهم عن جهاد أهل الباطل، ولذلك فعقيدة المهدية -عندهم- ليست بذات بال، ولا يلتفت إليها لأنهم واقعيون، لا يسبحون في الأخيلة، وأحلام اليقظة، اعتقاداً منهم أن دنيا العظيم مائرة محمودة، أما العاجز عن إصلاح الواقع فدنياه أحلام وأمال، إن الزبدي لا يتضرر مخلصاً يقف إلى جانبه، لأن المهدية لديه- لا تتفصل في مفهومها عن الإمامة، فكل فاطمي، شجاع، عالم، راهد، يخرج بالسيف يدعوا إلى الحق، فهو إمام ومهدي في آن واحد، دون اعتقاد في المهدية بالمفهوم الإثنى عشرى، الذي يفيد انتظار محرر أو مخلص مبعوث من الله، وكل أئمة الزيدية كزيد بن علي، وابنه يحيى ومحمد صاحب النفس الزركية مهديون، وبهذا السبب فقد قال الشاعر الأموي بعد مقتل زيد بن علي سنة (740هـ/22م):

صلنا لكم زيداً على جذع نخلة، ولم نر مهدياً على الجذع بصلب¹.

فقد كان زيد مهدياً حسب ما تحمله اللفظة من معنى لغوي وهو الهدى وإرشاد الناس إلى الحق، وقد كان هذا المعنى للفظة المهدى شائعاً بين الأئمة والعلماء والعظماء، فقد قال اتباع المختار بن أبي عبيدة الثقفي لمحمد بن الحنفية: أنت المهدى ؟ كمسيل يطرونه للوصول إلى الحكم، وكانوا يسلمون عليه بقولهم: السلام عليك يا مهدي.. فكان يجيب: أجل أنا المهدى أهدي إلى الرشاد والخير، بسمى اسم النبي الله وكتبتي كتبة النبي الله، فإذا سلم أحدكم على

¹- الأشعري: مقالات الإسلاميين: 2/55-56 - النسعودي: مروج الذهب 3/182.

- الألوسي - روح المعاني: 20/27

فليقل: سلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم، وفي هذا الأمر قال
الشاعر عامر الكذاني:

يا إخوتي يا شيعتي، لا تبعدوا، وآزرروا المهدي، كيما تهتدوا:
محمد المختار يا محمد - أنت الإمام الطاهر المسدّاً.

ولذلك فلم يحمل زيد كلمة المهدي أكثر من معناها اللغوي، جاعلاً من
مذهبة الزيدية مذهبها يعتمد على العقل بدل الخيال، فالخروج لديه - على
الظلم يكون بدل النقاية، والإمامية الفعلية بدل الإمامية الروحية، ومواجهة الواقع
بكل صبر وشجاعة لمغايبيه وتغييره بما هو أحسن، بدل الأمل في رجعة
مهدي متضرر يقلب أوضاع الدنيا من ظلم إلى عدل ومن جور إلى إنصاف.
ويلاحظ في هذا المجان - أنه لم يؤمن بعقيدة المهدي إلا أولئك الذين
لا يرضون بمبدأ الخروج على الحاكم الظالم، اعتصاماً منهم بالنقاية، أما
الفرق التي تحمل من مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالخوارج
والزيدية، فإن عقيدة المهدي المتضرر لا تحيل بين مبادئهم حيزاً يذكر، لأنهم
لم يعانون تلك الأزمة الطاحنة التي عانوها أهل السنة والشيعة الإثنى عشرية،
وتمثل في عدم جواز الخروج على السلطة القائمة ولو كانت جائرة، نقاية
بالنسبة للإمامية، وهروباً من الفتن والفلاقل بالنسبة لأهل السنة، وذهب
بهملاً حد الرضوخ إلى الحكم الظالمين، وإلى الرضا بالعيش تحت مظلة
سلطانهم، إنّ تجويف إمامية الفاسق الذي لا يحاهر بالصغار، ويتمتع عن
الكبائر، وإلى تصحيح الصلاة وراءه، والجهاد معه، والنجاح، ودفع الزكاة

- ابن سعد: الطبقات: 68/5 - 69.
الطبرى: تاريخ النرسن والملوك: 15/5 - 16، 580 - 62/6 - 63 - المعرف - مصر.

إلية، وتنفيذ أحكامه من الأقضية، والحدود، وغير ذلك... لأن السلف والأئمة من الصحابة والتابعين صلوا خلف أمثال هؤلاء لما كانوا ولادة عليهم، ولهذا كان من أصول عقائد أهل السنة أن الصلوات التي يقيمها ولادة الأمر تصل إلى خلفهم على آية حالة كانوا، كما يحج معهم ويغزى إلى جانبهم، لا شيء إلا لأن الفتنة أكبر من الفتن^١. فتصبح الضرورات مبيحة للمحظورات، ويصبح أهون الشررين خيراً بالإضافة، حتى لا تتعرض حياة المجتمعات الإسلامية، بأنصرافها إلى الاقتتال، والحرروب الأهلية من أجل كرسي الحكم، وشهوة الملك، بيد أن نفوس المؤمنين لا ترضي بهذا الموقف من الحكام الجائرين إلا بصفة مؤقتة، لعلها تطول أو تقصر، حتى يأذن الله بالفرج، حين خروج المهدي الإثني عشري، أو حين يقضي الله أمراً كان مفعولاً وينصر الحق على الباطل، فيزهقه، إن الباطل كان زهوقاً^٢. كما ذهب إلى ذلك أهل السنة - إلا أنها نجد من بين هؤلاء من وقف موقفاً شجاعاً معرضاً به حياته للخطر، ونعطي به أبا حنيفة النعمان، حيث جاهر بعدم جواز إماماة الفاسق، وأنه لا يليق لهذا المنصب لقوله تعالى لأبراهيم الخليل - عليه السلام - : "إِنِّي جاعلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، قَالَ: وَمَنْ ذُرِّيَّتِي؟" قال: لا ينال عهدي الظالمين^٣. وأعلن أبو حنيفة في الوقت ذاته، فسق الخليفة العباسي، أبي جعفر المنصور مما جعل الأخير، يسجنه، وبقي في الحبس حتى مات. وذهب (دونلسن) إلى أن أبا حنيفة، قد كسب بموافقه هذا صداقته الشيعية، لأنه اعتمد متهم على نفس

^١ سورة البقرة - نظر الآيتين: 191-217.

^٢ قل الله تعالى: "وَقَلْ جَاءَ الْحَقُّ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَلَّ زَهْوَ" سورة الإسراء الآية 81.

^٣ سورة البقرة: الآية 124.

الآية السابقة التي فرروا بواسطتها عدم جواز إماماة الفاسق، وأضاف (دونلسن) أن فرح الشيعة قد ازداد عندما عثروا في تفسير الزمخشري والبيضاوي على ما يكاد يتفق معهم في تفسير هذه الآية¹. غير أنه يبدو أن هذا الإنفاق، لم يكتب هؤلاء الأئمة السنين صداقه الشيعة، ولم يمح ما بقلوب هؤلاء من إحن، وخاصة لدى القدامى منهم، وآية ذلك أن الكليني قد نسب إلى الباقر ما يقيده طعنه على الأئمة الشهرين، حيث وصف أبا حنيفة وسفيان الثوري وغيرهما من الأئمة... بالصادفين عن دين الله، لأنهم لم يهتدوا إلى ولادة الشيعة². والإمام محمد بن علي الباقر - رضي الله عنه - بريء من هذا الذي نسب إليه ومن أمثاله هو وبقية الأئمة من آل البيت... أما بالنسبة للزيدية فإنهم لم يتذمروا مهديا يخلاصهم من محنتهم، على طريقة الإمامية ولم يرکعوا لقضاء وانقدر، منتظرين منه أن ينشلهم من مصابهم، على طريقة أهل السنة، بل عملا على تطبيق قوله تعالى - : إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيرا ما بأنفسهم³. ومن ثم رفض زيد بن علي، والزيدية من بعده القول بمهدية سلبية، لا ترکن إليها إلا النفوس الضعيفة، الخامنة، والمحبولة على تحمل الظلم والمهانة، ومن لم تعرف إلى الصموج سبلا.

¹- دونلسن - حقيقة الشيعة - ص 143.

²- الكليني: الأصول من الكافي: - 199/1 - 200 - 392 - 393

- ابن حزم: النصون: 3/176 - 177 وبها مشه كتاب الشهري - العمل

- انظر إلى: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 152.

- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية: 1/41 - 42 تحقيق محمد رشاد سالم - الدكتور علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة - ص 126.

³- سورة العنكبوت: الآية 11.

غير أن موقف الزيدية هذه، من المهدية لم يعمر طويلاً، إذ بعد مقتل زيد بن علي بحوالي ربع قرن، ظهر فيهم الغلو، وأصبح البعض منهم، وهم الجارودية أصحاب (أبي الجارود)، يقولون بمهدية محمد النفس الزكية، وأنه لم يقتل، وسيرجع ليغسل أعداء العباسين، ويملا الأرض عدلاً وانصافاً، بعدما ملئت جوراً وظلماً، بالرغم من كون أبي جعفر المنصور (ت. 159هـ/776م) قد قتله سن (145هـ/763م) إثر خروجه عليه بالمدينة^١ وزعم بعض الزيدية أنه حي لم يمت وهو مقيم بجبل يقال له العلمية^٢ وسيرجع للحديث المنسوب إلى رسول الله: "القائم المهدى من أمتي اسمه أسمى، واسم أبيه اسم أبي 'وهو ما ينطبق على صاحب النفس الزكية، فاسمها، محمد بن عبد الله بن الحسن، واسم رسول الله، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. وذهب الغلو بهؤلاء الزيدية إلى أن صاحب النفس الزكية، ولد وبين كتفيه خان أسود، كهيئة البيضة عظيماً، وهو يضاهي في نظرهم خاتم النبوة بالنسبة إلى رسول الله، ولذلك قال الشاعر سلمة بن أسلم الجوني:

إِنَّ الَّذِي يَرْوِي الرُّوَاةِ لَبِينَ،
إِذَا مَا ابْنَ عَبْدَ اللَّهِ، فِيهِمْ تَجْرِداً،
لَهُ خَاتَمٌ لَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ غَيْرُهُ،
وَفِيهِ عَلَامَاتٌ، مِنَ الْبَرِّ وَالْهَدَىٰ^٣.

وكان الناس ينادون صاحب النفس الزكية بالمهدى، ويسمى صريح قريش من حيث النسب، لأن أباه عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه ليست أم ولد بل هي هند بنت أبي قصي^٤. وروي أن المنصور قبل

^١- العلمية: جبل كبير يقع بين مكة ونجد يصادف السائز على يسار الطريق - انظر التوبختي - فرق الشيعة - ص 65.

^٢- الأصفهاني - مقابل الطالبين - ص 243.

^٣- نفس المصدر، ص 232.

نوليه الخلافة، قد شوهد يوماً وهو يأخذ برداء صاحب النفس الزكية، يساعده على الركوب، ثم يسوّي ثيابه على السرج، فسئل عن يعظم هذا التعظيم؟ فأجاب هذا محمد بن عبد الله بن الحسن، مهدينا أهل البيت. ولما نولى الخلافة حملوا إليه نباً ادعاه صاحب النفس الزكية المهدية، فقال مغضباً: كذب عدو الله، إن المهدى الحقيقي هو ابني، مما يدل على المدى البعيد الذي يبلغه التلاعيب بهذا المعتقد.

ولكن بعض الزيدية ناقضوا تراجع المنصور في مهديّة النفس الزكية، سقراطين: "لم يزل محمد بن عبد الله، منذ كان غلاماً إلى أن بلغ، يتغيب ويستخفى، ويسمى بالمهدى"¹ وفي هذا الأمر قال أحد شعراء بني ربيعة من جهينة:

إماماً، به يحيا الكتاب المنزل ويحيىيتيم، بانس، ومعول، ويملاً عدلاً أرضنا، بعد مائتها	إننا لنرجو أن يكون محمد به يصلح الإسلام بعد فساده صللاً، ويأنينا الذي كنت آمل. ²
--	---

ويظهر أنه لم يقل بمهدية صاحب النفس الزكية، الزيدية المتأخرة فحسب، بل قال بها أيضاً أهل السنة، فقد أشار ابن تيمية إلى أن المهدى من ذرية الحسن لا من ذرية الحسين، وأنه سني وليس اثنى عشررياً، مدعماً بإشارته بما روى عن علي بن أبي طالب في هذا الصدد. وذكر محب الدين

¹ نفس المصدر، ص 244 - 247.

² نفس المصدر، ص 243.

الخطيب في تعليقه على كتاب (المتنقى من منهاج الاعتدال)، أن أحاديث أهل السنة الواردة في المهدى تحتاج إلى دراسة وتحقيق وتمحيص¹.

وذهب الإمام الزبيدي اليماني الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم الرسي (ت 298هـ/813م)، إلى أن المهدى المنتظر هو آخر إمام من أبناء الحسن والحسين قبل انتهاء العالم². والهادي ب موقفه هذا يجعل من المهدى قضية عامة، غير محدونة الإسم بينما مهدى الإمامية، معين الإسم معروف لديهم، بأنه الإمام الثاني عشر، محمد بن الحسن العسكري، وهذا موقف يشابه إلى حد ما، موقف بعض فرق الزيدية التي جعلت من المهدى أسماء مختلفة، فتارة هو محمد صاحب النفن الزكية، وطورا هو محمد بن القاسم، المعروف بصاحب الطفان وهو من أبناء الحسين وعلى مذهب الزيدية الجارودية، خرج على المعتصم بالطفان فقتل سنة (219هـ/834م) وإنقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية، وادعى بعضهم أنه لم يمت، وهو حي يرزق، لأنه مهدى هذه الأمة، وسيرجع ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا³. وطورا اعتبر مهدى الزيدية، يحيى بن عمر وهو من ذرية الحسين، وصاحب الكوفة، قتل سنة (250هـ/864م)، فروج أنصاره شعار "ما قتل

- ابن تيمية - منهاج السنة النبوية: 4/211 ويعامشه موافقة صريح المعقول لتصحيح المتفوّل
- ابن تيمية - المتنقى من منهاج الاعتدال وتلخيص الحافظ التذهبي - ص 174 - 175.

- الهادي يحيى بن الحسين الرسي: رسائل العدل والتوحيد: 2/82 - 83

- نسمى محمد بن القاسم، صاحب الطفان، بالصوفي لأن ملائكة ثيبن الثواب الصوفية ألبسواه، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد، وذهب إلى قول بالعدل والتوحيد ورأى رأي الزيدية الجارودية - انظر الأشعري - مقالات المسلمين: 1/33، 39، 134.

وما فر، ولكن دخل انبرأ حتى أصبح الغوغاء والنصبيان يصيرون بذلك في الطرقات¹.

فهل يعني تحول بعض الزيدية عن عدم انتقادهم في المهدى إلى القول به، أنهم تخلوا عن مبدأ الخروج على السلطة الظالمة²؟

يبدو أن هؤلاء جمعوا بين القول بظهور مهدي يبعث فيهم الأمل، وبخاصتهم من واقعهم المرير، وبين مواصلة التمسك بمبدأ الخروج، وهم في سوقيهم هذا يشبهون الشيعة الإثني عشرية الذين أمنوا بعقيدة المهدى يمانا شديدا، واعتبروها مناطا لأحلامهم، وأمالهم، رافضين الخروج على الحكام الجائزين، تمسكا منهم بمبدأ النقاوة وحفظها على أنفسهم، واستمروا على ذلك دهورا طويلا، ثم تخلوا في العصر الحاضر عن القول بعدم الخروج طارحين ثوب النقاوة جانبا، حتى تمكنوا من الإطاحة بالحكم (البهلوى)³ سنة 1979 بقيادة ذات المهدى المنتظر آية الله خميني.

ونبقى الغيبة - لدى الإثني عشرية - عقيدة نظرية لا تأخذ طريقها إلى التطبيق أبدا، ويبقى المهدى المنتظر، الإمام الأفضل، المثالي، الذي لا يوجد له نظير بين أفراد المجموعة الإنسانية، وهذا يعني عدم ظهوره في يوم من الأيام لأن رجعته تعود إلى نهاية مبدأ هام من مبادئ الشيعة الإثني عشرية،

1 - خرج يحيى بن عمر، أول مرة في عهد المنوكل (ت. 237هـ/861م) فحسبه، ثم أطلق سيفنه - أما خروجه الثاني على أنجليسبيين فكان في عهد المستعين (ت. 252هـ/866م) فقتل سنة (250هـ/864م) وكان يحيى بن عمر فارسا ثمجاعا، شديد البدن، مجتمع القلب بعيداً من رهق الشباب وما يعلبه مثله - انظر الأشعري: مقالات الإسلامية: 1/135-136 - الأصفهاني - مثال لطائرين - ص 639-644.

2 - Philippe Rochot: La grande fièvre du monde musulman P - 42-

وال الأولى أن يبقى المهدى ملهمًا لوابه من الأئمة، يجسدونه في تصرفاتهم،
وأقوالهم، وقياداتهم للرعاية، كما أنه يلهم نواب المهدى وعامة الأتباع أيضًا
ليحسنوا اختيار هؤلاء النواب في كل عصر ومصر، وليميزوا - بإلهامه -
بين الحق والباطل^١.

^١ انظر: "المجلة" عدد 182 - ص 10-11 بتاريخ 27 شوال - 4 ذي القعده سنة 1403هـ/ 12 يونيو 1983م

الفصل السادس

النَّفِيَّةُ

أشرنا فيما سبق إلى أن الإثنى عشرية هم أول من فصل القول في مبادئ، وضعوها بالرجوع إلى أصول دينية اعتمدوا عليها في بسط آرائهم، كالوصية، والعصمة، والمهدية... وكان للزيدية موافقاً معتدلاً من هذه الآراء، اتسمت بالواقعية والجرأة، بينما عرجت آراء الإمامية إلى أفق غيببي تقتصر دونه الأفهام. وبقي لنا من هذه المبادئ التي لم تدرس في هذا البحث، مبدأ النفي. وقد أجلنا القول فيها إلى آخر البحث، بسبب ما بدا لنا من افتراق النفي - لدى الإثنى عشرية - بغية المهدى المنتظر، ولذلك قدمنا الخوض في قضية المهدى المنتظر، على النفي التي جعلناها خاتمة لدراسة، ولهذا التعليق الموجز، تفصيل سنعود إليه بعد أن نتحدث عن مفهوم النفي لغة وأصطلاحاً.

تعود لفظة النفي في استعاقها اللغوي إلى فعل وفى، فيقال: وفاء الله بقيه، وقاية، أي صانه وحفظه من كل مكروره. وتعد النفي أيضاً اسم مصدر نفoci، وإنقى فيقال: توقى المكروره، وإنقا، ونفي، ونفيه، أي حذر، واحتاط منه. وفي القرآن الكريم: "لَا يَنْهَاكُونَ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الْكَافِرِينَ أَوْبَاءٌ مِّنْ دُونِهِمْ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَنْقُوا مِنْهُمْ نَفَاهَ"^١. وكلمة (النفاه) في الآية يجوز أن تكون مصدراً، وأن تكون جمعاً، والمصدر أجود لأنه روى في قراءة أخرى: "إِلَّا أَنْ تَنْقُوا مِنْهُمْ نَفِيَّةً"، ولذلك كانت: (النفاه، والنفي، والتقوى والإنقاء) تفيد معنى واحداً، هو وقاية النفس، أو

^١ - سورة آل عمران: الآية 28.

نُوقِيْهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَالْمُعَاصِي بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوِ الْاحْتِيَاطِ مِنْ وَقْوَعِ
الْمُكَرَّرِ وَالْمُصَانِبِ. وَفِي أَسْنَةِ الشَّرِيفَةِ: كَمَا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسَ اتَّقَى بِرَسُولِ
الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "أَيُّ جَعْلَنَا وَقَيْةً لَنَا مِنْ سَيِّفِ الْعُدُوِّ وَرَمَاهَ
وَسَهَامَهُ، بِالْاحْتِمَاءِ بِهِ وَالْقِيَامِ خَلْفَهُ، دُونَ الْإِصَابَةِ وَالْمَوْتِ".¹

وَتَعْنِي النَّقِيَّةُ فِي الْاِصْطِلَاحِ، أَنْ يَحْذِرَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، فَيُظَهِّرُونَ
الصَّلْحَ فِي الْحَرُوبِ، وَالْاِنْفَاقَ فِي الرَّأْيِ لِيَحْفَظُوا عَلَى دِينِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ،
وَعَائِلَاتِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، مُخَافَةً لِلْعُدُوِّ، فَيُظَهِّرُونَ خَلْفَ مَا
يَضْمِرُونَ، وَمِنْ ثُمَّ فَالنَّقِيَّةُ مَدَارَاهُ، وَكَتْمَانُهُ، وَتَسْتَرُّهُ، وَتَظَاهَرُّهُ، لَا يَعْكِسُ بَاطِنَهُ
صَاحِبَهُ، وَذَلِكَ كَانَ مَحْلَ النَّقْوَى الْقَلْبُ وَرِبِّما عَبَرَ عَنْهَا مِنْزَلَقُ اللِّسَانِ. وَقَدْ
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَا يُشَيرُ إِلَيْهِ مَفْهُومُ النَّقِيَّةِ الْاِصْطِلَاحِيِّ: قَالَ: هَلْ
لِسَيْفِ مِنْ نَقِيَّةٍ؟ فَأَجَابَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَعَمْ. نَقِيَّةٌ
عَلَى أَفْذَاءِ، وَهَذِهُ عَلَى دَخْنٍ.² وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ كَنِيَّةً، عَلَى أَنْ ظَاهِرُ
الْمَنْقِيِّ، قَدْ لَا يُتَرَجِّمُ عَنْ بَاطِنِهِ الْحَقِيقِيِّ، إِذَا أَنَّ الْقَذَى يُفْسِدُ صَفَاءَ النَّظَرِ،
وَيَكْرِهُ الشَّرَابَ، إِذَا وَقَعَ فِيهِمَا، وَكَذَلِكَ الدَّخَانُ فِيهِ يَغْيِرُ صَفَاءَ نَازِ الْبَدْوِيِّ،
وَطَعْمَ طَبِيعَهُ.

- ابن منظور - نسان العرب: 971/3 - 972.

- ابن منظور: نسان العرب: 971/3 - 973.

قَذَى - ج - أَفْذَاءُ: مَا يَسْفَطُ فِي الْعَيْنِ، أَوِ الشَّرَابِ، مِنْ غَيْرِهِ، وَشَخَانِيَّةُ دَقِيقَةٍ، وَغَيْرُهَا، تَضَالِقُ
الْعَيْنِ؛ وَنَحْكَرُ صَفْرُ الشَّرَابِ، لَا دَخْنَ، فَمُتَنَقِّلٌ مِنْ دَخْنَتِ النَّازِ، إِذَا فَسَدَتْ بِأَنَّهُ اِنْطَهَبَ عَلَيْهَا
حَتَّى هَاجَ شَخَانَهَا، وَغَيْرُ طَعْمِ الطَّبِيعَ - اِنْظُرْ جَوَهْرِيَّ وَتَلْخِيَصَ الرَّازِيِّ: مَخْتَارُ الصَّحَاجِ -
ص 526 - مَذَهَّ (قَذَى) - ص 201 مَادَّةَ (دَخْن)

- أحمد أمين - ضحي الإسلام - 3/246 - 247.

- الدكتور على الشافعي - التبيعة في ليزان - ص 126 - 127.

وتعني التقية عند الشيعة إظهار الشخص خلاف ما يبادله، ليدفعضرر عن معتقده، أو نفسه أو مائه أو عياله، وليحفظ كرامته، كما لو كانبين قوم لا يدينون بما يدين، لبلوغهم الغاية القصوى في التعصب لما يعتقدون، بحيث إذا لم يجارهم فولا وفعلا، تعمدوا الإضرار به، والإساءة إليه، فيضطر إلى مداراتهم، بقدر ما يصون به نفسه، ويدفع الأذى عنه، لأن الضرورة تقدر بقدره، وقد مثل فقهاء الشيعة لذلك بأن يصلى الشيعي‘متكتفاً’، أو يغسل رجليه في الموضوع بدلاً من مسحهما في بيته سنية متعصبة في نظرهم - بحيث إذا لم يجارهم في طريقة عبادتهم اكتشفوا شيعته، ولحقه الأذى والضرر. ولذلك يرى الشيعة أن من صلى منهم وراء سنينقية، فكانما صلى وراء نبي، ونسبوا إلى جعفر الصادق أن العبادة مع المهدي في السر، انتظاراً لدولة الحق، أفضل من العبادة الجهر، مع الإمام النظاهر، والفرق بينهما كالفرق بين صدقة السر وصدقه العلن، وسيضاعف الله أجر العابد المتنقي، أضعافاً كثيرة، تفوق أحر العابد المطمئن¹.

والتفيقية عند الشيعة هي عبارة عن نظام سري يلجمون إليه في إدارة شؤونهم فإذا أراد الإمام الخروج، وأعلن الثورة على الخليفة القائم، وضع لذلك نظاماً دقيقاً، وتثيراً خاصاً، وأعلم أصحابه فتكتموه، وأظهروا الطاعة، حتى تتم الخطط المرسومة. فهذا نوع من التقية، وإذا أحسوا ضرراً من

- الكافي: الأصول من الكافي: 1- 333/1 - 334- محمد جواد مغنية - الشيعة في السيزان -

ص 48 49

Henri Laoust. Les schismes dans l'Islam P: 138

أحمد لين: ضحي الإسلام: 3/ 248.

كافر، أو سفي، داروه، وجاروه، وصانعوه، وأظهروا له الموافقة. وهذا نوع آخر من النقاية أيضا...

ويبدو أن هذا الاتجاه بالنقية نحو المراوغة، هو الذي جعلها نظرية، نقية الحيطة والحدر، وأن الشيعي لا يستطيع أن يخفي مذهبة وأن يكتم عقيدته - فحسب - بل عليه إلى جانب ذلك أن يبالغ في الإخفاء والكتمان، وأن يتضاهر في البلد الذي يسود فيه خصومه، بكونه واحداً منهم، في قوله وفعله، حتى لا يجر أصحابه إلى مأزق حرج، أو يجلب لهم اضطهاداً، أو ربما يعمد إلى ذلك للإيقاع بخصوم الشيعة، ومن ثم يذهب هؤلاء الخصوم من قدامى ومحدثين إلى أن مبدأ النقية التي تعد ركناً من أركان المذهب الشيعي، هي في حقيقة الأمر مدرسة للمخائفة، والغدر، والنفاق؛ أضعف إلى ذلك أن يكتب حرية الشيعي، ومنعه من المجاهرة بعقيدته الحقيقة التي يؤمن بها، تعتبر في لوقت ذاته، مدرسة للسخط الكامن الذي يكتنف الشيعة المقهورون لخصومهم الأقوباء، المستاثرين بمبراذن السلطة، وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد الجامع، والتعصب التائز، وكان من نتائجه ظهور هذه الآراء الغربية التي لا تماطل مبادئ العقيدة السنوية المعتمدة¹، ولا تماطل أيضاً عقيدة الزيدية التي تتخذ من سبيل الصراحة، قوله وفعلاً، مبدأ لها. تتباين من جراءه كل نوع من أنواع النقية جانباً، معنة الخروج على كل حاكم ظالم.

1- ابن تيمية - المنقى من منهج الاعتدال وتلخيص الحافظ الأذبي - ص 68-69 - قوله زيهير - العقيدة والشريعة في الإسلام ص 180-181 - أحمد أمين ضحي الإسلام: 246/3 - .247

وقد كنا أشرنا سابقاً وفي إيجاز، إلى افتران التقية عند الإمامي عشرية، بغية المهدى المنتظر، إلا أن الشيعة لا يعترفون بهذا الرأى، ويذهبون إلى كون التقية قديمة، قدم الوصية لعلي بن أبي طالب بالإمامية، ومن ذلك أنه - رضى الله عنه - كان لجأ - في نظرهم - إلى أسلوب من التقية، تبدى في سكوته، وصبره على أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - عندما سيقوه إلى الخلافة، بينما الوصية تقضى أن يتقدم عليهم في هذا المنصب. كما كانت مصالحة الحسن لمعاوية في رأيهما - نوعاً من التقية لحقن دماء المسلمين. وتبعاً لذلك فقد فسر الشيعة كثيراً من أعمال الأئمة، على أنهم فعلوها تقية.

وتبدو لنا من خلال هذا الإدعاء اعتراضات كثيرة، أهمها: كيف يمكن أن يعد سكوت علي، على سبق الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، عليه بالإمامية، نوعاً من التقية، والحال أنه اصطدم بالخارج، فاتهموه بالكفر، لقبوله مبدأ التحكيم، مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - وطالبوه بتجديد إيمانه، حتى يعودوا لقتاله معه مرة أخرى، ضد جيوش القاسطين،^١ ولكنه رفض، وأصر أنه كان على حق، وأنه لن يجدد إيمانه، لأنَّه لم يسجد في حياته لصنم فقط. ولو أراد أن يتقىهم نذاراً لهم وصانعهم، ونظاهر بصدق دعواهم ليكونوا سيفه في مواجهة أعدائهم^٢.

^١ - القاسطون، هم جيوش الشام، والناكثون، هم من نكثوا بيعة على وخرجوا لمحاربة في معركة أنجبل، والماردون، هم الخارج.

^٢ - ابن حجر سفح الباري بشرح البخاري: 71/8 - 75 - باب مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

- أحمد أمين - صحي الإسلام: 3/246 - 249.

وإذا حاولنا أن نستقرئ تاريخ الشيعة، فإنه يبدو لنا أن التقية لم تبرز كمبدأ من مبادئهم الحقيقة، وكركن هام من أركان عقidiتهم، إلا عند اضطرار مهديهم المنتظر إلى الغيبة، خوفاً من أعدائه، وحفاظاً على المذهب الإثني عشري، حتى يجد أتباعه فرصة للنوم والخذر، ويتمكنوا من مراجعة الإمام المستور في غيابه الصغرى، إما مباشرة أو بواسطة وكلائه الأربع، فيما يعن لهم من المسائل والقضايا المتعلقة بعقidiتهم، وأهدافهم السياسية المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً. وقد استطاع الشيعة في مثل هذا الجو المتكتم، والمحاط بهالة من التيقظ، أن يراجعوا مبادئهم، وأن يصوغوها من جديد على ضوء التطور الحاصل في الساحة السياسية والمذهبية.

وقد نسبوا في هذا المجال إلى علي قوله في خطبة له: «اللهم وإني لأعلم... أنك لا تخني أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا يحصل حجتك ولا يصل أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم؟ وكم أولئك الأقلون عدداً والأعظمون عند - الله سجل ذكره قدراء المتبعون لقادة الدين، الأئمة الهادين، الذين يتأذبون بأذابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستثنون من حديثهم ما استو عر على غيرهم، ويائسون بما استوحش منه المكذبون، وأياد المسرفون أولئك أتباع العلماء صبحوا أهل الدنيا بطاعة الله سبارك وتعالى - وأوليائه، ودانوا بالتقية عن دينهم، والخوف من عدوهم،

فأرواحهم معلقة بال محل الأعلى، وعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت¹،
منتظرون لدولة الحق... طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدمتهم،
وابا شوقاء إلى رؤيتهم، في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإياهم في
جنة عدن، ومن صلح من آبائهم، وأزواجهم، وذرياتهم².

ومما يدل على ارتباط ظهور التقى، بغيضة المهدي المنتظر، ما رواه
الشيعة حوله من أنه كان يحج في غيبة الصغرى كل سنة مائياً، متخفيًا
حتى لا يعرفه أحد، سوى أنه شاب علوى يزور البيت العتيق راجلاً، وهي
إحدى كراماته الكثيرة، ومنها أيضاً تحويله الحجارة ذهباً وتصدقه بها على
النفراء والمساكين، ومن خلالها أيقن أتباعه أنه المهدي المنتظر، فكانوا
يجدون في طلبه، فيدورون الموقف كله، ولا يعثرون عليه³. بينما لا يعد من
الغرابة بمكان أن يختفي شخص عن شخص أو يضل في مثل هذا الموقف،
أشاء موسم الحج، والإكتظاظ على أشهده، ويؤكد الشيعة شدة تقطّع المهدي،
ومبالغته في التكتم، إلى درجة نهيه عن ذكر اسمه خوفاً من أعدائه، فيقال له
الحجّة من آل محمد، حتى لا يذيعوا اسمه، ويعرف أعداؤه مكانه.

ونسبوا إلى أبي عبد الله أن من سماه باسمه فهو كافر. ولهذا كان التقى
الشيعة مع المهدي المنتظر أفضال كثيرة، تفوق التقى مع غيره من الآية
ونزواتهم، وتؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من افتران التقى بغيضة المهدي المنتظر،

1- خرس صمت لأنهم لا يذرون على التكلم بالحق وإن علّه كلّمه في دولة الباطل تقى، الكلبى
- الأصول من الكافي: 1/335.

2- النوبختي - فرق الشيعة - ص 108 - 110 - الكلبى - الأصول من الكافي - باب نذر
في حال العيبة - 1/335 - الطوسي: رسائل في الإمامة - ص 25 -
3- نفس المصدر: 1/332.

وفي هذا المجال نسب الشيعة للصادق أنه بشر أولئك الذين يدينون بالحقيقة، بأنه إذا مات منهم ميت صابر، مصابر على الحال التي هم عليها، كان أفضل عند الله من شهداء بدر وأحد، بينما ورد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق أهل السنة، أن صاحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما فيهم شهداء بدر وأحد، وغيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم - هم أفضل عند الله من المسلمين المتأخرین عليهم زمنياً.

وعلى كل فإن الشيعة يريدون أن يصلوا من خلال هذا التفضيل، إلى أن النفي لا تزري بمن دان بها، بل على العكس من ذلك فإنها ترفع منزلته في الدنيا والآخرة، لاعتبارهم إياها ركنا هاما من الأركان التي تقوم عليها العقيدة الإثنى عشرية. ومن هذا القبيل يرى الإمامية أن نفي الشيعي، لا تعد جينا وهروباً من مواجهة أعدائه، أو نوعاً من النفاق والغدر والمخالفة - مثلاً بتهمهم خصومهم - وإنما هي نوع من الحنكة السياسية التي يلجأ إليها العظماء والأئمة المرهوبون، فيقدمون متى كان الإقدام عزماً، ويحجون متى كان الإحجام حزماً، ولا يدخلون موضعًا لا يرون لهم فيه مخرجاً... وهذا كلّه بالإلهام من الدوّونه، لأئمة الشيعة وأتباعهم، وهي حنكة تصاهي - في رأيهم - إلى حد بعيد، اخفاء النبي مع الصحابة عن قريش عندما كانوا يمكّنون في شعب أبي طالب، واحتفاؤه - عليه السلام - مع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في الغار، أثناء الهجرة إلى المدينة².

١- المكيني - الأصول من الكافي: 332/1 - 334.

- ابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: 9-3/8 - 292 - 314 ولنظر ما بعدها.

دونالدس - عقيدة الشيعة - ص 308.

ويدافع الشيعة عن أنفسهم، وعن مبادئهم، بكونهم لم يختاروا أسلوب النقية من تلقاء أنفسهم، وإنما خصومهم، هم الذين أجوؤهم إلى هذا السبيل وذلك عندما كبروا حرباتهم، ومنعوهم من المشاركة في الحياة السياسية العامة، والحال أن قيادة المسلمين تعد - في نظرهم - حفاظاً مشرعاً لأيمتهم بوصية إلهية. ثم إن المحن التي نزلت بالشيعة، والتصفيات الجسدية التي تعرضوا لها هي التي أجبرتهم - على حد قولهم - إلى التستر، والتكتم، والمداراة، والتصانع، والنقية، ويررون في هذا المجال، أن أيمتهم ماتوا مقتولين، لأن عنصر الشهادة يلعب دوراً كبيراً في العقيدة الإثنى عشرية، بداية من مقتل علي إلى مقتل الحسين في كربلاء، الذين مما جلّ أنفسهم بمسحة من الحزن، لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا. إلى مقتل الحسن العسكري الذي يعتبر في رأيهم - الأب الحقيقي الذي أحب المهدى المنتظر، وبسبب هذه المصائب التي أناخت عليهم بكلكلاها دانوا بالنقية، ورأوا أن التضحية في مثل هذه الظروف تعد ضرباً من التهور ولذلك قال أحد أعلامهم، محمد بن الحسن الطوسي (ت. 460هـ/1068م): "لم تلق فرقة، ولا بلية أهل مذهب بما بلت به الشيعة من التتبع والقصد، وظهور كلمة أهل الخلاف، حتى أنا لا نكاد نعرف زماناً تقدم، سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم النقية، ولا حالاً عريت فيها من قصد السلطان، وعصبيته، وميله وانحرافه".¹

- محمد بن الحسن الطوسي - تلخيص الشافعي: 1/59 - نقلًا عن الدكتور علي الشibli - "شيعة في إيران" - ص 126.

ولاحسان الشيعة بهذا الاضطهاد، وانحرمان، وتعرضهم لشئي أنواع
 الثلب، ينجون إلى رد الفعل، ويصبح لعن الخصوم -عندهم- في العلن إن
 أمكن، أو في السر فريضة دينية، من قصر فيها ارتکب إثما. وقد دعموا
 موقفهم هذا بما رواه عن أيمتهم، ومن ذلك ما نسبوه إلى الصادق، أنه سأله
 سائل ذات مرة: أي سبط النبي - صلى الله عليه وسلم - إني لا أقوى بجد
 على الدفاع عن حقوقكم وعنكم، على مرأى وسمع من كل الناس، غير أن
 كل ما أستطيع عمله، هو البراءة من أعدائكم، والذائب على لعنهم، فما هو
 قادر على عدكم؟ فأجاب الإمام: روى لي أبي عن أبيه الذي أخذه عن سمعه
 من النبي - صلى الله عليه وسلم أن: من اشتد ضعفه حتى عجز عن
 معاونتنا نحن آل البيت، وعن نصرتنا، ولكنه وهو في بيته يصب اللعنة
 سرا على أعدائنا، تحبيه الملائكة لأنّه من الأبرار، وتدعوا له فاتحة؛ إلا هنا
 أرحم عبدك الذي عمل ما قدر على فعله، ولو استطاع أن يزيد لفعل، فيقول
 الله - تعالى - : قد استجبت دعاءكم، ورحمت عبدي، وجعلته بين الأبرار
 والأخيراً.^١

ولهذا السبب كان لا قران التستر الشيعي بالمهدية دور عظيم في
 تأصيل مبدأ التقى، وبروزها كعقيدة راسخة في المذهب الإثني عشري، إلا
 أن الإمامية لا يعترفون بذلك ويصررون على أن التقى لم تفارفهم طيلة
 تاريخهم، وأنهم استمروا في تمسكهم بها، خوفا من خصومهم، بالرغم من
 الجهود التي بذلها بعض الخلفاء العباسيين، للتعفير لهم عن حسن نواياهم، إلا
 أن جل الشيعة اعتبروا هذه الجهود نفاقاً أكره عليه هؤلاء الأعداء، ليتمكنوا

^١- قوله زبير - العقيدة والثربعة في الإسلام - ص 181 - 331.

بواسطته من إيقاف تأثير الأئمة الروحي في الناس، وخوفاً من تغلغل النفوذ الشيعي في الدولة العباسية. لقد أزرت الفرس المأمون، وأجلسوه على عرش الخلافة، فكافأهم على ما قدموه له من خدمات جليلة، بتنصيبه الإمام على الرضا ولباً لمعاهد، معترفاً على مرأى وسمع من الله وذويه، بكونه نظر في أولاد العباس، وأولاد علي بن أبي طالب، فلم يجد في زمانه أحق بولاية أمر المسلمين من علي الرضا، ثم يابع له بولاية العهد سنة (201 هـ/817 م)، وأمر بإزالة النسوان شعار العباسيين، ورفع الرايات الخضر، شعار العلوبيين، وزوج الرضا من اخته أم حبيب، متقرباً بذلك من الفرسن عامة، ومن وزيره الفضل بن سهل، وقاد جنده طاهر بن الحسين، الشيعيين الفارسيين خاصة.

وقد أقدم المأمون -إرضاء للشيعة- على اقطاع طاهر بن الحسين بلاد خراسان سنة (205 هـ/821 م)، فكون منها دولة، تعتبر أول دولة فارسية في تاريخ الإسلام. ولم يشفع تودد المأمون إلى الرضا عند الشيعة، ولم يرفع من مكانته لديهم، إذ هو في نظرهم -مكره على التقرب منهم، ومصانعتهم، بعدهما تغلغل النفوذ الفارسي في دولته، وكثير الخارجون عليه من العلوبيين، مثل محمد بن إبراهيم من آل الحسن بمكة. ولم يتأثر الشيعة بذلك المناظرات التي جمع فيها المأمون بين الرضا وبعض العلماء، لأنها لم تعقد في رأيهما -من أجل إقناع العلماء برجاحة الرضا عليهم في العلم والفضل، وإنما عقدت من أجل الحظ من منزلة الرضا في أعين الناس، فلقد كان المأمون يتمنى داخل نفسه أن يتعذر الرضا في الجواب عن بعض تلك المسائل التي وجهها إليه العلماء، ومن ثم يظهر أن السيف الذي حز رأس الحسين، قد جعل الشيعة يقطعنون كل أمل في المصالحة بين الأئمة والخلفاء،

ولهذا السبب فمهما تعدد الخلفاء، وتقرروا من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك لن يكون كافياً كي يحسروا الظن بهم، وبنوا إياهم نحو آل البيت، خاصة وهم الذين لا يزالون ينزلون بهم شتى صنوف التنكيل، والقتل، وهم الذين أجهزهم إلى النفي يحتمون بها من ضرباتهم المتلاحقة ويجدون في كنفها فرصة من أجل صياغة مبادئهم والمحافظة على أرواحهم، وممتلكاتهم^١.

وذمم الشيعة رايم هدا، بكون المأمون لما لاحظ أن منزلة الرضا بدأت تعظم في أعين الناس، وأن الشيعة أصبحوا يتغلغلون في أركان دولته، أحس بالخطر المحدق به، إن هو مضى في تدليل الرضا بدون توقف، أضف إلى ذلك أن أقرباءه من العباسين، قد بدؤوا يعلنون التمرد عليه، خوفاً من خروج السلطة من بين أيديهم، وانتقالها إلى العوبيين، مما اضطر المأمون إلى استدعاء الرضا لقادومه إلى عاصمة ملوك بخارasan، وأظهر له أنه يزيد بقاءه إلى جانبه، حتى يمكنه من تونتي الخلافة بعده، بينما كان قصد المأمون في واقع الأمر - هو مراقبة الرضا عن كثب. وقد دمجت الرواية الشيعية - في هذا الصدد - قصة، مفادها أن المأمون أو عز إلى قتل الرضا، فمات مسموماً سنة (203هـ/319م). ولعل ما يدحض هذه الرواية من أساسها ما ذهب إليه بعض الشيعة المعاصرین ومن هؤلاء هاشم معروف، الذي لم يستبعد حسن ظن المأمون في تونته إلى الرضا وتقربه منه، معتبراً مجيئ المأمون إلى الخلافة العباسية، كمجيء عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة الأموية، ولذلك لم يكن المأمون - في نظر هاشم معروف - شبيهاً بمن تقدمه من الخلفاء

^١ - الدكتور علي الشامي - الشيعة في إيران - ص 101-102.

- الدكتور أحمد محمود صبحي - نظرية الإمامة - ص 387-388.

العباسيين الذين فاقوا في ظلمهم ما افترفه بنو أمية، حتى أصبح يجري على كل لسان قول الشاعر:

يا ليت جور بنى مروان دام لنا، وليت عدل بنى العباس في النار.¹

ويبدو أن موقف المأمون من الرضا قد قسم الشيعة إلى فريقين، من مصدق لهذا التوبيخ، ومن حذر هو بين الرفض والشك، يخشى أن يكون وراء هذا التقارب - الذي لم يسبق له نظير - لعبة سياسية، يقصد من ورائها، تفريق صفوف الشيعة، وكسر شوكتهم. ويظهر أن المشككين في هذا التقارب، كانوا أكثر عدداً وأوفر حجة، من المصدقين له، زاعمين أن الرضا كان يقابل دهاء المأمون، في توبيخه بتفيقه شديدة، ونسبوا للرضا قوله: لا حنت على من حلف على تفيقه، يدفع بها ظلماً عن نفسه². ولا أدل على ما أحدثه هذا التقارب العلوي العباسي من اختلاف في الرأي، بين الشيعة أنفسهم، أن عدوه قد انتقل إلى المعاصررين منهم، من مصدق لنوايا المأمون تجاه الرضا، إلى من يعتبر المأمون منافقاً، يخشى الرضا، ويحاول أن يكسب وده، تماماً مثلما كان الرشيد ينافق الكاظم ويقترب إليه، ويبرع - في نفس لوقته - إلى من يقتله، خوفاً على سلطاته منه، وإن لم يخلع عليه ولاية الوعده، ولذلك اضطر الإمامان (الكاظم والرضا) إلى مقابلة هذا الدهاء العباسي بالتفيقية الشيعية، وهي التي لا يعرف موقعها الحقيقية إلا الأئمة، فهم الذين يعلمون موازين تشخيصهاً بأسلوب ديني وعلمي صحيحين.²

- سيد هاشم معروف الحسيني - عقيدة الشيعة الإمامية، ص 158 - 162.

² - الخميني - الحكومة الإسلامية، ص 70 - 74.

وقد تعرض الشيعة إلى انتقاد شديد من خصومهم، بسبب تقريرهم لمبدأ التقية، وعملهم بها، لأن من دان بها يلجا إلى أساليب من النفاق، والمراؤحة، والكيد والدس، للوصول إلى أهدافه. فكان ردتهم على هذه الانتقادات وأمثالها، أن التقية مبدأ إسلامي عام، لا يختص بالشيعة وحدهم، دون بقية الفرق الإسلامية، وقد أباحته الشريعة لحكمة ربانية، وللحافظة على سلامة المعتقى عندما تدأمه أحطاز لا قبل له بتحملها، إن هو أعلن موافقه صريحة مما يدور حوله، وتراوله بالنقض سياسياً أو عقدياً، ويذهب الشيعة إلى أن جواز مشروعية التقية مدعوم لذاتهم - بالكتاب والسنة، وأحاديث الأئمة، واستعمال العقل. وقد نسبوا في هذا الصدد - لأبي عبد الله، أن الله تعالى بين أذوار الأئمة ومن سيستعمل منهم التقية، مداراة لأعدائهم، ومن أمر منهم بشذها، والخروج على الظالم والجور، وقد تزل كل ذلك، ضمن الوصية بالإمامية على محمد صلى الله عليه وسلم - مكتوباً بخط إلهي مشاهد من عالم الأمر، وكان جبريل في صورة أدمي نازل من هناك، وفي يده الوصية مختومة، ولم ينزل كتاب مختوم غيرها... وفتح على الخاتم الأول، ومضى لما أمر به فيها، ثم فتح الحسن الخاتم الثاني، ومضى لما أمر به، ولما توفي الحسن فتح الحسين الخاتم الثالث فوجد أمراً بنبذ التقية: "أن قاتل فقتل وقتل، وأخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، واشرعوا أنفسكم بعهد الله".¹ عز وجل! فلما مضى لما أمر به من القيام بالواجب، والاستشهاد، فتح ابنه علي

1- إشارة إلى قوله تعالى: "ومن الذين من يشرى نفسه للتغاء عرضة الله، والله رؤوف بالعباد" (آل عمران: الآية 207) - وهي الآية التي اعتندها الخوارج في إشهاد السيف، وسروا من أجلها بـ الشهادة.

بن الحسين زين العابدين الخاتم الرابع، فوجد أمراً يلزمون النقية: "أن أطرق (*)، وأصمت" والزم مزرك، وأعبد ربك حتى يأنيك اليقين، ولا تائفت لما عليه الخلق من الآراء الباطلة والأفعال المزرية... ثم فتح محمد بن علي الباقر الخاتم الخامس، فوجد فيه أمراً بتفسير كتاب الله تعالى - وتعليم المسلمين مما أعطاه الله من المعرفة، وتربيتهم على العلم والعمل، وتصديق أبيه، وتوريث ابنه والقيام بحق الله، والاصداع به في الخوف والأمن وألا تخشى في الله لومة لائم، فإنه لا سبيل لأحد عليه. ثم دفع الباقر الخاتم السادس إلى جعفر الصادق فوجد فيه لما فتحه: 'حدث الناس، وافتهم، وانشر علوم أهل بيتك، وصدق أباءك الصالحين ولا تخافن إلا الله - عز وجل - وأنت في حرز وأمان'. ثم وصل الخاتم السابع إلى موسى الكاظم، ومنه انقل إلى الذي يليه من بقية الأئمة حتى انتهى إلى المهدى المنتظر.

أما دليل الشيعة على جواز النقية من القرآن الكريم، فأيات كثيرة، منها قوله - تعالى - : "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، ألا أن تنقوا منهم نقاوة، وينذركم الله نفسه، وإلى الله المصير"¹. وفي رواية أخرى: "إلا أن تنقوا منهم نقية". وقوله تعالى: "من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره وقلبه مضمون بالإيمان"². وقوله - عز وجل - : "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ أَلْفِ فَرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَه"³.

(*) أطرق: سكت ولم يتكلم، ولطرق صفت غيره، أو لينظر في أمر - المتدرج في اللغة والأعلام: 465/1 مادة (طرق) ط 40 سنة 2003، دار المتدرج، بيروت - لبنان.

¹ - سورة آل عمران: الآية 28.

² - سورة النحل: الآية 106.

³ - سورة غافر: الآية 28.

ولهذا تكون النفيّة من باب حماية النفس من الأخطار المحدقة بها، عملاً بقول الله - سبحانه وتعالى - : 'وَلَا تُنْقِلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهَاكَةِ' ^١. وعملاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : 'لَا ضررٌ وَلَا ضرارٌ' وقوله: 'رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان، وما استكر هو علىه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والطيرة، والحسد، والوسوسة، في الخلق'، وبذلك يتتأكد سند الشيعة - أن الضرورات تبيح المحظورات، وبما أن النفيّة قد تكون ضرورة ملحة، في بعض الأحيان، فلا مانع من التجوء إليها لدفع الضرر، بل ربما يكون من الواجب العمل بها في بعض الأحيان الأخرى.

وقد رد ابن تيمية على الحلي، وعلى الشيعة عامة، فيما نسبوه للصادق، ولبقية الأئمة، من قول بالنفيّة، وعمل بها، معتبراً إياها بعيداً كل البعد عما عرف به هؤلاء الأئمة الأفاضل؛ وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت، وغيرهم، عن ذلك، بل إنهم كانوا من أعظم الناس صدقاً وإيماناً، وكان دينهم التقوى والخشية من الله، لا النفيّة التي تقول بها الشيعة، وأن ما ذهب إليه هؤلاء في قوله تعالى: 'لَا يَتَخَذُ الْمُؤْمِنُونَ كَافِرِينَ أَوْ لِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...' ^٢.

إنما هو أمر بالاتقاء من الكفار وليس أمراً بالنفيّة التي ينجر عنها النفاق والمراؤغة والكذب، وقد أباح الله للMuslim الذي أكره على كلمة الكفر النطق بها، مع اطمئنان قلبه بالإيمان الصادق، ولكن الله عز وجل - لم

^١ - سورة النور: الآية 195.

^٢ - سورة آل عمران: الآية 28.

يكره أحداً من أهل البيت ومن غيرهم على المكر والدس، أو أن يقولوا
بأنستهم ما ليس في قلوبهم، حتى أن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول لم
يكرهوا أحداً من آل البيت، أو من عامة المسلمين على مبaitهم، أو مدحهم
وانتفاء عليهم، بل بائع على، وبائع غيره طوعاً لا كرها باتفاق الجمهور.
وكانوا يذكرون فضائل هؤلاء الصحابة خاصة، ويترحمون عليهم، يدعون
لهם بالخير^١. أما قوله تعالى: "من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره وقلبه
مطمئن بالإيمان"^٢. فهو لم يأت دليلاً على نقاية الشيعة، وإنما جاء في سياق
الأسرى من المسلمين الذين كانوا يقعون في أيدي الكفار، والإسلام لا يزال في
بدايته غضاً، والمسلمون قلة، فأبيح لهم الإيمان القلبي، مع النظاهر التسلاني
بما يخالفه^٣.

وذهب أهل السنة إلى أن ما تسبه الشيعة لاذمة من قول بالنقية،
ويالوصية، والعصمة والمهدية... هو محض اخلاق، ولا صلة لهؤلاء الأئمة
من آل البيت بما أ指控 بهم، فلقد كذبوا هم أنفسهم هذا الإدعاء، ومن ذلك ما
روي عن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، أنه قال
لرجل من الرافضة ما نصه: "والله لنن أمكننا الله منكم، لنقطعن أيديكم،
وارجلكم، ثم لا نقبل منكم توبة" فسألته رجل: لم لا تقبلون منهم توبة؟ قال:
"نحن أعلم بهؤلاء منكم. إن هؤلاء إن شاؤوا صدقوكم، وإن شاؤوا كذبواكم،

^١ ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: 8/31، 47 وانظر ما قبلهما وما بعدهما في
فضائل الصحابة

^٢ سورة النحل: الآية 106.

^٣ ابن تيمية: منهاج السنة: 1/159-160 وبهائمه موافقه صحيح المعمول لصحيح المنقول
نفس المؤلف.

وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في التقية، وبذلك، إن التقية هي باب رخصة للمسلم، إذا ضطر إليها، وخلف من ذي سلطان، أعطاه غير ما في نفسه، يدرأ عن ذمة الله، وليس بباب فضل، إنما الفضل في القيام بأمر الله، وقول الحق، وأئم الله ما بلغ من التقية أن يجعل الله بها لعبد من عباد الله، أن يصل عباد الله^١.

ويظهر من براءة الأئمة، مما نسب إليهم، أن التقية رخصة للمسلم إذا اضطر إليها، وليس بباب فضل، حيث إن الفضل يتمثل في القيام بأمر الله، وقول الحق، كما أنها ليست وسيلة يمنحها الله لمن يشاء، ليصل بها عباد الله، مستترًا وراءها حتى لا يتهم بکذب، مهما ادعى من أراء غريبة^٢.

ولا يأبه الشيعة لهذه الاعتراضات، معتبرين ما نسبوه لأئمتهم، أقوى من أن تقال منه أمثل هذه الانتقادات، مقررين في الآن ذاته - أن التقية ليست رخصة وإنما هي من أصول الدين، فقد سئل الباقر عن شيعيين من أهل الكوفة قبض عليهم الخصوم، وطلبوا منها أن يبرأ من علي بن أبي طالب، حتى يخلو سبيلهما، فبزى أحدهما ونجا، وأبي الآخر فقتل، فأجاب: أما الذي برأ فرجل فقيه في دينه، عرف موطن التقية فلجا إليها، وأما الذي نُم برأ فرجل تعجل الجنة^٣.

^١- اندفعت بن عسکر: تاريخ دمشق: 165/4 نقلًا عن محب الدين الخطيب في تعريفه على المتفق من منهج الاعتدال وتلخيص الحافظ الذهبي - ص ۵۰.

^٢- انطونى - فرق الشيعة - ص 67-68 محمد جواد مغنية، الشيعة في انطوان، ص 50.

^٣- انطونى - الأصول من الكافي: 334/1-335.

ويبدو أن هذه الرواية الشيعية سكتت عن الرجل المقتول، ولم تعدد متهمواه، غير مطبق لقوله تعالى: "ولا تلقو بأيديكم إلى التهكمة"^١. بينما هي من الآيات التي اعتمدها الشيعة في تقرير التقىة. ومع ذلك فهم يغضون انطرف عن أمثال هذه المأخذ، ملتمسين أدلة نقلية أخرى، يدعون بها التقىة، لتظهر دائمًا سديهم - ركنا من أركان الدين. وفي هذا الغرض أراد جماعة من الشيعة السفر إلى العراق فطلبووا من الباصر أن يسلحهم بنصيحة، فنسبوا إليه الوصية التالية المتضمنة للتقىة: "إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِذَابِ وَلَيَعْذِبَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ فَقِيرَكُمْ وَلَا تَبْتُوا سَرَنَا وَلَا تَذَبِّعُو أَمْرَنَا". ونسبوا للصادق قوله أيضًا: "إِنَّ أَمْرَنَا مَسْتُورٌ مَقْعُ مَبْيَاقٌ، فَمَنْ هَذِكَ عَلَيْنَا أَذْلَهُ اللَّهُ".^٢

وعلى هذا الأساس كانت التقىة لدى الشيعة - نظاماً سرياً يعتمدونه في خروجهم، وثوارتهم، طالبين من أتباعهم الكتمان، ومصانعة أولي الأمر الظاهرين الذين يعملون معهم حتى لا تحوم حولهم الشبهات، إلى أن تتضح معالم الثورة، ويحين الوقت الملائم، وعندها يطرحون عنهم ثوب التقىة جانبًا، ويعطّلون الخروج، حاملين السلاح في وجه النظام القائم.^٣

ويذهب الشيعة المحدثون إلى أن التقىة كالإمامية، ليست ركنا من أركان الدين - مثلاً ما اعتبرها الشيعة القدامي - وإنما هي من أصول المذهب، ومن ضرورياته ومن أنكرها فهو مسلم وعليه ما عليهم، ولوه ما لهم، شريطة أن يعتقد بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، ولكنه لا يعتبر إمامياً. ومن ثم تكون هذه

^١ سورة البقرة: الآية 195.

^٢ الكليني - الأصول من الكافي - نقلًا عن أحمد أمين، ضحي الإسلام: 3/247-148.

^٣ أحمد أمين: ضحي الإسلام، 3/247.

النفيّة لدى الشيعة المعاصرین - رخصة للمسلم بنص القرآن، والحديث، وأقوال الأئمة، واستعمال العقل، يلجأ إليها المضطر عند الحاجة، اعتباراً إلى أن الغاية تبرر الوسيلة، أو الوساطة. وقد اصطدمت الشيعة في هذه القضية بمشكلة، تحدث عنها الفقهاء في جميع المذاهب وهي: "هل يجوز التوصل إلى خاتمة مشروعة، من طريق غير مشروع؟" أو تكلموا عنها بعنوان: "المقاصد والوسائل". وخاض فيها الأصوليون من علماء السنة والشيعة في موضوع: "ترابح المهم والأهم" واتفقا على أن الأهم يجب أن يقدم على المهم"، ارتكاباً لأقل الضررين، ودفعاً لأشد المحظوظين، وتقديماً للراجح على المرجوح^١. ويظهر من خلال الفصل الذي خصصناه للأفضليّة في هذه الرسالة، أن أهل السنة يقولون مثل الشيعة الزيدية والإثنى عشرية بتقديم الأهم على المهم ووجوب إمامـة الأفضل على المفضول، ويتافق أهل السنة مع الزيدية بكونهم يجزون إذا افتصـت الضرورة، تقديم المفضول على الأفضل، حفـا لدماء المسلمين، ومحافظة على البيضة، وتعلقـا بالإستقرار السياسي. أما الشيعة الإثـنـا عـشـرـية فـيـهم لا يـلـجـؤـون إـلـىـ تـطـبـيقـ مـبـداـ "الـضـرـورـاتـ تـبـحـ"ـ المحظوظـاتـ إـلـاـ فـيـ قـوـلـهـمـ بـالـنـفـيـةـ.ـ غيرـ أـنـهـ مـنـ الـأـوـكـ أـنـ نـلـاحـظـ،ـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ،ـ أـنـ قـوـلـ الزـيـدـيـةـ بـإـمامـةـ المـفـضـولـ مـعـ وـجـودـ الـأـفـضـلـ عـنـ اـقـتـصـاءـ الـمـصـلـحةـ،ـ لـاـ يـفـهـمـ مـنـهـ أـنـهـ تـخـلـواـ عـنـ مـبـداـ الـخـروـجـ الـذـيـ أـخـلـصـوـهـ لـهـ أـيـمـاـ إـلـاـخـصـ،ـ لـأـنـهـ يـشـرـطـونـ فـيـ هـذـهـ إـمامـةـ الـتـيـ وـقـعـ فـيـهـاـ تـقـدـيمـ الـأـهـمـ عـلـىـ الـمـهـمـ،ـ اـرـتكـابـاـ لـأـقـلـ الـضـرـرـيـنـ،ـ أـنـ يـكـونـ إـلـامـ عـادـلـاـ،ـ أـمـاـ إـذـاـ ظـلـمـ فـهـوـ بـيـنـ

^١ - محمد جواد معنـيـةـ - الشـيـعـةـ فـيـ المـيزـانـ - صـ 435 - الشـابـيـ: الشـيـعـةـ فـيـ إـلـانـ صـ 118.

أمررين، إما أن يرتدع، أو يعزل، وإن أبي فلا مندورة من إشهار السيف عليه تطبيقاً لمبدأ الخروج¹.

ويبرد الشيعة على أهل السنة، في عدم قولهم بالنقية، بحجج مختلفة ومنها: أنهم يعمدون إلى استعمال النقية، في كثير من أساليب حياتهم، وفي كثير من قضاياهم، دون أن يصرحوا بالأصطلاح الشيعي المعروف (النقية)، ومن ذلك أنهم يرخصون في الكذب عندما يكون القصد منه حماية دم مسلم، اختفي من قاتل، أو لغاية الإصلاح بين المتخاصمين،² كما أنهم أجازوا أكل لحم الميتة في المخصمة لضرورة الاحتياج، ودفع الهلاك وأجازوا إساغة اللقمة بالخمرة لمن غصّ ب الطعام أو عطش إلى حد الموت، ولم يجد قربه ماء، وأجازوا أيضاً التلفظ بكلمة الكفر محاافظة على النفس، وخاصة إذا افترضنا، أن الكفر والحرام، عما فطرا من الأفطر، بحيث لا يوجد فيه حلال إلا نادراً، ومن ثم فلا مانع - والحالة هذه أن ينطق المسلم -اضطراراً- بكلمة الكفر، مع اطمئنان قلبه بالإيمان الصادق. ويخلص الشيعة المعاصرة، من خلل هذه المقارنة، إلى أن مبدأ النقية، مبدأ متداول بينهم، وبين أهل السنة، ولو لم يستعمل هؤلاء نفس النطق، لأن العبرة بالمعنى دون غيره، أضعف إلى ذلك أن النقية كانت مبدأ معمولاً به - لدى الإمامية - حيث كان العهد البائد،

¹ الشهري: الملوك والنحل: 1/208-209... ذيلاً لكتاب ابن حزم الفصل

² روى البخاري ومسلم، عن أم كلثوم بنت عقبة، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يغور: ليس الكتاب الذي يصلح بين الناس، فبني خيراً، أو يقول خيراً" وفي رواية أخرى للتبغين عنها أيضاً، ذكرت حالات ثلاثة لجواز الكذب، فقالت 'ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاثة، يعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل لأمرأته، وحديث المرأة لزوجها،

“أَسَا الْيَوْمَ، حِيتَ لَا تُعَرَّضُ لِلْظُّلْمِ، فِي الْجَهْرِ بِالثَّشِيعِ، فَقَدْ أَصْبَحَتِ النَّقِيَّةُ فِي خَيْرٍ كَانَ^١. وَخَاصَّةً بَعْدِ تَمْكِينِهِمْ مِنِ السُّلْطَةِ سَنَةَ 1979 وَقِيَامِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي إِنْدِيَانَ.

ولا ينكر أهل السنة أن الدين الإسلامي مبني على الرخص، وأنه يسر وليس بعسر، ولذلك فقد يلجنون إلى ما يسمى بالتنقية أو بغيرها، والمهم - في رأيهم أيضاً - ليس التمسك بالألفاظ والمعصطلات، إنما فيما يجده المضطرب من عنون يساعده على الخروج إلى شاطئ النجا، مع المحافظة على سلامته عقيدته القلبية، وهذه رخص تقر بها كل الفرق الإسلامية، وفي التاريخ الإسلامي ما يدل على ذلك، فقد اضطر عمارة بن ياسر - رضي الله تعالى عنه - إلى أن ينال من الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلسانه، عندما شدد عليه المشركون العذاب، ولم يصفه رسول الله بالكفر، بل حرضه على أن يعود إلى مائه إذا عادوا. ويبدو أن اعتراض أهل السنة على الشيعة ينحصر في اعتبار هزلاء التنقية أصلاً من أصول الدين وركنًا من أركانه، وأنه لا يسعان لمن لا تنقية له، وإنها دينهم ودين آبائهم. ويعيبون عليهم - في الآن ذاته - نسبة هذه الأقوال إلى آئمة أطهار كاتباقر، والصادق وغيرهما... .

بينما هم أبرياء من كل ما نسب إليهم، من هذه الروايات المنسوبة بالمبالغة والتتفيق، خاصة عندما يتعلّق الأمر بادعاء الشيعة أن الله أمر بعض الأئمة بالنقية، وحرض البعض الآخر على رفع السيف والخروج في وجه الظلم، والحال أن النقية رخصة كباقي الرخص، تتنسّى من أحكام الإسلام، ومن نصوصه الصحيحة، بينما الظلم محرم ومنبود وواجب على كل مؤمن

^١ محمد جواد مخنثة الشيعة في القرآن - ص ٥٠ - ٥٢

مقاومته بما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وليس بعض الأئمة أو نوابهم فقط - هم المطالبون بمناهضته أو بالسکوت عنه - مظماً تدعى الشيعة^١. الأمر الذي جعل بعض المعاصرين منهم، يجهدون، فيعتبرون التقية كالإمامية من أصول المذهب، لا من أصول الدين وفي هذا الصدد قرر محمد جواد مغنية أن التقية ما زالت ديناً يدين به كل سياسي شرقاً وغرباً، بما في ذلك المخلص الأمين منهم^٢. إنَّ ما أشار إليه، يعني به الدهاء السياسي، وهو أمر متداول لدى أغلب حكام العالم في كل عصر ومصر، ولما اتفق عليه أهل السنة والشيعة، من عدم الفصل بين أمر الدنيا والدين.

ويبدو أن شبه اتفاق قد حصل، بين أهل السنة والشيعة، في التمسك جواز التقية، من بعض الآيات القرآنية التي مرت لدى الإثنين عشرية - في هذا الغرض، فقد روى البخاري عن أبي الدرداء قوله: "أنا لتكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم"^٣. وهو موقف يذكرنا بقول المتبنى:
إذا رأيت نيوبياً ثوراً بارزة، فلا تخنن أن الثور بيترس^٤.

وأخبر سفيان الثوري عن ابن عباس أنه قال: "ليس التقية بالعمل، وإنما التقية بالسان"^٥. ويؤيد هذه قول الله - عز وجل - : من كفر بالله من بعد إيمانه

١- الكليني - الأصول من المكافى - 1/332-340 انظر ابن عاشور التحرير والتنوير: 216/3-217.

٢- محمد جواد مغنية - الشيعة في الميزان - ص 49.

٣- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 1/276.

٤- المتبنى - الذريان - ص 249، دار المعرفة بيروت، قافية النعيم.

٥- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 1/276.

إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان^١. وهي من الآيات التي دعم بها الشيعة رأيهم في موضوع التقية، متفقين مع أهل السنة في كونها نزلت في عمار بن ياسر، ذاكرين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد على بعض الصحابة الذين اتهموا عمارا بالكفر بقوله: "إن عمار على إيماناً من فرقه^٢ إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه"^٣. غير أنه يجب أن نلاحظ أن أهل السنة، يرون أسبابا أخرى في نزول الآية المذكورة، كما أنهم يجيزون نبذ التقية في أمثال هذه الحالة لمن استطاع تحمل المكره في سبيل عقيدته، مستشهدين بقصة بلال بن رباح مع المشركين وقوله لهم: "أحد، أحد". وقوله أيضا: "واله لو أعلم كلمة هي أغبظ لكم منها لفاتها". وقصة حبيب بن زيد الأنصاري، لما قال له مسيلمة الكاذب: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فأجاب: نعم. فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ فأجاب: لا أسمع. فلم يزل يعذبه ويقطعه إرباً إرباً، وهو ثابت على إيمانه لا يتردّ عنده^٤. وقد حرم بعض أهل السنة التقية، ومن هؤلاء محمد بن الحسن الذي أجرى حكم انكره على من نطق به في الظاهر، ولو أخفى الإيمان الصادق، معتبراً إياه في حكم

^١ سورة النحل: الآية 106.

^٢ الفرق: وسط الرأس حيث يفرق الشعر. يعني أن الإيمان يغرسه من رأسه إلى قدمه - لنظر الفرازي ومختار الصحاح للجوهرى - ص 500 - مدة (فرق).

^٣ مغنية: الشيعة في الميزان ص 50، الصالبوني: صفة التقىير: 144/2، مختصر تفسير ابن كثير: 348/2 - سطاهر بن عثور، التحرير والتنوير: 216-217، 220-221.

^٤ الكلبي: الأصول عن الكلبي، 1-334 - 340 الطي: منهاج الكرامة ضمن منهاج السنة الشبوية لابن تيمية وبهeme بيان موقفه صريح المعقول نصحيح المنقول: 159/1 - 160 - الصالبوني: مختصر تفسير ابن كثير 348/2.

- محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان، ص 48-51.

المرتكب، إلا أنه يستتاب منه بعد أن تزول حالة الاضطرار. ونسب إلى الأوزاعي، والحسن البصري، وسحنون، أن النفي تجوز في قول الكفر باللسان عند الإكراه، ولا تجوز أفعاله، إلا أن جمهور علماء السنة قد سووا بين الأقوال والأفعال، فاعتبروا الإكراه على المعاصي كشرب الخمر والزنا جائزًا ما داموا قد رخصوا في إظهار الكفر، غير أنهم استثنوا من كل ذلك الإكراه على قتل نفس، فلم يبيحوه، لأن التهديد قد لا يتحقق، فتتجو النفس من القتل^١. ويظہر أن نفية أهل السنة نفيّة مقيدة بمدة، يفضل أن تكون قصيرة، إلا إذا حتمت الضرورة الزيادة فيها، على ألا تطول بصفة يجعلها في حكم الذاتية، وقد يفهم هذا المعنى من قوله تعالى: "ويحذركم الله نفسه، وإلي الله المصير"^٢. أي يحذركم الله أن تجعلوا نفيّة طويلة، أو مستمرة، خشية دخون النزارى، وصغار المسلمين في الكفر، وربما يتعودون عليه، وقد يستهلون المعاصي، ويتعودون عليها وعلى التفريط في مبادئهم الإسلامية. وهذا ما يوضحه تاريخ (الموريسيين)، وهم مسلمو الأندلس، حين أكرههم النصارى، على الكفر أو مغادرة البلاد، ففضل بعضهم البقاء حفاظاً على معتقداتهم، مضطرين في الآن ذاته - إلى التظاهر بالكفر مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان، وذلك كانوا يؤذون صلاتهم، وعبادتهم عموماً خفية عن النصارى، وحتى عن صغارهم أيضاً، كي لا يكتشف أمرهم، فإذا كبر هؤلاء، ووصلوا إلى سن البلوغ، أعلمواهم حالهم، وطالبوهم بأداء فروضهم الدينية في تكتم شديد. وقد اضطر بعضهم - إنقاذاً لذائمة الإسلامية من الكفر - إلى انفراط من

^١ - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، 14/292-295.

^٢ - سورة آل عمران: الآية 28.

إسبانيا، أو إلى استئذان العدو في الهجرة إلى بلاد الإسلام، وخاصة إلى شمال إفريقيا، فأذتوا لبعضهم، بينما فضل البعض الآخر البقاء في إسبانيا، وبذلك حكموا على أبنائهم أن ينشأوا في المستقبل على غير دين الإسلام¹.

وإذا كانت النفيّة مقيّدة عند أهل السنة - بزمان معين، فإنها لدى الشيعة - مطلقة من قيود الزمان، ملزمة لهم بصفة دائمة، مثل بقية مبادئهم، وهو السبب الذي قد يكون عرض بعض أتباعهم إلى الذوبان في الفرق الإسلامية الأخرى، بعدما تعودوا على مبادئ غيرهم، ولذلك عد أهل السنة نفيّة الشيعة محرمة لأنها عبارة عن نوع من الزراء والنفاق والكيد إذ أن المداراة والمصانعة والمجاملة التي تفرضها الضرورة أحياناً، قد تصبح خيوطاً رقيقة، تداخل وصعب تخلصها من بعضها، وعندما قد يجد أصحابها أنفسهم في وضعية لا يحسدون عليها، يفقدون من جرائها مبادئهم، وربما أنفسهم، ويصبحون لا هم في حلقة مفرغة من المجاملة... والكيد.

والنفيّة... يجهلون حتى كيفية دخولهم، وخروجهم من هذه الحالة التعيسة التي ترددوا فيها. وعلى هذا الأساس فإن ما ذهب إليه الشيعة من كون اللجوء إلى النفيّة هو تطبيق عملي، لقوله تعالى:

”لَا تلقوا بآيديكم إلى التهلكة“ يدحشه سبب نزول هذه الآية، حيث إن أولها يبدأ بقوله -عز وجل- : ”وأنفقوا في سبيل الله، ولا تنقو بآيديكم إلى التهلكة، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين“². ومعانٍ الواردة في سياق هذه الآية لا تقيّد نفيّة، كالتى تذهب إليها الشيعة، وإنما هي عبارة

¹ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: 3/215-221.

² سورة البقرة: الآية 195 - محمد جواد مغنية - الشيعة في العيزان - ص 50.

عن تحريض على عدم ترك الجهاد في سبيل الله، والاشتغال بالأموال والأولاد فيهم المسلمون.

وفي هذا المعنى أخرج الترمذى، عن اسلم أبي عمران، أنهم كانوا بمدينة القسطنطينية عندما أخرج لهم العدو صفا عظيما من جنود الروم، فواجههم من المسلمين مثلهم، فحمل رجل من المسلمين على جيش الروم وحده حتى دخل فيهم، ثم برق من بينهم ثانية، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الانصاري: يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل الصحيح، وإنما أنزلها الله فينا معاشر الانصار، لما أعز الله الإسلام، وكثير ناصروه فقلنا فيما يشادون دون علم رسول الله إن الله قد أعز دينه فلو أقبلا على أموالنا فأصلحناها، وتركنا الجهاد، فأنزل الله هذه الآية¹.

وتتبدى التهلكة، في هذا الصدد، في الإقامة على الموارد وإصلاحها، وترك الغزو حبا في الدبى، لا نفقة، ويبدو أن الآية تحمل جميع المعانى التي تقتضى كل إقاء باليد إلى التهلكة، فانتفريط في الاستعداد للعدو، والدفاع عن التغور، والجهاد في سبيل الله، وتحريض الدين والأمة إلى الخطر، وإثلاف نفوس المسلمين وأموالهم كله حرام، لأنه من باب الإلقاء بالنفس إلى التهلكة. وقد اختلف العلماء في مثل هذا الخبر المروي عن الترمذى، والمتمثل في هجوم الرجل الواحد على صفة العدو، ومنه ما روى عن القاسم بن محمد من (التابعين)، وعبد الملك بن الماجشون من (المالكية)، ومحمد بن الحسن من (الحنفية)، أنه يجوز ذلك إذا كان هذا الجندي جامعا بين الشجاعة، وفورة

1- أخرجه أبو داود، والترمذى، والنسائى، والبغدادى، لأبي داود.

البنية، اللتين علا فيهما صيته، وعرف بهما بين الأبطال، حتى أصبح اسمه أو حضوره، أو ذكر خصاله، يدخل الرعب في قلوب الأعداء، ويربكهم، فلا يعرفون كيف يتصرفون. إذا توفر ذلك لهذا الجندي المثالي، فلا مانع من هجومه وحده على صف العدو - بآلية طريقة يراها صالحة، لشتت شمله، أملا في الانتصار والنجاة، أو قصد النكارة بالأعداء، لإضعاف معنوياتهم، وبعث الجرأة في نفوس المسلمين، ليطمعوا في النيل منهم. وقد حصل مثل ذلك للمؤمنين يوم غزوة أحد، على مرأى ومسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل ما لا يكون شبيها له، فهو إلقاء بالنفس إلى التهلكة^١.

وفي خصوص ما ذهب إليه الشيعة، من أن المقصود بالصبر في قوله تعالى: «أولئك يرثون أجرهم مررتين بما صبروا»^(*) هو الصبر على التقى، فإن سبب نزول هذه الآية يكشف عن غير ما ذهبوا إليه. ولقد دعم الشيعة رأيهم بقصة أصحاب الكهف، وتقىهم، وصبرهم، تجاه الملك الظالم الذي عاشوا في عهده، وأردا فتنتهم عن دينهم المسيحي، فأعطياهم الله أجرهم مررتين، ونحن بدورنا لا ننزع في كون أهل الكهف يستحقون هذا الأجر، ولكن الآية لم تنزل في شأنهم ولا في شأن أجر الصابر على التقى، إنما نزلت في جماعة آخرين من أهل الكتاب، فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت في أولئك الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - من علماء أهل الكتاب. وبين سعيد بن جبير إجمال ابن عباس، فذكر أنها نزلت في سبعين من

^١ - الصيboni: صفوۃ التقاسیر، 1/172، مختصر تفسیر ابن کثیر: 1/126، الطاهر بن عاشور: التحریر والتؤیر، 2/215-212 - الكتاب الأول.

^(*) سورة الفصلن الآية 54.

القسيسين، بعثهم النجاشي ملك الحبشة النصراني إلى بلاد الإسلام، فلما قدموا على رسول الله، قرأ عليهم: 'يس وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ...' 'حتى ختمها'. ففضلت عيونهم بكاء، وأسلموا. فنزل فيهم قول الله تعالى - : 'الذين أتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ'. وإذا يَتَّلَقُ عَلَيْهِمْ قَالُوا: 'أَمْنَا بِهِ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ'. أو لَنْكَ يَؤْتَمِنُونَ أَجْرُهُمْ مَرْتَنِينَ بِمَا صَبَرُوا، وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّبَّةَ، وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَعُونَ^١. وَنَزَلَ فِي شَانِهِمْ أَيْضًا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : 'إِنَّمَا أَنْهَاكُمُ الْكِتَابَ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِآشَأْهُ، وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ، وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ، خَاطِئِينَ اللَّهَ لَا يَشْتَرِونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثُمَّنَا، أَوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَرَابِطُوا، وَانْقُوا اللَّهُ لِعْنَكُمْ نَفْلُحُونَ^٢. وَذَكَرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْنَوْا وَمِنْ غَيْرِهِمْ أَيْضًا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ . وَاسْتَحْقَ هُؤُلَاءِ جَمِيعًا أَنْ يَضْعَفَ اللَّهُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ مَرْتَنِينَ، مَرَّةً مِنْ أَجْلِ إِيمَانِهِمْ بِكِتَابِهِمْ، وَمَرَّةً مِنْ أَجْلِ إِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ لِأَجْلِ مَا تَخَلَّ هُذَا أَوْ ذَاكَ مِنْ صَبْرِهِمْ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، رَغْمَ شَدَّةِ الْعَنْتِ الَّذِي تَحْمِلُوهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ: 'ثَلَاثَةٌ يَؤْتَمِنُونَ أَجْرُهُمْ مَرْتَنِينَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، ثُمَّ آمَنَ بِنِي، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدْى حَقَّ اللَّهِ وَحْقَ مَوَانِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَّةٌ، فَأَدَبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْنَقَهَا'

- سورة القصص: الآيات 52-54.

^٢ - سورة آل عمران الآيات 199-200.

فتروجها" وفي رواية أخرى: "من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين وله
مالها، وعليه ما عليه"^١.

ويبدو أن الأحاديث التي استدل بها الشيعة على جواز التقى، لا تشير
صراحة إلى ما ذهبوا إليه، ومن ذلك ما رواه من طرقهم، مثل حديث: "رفع
عن أمتي تسعة أشياء الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما لا يعلمون،
وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والطيرة، والحسد والوسوسة في الخلق"
فقد ثبتت بعد نقضي كتب الصحاح لدى أهل السنة - أنهم لم يوردوا هذا
الحديث، موافقاً لرواية الشيعة لفظاً وعدداً^٢. وغاية ما في الأمر، ما أخرجه
ابن ماجة عن أبي ذر الغفاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال:
"إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" وفي رواية
أخرى عن أبي هريرة: أن الله تجاوز لأمتي عمّا توسوس به صدورها، ما لم
تعمل به أو تتكلّم، أو ما استكرهوا عليه^٣. ولم يورد ابن ماجة هذه الأحاديث
في موضوع التقى، من قريب أو من بعيد، وإنما أوردها في (باب طلاق
المكره والناسي)، ويوضح ذلك الحديث الذي أخرجه في نفس الباب عن
عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: "لا
طلاق ولا عتق في إغلاق"^٤. ومن معانٍ الإغلاق، الإكراه، فيكون المقصود

١- حديث صحيح أخرجه أبا عبد الله عن أبي القاسم بن أبي إمامه - الصابوني - صفة التكبير
- 439/2 مختصر تفسير ابن أبي إمامه - الصابوني - صفة التقاسير 438/2 - 439
مختصر تفسير ابن كثير: 18/17-18 أحمد أمين: ضحي الإسلام: 24/3 - 248.

٢- صحيح البخاري: ومسلم، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وكتب السنن

٣- سنن بن ماجة: 1/659

٤- نفس المصدر: 1/660.

لا طلاق لزوجة، ولا عتق ل المملوك في حالة إكراه¹. ويعتبر الشيعة قول النبي: "وما اضطروا إلية"، صريح الدلاله على النفيه، وعلى أن الضرورات تبيح المحظورات، غير أنه كان على الشيعة أن يستنتجوا ذلك بالدرجة الأولى من جملة: وما استكرهوا عليه لأن الإكراه على الكفر أو على المعصيه، يسبق الإضطرار إليه. ومع ذلك فليس الإكراه، ولا الإضطرار يدلان صراحة على جواز النفيه الشيعية، قولًا أو فعلًا. أضف إلى ذلك أنه ليس من المعقول، أن تكون الضرورات عموماً مبيحة للمحظورات، والأولى أن يكون تطبيق هذه الرخصة، على أساس أن بعض الضرورات تبيح المحظورات، اعتباراً لمشروعية الوسائل، الموصدة إلى شاطئ النجاة.

ويظهر أن هذا الحديث بروايه الشيعه، قد نسب إلى رسول الله ما لا يجوز أن يصدر عنه لأن العقل والذوق ينبعان عنه، فكيف يخبر النبي أن من جملة المرفوع عن أمته الطير، والحسد وهم مما نهى عنهم القرآن الكريم، والحديث الشريف، فقد ثبت في الكتاب أن التطير (التشاؤم) محرم لأنه من فتن الشيطان، وبنته، ولاستعداد النفس الأمارة بالسوء لذلك الإغواء، وفي هذا الأمر قال الله تعالى، على لسان ثمود، يخاطبون نبيهم صالحًا - : 'قالوا أطيرنا بك وبمن معك'، قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتون². لقد شاءوا بصالح وبابتعاه المؤمنين، واعتبروهم سبباً لما حل بهم من البلاء ولما أصابهم من الفحش والجوع، فأخبرهم الله - عز وجل - أن ما نزل بهم

¹- نفس المصدر والصفحة

²- سورة التمل: الآية 47.

سببه قضاوه وقدره، وكفرهم به وبنعمه، وسوء أعمالهم، وارتكابهم للمعاصي، ولا دخل لصالح، ولا لمؤمنين، فيما حل بهم، وروي عن ابن عباس مثل هذا المعنى في قول الله عز وجل - : "فإذا جاءتهم الحسنة قالوا: لذا هذه، وإن تصبهم سيدة يطيروا بموسى ومن معه، ألا إنما طائرهم عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون".¹

وورد تحريم التطير في السنة صريحا، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم - : "الطيرة على من تطير" وقوله: "الطيرة شر". لأنها من بقايا الشرك. وعادات الجاهلية.²

وروي عن رسول الله أنه تفأعل، ونهى عن التطير⁴. وروى أنس - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا عدو ولا طيرة ويعجني الفأ". قالوا: وما الفأ؟ قال: "كلمة طيبة".⁵ وعن عروة بن عامر - رضي الله عنه - قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله، فقال: أحسنها الفأ، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل اللهم لا يلني

- سورة الأعراف: الآية 131 - الصابوني - صفة التقى: 1/466-467، 2/412، 3/9.

10 - وانظر أيضاً سورة (بس - الإيتان - 18 - 19) حكاية عن أهل القرية الذين هم بقتل زملهم: قالوا: إنا نخربنا بكم، نحن لم نتهوا لترجمتكم، ونمسنك من عذاب ربكم. قالوا: طلاقكم حكم أئل نذكركم، بل أنتم قوم مسرفون.

الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير: 1/466-467.

² - رواه أصحاب السنن

³ - ويظير ذلك فيما عرف عن العرب في الجاهلية من زجر الطير، وضرب الأذاج عند الأقدام على أمر هم كتجارة ونحوها - انظر: تناول بين عشور: التحرير والتبيير: 9/66-67 - الكتاب الأول.

⁴ - رواه أبو داود بساند صحيح

⁵ - حديث متافق عليه

الحسدات إلا أنت، ولا يدفع السبّات إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بك
ويضيف أَعُوذ بالله من الشيطان الرجيم.^١ أما الحسد فهو محرم أيضاً
لأنه تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواءً كانت نعمة دين، أم نعمة دنياً أم
الغبطة فهي جائزه لأنها لا تعني زوال نعمة الغير، وإنما هي عبارة عن تمن
للوصول إلى مرتبة أصحابها. وفي هذا تحريض على العمل والكد، بينما
يكشف الحاسد عن عدم تقديره للمجهود العملي الموصى للغaiيات الشريفة،
ولذلك ترى المؤمن يتغوز من شر الحاسد إذا حسد^٢. وروي عن رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَسِّدُوا وَلَا تَباغضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَاجًا" (*).
وجاء قول الله تعالى - مؤيداً لما ذكر: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَدْ آتَيْنَا أَلَّا إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ كَا
عَظِيمًا".^٣

وروبي عن ابن عباس رضي الله عنه - أنها نزلت في اليهود حين
حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - على النبوة والرسالة وحسدوا
 أصحابه رضي الله عنهم - على الإيمان فجاء الرد عليهم في صيغة
الاستغراب من حسدتهم والحال أن الله - عز وجل - شرف أسلافهم من ذرية

- حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح
٢- سورة الفلق: الآية ٥.

(*) حديث منافق عليه، وروي عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الأثر: "ثلاث لا ينجو
منهن أحد: لعن الطغية والطيرة والحسد، سُخطنكم بالخرج من ذلك، إذا حسدت فلا تبعه" أخرجه ابن
البيك في كتابه "الحمد عن أبي هريرة" (الغزالى، إحياء علوم الدين: 176/3 - 177)
والطغية والتسازم، والطعن وسوء التظن بالغير... ، طبعة دار الفكر العربي دار نهر النيل -
غير موزع).

٣- سورة النساء: الآية ٥٤.

إبراهيم بالنبوة وبالرسالة وأنزل عليهم الكتب السماوية، وأنعم عليهم بالملك العظيم المقربون بالثبوة كداود وسليمان عليهما السلام^١. وروى أنس بن مالك، أن النبي نهى عن الحسد فقال: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا"^٢. وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب (أو قال): العشب^٣". ومن بين الأحاديث التي استدل بها الشيعة على جواز التقية أيضاً حديث: "لا ضرر ولا ضرار" مدعى بهم رأيهم بكونه حديثاً مروياً، مع الحديث السابق، في كتب الصحاح عند أهل السنة^٤. وبينما أن الحديث الأخير لا يدل على التقية التي يذهب إليها الشيعة، وقد يكون استنتاجهم لها من خلال هذا الحديث دالاً على أنه وثيقة من الوثائق التي تعد في نظرهم، حجة تؤكد مبدأ من مبادئهم، خاصةً والحديث ينفي عن الإضرار بالغير وعن إكراههم على ما لا يطاقون، وكل ذلك يوجب الإضرار إلى المداراة، وهي من وسائل التقية. ولكننا وبعد تقصي أطراف هذا الحديث - يظهر لنا أنه يتناول علاقة الجيران بعضهم ببعض، من حيث الأموال العقارية وغيرها سواءً أكانت بنايات سكنية، أم أراضي زراعية، وما ينشأ حول ذلك من خلافات، في إقامة الأبنية، والمناذل، والممرات، ومجاري المياه، والطرقات، وفي هذا الصدد قضى عمر بن الخطاب لفائدة الضحاك بن خليفة، وعبد الرحمن بن عوف، بسرور ساقيني ماء لهما في أرض جاريهما، بالرغم من رفض هذين

^١- تصانوفي - صفة النافعات: 1/282.

^٢- حديث متافق عليه

^٣- رواه أبو داود.

^٤- محمد جواد مغنية الشيعة في النيزان - ص 50.

الجارين، لأن منفعة الماء ستكون متبادلة بين الطرفين¹. وروي عن ابن عباس أن رسول الله قال: "لا ضرر ولا ضرار، وللرجل أن يجعل خشبة في حنط جاره، والطريق الميتاء"². سبعة أذرع". وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن رسول الله قال: "إذا اختلفتم في الطريق فدعوا سبعة أذرع، ثم ابنيوا، ومن سأله جاره أن يدعم على حائطه فليدفعه". ويوضح هذا الحديث ما رواه ابن عباس أيضاً عن النبي أنه قال: "لا يمنع أحدكم أخيه مرفقه³ إن بضعه على جداره"⁴.

ويبدو أن من الأسباب التي دفعت الشيعة إلى نسبة النقاية إلى أيمتهم، هو ما شاع حول هؤلاء الأئمة، من زهد في السياسة والسياسيين، خوفاً من الشبهات وحقنا للدماء، وحباً في الآخرة، فالإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت 100 هـ/729م) قد هجر السلطة وأهانها وأصحابها، بعدما عاش ألمحة التي مر بها أبوه الحسين في كربلاء سنة (681هـ/61م)، مفتتحاً بالإمامية الروحية، ولذلك يعتبر أول من فتح بابها من أئمة آل البيت، لأنه لم يتول الحكم كجده علي، ولا تخلى عنه كعمه الحسن لمعاوية، ولا خرج من أجله في وجه السلطة القائمة كوالده الحسين، ولذلك كان دائماً

- مالك بن نبي: انصواتاً برواية يحيى التميمي - ص 529.

- النبي، بكر الميم، الطريق المستلوك على وزن (مقابل) من الإثبات، والميم زائدة (انظر: أحمد بن حنبل: المسند: 4/311).

- المرفق: بفتح الميم وكسرها، ما ارتقق به وانتفع، والمراد هنا ما يحتاج إليه الجار من منفعة بحانط جاره أو نحوه، وهو ما يسمى اليوم عند رجال الفتنون بـ (حق الارتفاع)

- انظر مسند أحمد: 4/85.

- نفس المصدر: 3/351، 352 - 310/4، 85 - 84/4، 311 - 367 - ابن ماجة، السنن:

784/2 - 785.

البكاء منذ مقتل أبيه، مقبلاً على انعلم والعبادة، حتى لقب بالسجاد، وذى
 الثقات^١ لكثره صلاته وتهجده، وسار على نهجه ابنه محمد بن علي (ت.
 119هـ/373م) الذي أفنى عمره في مذاقنه العلوم، حتى بقرها، ولذلك
 عرف بالباقر. وبلغ جعفر الصادق (ت. 148هـ/765م) من الصحبة العلمي
 - لدى أهل السنة والشيعة معاً - ما فاق به أباء وأخاه وجميع أئمة آل البيت،
 ولذلك كان زاهداً في الحكم، ومبعداً عن مواجهة السلطة، مقرراً أن "القائم
 إمام سيف، والقاعد إمام علم" وتبدى عزوفه عن أي منصب سياسي، في
 رفضه للخلافة، عندما عرضها عليه أبو سلمة الخلال (ت. 132هـ/750م)،
 حين رأى قتل الخليفة مروان.. الثاني (ت. 132هـ/750م) لإبراهيم الإمام
 سنة (216هـ/744م)، فخاف انفلات زمام الحكم، وانتشار الفوضى خاصة
 والدولة الأموية تذر بالسقوط لشدة ضعفها، فأراد أن يدعوه جعفر الصادق
 ليزليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، فأحرق الصادق كتاب أبي سلمة
 الخلال، وقال لرسوله: عرف صاحبك بما رأيت، ثم تمثل بقول الشاعر:
 أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ! * ويا حاطباً في غير حبك تحطب !

وقد وضح الشهري^٢ خصال الصادق هذه، فقال: 'وهو ذو علم
 غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع نام
 عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المتنميين إليه، ويفيض على
 الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة، ما تعرض للإمامية

^١ ذو الثقات: يعني أن موقع السجود من اطرافه قد خلت لكثره العبادة - وتهجد: سهر نيل،
 ومنه قبل لصلاة تليل: (النهر) وتعني النهر للعبادة - لنظر: الجوهرى ومختر الصاحب
 للرازي - ص 690.

قط، ولا نازع أحدا في الخلافة، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطبع في شط، ومن تعانى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط. وقيل من آنس بالله توحش عن الناس، ومن استأنس بغير الله نبه الوسواس^١ وأضاد الشهير سأني، أن الصادق يننسب إلى أبي بكر الصديق من جانب أمه، وكان يتبرأ مما نسبه له الغلاة من حلول وتشبيه وتناسخ، ويلعنهم، كما كان يتبرأ أيضاً من مذهب الرافضة وقولهم بالوصية والعصمة، والمهدية، والحقيقة...^١.

ورغم ثبوت هذه الوثيقة التي أكدت خلال المذكورة، فقد شك دوندشن في صحة ما روي عن الصادق، وأنه تبرأ حقاً من تبرأ من الشيوخين، معللاً موقفه هذا بكونه نوعاً من التغيبة، خوفاً من بني أمية، وببني العباس، حيث عاصر الدولتين، فقد أدرك عهد هشام بن عبد الملك (ت. 125 هـ/743م)، وأنور الدين بن يزيد بن عبد الملك (ت. 126 هـ/744م) وإبراهيم الإمام (يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت. 126 هـ/744م)، ومروان بن محمد (ت. 132 هـ/750م) من خلفاء الأمويين، كما أدرك أيضاً عهد أبي العباس السفاح (ت. 136 هـ/754م)، وأبي جعفر المنصور (ت 158 هـ/775م) من خلفاء العباسيين غير أنه يبدو لنا أن هذا الشك لا معنى له، لأنه ينافي ما ذهب إليه دوندشن، عندما استشهد بهذه الوثيقة، وبأمثالها، في معرض حديثه عن خلال الصادق، وكونه لا يمكن أن ي يعد من الشيعة الاثني عشرية ولا من أصحاب المعجزات...

١- الشهير سأني العتل والنحل: 214/1، 2/2 - دليلنا لكتاب ابن حزم - الفصل - عبد الرحمن بن عمر - تاريخ مدينة زبيد - ص 27 - دوندشن - عقيدة الشيعة - ص 139 - الدكتور علي الشابي - الشيعة في بابل - ص 84-93.

ومن ثم نستنتج أن تصحيح الصادق لإمامية الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، لا يعتبر نوعاً من التقية، وإنما هو بديهيّة يومن بها آل البيت، وجمهور المسلمين^١. أما ما أشار إليه الشهيرستاني، من إفادة الصادق للشيعة المنتسبين إليه فلا يعني أنه شيعي، وإنما يعني بالمنتسبين إليه، أولئك الذين أقبلوا على دروسه من عامة المسلمين – حسب ما تقيده لفظة الشيعة لغويًا – وأيدوه فيما ذهب إليه من الزهد في السلطة، وابتعاده عن السياسيين، حتى أنه رفض دعوة المنصور له، ليعيش بقربه في بغداد، طالباً منه أن يعيشه من مغادرة المدينة، فأبى المنصور، وألح عليه في القدوم إلى العراق، فأخبره الصادق أنه روى عن أبيه عن جده، عن رسول الله، أن من خرج في طلب الرزق رزقه الله، ومن بقي مع عياله مد الله في أجله. فقال له المنصور: أسمحت ذلك حقاً عن هؤلاء؟ فأجابه: أشهد الله على ذلك. فأعفاء المنصور عن الانتقال إلى بغداد، وسمح له بالبقاء في المدينة مع عياله، وقد استغل الشيعة أسئل هذه المواقف، والصفات، فنسبوا للصادق العمل بالتقية التي يذهبون إليها، ومن ذلك زعمهم أنه ظاهر في إحدى حلقاته التي اخترط فيها الشيعة بغيرهم، أنه ليس الإمام المفترض الطاعة، وغضب عنم أفسى عنه هذا السر^٢. كما أنه كان لا يجبر أتباعه من الشيعة عن مسائلهم، إلا إذا أصمتوا جميعاً إلى عدم وجود أحثبي عنهم في المجلس. ونسب الشيعة إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أيضاً، أنه أوصى بالإمامية من بعده إلى ابنه

^١- عبد الرحمن الرابع: بخية تستند في تاريخ مدينة زيد - ص 26-28 - دونالدس عقيدة الشيعة - ص 139-141، 194. ...

^٢- الكتبني - الأصول من الكافي - 232/1 - 233 - دونالدس عقيدة الشيعة ص 140.

موسى الكاظم المعروف لدى أتباعه - بالبعد الصالح، وأخفى ذلك عن المنصور بحيلة نطيفة تدل على تقيته. ولما توفي أبو عبد الله تأثر الخليفة المنصور وبكى، وكتب إلى عامله على المدينة: إن كان أوصى إلى رجل بعيده فقدمه واضرب عنقه فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة من بينهم المنصور ذاته ومعه موسى الكاظم، وعبد الله، ومحمد بن جعفر، ومولى أبي عبد الله، فقال المنصور ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل^١.

ولشدة تكتم الشيعة وإيمانهم بمبدأ التقية، ادعوا أن الملائكة رقبياً وعقيداً المكلفين بإحصاء أقوال الناس وأعمالهم، ينسحبان إذا ما تتاجي شيعان وتساروا، ليغسلا لهما المجال، عملاً بمبدأ التقية الذي شرعه الله لهم. وتبه أحد السائرين جعفر الصادق، الذي نسب له الشيعة هذه الدعوى، أنها مناقضة للاية القرآنية: 'ما ينفظ من قول إلا لديه رقيب عقیدة'^٢. فزفر الإمام زفرة عميقة، واحتضن لحيته باندموع، وقال: حقاً إن الله أمر ملائكته بأن يتركوا المؤمنين من الشيعة وحدهم عندما يتtagون، غير أن الملائكة إن فاتهم هذا، قال الله يعلم ما كان خاصياً، وينبه أهل السنة إلى أن الملائكة المذكورون وغيرهما من الملائكة المعقبات بين يدي العبد يحفظونه من أمر الله لا ينسحبون عن المرء أبداً، إلا في حالة لا ينسحبون واحدة، هي حالة وقوع المقدر عليه، وعندها لا يحاولون البتة الدفاع عنه، ومنع نفاذ أمر الله فيه^٣. وفيه يقول الله تعالى: 'لَهُ مَعْقِبٌ مِّنْ يَدِهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ

^١- الكلباني - الأصول من الكافي: 1/238-239، 307-311.

²- سورة ق: الآية 18.

³- فون زيهير - لعقيدة والشريعة في الإسلام - ص 180-331.

(*) سورة إنزد الأية 11.

الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومانهم من دونه وال" *).

ويعتبر تاريخ الشيعة تاريخا حافلا، بموافق مختلفة لأنواع من النفيّة، نسبوا لأئمتهم، ونوابهم وأتباعهم، العمل بها، في كثير من المناسبات، وساعدتهم على ترويج هذا المعتقد، اختفاء الأئمة في بيوتهم، وعدم خروجهم إلا قليلا، خوفا من التهم الملاحقة لهم من جانب السلطة القائمة، وانقطاعا للعلم، ولعبادة الله... وأشار أتباعهم حول هذا الاختفاء كرامات مفادها أن أجسام الأئمة لا ظل لها، فصدق عامة الشيعة ذلك، لأنهم لم يكونوا يشاهدون الأئمة في الطرقات والشوارع وإنما كان بعضهم يحضر أحيانا حلقاتهم العلمية المنعقدة في بيوتهم¹. وفي هذا الصدد روى الشيعة عن الوكيل الثالث للمهدي المنتظر، أبي القاسم الحسن بن روح التوخي (ت. 326هـ/938م) أنه حضر مجلسا في بلاط الخليفة العباسي، المقتدر بالله (ت. 321هـ/933م)، فقال سني: أفضل الصحابة بعد رسول الله، أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم علي فأشير إلى أحد الحاضرين من الشيعة قائلا: بل علي أفضل من عمر، وزاد الكلام بينهما، فتخلأ أبو القاسم، محاولاً لفض الخلاف بقوله: "الذى اجتمع عليه الصحابة هو تقديم الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذون التورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا". فتعجب أهل السنة الحاضرون في المجلس من صدور هذا الرأي عنه، وهو المعروف بيتبيّعه، وكادوا يزفونه على الأعناق، وكثير الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض. وتعرض الشيعي الآخر - الذي

1- دونالدسون: عقيدة الشيعة، ص 183 - 184.

كشف عن مذهب من حيث لا يشعر معنا أفضلية على - إلى سخرية الحاضرين، وضحكهم، فلم يزل يتصرّر، ويمنع نفسه، ويدين كمه في فمه، ولم يجد في النهاية بدا من التوب عن المجلس، خشية افتتاح أمره، ووقوعه فيما يكره، وفطن أبو القاسم لما حل به من الهرج، فوافاه منزله - بعد انقضاض الاجتماع - وعاتبه على طرحة توب الشيعة جانبًا في مثل هذا

المقام^١.

وقد وجد الشيعة في الشيعة ملجاً يلوتون به، كلما عصفت بهم المحن المتلاحقة، خاصة في السنوات الأخيرة من غيبة المهدي الصغرى التي انتهت سنة (323هـ/935م)، حتى لم يبق منهم إلا بقية معدودة احتموا بالشيعة، لهول ما نزل بهم من المصائب، وما تعرضوا له من التصفيات الجسدية، خلال اضطراب سياسي واجتماعي زعزع إيمان الناس، وبلغ الظلم والجور هذا جعل أكثر الشيعة يتوقعون ظهور المهدي المنتظر، لأن ذلك يعتبر لذيهم - من علامة رجعته. ولم يكن الاضطهاد مسلطًا على الشيعة - فحسب - بل كان السواد الأعظم من المسلمين يتعرضون إلى ذلك، نتيجة فقدان الخلافة العباسية لكثير من هيبتها، وتكلب القبائل المجاورة، وغزوائهم المتكررة عليها، بالإضافة إلى الهزائم الشيعية التي لحقت جيوش المسلمين، في حروبهم المستمرة آنذاك مع الروم^٢.

- الطبرسي - الاحتجاج: 286/2 - دوننسن - عقيدة الشيعة - ص 253-254
- الكليني - كتاب الحجة - بواب المهدي: 1/328-331-337-340 واتظر ما بعدها -
الخميني - الحكومة الإسلامية - ص 90 دوننسن - عقيدة الشيعة - ص 255-256.

وقد نشأت النقية في ظل الظروف القاسية التي مر بها الشيعة، كمبدأ له أصوله، ولذلك فالعمل بالنقية -ليهم- نه أحکام ثلاثة: واجب، ورخصة، ومحرم. يكون واجباً إذا كان نبذ النقية يؤدي إلى تلف النفس، والتغريب عنها، وإنقاذها في مخان الهمكة بدون فائدة ترجي، وبعد الأقدام - في مثل هذا الموقف - نوعاً من السفه، والحمامة، والتهور التي لا يرضيها عقل ولا شرع، ولذلك وجوب التجوء إلى سلاح النقية، مثلاً فعل عمار بن ياسر عندما عذبه المشركون... وقد يكون العمل بالنقية رخصة إذا كان في تركها وإظهار الحق تقوية للمسلم، ومن ثم يجوز لها في رأي الشيعة - أن يضحي بنفسه من أجل الحق، أو أن يحافظ عليها بواسطة النقية التي يلوذ بها، وقد يكون العمل بالنقية حراماً، إذا كان ذلك مدعاه لرواج الباطل، وإضلال الخلق، ونشر الظلم والجور بين الرعية، ويذهب الشيعة إلى أن اللوم على انتقامتهم بالنقية، لا يجب أن يوجه إليهم، بل يجب أن يوجه إلى من سلبهم حق الحرية، وأجلهم إلى العمل بالنقية. ويستشهدون في هذا الصدد - بتاريخهم الذي يستحمل في نظرهم - على أمثلة لأحكام النقية الثلاثة... فالحسين بن علي شهيد (كربلاء)، وحجر بن عدي الكذبي شهيد (مرج عذراء)، وعبد الرحمن بن حسان العنزي الذي دفعه زياد بن أبيه في (قس الناطق) حياً، وغيرهم كثير... من اعتبروا العمل بالنقية من الأمور المحرمة عليهم. ويوجد من بين هؤلاء من رجال الشيعة من عد النقية رخصة، يجوز لهم العمل بها، أو نبذها في سبيل الحق، ويستشهدون في هذا المقام - برجلين من المسلمين ظفر بهما مسيلة الكذاب، فقال لهما: أشهدما أنني رسول الله، وأن محمداً رسول الله. فقال أحدهما: أشهد أن محمداً رسول

الله. وأنك مسيلمة الكذاب. ففته. وخلف الآخر فشهد بما أراد منه، فأطلق سببه. وبلغ خبرهما إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلق: أن الأول قد تعجل الرواح إلى الجنة، وأما الآخر فقد أخذ بالرخصة، ولكل أجره^١. ويبدو أن عمل الشيعة بالتفقيه، قد أدى إلى ظهور أسلوب من الرمزية، والتورية، في بعض الأحاديث التي نسبوها إلى آيمتهم، ولذلك كانت اللغة العربية - لديهم - لا تؤدي أحاجانا المعاني التي تعارف عليها الناس، وإنما طوعواها إلى أساليب من التأويل متماشية مع معتقدهم، ولا يفهمها غيرهم، ولهذا السبب جاءت بعض أحاديثهم ذات ظاهر وباطن، فالظاهر تفهمه العامة من الناس، والباطن لا تفهمه إلا الخاصة من الشيعة.

وتوضيحاً لما ذكر، فقد نسب الشيعة إلى الإمامين، زين العابدين، والصادق عند ذكر التقى، أن علم العلماء صعب مستصعب لا تحمله^٢ إلا صدور منيرة، أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة. إن هذا العلم البعيد الشأو، لا يحتمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه لإيمان، حتى يستطيع فهم هذه المعانى المتداخلة، تداخل خيوط العنکبوت، لهذه الأحاديث الألغاز وهي على هذه الحالة من الرمزية التي لا يخلو منها حديث شيعي إلا نادر^٣. ويعلل الشيعة هذه الظاهرة، بكونها ناتجة عن كبت السلط المتعاقبة على الحكم نحرياتهم، مما اضطرهم أثناء الحديث عن القضايا

^١- محمد الحسين آل كاشف الغطاء - أصل الشيعة ولصوتها - ص 183-186 - الصابوتي - مختصر تفسير ابن كثير: 348/2.

^٢- الاختصار - مطابعة الحسن، وعنه هنا التحمل والتقبيل والإيمان به - انظر الكتابي الأصول من انكفي - 401/1.

^٣- نفس المصدر والمصفحة.

المتعلقة بحياة المسلمين في عصرهم إلى استعمال أساليب من التقى، خشية أن يطلع ولاة الأمور على آراءهم الإصلاحية المخالفة -سعادة-. لما يذهب إليه هؤلاء الحكام، وتعد هذه التقى من النوع الواجب - لدى الشيعة-. ولذلك كان لأحاديث الأئمة ظاهر وباطن، لأنهم يمتهنون في نظر أتباعهم العارفين الحقيقيين بمواعق التقى، وهم الذين يعرفونها للناس نتيجة مكانتهم الروحية بين الرعية، وعلاقتهم بالملأ الأعلى، ونتيجة ما مر بهؤلاء الأئمة من محن، الجائتم إلى استعمال سلاح التقى، عندما عجزوا عن مواجهة النظام القائم، وعجزوا في الأن ذاته - عن الإفصاح عن عقائدهم، وآرائهم إلى أتباعهم، ولهذا السبب كان هؤلاء الأصحاب، أمثال محمد بن مسلمة، وزرارة بن أعين - في تقى كاملة، ورقابة شاملة من السلطة القائمة، فاضطروا إلى الحج مراراً وتكراراً، عليهم يلتقيون بالإمام ليسألوه عن أمور دينهم، ودنياهم وهذا دليل آخر على ارتباط التقى بغيبة المهدي المنتظر، وقد بلغ الإضطهاد مبلغه، إلى الحد الذي جعل الإمام لا يتمكن من بيان حكم من الأحكام في العقيدة الشيعية، حتى لأخص أنصاره، خوفاً من الدسائس والعيون، فكان يلقي أحاديثه على العموم بشكل رمزي، ثم يلقي نفس هذه الأحاديث على خاصته بشكل آخر، أكثر وضوحاً، ومن ثم فقد صدرت عن الأئمة أقوال مختلفة رغم اتحاد موضوعاتها، تخللها تناقض كثير، جعلها تبدو لل العامة من الشيعة من الصعوبة بمكان، كما جعلها في نظر الفرق الإسلامية الأخرى ضرباً من الخلط والتناقض، يعسر فك رموزهما أو الإلتقاء بما فيها من وجهة نظر. ولذلك كان لابد من تصدى الفقيه الشيعي، لتجليه غشاوة هذا التناقض، وبسبب هذه التجلية كان دوزه عظيماً لدى الشيعة. فهو نائب

المهدي المنتظر، وهو وحده الذي يعرف كيف يتثبت عند الأخذ بهذه الروايات المتضاربة، فيصححها، ويميز شهادتها عن سمينها. وقد اكتسب الفقيه الشيعي - لأجل هذا الدور - نوعاً من التمجيد في قلوب أتباعه، نظراً إلى هذا العمل الذي لا يقوم به - في رأي الشيعة - إلا فقيه محنك، تمرس بأ恨ز آل البيت، وعمل على نشر السنة الشيعية بين معتقليها. وهذا الفقيه الشيعي هو الذي لا يزال يستحق لقب انصاره - التجيل، بالرغم من كون عصر التقى قد ولد في نظر الشيعة المحدثين، وأصبح لزاماً على أتباعهم أن يبنواها جانباً، بل إنها تعتبر - في رأي بعض المعاصررين منهم - نوعاً من الكفر. لقد كانت التقى في الماضي استجابة لحاجات الحركة الشيعية في عهد الإنحسار، أما في مراحل لاحقة فقد دعا رواد الحركة الشيعية المعاصرة إلى معارضته التقى، والعمل على المواجهة والهجارة، لأن التقى ذهب مع الماضي، واعتبرت في خبر كان. وقد تمكّن الشيعة المحدثون بواسطة تبذلهم التقى - وبالإضافة إلى أسباب أخرى كثيرة تتصل بمجتمعهم من الأطاحة بعرش الشاه في إيران. محمد رضا بهلوي 1979 وقيام الحكومة الإسلامية (حكومة التقى) وإسناد مقاليد السياسة إلى الفقهاء، للمكانة الخاصة التي يحتلونها بين العامة منهم. ومن هذا الاعتراف الشيعي، بتدخل أحاديث الأئمة، وتراجحها بين مملكة الظاهر والباطن، واحتلاط صحيحة بسفدها، تدرك ما أصابها من تناقض، كما تدرك في الآن نفسه - مدى الخطورة التي ستحيط بذلك الصرح الشامخ، من الأدلة التي أقامها الشيعة على أقوال الأئمة. ورغم ممارسة الشيعة الأخرى عشرية للسلطة منذ الربع الأخير من

القرن 20 والقرن 21 في إيران فإن آراء الفقيه آية الله ونائب المهدى المنتظر هي المقدمة على الاجتهاد، رغم ذهاب عصر التقى الشيعية... .

إن هذه الخطورة تتبدى فيما علق به بعض علمائهم، من قادسي ومحظيين، بأن جانبًا كبيراً من أحاديثهم، إما مختلف حوله، أو هو في اعتبار الموضوع¹. ولقد كان لاختلاف حول هذه الأحاديث الشيعية، وما نتج عنها من مبادئ مخالفة لما يذهب إليه أهل السنة، دور وأي دور، بين آل البيت أنفسهم وبين من يدعون أنهم قيمون، وأوصياء على المذهب الشيعي المنسوب إلى هؤلاء الأئمة، ومن ذلك موقف زيد بن علي (ت. 122هـ/740) الرافض لمبادئ الإمامية، وخاصة للتقى، حيث اعتبرها نوعاً من تشبيط الهم عن جهاد أهل الباطل، ووضع بدلها مبدأ آخر معارض لها، هو (الخروج على الظلم والجور، تطبيقاً لواجب مناط بعهدة جميع المسلمين، وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، الذي وردت في شأنه آيات قرآنية كثيرة، ومنها قول الله - تعالى - : "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَؤْمِنُونَ بِاللهِ"². وقد روى الإمام الزيدى اليعنی، الهادى بحیی بن الحسین بن القاسم الرسی (ت. 298هـ/911م) أن زید بن علی قال: "الإمام من أهل البيت، المفترض الطاعة على المسلمين، الذي شهر سيفه، ودعا إلى كتاب ربه، وسنة نبيه، وجرت بذلك أحكامه،

1- محمد جولا مغنية - الشيعة في الميزان - ص 52 - الخميني - الحكومة الإسلامية ص 28-29-72-74-76-88-90 - مهدي بزرگان - الحد الفاصل بين الدين والسياسة ص 124-125، انظر مقدمة موسى الصدر لكتاب هنري كوربن - تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 28.

2- سورة آل عمران: الآية 110.

وُعرف بذلك قيامه، فذلك الإمام الذي لا تسمع جهالته، فاما عبد جالس في بيته، مرح عليه ستره، مغلق عليه بابه، تجري عليه أحكام الظلمة، لا يأمر بمعلوم، ولا ينهى عن منكر، فمن يكون ذلك إماماً¹. وفي رواية لشوان الحميري: "... فإني يكون ذلك إماماً مفروضة طاعته"².

ونقل النوبختي المتكلم الإثنا عشرى - في هذا الصدد - وثيقة زيدية هامة، وكان في نقله لها أميناً، بالرغم من مخالفتها لمذهبها، وليس يعنيها صحة هذه الوثيقة أو عدم صحتها بقدر ما يعنيها أنها نسبت لشيعي يقال له عمر بن رياح، سأله الباقر يوماً عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة ذاتها، فأجابه عنها بخلاف جوابه الأول، ففي السائل أبا جعفر إلى اختلاف جوابيه عن مسألة واحدة. فأعلم الباقر أن اختلاف الجوابين خرج على وجه التقية، فلم يقنع السائل بردده، وشكك في أمره، وفي إمامته، ثم إذ لقي رجلاً يقال له محمد بن قيس من أصحاب الباقر فأعلمته بفحوى ما دار بينهما من نقاش، مؤكداً له صدق عزمه في سؤاله، وأن الله شهيد على ما يقول، إن كان طالب معرفة، أم كان خصماً متذكرًا في ثوب صاحب، ولا وجه - والحالة هذه - في أن ينفيه الباقر، فقال له محمد بن قيس: لعله حضر مجلسكما من انتقام، فرد عمر بن رياح: "ما حضر مجلسه في واحدة من المسائلتين غيري، ولكن جوابيه جميعاً خرجاً على وجه التبكيت"³. ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي، فيجيب بمنتهى

¹ - علي بن محمد العلوى - سيرة أنهادى - ص 28-29.

² - رسالة الحور العين: نقل عن علي محمد زيد، معتبرة اليمن، ص 182.

³ - التبكيت - الشك - بخته - يكته وأفصحه، والبخت كلمة أصلها فارسي وتعنى الحظ والمفضود بخروج الجوابين على وجه التبكيت، عجبهما على وجه تصدفة والحظ.

فرجع عن إمامته إلى رأي البترية من الزيدية، ومال معه نفريسير، فانلا: إلا يكون إماماً من يفتني الباطل على شيء بوجه من الوجوه، ولا في حال من الحال، ولا يكون إماماً من يفتني نفقة بغير ما يجب عند الله، ولا من يرخي ستره، ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^١. أما سليمان بن جرير، البترى الزيدي، فقد قال لأتباعه يوماً: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقاتلتين لا يظهرون معهما تجادل أئمتهم على كذب أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التفقة. ففي البداء ينسبون إلى أئمتهم أنعلم الغيبى، فإذا كذب الواقع تتبعهم قالوا: بما الله غير ذلك. أما في التفقة فقد كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام، وما إلى ذلك من صنوف أبواب الدنيا، فأجابوا فيها عن المسألة الواحدة أجوبة مختلفة متضادة، وأجابوا في مسائل مختلفة أجوبة متفقة، وحفظ عنهم شيعتهم هذا التناقض وكتبوه ودونوه، ولم يبق في ذاكرة الأئمة منه شيء لقادم العهود، وتغلوت الأوقات، حيث إن المسائل لم تزد في يوم واحد، ولا في شهر واحد، بل في سنتين متباينتين، وأشهر متباينة، وأزمنة متفرقة، ولما وقف الأتباع على هذا الاختلاف والتخلط في أجوبتهم ردوه إليهم، وناقشوهم فيه وأنكروه عليهم فقالت الأئمة: "إنما أجبنا بهذا للتفقة ولذا أن نجيب بما أحبينا وكيف شئنا لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم بما يصلحكم، وما فيه يقاونا وبقاوكم. وكف عنكم عنا وعنكم" ولهذا فقد نسب هؤلاء الأتباع إلى أئمتهم، أنه كلما ناقشهم أنصارهم

انظر: "جوهرى وتلخيص تصحيح للرازى: مختار الصحاج، ص 42 - مادة (بحث)"

وانتظر أيضاً: ابن منظور: لسان العرب، 1/167 مادة (بحث).

^١- التوبختى: فرق الشيعة، ص 63 - 64.

فيما صدر عنهم من أقوال، وما اكتنفها من اضطراب وغموض كثير،
 اعترفوا بذلك معلين أسلوبهم هذا، بكونه نوعاً من التقىة.^١
 ولهذا السبب أيضاً، فقد وصف (هنري لاووست) البنية من الزيدية،
 بكونها فرقة لم تنزو حول نفسها، بل إنها تفاعلت مع التيارات الفكرية
 والسياسية المعاصرة لها... تفاعلت مع المعتزلة وأهل السنة، ونادت
 بالخروج على الحكم الظالم.^٢ وتنظر قيمة هذه الوثيقة، التي رواها النوبخني
 فيما تطرّحه من جوانب الاختلاف، بين الفكر الزيدية والفكر الإثني عشري،
 خاصة فيما يتصل بموضوع التقىة الإمامية التي يعارضها الزيدية بمبدأ
 الخروج على انظامها، وفي هذا الصدد نعثر في المسند المنسوب إلى زيد بن
 علي، برواية تلميذه أبي خاند الواسطي، على امتداع الجهاد والشهادة... ومن
 ذلك ما نسب لزيد أنه حدث عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب -
 رضي الله عنهم - أنه قال: «لا يُفْسِدُ الجهاد والحج جور جائز، كما لا يفسدُ
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلبة أهل الفسق». ومن اعتبرت قدماء في
 سبيل الله، حرم الله وجهه على النار في حالة الانتصار والهزيمة، وكان
 توابه عند الله يضاهي عتق رقبة مؤمنة، أو عشر حجج، حجة في أثر حجة،
 ونسب لزيد بن علي أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن
 للشهيد الخارج في سبيل الله فضائل سبعة، وهي رؤية منزله من الجنة قبل
 مفارقة روحه لبدنه فيرون عليه ما به، وتبرز له حورية من الجنة فتقول له:
 «أبشر يا ولی الله، فروا الله ما يعند الله خير لك مما عند أهلك». وإذا فارق

- نفس المصدر، ص 67-68 - أشهر ستاني: المل و النحل: ١/٢١٤-٢١٥. ذيلا الكتاب ابن حزم الفصل.

² - Henri Laoust: Les schismes dans l'Islam, p 136.

الحياة خسله خدم من الجنة، وكفتوه، وصبيوه من طيب الجنـة، كما أنه لا تهون على مسلم خروج نفسه، مثـلـما تهون على شهيد. ويـبعـثـه الله يوم القيـامـة وجـروحـه تـعـقـ مـسـكـاـ. وـلـيـسـ أحدـ أـقـرـبـ منـ عـرـشـ الرـحـمـانـ منـ الشـهـادـاءـ. وـيـرـوـنـ كـلـ جـمـعـةـ، اللهـ -ـ عـزـ وـجـلـ -ـ فـيـ حـيـونـ بـتـحـيـةـ الـكـرـامـةـ وـيـتـحـفـونـ بـتـحـفـ الـجـنـةـ، ثمـ يـنـصـرـفـونـ، فـيـ قالـ هـؤـلـاءـ زـوارـ الرـحـمـانـ¹.

وبـسبـبـ اـرـتـفـاعـ مـنـزـلـةـ الشـهـيدـ، فـيـ الـعـقـيـدـةـ الـزـيـديـةـ، نـشـأـتـ كـرـامـاتـ حـولـ الشـهـادـةـ ذـكـرـتـ الـزـيـديـةـ بـعـضـهاـ، وـمـنـهـاـ أـنـ اـمـرـأـ تـدـعـىـ (ـرـحـمـةـ) اـسـتـشـهـدـ زـوـجـهـاـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ، فـرـأـهـ فـيـ الـمـنـامـ مـعـ جـمـاعـةـ عـلـىـ خـوـانـ يـأـكـلـونـ مـنـ أـطـعـمـةـ الـجـنـةـ، فـاسـتـأـذـنـهـمـ أـنـ يـطـعـمـهـاـ، فـأـذـنـواـ لـهـ، فـنـاـوـلـهـاـ كـسـرـةـ خـبـزـ أـشـدـ بـيـاضـاـ مـنـ الـلـبـنـ، فـأـكـلـهـاـ، وـاسـتـغـاثـتـ بـعـدـهـاـ عـنـ الطـعـامـ وـالـشـرابـ، فـلـمـ تـتـاـوـلـ شـيـئـاـ إـلـىـ أـنـ مـاتـتـ بـعـدـ سـنـينـ، وـامـتـحـنـتـ فـوـجـيـتـ كـمـاـ قـالـتـ².

ويـعـدـ المـتـعـاطـيـ لأـسـبـابـ الشـهـادـةـ لـدـيـ الـزـيـديـةـ. فـيـ حـكـمـ الشـهـيدـ إـذـا قـتـلـ، وـيـوـضـحـونـ ذـلـكـ بـأـنـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـاهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ، يـدـخـلـ فـي عـدـادـ الشـهـادـاءـ، فـقـدـ يـتـعـرـضـ إـلـىـ الـإـسـتـشـهـادـ الـحـقـيقـيـ، أـوـ إـلـىـ الـمـضـايـقـاتـ الـمـخـلـفةـ فـيـ نـفـسـهـ أـوـ عـيـالـهـ أـوـ مـمـتـكـاهـ...³

وـقـدـ تـكـوـنـتـ حـولـ مـبـداـ الـخـرـوجـ الـزـيـديـ تـقـالـيدـ مـسـتـمـدةـ مـنـ أـخـلـاقـ الـمـقـاتـلـ فـيـ الـإـسـلـامـ، وـلـذـلـكـ فـإـنـ الـزـيـديـةـ لـاـ يـجـيـزـونـ سـبـيـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ، وـلـاـ يـمـعـنـونـهـمـ مـنـ طـعـامـ أـوـ شـرـابـ وـلـاـ يـجـهـزـونـ لـهـمـ عـلـىـ جـرـيـعـ وـلـاـ يـتـبـعـ مـدـبـرـهـمـ، وـلـاـ يـحلـ مـنـ

- زـيدـ بـنـ عـلـيـ: الصـنـدـ، بـرـوـاـيـةـ أـبـيـ خـالـدـ الـأـوـانـسـيـ، صـ 352ـ 353.

- نفسـ المـصـدرـ، صـ 353.

- نفسـ المـصـدرـ، صـ 354.

معتقداتهم شيء إلا ما كان في معسكرهم^١. ويعتبر مبدأ الخروج الزيدية - الذي عارضوا به نقية الإثنين عشرية - مبدأ له أصوله وقواعد، لأنّه مفروض يبغى الإمام، وظلمه لرعنته، ولذلك فلا خروج إلا على حاكم جائز، أما العادل فلا يجوز الخروج عليه، وعصيّانه محرّم، وطاعته واجبة، لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا، أطِبُّوا الله وأطِبُّوا الرسول، وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء، فردوه إلى الله والرسول، إن كاتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً"^٢. ويعود تحريم الخروج في مثل هذه الحالة إلى كونه يعبر -إذا وقع- عن رغبة شخصية في شهوة المال، وفي النّسلط، وربما في إذلال الرّعية. وقد نسب أبو الجارود (ت. 150هـ/767م)^٣ -

مؤسس الجارودية من الزيدية -مزید بن علي، أنه روى عن أبيه، عن جده الحسين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أن من مات بغير إمام، فقد مات ميتة جاهلية، بشرط أن يكون الإمام عدلاً برأ تقاضاً. قال أبو الجارود: سألت زيد بن علي عن علامة العادل من الجائز؟ فأجاب: إذا استأنف^٤ فهو جائز، وإذا نزل نفسه منزلة رجل من المؤمنين فهو عادل^٥.

^١ نفس المصدر، ص 359 - 360.

^٢ سورة النساء: الآية 58.

^٣ أبو الجارود: زياد بن المنذر (ت. 150هـ/767م). كان يعنّيا في أوله وزينياً في آخره. اعتبرته بعض المصادر الإمامية نعمة في النقل، ومقبول اثراً وآية معتمداً في الحديث، بينما ذهب آخرون إلى أن هذه المصادر تبيّن اعتقاده أعمى القلب وأعمى البصر لغلوه وطعنه على الأئمة (لنظر - التوبختي - فرق الشيعة - ص 58 - 60 - الطبرسي - الاحتجاج: 55/2).

^٤ الاستئناف: الاستبداد والتفرد بما عند الشخص دون الناس - زيد بن علي - المسند - ص 361.

^٥ نفس المصدر والصفحة

وفي حالة نشوء خلاف حول إمام ما، هل هو عادل أم جائز؟ يفضي
 الزيدية هذه القضية بتحكيم كتاب الله، وسنته رسوله¹. ويبدو أن حكم الزيدية
 بالكفر على من لم يعترف بإمام هو حكم مثابه لحكم قدامى الشيعة بالكفر
 على من لم يعترف بإمام العصر الائتني عشرية، غير أن رأيهم هذا قد تطور
 بمفعول الزمن، وأصبح من جرائه الإيمان بالإمام من ضروريات المذهب، لا
 من ضروريات الدين، بينما يذهب الزيدية إلى أن صحة إيمان المسلم تتقرر
 بمدى اعترافه بإمام العصر، العدل البر النقي² ولذلك نسب لزيد بن علي أنه
 روى عن أبيه عن جده علي قوله: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله،
 وأن يعدل في الرعية، فإذا فعل ذلك حق عليهم أن يسمعوا، وأن يطاعوا وأن
 يجتنبوا إذا دعوا، وأيما إمام لم يحكم بما أنزل الله فلا طاعة له عليهم، وعلى
 هذا الأساس فكل إمام احتجب عن قضاء حوائج الناس، احتجب الله عنه يوم
 القيمة. وقد عد القاسم الرسي (ت. 246هـ/861م) - أحد أئمة الزيدية
 باليمن - الإمامة فرض الفرانض، وأوكدها، واعتبرها الهادي يحيى بن
 الحسين الزيدبي اليمني أيضاً (ت. 298هـ/911م) أحد الأصول الخمسة
 لعقيدة الزيدية، وهي مستمدّة في الواقع - من أصول المعتزلة الخمسة -
 غير أن الهادي سوى بين مبدأ التوحيد، وبين الإمامة، وقرر لأجل ذلك
 ضرورة وجود إمام يصلّي بالناس، ويقيم حدودهم، ويجب زكاتهم، ويعطّلها
 فقراءهم، ويعزّز ثغورهم، ويقتص لضعيفهم من قويهم³.

¹- نفس المصدر والصفحة

²- الطبرسي: الاحتجاج: 55/2، محمد جواد معنیة: الشیعة فی المیزان، ص 435.

³- زيد بن علي: المسند - ص 361 - عبد الله أحمد الثور مختصر من تاريخ اليمن: ص

64 - علي محمد زيد سعترلة اليمن - ص 33، 183 ولنظر ما بعدهما وما قبلهما.

وقد بدأنا فيما سبق من دراستنا هذه، عند حديثنا عن مبادئ الزيدية والإثنى عشرية، أن أوائل الزيدية قد حافظوا على المبادئ التي استناداً إليها إمامهم الأول، زيد بن علي، إلا أن بعض المتأخرین منهم قد أضحووا يشابهون الإثنى عشرية، في قولهم بالوصية والعصمة، وعلم الإمام الغيبي، والمهدية... غير أنه قد ظهر لنا استثناء نسبي ل لهذا التحول في قضية الخروج، على السلطان الجائز، وطرح ثواب التقية جانبها، وتعني بذلك أن الزيدية من قدامى ومن محدثين كانوا يحافظون على مبدأ الخروج هذا، ولم يتخلوا عنه إلى القول بالتقية، واعتبروه شرطاً أساسياً من شروط صحة الإمامة عندهم، وما ذلك إلا لأنهم آمنوا بالطابع الثوري الذي تصطبغ به نظرية الإمامة لدى زيد بن علي، والمتمثل في مبدأ الخروج لقتل الظالم الدين استولوا على الحكم بيد من حديد، وبالرغم من وصول الزيدية إلى السلطة، فإنهم لم يتخلوا عن مبدأ الخروج، غير أنهم قد طوروه على ضوء ممارستهم الجديدة للحكم، ومن ذلك أن القاسم الرسي قد اجتهد في تحويل هذا المبدأ، من موقف جماعي، إلى موقف فردي، يتجسد فيما يسميه بهجرة الظلمة، والابتعاد عنهم، وهو تغيير يتاسب مع ممارسة القاسم الرسي للسلطة، إلا أنه لم يغفل عن تصوير مبدأ الخروج على الظلمة، إلى مبدأ آخر يستجيب لطبيعة الاستقرار السياسي الذي أضحت ينعم به، والذي يصبح من حراته - قتال الظلمة - لديه - نوعاً من هجرتهم، ومقاطعتهم، يعني بذلك أنه على الرعية أن تكتف عن الاعتداء على بعضها البعض، وإلا سلط على الظالم منهم أقسى حكم، وهو مناذنه وحرمانه من حقوقه المدنية، وقد يكون دافع القاسم الرسي إلى تطوير مبدأ الخروج

على هذه الكيفية، هو رغبته في المحافظة على الحكم، وعلى الاستقرار السياسي، ولذلك حول الموقف الجماعي لقتال الظلمة بحد السيف، إلى هجرة فردية، عن طريق قطع الفرد علاقاته الاجتماعية مع الظالمين، سواء أكانوا رعية أم حكام¹. وعلى النقيض من ذلك، فقد حافظ الهايدي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي (ت. 298هـ/1191م) على مبدأ الخروج بكل إخلاص دون أن يتأنل فيه تأول جده القاسم، بل عمل على تطبيق ما روي فيه عن إمامهم الأول زيد بن علي (ت. 122هـ/740م)، من خروج على الحاكم الظالم، المتعنت، الذي أضر على جوره بالرغم من المحاولات السلمية الكثيرة التي بذلت لأجل إصلاحه، وبمقتضى مبدأ الخروج تصبح دعامة النسب - لدى الزيدية الحقيقيين - شرطا صوريا، بحيث لو توفر خارج على الحكم الطاغي، من غير آل البيت، وكانت إمامته صحيحة، وطاعته واجبة على الرعية.

ولهذا فقد ركز الهايدي في شروط الإمامة، على توفر كل مقومات الشخصية القادرية على الوصول إلى الناس، والتأثير فيهم قوله وفعلا، وحشدتهم في الخروج معه للثورة، وقتل العدو، ونشر الدعوة الزيدية في اليمن. وفرض انهادي لأجل ذلك طاعة الإمام على جميع الناس، وأوجب عليهم لجهاد معه، ولم يجز لأحد من الرعية أن يخالف، أو يقعد عن تبليغ الدعوة، والقتال مع الإمام، إلا بأربعة أعذار تكون قاطعة، وقد حددها

¹ - القاسم الرسي - الإمام - مخطوط مصوّر بدار الكتب المصرية، في 82-87، ترجمة - مخطوط ضمن مجموعة - ق. 100-108، الحولي: اليمن الحضرة مهد الحضارة.

بأسمائها وهي: المرض، والعرج، والعمرى، والفقير المدقع. ثم أضاف بعدها قوله: فمَنْ كَانَ الْقَاعِدُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِّنَ الْأَرْبَعِ الْخَصَالِ، جَازَ لَهُ التَّخْلُفُ عَنِ الْوَاحِدِ ذِي الْجَلَلِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ فِرْضُ الْمُهَاجِرَةِ وَالْقِتَالِ.¹

وقال في موضع آخر: إِنَّ النَّفِيرَ وَالْهِجْرَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَهُ، مَمَنْ عَدَمَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ، وَكَانَ سَالِمًا مِّنْهَا، وَهِيَ الْعَرْجُ، وَالْعُمُرُ، وَالْمَرْضُ، وَالْفَقْرُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِّنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْيَاءِ فَلَا يَهْجُرُهُ عَلَيْهِ وَالْنَّفِيرُ وَاجِبٌ وَالْجِهَادُ وَالْقِيَامُ لِأَزْمَانٍ، لَا يَفْكُرُهُ عَنْ فِرْضِهِمَا، وَلَا يَرِيحُهُ عَنْ وَاجِبِهِمَا، إِلَّا الْقِيَامُ بِهِمَا².

وهكذا تبدو جل شروط الإمامة موقوفة على خدمة مبدأ الخروج، لدى الهدى، لأنَّه قد صاغها في ظرف كان يعد فيه نفسه ثورة عارمة تكتسح جميع الأقاليم التي تشرف عليها الخلافة العباسية، ولتحقيق هذا المطعم الغاني، كان لزاماً عليه توظيف شروط أخرى، تعدد خلالاً عظيمة يجب أن تتوفَّر في القائد، مثل أنورٍ، والزهد، والعلم، والشجاعة، والسخاء، والعدل بين الرعية، والمساواة بينهم... لأنَّها مؤهلات أولية، إذا تحلى بها الإمام، فربَّت بينه وبين الناس، وجعلته - لدىهم - محل قبول ورضا - ويبدو أن شرط الدعوة للإمامـة، ليس سوى الخطوة الأولى التي تلي إعداد كل الترتيبات الازمة للخروج، فيقدم الإمام نفسه إلى أنصاره ويعلن عليهم كتاب دعوته، ويرسل نسخاً منه إلى المناطق والأشخاص الذين يدعوهـم لمبايعته

- الهدى: الكتبة إلى أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ، ف 114، مخطوط

- الهدى - جواب سائل أبي القاسم الرازي، مخطوط، ف 126.

.Heri Laoust: Les schismes dans l'Islam p 136

وإتباعه، كما فعل الهادي عند وصوله إلى مدينة (صعدة) باليمن في السادس من شهر صفر سنة (284هـ) الموافق للخامس عشر من شهر مارس سنة (897م)¹. وقد نشأ حول مبدأ الخروج الزيدية، نظام دقيق استوجب تأليف كتب، تتناوله بالبحث وتعرضه على الأئمة الخارجين، ليكون لهم دستوراً، وعوناً على الوصول إلى الحكم، ومن ذلك كتاب (الدعوة) الذي ألفه الهادي، ويحتوي على بيان لعقيدة الإمام ونظرته إلى مسائل الدين، ويتضمن في المقام الأول، جميع الحجج التي يستند عليها من يدعي الإمامة، لإقناع الناس بأحقيته، دون غيره من المتقدمين لها، ويعرض رأيه حول موضوع الإمامة من الوجهة النظرية، ويبين مستحقيتها بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى من الوجهة التطبيقية، ذاكراً مبررات الخروج، من ظلم الحاكم القائم، وفساد الأوضاع الاجتماعية، ومعارضتها للدين... وكلها أسباب وجيهة في نظر الهادي - تدعى الإمام إلى محاربة السلطة القائمة، وتوجب على المسلمين تأييده، والاستجابة لدعوته، والخروج معه لقتال البغاء، ثم ينتقل الهادي - بعد ذلك - إلى التحدث عن عمل آخر يقوم به الداعي وهو ما يعرف بوعود الساسة إلى الرعية قبل وصولهم إلى دفة الحكم، ويتمثل هذا العمل في عرض الداعي لبرنامج عمل، يطبع إلى تحقيقه، في حال انتصاره، وظفره بالسلطة، وهو برنامج يكون عادة حافلاً بأحلام كثيرة، وأمال براقة، بالعودة إلى الدين، والعمل بكتاب الله، وإحياء ما اندثر من السنة، وإعلاء كلمة الحق، ونشر العدل والمتساواة بين الرعية، ونصرة المظلوم، ونفي

1- علي محمد زيد: معركة اليمن، ص 63، 189. انتقل في مخطوطات الزيدية عن علي محمد زيد: معركة اليمن.

الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتعيم الرخاء الاقتصادي... ووصل الأمر بالهادى، إلى أن وعد بتزويج الفقراء من العزاب، وتقرير الأموال بينهم وبين خامسة الناس وتوعد في الوقت ذاته - كل المخالفين بالعقاب الشديد في الدنيا والأخرة، ووعد المناصرين للإمام الشرعي بالجزاء الأوفى في الدارين. وتعتبر كل هذه الوعود، والتهديدات عوامل موجهة لخدمة مبدأ الخروج، وتوفير أسباب نجاحه، على من قرر الإمام الثورة عليه¹.

ويبدو أن الهادى قد وقع في تناقض عندما قرر أن الإمامة لا تزال بالوراثة، وإنما يقدم الإمام من آل البيت، على غيره من عامة المسلمين، في حالة توفر شروط الإمامة فيه، وهو موقف نظري يقابل موقف عملي، يتبدى في رفض القول بالوراثة في الإمامة، خاصة وأن الشروط الأخرى التي يجب توفرها في الإمام، كالعلم، والفوزع، والزهد، والشجاعة، والسخاء... هي عبارة عن خصائص مكتسبة وليست موروثة، كما أن الوظائف التي يقوم بها الإمام، مثل الدعوة والخروج، وإشهار السيف، وقتل الظالمين تقتضي توفر ميزات قد لا توجد في المنصدي لهذا المنصب بالوراثة². ويظهر هذا التناقض جلياً في أن الهادى بعدما فرض الجهاد على جميع المسلمين، خشي أن يستجيبوا لكل داع، فربط الجihad الحقيقى في نظره - بالخروج مع أبناء الحسن والحسين، حتى لا ينفلت زمام الإمامة من أيديهم، وتحول فريضة الجهاد معهم إلى جهاد ضدهم، وفي هذا الصدد قال الهادى: "... ثم إن الله

- دعوة الهادى بنى أحمد بن يحيى بن ريد - مخطوط في 114.

- الهادى: رسائل العدل والتوحيد: 2/74-79.
الحوائى: ثمين الخضراء مهد الحضرة، ص 103-107، 214-215.

حظر الجهاد مع جميع من خلق من العباد، إلا مع من اصطفى وانتمن على وحيه، من عترة رسول الله^١. وقد حاول الهدادي تطبيق مبدأ الخروج الزيدى والانتقال به من الحيز النظري، إلى الحيز العملي، ويظهر ذلك في العمل الذي قام به عندما كان في حاجة إلى المقاتلين من كل مكان، ففرض على المسلمين أن يهاجروا من (دار الظالمين) ويعني بها الأراضي التي تقع تحت سيطرة الخلافة العباسية، وأن يلحوظوا بالإمام في أي مكان كان؛ وسمى الهدادي المنطقة الترابية التي يسيطر عليها الإمام، وفيها مركز دعوته، وأستعداده للخروج (دار الحق والمحقين)^٢. واستجابة لهذا الواجب فقد هاجر كثير من الزيديين الطبريين إلى الإمام الهدادي، في منطقة (صعدة) باليمن وقاتلوا معه في معاركه الدامية. وعلى هذا الأساس فإذا كان مفهوم الهجرة عند القاسم الرسي -جد الهدادي- بعد ضربا من الهجرة الفردية، يعزز فيها الماء مخالطة الظالمين من الرعية، وذوي السلطان، دون محاولة اقصاء عليهم، أو تغييرهم، فإن مفهوم الهجرة لدى الهدادي - يصبح عبارة عن موقف سياسي عملي، يجعلها هجرة تجمع كل الرافضين، والرافقيين على الخلافة العباسية، في حين مقاتل تحت إمرته، مستعد بكل إخلاص إلى تطبيق مبدأ الخروج على الظالمين...

إن هذه الهجرة بمفهومها العملي شبيهة لدی الزیدیة عموماً - بهجرة النبي صلی الله علیه وسلم - من مکة إلى المدينة، ولذلك فقد صاهى - عندهم - خروج زید بن علی وهو في قلة من العدد - سنة

^١ - دعوة الهدادي إلى أحمد بن يحيى بن زید - مخطوط - ق 114.

^٢ - الهدادي: رسائل انحدل والتوحيد: 105/2 - 106.

(122هـ/740م) على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (تـ). 125هـ/743م) خروج جده محمد - عليه السلام - في غزوة بدر الكبرى، تطبيقاً لقول الله - تعالى - : «وَاذْكُرُوا إِذَا أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ، تَخَافُونَ أَنْ يَتْخَصِّفُوكُمُ النَّاسُ، فَأَوْاْكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرَزْقُكُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ نَعْلَمُ تَشْكِرُونَ»¹. ولعل الاختلاف الذي يبدو حول الخروج، وموقف كل من القاسم والهادى منه، يعود إلى الظروف التاريخي الذي عاشه كل منهما، فالقاسم دون هذه الآراء في ظل استمتاعه بالسلطة، وواجب المحافظة عليها، يقتضي منه وضع البهجة والخروج في إطارها النظري، بينما كان الهادى يسعى إلى السلطة التي لم يحصل عليها بعد، ولا بد له سوالحالة هذه- من هجرة وخروج عمليين، يؤديان إلى دك حصن الخلافة العباسية، والتربع على عرش حكم جديد، قوامه العقيدة الزيدية². وهو أمر يحتم على الهادى رفض مسألة التقبة التي تقول بها الشيعة الإثنا عشرية، لأنه حين يشترط في الإمامة الدعوة والخروج، فلا بد لكل مستجيب أن يعلن موقفه بصرامة، بحيث لو كان زيدياً حقيقياً، فإنه لا يهادن، ولا يصانع، ولا يتفى، وعليه إذا أكره على اتخاذ مواقف، لا تنسجم مع عقديته الزيدية، الداعية على الخروج على الظلمة، أن يهاجر إلى (دار الحق والمحقين) - كما يسميها الهادى - وهي دار الإمام زيدى. ولكن بالرغم من وجود مثل هذا الموقف الرافض للتقبة، فإننا نلاحظ ما يشبه التناقض، في تصرفات الهادى، إذ نراه يبيح شكلًا من التعاون مع

^١ سورة الانفال: الآية ٢٦.

² - لمكي: مذاب أبي حنيفة: 260/1 - 261.

- علي محمد زيد - معزلة لبعن - ص 190 الدكتور علي انشابي: مباحث في علم الكلام والنفسة، ص 109-116-120 وانتظر ما بعدها.

الخطمة، يقترب من التفية، والحال أنه قد حرم على المؤمنين موالة الظالمين، لأن مواليهم تعني في نظره موادتهم ومحبّتهم، إلا أنه يقرر في الآن ذاته - جواز مداراة الظالمين بالسان، واللهمّة، والعطية، والهدية ورفع المجلس والإقبال عليهم بالوجه البالش في الظاهر، مع إخفاء ما في الباطن. ويعتبر هذا السلوك شكلاً من أشكال التفية، قد يكون الهادي أجازه قبل الخروج لا بعده، حتى يمكن أتباعه الزيديين، بهذه الطريقة، من المحافظة على أنفسهم، واللحاق به في (صعدة) باليمن، استعداداً لإعلان الخروج على الخلافة العباسية، وبذلك لا تبقى تعلة لأحد الأتباع يستند إليها في التخلف عن الجهاد، وإلا عذر الهادي - ومن يرفض الاعتراف بإمام العصر، واستحق أن يحكم عليه بالكفر حكماً نظرياً، أما من الناحية العملية فإنه لم يجز قتله إلا إذا واجه الإمام بالقتل، ساهراً لسيفه، معيناً عليه العصيان. وفي حالة تخلفه عن نصرة الإمام، يسلط عليه حكم بالإبعاد والإقصاء، وإبطال شهادته، وتجریح عداته، وطرح اسمه من مقدم الفيء، وواجب على أنصار الإمام من الزيديين متابعته، وعداوته، والإستخفاف به، والاستهانة بأمره^١، حتى يصبح كل مخالف للإمام - حتى ولو لم يقدم على محاربته مكتفياً بموقف الحياد منه في وضع المنبوذ الذي توجه نحوه مختلف الضغوط العملية والتفية، وعليه إذا أراد الخلاص من هذه الحالة الاجتماعية التعيسة، أن يستجيب لدعوة الإمام للقتال في صفوفه، أو يهاجر إلى مكان آخر لا يقع تحت سيطرة الإمام، ليتوفر له جو من السلامة، والإطمئنان المادي والنفسي^٢.

^١ دعوة الهادي إلى احمد بن يحيى بن زيد - مخطوط - ف 115.

^٢ على محمد زيد - معركة اليمن، ص 190 - 191.

ويبدو أن أئمة الزيدية باليمين، أمثال الهادي قد تأسوا بموقف إمامهم زيد بن علي الذي أقام دعوته على مبدأ الخروج، في ظرف اعتصم فيه الإثنى عشرية بالنقية، وبالإمامية الروحية، بالإضافة إلى ما كان يتحلى به زيد من صفات ركيبة، جعلته من عظام آل البيت، ومحضر المثال عند عامة المسلمين لدينه، وخلقه، وعلمه، وزهده، وورعه، وشجاعته، وكرمه... ونها أقام الزيدية من بعده - الإمامية على هذه الشروط المأثورة عن قائد़هم، ولم يرجوا بها إلى أفق غبي تقصر دونه الأفهام، كما فعل الإثنى عشرية، وقد مر بنا في ثورة زيد بن علي، أن الظروف القاسية التي عاشتها الرعية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، من ظلم، واستثنار العائلة المالكة بأموال الدولة، واستخفاف بالمقدّسات الدينية، وسفك دماء آل البيت، والاعتداء على حرماتهم، هي التي ألهبت نفس الرعية، ونفس زيد بن علي بالخصوص، فلم يجد بدا، والحالة هذه، من إعلان مبدأ الخروج كشرط أساسي من شروط الإمامة - ليدى الزيدية - كما أن الخلال الطيبة التي كان يتجلّى بها زيد هي التي جعلته يحدّ نفسه بالخلافة، ويرى أنه أهل لهذا المنصب، وأولى به معنٍ يتربع عليه في عهده، ولم يزد يظهر ذلك على صفات وجهه، وفلات لسانه، حتى تعرض إلى تفريح هشام بن عبد الملك له، وتهدّيه إياه، بكونه يمثّل نفسه بالخلافة، وهو ابن أمة، فرد عليه في نفقة بالنفس، وآيمان بالمبادئ التي يعتنقها - بأن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن نيل المكرمات، مضيقاً: أن إسماعيل - عليه السلام - قد بعثه الله برسالة، ولم يلتقط إلى وضعية أمه، بل إنّه جعل من نسله أعظم الأنبياء، وخاتم المرسلين، وأنهى زيد رده على إهانة هشام، بأنه لا يعنيه أن تكون أمه أمة

إذا كان جده محمدًا - صلى الله عليه وسلم - فأطربه هشام من مجلسه فانسحب وهو يقول: سأخرج ولكن لن تراني إلا حيث تكره^١.

وقد نفترض أن هشاماً تعمد إثارة زيد ليدفعه إلى الثورة عليه، ويجد عندها تعذبة في قته أو حبسه، إلا أنه يبدو أن أسباباً كثيرة قد دفعت زيداً إلى الخروج على هشام، ومنها ما ذكرنا من تعمد الإثارة، ومن الأسباب الأسرية التي تجعل ابن الأمة يبدو في نظر الناس في منزلة أقل من منزلة ابن الحرة، ولا بدّ سوالفالة هذه - من أن يبرهن زيد عن جدارته بمنصب الإمامة، بالإضافة إلى أن كل الأسباب الاجتماعية، كانت حافزاً لأبي إمام، في مكانة زيد، مخلص لعلمه وعمله، أن يقرر مبدأ الخروج على السلطة الظالمة، وأن يطبقه بكل صدق، حتى ولو كلفه هذا العمل حياته الغالية، متأسياً في ذلك باعتناق الخوارج لهذا المبدأ الذي اشتق منه اسمهم، وهو أمر يدل على صلة الزيدية بالخارج، وعلى تأثيرهم بهم في نظرية الإمامة، ويؤكد مرة أخرى انفصالهم عن الشيعة الإثني عشرية خاصة وافتتاح مذهبهم على المذاهب الأخرى وإفادته من الأفكار السائدة في عصرهم، وهم في هذا يسيرون على نهج أمامهم زيد بن علي (ت. 122 هـ/740م). تشهد على ذلك علاقته العلمية الوطيدة بوائل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة (ت. 131هـ/749م)، وإخلاصه لمبدأ الخروج على السلطة الظالمة، إلى الحد الذي جعله يدخل في خلاف عميق مع بعض أئمة آل البيت، كأخيه الباقر،

^١ - اليعقوبي - تاريخ الكبير - 56/3.

- النضرى - تاريخ الأمم والملوك: 263/8 - المطبعة الحسينية المصرية - الدكتور عني الشابى - مباحث في علم الكلام والفلسفة - ص 109-114.

وابنه الصادق من أجل علاقته بواصل بن عطاء الذي ذهب إلى أن أحد الفريقين من أصحاب (الجمل) وأصحاب (صفين) مخطى لا بعينيه - أي بدون تعين، كما أن أحد المتلاغعين من الفريقين فاسق لا بعينه أيضاً، وأقل درجاتهما في ذلك، أنه لا تقبل شهادتهما - مثلاً لا تقبل شهادة المتلاغعين - ولهذا لم يجوز واصل بن عطاء قبول شهادة علي وطلحة والزبير ومعاوية على باقة بقل، وجوز أن يكونوا على خطأ دون أن يستثنى من بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً - ويبدو أن زيد بن علي، قد استطاع أن يملك عواطفه فلم يخلط بين الصدقة القائمة على العلم، وبين الاختلاف في اررأي، مما جعله لا يتأثر باعتراف أخيه الباقر على هذه الصدقة، ولا بنعت الصادق لواصل بن عطاء، بكونه أتى أمراً فرق به بين كلمة آل البيت، وطعن به على الأئمة، ودعاه إلى التوبة مما صدر منه، بل رأينا زيداً - على كائع من ذلك - ينحاز إلى جانب واصل بن عطاء، مغلظاً الصدقة على اختلاف اررأي، منكراً على ابن عمِه جعفر الصادق، مغلظاً له القول: "ما منعك من إتباعه إلا الحسد لنا". وبالإضافة إلى ذلك، فإن زيداً لم يتأثر باعتراف آل البيت عليه، ونصحهم له بعدم الخروج على الخليفة هشام، خوفاً عليه من غدر الكوفيين الذين سبق لهم أن غدوا بعلي والحسين وتخلوا عنهما في ساعة العسرة، مصيّماً على الوفاء لمبدأ المذكور، فائلاً للناصحين: "والله كنت أستحي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أرد عليه الحوض غداً، ولم أمر بمعرفة في أمته ولم أنه عن منكر"!^١. وزيد

- ابن المرتضى - المنية والأمن، ص 20-21 نقاً عن الدكتور علي سامي النشار: نسخة الفكر الفلسفى فى الإسلام: 2/165-166 الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: 8/264-266

رضي الله عنه هنا وائق من الجنة وورود الحوض، والتواضع يقتضي المشيئة حتى ولو كان من آل البيت المقربين على الجهاد فالشهادة...
ولهذا كان أيماء الزيدية لوفباء لمبدأ الخروج، إذ كانوا في مقدمة العاملين على تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شاهرين سبوفهم في وجه كل ظالم، قدماً وحديثاً¹ عندما ثاروا على الأئمة وأعلنوا الجمهورية اليمنية...

ويبدو أنه سر غم إقرارنا بالعلاقة العلمية الرابطة بين زيد، ووائل بن عطاء، فإن زيداً لم يتأثر بمنهج المعتزلة النظري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنَّه لم يعرف عنهم أنَّهم خرجوا على السلطة القائمة من أجل تطبيقه، بينما يظهر أنَّ تأثير الخوارج في هذا المجال هو أمر أقرب إلى الصواب، خاصة إذا علمنا أنَّ هؤلاء كانوا يتعاطفون مع كلِّ ثائرٍ على الخلافة الأموية، وكانوا يعجبون بزيد بن علي ويغطون عليه، وقد تألفوا لمقتله، حتى أنَّهم عرضوا على ابنه يحيى استعدادهم لمناصرته على قاتلي أبيه، فلراد أن يفعل، فنهاه يزيد بن عمرو من انصاره - قال له: "كيف تقائل بقوم ترى أن تستظرهم بهم على عدوكم وهم يبرؤون من علي وآل بيته. فلم يطمئن إليهم غير أنه قال لهم قوله جميلاً². أضعف إلى ذلك، أنَّ الخوارج

¹ المطبعة الحسينية الصربي - الأصفهاني - مقالات الطالبين - ص 154 - الشهريستاني - المثل والنحل: 207/1 - 218 نbla لكتاب ابن حزم - الفصل - بدوي: مذاهب الإسلاميين: 1/82 - 87 - 86 - 87 الدكتور علي الشنقيطي - مباحث - ص 115، 126 - 127.
² محمد حسين هيكل: خريف الغضب، ص 87 - 88.
الأصفهاني - مقالات الطالبين - ص 154، الدكتور علي الشنقيطي: مباحث، ص 126 - 127.

قد استمروا في تعاطفهم مع أئمة الزيدية، وقد كان محمد النفس الزكية على صلة بهم، ومن أصدقائه يسير الخارجي^١.

ويظهر أنه بالرغم من اخلاص زيد بن علي لمبدأ الخروج، فقد اضطر إلى مداراة السلطة القائمة، وأية ذلك أنه خاطب الخليفة هشام بن عبد الملك بأمير المؤمنين، قبل أن يعلن عليه العصيان، ويشهر السيف في وجهه، ولعله أراد ألا يتسرع في الخروج عليه، حتى يمنح النظام القائم فرصة المراجعة، تعميمًا للعدل والحق بين الرعية، وإقناعاً لهؤلاء بشرعية ثورته، وأنها ليست من نوع الفتنة، وتفريق الكلمة بين المسلمين. ويبدو أن هذه المصانعة التي اتجأ إليها زيد، هي من النوع الذي يبيحه أهل السنة عند الضرورة حباً في الاستقرار ومحافظة على البيضة. ولأجل هذه المداراة أقرَّ زيد، وإنزידية من بعده إمامية الحسن بن علي، وإمامية علي زين العابدين، لأن كلاً منها اضطر إلى مهانة السلطة القائمة. وكان ظن الباقر ذاهباً إلى أن إقرار زيد لمبدأ الخروج، يعني رفض إمامتهما (الحسن وزين العابدين) مما جعل زيداً يرفع الغشاوة عن عبني أخيه، وعن بقية آل البيت، مصححاً إمامية جده، وإمامية أبيه، باعتبار كل منهما عاش فتنة عارمة، أودت بحياة أبيه، ولن يستطيع - والحالة هذه - التفكير في خروج أبداً. ولا يستبعد أن يكون هذا التأويل أحد الأسباب التي دفعت الصادق إلى نصح زيد، بترك سبيل الثورة جانبًا، وابنى

^١ - الدكتور على الشنبى: مباحث، ص. 125-127.

تحريض الناس على مبادئه عندما لم يصح لهذا النص، نظراً لفضله، وعلمه، ومنزلته الرفيعة بين أئمة آل البيت...¹

وقد أثارت هذه المنزلة جدلاً بين الشيعة الإثني عشرية، من مصحح الإمامته، ومن منكر لها، وقد أول المحدث التورى في (رجال مستدرك الوسائل)، هذا الخلاف بقوله: ابن زيد بن علي جليل القدر، عظيم الشأن، كبير المنزلة، وأما ما ورد مما يوهم خلاف ذلك فمطروح، أو محمول على التقى².

ويتفق أغلب علمائهم على أنه ظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ بثار الحسين، ولو ظفر بأعدائه لوفى بما دعا إليه، ولسلم مقايد السلطة إلى الإمام الشرعي، ابن زيد في نظر الإمامية - بدرك هذا الأمر تمام الإدراك، فقد كان سأله أخاه الباقر أن يوصي له بالإمامية من بعده، فأعلمته أن الحق لغيره، وليس له، فلتعذر، واكتفى بهذه الدرجة الثانوية من الإمامة³. بينما يذهب الزيدية إلى أن الصادق، لا يعد إماماً معترفاً به ضمن أئمتهم، بل ربما ينظرون إليه نظرة الإثني عشرية إلى زيد بن علي، لأن الصادق لم يخرج فقط، ولا تعرض لمواجهة حقيقة ضد الحكم الجائز، وكان زيد بن علي هو الذي وضع لهم هذا المقياس، لمعرفة الإمام الحقيقي من

1- البيعوبى: التاریخ الكبير: 56/3 - الطبرى - تاریخ الأئم و الملوك: 498/5 - 499 مطبعة الاستفادة بـالقاهرة، 262/8 - 263، المطبعة الحسينية المصرية - الأصفهانى - مقالات انتابيين - ص 127، الشهريستاني - المثل و الشحل: 209/1 - 210 ذيلاً لكتاب ابن حزم - الفصل - ابن الأثير - التاریخ الكامل: 85/5 - بهامشة مروج الذهب للمسعودي - مطبعة التحرير.

2- الطبرسى - الاختجاج: 135/2 - 138.

3- نفسه

غيره، إلا أنه لم يطعن في إمامية أبي كان، وكيف يطعن في إمامية الصادق وهذا الأخير توجه له بالتصح، وشهد له بالفضل، وقال فيه خيراً، وأمر الناس بمدحه^١.

واستطاع الزيدية أن يحافظوا على مبدأ الخروج، وأن يصوروه كلما لزم الأمر، وحسب ما تدعوه إليه الحاجة، من ذلك أنهم جوزوا خروج إمامين في قطرين، ويكون كل منهما واجب الطاعة إذا توفرت فيهما الحال المطلوبة في الإمام الزيدي، كالانتساب إلى البيت في حال الإمكان، والأفضلية إذا لم تقتضي المصلحة مفضولاً، والعلم، والشجاعة، والشدة، والورع، والزهد، والعدل بين الرعية... وعلوا اضطرارهم إلى خروج إمامين، بجور النظام العباسي القائم، وتسلطه على رقب الناس، مما أجبرهم على مقاومته... في أمكنة مختلفة من أقاليمه المتراصة الأطراف، الكثيرة الجنود، ذات الخبرة في إخماد الثورات، وقمع الفتن، فقد خرج محمد صاحب النفس الزكية بالمدينة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، في وقت واحد، وتمكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من إخماد ثورتهم، وقتلهما سنة (145هـ/763م). وكان أبوهما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - خصيم زيد على صدقات فاطمة - قد أعدهما لهذه المهمة، وأشارب قلبهما مبادئ المذهب الزيدي، وكان فخوراً بهما، ومن خرج

١- الطبرى - تاريخ الأمم والملوک: 538/5 - مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الأشعري مقالات الإسلاميين: 1/129-132 - الأصفهانى: مقالات العائين - ص 154-158 - اشهر سلسلة - المصطلح والنحو: 1/209-212 - دبلا لكتاب ابن حزم - الفصل - عبد الرحمن الربيع - بحبة المستفید في تاريخ مدينة زبيد - ص 26-27، النشر - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: 174/2-175 - وانظر نفس المرجع: 2/ب، ن - قوام ائمة الفرق الشيعية.

معهما: الحسين وعيسى ابن زيد بن علي، الأمر الذي دفع الخليفة المنصور إلى الاستغراب من إقدامهما على الثورة فادلا: "العجب لخروج ابني زيد، وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله، وصلبناه كما صلبه".¹

ويظهر أن تجربة الزيدية لخروج إمامين، في قطرتين، وفي وقت واحد، قد اكتنفه ضعف، من حيث عدم تحديدتهم للطرق التي يمكن بواسطتها ضمان تسلیم السلطة في حال الظفر بها. لمن توفرت فيه الشروط المطلوبة، وعدم تحطيمهم لكيفية ممارستها، فقد يطبع فيها أكثر من خارجين، بل ربما يصبحون جماعة، وعندها يقع الاحتكام إلى منطق القوة، خاصة إذا توفرت لهذا المبدأ بيئة قبلية، قابلة بطبيعتها للخروج، والتعصب لأوصاف القربي، والمواطنة، والجهة، والمجتمع فوق أرض واحدة... بالإضافة إلى العوامل المادية التي لا تذكر في حالة الفقر، والطمع، وما ينجر عندهما من إغراء، واحتراز للذمم، ومن ثم يصبح مبدأ الخروج الزيدية في مثل هذه الأحوال - مسوغة نظرية - لانتشار الاضطراب والفوضى السياسية، وهو أمر قد عاناه الزيدية في عصورهم المختلفة بسبب كثرة الخارجين منهم في وقت واحد، على الأنظمة القائمة، طمعاً في السلطة، وليس اندفعوا خالصاً للقضاء على الظلم والجور، شأن إمامهم زيد بن علي، ولهذا فقد وصف الشهرياني هؤلاء الزيدية، بأن لهم خبطاً عجيباً وعظيماً، في خروج إمامين، توفرت فيهما الشروط، إذ يتظرون إلى الأفضل والأزهد،

¹ الأصفهاني: مقال الطالبين، ص 232-278، 300-315، 386-387. انشابي: مباحث، ص 128-140.

وإن تساوايا في ذلك، ينظرون إلى الأمتن رأيا، والأحرى أمرا، وإن تساوايا أيضا تقابل، واحتكموا إلى لغة الشجاعة، والأقوى هو الذي يفوز بالإمامية، فينقلب عليهم الأمر جميعا، ويعود الطلب جدعا¹. والإمام مأموما، والأمير مأموما، وإذا خرجا في قطرين ينفرد كل واحد منهما في حال الانتصار - بحكم قطره، وتصحح إمامته، وتصوب أراؤه، ويكون واجب الطاعة في قومه، حتى ولو اتفق أحدهما بخلاف ما يفتى به الإمام الثاني، أو استحل أحدهما دم الآخر².

ولعل هذا كان تطبيقا سينا لرأي زيد بن علي، في تقديم المفضول على الأفضل، عند اقتضاء المصلحة لذلك، وقد عنى به الضرورة القصوى التي دعت إلى سبق الشيوخين وعثمان عليا رضي الله عنهم - بالإمامية³.

وأجتنابا لهذه الفرضي السياسية، يذهب الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي - من آئمة الزيدية باليمن - إلى عدم السماح بخروج أكثر من إمام في زمان واحد، وفي مكان واحد، مهما كانت ظروف الداعية إلى ذلك، مع أن الشروط التي اشترطها في الإمام تؤدي لأكثر من واحد يتمتعون بهذه المؤهلات، أن يدعوا الإمامة ويخرجوا في حشد من الناس حولهم، وهو ما ثبتته التجربة في التاريخ الزيدى. وفي هذا الصدد، يرى أن

¹ جدعا: مفظوح الألف، أو الأذن، أو الند أو الشفة، تقول جدعا فهو اجدع، أي فضع له أحد الأعضاء المذكورة كتبة عن البيزيمة والمذلة - نظر - المراري - مختار الصحاح - ص 96 - مادة (جدع).

² الشهرياني - المثل والنحل: 217/1-218 - نيلانكتاب بن حزم - الفصل

³ نفس المصدر: 208/1-209

الأئمة الخارجين في عصر واحد، والذين يكونون أكفاء في العلم، والشجاعة، والورع، فالأمر لأكثرهم فضلاً، وأبر عهم معرفة وعلماً، فإن استروا فيه، فإنهم لن يشتتبوا عند من جعل الله له نبا وتمييزاً وفهمها، وذلك إنهم إن استروا في الورع فلن يستروا في انغم، وإن استروا في العلم فلن يستروا في سائر الخصال، وإن التبس أمرهم في هذه الصفات عند الجهال، فلن ينتسب أمرهم في التعبير والكلام، والشرح لشرائع الإسلام، عند أهل الحل والعقد فيكون أولئك أولاً لهم بالإمامية¹. وتكشف هذه القضية التي واجهت الهادي، عن بقاء مشكلة تحديد أحق هؤلاء بالإمامية قائمة، إذ تكمن الصعوبة في إقناعهم بالتخلي عن السلطة، لإمام واحد من بينهم، يقررون له بالأولوية عليهم، والحال أن معرفة أفضليتهم أمر جد عويض². والسبب في ذلك يعود إلى ترکيز الهادي على شروط الخروج - وما يقتضيه من أسباب القوة، وتحقيق النصر العسكري - مما أدى به إلى تجاهل المخاطر الجدية على السلطة وعلى المجتمع عند خروج أكثر من إمام واحد، في وقت واحد، وفي مكان واحد، وقد تجلت هذه المخاطر في أقرب مثال إلى عصر الهادي، وهو نقاش حفيديه من ابنه أحمد الناصر (ت. 322هـ/934م)، يحيى بن أحمد بن يحيى الذي تلقب بالمنصور، والقاسم الذي تلقب بالمختار، ونتائج عنه سقوط الدولة التي أسسها الهادي، وجر على مدينة (صعدة) الخراب، كما تبدلت تلك المخاطر أيضاً، في أمثلة عديدة من تاريخ اليمن، فرض فيها الإمام الأقل

- الهادي يحيى بن الحسين - مسائل أبي القاسم الرازي - مخطوط بدار الكتب المصرية - ق

- 133. نقلًا عن علي محمد زيد مختارلة، اليمن، ص 191.

- ابن حزم الفصل: 163/4 - 167 - وبهاته كتاب الشهرياني - العمل والنحل -

علمًا ومعرفة، وأهلية للحكم، - ولكنه الأقوى عسكريًا - سلطته على منافسيه، ممن يعدون من كبار علماء عصرهم، مثل يحيى بن حمزة (ت. 1437هـ/1346م)، وأحمد بن يحيى المرتضى (ت. 840هـ/1437م).^١ ومن غريب الأمر أن تذهب دائرة المعارف الإسلامية، إلى اعتبار تطاحن الأئمة الزيديين على الحكم - واستقلالهم بالسلطة في أقاليمهم، وقبولهم لهذا الحل - هو عين الرضا بالواقع والاعتراف به من غير تعنت.^٢ ولعلها رأت فيه تطبيقاً عملياً لمبدأ إمامية المفضول مع وجود الأفضل الذي أقره المذهب الزيدى، كما قد يكون منشأه أهداف بعض المستشرين في مؤازرة حكوماتهم الاستعمارية إمعاناً منهم في تشتيت الصيوف، وتفكيك الدول الضعيفة.^٣ وفي هذا المجال، فقد اعترف نزهاء الدارسين من هؤلاء المستشرين بالخطورة السياسية التي تكتف هذه الاختلافات الزيدية حول شخصية الداعي، وحول الأوضاع التي عاصرت نشأتها.^٤ وهو الأمر الذي نجد بموجبه الآن يمنا شمالي، وبهنا جنوبياً.

فمن الله عليه بالوحدة بينهما في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، ولكن آثار الإمامة الزيدية المذكورة تحاول أن تغمس صفو هذه الوحدة في العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين.

^١ على محمد زيد - معركة اليمن - ص 191 - هـ 4-5

^٢ دائرة المعارف الإسلامية: 16/11-17 مادة الزيدية.

^٣ على عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، ص 28-29، 60 - من ثeseses الدكتور ممدوح حفي على الكتاب المذكور

^٤ Henri Laoust: Les Schismes dans l'Islam. p 139- 140

لأسباب سياسية داخلية وخارجية بمعنوي عن الدين، ويمكن حل الخلافات الناجمة عنها بالاحتكام إلى العقل السليم، والمنطق والواقع، لتحقيق العدل، والمصالحة، ونشر قيم التسامح والسماحة، والوسطية والإعتدال
لتوحيد الصفوف من جديد...

قائمة في أيام الإثنى عشرية والزيدية،

ومواطن انتشار المذهبين

لقد حدد الشيعة الإمامية عدد أيامهم باثني عشر إماماً، ولذلك سموا بالإثنى عشرية، يبدأون يعني بن أبي طالب، وينتهون بالمهدي المنتظر.

وينتشر المذهب الشيعي الإثنى عشرى في إيران كلها وفي بعض الأماكن من العراق، وسوريا، ولبنان، ومصر والجزائر، وبخاراء والأفغان، والنصرين، والتبت، والصومال وجاءة...¹.

أما الشيعة الزيدية فقد تركوا عدد الأيام مطلقاً بدون تحديد زمني ولذلك ترافقهم يسبغون صفة الإمامة على كل شخص توفر فيه الشروط التي وضعوها للغرض المذكور، من خروج وإشهار سيف على الظلمة، وانتساب إلى آل البيت، وفضل، وعلم، وزراعة، وسخاء، وورع، وقدرة على نشر العدل والمساواة بين الرعية.

وينتشر المذهب الزيدى في اليمن بقسميه وخاصة في الشمال، ويوجدون فيما بين مدينة (نريم) و(صعدة) طولاً، وما بين جبل (حراز)، ومشرق (خولان) العالية عرضاً².

وتقدر نسبة الشيعة عموماً، من اثنى عشرية، وزيدية، وأسماعينية، بأكثر من خمس المسلمين في العالم³.

¹ - محسن العاملی - أعيان الشيعة: 46/1-47، 63، 64.

² - محمد بن علي الأكوع الحوالي: اليمن الخضراء مهد الحضارة، ص 4، 103
محسن العاملی: أعيان الشيعة: 47/1

عبد الله أحمد التور: مختصر من تاريخ اليمن، ص 17 - 18.

³ - محسن العاملی: أعيان الشيعة: 47/1

فانصة في أيام الائمة عشرية

- (1) علي بن أبي طالب (ت. 40 هـ/660 م)
- (2) الحسن بن علي بن أبي طالب (ت. 49 هـ/669 م)
- (3) الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 61 هـ/680 م)
- (4) علي بن الحسين زين العابدين (ت. 110 هـ/728 م)
- (5) محمد بن علي الباقر (ت. 119 هـ/737 م)
- (6) جعفر بن محمد الصادق (ت. 148 هـ/765 م)
- (7) موسى بن جعفر الكاظم (ت. 164 هـ/780 م)
- (8) علي بن موسى الرضا (ت. 203 هـ/818 م)
- (9) محمد بن علي النقاشي (ت. 220 هـ/835 م)
- (10) علي بن محمد النقاشي (ت. 254 هـ/868 م)
- (11) الحسن بن علي العسكري الزكي (ت. 260 هـ/873 م)
- (12) محمد بن الحسن العسكري المهدى المنتظر، يذكر الشيعة أنه ولد سنة 255 هـ/868 م وأنه غاب غيبتين، غيبة صغرى بدأت سنة 265 هـ/878 م، وانتهت سنة 329 هـ/940 م، وبمقتضاهما دخل المهدى في غيبته الكبرى المستمرة لذريهم - إلى يوم الناس هذا، وهم لذلك يتظرون عودته إليهم في كل وقت وحين، ليملأ الأرض عدلاً وإنصافاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويضررون بالكاذباء إلى الله تعالى دائمًا لتعجيل رجوعه...

قائمة في بعض أئمة الزيدية

- (1) علي بن أبي طالب (ت. 40 هـ/660 م)
- (2) الحسن بن علي بن أبي طالب (ت. 49 هـ/669 م).
- (3) الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 61 هـ/680 م)
- (4) علي بن الحسين زين العابدين (ت. 110 هـ/728 م)
- (5) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 122 هـ/740 م)
- (6) يحيى بن زيد بن علي (ت. 125 هـ/743 م)
- (7) محمد بن عبد الله بن الحسن صاحب النفس الزكية (ت. 145 هـ/763 م)
- (8) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن (ت. 145 هـ/763 م)
- (9) محمد بن القاسم صاحب انتطاقان (ت. 219 هـ/834 م)
- (10) القاسم بن إبراهيم الرسي (ت. 146 هـ/861 م)
- (11) يحيى بن عمر (ت. 250 هـ/864 م)
- (12) الهادي يحيى بن الحسين (ت. 298 هـ/911 م)
- (13) أحمد الناصر (ت. 322 هـ/934 م)
- (14) الناصر أحمد بن الهادي (ت. 401 هـ/936 م)
- (15) المتنوكل عبد الله بن يحيى حميد الدين (ت. 1374 هـ/1955 م)
- (16) الإمام محمد البدر بن الإمام أحمد حميد الدين، أطاحت به الثورة العسكرية اليمنية سنة (1382 هـ/1962 م) وأقامت الجمهورية العربية اليمنية.

الخاتمة

إن النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث، تتمثل في كون الشيعة الإثني عشرية يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري المعروف بالمهدي المنتظر. ويقررون أن هؤلاء الأئمة تولوا الإمامة بوصية إلهية ساسما ووصفا - بلغها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - في حياته، والأئمة بعده من سابق إلى لاحق.

وكان الواجب يقتضي تقديم هؤلاء الأئمة ليتولوا الخلافة، لكن خصومهم من الصحابة استأثروا بالسلطة دونهم، وحرموا أصحابها الشرعيين منها. ولأنه هذا يطعن الشيعة في الصحابة - رضي الله عنهم جميعا - غير أنه يجب أن يلاحظ أن معظم كتاب الشيعة المعاصرین أصبحوا يحتفظون بموقف إيجابي من أبي بكر الصديق، وإلى حد ما من عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا، كما أن حكام الجمهورية الإسلامية الإيرانية ينحون عن هذا الطعن، لجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم في مواجهة خصومهم المثيرين لهذه التعرات...

وقد سكت الأئمة عن حقهم في الخلافة في رأي الشيعة - نقية. وهم قد استحقوه في رأيهم أيضا - لأنهم أفضلخلق على الإطلاق، وأورعهم، وأعلمهم بشؤون الدين والدنيا، حيث إن علمهم غيبى شهودي قدسي، وهم لذلك معصومون عن الوقوع في الأخطاء كبيرة وصغيرة.

وما دام المسلمون كغيرهم من الشعوب يطمحون إلى الحكم العادل الأمثل، فقد ابتدأ لهم الشيعة الإثنا عشرية ما يسمى بقضية "الإمام الغائب المعصوم" الذي سيرجع إلى الأرض بعد غيابه، لميلاً لها عدلاً وإنصافاً، بعد ما ملئت جوراً وظلماً، وهو نوع من التعزية لأنصارهم، حيث لم يمارسوا الحكم في الماضي وتعرضوا إلى تكيل خصومهم بهم أشد تكيل وأعنفه. ومن ثم فقد نصح الشيعة أنصارهم باعتماد مبدأ التقىة كصلاح يحتمون به من ضربات أعدائهم، كلما عصفت بهم رياح الفتنة، وتعرضوا إلى تصفيات جسدية مهولة، سلطها عليهم النظام القائم المناوي للشيعة، وهم لذلك يفترون بالأيممة عامة والمهدى المنتظر خاصة في انتقامتهم بالتقىة، وقد غاب الإمام القائم عن الأنظار خوف التكيل به "وبسبب هذا تظهر العلاقة وثيقة بين التقىة، والغيبة والرجعة والمهدية".

إلا أن الشيعة الإثني عشرية يعتبرون هذه التقىة أحياناً محمرة، وضرباً من الكفر، في حالة ضعف السلطة القائمة، منادين بالثورة عليها، والحلول بدلها، للسيطرة على.. مقاليد السيادة في الأمة الإسلامية، وافتتاح الحكم.

ويبدو، أنه للدور الخطير الذي تلعبه الإمامة في بعض العقائد الشيعية، فقد اعتبر كتاب الفرق، الإمامية قسمين: إثنى عشرية وإسماعيلية، بينما لم يعدوا الشيعة الزيدية إمامية، لأنها ترفض مبادئ الإمامية الإثني عشرية والإسماعيلية من وصية، وعصمة، وعلم غيبـيـ، ومهدية، وتقىـةـ وبداء... وإنما قرر إمامـهمـ زيدـ بنـ عـلـيـ، أنـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ أـفـضلـ الصـاحـبةـ عـلـىـ الإـطـلاقـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ جـمـيـعـاـ.ـ وـلـوـ لـاهـ بـالـإـمـامـةـ،ـ لـكـنـ تـقـدوـمـواـ عـلـيـهـ فـيـ

الخلافة لمصلحة راعوها وقاعدة دينية ارتأوها، من تسكين ثائرة الفتنة، وانقلوب حديث العهد بالإسلام، وسيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لا يزال يقطر من دماء المشركين من قريش وغيرهم، وأبناءهم دخلوا الإسلام حديثاً، ولا تزال في نفوسهم بقية من الحسرة على فراق آبائهم واقربائهم الذين قتلوا في الغزوات الإسلامية. ولهذا قرر زيد بن علي، أن المصلحة قد تقتضي تقديم الإمام المفضول مع وجود الأفضل، حقنا للدماء، ورغبة في الاستقرار السياسي. وبه يصبح عنصر الانساب إلى آل البيت كشرط في الإمامة ثانوياً في العقيدة الزيدية، إذ لا مانع من تقديم غيرهم للخلافة عند افتضاء المصلحة، وبموجب هذا التقرير خرجوا من حظيرة الفرق الإمامية كما ذكرنا آنفاً.

ولئن رفض الزيدية وأهل السنة تقية الشيعة الإثني عشرية وعصمة أيمتهم... فقد نادوا بتصريح القرآن الكريم بعدم إلقاء النفس إلى التهلكة^١. ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأسبغوا على بعض أيمتهم نوعاً من سداد الرأي، وبعد النظر، والحكمة من تصرفات سياسية معينة، اعتبروها في قمة الرشد. وكل ذلك يدعونا إلى استخلاص الحقيقة الثانية - لئن جعل الإثنا عشرية أيمتهم معصومين عصمة دينية، فقد اعتمدتها الزيدية وأهل السنة بمناي عن الدين، أي أنها عصمة دينية، امتاز بها بعض أيمتهم الموهوبون، لنبو غيهم، وعلو صيتها السياسي والديني في المحافظة على استقرار الأمة الإسلامية، ووحدة صفها، واتحاد كلمتها في سبيل الحق والعدل والرخاء لكافة شعوبها...

- سورة البقرة: الآية 195.

ولأجل هذا الإنفاق الحاصل بين الفريقين الآخرين، فقد اعتبر كتاب الفرق، الزيدية أقرب الناس في آرائها إلى أهل السنة، لاعتدالهما، وقولهما بانوسطية الإسلامية والاعتدال والتسامح والسماعة وهو حكم ينطبق في الواقع الأمر - على أوائل الزيدية، لأن الأواخر منهم و قالوا بمقابلتهم، وأضحوها مثلكم يرجعون بآرائهم إلى آفاق غيبية، تقصى دونها الأفهام.

ومن الأوكد أن نلاحظ أن الإيمان بإمام العصر، ضمن المبادئ المذكورة قد اعتبر عند قدامى الشيعة الإثني عشرية ركنا من أركان الإسلام. غير أنهم قد تطورت آراؤهم بمرور الزمن، فأصبح أغلب المعاصرين منهم يعتبرون الإمامة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين كعبد الله فياض ومحمد جواد مغنية... .

وبعد ذلك فقد بدا لي، أنه لا اعتبار لما يذهب إليه الإناث عشرية قدما من تغير خطير لدور إمام العصر ونوابه، إذ أنهم لعصمتهم لا يناقشون فيما يقولون، وطاعتكم واجبة مهما كانت آراؤهم لأنها، تصوب بمبدأ البداء الشيعي. وهم وإن وحدوا صفوف الشيعة وقبلاً بهذا الدور، فإنه يعد سفي نظر أنصار الرأي، وحرية الكلمة من المسلمين - تبيطاً لهم في طموحها إلى ما هو أسمى، ونوعاً من العمل على ركود الإجتهاد وجذوة الفكر الخلاق ومحمده. ولا اعتبار أيضاً لمبالغة أهل السنة والزيدية في وصف بعض أيمتهم بما يشبه العصمة من سيداد رأي، ونبوغ سياسي، ونظر ثاقب، ينفذ إلى أعماق الحقيقة، ويسبر أغوارها لأنه ينتهي إلى نتائج عصمة الشيعة وإن اختلفت عنها لأنه في الغالب تزلف لأيمتهم طمعاً في ثواب أو خوفاً من

عفاف، حتى أن كل الآراء لا معنى لها بجانب رأي ولي أمرهم وهو مستسقى من أراءهم وأراء المستشارين...

وقد رفض الزيدية نقية الائتني عشرية، واعتبروها نوعاً من تشطيط الهم عن جهاد أهل الباطل وهم وإن سبوا في مقابلها مبدأ الخروج على الحكم الظالمين، كنوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهم وقعوا في محظور، حيث لم يفكروا في الخطة العملية عند نجاح الثورة، حتى لا يطمع في السلطة من ليس أهلاً لها، لأن النفس الإنسانية مجبولة على الضمود إلى مستوى عدم كفاءتها، خاصة ومذهب الزيدية يحير خروج إماميين أو أكثر على الإمام المتسلط، في مكان وزمان واحدين وهو أمر أدى إلى تطاحن الأئمة الزيديين، وتحاربهم من أجل السلطة، وجر الخراب والذمار في تاريخهم الطويل على أرض اليمن.

وقد اضطر الشيعة عموماً إلى نوع من التأويل، فقصد البرهنة على مبادئهم، ل慝كون متماشية مع القرآن والسنة، وقد أدهم هذا الأمر إلى ضرب من التأويل، جعل اللغة العربية تفقد -أحياناً- مدلولها المتعارف لدى الناس. ثم إن سبب قول الشيعة الإمامية بالنقية قد زال الآن، بسبب ممارساتهم للسلطة منذ الرابع الأخير من القرن العشرين (سنة 1979) بظهور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولكنها بقيت ضمن مبادئهم المذكورة والتي نالت حظها من التحليل والتعليق والتقديم في هذه الدراسة (الأفضلية والوصيّة والعصمة والعلم، والغيبة والرجعة والمهدية، والنقية).

ولكن يظهر أن الواقع الإنساني قديماً وحديثاً يقر بوجود نوع من النقية في التعامل البشري تعتمد في المجال السياسي الدولي العام، والمجال الفردي

الخاص، لتحقيق المصانع والغaiات سواء أكانت حقيقة وعادلة، أم ما أنت
أنت بها من سلطان. وإن ليس الشيعة وحدهم المتمسكون بالحقيقة، فغيرهم
يعلم بها بدون تفاسير . . .

تلك هي خلاصة ما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة... . وكما
قال الإمام الشافعي رضي الله عنهـ فرأيي صواب يتحمل الخطأ، ورأي
غيري خطأ يتحمل الصواب؟ والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء
السبيل، وحسبني الله ونعم الوكيل... .

تحيةين الشیخ الدکتور عبد القادر قحة
تونس فی يوم الثلاثاء 11 ذو القعدة 1431 هـ
(19 أکتوبر - شرین الأول 2010 م)

المصادر والمراجع

أ- العربية المخطوطات

الشربيتي (عبد الجود بن خضر) 184هـ/1770م:
درر الأوصاف في فضل الأئمة الأشraf، مخطوط بدار الكتب الوطنية -
تونس

عبد الناظر (محسن): مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق
الإسلامية. نسخة مرقونة بمكتبة الكلية الزيتונית للشريعة وأصول الدين -
تونس، أعدها لنيل شهادة الدكتوراه المرحلية 3 بإشراف الدكتور التهامي نقرة
رئيس جامعة الزيتونة سابقاً - رحمة الله.

الراجحي: (أبو الفتح محمد بن علي) ت. 149هـ/1057م:
- كتاب من اعتزل الشك والدعوى. مخطوط بدار الكتب المصرية (نفلا
عن علي محمد زيد في كتابه (معترلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت،
1981، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.
- مسألة النبوة والإمامية: مخطوط بدار الكتب المصرية (نفلا عن علي محمد
زيد في كتابه (معترلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت، 1981، مركز
الدراسات والبحوث اليمني صنعاء).

- جواب مسائل الإمام الهادي: مخطوط بدار الكتب المصرية (نفلا عن علي
محمد زيد في كتابه (معترلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت، 1981، مركز
الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.

- الأصول في الدين: مخطوط بدار الكتب المصرية (نقل عن علي محمد زيد في كتابه (معزلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت، 1981، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.
- تثبيت الإمامة: مخطوط بدار الكتب المصرية (نقل عن علي محمد زيد في كتابه (معزلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت، 1981، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.
- دعوة الهادى إلى أحمد بن يحيى بن زيد: مخطوط مصور بدار الكتب المصرية (نقل عن علي محمد زيد في كتابه (معزلة اليمن) ط1، دار العودة بيروت، 1981، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء.

المطبوعات:

- * انقرآن الكريم:

 - ابن الأثير (ت. 630هـ/1233م): الكامل في التاريخ وبها مشه تاریخ عجائب الأثار في الترجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي (ت. 1238هـ/1822م). ط. 1، المطبعة الأزهرية المصرية 1301هـ.
 - ابن بابوية القمي (ت. 381هـ/991م): من لا يحضره الفقيه. تحقيق محمود بن جعفر الموسوي ومن معه ط. الأفتاب طهران 1376هـ/1956م.
 - ابن تيسية (أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم) ت. 728هـ/1328م.
 - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقديرة. وبها مشه بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنسوق. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، غير مؤرخ.

- المنقى من منهاج الاعتدال، اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت. 728هـ/1347م) عن كتاب ابن تيمية: منهاج السنة الثبوية تحقيق محب الدين الخطيب، دار البيان المطبعة السلفية بالقاهرة 1374هـ
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن) ت. 597هـ/1201م
- الموضوعات. تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة 1386هـ/1966م
- ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني) (ت. 852هـ/1448م).
- فتح الباري بشرح البخاري. طبعة الحلبي، مصر 1378هـ/1959م
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة 1380هـ.
- ابن حزم (علي بن أحمد الظاهري) ت. 456هـ/1064م
- الفصل في الملل والأهواء والتحل، وبهامشه الملل والتحل لشهرستاني (ت. 548هـ/1154م)، دار المعرفة بيروت. غير مؤرخ، الطبعة الشيعية، المكتبة التجارية الكبرى.
- ابن حنبل (أحمد) ت. 241هـ/856م
- المسند، تحقيق أحمد شاكر، ط2، دار المعرفة، مصر من سنة 1368هـ إلى سنة 1370هـ/1949م - 1951م
- ابن خلدون (عبد الرحمن) ت. 808هـ/1406م

- مقدمة كتاب تاريخ العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعم
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مصر، غير مؤرخ.
- ابن رشد (أبو الوليد محمد بن محمود) ت. 595هـ/1198م
- منهاج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، ط2، القاهرة 1969م
- ابن الصغير (ت. 290هـ/902م)
- تاريخ الدولة الرستمية، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين بباريس
سنة 1902 مع ترجمة الكتاب إلى الفرنسية.
- ابن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتتوير، الدار التونسية
لنشر 1963م-1971م، ج2، 3، 6.
- ابن عذاري المراكشي (ت. 695هـ/1296م)
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، وإ.
فيفي بروفنسال - ليدن (هولندا) 1948م.
- ابن قتيبة الدينوري (ت. 276هـ/890م)
- الإمامية والسياسة، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، ط، الحلبي، غير
مؤرخ، مصر.
- ابن كثير الدمشقي (ت. 774هـ/1373م)
- تفسير القرآن الكريم، اختصره محمد علي الصابوني، ط7، بيروت
1402هـ/1981م
- البداية والنهاية، ط2، مكتبة المعارف، بيروت 1977م، مختصر تفسير
ابن كثير.

- ابن ماجة لفزويني (ت. 257هـ/871م) السنن. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط الحلبي. غير مؤرخ، مصر.
- ابن منظور (711هـ/1311م)
- لسان العرب. بيروت. غير مؤرخ.
- أبو داود (ت. 275هـ/889م)
- عون المعبود. شرح سنن أبي داود لابن قيم الجوزية (ت. 751هـ/1350م). تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط 2. 1388هـ/1968م
- سنن أبي داود. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. دار إحياء السنة الشبوية. غير مؤرخ.
- أبو نواس الحسن بن هانئ (ت. 197هـ/813م)
- الديوان. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان. غير مؤرخ.
- أحمد أمين:
- ضحى الإسلام. ط 6. مكتبة النهضة المصرية 1956.
- المهدى والمهدية. سلسلة أقرأ، دار المعارف، مصر 1951م
- الأربلي (أبو الحسن علي بن عيسى) ت. 692هـ/193م
- كشف الغمة في معرفة الأئمة. تحقيق السيد هاشم الرسولي، المطبعة العلمية قم 1391هـ، ق.
- الإسفلاني (أبو المظفر) ت. 417هـ/1026م

- التبصير في الدين والتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين مكتبة الخانجي، مصر 1374هـ/1955م
- الأشعري (أبو الحسن علي بن اسماعيل) ت. 330هـ/942م
- مقالات الإسلاميين واختلاف المسلمين. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة الهوضة المصرية. ط1. القاهرة 1369هـ/1950م
- الأصفهاني (أبو الفرج) ت. 356هـ/967م
- مقالات الطالبين. تحقيق أحمد صقر. دار المعرفة، بيروت، لبنان، غير مؤرخ، وكتاب 'الأغاني' تحقيق العلائي ومن معه، ط3، دار الثقافة بيروت 1381هـ/1962م
- الأنوسى (أبو الفضل شهاب الدين محمود) ت. 1270هـ/1854م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المتبرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، غير مؤرخ.
- آل كائس الغطاء (محمد الحسين) ت. 1373هـ/1954م
- أصل الشيعة وأصولها. ط9. دار البحار، بيروت، لبنان 1379هـ/1960م
- آل ياسين (محمد حسن) الإمامة، منشروات المكتب العالمي، ط2، بيروت 1398هـ/1978م
- الانصاري (عبد العلي محمد بن نظام الدين) فوائح الرحموت بشرح مسلم الشبوت، شرح محب الله بن عبد الشكور، ذيلا لكتاب المستصنفي من علم الأصول للغزالى (ت. 505هـ/1112م)

الأئمّة عشر

- البحرياني (محمد علي الموسوي): خلفاء الرسول الائلي عشر، كربلاء 1382هـ/1962م

- بدوي (عبد الرحمن): مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملاتين، بيروت، غير مؤرخ

- برستد (جيمس هنري): انتصار الحضارة، نقله إلى العربية أحمد فخري، القاهرة غير مؤرخ.

- بزرگان (مهدي): الحد الفصال بين الدين والسياسة، نقله إلى العربية عن الفارسية فاضل رسول، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1979م

- البغدادي (عبد القاهر) ت. 429هـ/1037م

- الفرق بين الفرق، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، غير مؤرخ.

- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد الكوئيري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، 1367هـ/1948م

- البيرولي (أبو الريحان محمد بن أحمد) ت. 440هـ/1048م، تحقيق ما للهند من مقوله في العقل مقبولة أو مزدورة، حيدر آباد الدن، الهند 1377هـ / 1958م

- الترمذى (محمد بن عيسى بن سورة) ت. 279هـ/892م؛ صحيح الترمذى، شرح وتحقيق ابن العربي المالكى (ت. 543هـ/1149م) المطبعة المصرية بالأزهر 1350هـ/1931م

- النفزاوى (سعد الدين): شرح العقائد النفسية، لعمر نفسي المطبعة العامرة، 1286هـ

الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) ت. 255هـ/868م

- ألبان والتبيين. القاهرة 1367هـ/1948م

- رسائل الجاحظ. جمع حسن السندي، ط1، المطبعة الرحمانية المصرية

1352هـ/1932م

الجرجاني (السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد) ت. 816هـ/1413م،

التعريفات. الدار التونسية للنشر 1971م

- جول لاوم: تفصيل آيات القرآن الحكيم، وylie المستدرك،
وهو فهرس القرآن الذي وضعه إدوارد مونتيه لترجمته الفرنسية للكتاب
الكريم، نقلهما على العربية محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتاب العربي،
بيروت، لبنان، غير مؤرخ.

الجوهري (إسماعيل بن حماد) ت. 398هـ/1048م، الصحيح، تحقيق أحمد

عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، غير مؤرخ.

الجويني (أبو المعانى) ت. 478هـ/1086م؛ الإرشاد إلى قواعد الأدلة في

أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف ومن معه، مصر 1950م

الجلالاني (علي بن الفضل) توفي في القرن 11هـ/17م؛ توفيق التطبيق،

تحقيق محمد مصطفى حلمي، ط1، دار إحياء الكتب العربية،

1373هـ/1954م

حسن ناجي؛ ثورة زيد بن علي، ط1، النجف 1386هـ/1966م

الحضرمي القيرواني (أبو اسحاق) عاش في القرن 5هـ/11م

زهر الأدب ونمر الأدب، تحقيق زكي مبارك، المطبعة الرحمانية بمصر

1925م

الخطيب جرول بن أوس مخزوم العبسي (ت. 58هـ/678م): الديوان،
بروأية ابن حبيب عن أبي عمرو الشيباني، تحقيق أبي سعيد السكري، دار
صادر، بيروت 1387 هـ/1967 م

الخلي (الحسن بن يوسف بن المطهر) ت. 726هـ/1326م

- منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ضمن كتاب ابن تيمية، منهاج السنة
النبوية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، غير مؤرخ.

- الآلتين في إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النجف
الحميري (السيد) ت. 173هـ/789م 1388هـ/1969م

الديوان، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة الحياة، بيروت، غير مؤرخ
الحميري (أبو سعيد نشوان بن سعيد) ت. 573هـ/1178م: رسالة الحور
انبعن وشرحها، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، القاهرة 1948
الحوالي (محمد بن علي): اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط1، مطبعة
السعادة 1391 هـ / 1971 م

الحضرمي (محمد) أصول الفقه، ط6، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،
1389هـ/1969م

الخطيب (عبد الكريم): المهدى المنتظر ومن ينتظرونها، ط1، دار الفكر
العربي 1980.

الخميني (آية الله العظمى): الحكومة الإسلامية، ولاية الفقيه، دار القدس،
بيروت، لبنان، غير مؤرخ

الخونساري (محمد باقر) ت. 1313هـ/1895م: روضات الجنات، ط2،
إيران، 1367هـ

الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن) ت. 255هـ/869م السن،
تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان دونالدسون
(دوايت. م)

عقيدة الشيعة، تاريخ الإسلام في إيران والعراق، تعریب، ع. م مطبعة
السعادة مصر 1365هـ/1946م

الديلمي (مهيار) ت. 428هـ/1038م: الديوان، ط1، دار الكتب المصرية
1344هـ/1925م

الرازي (فخر الدين) ت. 606هـ/1210م:
- تفسير القرآن الكريم الفسمى: مفاتيح الغيب، ط1. المطبعة البهية
المصرية 1357هـ/1938م

- كتاب الأربعين في أصول الدين. ط1. مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد
الدكن 1353هـ.

الرازي (محمد بن أبي بكر) ت. 320هـ/932م: مختار الصحاح للجوهرى،
ترتيب محمود خاطر، دار الفكر بيروت، 1392هـ/1972م

الربيع (عبد الرحمن بن علي) ب. 944هـ/1537م: بغية المستفيد في
تاريخ مدينة زبيد، مركز التراسات اليمانية، صنعاء 1979م

الزركلي (خير الدين) الأعلام، ط2. مطبعة كونستانتوماس (1378هـ/1954م) و1959م

زهير بن أبي سلمى (ت. 627م): الديوان، دار صادر، بيروت، 1964هـ/1384م

زيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب (ت. 122هـ/740م): المسند، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1966م

زيد (محمد علي): معزلة اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، ط1، بيروت 1981.

الشامي (علي):

- الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، دار النشر، تونس 1965م

- مباحث في علم الكلام والفلسفة، دار بوسالمة، تونس، غير مورخ.

- الشيعة في إيران، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1980م

شرف الدين (عبد الحسين الموسوي) ت. 1377هـ/1957م، المراجعات، المكتبة الافتخاريان، طهران، غير مورخ.

الشرقاوي (عبد الرحمن): شخصيات إسلامية، أيام الفقه التسعة، ط1، دار اقرأ، بيروت، لبنان 1401هـ/1981م

الشنفرى: ثابت بن أوس الأزدي اليمني (عاش في أوائل القرن 6م): قصيدة لامية العرب، ضمن شرح المقصورة الدرية، وضمن ديوان زيد الدين أبو حفص بن عمر الوردي الشافعى، وضمن ديوان رسائل أبو الحسن اسماعيل الوهبي الحسيني الخشاب، ط1، مطبعة الجواب، قسطنطينية، 1300هـ.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت. 548هـ/1163م

- الملل والنحل، نيلا لكتاب ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة بيروت، لبنان، غير مورخ.

- المثل والنحل: تحقيق أحمد فهمي، مكتبة حسين التجارية، القاهرة، غير مؤرخ.

شيوخ (الأب لويس) ت. 1264هـ/1927م.

المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيوخ، جددتها لجنة من الأساتذة بإدارة فؤاد أفرام البستاني، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961م.

الصادوني (محمد علي): صفوۃ التفاسیر، تفسیر القرآن الكريم، جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من تفسیر الطبری، والکشاف، والقرطبي، والأنوسي، وابن كثير، والبحر المحيط، وغيرها، دار القرآن الكريم، ط4.

بيروت 1402هـ/1981م

الصالح (صباحي): علوم الحديث ومصطلحه، ط6. دار العلم للملائين، بيروت 1971م

صباحي (أحمد محمود): نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية، دار المعارف بمصر 1969م.

النصر (آية الله السيد حسن) ت. 1354هـ/1934م: الشيعة وفنون الإسلام، مطبعة العرفان، صيدا 1331هـ

الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن) ت. في القرن 6 هـ/12م : مجمع البيان في تفسير القرآن: تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1379هـ. ق 1339 هوش.

الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب) ت. 620هـ/1223م الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخونسار، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر بيروت، لبنان، غير مؤرخ.

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت. 310هـ/922م
- جامع البيان عن تأويل القرآن تحقيق أحمد محمد شاكر ومن معه، دار المعارف بمصر، 1957.
- تهذيب الأثار وتفصيل معانى الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأخبار، تحقيق ناصر بن سعد الرشيد ومن معه، طبعة الصفار، مكة المكرمة 1404هـ
- تاريخ الأمم والملوک، ط1، المطبعة الحسينية المصرية غير مؤرخ.
- تاريخ الأمم والملوک، مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1358هـ/1939م
- تاريخ الرسل والملوک، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1960
- تاريخ الرسل والملوک، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1971.
- طه حسين: الفتنة الكبرى على وبنوه، دار المعارف بمصر ، غير مؤرخ
- الطرسوسي (نصر الدين) ت. 672هـ/1274م
- رسالة الفصول في الأصول، النص الفارسي مع ترجمته بالعربية لمحمد بن علي كركاتي استرابادي، خرداد ماه 1335هـ.
- رسالة في الإمامة، النص الفارسي مع ترجمته بالعربية لمحمد تقى دانش يزروة، خرداد ماه 1335هـ.
- العاملي (محسن الأمين): أعيان الشيعة، ط2، مطبعة الإنصاف، بيروت 1370هـ/1951م

- عبد الباقي (محمد فؤاد): المعجم المفهوس لآلفاظ القرآن الكريم، مطبعة دار الشعب، مصر، غير مؤرخ
- عبد الرزاق (علي): الإسلام وأصول الحكم، نقد وتعليق ممدوح، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1978
- عبد الله أحمد الثور: مختصر تاريخ اليمن، القاهرة 1399 هـ/1979 م
- العجلاني (منير): عقريقة الإسلام في أصول الحكم، ط2، دار الكتاب الجديد 1956
- عزيزة (محمد): الإسلام والمسرح، نقله إلى العربية دار كتاب الهلال، العدد 243، سنة 1391 هـ/1971 م
- العقيفي (نجيب): المشتشرقون، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر 1965 م/1964
- انعنوي (علي بن محمد بن عبيد الله) توفي في النصف الأول من القرن 4 هـ/10 م، سيرة الهدى يحيى بن الحسين، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1972
- علي بن أبي طالب (ت. 40 هـ/660 م)
- نهج البلاغة، جمع أشرف الرضي، شرح ابن أبي الحميد عز الدين أبي حامد هبة الله المدائني، تحقيق محمد خليل الزين ومن معه، ط2، دار الفكر، بيروت، غير مؤرخ.
- نهج البلاغة، جمع الشريف الرشي، شرح محمد عبد، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ط5، دار الأندلس، بيروت 1980.

عمر أبو النصر: الخوارج في الإسلام، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1949م

انغرالي (أبو حامد) ت. 505هـ/1112م

- المستصفى من علم الأصول. وبهامشه فواتح الرحموت بشرح مسلم الشبوت، طبعة بولاق صادر، بيروت، 1322هـ.

- فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت، القاهرة 1383هـ/1964م

- المنفذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود، ط. 3. مكتبة الأنجلو المصرية 1962م

الفارابي (أبو نصر) ت. 339هـ/951م: آراء أهل المدينة لفاضلة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان 1955م

الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين الحنظلي) ت. 458هـ/1066م: الأحكام السلطانية، دار الفكر، سربايا، أندونيسيا. ط. 3. 1394هـ/1974م
الفرزدق همام بن غالب صعصعة (ت. 135هـ/732م): شرح ديوان الفرزدق لعبد الرحمن الصاوي، ط. 1، مطبعة الصاوي، مصر 1354هـ/1936م

فلهاوزن (بيوليوس): أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة، نقله إلى العربية عبد الرحمن بدوي، ط. 2، دار القلم، بيروت، لبنان، 1955م

القرافي (السيد محمد الكاظمي): الإمام المنتظر، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، 1374هـ

الفزويني (محمد الموسوي الكاظمي): المذاخرات، مطبعة العرفان، صيدا،
لبنان، 1374هـ، الكتاب المقدس، العهد العتيق والعهد الجديد، المطبعة
الكاثوليكية، بيروت، 1951م

كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، مطبعة الترقى بدمشق
1377هـ/1958م

كوربان (هنري): تاريخ الفلسفة الإسلامية، نقله إلى العربية نصیر مروة ومن
معه، ط١، منشورات عويدان بيروت، لبنان 1966م

كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الحديثة، ط٥، دار المعارف بمصر 1969م
كريستنسن (أرثر): إيران في عهد الساسانيين، نقله إلى العربية يحيى
الختاب ومن معه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1957م
الكتابي (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق) ت. 329هـ/941م:
الأصول من الكافي، تحقيق عَلَيْ أَكْبَرِ غَفارِي، ط٣، دار الكتب الإسلامية،
طهران. بازار سلطاني 1388هـ

كولتسبيهـ: العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد يوسف ومن
معه، دار الكتاب المصري، القاهرة 1946م
مالك بن أنس (ت. 179هـ/796م)

- الموطأ، برواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد
اللطيف، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة 1387هـ/1967م
- الموطأ، برواية يحيى البشّي، تحقيق أحمد راتب عمروش، دار انفاس،
بيروت، لبنان، غير مذكور.

المتبني (أبو الطيب): ت. 354هـ/1965م): الديوان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، غير مؤرخ

مذكور (ابراهيم) في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق، ط2 دار المعارف، مصر 1968م

المرتضى (أحمد بن يحيى) ت. 840هـ/137م: شرح الأزهار، وهو كتاب المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتح لكمائن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، طبع على نسخة صحت بحواشيها على نسخة محمد بن علي الشوكاني (ت. 1240هـ/1824م) وقرئت عليه. مكتبة غمضان، صنعها، اليمن، 1401هـ

مزالي (محمد): الديمقراطية، كتاب البعث، ط1، الكتاب السادس، مطبعة الترقى، تونس 1956م

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن) ت. 346هـ/958م
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، ط2.
مطبعة السعادة مصر 1367هـ/1948م

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة بربية دي ميدار، وباقية دي كرتان، تحقيق شارل بلا، بيروت، لبنان 19070

- ثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، المطبعة الحيدرية بالنجف، العراق، غير مؤرخ.

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت. 261هـ/1278م): صحيح مسلم بشرح النووي (ت. 676هـ/1278م). مطبعة حجازي، القاهرة، غير مؤرخ.

محطفى محمود: اينشتين والنسبية، دار العودة، بيروت، غير مؤرخ

المظفري (محمد الحسين): تاريخ الشيعة، مطبعة الزهراء، النجف، العراق،
1352هـ

المعروف (السيد هاشم): عقيدة الشيعة الإمامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت
1956م/1376هـ

معنى (محمد جواد): الشيعة في الميزان، دار الشروق، بيروت والقاهرة،
غير مؤرخ

المقرizi (نقى الدين أحمد بن علي) ت. 845هـ/1411م: المواعظ
والاعتبار بذكر الخطوط والأثار، مطبعة بولاق، غير مؤرخ
المكي (أبو المؤيد أحمد) ت. 568هـ/1173م: مناقب أبي حبيفة، ضمن
كتاب الكردي (ت. 289هـ/1435م): مناقب أبي حبيفة، مطبعة المعارف
بحير أبار الذكن، الهند 1321هـ.

الشهاني (يوسف بن اسماعيل): الأنوار المحمدية من المواهب ال לדنية، طبعة
1312هـ

الثاني (أحمد) ت. 303هـ/915م): السنن، شرح جلال الدين السيوطي
(ت. 911هـ/1505م). تحقيق حسن محمد المسعودي ومن معه، المطبعة
المصرية بالأزهر، غير مؤرخ.
الشار (علي سامي):

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف بمصر
1385هـ/1965م

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط7، دار المعارف بمصر 1977م
نصر (سيد حسين): الإسلام أهدافه وحقائقه، الدار المتحدة، 1975م

النعسان (بن محمد) ت. 363هـ/1974م: المجالس والمسايرات، تحقيق محمد
 البعلاري ومن معه، المطبعة الرسمية لجمهورية تونسية 1978م
 التوبختي (أبو الحسن بن موسى) ت. 910هـ/1922م: فرق الشيعة، تحقيق
 ابراهيم الزرين، دار الفكر، بيروت، غير مؤرخ
 انهادي يحيى بن الحسين (ت. 298هـ/1119م): رسائل العدل والتوحيد،
 تحقيق محمد عمارة، دار الهلال، القاهرة 1971م
 هيكل (محمد حسين): خريف الغضب، ط6، بيروت، لبنان،
 1403هـ/1983م
 هيكل (محمد حسين): حياة محمد صلى الله عليه وسلم - ط13، مطبعة
 السنة المحمدية، القاهرة 1968
 ونسنك (أ. ي):
 - مفتاح كنوز السنة، نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي، مصر
 1353هـ/1934م
 - المعجم المفهرس للألفاظ الحديث النبوية، لبنان 1967م
 ياقوت بن عبد الله الحموي (ت. 626هـ/1228م): معجم البلدان، تيزك
 1866م - 1869م
 اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) ت. 292هـ/905م: التاريخ الكبير، دار
 الفكر بيروت، لبنان، 1375هـ - 1375هـ/1956م
 الموسوعات والدوريات:
 دائرة المعارف الإسلامية، نقلها جماعة من الأساتذة، مطبعة الاعتماد، مصر،
 غير مؤرخة.

Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle édition, Tome 1, imprimé
aux Pays- bas. Printed in The Netherlands. 1960

مجلة "المجلة"، العدد 110، السبت 20- 26 مارس - آذار 1982م/25

جمادى الأولى - 1 جمادى الثانية 1402هـ

مجلة "المجلة"، العدد 182، السبت 6- 12 أغسطس - آب - أوت 1983م/4

ذو القعدة 1403هـ.

ال المصادر وال مراجع

الأجنبية

Elisseff (Vadime)

Histoire de l'humanité. Volume 3. Didier Groigny. Paris.
1969

Laoust (Henri): Les Schismes dans l'Islam. Payot Paris
1965

Rochot (Philippe): La grande fièvre du monde musulman. Le
Sycomore. Paris 1981.

فهرس المواضيع

	تقديم:
	باب الأول: مدخل إلى التشيع ومفهوم الإمامة
	فصل الأول: اختلاف الباحثين في نشأة التشيع نظريّة الشيعة في نشأة التشيع
	نشأة التشيع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم -
	نشأة التشيع في النصف الثاني من خلافة عثمان وبعد مقتله
	نشأة التشيع من خلافة علي إلى تنازل الحسن لمعاوية
	نشأة التشيع بعد مقتل الحسين في كربلاء
	الفصل الثاني: مفهوم الإمامة وأقسامها
	حكم الإمامة
	الإمامية والخلافة
	مفهوم الإمامة لدى الشيعة
	باب الثاني: ثورة زيد بن علي - العوامل الذاتية في ثورته على بني أمية.
	الفصل الأول: العوامل الأقصاصية
	العوامل الاجتماعية
	العوامل السياسية
	العوامل الدينية
	صفات هشام بن عبد الملك من بين العوامل المذكورة
	باب الثالث: مقارنة بين مبادئ الإثنى عشرية والزيدية
	الفصل الأول: الأقضية
	رأي الإثنى عشرية في الأقضية
	مقاييس الفضل لدى الإثنى عشرية
	بيانه بنبي أمية في آن البيت هي من العوامل التي أعلن بموجبها زيد ثورته عليهم ورأيه في الأقضية
	رأي الجاحظ في وجوب نصب الإمام و اختياره من أفضل من وجد

	مقدار الفضل لدى الجاحظ
	مقدار الفضل لدى الزيدية
	علاقة الأفضلية بنظرية الحق المقدوس
	رأي فرق الزيدية في الأفضلية
	موقف الإمامي عشرية من إمامية زيد بن علي
	الفصل الثاني: الوصية
	مفهومها
	نشأتها
	الوصية لدى الإمامي عشرية
	النص على الأئمة من خلال صحف الشيعة
	الوصية والتأويل الشيعي
	ردود أهل السنة التقليدية على قول الشيعة بالوصية
	التحديد الزمياني لظهور الوصية وأنسبات حصر عدد الأئمة في اثنى عشر
	علاقة الوصية الشيعية بمذهب السببية
	ردود أهل السنة العقلية على قول الشيعة بالوصية
	الوصية لدى فرق الزيدية
	موقف زيد بن علي من الوصية
	الأطوار التي مررت بها الوصية لدى الزيدية
	الفصل الثالث: العصمة:
	مفهومها لدى الإمامي عشرية
	رفض زيد بن علي والزيدية عموماً لعصمة الأئمة
	نشأة العصمة الإمامي عشرية
	العصمة بين النطف الإلهي والغريزة التي جبل عليها المعصوم
	أدلة الإمامي عشرية الفلسفية على ثبوت العصمة
	أدلة الإمامي عشرية الفلسفية على ثبوت العصمة
	التحديد الزمياني لظهور العصمة الإمامي عشرية وموقف الزيدية منها
	العصمة في نظر الشيعة المعاصرین ورددهم على أهل السنة الرافضيين لها

	<p>مقارنة بين المهدية الزيدية، والشيعية، والإثنى عشرية</p>
	<p>تفصل السادس: النفيّة، ومحبوبها</p>
	<p>ارتباط النفيّة بخيّبة المهدى المنتظر</p>
	<p>نشأة النفيّة، وعمل الشيعة بها</p>
	<p>أئمّة الإثني عشرية النفيّة على ثبوت النفيّة</p>
	<p>العلاقة بين قول الشيعة بالنفيّة، وقول أهل السنة بحمایة النفس من الوقوع في العهول.</p>
	<p>نسبة النفيّة للأئمّة الإثني عشر من خلال سيرتهم</p>
	<p>أحكام النفيّة وارتباطها بالزمان.</p>
	<p>النفيّة لدى الزيدية نوع من تشبيط الهمم عن جهاد أهل الباطل</p>
	<p>بعد الحرج الزيدى يقابل النفيّة الإثني عشرية</p>
	<p>الزيدية يجيزون خروج إمامين في قطرين في وقت واحد</p>
	<p>قائمة في أئمّة الإثني عشرية والزيدية، ومواطن انتشار المذهبين.</p>
	<p>الختمة</p>
	<p>الفهرس</p>

	العلاقة بين عصمة أئمّة الشيعة، وسند رأي أئمّة أهل السنة وبعد نظرهم وحذفتهم السياسية
	عصمة الشيعة عصمة معرفة في الغيبية والقداسة ومستمدّة من الواقع السياسي الفصل الرابع: العلم
	ارتباط علم الأئمّة الإثني عشرية بعصمتهم مصدر علم الإمام الإثني عشرى، ونقد مصادر المعرفة الحسينية والعقلية والصوفية
	العلم الإمامي بين الروحي واللامهام الأئمّة ورثة عنوم الأنبياء
	عوامل نسبة المعرفة الغيبية للأئمّة الإثني عشرية الأئمّة مصدر معارف كافة الخلق
	مفهوم البداء وبرهانه وعلقته بعلم الأئمّة رفض زيد بن علي لمعرفة الأئمّة الغيبية
	خلو بعض التزبيدية في معرفة أئمّتهم
	الفصل الخامس: الغيبة والرجعة والمهدية مفهوم المهدية
	نشأة المهدية وارتباطها بالتنمية
	آلة الإثني عشرية النقلية على غيبة المهدى ورجعته، ونقد الشيعة لبعضها نقد عبد الرحمن بن الجوزي لبعض الأحاديث الواردة في العهدى
	المقارنة بين مهدى الشيعة ومهدى أهل السنة، ونقد ابن خلدون للأحاديث الواردة في المهدى
	العلاقة بين خاتم الأنبياء الصوفي وبين مهدى الإثني عشرية المنتظر رجعة مهدى الإثني عشرية المنتظر ..
	غيبة المهدى المنتظر ، وأنواعها، ونواب المهدى قضية استمرار حياة المهدى المنتظر
	التدابع التي تربّت منها فكرة المهدية إلى الإسلام
	استغلال فكرة المهدية لأغراض مختلفة